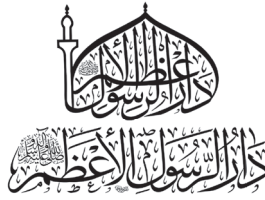




وَاللَّهُ يَخْتَارُ
مَنْ يَشَاءُ





العنوان: المبعث النبوي الشريف بين ثبوتيته في القرآن الكريم واختلاف الرواة الشفاهيين
متابعة وتقويم للرواية التاريخية (كلام الله- سبحانه وتعالى- والرواية التاريخية الشفاهية)

المؤلف: أ.د. عبد الجبار ناجي الياسري

النَّاشِر: العتبة العباسية المقدسة - دار الرسول الاعظم ﷺ

المراجعة اللغوية: دار الرسول الاعظم ﷺ

الإعداد والتحرير: م.م ياسين خضير عبيس

الادارة الفنية: حسن علي عبداللطيف المرسومي

التصميم والإخراج الطباعي: أحمد نعمة - علي عبد الحليم

عدد النسخ: ١٠٠

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٣ م.

حقوق النشر والتوزيع محفوظة للعتبة العباسية المقدسة - دار الرسول الاعظم ﷺ

رقم الايداع في دار الكتب و الوثائق العراقية ١٤٤٨ لسنة ٢٠٢٢ م

لمتابعة النبي الشريف

باب ثوبته في القرآن الكريم وأخيراً إلى الشفاهين

متابعة وتقويم للرواية التاريخية

كلم الله - سبحانه وتعالى - والرواية التاريخية الشفاهية

ناجي، عبد الجبار، 1924 - مؤلف.

المبعث النبوي الشريف بين ثبوته في القرآن الكريم واختلاف الرواة الشفاهيين : متابعة
وتقويم للرواية التاريخية (كلام الله سبحانه وتعالى - الرواية التاريخية الشفاهية) / تأليف أ. د. عبد
الجبار ناجي الياسري ؛ المراجعة اللغوية دار الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم. الطبعة
الأولى. كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، دار الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم،
١٤٤٤ هـ = ٢٠٢٣.

٥٤٢ صفحة ؛ ٢٤ سم. - (سلسلة السيرة = CHRONICLE SERIES ؛ ١٥)

يتضمن إرجاعات ببليوجرافية : صفحة.

١ - محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، نبي الاسلام، ٥٣ قبل الهجرة - ١١ هجري. ٢. السيرة
النبوية. أ. العتبة العباسية المقدسة، دار الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، مصحح. ب.
العنوان.

LCC : BP75.2 .N35 2023

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

الترقيم الدولي المعياري للكتاب

ISBN: 978-9922-680-37-8

المحتويات

المحتويات.....	٦
المقدمة:.....	٨
الباب الأول.....	٤٣
الفصل الأول.....	٤٤
المبعث النبوي: مواقف اليهود والنصارى وردود فعلهم.....	٤٥
الفصل الثاني.....	٧٢
الأبعاد الإيمانية للمبعث النبوي الشريف.....	٧٣
الفصل الثالث.....	١٣٢
مولد سيد المرسلين ﷺ هدى ورحمة للعالمين.....	١٣٣
الباب الثاني.....	١٥٥
الفصل الرابع.....	١٥٦
المباحث التطبيقية: الروايات الشفاهية بخصوص المبعث النبوي الشريف بحسب المؤلفات التاريخية السنية.....	١٥٧
الفصل الخامس.....	١٩٨
التطبيقات: الروايات الشفاهية التأسيسية بخصوص عمر النبي ﷺ أثناء بعثته الميمونة من المصادر السنية حتى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.....	١٩٩
الفصل السادس.....	٣٣٨

التطبيقات: رواية نزول الوحي على رسول الله ﷺ في أول آيات الذكر الحكيم التي	
أنزلت على صدر الرسول الكريم ﷺ الروايات الشفاهية بخصوص نزول الملك	
جبرئيل عليه السلام.....	٣٣٩
الخاتمة.....	٥٣٩

القرآن الكريم مصدر أساسي في دراسة كثير من معطيات السيرة النبوية المطهّرة وبحثها، سواء كان ذلك في المرحلة المكيّة أم في المرحلة المدنية على حدّ سواء في شأن العقيدة الإسلامية وفي التطورات التي شهدتها دعوة رسول الله ﷺ بدءاً من مبعثه الشريف مروراً بإسلام المؤمنين الأوائل وهجرته ﷺ إلى المدينة المنورة والأحداث التي شهدتها حتى وفاته ولقائه بالرفيق الأعلى؛ بخلاف ما يعتقده عدد من الباحثين العرب والأجانب، ذلك الاعتقاد الذي يفيد بأن القرآن الكريم إن هو سوى مصدر ثانوي لأحداث السيرة النبوية الشريفة وفقاً لما كانوا وما زالوا يعتقدونه بأن هناك آيات كريمة قليلة تلك التي تهّم رواية السيرة النبوية المطهّرة، وهم يعتمدون على الأوصاف الظاهرية للآيات الكريمة فحسب. والسبب في مثل هذا الاعتقاد يرجع بشكل خاصّ إلى أنهم قد اقتصروا في فهمهم فقط على ما تردده روايات سيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام وعلى مرويات الصحاح والسنن والمسند ومؤلفات المصاحف والتفسير، ولم يهتموا بأحاديث الأئمة الأطهار (عليهم السلام) ورواياتهم التي زخرت بها مؤلفات التفسير الشيعية المعتمدة أساساً على أسانيد السلسلة الذهبية لأقوال وروايات وأجوبة وتفسير الأئمة (عليهم السلام)، وعلى مؤلفاتهم نظير نهج البلاغة وتفسير الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) وتفسير جابر الجعفي الذي هو في حقيقته تفسير الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام)، فالكليني قد أخذ الحديث، وأقصد بذلك حديث الإمام الباقر (عليه السلام) في الكافي الشريف من جابر الجعفي، فهو يعدّ من أوائل المفسرين.

وصف الله تعالى القرآن الكريم في كثير من الآيات الكريمة، تلك التي تعكس العقيدة المحمدية والتعاليم الإسلامية بكل وضوح. فقد جاء في الآية الكريمة ١٧٤ من

سورة النساء: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا)، فالله تعالى وصفه بالنور إشارة إلى كونه سبباً في تلاشي الظلمات وتبديد حلكتها، كما قال في آية أخرى من سورة إبراهيم وهي الآية رقم ١: (الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)؛ ووصف الله تعالى القرآن الكريم في الآية ٩ من سورة الإسراء بالهدى لأنه دليل على استقامة الطريق به، فلا اعوجاج ولا انحراف فيه، قال تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)؛ وقال تعالى في الآية ١٨٥ من سورة البقرة: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)؛ وقال عز من قائل في الآيات من ١ الى ٤ من سورة آل عمران: (الم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ)؛ وقال سبحانه وتعالى في الآية ١٦٤ من السورة المباركة نفسها: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لِنِي ضَالِّينَ)؛ وقال سبحانه وتعالى في الآية ٤٨ من سورة المائدة: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ

تَخْتَلِفُونَ)؛ وفي الآية ٩٢ من سورة الأنعام المباركة قال تعالى: (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ)؛ وفي الآيات من ١٥٥-١٥٧ من سورة الأنعام نفسها قال سبحانه وتعالى: (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ)؛ ويبين الله تعالى في الآيات الكريمة من الآية ٣٧ الى ٣٩ من سورة يونس أهداف القرآن الكريم والموقف من المفترين فيقول سبحانه وتعالى: (وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ)؛ وإلى المعنى نفسه تشير الآيات الكريمة ١٣، ١٤ من سورة هود فيقول الله تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَلِمَ يَسْتَعْجِلُوكم فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)؛ كذلك تؤكد الآيات الكريمة من ١٠١ الى ١٠٣ من سورة النحل إذ يقول عز من قائل: (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ

لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)؛ كذلك تؤكد الآيات الكريمة ٣٦، ٣٧ من سورة الرعد في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبٌ * وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ)؛ وقوله سبحانه وتعالى في الآيات من ١ الى ٣ من سورة يوسف المباركة: (الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ)؛ كذلك قول الله سبحانه وتعالى في الآيات الكريبات من الآية ١٠٥ - ١٠٩ من سورة الإسراء: (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا * قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا)؛ وقوله عزّ من قائل في الآيات من الآية ١ الى الآية ٣ من سورة الكهف: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا * مَا كُنْ فِيهِ أَبَدًا)؛ وقوله تعالى في الآيات: (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ * وَإِنَّهُ لَفِي زُبْرِ الْأَوَّلِينَ * أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ)؛ سورة الشعراء الآيات الكريمة ١٩٢ - ١٩٧؛ والآيات البينات من الآية ٤١ الى الآية ٤٤ من سورة فصلت وهي قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ

مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ * مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ؛ وقوله تعالى في الآيات الكرييات ١ - ٦ من سورة الدخان: (حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)؛ وقوله تعالى في الآيات البينات من الآية ٨٥ الى الآية ٨٠ من سورة الواقعة: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)؛ وأخيرا وليس آخرا قوله سبحانه وتعالى في الآيات من الآية ١ الى الآية ٥ من سورة القدر: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا يَأْذِنُ رَبَّهُمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ).

فهذه الآيات الكرييات وغيرها كثير تلك المنتشرة في سور القرآن الكريم تبين بشكل جلي وواضح عظمة معجزة القرآن الكريم، وأن تدبرا عميقا في آياته الكريمة التي تعد خير شاهد على وصف الله تعالى للمصاديق والمعطيات التي تجمعها تلك الآيات التي عبّر عنها الله تعالى لهي مستوفية ومتضمنة ما ذكرناه آنفا من الدلالات البيّنة على هيمنة كتاب الله العزيز على جميع شؤون الخلق حتى أنها أذهلت أسماع الجنّ والأنس وقلوبهم، فمثلا ما أشارت اليه الآيات الكريمة ٢٩ الى الآية ٣١ من سورة الأحقاف: (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ

مُنْذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ). فالقرآن الكريم هو المصدر للحياة؛ وإن ما يدل على سمو الهدف من تنزيله، ونبيل المقصد الذي من أجله أنزل القرآن هذه الأوصاف التي أطلقها الله على كتابه العظيم، فهو -بحسب ما وصفه ربُّ العزة- القرآن الكريم، والقرآن المجيد، والكتاب العزيز، والكتاب المبين، والذكر الحكيم، والذكر المبارك، والصحف المطهرة، وأحسن القصص، وأحسن الحديث، والبرهان، والفرقان، والحق، والسراج، والبلاغ، إلى آخر هذه الأسماء والأوصاف التي تعبر عن جلال القرآن الكريم وعظمته في ذاته، وعظمة وسمو الغاية التي لأجلها نزل. فكثره الأسماء هذه تدلّ على شرف المسمّى. ورسول الله ﷺ هو الذي فسر آيات الذكر الحكيم حين نزولها وقبل أن يفسرها المفسرون، وقد فسرها بما يتفق والمعاني التي أرادها الله تعالى، تلك التي لا تحتل الرغبات والميول والاتجاهات والعواطف المتحيزة للون أو جنس أو طائفة، وفي الآية الكريمة ١٢٩ من سورة البقرة المباركة دلالة بيّنة على ذلك إذ قال تعالى: (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)؛ كذلك قال الله تعالى في الآية ١٦٤ من سورة آل عمران: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ). وها هنا علينا القول إن القرآن الكريم الذي تولى أمير المؤمنين (عليه السلام) جمعه بعد وفاة النبي ﷺ بوصيته كان قرآنًا متكاملًا بمضمونه وتفسير آياته الكريمة وتفسير معانيها، وهو أول مصحف في الإسلام جمع فيه القرآن الكريم، إلا

أنّه يتميز بكونه رُتّب على ترتيب النزول، كذلك اشتمل على شروح وتفسير لموضوعات من الآيات مع بيان أسباب النزول ومواقعه.

ذلك القرآن الذي وقف منه الصحابة المجتمعون في المسجد الجامع في المدينة المنورة موقفاً متّسماً بالرفض حينما حمله أمير المؤمنين بعد إنجازه وصية رسول الله ﷺ، قال سليم الهلالي في كتابه ما نصّه: «فلما جمعه كله وكتبه بيده على تنزيله وتأويله والناسخ منه والمنسوخ، بعث إليه أبو بكر أن أخرج فبايع، فبعث إليه الإمام عليّ عليه السلام: «إني لمشغول وقد آليت على نفسي يمينا أن لا أرتدي رداءً إلا للصلاة حتى أولّف القرآن وأجمعه» فسكتوا عنه أياماً فجمعه في ثوب واحد وختمه عليه السلام، ثم خرج الى الناس وهم مجتمعون مع أبي بكر في مسجد رسول الله ﷺ، فنادى الإمام عليّ عليه السلام بأعلى صوته: «يا أيها الناس، إني لم أزل منذ قبض رسول الله ﷺ مشغولاً بغسله ثم بالقرآن حتى جمعته كله في هذا الثوب الواحد. فلم ينزل الله تعالى على رسوله ﷺ آية إلا وقد جمعتها، وليست منه آية إلا وقد جمعتها وليست منه آية إلا وقد أقرأنيها رسول الله ﷺ وعلمني تأويلها». ثم قال لهم الإمام عليّ عليه السلام: «لثلاثا تقولوا غدا «إنا كنا عن هذا غافلين». ثم قال لهم الإمام عليّ عليه السلام: «لثلاثا تقولوا يوم القيامة إني لم أدعكم الى نصرتي ولم أذكركم حقي، ولم أدعكم الى كتاب الله من فاتحته الى خاتمته. فقال عمر: ما أغنانا ما معنا من القرآن عما تدعوننا إليه ! ثم دخل الإمام عليّ عليه السلام بيته»^(١).

وإذا كان هناك من يشكّك في هذه المصاديق التي خصّ بها وتميّز رسول الله ﷺ وآل بيته الطيبين الفاضلين فهناك آيات بينات في كتاب الله تؤكد ذلك، منها قوله سبحانه وتعالى في الآية ٥٩ من سورة التوبة: (وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ

سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ؛ وقال عزّ من قائل في الآية ٧٤ من سورة التوبة نفسها: (يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)؛ فهنا يكون الإغناء من الله ورسوله. ويقول الله جلّ جلاله في الآية ١٠٥ من سورة التوبة أيضا: (وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ). وعلى وفق ما فسره العياشي^(٢) في تفسيره برواية سندها عن عبد الله بن أبان الزيات وكان مكيّا عند الإمام الرضا عليه السلام قال: قلت للرّضا عليه السلام: ادع الله لي ولأهل بيتي، فقال: أو لست أفعل؟ والله إنّ أعمالكم لتعرض عليّ في كلّ يوم وليلة، قال: فاستعظمت ذلك، فقال لي: أما تقرأ كتاب الله عز وجل: (وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ).

لا شك أنّ الله تعالى يرى أعمال الخلائق كلها، فكما أنّ الله الذي هو عالم الغيب والشهادة المطلع على جميع أعمال المخلوقات ونواياهم، ولا يخفى عليه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السّماء، كذلك أعطى سبحانه (عزّ وجلّ) محمداً وآل محمد عليه السلام هذه الرؤية الإحاطية للاطلاع على أعمال المخلوقات كلها، يرونها برؤية الله تعالى لهم. روي عن العياشي^(٣) في تفسيره «عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله (عز وجل): (اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)، قال: تريد أن ترووا عليّ، هو الذي في نفسك. وعن يحيى بن مساور الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قلت: حدثني في عليّ حديثاً فقال: أشرحه لك أم أجمعه؟ قلت: بل أجمعه، فقال: عليّ باب هدى، من تقدّمه كان

كافرا، ومن تخلف عنه كان كافرا، قلت: زدني، قال: إذا كان يوم القيامة نُصِبَ منبر عن يمين العرش له أربع وعشرون مرقاة، فيأتي عليّ ويده اللواء حتى [يرتقيه و] يركبه ويعرض الخلق عليه، فمن عرفه دخل الجنة، ومن أنكره دخل النار، قلت له: توجد فيه من كتاب الله؟ قال: نعم، ما تقول في هذه الآية؟ يقول تبارك وتعالى: (فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) هو والله عليّ بن أبي طالب. وعن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) أن أبا الخطاب كان يقول: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) تعرض عليه أعمال أمته كل خميس، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): ليس هو هكذا، ولكن رسول الله (صلى الله عليه وآله) تعرض عليه أعمال الأمة كل صباح أبرارها وفجارها فاحذروا، وهو قول الله: (فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون). وعن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله تبارك وتعالى: (فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)، قال: تعرض على رسول الله عليه وآله أعمال أمته كل صباح أبرارها وفجارها فاحذروا. وعن زرارة عن بريد العجلي قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام): في قول الله: (اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)، فقال: ما من مؤمن يموت ولا كافر يوضع في قبره حتى يعرض عمله على رسول الله (صلى الله عليه وآله) والإمام علي (عليه السلام)، فهلمّ جرّا إلى آخر من فرض الله طاعته على العباد. وقال أبو عبد الله (عليه السلام) (والمؤمنون) هم الأئمة. وعن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله تعالى: (اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله)، قال: إن الله شاهدا في أرضه، وإن أعمال العباد تعرض على رسول الله عليه وآله السلام).

وفي قوله تعالى في الآية ٧٤ من سورة التوبة: (يُحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنَ

فَضْلُهُ فَإِنْ يَتُوبُوا إِلَيْكَ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ؛ وقوله تعالى في الآيات ٥٥، ٥٦ من سورة المائدة: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون * ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون)، فالآيتان -كما نعرف- موضوعتان بين آيات تنهى عن ولاية أهل الكتاب والكفار، ولذلك رام جماعة من مفسري القوم اشتراكهما مع ما قبلهما وما بعدهما من حيث السياق، وجعل الجميع ذات سياق واحد يقصد به بيان وظيفة المؤمنين في أمر ولاية الأشخاص ولاية النصرة، والنهي عن ولاية اليهود والنصارى والكفار، وقصر الولاية في الله سبحانه ورسوله والمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، وهؤلاء هم المؤمنون حقا فيخرج بذلك المنافقون والذين في قلوبهم مرض، ويبقى على وجوب الولاية للمؤمنين حقا، وتكون الآية دالة على مثل ما يدل عليه مجموع قوله تعالى: (والله ولي المؤمنين). وجاء في الآية ٢٤ من سورة التوبة قوله تعالى: (قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)، فالآية المباركة تمحور المفاضلة بين الحب لجميع مناحي الحياة الدنيا المادية منها والمعنوية، الأسرية والقبلية والاجتماعية في جانب واحد، والله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ وأهل بيته الطيبين الفاضلين ﷺ في جانب آخر، فكل من يحب مطامحه في الحياة الدنيا بجميع إغراءاتها على حبه الله الكريم الرحيم وعلى حبه لرسوله الكريم وآل بيته ﷺ فليتربص إلى أن يقضي الله سبحانه وتعالى الذي لا يهدي هؤلاء القوم

الذين فسقوا بتفضيلهم مغريات الدنيا على حب الله ورسوله ﷺ.

وجاء في كتاب بصائر الدرجات للصفار رواية عن رسول الله ﷺ تظهر علو منزلة الإمام علي وأهل بيته الأ طهار ﷺ، ففي باب عنوانه: «في الأئمة ﷺ وما قال فيهم رسول الله ﷺ» (بأن الله أعطاهم فهمي وعلمي)؛ حدثنا محمد بن عبد الحميد عن منصور بن يونس عن سعد بن طريف عن أبي جعفر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من سرّه أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويدخل الجنة التي وعدني ربي جنة عدن منزلي قضيب من قضبانها غرسه ربي بيده ثم قال له كن فكان فليتولّ عليا من بعدي والأوصياء من ذريتي أعطاهم الله فهمي وعلمي وأيم الله ليقتلن ابني لا أناهم الله شفاعتي». وقوله: «حدثنا يعقوب بن يزيد عن يحيى بن المبارك عن عبد الله جبلة عن إبراهيم بن مهزم الأسدي عن أبيه عن أبي عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن أهل بيتي الهداة بعدي أعطاهم الله فهمي وعلمي وخلقوا من طينتي فويل للمنكرين حقهم من بعدي القاطعين فيهم صلتي لا أناهم الله شفاعتي». وجاء في كتاب البصائر قوله: «حدثنا العباس بن معروف عن حماد بن عيسى عن حريز عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من سرّ أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويدخل جنة ربي جنة عدن منزلي قضيب من قضبانها غرسها الله ربي فليتولّ عليا والأئمة من بعده فإنهم أئمة الهدى أعطاهم الله فهما وعلمنا فهم عترتي من لحمي ودمي إلى الله أشكو من عاداهم من أمتي والله ليقتلن ابني لا أناهم الله شفاعتي». وفي رواية أخرى قال: «حدثنا إبراهيم بن هاشم عن الحسن بن علي بن فضال عن محمد بن سالم عن أبان بن تغلب قال: سمعت أبا عبد الله ﷺ

يقول: قال رسول الله ﷺ: من أراد أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويدخل جنة ربي جنة عدن غرسها بيده فليتولّ عليا وليتولّ وليه وليعادِ عدوه وليأتم بالأوصياء من بعده فإنهم عترتي من لحمي ودمي أعطاهم الله فهمي وعلمي إلى الله أشكو من أمتي المنكرين لفضائلهم القاطعين فيهم صلتي وأيم الله ليقتلن ابني لا أنا لهم الله شفاعتي». وبذلك جاء عن مولانا صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف) قوله: «طلب المعارف من غيرنا أو طلب الهداية من غيرنا مساوق لإنكارنا»^(٦).

وجاء في كتاب التوحيد للشيخ الصدوق رواية بسندها عن ابن أبي يعفور قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إن الله واحد أحد متوحد بالوحدانية متفرد بأمره خلق خلقا ففوض اليهم أمر دينهم، فنحن هم، يا بن أبي يعفور نحن حجة الله في عبادته، وشهداؤه على خلقه، وأمناءؤه على وحيه، وخزّانه على علمه، ووجهه الذي يؤتى منه، وعينه في بريّته، ولسانه الناطق، وقلبه الواعي، وبابه الذي يدلّ عليه، ونحن العاملون بأمره، والداعون إلى سبيله، بنا عرف الله، وبنا عبّد الله، نحن الأدلاء على الله، ولولانا ما عبد الله»^(٧).

من هذا الكنز والعطاء الرباني العلمي والمعرفي الذي لا يقدر بشيء من معارف أهل البيت عليهم السلام يمكننا فهم تفسير القرآن الكريم تفسيراً كانوا هم عليه السلام مؤلفيه ومفسريه بما أملاه الله ورسوله عليهم من حكمة عالية التفهم والتفهم تلك الحكمة التي تركزت في تفسيراتهم وتأويلاتهم؛ لأن رسول الله ﷺ كما مرّ ذكره - هو المفسر الأول والرئيس لآيات الذكر الحكيم، وهو عليه السلام قدّم علمه اللدنيّ إلى الإمام علي عليه السلام على طريقة ومجرى غير موجود في المؤلفات التفسيرية السنيّة منها والشيعة، وبالأخص تلك التي تتعد كثيرا عن دائرة

معارف محمد ﷺ وأهل بيته الطيبين الطاهرين، وهي علومهم الدنية ﷺ. فحديث سلسلة الذهب حديث في باب التوحيد وشروطه، وهو المروي عن الإمام الرضا ﷺ خلال مروره بمدينة نيسابور متجهاً صوب مرو، ووصف الحديث بـ «سلسلة الذهب»؛ لأن سلسلة روايته تبدأ بالإمام الرضا ﷺ مروراً بأمر المؤمنين ﷺ لتصل إلى النبي الأكرم ﷺ ثم إلى الملك جبرئيل ﷺ ثم إلى الله تعالى. فقد روى الشيخ الصدوق في كتابه أمالي الصدوق بسنده عن إسحاق بن راهويه «قال لما وافى أبو الحسن الرضا ﷺ بنيسابور وأراد أن يخرج منها إلى المأمون اجتمع إليه أصحاب الحديث، فقالوا له: يا بن رسول الله ترحل عنا، ولا تحدثنا بحديث، فنستفيده منك! وكان قد قعد في العمارة، فأطلع رأسه، وقال: سمعت أبي موسى بن جعفر، يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد، يقول: سمعت أبي محمد بن علي، يقول: سمعت أبي علي بن الحسين، يقول: سمعت أبي الحسين بن علي بن أبي طالب، يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، يقول: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: سمعت جبرئيل يقول: سمعت الله جلّ جلاله يقول: «لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي». قال الرواي: فلما مرّت الراحلة نادانا - يعني الإمام الرضا ﷺ - بشروطها وأنا من شروطها»^(٨). وقد شرحها الشيخ الصدوق بقوله: «إنما عُرف الحديث بحديث سلسلة الذهب لأن سلسلة روايته كلهم من الأئمة المعصومين ﷺ بدءاً بالإمام الرضا ﷺ عن الإمام السابع عن الإمام السادس وانتهاءً بأول الأئمة أمير المؤمنين ﷺ وعنه عن النبي الأكرم ﷺ وعن الملك جبرائيل ﷺ، ثم عن الله تعالى». وقال الشيخ الصدوق بعد نقله لهذا الحديث: «قوله «من شروطها» يعني الإقرار للرضا ﷺ بأنه إمام من قبل الله ((عز وجل)) على العباد مفترض الطاعة عليهم»^(٩).

من هنا علينا أن نبين المكانة العالية والمرموقة للإمام علي عليه السلام عند رسول الله ﷺ في جميع الحالات، وبالأخص منها في الخطبة الرائعة لرسول الله ﷺ في غدير خم. فالخطبة قد أوردها المؤرخون والعلماء الشيعة بشيء من التفصيل، ومنهم السيد ابن طاووس الحسني في كتابه «إقبال الأعمال» الجزء ٢ ص ٢٣٩^(١٠). وواقعا فإن الطبري في تاريخه «تاريخ الرسل والملوك» لم يأت على ذكر الخطبة وإنما اكتفى بذكره خطبة حجة الوداع وكذلك راويته لهذه الرواية «حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم، عن سليمان بن محمد بن كعب بن عجرة، عن عمته زينب بنت كعب بن عجرة - وكانت عند أبي سعيد الخدري - عن أبي سعيد، قال: شكوا الناس علي بن أبي طالب عليه السلام، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً، فسمعته يقول: يا أيها الناس؛ لا تشكوا علياً، فوالله إنه لأخشى في ذات الله - أو في سبيل الله - من أن يشكى». ^(١١) وفي تفسيره، أي الطبري، «قال: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) ^(١٢) قال أبو جعفر: وهذا أمر من الله تعالى ذكره نبيه محمداً ﷺ، بإبلاغ هؤلاء اليهود والنصارى من أهل الكتابين الذين قصَّ تعالى ذكر قصصهم في هذه السورة، وذكر فيها معانيهم وخُبث أديانهم، واجترأهم على ربهم، وتوثبهم على أنبيائهم، وتبديلهم كتابه، وتحريفهم إياه، ورداءة مطاعهم ومآكلهم، وسائر المشركين غيرهم، ما أنزل عليه فيهم من معانيهم، والإزراء عليهم، والتقصير بهم، والتهجين لهم، وما أمرهم به ونهاهم عنه، وأن لا يشعر نفسه حذراً منهم أن يُصيبوه في نفسه بمكروهٍ ما قام فيهم بأمر الله، ولا جَزَعاً من كثرة عددهم وقلة عدد من معه، وأن لا يتقي أحداً في ذات الله (عز وجل)،

فإن الله تعالى ذكره كافيه كل أحد من خلقه، ودافع عنه مكروه كل من يبغى مكروهه. وأعلمه تعالى ذكره أنه إن قصّر عن إبلاغ شيء مما أنزل إليه إليهم، فهو في تركه تبليغ ذلك - وإن قلّ ما لم يبلغ منه - فهو في عظيم ما ركب بذلك من الذنب بمنزلته لو لم يبلغ من تنزيله شيئاً. وبها قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

١٢٢٧٠ - حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته»، يعني: إن كتمت آية مما أنزل عليك من ربك، لم تبلغ رسالتي.

١٢٢٧١ - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك»، الآية، أخبر الله نبيه ﷺ أنه سيكفيه الناس، ويعصمه منهم، وأمره بالبلاغ. ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قيل له: لو احتجبت! فقال: والله لأبدئن عقيبى للناس ما صاحبتهم.

١٢٢٧٢ - حدثني الحارث بن محمد قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا سفيان الثوري، عن رجل، عن مجاهد قال: لما نزلت: «بلغ ما أنزل إليك من ربك»، قال: إنما أنا واحد، كيف أصنع؟ تجمّع عليّ الناس! فنزلت: «وإن لم تفعل فما بلغت رسالته»، الآية.

١٢٢٧٣ - حدثنا هناد وابن وكيع قالوا حدثنا جرير، عن ثعلبة، عن جعفر، عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل

فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس»، قال رسول الله ﷺ: لا تحرسوني، إنّ ربّي قد عصمني.

١٢٢٧٤ - حدثني يعقوب بن إبراهيم وابن وكيع قالوا حدثنا ابن عليه، عن الجريري، عن عبد الله بن شقيق: أن رسول الله ﷺ كان يعتقه ناساً من أصحابه، فلما نزلت: «والله يعصمك من الناس»، خرج فقال: يا أيها الناس، الحقوا بملاحقكم، فإنّ الله قد عصمني من الناس.

١٢٢٧٥ - حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع، عن عاصم بن محمد، عن محمد بن كعب القرظي قال: كان النبي ﷺ يتحارسه أصحابه، فأنزل الله تعالى ذكره: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته»، إلى آخرها.

١٢٢٧٦ - حدثني المثنى قال، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال، حدثنا الحارث بن عبيدة أبو قدامة الإيادي قال، حدثنا سعيد الجريري، عن عبد الله بن شقيق، عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يُحْرَس، حتى نزلت هذه الآية: «والله يعصمك من الناس»، قالت: فأخرج النبي ﷺ رأسه من القبة فقال: أيها الناس، انصرفوا، فقد عصمني الله.

١٢٢٧٧ - حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال، حدثنا سفيان، عن عاصم، عن القرظي: أن رسول الله ﷺ ما زال يُحْرَس، حتى أنزل الله: «والله يعصمك من الناس».

ثم يعقب الطبري فيقول: «واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله نزلت هذه الآية. فقال بعضهم: نزلت بسبب أعرابي كان همّ بقتل رسول الله ﷺ، فكفاه الله إياه. ذكر من قال ذلك:

١٢٢٧٨ - حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا أبو معشر، عن

محمد بن كعب القرظي وغيره قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة ظليلة، فيقبل تحتها. فأتاه أعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني؟ قال: الله! فرعدت يد الأعرابي وسقط السيف منه، قال: وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه، فأنزل الله: «والله يعصمك من الناس». وقال آخرون: بل نزلت لأنه كان يخاف قريشاً، فأومن من ذلك.

ذكر من قال ذلك:

١٢٢٧٩ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال: كان النبي ﷺ يهاب قريشاً، فلما نزلت: «والله يعصمك من الناس»، استلقى ثم قال: من شاء فليخذلني مرتين أو ثلاثاً.

١٢٢٨٠ - حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع، عن ابن أبي خالد، عن عامر، عن مسروق قال، قالت عائشة: من حدثك أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً من الوحي فقد كذب! ثم قرأت: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك»، الآية.

١٢٢٨١ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن المغيرة، عن الشعبي قال، قالت عائشة: من قال إن محمداً ﷺ كتم، فقد كذب وأعظم الفرية على الله! قال الله تعالى ذكره: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك» الآية.

١٢٢٨٢ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية قال: أخبرنا داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن مسروق قال، قالت عائشة: من زعم أن محمداً ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله، فقد أعظم على الله الفرية! والله يقول: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك»، الآية.

١٢٢٨٣ - حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني الليث قال،
حدثني خالد، عن سعيد بن أبي هلال، عن محمد بن الجهم، عن مسروق بن الأجدع
قال: دخلت على عائشة يوماً فسمعتها تقول: لقد أعظمَ الفرية من قال إنَّ محمداً كنتم
شيئاً من الوحي! والله يقول: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك».

وعني بقوله: «والله يعصمك من الناس»، يمنعك من أن ينالك بسوء. وأصله من
«عِصَام القربة»، وهو ما تُوكَى به من سير وخيط، ومنه قول الشاعر:

وَقُلْتُ: عَلَيْكُمْ مَالِكًا إِنَّ مَالِكًا ... سَيَعِصِمُكُمْ إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ عَاصِمٌ

يعني: يمنعكم».

فالطبري يسرد هذه التفصيلات لأجل أن يتجنب قول الصواب في تفسير هذه الآية
الكريمة في قول رسول الله ﷺ في خطبته الرائعة في غدير خم بولاية الإمام علي عليه السلام.

ويكرر ابن كثير مثل هذه التفاصيل التي تتعد كل البعد عن ما كان رسول الله ﷺ
يهدف إليه عندما أنزل الله تعالى الآية الكريمة من سورة المائدة في غدير خم، الحدث
العظيم بخصوص ولاية الإمام علي عليه السلام. فابن كثير بحسب ما وقف عليه في كتابه
البداية والنهاية والسيرة النبوية الذي يعدّ - في الحقيقة - ضمن كتابه البداية والنهاية.
إذ فصل في تبيان آراء العلماء السنّة في فصل أطلق عليه (فصل في قول بعض الصحابة
فيمن لم يسق الهدى بفسخ الحج إلى العمرة) ولم يتطرق إلى خطبة الغدير بل كرّس همه
«لمن لم يسق الهدى بفسخ الحج إلى العمرة».

فهو يذكر تحت عنوان: (إيراد الحديث الدالّ على أنّه عليه الصلاة والسلام خطبَ
بِمَكَانٍ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ مَرَجِعُهُ مِنْ حَجَّةِ الْوَدَاعِ)^(١٤) فتحدث فيه ابن كثير عن آراء

مؤلفي المذاهب السنيّة والمؤرخين منهم والمفسرين حول مدى صحة وموثوقية قول رسول الله ﷺ: (من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه). وأشار الى أن الطبري قد ألف كتابا عن غدير خم.

فابن كثير يذكر في تفسيره في تفسير هذه الآية الكريمة من سورة المائدة ما يأتي: «سورة المائدة الآية ٦٧: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)، يَقُولُ تَعَالَى مُخَاطَبًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِاسْمِ الرِّسَالَةِ، وَأَمْرًا لَهُ بِإِبْلَاحِ جَمِيعِ مَا أَرْسَلَهُ اللَّهُ بِهِ، وَقَدْ امْتَثَلَ ﷺ ذَلِكَ، وَقَامَ بِهِ أَتَمُّ الْقِيَامِ؛ قَالَ الْبُخَارِيُّ عِنْدَ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: مِنْ حَدِيثِكَ أَنَّ مُحَمَّدًا كَتَمَ شَيْئًا مِمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَدْ كَذَبَ، وَاللَّهُ يَقُولُ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ، الْآيَةَ، هَكَذَا رَوَاهُ هَاهُنَا مُخْتَصَرًا وَقَدْ أَخْرَجَهُ فِي مَوَاضِعَ مِنْ صَحِيحِهِ مَطُولًا، وَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ مِنْ سُنَنِهَا مِنْ طُرُقٍ عَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقِ بْنِ الْأَجْدَعِ، عَنْهَا، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهَا أَيْضًا أَنَّهَا قَالَتْ: لَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ كَاتِمًا شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ لَكَتَمَ هَذِهِ الْآيَةَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ. وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ الرَّمَادِيُّ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا عَبَادٌ عَنْ هَارُونَ بْنِ عَنَتَرَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ أَنَسًا يَأْتُونَا فَيُخْبِرُونَا أَنَّ عِنْدَكُمْ شَيْئًا لَمْ يُبْدِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلنَّاسِ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَاللَّهُ مَا وَرَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَوْدَاءَ فِي بَيْضَاءَ،

وَهَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ، وَهَكَذَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي جُحَيْفَةَ وَهَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السُّوَّائِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِلْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْوَحْيِ مِمَّا لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ؟ فَقَالَ: لَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِلَّا فَهْمًا يُعْطِيهِ اللَّهُ رَجُلًا فِي الْقُرْآنِ وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، قُلْتُ: وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ؟ قَالَ: الْعَقْلُ، وَفِكَاكُ الْأَسِيرِ، وَأَنْ لَا يَقْتُلَ مُسْلِمٌ بَكَافِرٍ. وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ الزُّهْرِيُّ: مِنَ اللَّهِ الرَّسَالَةُ وَعَلَى الرَّسُولِ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ، وَقَدْ شَهِدَتْ لَهُ أُمَّتُهُ بِإِبْلَاغِ الرَّسَالَةِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَاسْتَنْطَقَهُمْ بِذَلِكَ فِي أَعْظَمِ الْمَحَافِلِ فِي خُطْبَتِهِ يَوْمَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، وَقَدْ كَانَ هُنَاكَ مِنْ أَصْحَابِهِ نَحْوُ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفًا، كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم قَالَ فِي خُطْبَتِهِ يَوْمَئِذٍ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَيْتَ وَنَصَحْتَ، فَجَعَلَ يَرْفَعُ إصْبَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَيُنْكِسُهَا إِلَيْهِمْ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتَ؟».

ويستمر ابن كثير في تفسيره الذي يتعد فيه كل البعد عن ما جاء به رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم في خطبته المشهورة بخطبة غدير خم فيقول: «قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا فَضِيلٌ يَعْنِي ابْنَ غَزْوَانَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، قَالَ أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ «فَإِنَّ أَمْوَالَكُمْ وَدِمَاءَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا» ثُمَّ أَعَادَهَا مَرَارًا، ثُمَّ رَفَعَ إصْبَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ؟، مَرَارًا. قَالَ: يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَاللَّهِ لَوْ صِيتُهُ إِلَى رَبِّهِ (عَزَّ وَجَلَّ)، ثُمَّ قَالَ «أَلَا فَلْيُبْلِغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ: لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ

بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ». وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ الْمَدِينِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ
فُضَيْلِ بْنِ غَزْوَانَ بِهِ نَحْوَهُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغَتْ رِسَالَتُهُ، يَعْنِي وَإِنْ لَمْ تُؤَدِّ
إِلَى النَّاسِ مَا أَرْسَلْتِكَ بِهِ، فَمَا بَلَغَتْ رِسَالَتُهُ، أَيْ وَقَدْ عَلِمَ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَى ذَلِكَ لَوْ وَقَعَ.
وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغَتْ رِسَالَتُهُ يَعْنِي إِنْ كَتَمْتَ آيَةً
مِمَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَمْ تَبْلُغْ رِسَالَتَهُ، قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ بْنُ
عُقْبَةَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ رَجُلٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ
مِنْ رَبِّكَ قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَصْنَعُ وَأَنَا وَحْدِي يَجْتَمِعُونَ عَلَيَّ؟ فَنَزَلَتْ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا
بَلَغَتْ رِسَالَتَهُ. وَرَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ مِنْ طَرِيقِ سُفْيَانَ وَهُوَ الثَّوْرِيُّ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَاللَّهُ
يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، أَيْ بَلِّغْ أَنْتَ رِسَالَتِي وَأَنَا حَافِظُكَ وَنَاصِرُكَ وَمُؤَيِّدُكَ عَلَى أَعْدَائِكَ
وَمُظَفِّرِكَ بِهِمْ، فَلَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ فَلَنْ يَصِلَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَيْكَ بِسُوءِ يُؤْذِيكَ، وَقَدْ كَانَ
النَّبِيُّ ﷺ قَبْلَ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ يُحْرَسُ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ، حَدَّثَنَا يَحْيَى
قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَامِرٍ بْنِ رَبِيعَةَ يُحَدِّثُ أَنَّ عَائِشَةَ كَانَتْ تُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
سَهَرَ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهِيَ إِلَى جَنْبِهِ قَالَتْ: فَقُلْتُ مَا شَأْنُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَيْتَ رَجُلًا
صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يُحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ» قَالَتْ: فَبَيْنَا أَنَا عَلَى ذَلِكَ، إِذْ سَمِعْتُ صَوْتَ السَّلَاحِ،
فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟» فَقَالَ: أَنَا سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ. فَقَالَ: «مَا جَاءَ بِكَ؟» قَالَ: جِئْتُ لِأَخْرُسَكَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَتْ: فَسَمِعْتُ غَطِيطَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي نَوْمِهِ، أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ
مِنْ طَرِيقِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيِّ، وَفِي لَفْظٍ: سَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ مَقْدَمِهِ
الْمَدِينَةَ يَعْنِي عَلَى أَثَرِ هَجْرَتِهِ بَعْدَ دُخُولِهِ بِعَائِشَةَ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ ثِنْتَيْنِ مِنْهَا. وَقَالَ ابْنُ
أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَرْزُوقٍ الْبَصْرِيُّ، نَزِيلُ مِصْرَ، حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ،

حَدَّثَنَا الْحَارِثُ بْنُ عُبَيْدٍ يُعْنِي أَبَا قُدَامَةَ عَنِ الْجُرَيْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَاللَّهُ يَعِصُمُكَ مِنَ النَّاسِ، قَالَتْ: فَأَخْرَجَ النَّبِيُّ ﷺ رَأْسَهُ مِنَ الْقُبَّةِ وَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ انصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ)». وَهَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَبْدِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَعَنْ نَصْرِ بْنِ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيِّ، كِلَاهُمَا عَنْ مُسْلِمٍ بْنِ أَبِرَاهِيمَ، ثُمَّ قَالَ: وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، وَهَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ مِنْ طَرِيقِ مُسْلِمٍ بْنِ أَبِرَاهِيمَ، قَالَ الْحَاكِمُ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجْهُ، وَكَذَا رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ عُبَيْدٍ أَبِي قُدَامَةَ عَنِ الْجُرَيْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ، عَنْ عَائِشَةَ بِهِ، ثُمَّ قَالَ التِّرْمِذِيُّ: وَقَدْ رَوَى بَعْضُهُمْ هَذَا عَنِ الْجُرَيْرِيِّ عَنِ ابْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَمْ يَذْكُرْ عَائِشَةَ. قُلْتُ: هَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ مِنْ طَرِيقِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَلِيَّةَ، وَابْنِ مَرْدَوَيْهِ مِنْ طَرِيقِ وَهَيْبٍ، كِلَاهُمَا عَنِ الْجُرَيْرِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ مُرْسَلًا، وَقَدْ رَوَى هَذَا مُرْسَلًا عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، رَوَاهُمَا ابْنُ جَرِيرٍ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، رَوَاهُ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ رَشْدِينَ الْمِصْرِيُّ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ الصَّدْفِيُّ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ الْمُخْتَارِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَوْهَبٍ، عَنْ عِصْمَةَ بْنِ مَالِكٍ الْخَطَمِيِّ قَالَ: كُنَّا نَحْرُسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِاللَّيْلِ. حَتَّى نَزَلَتْ وَاللَّهُ يَعِصُمُكَ مِنَ النَّاسِ فَتَرَكَ الْحَرَسَ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ أَبُو نَصْرِ الْكَاتِبُ الْبَغْدَادِيُّ، حَدَّثَنَا كُرْدُوسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَاسِطِيُّ، حَدَّثَنَا يَعْلَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ فَضِيلِ بْنِ مَرْزُوقٍ عَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: كَانَ الْعَبَّاسُ عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيْمَنْ يَحْرُسُهُ، فَلَمَّا

نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَرَسَ. حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي حَامِدٍ الْمَدِينِيُّ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُفَضَّلٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْأَشْعَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الزُّبَيْرِ الْمَكِّيَّ يُحَدِّثُ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رضوان الله تعالى عليه)، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَرَجَ بَعَثَ مَعَهُ أَبُو طَالِبٍ مَنْ يَكْلُوهُ حَتَّى نَزَلَتْ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ فَذَهَبَ لِيَبْعَثَ مَعَهُ، فَقَالَ: «يَا عَمُّ إِنَّ اللَّهَ قَدْ عَصَمَنِي لَا حَاجَةَ لِي إِلَى مَنْ تَبْعَثُ». وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ وَفِيهِ نَكَارَةٌ، فَإِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَدَنِيَّةٌ، وَهَذَا الْحَدِيثُ يَقْتَضِي أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ، ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ الْحِمَازِيُّ عَنِ النَّضْرِ، عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَحْرُسُ فَكَانَ أَبُو طَالِبٍ يُرْسِلُ إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ يَحْرُسُونَهُ حَتَّى نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: فَأَرَادَ عَمُّهُ أَنْ يُرْسِلَ مَعَهُ مَنْ يَحْرُسُهُ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ عَصَمَنِي مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ»، وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ غَيْلَانَ الْعَمَّانِيِّ، عَنْ أَبِي كُرَيْبٍ. وَهَذَا أَيْضًا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، وَالصَّحِيحُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَدَنِيَّةٌ بَلْ هِيَ مِنْ أَوَاخِرِ مَا نَزَلَ بِهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَمِنْ عَصْمَةِ اللَّهِ لِرَسُولِهِ، حِفْظُهُ لَهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَصَنَادِيدِهَا وَحُسَادِهَا وَمُعَانِدِهَا وَمُتَرَفِفِهَا، مَعَ شِدَّةِ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَةِ، وَنَصَبِ الْمُحَارَبَةِ لَهُ لَيْلًا وَنَهَارًا، بِمَا يَخْلُقُهُ اللَّهُ مِنَ الْأَسْبَابِ الْعَظِيمَةِ بِقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ الْعَظِيمَةِ، فَصَانَهُ فِي ابْتِدَاءِ الرِّسَالَةِ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ إِذْ كَانَ رَئِيسًا مُطَاعًا كَبِيرًا فِي قُرَيْشٍ، وَخَلَقَ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ مَحَبَّةً طَبِيعِيَّةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا

شَرِيعَةً، وَلَوْ كَانَ أَسْلَمَ لَاجْتَرَأَ عَلَيْهِ كُفَارُهَا وَكِبَارُهَا، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ قَدْرٌ مُشْتَرَكٌ فِي الْكُفْرِ هَابُوهُ وَاحْتَرَمُوهُ، فَلَمَّا مَاتَ عَمَهُ أَبُو طَالِبٍ، نَالَ مِنْهُ الْمُشْرِكُونَ أَذَى يَسِيرًا، ثُمَّ قَبِضَ اللَّهُ لَهُ الْأَنْصَارَ فَبَايَعُوهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَعَلَى أَنْ يَتَحَوَّلَ إِلَى دَارِهِمْ وَهِيَ الْمَدِينَةُ، فَلَمَّا صَارَ إِلَيْهَا، مَنَعُوهُ مِنَ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، وَكَلِمَا هُمَ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ بِسُوءِ كَادِهِ اللَّهُ، وَرَدَّ كَيْدَهُ عَلَيْهِ، كَمَا كَادَهُ الْيَهُودُ بِالسَّحَرِ فَحَمَاهُ اللَّهُ مِنْهُمْ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ سُورَتِي الْمُعَوِّذَتَيْنِ دَوَاءً لَذَلِكَ الدَّاءِ، وَلَمَّا سَمِعَ الْيَهُودُ فِي ذِرَاعِ تِلْكَ الشَّاةِ بِخَبِيرٍ، أَعْلَمَهُ اللَّهُ بِهِ وَحَمَاهُ مِنْهُ، وَلِهَذَا أَشْبَاهُ كَثِيرَةٌ جِدًّا يَطُولُ ذِكْرُهَا، فَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ الْمُفَسِّرُونَ عِنْدَ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ. فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا الْحَارِثُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ، وَغَيْرِهِ، قَالُوا: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا نَزَلَ مَنْزِلًا اخْتَارَ لَهُ أَصْحَابَهُ شَجَرَةً ظَلِيلَةً فَيَقِيلُ تَحْتَهَا، فَاتَاهُ أَعْرَابِيٌّ فَاخْتَرَطَ سَيْفَهُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقَالَ «اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ)» فَرُعِدَتْ يَدُ الْأَعْرَابِيِّ وَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْهُ، وَضَرَبَ بِرَأْسِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى انْتَثَرَ دِمَاعُهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ): وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» ^(١٥). وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُبَيْدَةَ، حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ)، قَالَ: لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَنِي أَنْصَارٍ، نَزَلَ ذَاتَ الرِّقَاعِ بِأَعْلَى نَخْلٍ، فَبَيْنَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى رَأْسِ بئرٍ قَدْ دَلَّى رَجُلَيْهِ، فَقَالَ غُورَثُ بْنُ الْحَارِثِ مِنْ بَنِي النَّجَارِ: لَأَقْتُلَنَّ مُحَمَّدًا، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: كَيْفَ تَقْتُلُهُ؟ قَالَ: أَقُولُ لَهُ: أَعْطِنِي سَيْفَكَ، فَإِذَا أَعْطَانِيهِ، قَتَلْتُهُ بِهِ، قَالَ: فَاتَاهُ. فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَعْطِنِي سَيْفَكَ أَشِيمُهُ،

فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَرَعَدَتْ يَدُهُ حَتَّى سَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَالَ اللَّهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَا تُرِيدُ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (عزَّ وجلَّ): (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ). وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَقِصَّةُ غُورَثِ بْنِ الْحَارِثِ مَشْهُورَةٌ فِي الصَّحِيحِ. وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ مَرْدَوَيْهِ: حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو بْنُ أَحْمَدَ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ، حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كُنَّا إِذَا صَحَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ تَرَكْنَا لَهُ أَغْطَمَ شَجَرَةٍ وَأَظْلَاهَا، فَيَنْزِلُ تَحْتَهَا، فَتَزَلُ ذَاتَ يَوْمٍ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَعَلَّقَ سَيْفَهُ فِيهَا، فَجَاءَ رَجُلٌ فَأَخَذَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْكَ ضَعِ السَّيْفَ»، فَوَضَعَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (عزَّ وجلَّ): وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ. وَكَذَا رَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ بْنُ حَبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْمُؤَمِّلِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، سَمِعْتُ أَبَا إِسْرَائِيلَ، يَعْني الْجُشَمِيَّ، سَمِعْتُ جَعْدَةَ هُوَ ابْنُ خَالِدِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الصُّمَّةِ الْجُشَمِيَّ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَرَأَى رَجُلًا سَمِينًا، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمِي إِلَى بَطْنِهِ بِيَدِهِ وَيَقُولُ: «لَوْ كَانَ هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا، لَكَانَ خَيْرًا لَكَ» قَالَ: وَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِرَجُلٍ، فَقِيلَ: هَذَا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَكَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «لَمْ تُرَعْ وَلَوْ أَرَدْتَ ذَلِكَ لَمْ يُسَلِّطَكَ اللَّهُ عَلَيَّ». وَقَوْلُهُ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ أَيُّ بَلِّغَ أَنْتَ وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ [البقرة: ٢٧٢]، وَقَالَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ [سورة الرعد: ٤٠] (١٦).

وقد ذكر ياقوت الحموي أن بعض الشيوخ ببغداد قال بتكذيب حديث غدير خم وقال: إن علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان باليمن في الوقت الذي كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ببغدير خم، فبلغ أبا جعفر الطبري ذلك فابتدأ بالكلام في فضائل علي بن أبي طالب وذكر طرق حديث غدير خم، وهذا هو السبب في العداوة الشخصية بينه وبين أبي بكر بن أبي داود صاحب السنن، وسبب تلك العداوة كما يحدثنا التاريخ، هو أن أبا بكر هذا كان ناصباً مُبغضاً للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وآل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله). وحمله نصبه هذا على تأليف كتاب يقدح فيه على حديث (غدير خم)، فألف الإمام الطبري مؤلفاً أورد فيه الكثير من الأسانيد والحجج التي تسند هذا الحديث. يضاف إلى ذلك كله أن الطبري أورد ما يتعلق بغدير خم في كتاب مستقل، وهو في مجلدين ضخمين، ولا نعرف عن وجود هذا الكتاب أي خبر، وربما كان من جملة كتبه المفقودة. لم يصلنا هذا الكتاب، على الرغم من شهرته الواسعة، كما تكرر ذكره في كتب التراجم التي ترجمت سيرة حياة الطبري ونوهت إلى عنوان هذا الكتاب، لكنه قد ضاع من جملة الكتب التي تلفت لأسباب غير خافية لمن ألف في هذا الحقل. ويكفي الطبري فخراً أنه صنّف هذا الكتاب لا لأجل شيء، فقط لإظهار الحقيقة للعامة والخاصة وإخراص الألسن التي كانت وما زالت تحاول أن تقلل أو تشكك أو ترفض حادثة يوم الغدير، لكن (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ).

ونقل ابن عساكر أن الطبري قال: «ولما بلغه أن أبا بكر بن أبي داود السجستاني تكلم في حديث غدير خم عمل كتاب الفضائل فبدأ بفضل أبي بكر وعمر وعثمان والإمام علي (عليه السلام) وتكلم على تصحيح حديث غدير خم واحتج لتصحيحه وأتى من فضائل أمير

المؤمنين الإمام علي عليه السلام بما انتهى إليه ولم يتم الكتاب وكان ممن لا يأخذه في دين الله (عز وجل) لومة لائم ولا يعدل في علمه وبيانه حتى يلزمه لربه وللمسلمين إلى باطل الرغبة ولا رهبة مع عظيم ما كان يلحقه من الأذى والشناعات من جاهل وحاسد وملحد فأما أهل الدين والورع والعلم فغير منكر من علمه وفضله وزهده في الدنيا ورفضه لها مع إقبالها عليه وقناعته بما كان يرد عليه من حصّة من ضيعة خلفها له أبوه بطبرستان يسيرة». وأشار الذهبي إلى عدة روايات بهذا المعنى فقد ذكر أن الطبري: (لما بلغه أن أبا بكر بن أبي داود تكلم في حديث غدير خم، عمل كتاب: (الفضائل) فبدأ بفضل أبي بكر، ثم عمر، وتكلم على تصحيح حديث غدير خم، واحتج لتصحيحه، ولم يتم الكتاب). وفي رواية أخرى: (قيل لابن جرير: إنّ أبا بكر بن أبي داود يُملي في مناقب عليّ، فقال: تكبيرة من حارس، وقد وقع بين ابن جرير وبين ابن أبي داود، وكان كل منهما لا ينصف الآخر، وكانت الحنابلة حزب أبي بكر بن أبي داود، فكثروا وشنعوا على ابن جرير، وناله أذى، ولزم بيته ...).

وحقيقة الأمر بحسب المصادر الشيعية يختلف تماماً عما قدمه العلماء من أهل السنة تلك التي وقفنا عليها بالتفصيل في الفقرات السابقة؛ فخطبة رسول الله ﷺ في غدير خم هي خطبة في إعلان ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فالذي جاء في تفسير العياشي وفي كتاب «إقبال الأعمال» للسيد ابن طاووس الحسني كان كالاتي:

جاء في كتاب النشر والطبي في تمام حديثه ما هذا لفظه: «فهبط جبرئيل عليه السلام فقال: اقرأ: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - الآية)، وقد بلغنا غدير خم في وقت لو طرح اللحم فيه على الأرض لانشوى، وانتهى إلينا رسول الله فنادى: الصلاة جامعة،

ولقد كان أمرُ عليٍّ عليه السلام أعظم عند الله مما يقدر، فدعا المقداد وسلمان وأبا ذر وعمار، فأمرهم أن يعمدوا الى أصل شجرتين فيقموا ما تحتها فكسحوه، وأمرهم أن يضعوا الحجارة بعضها على بعض كقامة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمر بثوب فطرح عليه، ثم صعد النبي صلى الله عليه وآله المنبر ينظر يمنة ويسرة ينتظر اجتماع الناس إليه. فلما اجتمعوا قال: الحمد لله الذى علا في توحده ودنا في تفرده - الى أن قال: - أقرّ له على نفسي بالعبودية وأشهد له بالربوبية وأؤدي ما أوحى إلي، حذر إن لم أفعل أن تحل بى قارعة، أوحى إلي: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - الآية). معاشر الناس ما قصرت في تبليغ ما أنزله الله تبارك وتعالى، وأنا أبين لكم سبب هذه الآية، إن جبرئيل عليه السلام هبط إلي مرارا أمرني عن السلام أن أقول في المشهد وأعلم الأبيض والأسود، أن عليّ بن أبي طالب أخي وخليفتي والإمام بعدي. أيها الناس علّمني بالمنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم، وكثرة أذاهم لي مرة سمّوني أذنا لكثرة ملازمته إياي وإقبالي عليه، حتى أنزل الله: (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن) [سورة التوبة الآية ٦١]، ولو شئت أن أسمّي القائلين بأسمائهم لسمّيت. واعلموا أن الله قد نصبه لكم وليا وإماما، مفترضا طاعته على المهاجرين والأنصار وعلى التابعين وعلى البادي والحاضر، وعلى العجمي والعربي، وعلى الحر والمملوك، وعلى الكبير والصغير، وعلى الأبيض والأسود، وعلى كل موحد، فهو ماض حكمه، جائز قوله، نافذ أمره، ملعون من خالفه ومرحوم من صدقه. معاشر الناس تدبروا القرآن وافهموا آياته ومحكماته ولا تتبعوا متشابهه فوالله لا يوضح تفسيره إلا الذي أنا آخذ بيده ورافعها بيدي، ومعلمكم أن من كنت مولاه فهو مولاه، وهو عليّ.

معاشر الناس إن عليا والطيبين من ولدي من صلبه هم الثقل الأصغر والقرآن الثقل الأكبر، لن يفترقا حتى يردا على الحوض، ولا يحل إمرة المؤمنين لأحد بعدي غيره. ثم ضرب بيده على عضده، فرفعه على درجة دون مقامه متيامنا عن وجه رسول الله ﷺ، فرفعه بيده وقال: أيها الناس من أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: الله ورسوله، فقال: ألا من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، إنما أكمل الله لكم دينكم بولايته وإمامته، وما نزلت آية خاطب الله بها المؤمنين إلا بدأ به، ولا شهد الله بالجنة في هل أتى إلا له، ولا أنزلها في غيره، ذرية كل نبي من صلبه وذريتي من صلب عليّ، لا يبغض عليا إلا شقي ولا يوالي عليا إلا تقي، وفي عليّ نزلت (والعصر)، وتفسيرها: ورب عصر القيامة، (إن الإنسان لفي خسر) أعداء آل محمد، (إلا الذين آمنوا) بولايتهم، (وعملوا الصالحات) بمواساة إخوانهم، (وتواصوا بالصبر) في غيبة غائبهم.

معاشر الناس آمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزل، أنزل الله النور فيّ، ثم في عليّ، ثم النسل منه إلى المهدي، الذي يأخذ بحق الله، معاشر الناس إني رسول الله قد خلت من قبلي الرسل، ألا إن عليا الموصوف بالصبر والشكر ثم من بعده من ولده من صلبه.

معاشر الناس قد ضل من قبلكم أكثر الأولين، أنا صراط الله المستقيم الذي أمركم أن تسلكوا الهدى إليه، ثم عليّ من بعدي، ثم ولدي من صلبه أئمة يهدون بالحق، إني قد بينت لكم وفهمتكم، هذا عليّ يفهمكم بعدي، ألا وإني بايعت الله وعليّ بايع لي، وأنا آخذكم بالبيعة له عن الله، (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) [سورة الفتح الآية ١٠].

معاشر الناس أنتم أكثر من أن تصافحوني بكف واحدة قد أمرني الله أن آخذ من ألسنتكم الإقرار بما عقدتم الإمرة لعليّ بن أبي طالب، ومن جاء من بعده من الأئمة مني ومنه، على ما أعلمتكم أن ذريتي من صلبه فليبلغ الحاضر الغائب، فقولوا: سامعين مطيعين راضين لما بلغت عن ربك، نبايعك على ذلك بقلوبنا وألسنتنا وأيدينا، على ذلك نجيا ونموت ونبعث، لا نغير ولا نبذل ولا نشك ولا نرتاب، أعطينا بذلك الله وإياك، وعليا والحسن والحسين والأئمة الذين ذكرت، كل عهد وميثاق من قلوبنا وألسنتنا، ونحن لا نبتغي بذلك بدلا ونحن نؤدى ذلك الى كل من رأينا. فبادر الناس بنعم نعم، سمعنا وأطعنا أمر الله وأمر رسوله آمنا به بقلوبنا، وتداكوا على رسول الله وعليّ عليهما السلام بأيديهم، الى أن صُلِّيت الظهر والعصر في وقت واحد، وباقي ذلك اليوم الى أن صُلِّيت العشاءان في وقت واحد ورسول الله ﷺ يقول كلما أتى فوج: (الحمد لله الذي فضلنا على العالمين)» (١٧).

وفي هذا المجال يذكر أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار، المعروف بالصفار القمي المتوفى سنة ٢٩٠ هجري في كتابه بصائر الدرجات، وكان أبو جعفر من أصحاب الإمام الحسن العسكري ومن أعلام القرن الثالث الهجري، جمع فيه أحاديث حول أئمة الشيعة، من فضائلهم وعلمهم وولايته؛ وكذلك يقول الشيخ الشاهرودي ما نصّه: «ظهر لي أمر الله ببركة مولانا صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، ووقع نظري في ورقة مكتوبة بخط جلي: طلب المعارف من غيرنا أو طلب الهداية من غيرنا (الشك مني) مساوق لإنكارنا، وعلى ظهرها مكتوب: أقامني الله وأنا الحجة ابن الحسن» (١٨).

وجاء في كتاب بصائر الدرجات في باب (في الأئمة عليهم السلام ما قال فيهم رسول الله ﷺ

بأن الله أعطاهم فهمي وعلمي): «حدثنا محمد بن عبد الحميد عن منصور بن يونس عن سعد بن طريف عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (ﷺ): من سرّه أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويدخل الجنة التي وعدني ربي جنة عدن منزلي قضيب من قضبانها غرسه ربي بيده ثم قال له كن فكان فليتولّ عليا من بعدي والأوصياء من ذريتي أعطاهم الله فهمي وعلمي وأيم الله ليقتلن ابني لا أناهم الله شفاعتي». وقال أيضا: «حدثنا يعقوب بن يزيد عن يحيى بن المبارك عن عبد الله جبلة عن إبراهيم بن مهزم الأسدي عن أبيه عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (ﷺ): إن أهل بيتي الهداة بعدي أعطاهم الله فهمي وعلمي وخلقوا من طيئتي فويل للمنكرين حقهم من بعدي القاطعين فيهم صلتى لا أناهم الله شفاعتي». وكذلك قوله: «حدثنا العباس بن معروف عن حماد بن عيسى عن حريز عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (ﷺ): من سرّ أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويدخل جنة ربي جنة عدن منزلي قضيب من قضبانها غرسها الله ربي فليتولّ عليا والأئمة من بعده فإنهم أئمة الهدى أعطاهم الله فهما وعلمنا فهم عترتي من لحمي ودمي إلى الله أشكو من عاداهم من أمتي والله ليقتلن ابني لا أناهم الله شفاعتي». ونقل عن أبان بن تغلب «حدثنا إبراهيم بن هاشم عن الحسن بن علي بن فضال عن محمد بن سالم عن أبان بن تغلب قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: قال رسول الله (ﷺ): من أراد أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويدخل جنة ربي جنة عدن غرسها بيده فليتولّ عليا وليتولّ ولية وليعادِ عدوه وليأتم بالأوصياء من بعده فإنهم عترتي من لحمي ودمي أعطاهم الله فهمي وعلمي إلى الله أشكو من أمتي المنكرين لفضائلهم القاطعين فيهم صلتى وأيم الله ليقتلن ابني لا أناهم الله شفاعتي». ونقل الصفار القمي عن جابر الجعفي قوله:

«حدثنا محمد بن الحسين عن موسى بن سعدان عن عبد الله بن القاسم عن عبد القاهر عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سره أن يحيى حياتي ويموت ميتتي ويدخل جنة عدن قضيب غرسه ربي فليتولّ عليا وأوصياءه من بعدي فإنهم لا يدخلونكم في باب ضلال ولا يخرجونكم من باب هدى ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم وإني سألت ربي أن لا يفرق بينهم وبين الكتاب حتى يردا على الخوض معي هكذا - وضم بين إصبعيه - وعرضه ما بين صنعاء إلى إبله فيه قدحان فضة وذهباً عدد النجوم» ^(١٩).

هوامش المقدمة:

- (١) كتاب سليم بن قيس الهلالي التابعي الكبير من أصحاب أمير المؤمنين، تحقيق: محمد باقر الأنصاري الزنجاني الخوئي، مطبعة الهادي، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هجري قمري، ص ١٤٦ - ١٤٧.
- (٢) الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار المتوفى سنة ٢٩٠ هجرية؛ بصائر الدرجات، تحقيق وتصحيح وتعليق وتقديم: الحاج ميرزا حسن كوجه باغي، سنة الطبع ١٤٠٤ - ١٣٦٢ هجرية، ج ٢، ص ٧٧٢.
- (٣) ينظر: بصائر الدرجات، ج ٢، ص ٧٦٩.
- (٤) ينظر: محمد بن مسعود العياشي المتوفى سنة ٣٢٠ هجرية، تفسير العياشي، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، جزء ٢، ص ١٠٨، ١٠٩.
- (٥) ينظر: بصائر الدرجات، ص ٦٨، ٦٩.
- (٦) هامش الشيخ علي النمازي الشاهرودي المتوفى سنة ١٤٠٥، مستدرک سفينة البحار، تحقيق وتصحيح: الشيخ حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، سنة الطبع ١٤١٨، جزء ١، ص ١٠.
- (٧) الشيخ الصدوق المتوفى سنة ٣٨١ هجرية، كتاب التوحيد، صححه وعلق عليه: السيد هاشم الحسيني الطهراني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص ١٥٢.
- (٨) الشيخ الصدوق، أمالي الصدوق، قدم له: الشيخ حسين الأعلمي، منشورات الأعلمي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هجري / ٢٠٠٩ م، ص ١٧٥.
- (٩) الشيخ الصدوق، كتاب التوحيد، ص ١٥٢؛ كتاب أمالي الصدوق، قدم له: الشيخ حسين الأعلمي، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هجرية / ٢٠٠٩ م.
- (١٠) إقبال الأعمال، جزء ٢، ص ٢٣٩.
- (١١) والطبري متوفى سنة ٣١٠ هجرية. ينظر: جزء ٣، ص ١٤٨ (حجة الوداع)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة الثانية، دار المعارف بمصر.
- (١٢) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى ٣١٠ هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، جزء ١٠، ص ١٦٧.
- (١٣) ينظر: الطبري، تفسير الطبري، جزء ١٠، ص ١٦٧ - ١٧٢، تفسير الآية: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ

مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧) سورة المائدة.

(١٤) ابن كثير في البداية والنهاية، الطبعة السادسة، مطبعة مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٨٨، فصل من لم يسبق معه هدي، فصل من لم يسبق معه هدي فليحل ويجعلها عمرة؛ ج ٥، ص ١٢٤-١٢٨.

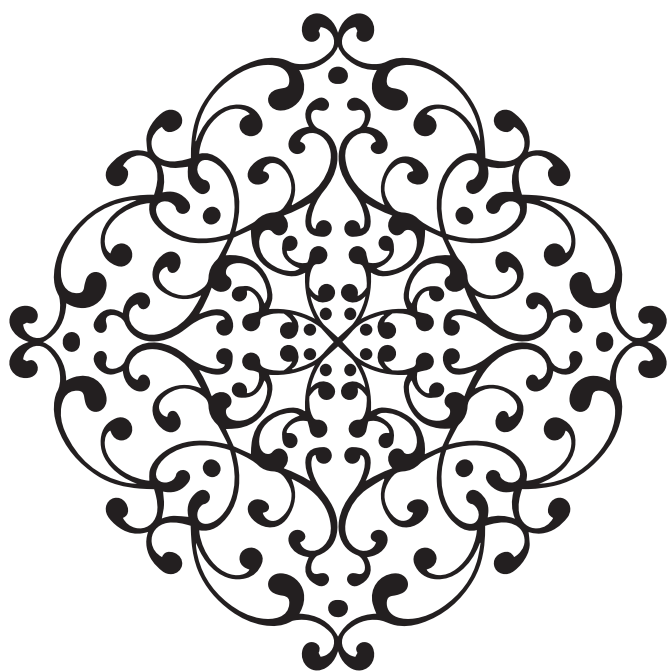
(١٥) السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، عام النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.

(١٦) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هجرية، جزء ٣، ص ١٣٦.

(١٧) العياشي، ج ٢، ص ١٠٠. من إقبال الأعمال، السيد ابن طاووس الحسني، ج ٢، ص ٢٣٩.

(١٨) الشيخ علي النمازي الشاهرودي المتوفى سنة ١٤٠٥، مستدرك سفينة البحار، تحقيق وتصحيح: الشيخ حسن بن علي النمازي؛ مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، سنة الطبع ١٤١٨، جزء ١، ص ١٠.

(١٩) ينظر: بصائر الدرجات، لأبي جعفر محمد بن الحسن الصفار القمي، بيروت، ١٩٣٨، ص ٦٨، ٦٩.







الفصل الأول

المبعث النبوي

مواقف اليهود والمسيحيين وردود فعلهم

قال تعالى: (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) سورة آل عمران آية ٦٧، ٦٨. وقال سبحانه وتعالى في الآيات من الآية ٨٩ الى الآية ٩١ من سورة البقرة: (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ * بَسْمًا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَآؤُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَوْحِينَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).

لقد أجمعت مؤلفات تفسير القرآن الكريم على تفسير هذه الآيات المباركة لكونها تعكس مواقف اليهود والمسيحيين من البعثة الإسلامية بفرصيتهم أن النبي إبراهيم عليه السلام كان عند اليهود يهوديا وعند النصارى نصرانيا وأن الإسلام والنبي الكريم ﷺ حنيف مسلم. وعلى سبيل المثال تفسّر مؤلفات تفسير القرآن الكريم هذه الآيات المباركة، ومن بينها ما جاء في تفسير العياشي والشيخ الطبرسي والسيد هاشم البحراني قولهم: إن الله سبحانه وتعالى يردّ تنازعهم فيه وضمّ كلّ طائفة إياه إلى أنفسهم. أولا: بأنّ أساس التهوّد والتنصّر هو نزول التوراة والإنجيل، وقد كان النبي إبراهيم عليه السلام قبل الكتّابين جميعا بقرون كثيرة. وثانيا: إنّ النبي إبراهيم عليه السلام كان حنيفا مسلما لله، وما كان متّخذا شريكا له تعالى كاليهود والنصارى، فما كان من إحدى الطائفتين، بل كان على دين النبي ﷺ، وهو الإسلام، وهو ﷺ ومن آمن به هم الأولى به دون اليهود والنصارى، والله وليّ للمؤمنين، فهو وليّ لهم دون المشركين.

ونقل العياشي عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا)، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا يهوديًا يصلّي إلى المغرب، ولا نصرانيًا يصلّي إلى المشرق، ولكن كان حنيفًا مسلمًا على دين محمد صلى الله عليه وآله، خالصًا مخلصًا، ليس فيه شيء من عبادة الأوثان^(١).

وكذلك فسّر الطبرسي الآية المباركة بقوله: «قال ابن عباس والحسن وقتادة: إن أحبار اليهود، ونصارى نجران اجتمعوا عند رسول الله، فتنازعوا في إبراهيم، فقالت اليهود: ما كان إلا يهوديًا. وقالت النصارى: ما كان إلا نصرانيًا. فأنزل الله هذه الآية. ويقول: إن الكل متفقون على أنه متسم باسم الإسلام، غير أن اليهود ادعوا أن الإسلام هو اليهودية، والنصارى ادعوا أنه هو النصرانية. والتوراة والإنجيل أنزلتا من بعد إبراهيم، واسمه فيهما اسم الإسلام، وليس في واحد منهما أنه كان على دين اليهودية والنصرانية. وأما القرآن وإن كان منزلاً بعده، ففيه وصف إبراهيم بدين الإسلام، ونفي اليهودية والنصرانية عنه، ففي هذا أوضح حجة على أنه كان مسلمًا، وأن محمدًا صلى الله عليه وآله وأُمَّته الذين لهم اسم الإسلام أولى به منهم. وقد قيل: إن اليهودي اسم لمن تمسك بالتوراة، واعتقد شريعته، والنصارى اعتقدوا أن النصراني اسم لمن تمسك بالإنجيل، واعتقد شريعته، فرد الله تعالى دعوى الفريقين. وأخبر أن التوراة والإنجيل ما أنزلا إلا من بعد إبراهيم، فكيف يكون متمسكا بحكمهما».

ثم كذب الله اليهود والنصارى فقال: (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نصرَانِيًّا)، نزه إبراهيم وبرأه عن اليهودية والنصرانية، لأنها صفتا ذم قد دلّ القرآن والإجماع على ذلك. وهذا يدل على أن النبي موسى عليه السلام أيضًا لم يكن يهوديًا، ولم يكن النبي عيسى عليه السلام نصرانيًا. فإن الدين عند الله الإسلام. واليهودية ملّة محرّفة عن شرع النبي موسى عليه السلام. والنصرانية ملّة محرّفة عن شرع النبي عيسى عليه السلام. فهما صفتا ذم جرتا على فرقتين ضالّتين. (ولكن كان حنيفًا) أي: مائلًا عن الأديان كلها إلى دين الإسلام. وقيل: معناه مستقيمًا في دينه (مسلمًا) أي:



كائنا على دين الإسلام (وما كان من المشركين) قيل: إن هذا يتضمن كون اليهودية والنصرانية شركا. وقيل: إن معناه لم يكن مشركا على ما يدعيه مشركو العرب^(٢).

وجاء في تفسير الآيات المباركة من سورة البقرة، قال العياشي في تفسيره والسيد البحراني في تفسيره البرهان: إن الإمام العسكري عليه السلام قال: «ذَمَّ الله اليهود، فقال: و لما جاءهم يعني هؤلاء اليهود الذين تقدّم ذكرهم، وإخوانهم من اليهود، جاءهم كتاب من عند الله القرآن مُصَدِّقٌ ذَلِكَ الْكِتَابُ لما معهم من التّوراة التي بين فيها أن مُحَمَّدًا الْأُمِّيَّ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، الْمُؤَيَّدَ بِخَيْرِ خَلْقِ اللهِ وَكَانُوا يَعْنِي هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ مِنْ قَبْلِ ظُهُورِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِالرَّسَالَةِ يَسْتَفْتِحُونَ يَسْأَلُونَ الله الْفَتْحَ وَ الطَّرْفَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَعْدَائِهِمْ وَالْمُناوِينَ لَهُمْ، وَكَانَ اللهُ يَفْتَحُ لَهُمْ وَيَنْصُرُهُمْ. قَالَ اللهُ (عزَّ وجلَّ): فَلَمَّا جَاءَهُمْ جَاءَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ مَا عَرَفُوا مِنْ نَعْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَصَفَتِهِ كَفَرُوا بِهِ جَحَدُوا بُيُوتَهُ حَسَدًا لَهُ، وَبَغْيًا عَلَيْهِ، قَالَ اللهُ (عزَّ وجلَّ): فَلَعَنَهُ اللهُ عَلَى الْكَافِرِينَ. قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَخْبَرَ رَسُولُهُ بِمَا كَانَ مِنْ إِيْمَانِ الْيَهُودِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ قَبْلَ ظُهُورِهِ، وَمِنْ اسْتِفْتَا حُهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ بِذِكْرِهِ، وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ». قَالَ ﷺ: «وَكَانَ اللهُ (عزَّ وجلَّ) أَمَرَ الْيَهُودَ فِي أَيَّامِ النَّبِيِّ مُوسَى عليه السلام وَبَعْدَهُ إِذَا دَهَمَهُمْ أَمْرٌ، أَوْ دَهَتَهُمْ دَاهِيَةٌ أَنْ يَدْعُوا اللهَ (عزَّ وجلَّ) بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَنْ يَسْتَنْصِرُوا بِهِمْ، وَكَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ حَتَّى كَانَتْ الْيَهُودُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ قَبْلَ ظُهُورِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِسِنِينَ كَثِيرَةٍ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ، فَيَكْفُونَ الْبَلَاءَ وَ الدَّهْمَاءَ وَ الدَّاهِيَةَ. فَقَالَتِ الْيَهُودُ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ «كَيْفَ نَصْنَعُ؟ فَقَالَ لَهُمْ أَمَا نِلَهُمْ وَذُوو الرَّاْيِ مِنْهُمْ: أَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ مُوسَى عليه السلام أَسْلَافَكُمْ وَمَنْ بَعْدَهُمْ بِالْإِسْتِنْصَارِ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ؟ أَمَا أَمَرَكُمْ بِالْإِنْتِهَالِ إِلَى اللهِ (عزَّ وجلَّ) عِنْدَ الشَّدَائِدِ بِهِمْ؟ قَالُوا: بَلَى؛ قَالُوا: فَافْعَلُوا. فَقَالُوا: اللَّهُمَّ بِجَاهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ لَمَّا سَقَيْتَنَا، فَقَدْ فَطَعْتَ الظَّلْمَةَ عَنَّا الْمِيَاهَ حَتَّى ضَعُفَ شُبَّانُنَا، وَتَمَاتَ وَلَدَانُنَا، وَأَشْرَفْنَا عَلَى الْهَلَكَةِ؛ فَبَعَثَ اللهُ تَعَالَى لَهُمْ وَابِلًا هَظْلًا سَحًّا، مَلَأَ حِيَاضَهُمْ وَآبَارَهُمْ وَأَنْهَارَهُمْ وَأَوْعِيَتَهُمْ وَطُرُوفَهُمْ، فَقَالُوا: هَذِهِ إِحْدَى



الْحُسَيْنَيْنِ؛ ثُمَّ أَشْرَفُوا مِنْ سَطَوِحِهِمْ عَلَى الْعَسَاكِرِ الْمُحِيطَةِ بِهِمْ، فَإِذَا الْمَطَرُ قَدْ آذَاهُمْ غَايَةَ الْأَذَى، وَأَفْسَدَ أَمْتِعَتَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ لِذَلِكَ بَعْضُهُمْ، لِأَنَّ ذَلِكَ الْمَطَرَ أَتَاهُمْ فِي غَيْرِ أَوَانِهِ، فِي حَمَارَةِ الْقَيْظِ، حِينَ لَا يَكُونُ مَطَرٌ.

وَرَوَى الْعِيَّاشِيُّ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: (وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ)، قَالَ: «كَانَ قَوْمٌ فِيمَا بَيْنَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ عليه السلام وَالنَّبِيِّ عِيسَى عليه السلام، كَانُوا يَتَوَعَّدُونَ أَهْلَ الْأَصْنَامِ بِالنَّبِيِّ عليه السلام، وَيَقُولُونَ: لِيُخْرِجَنَّ نَبِيٌّ، وَلِيَكْسِرَنَّ أَصْنَامَكُمْ، وَلِيَفْعَلَنَّ بِكُمْ مَا يَفْعَلَنَّ؛ فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام كَفَرُوا بِهِ».

وفي قوله تعالى: (بَشِّرَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاؤُوا بَغْضَ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ) الآية ٩٠ من سورة البقرة، قَالَ الْإِمَامُ الْعَسْكَرِيُّ عليه السلام: «ذَمَّ اللَّهُ تَعَالَى الْيَهُودَ وَعَابَ فِعْلَهُمْ فِي كُفْرِهِمْ بِمُحَمَّدٍ عليه السلام، فَقَالَ: بَشِّرَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَيَّ اشْتَرَوْهَا بِالْهَدَايَا وَالْفُضُولِ الَّتِي كَانَتْ تَصِلُ إِلَيْهِمْ، وَكَانَ اللَّهُ أَمَرَهُمْ بِشَرَائِهَا مِنَ اللَّهِ بِطَاعَتِهِمْ لَهُ، لِيَجْعَلَ لَهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَالْإِنْتِفَاعَ بِهَا دَائِمًا فِي نَعِيمِ الْآخِرَةِ فَلَمْ يَشْتَرَوْهَا، بَلْ اشْتَرَوْهَا بِمَا أَنْفَقُوهُ فِي عِدَاوَةِ رَسُولِ اللَّهِ عليه السلام لِيَبْقَى لَهُمْ عَزُّهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَرِثَاسَتُهُمْ عَلَى الْجُهَالِ، وَيَنَالُوا الْمُحَرَّمَاتِ، وَأَصَابُوا الْفُضُولَاتِ مِنَ السَّفَلَةِ وَصَرَفُوهُمْ عَنْ سَبِيلِ الرَّشَادِ، وَوَقَفُوهُمْ عَلَى طَرِيقِ الضَّلَالَةِ».

وفي قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) الآية ٩١ من سورة البقرة، قَالَ الْإِمَامُ الْعَسْكَرِيُّ عليه السلام: «وَإِذَا قِيلَ لِهَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالْفَرَائِضِ وَالْأَحْكَامِ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَهُوَ التَّوْرَةُ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ يَعْنِي



مَا سِوَاهُ، لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُوَ الْحَقُّ وَالَّذِي يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ: إِنَّهُ وَرَاءَهُ، هُوَ الْحَقُّ، لِأَنَّهُ هُوَ النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ الَّذِي قَدَّمَهُ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ). قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَيْ: لَمْ كَانَ يَقْتُلْ أَسْلَافُكُمْ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بِالتَّوْرَةِ، أَيْ لَيْسَتْ التَّوْرَةُ الْأَمْرَةُ بِقَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا كُنْتُمْ تَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ، فَمَا آمَنْتُمْ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ التَّوْرَةِ، لِأَنَّ فِيهَا تَحْرِيمَ قَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ، كَذَلِكَ إِذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ، وَبِمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَفِيهِ الْأَمْرُ بِالْإِيمَانِ بِهِ، فَاتَّكُمْ مَا آمَنْتُمْ بَعْدَ التَّوْرَةِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ، فَمَا آمَنَ بِالتَّوْرَةِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْإِيمَانَ بِهِمَا، لَا يَقْبَلُ الْإِيمَانَ بِأَحَدِهِمَا إِلَّا مَعَ الْإِيمَانِ بِالْآخَرِ. فَكَذَلِكَ فَرَضَ اللَّهُ (عز وجل) الْإِيمَانَ بِوَلَايَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام) كَمَا فَرَضَ الْإِيمَانَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَمَنْ قَالَ: آمَنْتُ بِبُيُوتَةِ مُحَمَّدٍ وَكَفَرْتُ بِوَلَايَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام)، فَمَا آمَنَ بِبُيُوتَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ» (٣).

وواقعا فإن هناك نفرا من المستشرقين المبشرين ممن يحاول أن يقصر الآيات الكريمة الكثيرة الواردة في القرآن الكريم المتعلقة باليهود والنصارى بأنها تؤشر الى اتهام القرآن الكريم لليهود حصرا دون النصارى، ومن أولئك المستشرق رينولدز جبرئيل Gabriel Reynolds ، إذ يستنتج رينولدز الأستاذ في جامعة نوتردام الكاثوليكية التبشيرية في بحثه الموسوم (On the Qur'anic Accusation of Scriptural Falsification and Christian Anti-Jewish Polemic ، حول الاتهامات القرآنية لليهود والنصارى بشأن تحريف الكتاب المقدس: الجدل المسيحي المعادي لليهودية)، أن «اهتمام القرآن بالكفر اليهودي يعدّ أمرا مهما. ويصرّ القرآن بأن الله (عز وجل) قد لعن الإسرائيليين» (سورة ٥: ١٣) [ويقصد بذلك سورة المائدة آية رقم ١٣ التي يقول فيها الله تعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (المرجم)]، شعب لم يقوموا



بتحريف الكتاب المقدس فحسب بل قاموا أيضا بنقض مواعيقهم وعهودهم التي قد قطعوها لرسول الله ﷺ (سورة ٤: ١٥٥) [ويقصد بذلك سورة النساء الآية ١٥٥ التي جاء فيها قوله تعالى: (بِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) المترجم] وقتلهم الأنبياء (سورة ٣: ١٨١ ؛ ٤: ١٥٥) [يقصد بها سورة آل عمران آية ١٨١ ؛ وسورة النساء الآية ١٥٥] ؛ وهم شعب قلوبهم وثنية uncircumcised سورة رقم ٢ آية ٨٨ ؛ ٤: ١٥٥) [يقصد في الأولى سورة البقرة الآية ٨٨ التي يقول فيها عزّ من قائل: (وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ) ؛ وسورة النساء الآية ١٥٥ التي يقول الله فيها: (بِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) المترجم]، وهم الذين قذفوا ماري (سورة ٤: ١٥٦)، والذين يتفاخرون بقتل يسوع (سورة ٤: ١٥٧). لقد جعل الله قلوبهم قاسية (سورة ٥: ١٣) وختم على قلوبهم بكفرهم (سورة ٤: ١٥٥)، والكفار من بينهم قد لعنوا على لسان داود ويسوع (سورة ٥: ٧٨). [يقصد سورة المائدة الآية ٧٨ التي جاء فيها (لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) المترجم]. ويستمر المبشر في متابعته لسلوك اليهود فيقول: «هذا الاهتمام باليهود هو بالفعل لافت للنظر. والقرآن يخاطب المسيحيين في عدد قليل من المقاطع [يقصد الآيات الكريمة. المترجم] المنتشرة بين فصوله [يقصد سور القرآن الكريم. المترجم]، ولكنه يخاطب اليهود على نحو منتظم وبشكل متكرر. لماذا يكون هذا عندما كان يهود الشرق الأوسط القديم قليلين ويقطنون في أماكن متباعدة، لكن المسيحيين كانوا في كل مكان، من شمال إفريقيا إلى سوريا إلى العراق، وحينما كانت القوى العظمى في ذلك اليوم، باستثناء الساسانيين في بلاد فارس، دولا مسيحية؟. [والمبشر في آخر بحثه أراد أن يؤكد حجج أولئك الذين



كتبوا أشعارا وتراثيلا ليدعمها بآيات قرآنية كريمة في لعن اليهود وفي إبراز تحريفاتهم ونقضهم المواثيق وقتلهم الأنبياء؛ ولكن في القرآن الكريم عددا آخر من الآيات التي تندد بأهل الكتاب ممن حرف التوراة والإنجيل ومن الأخبار والرهبان على حدّ سواء. [المترجم] « (٤) .

ثم يردف قائلا: «من ناحية أخرى فإن اهتمام القرآن بالكفر اليهودي يعدّ أمرا مهما. ويصرّ القرآن بأن الله (عز وجل) قد لعن الإسرائيليين (سورة ٥: ١٣) [يقصد سورة المائدة آية رقم ١٣ التي يقول فيها الله تعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلُعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) المترجم]، فهم شعب لم يقوموا بتحريف الكتاب المقدس فحسب ولكن أيضا هم الذين نقضوا ميثاقهم (سورة ٤: ١٥٥) [ويقصد سورة النساء الآية ١٥٥ التي جاء فيها: (بِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) المترجم]، وقتلوا الأنبياء (سورة ٣: ١٨١ ؛ ٤: ١٥٥) [يقصد سورة آل عمران آية ١٨١ ؛ سورة النساء الآية ١٥٥] « (٥) .

وهناك مسألة لافتة للنظر، فالقرآن يخاطب المسيحيين في عدد قليل من المقاطع [يقصد الآيات الكريمة. المترجم] المنتشرة بين فصوله [يقصد سور القرآن الكريم. المترجم]، ولكنه من جانب آخر يخاطب اليهود بشكل منتظم وبصورة متكررة. لماذا يكون هذا عندما كان عدد يهود الشرق الأوسط القديم قليل وأماكنهم متباعدة، لكن المسيحيين كانوا في كل مكان، من شمال إفريقيا إلى سوريا إلى العراق، وحينما كانت القوى العظمى في ذلك اليوم، باستثناء الساسانيين في بلاد فارس، دولا مسيحية؟ [ملاحظة مهمة فكما يرى القارئ اللبيب المتابع لبحث هذا المبرر الأمريكي أنه قد خرج عن موضوعه الذي أعلنه في عنوان بحثه: «حول الاتهامات القرآنية... الخ» في أكثر



من خمس صفحات سابقة، ولم يأت بدليل آخر فتحول بحثه الى محض دعاية تبشيرية للمسيحية ضد اليهودية وباليهود فحسب. وهو في آخر بحثه أراد أن يؤكد حجج أولئك الذين كتبوا أشعارا وتراويل ليدعمها بآيات قرآنية كريمة في لعن اليهود وفي إبراز تحريفاتهم ونقضهم المواثيق وقتلهم الأنبياء؛ ولكن في القرآن الكريم عددا آخر من الآيات التي تندد بأهل الكتاب ممن حرف التوراة والإنجيل ومن الأحرار والرهبان على حد سواء. المترجم^(٦).

وفي هذا الصدد هناك آيات قرآنية كريمة تبين كيف أن مجتمعات أهل الكتاب قد أخفوا الحقيقة، حقيقة المبعث النبوي، فعلى سبيل المثال لا الحصر ما جاء في الآية الكريمة ٤٤ من سورة المائدة قوله عز من قائل: (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بَهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ غَلَا تَخْشَوْنَ النَّاسَ وَآخِشُونَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)، وعندما نراجع المؤلفات التفسيرية ككتاب مجمع البيان للشيخ الطبرسي والعلامة الطباطبائي في الميزان وابن كثير في تفسير القرآن العظيم فإن هناك أمراً مهماً في هذه الآية الكريمة ألا وهو التعبير الذي جاء نصّه: (وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ) لنبين بأن الرهبان النصارى أصحاب السلطة الدينية على مختلف رتبهم هم المسؤولون أمام الله عن حفظ كتابهم الإنجيل، وعلى الرغم من وجود عدة آيات في القرآن الكريم تدل على أن أهل الكتاب من يهود ونصارى قد حرفوا كتبهم إلا أننا في هذا الموضوع سنبين من خلال تحليل النص الذي أوردناه وإسناده بأقوال العلماء، على أنهم المسؤولون عن حفظ كتبهم وليس الله سبحانه. وفي تفسير ابن كثير «تفسير القرآن العظيم» للآية الكريمة ٦٦ من سورة المائدة يقول: (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم) قال ابن عباس وغيره: يعني القرآن. (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) أي: لو أنهم عملوا بما في

الكتب التي بأيديهم عن الأنبياء، على ما هي عليه، من غير تحريف ولا تغيير ولا تبديل، لقادهم ذلك إلى اتباع الحق والعمل بمقتضى ما بعث الله به النبي محمدًا ﷺ؛ فإن كتبهم ناطقة بتصديقه والأمر باتباعه. وقوله: (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) يعني بذلك كثرة الرزق النازل عليهم من السماء والنابت لهم من الأرض. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس (لأكلوا من فوقهم) يعني لأرسل [السماء] عليهم مدرارا (ومن تحت أرجلهم) يعني: يخرج من الأرض بركاتها. وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة والسدي كما قال الله [تعالى]: (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض [ولكنهم كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون]) [الأعراف: ٩٦]، وقال: (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس [ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون]) [الروم: ٤١]. وقال بعضهم معناه (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) يعني من غير كد ولا تعب ولا شقاء ولا عناء. وقال ابن جرير: قال بعضهم معناه لكانوا في الخير، كما يقول القائل: «هو في الخير من قرنه إلى قدمه». ثم ردّ هذا القول لمخالفة أقوال السلف وقد ذكر ابن أبي حاتم عند قوله: (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل) حديث علقمة، عن صفوان بن عمرو، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «يوشك أن يرفع العلم». فقال زياد بن ليبيد: يا رسول الله، وكيف يرفع العلم وقد قرأنا القرآن وعلمناه أبناءنا؟! قال: ثكلتك أمك يا بن ليبيد! إن كنت لأراك من أفقه أهل المدينة أو ليست التوراة والإنجيل بأيدي اليهود والنصارى فما أغنى عنهم حين تركوا أمر الله (عز وجل)، ثم قرأ (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل)، هكذا أورده ابن أبي حاتم حديثا معلقا من أول إسناده، مرسلا في آخره. وقد رواه الإمام أحمد بن حنبل متصلا موصولا فقال: حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد عن زياد بن ليبيد قال ذكر النبي ﷺ شيئا فقال: «وذاك عند ذهاب العلم». قال: قلنا: يا رسول الله، وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا، ويقرئه

أبناءؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ قال: ثكلتك أمك يا بن أم لبيد إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرءون التوراة والإنجيل ولا ينتفعون مما فيها بشيء^(٧).

وللرد على ما أورده المبرش بأن القرآن الكريم لا يتحدث بشكل صحيح إطلاقاً عن الكتاب المقدس العبري؛ فالمبرش هاهنا يعكس موقفاً هو أنه لم يحاول سبر المعاني العميقة لآيات الذكر الحكيم. فاعتراف القرآن الكريم بأن الكتاب المقدس موحى به من الله وهو نور وهدى للناس، إذ قال سبحانه وتعالى في الآية ٤٣ من سورة النحل: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)، وقوله تعالى في الآية ٤ من سورة آل عمران: (وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلِ هُدًى لِلنَّاسِ)، وقوله تعالى في الآية ٤٤ من سورة المائدة: (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بَهَا النَّبِيُّونَ)، وقوله في الآية ٤٦ من السورة نفسها (متحدثاً عن عيسى عليه السلام): (وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ). فالقارئ اللبيب يستنتج أنه لو أن الأسفار المقدسة قد تعرضت للتحريف هل كان القرآن يشيد بهما ويصفهما بأنها نور وهدى؟! بينما يعترف القرآن ويقر بأن التوراة والإنجيل هما نور وهدى من الله لأنها يشملان كلماته للبشرية، فإنه يؤكد على استحالة كلام الله «لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ» (سورة يونس ٦٤). «وَلَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ.. (لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)» (سورة الأنعام ٣٤، ١١٥)، وقوله: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (سورة الحجر ٩)، وفي كتب التفسير أنه جلّ وعلا يحفظ ما أنزله من التبديل والتحريف والزيادة والنقص.

فالقرآن الكريم خاطب اليهود بقوله سبحانه وتعالى في الآية ٤٣ من سورة المائدة: (وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ)، وخاطب المسيحيين في الآية ٤٧ من السورة نفسها: (وَلِيُحْكَمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ). وخاطب الاثنين بقوله



في الآية ٦٨ من سورة المائدة: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُتِمُّوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ)، كما أنه تعالى خاطب المسلمين في الآيتين ١٣٦ من سورة النساء و١٥٦ من سورة الأنعام بقوله عزّ من قائل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) (سورة النساء ١٣٦)، (أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ) (سورة الأنعام ١٥٦). وهكذا يتبين لنا أنه لو أصاب التوراة والإنجيل التحريف فهل كان القرآن يحضّ على إقامتهما والعمل بإحكامهما؟! وكيف يطلب الله من اليهود والمسيحيين والمسلمين إقامة أحكام كتاب قد أصابه التحريف والتغيير والتزوير؟! .

وأخيرا جاء في كتاب الله العزيز في الآيات ١١٣ - ١١٤ من سورة آل عمران: (لَيْسُوا سَوَاءً مَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ)، وفي الآية ١٢٠ من سورة البقرة: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ). فأهل الكتاب يعرفون الكتاب كما يعرفون أبناءهم، ولكنهم يحبون الكتاب ويحافظون عليه أكثر من محبتهم وحفظهم لأولادهم، والمسيحيون يتلون آيات الله (عز وجل) أثناء الليل، آيات الله الصحيحة، ولو كان قد أصابها شيء من التحريف فهل كان القرآن يدعوها -حينئذٍ- آيات الله؟! وإذا كانت أمة المسيحيين المشار إليها بالفضيلة قامت بالتحريف، فهل كان القرآن يصفها بأنها الأمة المؤمنة بالله واليوم الآخر؟! .



ألم يكن يهود بني إسرائيل يعرفون ويتدارسون في مدارسهم بأن نبيا جديدا سيبعث من صحراء فاران أو من جبال فاران ؟ . فقد جاء في الباب الثالث والثلاثين من سفر التثنية وفي الفقرتين الأولى والثانية القول الآتي: «جَاءَ الرَّبُّ (يهوه יהוה) مِنْ سِينَاءَ وَأَشْرَقَ (يهوه יהוה) لَهُمْ مِنْ سَعِيرَ وَتَلَأَلَّ (يهوه יהוה) مِنْ جَبَلِ فَارَانَ وَأَتَى مِنْ رَبَّوَاتِ الْقُدُسِ (מִרְיָבָת קֹדֶשׁ - مربيوت قودش) وَعَنْ يَمِينِهِ نَارُ شَرِيعَةٍ لَهُمْ»، وقد أجمع المؤلفون العرب والأجانب على أن فاران جبل من جبال مكة ؛ وقيل إن فاران هي بلاد الحجاز التي هاجر إليها إبراهيم وولد فيها النبي، فاران مجاز عن الأرض التي سكن فيها جد الرسول الكريم سيدنا إسماعيل!! وإنها فاران برية بين ثلاثة جبال بمكة هي أبو قبيس وقيعان وجبل حراء وفيها سكن إسماعيل. وهكذا يتبين أن صحراء فاران، أو برية فاران، هي الموقع المذكور في الكتاب المقدس، بوصفه المكان الذي لجأت إليه هاجر مع ابنها إسماعيل، بعد أن تركها زوجها النبي إبراهيم. ويذكر في مواقع أخرى من التوراة بوصفه مكاناً ارتحل إليه بنو إسرائيل في مرحلة التيه بقيادة النبي موسى ﷺ، كما تذكر أيضا مرتبطة بالنور والهداية التي صاحبت نزول الوحي بالشرعية على النبي موسى ﷺ في سفر أشعيا. ويذكر ياقوت الحموي في كتابه المشترك وضعاً والمختلف صقعا صفحة ٣٢٧ [طبعة عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٩٦٨] ^(٨) تحت باب فاران أنه «اسم جبال مكة وقيل اسم جبال الحجاز ولها ذكر في التوراة تحييء في إعلام نبوة النبي (عليه الصلاة والسلام) قال الأمير أبو نصر بن ماكولا وأبو بكر بن القاسم بن قضاة القضاعي الفراني الاسكندري سمعت أن ذلك نسبة الى جبال فاران وهي جبال الحجاز». ومما يجدر ذكره أن الدكتور كمال الصليبي المتخصص في هذا التاريخ يقول في كتابه خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل ^(٩) [الطبعة السادسة، دار الساقى، ٢٠٠٦] ص ١١٥: «بأن إسماعيل بن هاجر استقر بعد ذلك في برية فاران (فران)، وأن فاران هذه هي اليوم الواحة المعروفة بمعدن الفران (فرن) ببلاذ زهران. وموقع فران هذه هو



في حوض وادي رنية، إلى الشمال من وادي بيشة وبمحاذاته». أي أنه كان يقيم بالحجاز. ويقول في صفحة ٢٣٨: «ثم إلى بركة فاران (فء ر ن) التي هي اليوم جبل فران حيث هناك أيضا قرية اسمها فران، وبها ماء مشهور في التاريخ هو معدن فران» (٥). فكان اليهود -إذن- يتوقعون ظهور النبي من بين ظهرانيهم في صحراء مكة وجبالها ولذلك سكنوا مدينة يثرب وضواحيها بانتظار النبي نبيهم؛ على الرغم من أن أحبارهم كانوا يعرفون حق المعرفة -وكما يعرفون أبناءهم كما صرح بذلك القرآن الكريم- أنه سيبعث عربيا وأن اسمه أحمد كما أشير له في التوراة والإنجيل على لسان المسيح بن مريم (عليه السلام).

ومن المناسب ذكره ما جاء بصدد جبل فران وبأن اليهود كانوا يتدارسون في مدارسهم وهم كانوا يعلمون بأن نبيا سيبعث من صحراء فاران أو من جبال فاران فقد جاء في دعاء السمات وهو دعاء عظيم المنزلة، كان وما زال الشيعة يقرأونه في آخر ساعة من يوم الجمعة، ولهم في تعظيم هذا الدعاء مستند ودليل، ومنه: رواية الإمام الباقر (عليه السلام) إذ قال: إِنَّ فِيهِ الْأَسْمَاءَ الْأَعْظَمَ. وَدُعَاءُ السَّمَاتِ وَيُسَمَّى أَيْضاً بِدُعَاءِ الشُّبُورِ وتعني العطاء أو باللفظ العبري تعني البوق، وسبب تسميته بالشبور كما ذكرها الشيخ الكفعمي عن الإمام الصادق (عليه السلام): أوحى الله (عز وجل) بهذا الدعاء لنبيه موسى (عليه السلام) وقد كتبه قومه ونفخوه في أبواق عندما حارب يوشع بن نون العماليق وهزمهم. ولعل لفظة شبور مأخوذة مع أسماء الإمامين الحسن والحسين وأخوهم المحسن (عليه السلام) بالسريانية (شبر وشبير ومشبر). (١١)

وفي كتاب صفوة الصفات في شرح دعاء السمات للشيخ الكفعمي، إبراهيم بن علي بن حسن بن صالح (٨٤٠ هـ - ٩٠٥ هـ)، ولقبه أبو التقي، وهو فقيه وشاعر وأديب؛ شرح دعاء السمات لمحمد إبراهيم بن عبد الوهاب السيزواري الأسراري، المتوفى سنة ١٢٩١ هجرية. إذ جاء فيه ما يأتي: "وَأَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِمَجْدِكَ الَّذِي كَلَّمْتَ بِهِ عَبْدَكَ وَرَسُولَكَ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ (عليه السلام) فِي الْمُقَدَّسِينَ فَوْقَ إِحْسَاسِ الْكَرُوبَيْنَ (الْكُرُوبَيْنَ)

فَوْقَ غَمَائِمِ النُّورِ فَوْقَ تَابُوتِ الشَّهَادَةِ فِي عَمُودِ النَّارِ وَفِي (وَالِى) طُورِ سَيْنَاءَ وَفِي جَبَلِ حُورِيثَ فِي الْوَادِي الْمُقَدَّسِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ مِنَ الشَّجَرَةِ وَفِي أَرْضِ مِصْرَ بَتْسَعِ آيَاتِ بَيِّنَاتٍ، وَيَوْمَ فَرَقْتَ لِبْنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ وَفِي الْمُنْبِجَسَاتِ الَّتِي صَنَعْتَ بِهَا الْعَجَائِبَ فِي بَحْرِ سُوفٍ، وَعَقَدْتَ مَاءَ الْبَحْرِ فِي قَلْبِ الْعَمْرِ كَالْحِجَارَةِ، وَجَاوَزْتَ بَيْنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ وَتَمَّتْ كَلِمَتُكَ الْحُسْنَى عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرُوا وَأَوْرَثْتَهُمْ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْتَ فِيهَا لِلْعَالَمِينَ، وَأَعْرَفْتَ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ وَمَرَكَبَهُ فِي الْيَمِّ. وَبِاسْمِكَ الْعَظِيمِ الْأَعْظَمِ الْأَعَزُّ الْأَجَلُّ الْأَكْرَمُ، وَبِمَجْدِكَ الَّذِي تَجَلَّيْتَ بِهِ لِمُوسَى كَلِيمِكَ ﷺ فِي طُورِ سَيْنَاءَ، وَلِإِبْرَاهِيمَ ﷺ خَلِيلِكَ مِنْ قَبْلُ فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ، وَلِإِسْحَاقَ صَفِيكَ ﷺ فِي بَيْتِ شَيْعٍ، وَلِيعْقُوبَ نَبِيَّكَ ﷺ فِي بَيْتِ إِيْلَ، وَأَوْفَيْتَ لِإِبْرَاهِيمَ ﷺ بِمِيثَاقِكَ، وَلِإِسْحَاقَ بِحِلْفِكَ، وَلِيعْقُوبَ بِشَهَادَتِكَ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِوَعْدِكَ وَلِلدَّاعِينَ بِأَسْمَائِكَ فَأَجَبْتَ، وَبِمَجْدِكَ الَّذِي ظَهَرَ لِمُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ﷺ عَلَى قُبَّةِ الرُّمَّانِ، وَبِآيَاتِكَ الَّتِي وَقَعْتَ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ بِمَجْدِ الْعِزَّةِ وَالْغَلْبَةِ، بِآيَاتِ عَزِيزَةِ وَبِسُلْطَانِ الْقُوَّةِ، وَبِعِزَّةِ الْقُدْرَةِ، وَبِشَأْنِ الْكَلِمَةِ النَّامَةِ، وَبِكَلِمَاتِكَ الَّتِي تَفَضَّلْتَ بِهَا عَلَى أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَأَهْلِ الدُّنْيَا وَأَهْلِ الْآخِرَةِ، وَبِرَحْمَتِكَ الَّتِي مَنَنْتَ بِهَا عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ، وَبِاسْتِطَاعَتِكَ الَّتِي أَقَمْتَ بِهَا عَلَى الْعَالَمِينَ، وَبِنُورِكَ الَّذِي قَدْ خَرَّ مِنْ فَرْعِهِ طُورُ سَيْنَاءَ، وَبِعِلْمِكَ وَجَلَالِكَ وَكِبَرِيَّاتِكَ وَعِزَّتِكَ، وَجَبَرُوتِكَ الَّتِي لَمْ تَسْتَقِلَّهَا الْأَرْضُ، وَانْخَفَضَتْ لَهَا السَّمَاوَاتُ وَانْزَجَرَ لَهَا الْعُمُقُ الْأَكْبَرُ وَرَكَدَتْ لَهَا الْبِحَارُ وَالْأَنْهَارُ، وَخَضَعَتْ لَهَا الْجِبَالُ وَسَكَنْتَ لَهَا الْأَرْضُ بِمَنَاقِبِهَا، وَاسْتَسَلَمَتْ لَهَا الْخَلَائِقُ كُلُّهَا وَخَفَقَتْ لَهَا الرِّيَّاحُ فِي جَرِيَانِهَا، وَخَدَّتْ لَهَا النَّيْرَانُ فِي أَوْطَانِهَا، وَبِسُلْطَانِكَ الَّذِي عُرِفَتْ لَكَ بِهِ الْغَلْبَةُ دَهْرَ الدُّهُورِ، وَخَدَّتْ بِهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَبِكَلِمَتِكَ كَلِمَةَ الصِّدْقِ الَّتِي سَبَقَتْ لِأَيُّبَانَ آدَمَ ﷺ وَدُرَيْتِهِ بِالرَّحْمَةِ، وَأَسْأَلُكَ بِكَلِمَتِكَ الَّتِي غَلَبَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَبِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي تَجَلَّيْتَ بِهِ لِلْجَبَلِ فَجَعَلْتَهُ دَكَاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً، وَبِمَجْدِكَ الَّذِي ظَهَرَ عَلَى طُورِ سَيْنَاءَ فَكَلَّمْتَ بِهِ عَبْدَكَ وَرَسُولَكَ مُوسَى



بَنَ عِمْرَانَ، وَبَطَلْعَتِكَ فِي سَاعِيرَ وَظُهُورِكَ فِي جَبَلِ فارَانَ، بِرَبَوَاتِ الْمُقَدَّسِينَ وَجُنُودِ
المَلَائِكَةِ الصَّافِينَ، وَخُشُوعِ المَلَائِكَةِ المُسَبِّحِينَ، وَبَرَكَاتِكَ الَّتِي بَارَكْتَ فِيهَا عَلَى إِبْرَاهِيمَ
خَلِيلِكَ ﷺ فِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَبَارَكْتَ لِإِسْحَاقَ صَفِيكَ فِي أُمَّةِ عِيسَى ﷺ، وَبَارَكْتَ
لِيعْقُوبَ إِسْرَائِيلِكَ فِي أُمَّةِ مُوسَى ﷺ وَبَارَكْتَ لِحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي عِثْرَتِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَأُمَّتِهِ.

وأورد الشيخ سعيد بن عبد الله بن حسين بن هبة الله بن حسن الراوندي الكاشاني،
ويُلقَّب بـ(قطب الدين)، أورد قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي في كتابه الخرائج
والجرائح ما يأتي: «قال في التوراة: «أقبل من سيناء، وتجلّى من ساعير وظهر من جبل
فاران»، «فسيناء» جبل كلم الله عليه النبي موسى ﷺ، «وساعير» هو الجبل الذي بالشام
كان فيه عيسى ﷺ، وجبل «فاران» في مكة. وفي التوراة «إن إسماعيل سكن برية فاران،
ونشأ فيها، وتعلم الرمي». فذكر الله فاران مع طور سيناء، وساعير التي جاء منها بأنبيائه
-ومجيء الله إتيان دينه وأحكامه- فقد ظهر دين الله من مكة وهي فاران، فأتم الله تعالى
هذه المواعد لإبراهيم ﷺ بمحمد ﷺ فظهر دين الله في مكة بالحج إليها، واستعلن
ذكره بصراخ أصحابه بالتلبية على رؤوس الجبال وبطون الأودية، ولم يكن موجوداً إلا
بمجيء محمد ﷺ، وغيره من ولد إسماعيل عباد أصنام، فلم يظهر الله بهم تبجيله. ويدل
على تأويلنا ما قال في كتاب حيقوق: «سيد يحيى من اليمن مقدس من جبل فاران يعطي
السماء بهاءً، ويملاً الأرض نورا، ويسير الموت بين يديه، وينفر الطير بموضع قديمه».
وقال في كتاب حزقيل ﷺ النبي لبيني إسرائيل: «إني مؤيد [بني] قidar بالملائكة -وقidar
جد العرب ابن إسماعيل لصلبه- وأجعل الدين تحت أقدامهم فيدينونكم بدينهم،
ويهمشون أنفسهم بالحمية والغضب. ولا ترفعون أبصاركم ولا تنظرون في التوراة،
اسم لجبال فلسطين... وهو من حدود الروم وهو قرية من الناصرة بين طبرية وعكا.
وذكره في التوراة: «جاء من سيناء» يريد مناجاته لبيني موسى ﷺ على طور سيناء، وأشرق
من ساعير «إشارة إلى ظهور النبي عيسى بن مريم ﷺ من الناصرة»، واستعلن من جبال

فاران «وهي جبال الحجاز»، يريد النبي ﷺ، وهذا في الجزء العاشر في السفر الخامس من التوراة. وقال الحموي في معجم البلدان: ٤ / ٢٢٥: «كلمة عبرانية معربة وهي من أسماء مكة ذكرها في التوراة. قيل: هو اسم لجبال مكة، ثم ذكر نص التوراة المذكور».

وبحسب الرواية التي أوردها زيد بن عمرو بن نفيل؛ إذ إنه كان يبحث عن الحنيفية والديانة التوحيدية -دين إبراهيم- في العراق وفي بلاد الشام، فعرف من المجوس أن نبيا سيبعث الآن في بلاده الجزيرة العربية، فقال: «وكانت الأمم تتحدث بمبعثه وتخبّر علماء كل أمة منها قومها بذلك؛ وقد حدثني الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني علي بن عيسى الحكمي، عن أبيه، عن عامر بن ربيعة، قال: سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول: أنا أنتظر نبيا من ولد إسماعيل، ثم من بني عبد المطلب ولا أراني أدركه؛ وأنا أومن به وأصدقّه، وأشهد أنه نبي، فإن طالت بك مدة فرأيتّه، فأقرئه مني السلام، وسأخبرك ما نعته حتى لا يخفى عليك! قلت: هلم، قال: هو رجل ليس بالقصير ولا بالطويل، ولا بكثير الشعر ولا بقليله، وليست تفارق عينيه حمرة، وخاتم النبوة بين كتفيه، واسمه أحمد، وهذا البلد مولده ومبعثه، ثم يخرجّه قومه منها، ويكرهون ما جاء به، حتى يهاجر إلى يثرب فيظهر أمره؛ فإياك أن تخدع عنه، فإني طفت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم، فكل من أسأل من اليهود والنصارى والمجوس يقولون: هذا الدين وراءك، وينعتونه مثل ما نعته لك؛ ويقولون: لم يبق نبيّ غيره». وقال الواقدي مثل هذه الرواية^(١٣).

ولعل من الجدير أن نذكر أسباب عداة اليهود لرسول الله ﷺ وللمسلمين وللدين الإسلامي بالآتي:

١- إنهم قد وجدوا أن هذا النبي يدعو الناس إلى دين هو نظام كامل وشامل للحياة، وأن هذا الدين قد جاء بنظام اقتصادي متكامل ومتوازن، واهتم بمحاربة الربا، والاحتكار، وجميع أنواع وأشكال استغلال الإنسان للإنسان الآخر، وجعل في

أموال الناس حقا معلوما للسائل والمحروم، فلم ينسجم ذلك مع أطماعهم، ومع ما ألفوه وأحبوه، بل رأوه يتنافى مع تلك الأطماع ومع أهدافهم ومصالحهم، ومع نظرتهم للكون، وللحياة، والإنسان.

٢- والذي زاد من حنقهم وحقدهم على الإسلام أنهم كانوا يأملون أن يتم القضاء على هذا الدين من قبل قومه القرشيين، ومن معهم من ذؤبان العرب، دون أن يكلفهم ذلك أية خسائر، خصوصا في الأرواح، فرضوا بالمعاهدة التي سلف ذكرها. ولكن فألهم قد خاب، فهذا هو الإسلام يزداد قوة، واتساعا ونفوذا، يوما عن يوم. وها هو يسجل في بدر العظمى أروع البطولات، وأعظم الانتصارات، فلم يعد يقر لهم قرار، أو يطيب لهم عيش، إذ كان لابد -بنظرهم- من القضاء على هذا الدين قبل أن يعظم خطره ويكتسح المنطقة، ويضري بهم إعصاره الهادر.

٣- وزاد في حنقهم وقلقهم بأنهم رأوا النبي ﷺ والمسلمين لا يخدعون، ولا يؤخذون بالمكر والحيلة، كذلك هم لا يستسلمون للضغوط، ولا تثنيهم المصاعب والمشقات مهما عظمت. وكلما زاد الإسلام اتساعا، زاد الطموح لدى المسلمين، والضعف لدى خصومهم. إذن، فلا بد من اغتنام الفرصة، ومناهضة هذا الدين، والقضاء عليه بالسرعة الممكنة.

٤- وهم قد حسدوا العرب لأن النبي الذي تعد به توراتهم أن يكون منهم، أي من بني إسرائيل، وقد أشار إلى ذلك الله تعالى فقال: (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ * بَسْمًا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَآؤُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ)، سورة البقرة ٨٩ - ٩١.



ولبعض التفاسير الشيعية نظير تفسير أبي النضر محمد بن مسعود العياشي السمرقندي المتوفى سنة ٣٢٠ هجرية، وتفسير الشيخ الطوسي تفسير (التيان في تفسير القرآن) وهو متوفى سنة ٤٦٠ هجرية، والسيد هاشم البحراني المتوفى سنة ١١٠٧ هجري أو ١١٠٩، تفسير مهمم للأئمة المعصومين عن الآيتين اللتين تصدرا عنوان هذا المبحث؛ فاعتمادا على ما جاء في تفسير البحراني لسورة البقرة (١٤) إن الإمام العسكري عليه السلام قال: «ذَمَّ اللهُ الْيَهُودَ، فَقَالَ: «وَلَمَّا جَاءَهُمْ يَعْني هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ الَّذِينَ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ، وَإِخْوَانُهُمْ مِنَ الْيَهُودِ، جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ الْقُرْآنُ مُصَدِّقٌ ذَلِكَ الْكِتَابُ لِمَا مَعَهُمْ مِنَ التَّوْرَةِ الَّتِي بَيْنَ فِيهَا أَنَّ مُحَمَّدًا الْأُمِّيَّ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، الْمُؤَيَّدَ بِخَيْرِ خَلْقٍ اللهُ بَعْدَهُ: عَلِيٌّ وَلِيُّ اللهِ وَكَانُوا يَعْني هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ مِنْ قَبْلِ ظُهُورِ مُحَمَّدٍ عليه السلام بِالرَّسَالَةِ يَسْتَفْتِحُونَ يَسْأَلُونَ اللهُ الْفَتْحَ وَالظَّفَرَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَعْدَائِهِمْ وَالْمُنَافِقِينَ لَهُمْ، وَكَانَ اللهُ يَفْتَحُ لَهُمْ وَيَنْصُرُهُمْ. قَالَ اللهُ (عَزَّ وَجَلَّ) فَلَمَّا جَاءَهُمْ جَاءَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ مَا عَرَفُوا مِنْ نَعْتِ مُحَمَّدٍ عليه السلام وَصِفَتِهِ كَفَرُوا بِهِ جَحَدُوا نُبُوَّتَهُ حَسَدًا لَهُ، وَبَغْيًا عَلَيْهِ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: فَلَعَنَهُ اللهُ عَلَى الْكَافِرِينَ. وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَخْبَرَ رَسُولُهُ بِمَا كَانَ مِنْ إِيَّانِ الْيَهُودِ بِمُحَمَّدٍ عليه السلام قَبْلَ ظُهُورِهِ، وَمِنْ اسْتِفْتَا حَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ بِذِكْرِهِ، وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ». وَقَالَ أَيْضًا عليه السلام: «وَكَانَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ الْيَهُودَ فِي أَيَّامِ النَّبِيِّ مُوسَى عليه السلام وَبَعْدَهُ إِذَا دَهَمَهُمْ أَمْرٌ، أَوْ دَهَتَهُمْ دَاهِيَةٌ أَنْ يَدْعُوا اللهَ (عَزَّ وَجَلَّ) بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَنْ يَسْتَنْصِرُوا بِهِمْ، وَكَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ حَتَّى كَانَتِ الْيَهُودُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ قَبْلَ ظُهُورِ مُحَمَّدٍ عليه السلام بَسَنِينَ كَثِيرَةً يَفْعَلُونَ ذَلِكَ، فَيَكُفُّونَ الْبَلَاءَ وَالْدَّهْمَاءَ وَالْدَّاهِيَةَ.

٥- وَكَانَتِ الْيَهُودُ قَبْلَ ظُهُورِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ عليه السلام بَعْشَرَ سِنِينَ تُعَادِيهِمْ أَسَدٌ وَعَظَفَانُ -قَوْمٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ- وَيَقْصِدُونَ أَذَاهُمْ، فَكَانُوا يَسْتَدْفِعُونَ شُرُورَهُمْ وَبَلَاءَهُمْ بِسُؤَالِهِمْ رَبَّهُمْ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ، حَتَّى قَصَدَهُمْ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ أَسَدٌ وَعَظَفَانُ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ فَارِسٍ إِلَى بَعْضِ قُرَى الْيَهُودِ حَوَالِي الْمَدِينَةِ، فَتَلَقَّاهُمُ الْيَهُودُ وَهُمْ ثَلَاثُمِائَةِ فَارِسٍ،



وَدَعُوا اللَّهَ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ فَهَزَمُوهُمْ وَقَطَعُوهُمْ. فَقَالَتْ أَسَدٌ وَغَطَفَانٌ بَعْضُهُمَا لِبَعْضِهِمْ: تَعَالَوْا نَسْتَعِينُ عَلَيْهِمْ بِسَائِرِ الْقَبَائِلِ؛ فَاسْتَعَانُوا عَلَيْهِمْ بِالْقَبَائِلِ وَآكُثَرُوا حَتَّى اجْتَمَعُوا قَدَرُ ثَلَاثِينَ أَلْفًا، وَقَصَدُوا هَؤُلَاءِ الثَّلَاثِمِائَةِ فِي قَرِيَّتِهِمْ، فَأَلْجَوْهُمْ إِلَى بُيُوتِهَا، وَقَطَعُوا عَنْهَا الْمِيَاهَ الْجَارِيَةَ الَّتِي كَانَتْ تَدْخُلُ إِلَى قُرَاهِمُ، وَمَنَعُوا عَنْهُمْ الطَّعَامَ، وَاسْتَأْمَنَ الْيَهُودُ فَلَمْ يَأْمَنُوهُمْ، وَقَالُوا: لَا، إِلَّا أَنْ نَقْتُلَكُمْ وَنَسْبِيَكُمْ وَنَنْهَبُكُمْ. فَقَالَتِ الْيَهُودُ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ: كَيْفَ نَصْنَعُ؟ فَقَالَ لَهُمْ أَمَّا ثَلُثُهُمْ وَذُوو الرَّأْيِ مِنْهُمْ: أَمَّا أَمَرَ النَّبِيُّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَأْمَنُوا مَنْ بَعْدَهُمْ بِالْإِسْتِنْصَارِ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ؟ أَمَّا أَمَرَكُمْ بِالْإِتِّهَالِ إِلَى اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) عِنْدَ الشَّدَائِدِ بِهِمْ؟ قَالُوا: بَلَى؛ قَالُوا: فَافْعَلُوا. فَقَالُوا: اللَّهُمَّ بِجَاهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ لَمَّا سَقَيْتَنَا، فَقَدْ قَطَعْتَ الظِّلْمَةَ عَنَّا الْمِيَاهَ حَتَّى ضَعُفَ شَبَابُنَا، وَتَمَاتَ وَلَدَانَا، وَأَشْرَفْنَا عَلَى الْهَلَكَةِ؛ فَبَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ وَابِلًا هَظْلًا سَحًّا، مَلَأَ حَيَاضَهُمْ وَأَبَارَهُمْ وَأَنَارَهُمْ وَأَوْعَيْتَهُمْ وَظَرُّوهُمْ، فَقَالُوا: هَذِهِ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ؛ ثُمَّ أَشْرَفُوا مِنْ سُطُوحِهِمْ عَلَى الْعَسَاكِرِ الْمُحِيطَةِ بِهِمْ، فَإِذَا الْمَطَرُ قَدْ آذَاهُمْ غَايَةَ الْأَذَى، وَأَفْسَدَ أَمْتِعَتَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ لِدَلِكِ بَعْضُهُمْ، لِأَنَّ ذَلِكَ الْمَطَرَ أَتَاهُمْ فِي غَيْرِ أَوَانِهِ، فِي حَمَارَةِ الْقَيْظِ، حِينَ لَا يَكُونُ مَطَرٌ. فَقَالَ الْبَاقُونَ مِنَ الْعَسَاكِرِ: هَبْكُمْ سُقَيْتُمْ، فَمِنْ أَيْنَ تَأْكُلُونَ؟ وَلَئِنْ انْصَرَفَ عَنْكُمْ هَؤُلَاءِ، فَلَسْنَا نَنْصَرِفُ حَتَّى نَفْهَرَكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَعِيَالِكُمْ، وَأَهَالِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَنَشْفِي غَيْظَنَا مِنْكُمْ. فَقَالَتِ الْيَهُودُ: إِنَّ الَّذِي سَقَانَا بِدُعَائِنَا بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُطْعِمَنَا، وَإِنَّ الَّذِي صَرَفَ عَنَّا مَنْ صَرَفَهُ، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَصْرِفَ عَنَّا الْبَاقِينَ. ثُمَّ دَعَا اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَنْ يُطْعِمَهُمْ، فَجَاءَتْ قَافِلَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ قَوَافِلِ الطَّعَامِ قَدَرُ أَلْفِي جَمَلٍ وَبِغْلٍ وَحِمَارٍ مُوقَرَةٍ دَقِيقًا، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِالْعَسَاكِرِ، فَانْتَهَوْا إِلَيْهِمْ وَهُمْ نِيَامٌ، وَلَمْ يَشْعُرُوا بِهِمْ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ثَقَّلَ نَوْمَهُمْ حَتَّى دَخَلُوا الْقَرْيَةَ، وَلَمْ يَمْنَعُوهُمْ، وَطَرَحُوا أَمْتِعَتَهُمْ وَبَاعُوهَا مِنْهُمْ فَانْصَرَفُوا وَبَعُدُوا، وَتَرَكُوا الْعَسَاكِرَ نَائِمَةً لَيْسَ فِي أَهْلِهَا عَيْنٌ تَطْرَفُ، فَلَمَّا بَعُدُوا انْتَبَهُوا، وَنَابَذُوا الْيَهُودَ الْحَرْبَ، وَجَعَلَ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: الْوَحَى الْوَحَى،



فَإِنَّ هَؤُلَاءِ اشْتَدَّ بِهِمُ الْجُوعُ وَسَيِّدُونَنَا. قَالَ لَهُمُ الْيَهُودُ: هَيْهَاتَ، بَلْ قَدْ أَطْعَمَنَا رَبُّنَا وَكُنْتُمْ نِيَامًا، جَاءَنَا مِنَ الطَّعَامِ كَذَا وَكَذَا، وَلَوْ أَرَدْنَا قِتَالَكُمْ فِي حَالِ نَوْمِكُمْ لَتَهَيَّأْنَا، وَلَكِنَّا كَرِهْنَا الْبَغْيَ عَلَيْكُمْ، فَانْصَرُّوا عَنَّا، وَإِلَّا دَعَوْنَا عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاسْتَنْصَرْنَا بِهِمْ أَنْ يُخْزِيَكُمْ كَمَا قَدْ أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا؛ فَأَبَوْا إِلَّا طُغْيَانًا، فَدَعَا اللَّهُ تَعَالَى بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاسْتَنْصَرُوا بِهِمْ، ثُمَّ بَرَزَ الثَّلَاثُمِائَةِ إِلَى ثَلَاثِينَ أَلْفًا، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ وَأَسْرَوْا وَطَحَّطُوهُمْ، وَاسْتَوْتَفُوا مِنْهُمْ بِأَسْرَائِهِمْ، فَكَانَ لَا يَنَالُهُمْ مَكْرُوهٌ مِنْ جِهَتِهِمْ، لَخَوْفِهِمْ عَلَى مَنْ لَهُمْ فِي أَيْدِي الْيَهُودِ؛ فَلَمَّا ظَهَرَ مُحَمَّدٌ ﷺ حَسَدُوهُ، إِذْ كَانَ مِنَ الْعَرَبِ، فَكَذَّبُوهُ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (هَذِهِ نُصْرَةُ اللَّهِ تَعَالَى لِلْيَهُودِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ بِذِكْرِهِمْ لِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ، أَلَا فَادْكُرُوا - يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ - مُحَمَّدًا وَآلَهُ عِنْدَ نَوَائِبِكُمْ وَشِدَائِدِكُمْ، لِيُنْصَرَ اللَّهُ بِهِ مَلَائِكَتُكُمْ عَلَى الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ يَقْصِدُونَكُمْ) (١٥).

٦- لقد عَزَّ عَلَيْهِمْ وَأَرْهَبَهُمْ مَا رَأَوْهُ مِنْ قُدْرَةِ الْإِسْلَامِ عَلَى تَوْحِيدِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ: الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ، الَّذِينَ كَانُوا إِلَى هَذَا الْوَقْتِ أَعْدَاءَ يَسْفِكُ بَعْضُهُمْ دَمَاءَ بَعْضٍ، قَالَ تَعَالَى: (وَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)، (الأنفال/ ٦٣). وجاء في التفسير عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: (وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ)، ينظر: تفسير البحراني ص ٢٧٦ - ص ٢٧٧، قَالَ: «كَانَ قَوْمٌ فِيمَا بَيْنَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَالنَّبِيِّ عِيسَى ﷺ، كَانُوا يَتَوَعَّدُونَ أَهْلَ الْأَصْنَامِ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَيَقُولُونَ: لِيُخْرِجَنَّ نَبِيٌّ، وَلِيُكْسِرَنَّ أَصْنَامَكُمْ، وَلِيَفْعَلَنَّ بِكُمْ مَا يَفْعَلَنَّ؛ فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَفَرُوا بِهِ». وعن العياشي: عَنْ جَابِرِ الْأَنْصَارِيِّ (رضوان الله تعالى عليه)، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ، عَنْ قَوْلِ اللَّهِ (عز وجل): (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ)، قَالَ: «تَفْسِيرُهَا فِي الْبَاطِنِ: لَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا فِي الْإِمَامِ عَلِيِّ ﷺ



كَفَرُوا بِهِ، فَقَالَ اللَّهُ (عز وجل) فِيهِمْ: فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ فِي بَاطِنِ الْقُرْآنِ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ (عليه السلام): «يَعْنِي بَنِي أُمَيَّةَ، هُمُ الْكَافِرُونَ فِي بَاطِنِ الْقُرْآنِ».

وقوله تعالى: (بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاؤُوا بَعْضَ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ)، فجاء في تفسيرها قَالَ الْإِمَامُ الْعَسْكَرِيُّ (عليه السلام): «ذَمَّ اللَّهُ تَعَالَى الْيَهُودَ وَعَابَ فِعْلَهُمْ فِي كُفْرِهِمْ بِمُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ: بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَيَّ اشْتَرَوْهَا بِالْهَدَايَا وَالْفُضُولِ الَّتِي كَانَتْ تَصِلُ إِلَيْهِمْ، وَكَانَ اللَّهُ أَمَرَهُمْ بِشِرَائِهَا مِنَ اللَّهِ بِطَاعَتِهِمْ لَهُ، لِيَجْعَلَ لَهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَالْإِنْتِفَاعَ بِهَا دَائِمًا فِي نَعِيمِ الْآخِرَةِ فَلَمْ يَشْتَرَوْهَا، بَلْ اشْتَرَوْهَا بِمَا أَنْفَقُوهُ فِي عَدَاوَةِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لِيَبْقَى لَهُمْ عِزُّهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَرِثَاسَتُهُمْ عَلَى الْجُهَالِ، وَيَنَالُوا الْمَحْرَمَاتِ، وَأَصَابُوا الْفُضُولَاتِ مِنَ السَّفَلَةِ وَصَرَفُوهُمْ عَنْ سَبِيلِ الرَّشَادِ، وَوَقَفُوهُمْ عَلَى طَرِيقِ الضَّلَالَاتِ. ثُمَّ قَالَ اللَّهُ (عز وجل): (أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا) أَيَّ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ مُوسَى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنْ تَصْدِيقِ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ». قَالَ: «وَأِنَّمَا كَانَ كُفْرُهُمْ لِبَغْيِهِمْ وَحَسَدِهِمْ لَهُ، لِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَيْهِ، وَهُوَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَبَانَ فِيهِ بُيُوتَهُ، وَأَظْهَرَ بِهِ آيَتَهُ وَمُعْجَزَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: فَبَاؤُوا بَعْضَ عَلَى غَضَبٍ يَعْنِي رَجَعُوا وَعَلَيْهِمُ الْغَضَبُ مِنَ اللَّهِ عَلَى غَضَبٍ فِي إِثْرِ غَضَبٍ - قَالَ: «وَالْغَضَبُ الْأَوَّلُ حِينَ كَذَّبُوا بِالنَّبِيِّ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَالْغَضَبُ الثَّانِي حِينَ كَذَّبُوا مُحَمَّدًا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)». قَالَ: «وَالْغَضَبُ الْأَوَّلُ أَنْ جَعَلَهُمْ قَرَدَةً خَاسِئِينَ، وَلَعَنَهُمْ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ عِيسَى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَالْغَضَبُ الثَّانِي حِينَ سَلَّطَ اللَّهُ (عز وجل) عَلَيْهِمْ سُيُوفَ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأُمَّتِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حَتَّى دَلَّلَهُمْ بِهَا؛ فَإِنَّمَا دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ طَائِعِينَ، وَإِنَّمَا أَدُّوا الْجِزْيَةَ صَاغِرِينَ دَاخِرِينَ».

وقال العياشي: إن أبا جعفر عليه السلام قال: «نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ [هَكَذَا]:
بُنْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي عَلِيٍّ بَغِيًّا؛ وَقَالَ اللَّهُ فِي الْإِمَامِ عَلِيٍّ عليه السلام
أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ يَعْنِي عَلِيًّا، قَالَ اللَّهُ: فَبَاؤُوا بِغَضَبِ عَلِيٍّ
غَضَبِ يَعْنِي بَنِي أُمَيَّةَ، وَلِلْكَافِرِينَ يَعْنِي بَنِي أُمَيَّةَ عَذَابٌ مُهِينٌ» (١٦).

وقوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا
وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).
قال الإمام العسكري عليه السلام: «وَإِذَا قِيلَ لَهُوْلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ تَقَدَّمْ ذِكْرُهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالْفَرَائِضِ وَالْأَحْكَامِ قَالُوا نُوْمِنُ
بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَهُوَ التَّوْرَةُ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ يَعْنِي مَا سِوَاهُ، لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُوَ الْحَقُّ،
وَالَّذِي يَقُولُ هُوْلَاءِ الْيَهُودُ: إِنَّهُ وَرَاءَهُ، هُوَ الْحَقُّ، لِأَنَّهُ هُوَ النَّاسِخُ وَهُوَ النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ
الَّذِي قَدَّمَهُ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ). قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَيْ: لَمْ كَانَ يَقْتُلْ أَسْلَافَكُمْ
أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بِالتَّوْرَةِ، أَيْ لَيْسَتْ التَّوْرَةُ الْأَمْرَةُ بِقَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا
كُنْتُمْ تَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ، فَمَا آمَنْتُمْ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ التَّوْرَةِ، لِأَنَّ فِيهَا تَحْرِيمَ قَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ،
كَذَلِكَ إِذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ، وَبِمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَفِيهِ الْأَمْرُ بِالْإِيْمَانِ بِهِ، فَانْتُمْ مَا
آمَنْتُمْ بَعْدَ التَّوْرَةِ» (١٧).

قال رسول الله ﷺ: «أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ، فَمَا آمَنَ بِالتَّوْرَةِ، لِأَنَّ اللَّهَ
تَعَالَى أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْإِيْمَانَ بِهِمَا، لَا يَقْبَلُ الْإِيْمَانُ بِأَحَدِهِمَا إِلَّا مَعَ الْإِيْمَانِ بِالْآخَرِ. فَكَذَلِكَ
فَرَضَ اللَّهُ الْإِيْمَانُ بِوَلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَمَا فَرَضَ الْإِيْمَانُ بِمُحَمَّدٍ، فَمَنْ قَالَ: آمَنْتُ
بُنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ وَكَفَرْتُ بِوَلَايَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، فَمَا آمَنَ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ. إِنَّ
اللَّهَ تَعَالَى إِذَا بَعَثَ الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَادَى مُنَادِي رَبَّنَا نَدَاءَ تَعْرِيفِ الْخَلَائِقِ فِي إِيْمَانِهِمْ
وَكُفْرِهِمْ، فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ؛ وَمُنَادٍ آخَرُ يُنَادِي: مَعَاشِرَ الْخَلَائِقِ سَاعِدُوهُ عَلَى هَذِهِ
الْمَقَالَةِ؛ فَأَمَّا الدَّهْرِيَّةُ وَالْمَعْطَلَةُ فَيَخْرُسُونَ عَنْ ذَلِكَ، وَلَا تَنْطِقُ أَلْسِنَتُهُمْ، وَيَقُولُهَا سَائِرُ



النَّاسِ مِنَ الْخَلَائِقِ، فَيَمْتَازُ الدَّهْرِيَّةُ وَالْمُعْطَلَةُ مِنَ سَائِرِ النَّاسِ بِالْخَرَسِ. ثُمَّ يَقُولُ الْمُنَادِي: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ يَقُولُ الْخَلَائِقُ كُلُّهُمْ ذَلِكَ، إِلَّا مَنْ كَانَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُجُوسِ وَالنَّصَارَى وَعِبَدَةِ الْأَوْثَانِ، فَإِنَّهُمْ يَخْرُسُونَ فَيَتَيَسَّبُونَ بِذَلِكَ مِنَ سَائِرِ الْخَلَائِقِ. ثُمَّ يَقُولُ الْمُنَادِي: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؛ يَقُولُهَا الْمُسْلِمُونَ أَجْمَعُونَ، وَتَخْرُسُ عَنْهَا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَسَائِرُ الْمُشْرِكِينَ. ثُمَّ يَنَادِي مُنَادٍ آخَرٌ مِنْ عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ: أَلَا فَسَوْقُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ لَشَهَادَتِهِمْ لِمُحَمَّدٍ بِالنَّبُوَّةِ، فَإِذَا النِّدَاءُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَى: لَا، بَلْ وَفَوَّهُمُ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ. يَقُولُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ قَالُوا: سَوْقُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ لَشَهَادَتِهِمْ لِمُحَمَّدٍ ﷺ بِالنَّبُوَّةِ: لِمَاذَا يُوقِفُونَ، يَا رَبَّنَا؟ فَإِذَا النِّدَاءُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَى: فَوَّهُمُ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ عَنْ وَلَايَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ وَالْمُحَمَّدِ -يَا عِبَادِي وَإِمَائِي- إِنِّي أَمَرْتُهُمْ مَعَ الشَّهَادَةِ بِمُحَمَّدٍ بِشَهَادَةِ أُخْرَى، فَإِنْ جَاءُوا بِهَا يُعْطُوا ثَوَابَهُمْ، وَأَكْرَمُوا مَا بِهِمْ، وَإِنْ لَمْ يَأْتُوا بِهَا، لَمْ تَنْفَعُهُمُ الشَّهَادَةُ لِمُحَمَّدٍ بِالنَّبُوَّةِ وَلَا لِي بِالرُّبُوبِيَّةِ، فَمَنْ جَاءَ بِهَا فَهُوَ مِنَ الْفَائِزِينَ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهَا فَهُوَ مِنَ الْهَالِكِينَ». قَالَ: «فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: قَدْ كُنْتُ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ بِالْوَلَايَةِ شَاهِدًا، وَلَآلِ مُحَمَّدٍ مُحِبًّا؛ وَهُوَ فِي ذَلِكَ كَاذِبٌ، يَطْنُ أَنْ كَذَبَهُ يُنْجِيهِ. فَيُقَالُ لَهُ: سَوْفَ نَسْتَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ عَلِيًّا. فَشْهَدُ أَنْتَ -يَا أَبَا حَسَنِ- فَتَقُولُ: الْجَنَّةُ لِأَوْلِيَائِي شَاهِدَةٌ، وَالنَّارُ عَلَى أَعْدَائِي شَاهِدَةٌ؛ فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ صَادِقًا خَرَجَتْ إِلَيْهِ رِيَا حُ الْجَنَّةِ وَنَسِيمُهَا فَاحْتَمَلْتُهُ، فَأَوْرَدْتُهُ عَلَائِي الْجَنَّةَ وَغُرْفَهَا، وَأَحَلَّيْتُ دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِ رَبِّي لَا يَمَسُّهُ فِيهَا نَصَبٌ، وَلَا يَمَسُّهُ فِيهَا لُغُوبٌ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَاذِبًا، جَاءَتْهُ سَمُومُ النَّارِ وَحَمِيمُهَا وَظِلُّهَا الَّذِي هُوَ ثَلَاثُ شُعَبٍ، لَا ظِلِيلَ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ فَتَحْمِلُهُ، فَتَرْفَعُهُ فِي الْهَوَاءِ، وَتَوْرِدُهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلِذَلِكَ أَنْتَ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، تَقُولُ لَهَا: هَذَا لِي، وَهَذَا لَكَ» (١٨).

وَعَنْ أَبِي عَمْرٍو الزُّبَيْرِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ يَحْكِي قَوْلَ الْيَهُودِ: إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بَقُرْبَانٍ... الْآيَةِ، وَقَالَ: فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّمَا أَنْزَلَ هَذَا فِي قَوْمِ يَهُودَ، وَكَانُوا عَلَى عَهْدِ مُحَمَّدٍ ﷺ لَمْ يَقْتُلُوا

أَنْبِيَاءَ اللَّهِ بِأَيْدِيهِمْ، وَلَا كَانُوا فِي زَمَانِهِمْ، وَإِنَّمَا قَتَلَ أَوَائِلُهُمُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ، فَزُلُوا بِهِمْ أُولَئِكَ الْقَتْلَةَ، فَجَعَلَهُمُ اللَّهُ مِنْهُمْ، وَأَصَافَ إِلَيْهِمْ فِعْلَ أَوَائِلِهِمْ بِمَا تَبِعُوهُمْ وَتَوَلَّوْهُمْ» (١٩).

٧- ثم إنهم قد رأوا بأن هذا الدين يبطل مزاعمهم، ويقضي أحلام بني إسرائيل؛ وقد أبطل أسطورتهم في دعواهم التفوق، وأظهر كذبهم في موارد كثيرة.

فأول من بشر بظهور النبي الأعظم ﷺ المسيحيون مستندين في بشاراتهم تلك إلى الدلائل القاطعة التي يجدونها في كتبهم أو أناجيلهم، قال الله سبحانه وتعالى في سورة الصف الآية رقم ٦: (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ). فقول الله تعالى ببشارة النبي عيسى عليه السلام بأن رسول الله ﷺ سيأتي بعده تعدد خير دليل دامغ لليهود الذين كانوا يتوقعون أن النبي القادم بعد المسيح عليه السلام سيكون من بني إسرائيل؛ وهذه البشارة للنبي عيسى عليه السلام تؤكد بها بشارته يوحنا المعمدان أو يحيى المعمدان الذي كان من عمدة يسوع المسيح. وولد -بحسب الإنجيل- يوحنا المعمدان من والدين تقيين وكان المعمدان قد سبق المسيح عليه السلام، وهو النبي يحيى بن زكريا عليه السلام بحسب كتاب الله العزيز ونبي الديانة الصابئية المندائية. والمهم فقد ورد في إنجيل يوحنا المعمدان في القسم ١٦ بشارات بالنبي محمد ﷺ مشيرا إليه باسم البارقليط أو البارسلية اليونانية (Παράκλητος - Paraklētos) التي تعني المعزي. وقد وردت كلمة باراقليط paraklhton، حرفيًا باراقليتوس في العهد الجديد وبالتحديد في الإنجيل بحسب القديس يوحنا والرسالة الأولى للقديس يوحنا في خمس مرات فقط، أربع مرات منها في الإنجيل ومرة واحدة في رسالته الأولى. ولم ترد ثانية في بقية العهد الجديد. إذ ورد في إنجيل يوحنا الآتي:

١- وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الْآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعْزِيًا آخَرَ (ἄλλον παράκλητον - allon Parakleton) لِيَمُكِّتَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ رُوحَ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ لِأَنَّهُ



لَا يَرَاهُ وَلَا يَعْرِفُهُ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لِأَنَّهُ مَآكْتُ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ. لَا أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى.
إِنِّي آفِي إِلَيْكُمْ» (يوحنا ١٤/١٦-١٨).

٢- وكذلك ورد النص الآتي: «وَأَمَّا الْمُعْزِّي (Paraklētos - Παράκλητος) الرُّوحُ الْقُدُسُ الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الْآبُ بِاسْمِي فَهُوَ يَعْلَمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ وَيَذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ» (يوحنا ١٤/٢٦).

٣- وورد أيضا: «وَمَتَى جَاءَ الْمُعْزِّي (Paraklētos - Παράκλητος) الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الْآبِ رُوحَ الْحَقِّ الَّذِي مِنْ عِنْدِ الْآبِ يَنْبَشُّ فَهُوَ يَشْهَدُ لِي وَتَشْهَدُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا لِأَنَّكُمْ مَعِيَ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ» (يوحنا ١٥/٢٦-٢٧).

٤- وكذلك: «لَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ الْحَقَّ إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَا يَأْتِيَكُمْ الْمُعْزِّي (Paraklētos - Παράκλητος) وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيئَةٍ وَعَلَى بَرٍّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ. أَمَّا عَلَى خَطِيئَةٍ فَلَا نَهْمَ لَا يُؤْمِنُونَ بِي. وَأَمَّا عَلَى بَرٍّ فَلَأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى أَبِي وَلَا تَرَوْنِي أَيْضًا. وَأَمَّا عَلَى دَيْنُونَةٍ فَلَأَنَّ رَئِيسَ هَذَا الْعَالَمِ قَدْ دِينَ. إِنْ لِي أُمُورًا كَثِيرَةٌ أَيْضًا لَأَقُولُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الْآنَ. وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ رُوحُ الْحَقِّ فَهُوَ يُرْسِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ لِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. ذَاكَ يُمَجِّدُنِي لِأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ. كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي. لِهَذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ» (يوحنا ١٦/٧-١٥). وفضلا عما ورد من بشارة في إنجيل يوحنا المعمدان، فقد وردت بشارات بالنبي محمد ﷺ في أناجيل برنابا ومتي ولوقا أيضا (٢٠).

هوامش الفصل الأول:

(١) العياشي؛ محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المتوفى سنة ٣٢٠ هجرية، مؤسسة الأعلمي - بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، جزء ١، ص ١٧٧-١٧٨؛ السيد هاشم الحسيني البحراني؛ البرهان في تفسير القرآن؛ مؤسسة البعثة، جزء ١، ص ٦٣٩ - ٦٤٠.

(٢) أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المرتضى، بيروت، ١٤٢٧ هجري / ٢٠٠٦؛ مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٣١٦ - ٣١٨.

(٣) ينظر العياشي؛ تفسير العياشي، جزء ١، ص ٤٩ - ٥١؛ البحراني؛ جزء ١، ص ٢٧٢ - ٢٨٠.

(4) On the Qur'anic Accusation of Scriptural Falsification (tahrîf) and Christian

Anti-Jewish Polemic، P.200 ، By Gabriel Reynolds، in STOR ، 2010 ، P.193

(5) Ibid. P.196-197.

(6) Ibid. P.200.

(7) Ibid. P.201-202.

(٨) ياقوت الحموي في كتابه المشترك وضعاً والمختلف صقعا، صفحة ٣٢٧، طبعة عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٩٦٨.

(٩) كمال الصليبي المتخصص في هذا التاريخ يقول في كتابه خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، الطبعة السادسة، دار الساقى، ٢٠٠٦، ص ١١٥.

(١٠) ينظر: مكتبة الكتب المسيحية | كتب قبطية | المكتبة القبطية الأرثوذكسية؛ ويكيبيديا الحرة العربية [Wilderness of Paran Biblical Places] .

(١١) صفوة الصفات في شرح دعاء السمات؛ للشيخ الكفعمي، إبراهيم بن علي بن حسن بن صالح (٨٤٠ هـ - ٩٠٥ هـ).

(١٢) ينظر: الكفعمي، إبراهيم بن علي العاملي، البلد الأمين، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م؛ كتاب الخرائج والجرائح، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام) - السيد محمد باقر الموحد الأبطحي الاصفهاني، جزء ١، ص ٧٤؛ وينظر عن جبل فاران: الحموي؛ معجم البلدان: ٣ / ١٧١.

(١٣) ابن كثير؛ البداية والنهاية، الجزء الثاني، ص ١٠٤.

(١٤) تفسير البحراني، جزء ١، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

(١٥) م. ن. ص ٢٧٧.

(١٦) م. ن. ص ٢٧٨.

(١٧) م. ن. ص ٢٧٨.



(١٨) م. ن. ص ٢٧٩.

(١٩) ينظر: العياشي؛ تفسير العياشي، جزء ١، ص ٤٩ - ٥١؛ البحراني، جزء ١، ص ٢٧٢ - ٢٨٠.
Kenneth Grayston (20) ينظر: الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس، القاهرة، 1970؛
; The Meaning of PARAKLĒTOS. University of Bristol, England. (1981)
Donzel, E. Van and B. Lewis, Ch. Pellat "Isa "in Encyclopedia of Islam
Volume 83, 1997, 4. Montgomery Watt, W. Montgomery) April. (1953
"His Name is Ahmad. "The Muslim World. 117-110 : (2) 43. A. Guthrie
and E. F. F. Bishop, The Paraclete, Almunhamanna and Ahmad, Muslim
World XLI) October, (1951, p ; 255-254. Anthony, Sean ; Muhammad,
Menaḥem, and the Paraclete : New Light on Ibn Ishāq's (d. 150/767)
Arabic Version of John 15:23-16:1 "Bulletin of the School of Oriental
and African Studies 79.2





الفصل الثاني

الأبعاد الإيمانية للمبعث النبوي الشريف

إن إطلالة الإسلام في المبعث النبوي الشريف، سواء كان في غار حراء أم في شعاب الجبال عندما كان رسول الله ﷺ يرعى الغنم وحده أو بمعية ابن عمه الإمام علي عليه السلام، إنما هي - في الواقع - إطلالة مباركة لم تقتصر نعمها على القرشيين والمكيين وعرب الجزيرة فحسب، بل هي نعمة مطلقة للعالمين كما صرح به القرآن الكريم مرارا، من الناحية الدينية والعقدية، فضلا عن نعمها الاجتماعية والاقتصادية.

وفي مجال الحديث عن الآيات الكريمة الأولى التي أنزلها الله (عز وجل) على قلب رسول الله ﷺ، فقد اختلفت آراء العلماء والمفسرين بشأنها؛ وقد عبّر السيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) ^(١) تعبيرا مباشرا في هذا الاتجاه، إذ عدّد أربعة آراء لعلماء أهل السنة فيقول ما نصّه: «اختلف في أوّل ما نزل من القرآن على أقوال: أحدها وهو الصّحيح: (اقرأ باسم ربك)، روى الشيخان وغيرهما عن عائشة قالت: «أوّل ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصّادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصّبح ثم حُبب إليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنّث فيه الليالي ذوات العدد ويتزوّد. القول الثاني: (يا أيها المدثر)، روى الشيخان عن سلمة بن عبد الرحمن [الحقيقة هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وليس سلمة] قال: سألت جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه) أي القرآن أنزل قبل؟ قال: (يا أيها المدثر) قلت: أو (اقرأ باسم ربك) قال: أحذّثكم ما حدّثنا به رسول الله ﷺ: «إني جاورت بحراء فلما قصيت جوارِي نزلت فاستبطنت الوادي فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وشمالِي ثم نظرت إلى السماء فإذا هو يعني الملك جبريل عليه السلام فأخذني رجفة فأتيت السيدة خديجة عليها السلام فأمرتهم فدثروني فأنزل الله: (يا أيها المدثر فم فأنذر). القول الثالث: سورة الفاتحة قال في الكشف: ذهب ابن عباس ومجاهد إلى أنّ أوّل سورة نزلت «اقرأ» وأكثر المفسرين إلى أنّ أوّل سورة نزلت فاتحة الكتاب. القول الرابع: حكاه ابن النقيب في مقدّمة تفسيره



قَوْلًا زَائِدًا. وَأَخْرَجَ الْوَاحِدِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عِكْرِمَةَ وَالْحَسَنِ قَالَا: أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) وَأَوَّلُ سُورَةٍ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ). ويعقب السيوطي على هذا القول مبينا فيه موقفه قائلا: «وَعِنْدِي أَنَّ هَذَا لَا يُعَدُّ قَوْلًا بِرَأْسِهِ فَإِنَّهُ مِنْ ضَرُورَةِ نَزُولِ السُّورَةِ نَزُولُ الْبَسْمَلَةِ مَعَهَا فَهِيَ أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ عَلَى الْإِطْلَاقِ». وَوَرَدَ فِي أَوَّلِ مَا نَزَلَ حَدِيثٌ آخَرٌ: رَوَى الشَّيْخَانِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ سُورَةٌ مِنَ الْمُفْصَلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ»^(٢).

وعلينا أن نعقب على قول السيوطي في هذه الاختلافات الأربعة التي افترض العلماء من أهل السنة وجودها في مسألة الآيات الكريمة الأولى التي أنزلها الملك جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ؛ وأنه وغيره من هؤلاء العلماء قد افترضوا أن الآيات الخمسة الكريمة الأولى من سورة العلق هي المرشح الأول على بقية الافتراضات الثلاثة الأخرى، متجاهلا عن عمد الرواية الشيعية، رواية أبان بن عثمان البجلي التي ذكرها في كتابه الضائع -للأسف الشديد- التي أوردناها نقلا عن حلقتها الأخيرة المتمثلة بالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام تلك التي نصّت على أن الآيات الأولى التي أنزلها الله تعالى على قلب رسول الله ﷺ بواسطة الملك جبرئيل عليه السلام -كما ذكرنا آنفا- هي الآية ١٥١ من سورة الأنعام المباركة: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٌ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ). فالسيوطي لم يذكر رواية ما قاله الإمام علي عليه السلام من أن الملك جبرئيل عليه السلام قد أبلغ رسول الله ﷺ بهذه الآية الكريمة والإمام علي عليه السلام جالس مع رسول الله ﷺ على درنوك من درانيك الجنة عندما كان يرفع مع النبي ﷺ غنما لأبي طالب عليه السلام.

وعودة الى ما قاله السيوطي فإن علماء التفسير والتاريخ من أهل السنة قد اختلفت آراؤهم بخصوص سورة (الفاتحة)، إذ يرى بعضهم أنها أول سورة نزلت على رسول



الله ﷺ، ولقد لخص الطنطاوي في كتابه الوسيط ما ذكر بهذا الشأن فقال: «وما ورد من أحاديث تفيد أن أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ هي «سورة الفاتحة» فمحمول على أن أول سورة نزلت كاملة هي سورة الفاتحة. كذلك ما ورد من أحاديث في أن أول ما أنزل الله تعالى سورة المدثر، محمول على أن أول ما نزل بعد فترة الوحي. أما صدر سورة العلق فكان نزوله قبل ذلك. قال الآلوسي -بعد أن ساق الأحاديث التي وردت في هذه المسألة-: «وبالجملة فالصحيح - كما قال البعض وهو الذي اختاره - أن صدر هذه السورة الكريمة، هو أول ما نزل من القرآن على الإطلاق. وفي شرح مسلم: الصواب أن أول ما نزل «اقرأ» أي: مطلقاً، وأول ما نزل بعد فترة الوحي، «يا أيها المدثر»، وأما قول من قال من المفسرين بأن أول ما نزل الفاتحة، فبطلانه أظهر من أن يذكر». وعلى هذا الأساس فإن الطنطاوي يستنتج قائلاً: «والذي نرجحه ونميل إليه أن أول ما نزل من القرآن على الإطلاق، هو صدر هذه السورة الكريمة إلى قوله (مَا لَمْ يَعْلَمْ)، لورود الأحاديث الصحيحة بذلك. أما بقيتها فكان نزوله متأخراً». ثم أردف الآلوسي قائلاً: «أما بقية السورة فهو متأخر النزول قطعاً، وما فيه من ذكر أحوال المكذبين، يدل على أنه إنما نزل بعد شيوخ خبر البعثة، وظهور أمر النبوة، وتحرش قريش لإيذائه ﷺ».

ومن بين المؤرخين الذين خاضوا في هذا الجدل ابن الأثير في سيرته الموجودة في تاريخه الكامل فقال: «إن أول ما نزل عليه من القرآن بعد (اقرأ) و(ن والقلم وما يسطرون) و(يا أيها المدثر)، (والضحى). ويقول الآلوسي في كتابه روح المعاني ما نصّه: «سورة العلق» وتسمى سورة اقرأ لا خلاف في مكيتها وإنما الخلاف في عدد آياتها ففي الحجازي عشرون آية وفي العراقي تسع عشرة وفي الشامي ثمان عشرة وفي أنها أول نازل أولاً فذهب كثير إلى أنها أول نازل فقد أخرج الطبراني في الكبير بسنده على شرط الصحيح عن أبي رجاء العطاردي قال: كان أبو موسى الأشعري يقرئنا فيجلسنا حقا عليه ثوبان أبيضان فإذا تلا هذه السورة اقرأ باسم ربك قال: هذه أول سورة أنزلت على النبي



محمد رسول الله ﷺ وقد أخرج الحاكم في المستدرک والبيهقي في الدلائل وصحاحه عن عائشة نحوه وأخرج غير واحد عن مجاهد قال أول ما نزل من القرآن اقرأ باسم ربك ثم (ن والقلم)، وروى الشيخان عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه) أي القرآن أنزل أولاً قال: يا أيها المدثر، قلت: يقولون اقرأ باسم ربك قال: أحدثكم بما حدثنا به رسول الله ﷺ فساق الحديث مستدلاً به على ما ادعاه وأجاب عنه الأولون بعدة أجوبة مر ذكرها وقيل الفاتحة واحتج له بحديث مرسل رجاله ثقات أخرجه البيهقي في الدلائل والواحي من طريق يونس بن بكير عن يونس بن عمر عن أبيه عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل وأجيب عنه بأن ما فيه يحتمل أن يكون خبراً عما نزل بعد اقرأ ويا أيها المدثر مع أن غيره أقوى منه رواية وجزم جابر بن زيد بأن أول ما نزل اقرأ ثم ن ثم يا أيها المزمّل ثم يا أيها المدثر ثم الفاتحة وقيل أول ما نزل صدرها إلى ما لم يعلم في غار حراء ثم نزل آخرها بعد ذلك بما شاء الله تعالى وهو ظاهر ما أخرجه الإمام أحمد والشيخان وعبد بن حميد وعبد الرزاق وغيرهم من طريق ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة في حديث بدء الوحي وفيه فأخذي فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره إلى أن قالت: ثم لم ينشأ ورقة أن توفي وفتر الوحي وفي آخرها ما رووا قال ابن شهاب وأخبرني أبو سلمة عن جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه) قال وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فركبت منه فرجعت فقلت زملوني فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر فمحي الوحي وتتابع ويعلم منه ضعف الاستدلال على كون سورة المدثر أول نازل من القرآن على الإطلاق بما روي



أولا عن جابر (رضوان الله تعالى عليه) كما لا يخفى على الواقف عليه وقد ذكرناه صدر الكلام في سورة المدثر لقوله فيه وهو يحدث عن فترة الوحي وقوله فإذا الملك الذي جاءني بحراء وقوله فمحي الوحي وتتابع أي بعد فترته وبالجمله فالصحيح كما قال البعض وهو الذي اختاره أن صدر هذه السورة الكريمة هو أول ما أنزل من القرآن على الإطلاق كيف وقد ورد حديث بدء الوحي المروي عن عائشة من أصح الأحاديث وفيه فجاءه الملك فقال اقرأ فقال قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد الخ والظاهر أن ما فيه نافية بل قال النووي هو الصواب وذلك إنما يتصور أولا وإلا لكان الامتناع من أشد المعاصي ويطابقه ما ذكره الأئمة في باب تأخير البيان وسنشير إليه إن شاء الله تعالى وفي الكشف الوجه حمل قول جابر (رضوان الله تعالى عليه) على السورة الكاملة وفي شرح صحيح مسلم الصواب أن أول ما نزل اقرأ أي مطلقا وأول ما نزل بعد فترة الوحي يا أيها المدثر وأما قول من قال من المفسرين أول ما نزل الفاتحة فبطلانه أظهر من أن يذكر انتهى وتام الكلام في هذا المقام يطلب من محله والله تعالى أعلم» (٣).

وإن هذه الآيات الكريهات الخمس من سورة العلق إذا ما أمعن المرء في مضامينها وأبعادها يصل الى نتيجة بأنها تمثل أسس الحضارة، أية حضارة من الحضارات الإنسانية التي مرّت بها البشرية، إن كان ذلك في عنصريها الأساسيين القراءة والكتابة أم في مبانيها المتكاملة في العلم والتعلم والتعليم والحقيقة العلمية للوجود الإنساني. وأتداخل هاهنا مع المزاعم الغربية التبشيرية وغير التبشيرية، تلك التي لجأت الى وسيلة رخيصة ساذجة في الرسوم الكاريكاتيرية التي رسمتها أقلام الخراصين والأغبياء لرسول الله ﷺ وهو يحمل السيف بمعادلة مع الارهاب لقتل خصومه، وكذلك تلك التي لجأت الى تمثيلها القس جونس في أمريكا وغيره ممن على شاكلته في حرق القرآن الكريم أمام ملاء المسيحي المزعوم تعبيرا منه ومن المبشرين من نظرائه على أنه الكتاب الذي يبشر بل وينشر الارهاب في العالم، والعالم المسيحي، على وجه التحديد. فأى كلمة من تلك الكلمات



السمائية الخالدة التي أطلّ بها الإسلام على العرب والعالم وعلى الديانات السماوية التوحيدية وعلى الديانات غير السماوية تتضمن عنصرا عدائيا ووحشيا ومتطرفا يمثل ما مثله أولئك المبشرون والأغبياء من الخراصين الرسامين ووسائل إعلامهم السخيفة؟. وإذا ما علمنا أن آخر آية نزلت على قلب رسول الله ﷺ [هناك حوالي عشرة آراء بشأن

هذه المسألة] هي الآية الطويلة والمفصلة آية الدين في سورة البقرة برقم ٢٨٢ ابتدأت بقوله عزّ من قائل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا)، تلك التي بدأت بالمؤمنين وبالكتابة، كتابة العقود التجارية وغير التجارية، والشهود العدول الذين يمثلون العدالة في المجتمع، أي مجتمع كان سواءً في الماضي السحيق أم في وقتنا الراهن، والإملاء؛ كل ذلك على وفق ما «علّمه الله تعالى» (٤).

عندها تكتمل المقومات الأساسية والواقعية للبناء الحضاري المتكامل منذ بداية الوحي الرباني الذي نزل على النبي عليه الصلاة والسلام الى أن انتقل الى جوار ربه، من هذا المنطلق نتلمس بواقعية وحكمة المخطط الإلهي في بداية الإسلام ونورانيته ليكون نعمة وهداية للبشرية؛ وهو ما نطقته به آخر آية كريمة [من بين تلك الآراء العشرة في أواخر الآيات] وهي ما جاء في الآية رقم ٢ من سورة المائدة التي جاء فيها: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)، إذ يعبر الله (جلّ وعلا) عن عالمية الإسلام وكهالية بنيانه وتكامله وباعتباره نعمة رحمانية ودينا متكاملة.

وللمبعث النبوي تأثير علمي بالغ الأهمية، إذ إنه أدى الى تطور كبير في تدوين الرواية الإسلامية منذ بداية التدوين التاريخي والحديثي للأحداث في مطلع القرن الأول للهجرة؛ إذ مهد عدد من العلماء المسلمين في المدينة المنورة والعراق للكتابة عن جوانب شتى من سيرة الأنام محمد ﷺ على صيغة رسائل وكتيبات؛ وقد اعتمدنا في توثيق



هذا المطلب على ما أدلى به ابن النديم في فهرسته والنجاشي في رجاله وياقوت الحموي في معجم الأدباء وما كتبه المستشرقان الألمانيان بروكلمان وفؤاد سزكين وغيرهما، وهذه الكتب نظير كتاب علي بن فضال حول دلائل النبوة وكتاب الأنبياء وكتاب «أسماء آلات رسول الله وأسماء سلاحه»، وكتاب «وفاة النبي ﷺ»، وكتب حسين بن أشكيب الخراساني كتابا بعنوان «الرد على من زعم أن النبي ﷺ كان على دين قومه»، وكتب جعفر بن أحمد بن أيوب السمرقندي كتابا في هذا المعنى بعنوان «كتاب الرد على من زعم أن النبي ﷺ كان على دين قومه قبل النبوة»، وألف عبد العزيز الجلودي الأزدي كتاب الإمام علي عليه السلام في حروب النبي ﷺ وكتاب أخبار قريش والأصنام وكتاب خطب النبي ﷺ وكتاب «نسب النبي ﷺ»، وكتاب «كتب النبي ﷺ»، وكتاب «أخبار الوفود على النبي ﷺ»، وألف عبد الله بن ميمون القداح كتاب مبعث النبي ﷺ، وكتب محمد بن عمار الكوفي كتابا بعنوان «أخبار النبي ﷺ»، وكتابا آخر بعنوان «إيمان أبي طالب عليه السلام»، وكتب أحمد بن عيسى الأشعري كتابا بعنوان «فضل النبي ﷺ»، وكتب أبو محمد جعفر بن أحمد القمي كتابا بعنوان «المنبئ عن زهد النبي ﷺ»، وألف حسن بن خرزاد كتابا بعنوان «أسماء رسول الله ﷺ»، وكتب أبو البخري وهب بن وهب بن كثير كتابا بعنوان «صفة النبي ﷺ» وكتابا آخر بعنوان «كتاب نسب ولد إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام» ويحتوي على قطعة من الأحاديث والقصص^(٥). وكتب المنذر بن محمد بن المنذر كتابا بعنوان «وفود العرب الى النبي ﷺ»، وكتب أبو يعلى محمد بن الحسن بن حمزة الجعفري كتابا بعنوان «مسألة في إيمان آباء النبي ﷺ»، وكتب الشيخ المفيد كتابا بعنوان «كتاب مسألة في معرفة النبي ﷺ»، وكتب الشيخ الصدوق كتابا بعنوان «زهد النبي ﷺ»، وكتابا بعنوان «أوصاف النبي ﷺ»، وكتابا بعنوان «كتاب في عبد المطلب وعبد الله وأبي طالب»، وكتب علي بن بلال المهلب الأزدي كتابا بعنوان «كتاب البيان عن خيرة الرحمن في إيمان أبي طالب وآباء النبي ﷺ»، وكتب أحمد بن محمد بن سعيد السبيعي



الهمداني كتابا بعنوان «كتاب ذكر النبي ﷺ والصخرة والراهب وطرق ذلك»، وكتب أحمد بن محمد بن خالد البرقي كتابا بعنوان «كتاب المغازي». وألف المدائني مجموعة من الكتب في أخبار النبي ﷺ منها: - كتاب أمهات النبي ﷺ وكتاب عهود النبي ﷺ وكتاب تسمية الذين يؤذون النبي (ص) وكتاب تسمية المستهزين الذين جعلوا القرآن عضيّن، وكتاب رسائل النبي ﷺ، وكتاب كتب النبي ﷺ الى الملوك، وكتاب آيات النبي ﷺ وكتاب صلح النبي ﷺ، وكتاب اقطاع النبي ﷺ، وكتاب فتوح النبي ﷺ، وكتاب المغازي، وزعم أبو الحسن الكوفي أنها عنده في ثمانية أجزاء، وكتاب سرايا النبي ﷺ، وكتاب الوفود ويحتوي على وفود اليمن وفود مضر وفود ربيعة، وله كتاب دعاء النبي ﷺ، وكتاب خبر الإفك، وكتاب أزواج النبي ﷺ، وكتاب عمال النبي ﷺ على الصدقات، وكتاب ما نهى عنه النبي ﷺ، وكتاب خطب النبي ﷺ، وكتاب الخاتم والرسل وكتاب من كتب له النبي ﷺ كتابا وأمانا، وكتاب أموال النبي ﷺ، وكتابه ومن كانت ترد عليه الصدقة من قريش العرب، وكتاب أخبار أبي طالب وولده ﷺ.

وألف أحمد بن موسى بن مجاهد الذي انتهت اليه الرياسة في مدينة السلام في عصره كتاب قراءة النبي ﷺ، وألف أبو علي النصار كتابا بعنوان «قراء الامام علي عليه السلام على النبي ﷺ»، وكتب ابن قتيبة كتاب «دلائل النبوة»، وكتب أبو معشر نجيح المدني كتاب المغازي، وكتب هشام الكلبي كتاب الوفود وكتاب أزواج النبي ﷺ، وألف محمد بن حبيب كتاب أمهات النبي ﷺ، وكتاب الأرحام التي بين رسول الله ﷺ وبين أصحابه سوى العصابة، وكتب أبو زيد البلخي كتاب عصمة الأنبياء ﷺ، وكتب ضرار بن عمرو كتابا بعنوان «كتاب الرد على الحشوية في قولها إن النبي ﷺ إذا استغفر لإنسان غفر له»، وكتاب «كتاب من زعم أن النبي ﷺ ترك من الدين شيئا وأنه كان يعلم الغيب»، وكتب عبيد الله بن أبي الدنيا كتاب «فقه النبي ﷺ»، وكتب إبراهيم بن حماد كتاب «دلائل النبوة»، وكتب داود بن علي كتاب «صفة أخلاق النبي ﷺ»، وكتاب «أعلام النبي ﷺ» (٦).

غير أن التطور الكبير الذي شهده تدوين الرواية الإسلامية في مراحلها المبكرة يتمثل في كتابة تاريخ السيرة النبوية الشريفة بشكل عام، وحقيقة أن هناك آراءً لعدد من المؤلفين المحدثين تتحدث عن أن عروة بن الزبير بن العوام المتوفى سنة ٩٤ هجرية وتلميذه ابن شهاب الزهري المتوفى سنة ١٢٤ هجرية يعدان من أوائل من كتب في هذا الميدان، وبالفعل فقد تمّ تحقيق كتابين: - الأول منهما كتاب مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير رواية أبي الأسود والآخر بعنوان المغازي النبوية لابن شهاب الزهري، إلا أن الكتابين هما في الأصل تجميع لروايات عروة وابن شهاب الزهري؛ فقد نهد الأستاذ محمد مصطفى الأعظمي بجمع أخبار المغازي وبادر مكتب التربية العربي لطبعه مستقلاً في سنة ١٤٠١ هجرية / ١٩٨١، كذلك الحالة مع كتاب المغازي النبوية لابن شهاب الزهري التي قام الدكتور سهيل زكار بطبعها بشكل مستقل في دمشق في دار الفكر المعاصر في سنة ١٤٠١ هجرية / ١٩٨١ (٧). إذ يقول محققه الدكتور سهيل زكار في مقدمة تحقيقه للكتاب: «إن الكتاب الذي بين أيدينا يحوي بعض علم الزهري في المغازي وليس جميع ما كان لديه...، وهو لم يصنف هذا الكتاب بناء على خطة ابتغت إخراج كتاب في السير والمغازي كامل كما فعل كل من كل من تلميذه من بعده موسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق».

لذلك فإنه لم يثبت أن عروة بن الزبير قد خلف كتاباً عن المغازي، وإن ما تم نشره في الوقت الحاضر عبارة عن مجموعة روايات عروة بشأن المغازي، وكان عروة مقرباً من البلاط الأموي إذ يرجع إليه الأمويون في الاستشارة منه بشأن المغازي. وقد نشر بالفعل المرحوم الدكتور عبد العزيز الدوري في كتابه عن نشأة علم التاريخ نصوصاً برواية عروة بن الزبير عن المغازي، فقد وردت رواية عن راوية عروة بن الزبير المعروف عبد الرحمن بن أبي الزناد وهي قوله: إن عروة قال له (كنا نقول لا نتخذ كتاباً مع كتاب الله فمحوت كتيبي، فو الله لوددت أن كتيبي عندي وأن كتاب الله قد استمرت مريرته^(٨)).

وهذه الرواية لم تأت على مسألة مهمة أكانت تلك الكتب التي محاها أو قيل في رواية أخرى أحرقها هي مؤلفاته أم إنه كان عادة يجمع كتباً لآخرين؟ وهل إنه محي كتاباً بعينه أم كتباً كثيرة من الحديث والفقه والتفسير مثلاً؟. على أية حال فقد وقفت على هذه الرواية وروايات أخرى مشابهة في نقد الرواية التاريخية ص ١٩٥-١٩٨. ولم ترد معلومات عن أن عروة بن الزبير قد خلف كتاباً عن السيرة النبوية الشريفة أو عن المغازي ولكنه وابنه هشام وابنه الآخر عثمان يعدّون الحلقة الأساسية في مرويّات السيرة النبوية والمغازي، وقد أحصيت مرويّاته في مؤلفات المساند والسنن والتاريخ^(٩).

فيقول المحقق الدكتور سهيل زكار: إن هذا الكتاب عبارة عن مجموع يحتوي عدة فتاوى «نوازل» تاريخية حيث كان الزهري يتلقى أسئلة تستفتيه في جملة من المواضيع التاريخية المترابطة بسبب ما، فكان يقوم بتقديم إجابته لهذه الأسئلة، ومجموع أجوبته قام هو أو أحد تلاميذه بتصنيفها وإخراجها للناس...^(١٠). فهذه الكلمات التحقيقية إنما تؤكد أن الكتاب لم يكن مؤلفاً بهدف كتاب متكامل عن السيرة النبوية بل هو عبارة عن أجوبة لأسئلة وجهت إليه من البلاط الأموي شأنه شأن كتاب عروة بن الزبير الذي كان هو الآخر في خدمة البلاط الأموي لا بل كان الأستاذ وتلميذه -يعني عروة والزهري- أعضاء في اللجنة الثقافية المتحكمة التي شكلها معاوية بن أبي سفيان وكان عبد الملك بن مروان عضواً مشاركاً فيها وهدفها كتابة رواية السيرة على وفق المفهوم الأموي. ومن الجدير ذكره في هذا الصدد أن عروة بن الزبير وتلميذه الزهري كانت لهما علاقة وطيدة بالبلاط منذ عهد معاوية، وأنها كانا يشكلان نوعاً من اللجنة الثقافية منذئذ مشرفة على كتابة تاريخ السيرة النبوية المطهرة، إذ يذكر ابن عساكر في تاريخه لدمشق رواية سندها ابن شهاب الزهري عن قبيصة بن ذؤيب جاء فيها قول الزهري: «كنا -يعني الزهري وأستاذه عروة- في خلافة معاوية في آخرها نجتمع في حلقة في المسجد بالليل أنا ومصعب وعروة ابنا الزبير وأبو بكر عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد



الملك بن مروان وعبد الرحمن بن المسور بن مخزومة وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وكنا نفرق بالنهار»^(١١)، فهذه الرواية مع أنها تتعامل مع اتجاهات متعددة لكنها كانت مترابطة في نسيجها الثقافي بين اجتماع هؤلاء النفر من الأمويين ومن أتباعهم الذين تربطهم بعروة وشائج قوية وبين أهداف اجتماعاتهم المطولة وبين تسابق عروة وبحسب قول الزهري نفسه بشأن عروة الذي كان معتادا على أن يسبق جميع الصحابة^(١٢)، من أصحاب رسول الله ﷺ بدخوله على عائشة التي كانت بحسب رواية ابن عساكر من أعلم الناس بالحديث. فالاجتماع هذا لا بد أن يكون ذا طابع ثقافي متعلق بالحديث وبالذات بأحاديث السيرة النبوية الشريفة؛ فترابط المكونات الأساسية لهاتين الروايتين تلح علينا لأن نتساءل عما إذا كانت المواضيع الجوهرية لهذه الاجتماعات المطولة لها علاقة بمناقشة مشروع معاوية في صناعة الأحاديث أو بمشروع إعادة فبركة الأحاديث النبوية التي تتعلق بالسيرة النبوية على وجه الخصوص على وفق الصيغة أو الرواية التي تتفق مع برنامج الأمويين في تحريف هذه الرواية. والرواية تهدف من بين ما تهدف نحو توجيه اهتمام عروة في التسابق في طلب الأحاديث من خالته على وجه التحديد، فهي تعدّ زوجة النبي ﷺ المفضلة. ومما لا ريب فيه أن الرواية كانت موقفة منذ زمن معاوية.

ومن الجهة الأخرى فعلى الرغم من أن الزهري لم يفصح عن طبيعة هذه الاجتماعات الثقافية أو حتى عن طبيعة السبب في عقدها وبحضور عبد الملك بن مروان وبقية الأبنوق الثقافية لمعاوية منذ بداية الليل الى أن يحلّ النهار وكأنه اجتماع بالغ السرية ولا نعرف شيئا عنه، مع أن الزهري (العالم!!) كان يخفي أمورا كثيرة عن هذه الاجتماعات، وعن المواضيع التي كانت تبحث فيه من قبل هؤلاء من مؤرخي المدينة المنورة وفقهائها؛ كذلك فإن هنالك أمرا غريبا آخر ألا وهو أن الزهري قد ابتدأ روايته بقوله: «في خلافة معاوية في آخرها» تحديدا فلماذا؟ لأنه كما تطرقنا تَوَّأ بأن الاجتماع معني بالدرجة الأولى



بالشأن الثقافي وبالوسيلة أو الوسائل في كيفية تطبيق توجيهات وتوجيهات معاوية في تدوين أحاديث السيرة النبوية وفي كيفية تزويرها وتزييفها وإعادة صناعتها لتكون في صالح الأمويين؟ ولا سيما أن الأعضاء المجتمعين كانت تربطهم علاقات ثقافية حميمة. وما يستشف من الروايات أن الأمويين لم يكونوا متشوقين إلى تاريخ السيرة النبوية الحقيقي باعتباره الدليل الدامغ على كفر جدّهم الأعلى وعلى زندقته وعلى ما كان يفرضه من عوامل التعذيب بشأن سيد المرسلين وبشأن الإسلام بصورة عامة.

وعلى أية حال فإن ما ينبغي علينا قوله هو أن كلا العالمين عروة بن الزبير وابن شهاب الزهري لم يكتبتا كتابا جامعا عن سيرة النبي ﷺ ومغازيه، وأن الكتاتين المحققين اللذين يحملان عنوان «المغازي» إنهما إلا تجميع لرواياتهما وأجوبتهما على الأسئلة التي كان البلاط الأموي - معاوية أو عبد الملك بن مروان - يوجهها إليهما.

ومهما يكن من أمر فإن هنالك بضعة روايات تؤكد أن الأمويين لم يكونوا ميالين بله مشجعين لكتابة السيرة النبوية الشريفة، كما ألمحنا في أعلاه، إذ يذكر الزبير بن بكار في كتابه «أخبار الموفقيات»^(١٣) أن سليمان بن عبد الملك أمر أبان بن عثمان أن يكتب له سيرة النبي ﷺ ومغازيه «فقال أبان: هي عندي ... فأمر بنسخها وألقى فيها إلى عشرة من الكتّاب. وبعد كتابتها وجد فيها فضائل الأنصار، فأمر بحرقها. وقال: إن وافق أبي فسأستنسخ كتاب أبان». وقيل إن أبان بن عثمان قد دوّن ما سمع من أخبار السيرة النبوية والمغازي، وسلّمها إلى سليمان بن عبد الملك أثناء قيامه بالحج وزيارة المدينة المنورة سنة ٨٢ هـ فأثلفها سليمان. وذكر المزي في كتابه تهذيب الكمال أن أبان كان أول من حدّث في السيرة النبوية، ولكن ليس في صورة سردية، وإنما بصيغة أحاديث تتناول سيرة النبي محمد ﷺ وهي أحاديث كان قد جمعها، وكان معتادا على أن يقرأها على طلبته؛ وبحسب قول عمرو بن شعيب بأنه لم يرَ أعلم بحديث ولا فقه من أبان، وعدّه يحيى القطان في فقهاء المدينة، وقال العجلي: ثقة من كبار التابعين، وقال محمد بن



سعد: مدني تابعي ثقة وله أحاديث^(١٤). كذلك يذكر أن خالد القسري عامل العراق قد طلب من ابن شهاب الزهري أن يكتب له مرويّاته عن السيرة النبوية فسأل الزهري خالداً قائلاً: (أأكتب أو أقول رواية علي بن أبي طالب؟ فأجابه خالد) (كلا إلا أن تراه في قعر الجحيم). وتنقطع سلسلة رواية هذا الخبر فلا نعرف فيما إذا قد نفذ الزهري رغبة خالد القسري وطلبه أم لا؟. كذلك لا تتوافر لنا معلومات عما إذا كان الزهري قد زوّر أو زيف بالصيغة التي وصفها خالد القسري التي لا تختلف كثيراً عن رغبة معاوية بن أبي سفيان قبله^(١٥).

ومع كل هذا فإن المدينة المنورة هي التي احتضنت أوائل المؤرخين والمحدثين الذين استهلوا تدوين رواية السيرة النبوية الشريفة، علماً بأن هذا الرأي لا يعدم وجود إسهامات عراقية كوفية وبصرية كالذي لاحظناه في القائمة أعلاه ممّن أحصاهم ابن النديم والنجاشي. ولعله من الصواب القول إن هناك خطأً مميزاً في اتجاهات الكتابة التاريخية بشأن عصر الرسالة في المدينة منها ما يأتي:-

لقد أدّت المدينة المنورة دوراً رائداً بأهاليها الذين ناصرُوا النبي ﷺ في اعتناقهم الإسلام؛ وكان للأَنْصار مواقف رائعة متمثلة بوفائهم لعهودهم التي قطعوها لرسول الأمة وبإخلاصهم الحقيقي للإسلام منذ بيعتي العقبة الأولى والثانية وإلى حين انتقال رسول الأمة إلى جوار ربه؛ وقد استمروا على ثباتهم وإصرارهم في دعم الرسول والإخلاص له حتى سنة ٣٦ هجرية إذ بقيت -أي المدينة- هي التي تتمتع بكونها وبصفتها مدينة رسول الله ﷺ المعظمة، حيث نزول القرآن الكريم بآياته المدنية ذات الخصائص والتوجهات المتميزة عن تلك الآيات المكية؛ وظلت المدينة تمثل مدرسة لحفظ أقوال الرسول ﷺ وإعماله وأفعاله وعلاقاته مع أبناء المجتمع المدني وعلمه. وهي المدينة التي أنتجت فقهه وفتاواه وقيمه وعاداته وتصرفاته وخطبه وأحاديثه مع المسلمين والمؤمنين واليهود والمنافقين والكفار، وهي المكان الذي انطلق منها الإسلام

عبر رسائل النبي ﷺ المتبادلة مع البلدان، وهي المكان الذي استقبل فيها رسول الأمة الوفود من كل بقاع الجزيرة، وهي المدينة التي انطلقت منها الفتوحات الإسلامية المظفرة لنشر الدين الإسلامي الى العالم في شرقي الجزيرة العربية وشمالها وعبر البحر المتوسط الى أوروبا.

فضلا عن أنها كانت المدرسة التي هيأت التربة الفكرية والعقدية للحلول في المشاكل التي عرضت أمام النبي ﷺ في المسائل الشخصية والعائلية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية وغيرها من الجوانب التي واجهها مجتمع المؤمنين.

والخلاصة فإن المدينة تعدّ الإرث الحضاري والفقه للمجتمع الإسلامي حيث يقف على رأسه رسول الله والصحابة من الأنصار والمهاجرين الذين يعدون القاعدة الواسعة والفاعلة لهذا المجتمع الذي أنتج من بين صفوفه مدارس لتقل رواية جميع التطورات المذكورة آنفاً الى كل مكان حلّوا فيه، تلك الرواية التي بدورها قد نقلت إلى كل من جاء بعدهم من التابعين وتابعي التابعين والرواد من الرواة شفاهيا أو مكتوبة، ألا وهم رواية الحديث الشريف ورواة السنة النبوية ورواة السيرة المطهرة ورواة المغازي ورواة التاريخ ورواة علوم المدينة من فقه وحديث وتفسير الى غير ذلك من علوم.

والذي تقدم في الفقرة السابقة يؤدي بنا الى القول إنه من اليسير علينا الاستنتاج بأن الكتابة التاريخية بخصوص عصر الرسالة والسيرة النبوية هي مدنية في أصلها وفي شحمتها وسداها، سواء كان ذلك فيما يتعلق بموارد ومصادر ومنابع معلوماتها أم في أدوات نقلها الشفاهية والمكتوبة. وبمجرد نظرة الى اللامعين من أسماء العلماء الذين اشتهروا في كتابة السيرة والمغازي فإنها تدل على أن هؤلاء هم مدنيون أمثال عروة بن الزبير وأفراد عائلته من أبنائه وأقاربه ومواليه، وأبان بن عثمان بن عفان، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم، وابن شهاب الزهري، وصالح بن كيسان، وموسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق، وعاصم بن عمر بن قتادة، والأئمة الأطهار علي بن الحسين زين العابدين،



والباقر، والصادق (عليه السلام)، فهؤلاء الأئمة كانوا هم المعنيين فعلاً برواية أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) على وفق السلسلة الذهبية عن طريق الحلقة النهائية للإمام علي (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله).

ومن نافلة القول إن هناك القليل أو الكثير من المواضيع والميادين في حقبة عصر الرسالة الشريفة قد أوضحت في حكم الموضوعات الثابتة والمقبولة بل والراسخة في أذهاننا وصارت هي المهيمنة والسائدة في كتاباتنا ومناهج طلبتنا وبحوثنا، سواء كان ذلك في محتواها وفحواها أم في أزمنة حدوثها. ويخيل أن ثبوت هذه وثباتها واستقرارها موازنة بميادين أخرى - تلك التي قد خضعت للنقد والتدقيق والتوثيق - يرجع الى عملية تكرار منوالها وتكرار تدوينها ونقلها المنسجم عموماً وبنيتها منذ قرون وعقود - بل منذ عصر تدوينها - بسلسلة إسناد عروة بن الزبير وأبنائه ومواليه وتلامذته كالزهري، حتى صار من الصعب بل من المستحيل إعادة تدقيقها وبيان مدى واقعيتهما ومدى موثوقيتها. وقد بولغ في هذا الإهمال والتقصير من قبل المحققين العلميين ممن لم يخضع لأهوائه أو أهواء طائفته ومذهبه، وتجاوز هذا الأمر حتى وصل الى الإهمال في التدقيق في مسألة مباني هذه الروايات اللغوية الداخلية والمعرفية. ناهيك عن استحالة تعديلها أو تصحيحها أو إعادة تشكيلها أو إعادة قراءتها أو إعادة صياغتها.

وإن أسباب هذا القصور أو العجز والاستحالة يعود بشكل أساسي الى أنها تتعلق بالموروث الفكري والثقافي المقدس، وبتلك السلسلة من الأسانيد التي تنتهي حلقتها السندية بعائشة وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهو الموروث المتلقى الذي امتزج واتحد هو الآخر بالموروث السياسي المقدس، وبالرواية التي ورثت قداسة عنصر أو عناصر في صياغة تلك الميادين، إذ إنها كانت تتعلق إما بالبعثة النبوية الشريفة، وإما بنزول الوحي، وإما بالدعوة الإسلامية في مكة والمدينة، وإما بهذا الصحابي الجليل أو ذاك، وهم من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن المؤمنين الذين كرّسوا حياتهم ومعاشهم، والذين ضحّوا بكل ما يملكون من مال وضياع ومتاع خدمة للعقيدة وتأزراً وتعاوناً مع رسول



الأمة. فالصحابة هم وليس غيرهم ممن رافق الرسول الكريم ﷺ بعد مبعثه الشريف مروراً بسنوات المشاكل والتعذيب والمشاق والمعاناة في حقبة النضال السري وبعد ذلك إثناء الدعوة العلنية، ثم إنهم هم الذين فرضت عليهم الهجرة إلى الحبشة والهجرة إلى المدينة عندما حمى الوطيس واشتد ضغط القرشيين الكفار والمشركين، فضلاً عن ذلك فإنه عندما توسعت قاعدة الصحابة لتعم بين كنفها ما أطلق عليهم الرسول بالأنصار لنصرتهم ومؤازرتهم ووقوفهم إلى جانبه ﷺ في الشدائد والأزمات، وهم الذين تعهدوا بالغالي والنفيس من أجل ذلك. فجميع هؤلاء من المهاجرين والأنصار كانوا أصحابته ﷺ وكانوا قد أسهموا جميعهم أو بعضهم أو نفر منهم، في نشاطات الرسول الكريم ﷺ وأعماله وإنجازاته الدينية والاجتماعية والعمرانية في المدينة منذ بدايات تكوين مجتمع الأمة والدولة إلى حين رسوخ دعائم الدولة الإسلامية وتوسعها عبر فتح مكة والمناطق المحيطة وعبر وفود القبائل من شتى أطراف الجزيرة العربية؛ فضلاً عن أن تعبير الصحابة قد ضمّ بين ظهرائه ممن ادعى دوراً أو نال شرف المشاركة في جميع غزوات الرسول وسراياه أو في جزء منها أو في واحدة فقط من فعالياته ﷺ؛ وفي الوقت نفسه فقد ضمّ أيضاً في كنفه ممن أسهم في فتح مكة أو حتى ممن أسلم بعد فتح مكة.

جميع ذلك وغيره كثير كان يمثل عصر الرسالة والسيرة النبوية المطهرة، آخذين بنظر الاعتبار بأن هناك درجات ومراتب ومنازل بينهم قد انسحبت وربما قد ألفت بضلالتها ومؤثراتها حتى على الشأن المادي في توزيع الأرزاق والعطاء والغنائم. وعندما نفكر قطعاً بعد فتح مكة بأن هناك خطأ فاصلاً بين المسلمين والمؤمنين القدامى الحقيقيين الذين ناضلوا، وأولئك الجدد الذين اعتنقوا الإسلام بعد انتصاره بعد الفتح ممن أطلق عليهم مصطلح الطلقاء. ولكن هذا الطابور المتخلف في مدة إسلامه قد ثابر وكابر واستمر على معاداته للإسلام واستمر على مقاتلته الرسول ﷺ، وسيكون هذا الخط الفاصل على الوفاق الآتي:- ما كان قبل فتح مكة فهو الهجرة حقاً له مزاياه وامتيازاته،



وما كان بعد الفتح فهو جهاد ونية امتثالاً بالحديث الشريف (لا هجرة بعد الفتح).
فالعناصر الإيمانية السابقة المتعلقة ببعثة الرسول ودعوته وكذلك معاناته التي
فرضها ومارسها ضده وضد المسلمين الأوائل قبل الهجرة إلى المدينة القرشيون سادة
ووجهاء وشعراء وأفراداً عاديين قد أدت إلى أن يترك موطنه وإلى هجرته ﷺ واضطراره
إلى الدفاع عن الإسلام ودولة المدينة الجديدة سواء كان من اليهود والمنافقين في المدينة
أم من الأعراب، أولئك الذين كانوا متآلفين ومتعاونين في هدفهم الأساسي في ضرب
الإسلام وقتال الرسول من جانب، بينما كانوا في الواقع متنافرين ومتباغضين في
سرائرهم وفيما بينهم من الجانب الآخر. فهذا المعيار يعد الأساس في استحداث معيار
مهم ألا وهو السابقة أو الأسبقية أو الأفضلية، وقد ارتفع شأنه وأهميته إلى مستوى
سام في الحجاج والمجادلة بين المسلمين القدامى والمسلمين الجدد بعد فتح مكة. وبعد
ذلك الوقت فإن هذا المعيار قد اتخذ طريقه في التدوين التاريخي والحديثي والفقهية وفي
تسجيل وكتابة تاريخ السيرة النبوية. إذ سعى السياسيون منهم ممن تولى الحكم وأمر
شؤون الأمة بعد وفاة الرسول ﷺ إلى التشديد على فاعلية هذا المعيار وإعمامه؛ وهو أمر
في غاية الأهمية من جانب ومن الجانب الآخر أمر في غاية الخطورة، ولا سيما أنه صار
وسيلة في تشجيع المدلسين والكذابين والمزورين والدجالين على أن يتدخلوا بصيغة
إدخال أو زج من يريدونه أن يكون ممثلاً في هذه السابقة والأفضلية أو ضداً لذلك في
إبعاد وإقصاء من لا يريدونه أن يكون في لائحة الأسبقية. والسابقة تعني السابقة إلى
كل شيء كالسابقة في اعتناق الإسلام والسابقة والبطولة في الجهاد في سبيل الله وفي
حمل الرايات والسابقة في الشجاعة والإقدام في المبارزات الفردية، والأكثر أهمية السابقة
في حفظ القرآن الكريم وفي التبحر في الفتيا والفقه والقضاء وما إلى ذلك من المراتب
والدرجات الأولوية الدينية والعقدية والعلمية.



هل هنالك من دليل يؤيد هذه الاستنتاجات؟ أقول: نعم، فإن الأسبقية هذه هي السبب الذي جعل شيخاً عالماً بمغازي رسول الله ﷺ واعتماداً على رواية سفيان بن عيينة يقدم على عملية الغش والخداع والدجل والتخريب، إنه شرحبيل بن سعد. فقد أقدم هذا الشيخ على التزوير في هذا الباب فكان يجعل من لا سابقة له في أحداث السيرة النبوية الشريفة له هذه السابقة سواء كان ذلك في إدخال أسماء من لم يشهدوا فعلاً معركة بدر أو أحد أو الهجرة إلى أرض الحبشة أو إلى المدينة مقابل منفعة مادية شخصية. وشرحبيل بن سعد البالغ من العمر مائة سنة (ت ١١٢هـ / ٧٤٠م) قد اتهم بتزوير قوائم الأسماء مقابل دفع الأموال له. وبتداول قوائم أسماء نظير: (أولئك الذين قاتلوا جنباً إلى جنب مع محمد في معركة بدر)، (المسلمون الذين انتصروا على المكيين في سنة ٧هـ / ٦٢٤م)، وكذلك (أولئك الذين قاتلوا محمداً في معركة بدر)، عندئذ فليس من الصعوبة أن نرى لماذا يدفع المرء أموالاً مقابل أن يحذف اسم جده من قائمة ليضاف إلى قائمة أخرى، وبالأخص حينما يعلم أن الخلفاء كانوا معروفين باستقصاء المعلومات عن المعارك، وعن معركة كهذه أي معركة بدر.

فخطورة هذا التزوير وغيره من أعمال الدس والتشويه التي كانت كثيرة جداً في الربع الأول من القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، تلك التي مارسها خلفاء الإسلام نظير معاوية لا تندر فقط تحت باب المنفعة المادية فحسب، بمعنى أننا إذا ما سجبنا هذه العملية في التلاعب والتزوير إلى الأيام التي كان يوزع فيها العطاء على وفق هذه السابقة والأفضلية بين العوائل والعشائر القرشية ذكوراً وإناثاً، إنما الخطورة الأشد أثراً تلك التي ربما أفضت إلى استحداث أحداث ومناسبات ووقائع قد دخلت التدوين التاريخي للرواية الإسلامية في كتابة السيرة النبوية الشريفة، ثم بعد ذلك ترسخت وتثبت، وخطورتها الأخرى الأكثر وقعاً في إدخال مرويات لعلها تعكر من سمو الصفوة المؤقتة لمجتمع الصحابة. أولئك الذين قدّموا أرواحهم على الأكف بدافع صيانة العقيدة



الإسلامية الحقّة والدفاع عنها وفي بناء مجتمع أمة مجاهدة وعاملة في الميادين كافة؛ أما خطورتها الثالثة أو الرابعة المهمة الأخرى فهي ما تضيفه من الشرعية -الشرعية الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية- على زعامات الأسر وعلى زعامات الدولة التي توارثت الحكم في العهدين الأموي والعباسي. فالمعروف أن الأمويين والعباسيين قد استحوذوا على الخلافة عن طريق الاستحواذ والمراوغة والترهيب والتخريب بهدف استعادة أمجاد الماضي كالذي استخدمه معاوية في إثارة المتاعب والمشاكل على الخليفة الإمام الحسن (عليه السلام) مستغلاً بعض الأشخاص ممن كانت له مكانة عند الإمام نظير عبد الله بن عباس، حبر الأمة، للوصول إلى هدفه مقابل منافع مادية قد أسرعت إلى إتمام صفقة الصلح، ثم أدت هذه بالفعل إلى تشويه تلك الهالة العلمية والفقهية لابن عباس؛ لأن معاوية سرعان ما عمل على حرق الصلح والاستئثار بالحكم لصالح عائلته وعشيرته. كذلك الحال بالنسبة إلى العباسيين الذين سعوا إلى تزييف شعارهم السياسي الأساس مستثمرين شعار الثأر لآل البيت (عليهم السلام) وأتباع كتاب الله وسنة الرسول (صلى الله عليه وآله) في اللعب على هذا الشعار لمصلحة آل البيت العباسي، ثم استئثارهم بالسلطة والحكم. وبعد أن توطد نفوذ كل من الأسرتين على أولئك الذين فتحوا لهم أبواب المسالمة والصلح والعمل المشترك، فأخذوا يسومون آل البيت (بيت الإمام علي (عليه السلام)) صنوفاً من التعذيب والتضييق والأذى والقتل والحرمان والأهم من ذلك كله ومن تلك الأساليب التعسفية إذ راحوا يزيفون الكتابة التاريخية ويصنعون رواية أموية وعباسية ترفع من مكانة أجدادهم وتطمس من دور ومكانة الذين يبغضونهم بغضاً وحقداً وحسداً. وبذلوا جهوداً كبيرة في تقريب واحتضان الرواة والمؤرخين والعلماء في الرواية والأخبار مشجعين إياهم في هذه العملية التي هي بالفعل قد شوهت من تاريخ السيرة النبوية الشريفة.



قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ * وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ) (سورة الشورى الآيات: ٥١-٥٢-٥٣).

واعتمادا على الطبرسي في تفسيره (مجمع البيان في تفسير القرآن) فإن معنى الآيات الكريمة السابقة الذكر أنه سبحانه وتعالى منح رسول الله ﷺ أجل النعم وهي النبوة فقال: «وما كان لبشر أن يكلمه الله (عز وجل)»، أي ليس لأحد من البشر أن يكلمه الله «إلا» أن يوحى إليه «وحيًا» وهو داود أوحى في صدره فزبر الزبور «أو من وراء حجاب» أي ويكلمه من وراء حجاب وهو النبي موسى ﷺ «أو يرسل رسولا» وهو الملك جبرائيل ﷺ أرسل إلى محمد ﷺ؛ وقيل معناه ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا بمثل ما يكلم به عباده من الأمر بطاعته والنهي عن معاصيه وتنبيه إياهم على ذلك من جهة الخاطر أو المنام وما أشبه ذلك على سبيل الوحي وسماه وحيا لأن الوحي في اللغة ما جرى مجرى الإيحاء والتنبيه على الشيء من غير أن يفصح به «أو من وراء حجاب» وهو أن يحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه إلا من يريد أن يكلمه به نحو كلامه لنبي موسى ﷺ لأنه حجب ذلك عن جميع الخلق إلا عن النبي موسى ﷺ وحده، وفي المرة الثانية حجبه عن جميع الخلق إلا عن النبي موسى ﷺ والسبعين الذين كانوا معه، وقد يقال إنه حجب عنهم موضع الكلام الذي أقام الكلام فيه فلم يكونوا يدرون من أين يسمعون لأن الكلام عرض لا يقوم إلا في جسم. ولا يجوز أن يكون أراد بقوله أن الله (عز وجل) كان من وراء حجاب يكلم عباده؛ لأن الحجاب لا يجوز إلا على الأجسام المحدودة. وعنى بقوله «أو يرسل رسولا فيوحي بأذنه ما يشاء» إرساله ملائكته بكتبه وكلامه إلى أنبيائه ليلبغوا ذلك عنه عباده فهذا أيضا ضرب من الكلام



الذي يكلم الله (عز وجل) به عباده ويأمرهم فيه وينهاهم من غير أن يكلمهم على سبيل ما كلم به النبي موسى عليه السلام وهو خلاف الوحي الذي ذكر في أول الآية لأنه تنبيه خاطر وليس فيه إفصاح، عن أبي علي الجبائي. وقال الزجاج معناه أن كلام الله للبشر إما أن يكون بإلهام يلهمهم أو بكلام من وراء حجاب كما كلم النبي موسى عليه السلام أو برسالة ملك إليهم فيوحي ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن الله ما يشاء الله، «إنه علي» عن الإدراك بالأبصار؛ «حكيم» في جميع أفعاله، «وكذلك أوحينا إليك» أي مثل ما أوحينا إلى الأنبياء قبلك أوحينا إليك «روحاً من أمرنا»^(١٦).

فالذي سبقت الإشارة إليه أعلاه -إذن- يجعلنا أمام مجموعتين من الروايات المتعلقة بمسألة إنزال أول سورة أو أول آيات نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، المجموعة السنية الأولى تلك التي أصبحت هي السائدة والمهيمنة على تفكيرنا ومناهجنا وكتاباتها بشأن موضوع المبعث النبوي الشريف؛ وهي تلك التي عبرنا عنها بالرواية الزيرية وبقصة غار حراء وبضمنها رواية الزهري + وهب بن كيسان + عبيد بن عمر بن الخطاب باعتبار أن وهبا كان من موالي آل الزبير وأن عبيد بن عمر كان من صغار التابعين ولا يصلح أن يكون هو الحلقة الأساسية التي تروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، والواقع أنه بالفعل قد عوّل على رواية عروة + عائشة. تلك التي تقول إن الخمس آيات من سورة (اقرأ باسم ربك) هي الآيات الأولى التي أنزلها الله تعالى على رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.

والمجموعة السنية هذه هي التي وقفت قبالة المجموعة الثانية التي سلسلة سندها يرجع إلى أبي سلمة (عبد الله أو إسماعيل) بن عبد الرحمن بن عوف المتوفى سنة ٩٤ هجرية عن جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه)، وفي الوقت الذي توفي فيه الصحابي جابر الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه) الذي يمثل الحلقة النهائية للمجموعة وصولاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ٧٨ هجرية عن عمر يناهز ٩٤ سنة بمعنى أن أبا سلمة هو بالفعل كان من بين الذين رووا عن الصحابي جابر (رضوان الله تعالى

عليه) ولعله قد عاصر الصحابي، وأنه قد سأل الأنصاري في المدينة المنورة وهو في آخر عمره عن أول سورة أنزلها الله تعالى على النبي الكريم. والمعروف أن الصحابي جابر الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه) قد تفرّغ للجلوس في المسجد النبوي في المدينة المنورة يعلم الناس، وكان من المكثرين في رواية الحديث النبوي الشريف، فكانت له حلقة في المسجد يلتف حولها الناس ليسمعوا منه الحديث النبوي وليستفتونه. فضلا عن ذلك فإنه قام برحلة الى مكة المكرمة بغية التأكد من صحة أحاديث كان قد سمعها عن رسول الله ﷺ. وكان الصحابي مصدرا مهما إذ روى عنه كثير جدا من الرجال بحسب قائمة النووي في كتابه (تهذيب الأسماء واللغات)، والمزي في كتابه (تهذيب الكمال)، ومن بينهم أبو سلمة بن عبد الرحمن ووهب بن كيسان ويحيى بن أبي كثير وغيرهم. وهذه المجموعة السندية (الثانية) هي التي تروي أن آيات من سورة (يا أيها المدثر) هي السورة والآيات الأولى التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على رسوله الكريم^(١٧) وعلى الرغم من أن المجموعة السندية الثانية هي رواية غير زبيرية، وتعدّ نقيضا للرواية الزبيرية التي تنصّ على أن سورة العلق أو الخمس آيات منها هي الآيات الأولى التي نزلت عن طريق الملك جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ، غير أن الزهري بروايته عن طريق راويته عقيل بن خالد الأيلي (صاحب الزهري) الذي يعدّ هو الآخر من الرواة الشفاهيين الذين رووا عن الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه)، قد استثمر هذه السلسلة السندية في روايته التي خرّجها مسلم في صحيحه، تلك التي أدّت الى أن تنحرف رواية الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه) التي تؤشر الى أن سورة (يا أيها المدثر) قد سبقت سورة العلق في النزول وذلك بحسب الصيغة الآتية:-

”قَالَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ الْمُبَارَكِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَوَّلِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ،



قُلْتُ: يَقُولُونَ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، فَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ: سَأَلْتُ الصَّحَابِي جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ (رضوان الله تعالى عليه) عَنْ ذَلِكَ وَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ مَا قُلْتُ لِي فَقَالَ جَابِرٌ: لَا أُحَدِّثُكَ إِلَّا مَا حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «جَاوَزْتُ بِحِرَاءٍ فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي هَبَطْتُ فَنَوْدَيْتُ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرْ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ عَنْ شِمَالِي فَلَمْ أَرْ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ أَمَامِي فَلَمْ أَرْ شَيْئًا وَنَظَرْتُ خَلْفِي فَلَمْ أَرْ شَيْئًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ شَيْئًا، فَاتَّيْتُ السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقُلْتُ دَثُرُونِي وَصُوبُوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا - قَالَ - فَدَثُرُونِي وَصُوبُوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا - قَالَ - فَتَزَلْتُ يَا أَيُّهَا الْمَدَّثَرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبِّكَ فَكَبَّرَ» هَكَذَا سَأَلَهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ طَرِيقِ عُقَيْلٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: أَخْبَرَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ (رضوان الله تعالى عليه) أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: «فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي [يُلاحِظُ فِي النَّصِّ الْأَصْلِي لِرَوَايَةِ الصَّحَابِي جَابِرٍ (رضوان الله تعالى عليه) أَنَّهُ يَقُولُ: «جَاوَزْتُ بِحِرَاءٍ فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي هَبَطْتُ»، وَلَمْ يَقُلْ: فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي] إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصْرِي قَبْلَ السَّمَاءِ [هَاهُنَا أَيْضًا يَخَالِفُ الزَّهْرِيُّ نَصَّ تَعْبِيرِ الصَّحَابِي] فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ [وَلَمْ تَرِدْ هَذِهِ الْمُلَاحَظَةُ فِي تَعْبِيرِ الصَّحَابِي إِنَّمَا أَقْحَمَهَا الزَّهْرِيُّ] قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَجِثَّتْ مِنْهُ حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ، فَجِثْتُ إِلَى أَهْلِي فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فزَمِّلُونِي [فِي أَصْلِ الرِّوَايَةِ دَثُرُونِي وَلَيْسَ زَمِّلُونِي الَّتِي تُؤْشِرُ إِلَى نَزُولِ سُورَةِ الْمِزْمَلِ]، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى يَا أَيُّهَا الْمَدَّثَرُ قُمْ فَأَنْذِرْ - إِلَى - فَاهْجُرْ. قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: وَالرُّجْزُ الْأَوْتَانُ - ثُمَّ حَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ، هَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ، وَهَذَا السِّيَاقُ هُوَ الْمَحْفُوظُ وَهُوَ يَقْتَضِي أَنَّهُ قَدْ نَزَلَ الْوَحْيُ قَبْلَ هَذَا لِقَوْلِهِ: «إِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ» وَهُوَ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أَنَاءَهُ بِقَوْلِهِ: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، ثُمَّ إِنَّهُ حَصَلَ بَعْدَ هَذَا فِتْرَةٌ ثُمَّ نَزَلَ الْمَلِكُ بَعْدَ هَذَا.

وَوَجْهَ الْجَمْعِ أَنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ نَزَلَ بَعْدَ فِتْرَةِ الْوَحْيِ هَذِهِ السُّورَةُ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، حَدَّثَنَا عُقَيْلٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَقُولُ: أَخْبَرَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ (رضوان الله تعالى عليه) أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ثُمَّ فُتِرَ الْوَحْيُ عَنِّي فِتْرَةً [ملاحظة مهمة أقحمها الزهري وهي «ثم فتر الوحي» فليس في رواية الصحابي هذا النص] فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصْرِي قَبْلَ السَّمَاءِ فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحَرَاءٍ الْآنَ قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَجِثْتُ مِنْهُ فَرَقًا حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ، فَجِثْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ لَهُمْ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَمَزَمَلُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ثُمَّ حَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ. أَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ بِهِ^(١٨).

وليَّ ثمة ملاحظات على ما ورد في المجموعتين المشار إليهما أعلاه وكالآتي:-

لا شك أن ما تؤشر اليه المجموعة السندية الأولى قد احتلَّ المكانة الأولى والمرتبة الأسمى في عقليتنا ومناهجنا -كما ذكرنا- للتعبير عن الحقيقة بأن الآيات الخمس الأولى من سورة العلق هي الآيات التي نزلت في غار حراء على رسول الله ﷺ عن طريق الملك جبرئيل عليه السلام بشكل ضاغط مؤذٍ لرسول الله ﷺ حتى بلغ به الجهد، إذ غطَّه غطًا شديدًا ثلاث مرات. وهي بالفعل تتواءم وما درجت عليه قصة الغار بحسب هذه الرواية التي مرَّ ذكرها، وأقصد نزول الوحي والنبى ﷺ نائم وما قام به الملك جبرئيل عليه السلام من أنه «غطَّ الرسول ﷺ ثلاث مرات قائلًا: اقرأ»، وهذه المعلومة مقصورة على هذه الرواية فحسب ولم تذكر- أقصد ما قام به الملك من غطَّ النبي ثلاث مرات- في الروايات الأخرى التي رشحت سورًا أخرى بدلًا من سورة العلق أنها نزلت أولاً على النبي ﷺ نظير: (سورة المدثر) أو سورة (ن والقلم) أو سورة (الفاتحة) أو سورة (الضحى) أو سورة (المزمل). وهي الرواية التي اتفق عليها الرواة الشفاهيون عموماً: عروة بن الزبير وأخوه وابنه هشام بن عروة والموالون لعروة ولآل الزبير وابن عروة



الآخر عثمان وابن شهاب الزهري وغيره، وكانوا أيضاً من رواة السيرة، وله ابن ثالث هو عبد الله الذي يكنى به، كان راوية لرواية السيرة عن أبيه، وإن محمداً هو أيضاً قد روى عن أبيه هذه الرواية. أما عن غير أبناء عروة فهناك محمد بن جعفر وهو ابن أخ عروة بن الزبير، وجعفر بن الزبير أخو عروة وعباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير ويحيى بن عباد بن حمزة، كذلك علينا أن لا ننسى ذكر عبد الله بن الزبير ومصعب الزبيري عم الزبير بن بكار مؤلف الموفقيات الكتاب المعروف الذي تضمن أخباراً كثيرة عن السيرة، وهناك عمر بن عبد الله ابن أخي عروة، وعاصم بن المنذر بن الزبير وقد سمع عن عروة وروى عنه، وهناك المنذر بن عبيد الله بن المنذر بن الزبير الذي روى عن هشام بن عروة، ومن موالي آل الزبير نذكر وهب بن كيسان المعروف بوهب القرشي المدني المعلم، وقد روى عن أسماء بنت أبي بكر وروى أيضاً عن عروة، وإن هشاماً بن عروة قد روى عنه، وهناك يزيد بن رومان مولى عروة وروى عن عروة وعن عبد الله بن الزبير وروى عنه هشام بن عروة وليزيد أخ هو عبد الله بن رومان كان يروي عن عروة، وقد قدم محمد بن سعد في الطبقات الكبرى وصفاً عاماً لنفر من موالي آل الزبير في عدة أخبار تتعلق بالسيرة النبوية الشريفة^(١٩).

ومع ذلك فلم يظهر أي اختلاف جوهري بينهم جميعاً في متن الرواية وفي تفصيلاتها الدقيقة، وأعني المتمثل بالرواية الزبيرية. وملاحظتي على هذه الرواية تتركز على الآتي:-

- المتفق عليه في تاريخ المبعث النبوي الشريف - سواء كان في الروايات الزبيرية أم في الروايات غير الزبيرية - أن الملك جبرئيل عليه السلام بعد أن بشر النبي بالرسالة الإلهية أوعز له بالكتمان وأن لا يبدأ بالإعلان عنها، ولهذا فإن الدعوة أخذت مصطلحاً عند مؤلفي السيرة القدامى والمحدثين باسم الدعوة السرية وهي محصورة أولاً في بيت النبوة حصراً، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع زوجته والإمام علي عليه السلام ومولى النبي زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب يصلون في بيت الرسول أو في شعاب الجبال بعيداً عن أنظار

قريش. وورد أن الرسول ﷺ كان يصلي بعد أن يطوف بالكعبة على عادته المعتادة يومياً، وكان يقرأ ما تسير له من القرآن الكريم. فهنا كانت ردود فعل المشركين المكين على ما كان يقرأه ﷺ في الصلاة، فعُدّت حادثة أبي جهل هي أول هذه الردود القرشية، إذ أقسم بمعبوده الوثن فقال: «لئن رأيتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ لَأَطَّانَ عَلَى عُنْتِهِ، فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «لئن فعل لأخذته الملائكة»، فقال الله تعالى: (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى)، وهي آية نزلت في أبي جهل لعنه الله، إذ تَوَعَّدَ النَّبِيُّ ﷺ وهدده في الصَّلَاةِ عِنْدَ الْبَيْتِ فوعظه تَعَالَى بِالنَّبِيِّ هِيَ أَحْسَنُ أَوَّلًا فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى، أَيْ فَمَا ظَنُّكَ إِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي تَنْهَاهُ عَلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمَةِ فِي فَعْلِهِ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى، وَأَنْتَ تَزْجُرُهُ وَتَتَوَعَّدُهُ عَلَى صَلَاتِهِ» (٢٠). هنا نزل على النبي ﷺ عجز سورة العلق وهو: {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَاطِئٌ (٦) أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (١٤) كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (١٩)} (٢١). وهي آيات من الله تعالى ردًا على ما كان يهدف إليه أبو جهل المخزومي بتعذيب النبي. بمعنى آخر أن الآيات الخمس من سورة العلق كانت متأخرة في نزولها وبعد أن انتشرت أخبار النبي ﷺ، فكان المشركون حينما يمرّ بهم النب ﷺ يتهايمسون فيما بينهم أن «ابن عبد المطلب يكلم السماء»، أي ما أقصده أن أمر الدعوة للدين الجديد الإسلام كان في تلك المدة طيّ الكتمان.

• كذلك الحال بخصوص الآيات التي هي من سورة (يا أيها المدثر) فإن عجزها وهو: (فَإِذَا نَفَخَ فِي الْنَاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠) ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ



صَعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ... الخ
 الآيات الكريمة) فإن عجز السورة الكريمة يعدّ ردّا على ما كان المشركون من أهل مكة
 وبالأخص الوليد بن المغيرة المخزومي يتداولونه بخصوص ما كان النبي ﷺ يقرأه من
 آيات الذكر الحكيم في صلاته وفي دعوته، فصنع الوليد لقريش طعاما، فلما أكلوا، قال:
 ما تقولون في هذا الرجل؟ فقال بعضهم: ساحر، وقال بعضهم: ليس بساحر، وقال
 بعضهم: كاهن، وقال بعضهم: ليس بكاهن، وقال بعضهم: شاعر، وقال بعضهم:
 ليس بشاعر، وقال بعضهم: بل سحر يؤثر، فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر، فبلغ ذلك
 النبي ﷺ فحزن وقنع رأسه، وتذر، فأنزل الله: (يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ
 فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) (المدثر/
 ١-٧). والحقيقة أن سورة (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ *
 كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ) (النبا/ ١-٥) هي السورة الأكثر قربا لما دعى إليه
 الوليد بن المغيرة قومه الذين كانوا يتساءلون عن شأن الرسول ﷺ. كذلك فإن الآيات
 الخمس الأولى من سورة (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ
 لَكَ لَآجِرًا غَيْرَ مُمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ * فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ) (القلم/ ١-٥)،
 هي الأخرى مرشحة لأن تكون قد أنزلها الله تعالى للردّ على اتهامات الكفار من قريش
 وبضمنهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل وغيرهما. فالآيات الخمس من سورة المدثر
 والآيات الخمس من سورة (ن والقلم) كانتا ردّا من الله سبحانه وتعالى على ما قامت به
 قريش والكفار من أذى لرسول الله ﷺ، فضلا عن كونها أجوبة ربانية على الأوصاف
 التي توصلوا إليها وما توصل اليه الوليد بن المغيرة بعد أن (فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ
 قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا
 إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ) (المدثر/ ١٨-٢٥)، لأن الرسول الكريم ﷺ
 كان أشد ما يكرهه هو أن يسمع من قومه قريش أن تقول إنه ساحر أو مجنون في الوقت

الذي كانوا يعرفونه بالصادق والأمين.

• والملاحظة الأخرى في هذا الصدد هي في حديث ورد في صحيح البخاري برقم ٤٧٠٧ عن عائشة زوج رسول الله ﷺ حين سألتها عراقي سؤالا عن «أي الكفن خير؟»، فقالت له: وما يضرّك؟ ... ثم قالت: «إنما نزل أول ما نزل منه -أي القرآن الكريم- سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام»، وهو حديث بحسب قول السيوطي قد رَوَاهُ الشَّيْخَانِ عَنْ عَائِشَةَ (٢٢). وهو حديث يفيد جدا في الخطاب التمهيدي لبداية نزول القرآن الكريم، فالله سبحانه وتعالى إنما يقدّم ما كان عرب الجاهلية يغفلونه عن قدرة الخالق وعن الثواب وعن العقاب الذي سيحل بالذين ينكرون قدرة الله سبحانه وتعالى. ومن هنا اضطر جلال الدين السيوطي الى تبرير التناقض بين الروایتين، رواية عروة عن عائشة ورواية ابن عبد الله (رضوان الله تعالى عليه) بالقول: «وَقَدْ اسْتَشْكَلَ هَذَا بِأَنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ «اقْرَأْ» وَلَيْسَ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَأُجِيبَ بِأَنَّ مِنْ مَقْدَرِهِ أَيْ مِنْ أَوَّلِ مَا نَزَلَ وَالْمَرَادُ سُورَةُ الْمَدَّثَرِ فَإِنَّهَا أَوَّلُ مَا نَزَلَ بَعْدَ فِطْرَةِ الْوَحْيِ وَفِي آخِرِهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَلَعَلَّ آخِرَهَا نَزَلَ قَبْلَ نَزُولِ بَقِيَّةِ «اقْرَأْ»» (٢٣). وهو تبرير غير منطقي فكيف يكون عجز سورة المدثر الذي يتضمن الجنة والنار، وبالأخص الآية رقم ٣١ من سورة المدثر تنزل أولا قبل صدر السورة والتي جاء فيها: (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ) (المدثر/ ٣١). فمساءلة فيها إشكالية في الحقيقة وكما تخمنها وبررها السيوطي، ولذلك فإنه لم يكمل الفكرة إنَّها أوقف الاستشكال بهذا الرأي!. وواقعا فإن على السيوطي وغيره من العلماء أن يلتفتوا قليلا الى الرواية الأقرب من رسول الله ﷺ وأقصد رواية الإمام



عليّ عليه السلام؛ لأنه كان ملازماً للنبي صلى الله عليه وآله، إذ يروي مؤلف كتاب الخرائج والجرائح رواية عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال فيها: «كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج في بعض نواحيها، فما بقي شجر ولا حجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله» ^(٢٤). وإننا بعون الله تعالى سوف نقف على مضامين الرواية الشيعية حول هذا المطلب في أدناه.

إذن كما رأينا أعلاه أن رواية جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه) تعدّ دحضاً لما أكدته الرواية الزبيرية تلك التي تفيد بأن الآيات الخمس الأولى من سورة العلق هي الآيات الأولى التي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله. غير أن الطبري في روايته عدّ سورة (اقرأ باسم ربك) هي أول سورة أنزلت من القرآن الكريم فيقول: «كَانَ أَوَّلُ مَا نَزَلَ عَلَيَّ مِنَ الْقُرْآنِ بَعْدَ اقْرَأْ: «ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ. مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ»، و«يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ»، و«الضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى» ^(٢٥). وعلى هذا الأساس فرواية الطبري هذه قد أثارت -بحد ذاتها- إشكالية أخرى بها له علاقة بالسورة الأولى التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على النبي صلى الله عليه وآله إن كان هذا الإنزال قد حدث في غار حراء كالذي صورته الرواية الزبيرية عن عائشة أم في الوادي بعد أن استبطنه النبي صلى الله عليه وآله بعد نزوله من جبل النور وغار حراء كالذي صورته رواية الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه) أم بين شعاب الجبال بينما كان يرعى غنماً لعمه أبي طالب كما صورته رواية الإمام علي عليه السلام أم في أي مكان آخر. ومع هذا فإن هنالك أمراً مهماً جداً فيما يتعلق بأولئك العلماء الذين يرون بأن الآيات الخمس الأولى من سورة **الن والقلم وما يسطرون** (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (٥)؛ فهذه الآيات الخمس هي بالفعل آيات مكية على الرغم من أن هذه السورة قد عدّت مكية - مدنية، وهي بحسب أقوال المفسرين والمؤرخين تتنافس مع الآيات الخمس الأولى من سورة العلق في الأسبقية. فبعضهم يراها أنها هي



التي كانت أول ما نزل من القرآن الكريم على الرسول ﷺ ؛ ولذلك فقد رجحت عائشة بأن هذه السورة قد نزلت على النبي في مكة وبعد سورة العلق المكية مباشرة ؛ في حين يرى آخرون أنها نزلت قبل سورة العلق ولاسيما الآيات الخمس الأولى منها ^(٢٦) .

ويعقب السيوطي على هذا القول مبينا فيه موقفه قائلا: «وَعِنْدِي أَنَّ هَذَا لَا يُعَدُّ قَوْلًا بِرَأْسِهِ فَإِنَّهُ مِنْ ضَرُورَةِ نُزُولِ السُّورَةِ نُزُولُ الْبَسْمَلَةِ مَعَهَا فَهِيَ أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ عَلَى الْإِطْلَاقِ». وَوَرَدَ فِي أَوَّلِ مَا نَزَلَ حَدِيثٌ آخَرُ: رَوَى الشَّيْخَانِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ سُورَةٌ مِنَ الْمَفْصَلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ. وَقَدْ اسْتَشْكَلَ هَذَا بِأَنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ (اقْرَأْ) وَلَيْسَ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَأُجِيبَ بِأَنَّ مِنْ مَقْدَرِهِ أَيُّ مِنْ أَوَّلِ مَا نَزَلَ وَالْمَرَادُ سُورَةُ الْمَدَّثَرِ فَإِنَّهَا أَوَّلُ مَا نَزَلَ بَعْدَ فِتْرَةِ الْوَحْيِ وَفِي آخِرِهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَلَعَلَّ آخِرَهَا نَزَلَ قَبْلَ نُزُولِ بَقِيَّةِ (اقْرَأْ)» ^(٢٧) .

[أقول إن الآية المرقمة ٣٢ من سورة المدثر فيها ذكر للنار فيقول الله العلي القدير: (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ). وأقول أيضا إن المتفق عليه عند المؤرخين وعند مفسري القرآن الكريم أن رواية الصحابي جابر بن عبد الله (رضوان الله تعالى عليه) بخصوص نزول الآيات الخمس الأولى من سورة المدثر فقط ولم تذكر السورة كاملة، لهذا فإن ذكر النار لم يكن ضمن الآيات الخمس الأولى إنما جاء ذكرها متأخرا]. انتهى تعليق الباحث.

وينتهي السيوطي من عرض هذه الآراء، آراء العلماء والرواة الشفاهيين المختلفة بشأن الآيات الأولى التي أنزلها الله تعالى على نبينا الكريم، وذلك بذكره قائمة بتسلسل سور القرآن الكريم، معتمدا على ما ذكره أبو بكر محمد بن الحارث بن أبيص في جزئه



المَشْهُورِ وعلى وفق التسلسل التاريخي وهي :- وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِيصَ فِي جُزْئِهِ الْمَشْهُورِ: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَعْيَنَ الْبَغْدَادِيُّ حَدَّثَنَا حَسَّانُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْكَرْمَانِيُّ حَدَّثَنَا أُمَيَّةُ الْأَزْدِيُّ عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: أَوَّلُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْقُرْآنِ بِمَكَّةَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ} ثُمَّ: {ن وَالْقَلَمِ} ثُمَّ: {يَا أَيُّهَا الْمَرْمُلُ} ثُمَّ: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِرُ} ثُمَّ: {الْفَاتِحَةِ} ثُمَّ: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ وَتَبَّ) إلخ سور القرآن الكريم المذكورة في كتاب (الإيتقان) (٢٨) .

وهي لوحة قابلة للجدل والمناقشة أيضاً، فسورة (ن والقلم وما يسطرون) كما لاحظنا أعلاه هي سورة مكية - مدنية غير أن الآيات الخمس الأولى منها قد نزلت بحسب الروايات بعد لقاء رسول ﷺ بورقة بن نوفل، وبحسب رواية ابن كثير إذ يقول «بعد أن سألت السيدة خديجة ﷺ ورقة عن أمر زوجها: وَقَدْ صَدَقْتُكَ عَنْهُ، فَأَرْسَلِي إِلَى ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَسْأَلُهُ، وَأَسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ وَأُحَدِّثْهُ؛ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ الْمَلِكِ جَبْرِيلَ ﷺ؛ فَإِنَّ بَعْضَ الشَّيَاطِينِ يَتَشَبَّهُ بِهِ لِيُضِلَّ بِهِ بَعْضَ بَنِي آدَمَ، وَيُفْسِدُهُمْ حَتَّى يَصِيرَ الرَّجُلُ بَعْدَ الْعَقْلِ الرَّضِيِّ مُدْهَمًا مَجْنُونًا. فَقَامَتْ مِنْ عِنْدِهِ وَهِيَ وَاثِقَةٌ بِاللَّهِ أَنْ لَا يَفْعَلَ بِصَاحِبِهَا إِلَّا خَيْرًا، فَجَعَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَتْهُ بِمَا قَالَ وَرَقَةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ)» (٢٩)، وإن سورة المزمّل إنما نزلت بعد سورة المدثر لا قبلها وكان المقصود بها النبي ﷺ. واختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف الله به نبيه ﷺ في هذه السورة من التزمّل، فقال بعضهم: وصفه بأنه متمزّل في ثيابه، متأهب للصلاة. وكما نعلم أن الملك جبرئيل ﷺ قد علّم النبي الصلاة ركعتين ركعتين وذلك يقتضي القيام بها قبل التزمّل، إذ يقول الله سبحانه وتعالى في سورة المزمّل: {لَقَدْ لُمْنَا لَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نَصَفَهُ أَوْ انْقَصَ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَتَلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥)}. من ذلك يمكننا القول إن سورة المدثر قد سبقت في نزولها سورة المزمّل. وحول هذا الموضوع المهم يتداخل الالوسي في كتابه (روح المعاني)



مستشهدا بالجدال الذي كان موجودا بين العلماء المسلمين في هذا الصدد فيقول: «وروى أمية الأزدی عن جابر بن زید وهو من علماء التابعین بالقرآن أن المدثر نزلت عقب المزل وأخرج ابن الضريس عن ابن عباس وجعلوا ذلك من أسباب وضعها بعدها والظاهر ضعف هذا القول فقد أخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وجماعة عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن فقال: يا أيها المدثر، قلت: يقولون اقرأ باسم ربك الذي خلق فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه) عن ذلك وقلت له مثل ما قلت فقال جابر (رضوان الله تعالى عليه): لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ قال: «جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئا ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا ونظرت خلفي فلم أر شيئا فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجئته منه رعبا فرجعت فقلت دثروني فدثروني فنزلت (يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) ». ولهذا السبب يقول الألوسي: «ولو كانت يا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ هي النازلة قبل فيها لذكرت نعم ظاهر هذا الخبر يقتضي أن يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ نزل قبل اقرأ باسم ربك والمروي في الصحيحين وغيرهما عن عائشة أن ذاك أول ما نزل من قرآن وهو الذي ذهب إليه أكثر الأمة حتى قال بعضهم هو الصحيح، ولصحة الخبرين احتاجوا للجواب فنقل في الإتيان خمسة أجوبة الأول أن السؤال في حديث جابر الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه) كان عن نزول سورة كاملة فيين أن سورة المدثر نزلت بكمالها سورة المدثر قبل تمام سورة اقرأ فإن أول ما نزل منها صدرها، الثاني أن مراد جابر (رضوان الله تعالى عليه) بالأولية أولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي لا أولية مطلقة، الثالث أن المراد أولية مخصوصة بالأمر بالإنذار، وعبر بعضهم عن هذا بقوله أول ما نزل للنبوة اقرأ باسم ربك وأول ما نزل للرسالة يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، الرابع أن المراد أول ما نزل بسبب متقدم وهو ما وقع من التدثر الناشئ عن الرعب وأما اقرأ



فنزلت ابتداء بغير سبب متقدم، الخامس أن جابر استخرج ذلك باجتهاده وليس هو من روايته فيقدم عليه ما روت عائشة، ثم قال: وأحسن هذه الأجوبة الأول والأخير انتهى وفيه نظر فتأمل ولا تغفل»^(٣٠).

وكذلك اختلف علماء التفسير والتاريخ بخصوص سورة (الفاتحة)، إذ يرى بعضهم أنها أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ، ولقد لخص الطنطاوي في كتابه الوسيط ما ذكر بهذا الشأن فقال: «وما ورد من أحاديث تفيد أن أول سورة نزلت هي «سورة الفاتحة» فمحمول على أن أول سورة نزلت كاملة هي سورة الفاتحة. كذلك ما ورد من أحاديث في أن أول ما نزل سورة المدثر، محمول على أن أول ما نزل بعد فترة الوحي. أما صدر سورة العلق فكان نزوله قبل ذلك. قال الألوسي -بعد أن ساق الأحاديث التي وردت في ذلك-: «وبالجملة فالصحيح -كما قال بعض وهو الذي اختاره- أن صدر هذه السورة الكريمة، هو أول ما نزل من القرآن على الإطلاق. وفي شرح مسلم: الصواب أن أول ما نزل «اقرأ» أي: مطلقاً، وأول ما نزل بعد فترة الوحي «يا أيها المدثر»، وأما قول من قال من المفسرين: أول ما نزل الفاتحة، فبطلانه أظهر من أن يذكر». وعلى هذا الأساس فإن الطنطاوي يستنتج قائلاً: «والذي نرجحه ونميل إليه أن أول ما نزل من القرآن على الإطلاق، هو صدر هذه السورة الكريمة إلى قوله: (مَا لَمْ يَعْلَمْ)، لورود الأحاديث الصحيحة بذلك. أما بقيتها فكان نزوله متأخراً»^(٣١). ومن بين المؤرخين الذين خاضوا في هذا الجدل ابن الأثير في تاريخه الكامل فقال: «إن أول ما نزل عليه من القرآن بعد (اقرأ) و(ن والقلم وما يسطرون) و(يا أيها المدثر)، (والضحى)»^(٣٢).

إذن، كما رأينا أعلاه أن رواية جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه) في واقع الحال -تعدّ دحضاً لما أكدته الرواية الزبيرية التي تفيد بأن الآيات الخمس الأولى من سورة العلق هي الآيات الأولى التي نزلت على رسول الله ﷺ. غير أن الطبري قد أورد الرواية الزبيرية بصيغة أخرى وحذف منها مسألة ما قام به الملك جبرئيل عليه السلام



لما أمر الرسول بأن يقرأ..... الخ الرواية. فرواية الطبري التي استندت الى النعمان بن راشد وهو يحدث عن ابن شهاب الزهري وعن عروة عن عائشة، فالعهدة -إذن- على النعمان بن راشد. وإن النعمان بن راشد الجزري الرقي، مولى بني أمية، روى عن عبيد الله بن مسلم أخي الزهري وكذلك روى عن ابن شهاب الزهري، ووصف بأنه كان ضعيف الحديث وعاش في: الجزيرة والرقعة وهو يعدّ من الطبقة السادسة. قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عنه، فقال: مضطرب الحديث، روى أحاديث مناكير. أدخله البخاري في كتاب «الضعفاء». وقيل إنه كان سيء الحفظ وقال النسائي: ضعيف، كثير الغلط. وقال في موضع آخر: أحاديثه مقلوبة (٣٣). ويروي النعمان بن راشد قصة غار حراء على الوفق الآتي :

«فَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَثْمَانَ الْمَعْرُوفُ بِأَبِي الْجَوْزَاءِ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ رَاشِدٍ، يُحَدِّثُ عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ أَوَّلُ مَا ابْتَدَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ، كَانَتْ تَجِيءُ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَانَ بَغَارَ بَحْرَاءِ يَتَحَنَّنُ فِيهِ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ، فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى فَجَاءَهُ الْحَقُّ، فَاتَّاهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَجَثَوْتُ لِرُكْبَتَيَّ وَأَنَا قَائِمٌ، ثُمَّ زَحَفْتُ تَرْجُفُ بَوَادِرِي، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي! حَتَّى ذَهَبَ عَنِّي الرَّوْعُ، ثُمَّ أَتَانِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ: فَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَطْرَحَ نَفْسِي مِنْ حَالِقِ مَنْ جَبَلَ، فَتَبَدَّى لِي حِينَ هَمَمْتُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنَا الْمَلِكُ جَبْرِيلُ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَتَّنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ قَالَ: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ»، فَقَرَأْتُ فَاتَّيْتُ السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقُلْتُ: لَقَدْ أَشْفَقْتُ عَلَى نَفْسِي، فَأَخْبَرْتَهَا خَبْرِي، فَقَالَتْ: أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، وَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، وَتَحْمِلُ الْكُلَّ وَتُقْرِئُ الضَّيْفَ،



وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ثُمَّ انْطَلَقْتُ بِي إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدٍ، قَالَتْ: اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَسَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ خَبْرِي، فَقَالَ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ، لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ! لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ! قُلْتُ: أَخْرِجِيْ هُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّهُ لَمْ يَجِيءَ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَلَئِنْ أَدْرَكَنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ كَانَ أَوَّلُ مَا نَزَلَ عَلَيَّ مِنَ الْقُرْآنِ بَعْدَ اقْرَأْ: «ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ فَسَتُبْصِرُ يُبْصِرُونَ»، و«يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ قُمْ فَأَنْذِرْ»، و«وَالضُّحَى وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى». حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ، أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ ثُمَّ ذَكَرَتْ نَحْوَهُ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ: ثُمَّ كَانَ أَوَّلُ مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ مِنَ الْقُرْآنِ. فَأَهْمِيَةِ هَذِهِ الرِّوَايَةِ تَكْمُنُ فِي أَنَّهَا أَغْفَلَتِ الْكَثِيرَ مِنَ التَّفْصِيلَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ بِشَأْنِ نَزُولِ سُورَةِ (الْعَلَقِ) كَمَا ذَكَرْنَاهَا سَابِقًا، فَضِلَّا عَنْ كَوْنِهَا جَعَلَتْ سُورَةَ (الْمَدَّثِرِ) قَدْ نَزَلَتْ بَعْدَ إِنْزَالِ سُورَةِ (ن وَالْقَلَمِ) ^(٣٤).

من هذا كله أقول إن المؤرخين ومفسري القرآن الكريم من السنّة قد أجمعوا على صحة الرواية الزبيرية بسندها عن ابن شهاب الزهري + عروة بن الزبير + عائشة زوج النبي ﷺ بخصوص نزول السورة الأولى من الله سبحانه وتعالى على نبينا محمد ﷺ، وأقصد الآيات الخمس الأولى من سورة العلق؛ في الوقت الذي سعوا فيه إلى تضعيف رواية الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه)، وذلك بجعلها السورة الثالثة أو الرابعة بعد نزول سورة (ن والقلم) وسورة (المزمل) وسورة (الضحى). على الرغم من أن موقف الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه) عندما جُوبِهَ باستفسار من السائل الذي وجه إليه سؤالاً عن أول سورة نزلت على الرسول فكان رده (يا أيها المدثر) فما كان من السائل سوى أن يعقب بشأن سورة اقرأ كونها أول سورة، فأجابه إنها كذلك، أي سورة (يا أيها المدثر) كما سمعها من



رسول الله ﷺ، بمعنى أنه سمعها من الحلقة الأصلية والأساسية باعتباره صحابيا وكان معاصرا للنبي ﷺ وحاضرا معه في غزواته وشاهدا وسامعا لأحاديثه ﷺ. ولكن عددا من المؤرخين والمفسرين بهدف الدفاع عن رواية عائشة وجعلها هي الرواية المهيمنة والسائدة اتخذوا موقفا توفيقيا لما ذكرته عائشة من أن الرسول كان غاطا في نومه عندما جاءه الملك جبريل عليه السلام وبين ما ذكرته رواية الصحابي جابر الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه) من أن النبي ﷺ كان واعيا بكامل وعيه تماما إذ قال ﷺ لجابر (رضوان الله تعالى عليه) ما نصّه: «إِنِّي جَاوَرْتُ بِحِرَاءَ فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي نَزَلْتُ فَاسْتَبَطَنْتُ الْوَادِي فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا هُوَ يَغْنِي الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخَذَنِي رَجْفَةً ... إلخ».

وحقيقة الأمر فإن جميع ما تقدم من مناقشة للاختلاف والجدل بشأن السور القرآنية النازلة على النبي ﷺ إنّما مصدرها الأول والأخير هو الرواة الشفاهيون الذين نقلوا الرواية وأوصلوها الى المؤرخين ومفسي القرآن الكريم من السنّة، وإن جميع هؤلاء الرواة قد اعتمدوا الرواية التي كانت حلقة وصلها الأساسية بالنبي هي زوجته عائشة. وكان هذا بعد أن وافاه ﷺ الأجل وبعد استقرارها في المدينة المنورة وسعيها الحثيث لأن تكون هي المدرسة والمصدر الأساس، وربما الوحيد، لرواية وتدوين أحاديث رسول الله ﷺ، تلك المدرسة التي كان فيها عروة بن الزبير التلميذ الأساس والمهم جدا بالنسبة الى راعيتها عائشة إذ كانت تلقنه أحاديث السيرة النبوية تلقينا وتحفظه إياها تحفيظا؛ فروايتها شفاهية وحفظتها شفاها الى عروة ثم دوّنت.

ولم يشذّ أحد من هؤلاء الرواة الشفاهيين الزبيرين والموالين لآل الزبير والمؤرخين والمفسرين في التقليد واتباع المنهجية نفسها، ولم يخطر ببالهم أن يعتمدوا ويبحثوا عن حلقة أخرى توصلهم بنبي الأمة محمد ﷺ غير عائشة، تلك الحلقة الأساسية في دروسنا عن السيرة النبوية.



وواقعاً فإن هؤلاء لم يحاولوا ولو لمرة واحدة أن يعتمدوا على الآخر، سواء كان هذا الآخر هو من أقارب النبي ﷺ أم من الصحابة الأجلاء الآخرين، وهم كثر ناهيك عن كونهم ممن صرح رسول الله ﷺ بمعرفتهم وبعلمهم في القرآن الكريم وفي الفتيا وممن كان على مقربة منه وممن سمع وشهد ورأى وحفظ الكثير من أقواله وأحاديثه وشماله وتجاربه ﷺ. ولناخذ مثلاً فريداً من بينهم ولم يستطيعوا تغييبه أو دحضه كالذي عملوه مع رواية الصحابي الجليل القدر جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه)، إنه سيد التابعين سعيد بن المسيب المخزومي، وهو عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه بحسب ترجمة شمس الدين الذهبي، وهو الذي قال عنه علي بن المديني: «لا أعلم في التابعين أحداً أوسع علماً من ابن المسيب، وهو عندي أجل التابعين»، وكانت لأبيه صحبة وممن حضر بيعة الشجرة. ولسعيد بن المسيب رواية عن نزول الوحي تخالف ما جاءت به الرواية الزبيرية وقد أوردها ابن كثير في كتابه البداية والنهاية بخصوص لقاء الملك جبرئيل عليه السلام برسول الله ﷺ في غار حراء وسندها يعتمد موسى بن عقبة [أبو محمد موسى بن عقبة بن أبي عياش القرشي مولاهم، المولود في المدينة المنورة وبها توفي سنة ١٤١ هجرية، عالم بالسير والمغازي، ومن ثقات رجال الحديث ومؤلف كتاب المغازي (٣٥)]. وقد راجعنا كتاب (المغازي) لموسى بن عقبة نفسه للتأكد من صحة النقل، (والكتاب المحقق لموسى بن عقبة هو مجموعة رواياته جمعها ودرسها وخرّجها الأستاذ محمد باقشيش أبو مالك، في المغرب وطبع في سنة ١٩٩٤). ورواياته بصفة عامة قد اعتمدت الرواية الزبيرية؛ لأنه -واقعاً- من موالي آل الزبير، أما من موالي الزبير بن العوام أو عبد الله بن الزبير. وكانت روايته بحسب ابن كثير كالآتي:-

«وَقَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ وَكَانَ فِيمَا بَلَّغْنَا أَوَّلَ مَا رَأَى يَعْني رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرَاهُ رُؤْيَا فِي الْمَنَامِ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ فَذَكَرَهَا لِامْرَأَتِهِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَعَصَمَهَا اللَّهُ عَنِ التَّكْذِيبِ وَشَرَحَ صَدْرَهَا لِلتَّصْديقِ فَقَالَتْ



أَبَشَرَ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَصْنَعْ بِكَ إِلَّا خَيْرًا ثُمَّ إِنَّهُ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا فَأَخْبَرَهَا أَنَّهُ رَأَى بَطْنَهُ شَقَّ ثُمَّ غَسَلَ وَطَهَّرَ ثُمَّ أُعِيدَ كَمَا كَانَ قَالَتْ هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ فَأَبَشَرَ ثُمَّ اسْتَعْلَنَ لَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عليه السلام وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ فَأَجْلَسَهُ عَلَى مَجْلِسٍ كَرِيمٍ مُعْجَبٌ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ أَجْلَسَنِي عَلَى بَسَاطِ كَهَيْئَةِ الدُّرُنُوكِ فِيهِ الْيَاقُوتُ وَاللُّؤْلُؤُ فَبَشَرَهُ بِرِسَالَةِ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) حَتَّى أَطْمَأَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عليه السلام اقْرَأْ فَقَالَ كَيْفَ اقْرَأْ فَقَالَ: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ». قَالَ وَيَزْعُمُ نَاسٌ أَنَّ «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ» أَوَّلُ سُورَةِ نَزَلَتْ عَلَيْهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. قَالَ فَقَبِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رِسَالَةَ رَبِّهِ وَاتَّبَعَ مَا جَاءَهُ بِهِ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عليه السلام مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَلَمَّا انْصَرَفَ مُتَقَلِّبًا إِلَى بَيْتِهِ جَعَلَ لَا يُمْرُ عَلَى شَجَرٍ وَلَا حَجَرٍ إِلَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا مُوقِنًا أَنَّهُ قَدْ رَأَى أَمْرًا عَظِيمًا فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رضي الله عنها قَالَ أَرَأَيْتَ كَيْفَ كُنْتُ حَدَّثْتُكَ أَنِّي رَأَيْتُهُ فِي الْمَنَامِ فَإِنَّهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عليه السلام اسْتَعْلَنَ إِلَيَّ أَرْسَلَهُ إِلَيَّ رَبِّي (عَزَّ وَجَلَّ) وَأَخْبَرَهَا بِالَّذِي جَاءَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا سَمِعَ مِنْهُ فَقَالَتْ أَبَشَرَ فَوَاللَّهِ لَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِكَ إِلَّا خَيْرًا وَاقْبَلِ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ حَقٌّ وَأَبَشِرْ فَإِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا». فالرواية كالذي يظهر منها تخلو من التفصيلات غير الواقعية التي اشتملت عليها الرواية الشائعة رواية الزهري + عروة + عائشة؛ وبالأخص الدور المهيمن لورقة بن نوفل الأسدي، فضلا عن ما أظهرته من عوامل الفزع والخوف والنزوع الى الانتحار من أعالي الجبال الشواهد (٣٦).

من هنا أريد التأكيد على أن التعصب لرواية شفاهية واحدة دون غيرها أمر فيه مبالغة كبيرة، فضلا عن كونها مؤذية لسيرة سيد المرسلين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن الحري بالناقل لهذه الرواية سواء كان من الرواة الشفاهيين أم من المدونين لها أن يعتمدوا على رواية أخرى الى جنبها لغرض التأكد والتأكيد لا أكثر ولا أقل، فنحن لم نهدف أبدا الى الطعن في هذه الرواية أو تلك، ولا تكذيب هذا الراوي أو تضعيف هذا المدون أو ذاك، إنما هو



مسعى للبحث عن حقيقة ما كان من حدث تاريخي يعدّ من أهم الأحداث في تاريخنا الإسلامي ألا وهو المبعث النبوي الشريف واللقاء الروحاني بين الله (جلّ وعلا) عن طريق الوحي الإلهي في تبليغ نبينا ﷺ رسالة السماء حيث اتخذ الله تعالى رسولا للبشرية جمعاء. فالذي أبغى من عرضه هنا أنه ينبغي البحث عن مصدر آخر خارج سياق قصة غار حراء التي قبلها كل من المؤرخين ومفسري القرآن الكريم.

وعلى الرغم ممّا عمله معاوية في محاربته رواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؛ غير أن الحقّ دوما يكشف الباطل، فقد بقيت هناك رواية يرجع سندها الى الإمام علي عليه السلام الذي كان بحسب الرواية الشيعية ملازما لرسول الله ﷺ، ومن المحتمل جدا أنه كان برفقته ﷺ وهو يرعى غنما لعمه أبي طالب عليه السلام. وإن الإمام علي عليه السلام هو الذي قدّم روايته التي تختلف عن الرواية الزبيرية ورواية الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه)، وإن كانت أقرب الى رواية الصحابي جابر (رضوان الله تعالى عليه) التي تشير الى أن رسول الله ﷺ تلقى الوحي الإلهي عندما استبطن الوادي وبعد نزوله من غار حراء، وكذا كانت رواية الإمام علي عليه السلام بحسب الرواية الشيعية؛ فإنه ﷺ رأى شخصا بينما كان يرعى الغنم بين شعاب الجبال، كما سيأتي ذكره بشكل أكثر تفصيلا أدناه.

والمهم في هذه الرواية للإمام علي عليه السلام أن الملك جبرئيل عليه السلام أنزل عليه آية من سورة الأنعام تشتمل على خمس وصايا من الله تعالى للمجتمع، مجتمع الرسول ﷺ، تؤشر الى ما يهدف اليه الدين الجديد من عملية جدية في تغيير العادات والتقاليد السيئة التي كانت متفشية بين عرب الجاهلية، من دون أن يتعرض الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الى آلهتهم والى ما كان يعبدون من أوثان، إذ تؤشر هذه الآية (رقم ١٥١) الى (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطْنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)، وهذه الوصايا تعدّ من



الناحية التاريخية تجسيدا لما كان سائدا عند عرب الجاهلية، فالله تعالى يهدف من ورائها الى أن الدين الجديد يبدأ بالقضاء على هذه العادات المتأصلة في نفوس عرب الجاهلية، ويهدف الى بناء مجتمع جديد بعلاقات جديدة بين بعضهم بعضاً. ففي رواية الإمام علي عليه السلام إن هذه الآية الكريمة هي أول ما أنزله الله تعالى عن طريق الملك جبرئيل عليه السلام على رسوله الكريم صلى الله عليه وآله ثم علمه في حينها الطهارة والوضوء والصلاة ركعتين ركعتين. والرواية الشيعية التي غيَّبها المؤرخون ومفسرو القرآن الكريم من أهل السنة هي الأخرى تعبّر عن الحالة التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وآله عندما جاءه الوحي الإلهي، فقد كان مطمئنا لما قاله الملك جبرئيل عليه السلام، وإنه بعد مغادرة الملك عاد رسول الله صلى الله عليه وآله الى غنمه التي كانت لعمه أبي طالب عليه السلام. ثم عاد الى زوجته مطمئنا ومسرورا، مشيرا الى أن الملك الذي كان يأتيه في المنام منذ أن كان عمره سبعا وثلاثين سنة قد جاءه ذلك النهار وأبلغه بأن الله سبحانه وتعالى قد اختاره رسولا.

واللافت للنظر أن الروايات الشفاهية السابقة جميعها قد غيبت روايات أو أحاديث لمن هو قريب جداً من رسول الله صلى الله عليه وآله وأول رجل آمن برسالة السماء وأول رجل صلى الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن علمها الملك جبرئيل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله. فالتفق عليه أن السيدة خديجة عليها السلام وعلي بن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليه) قد صلّوا خلف رسول الله صلى الله عليه وآله الصلاة ركعتين ركعتين كما علمها إياه جبرئيل عليه السلام. ذلك هو الإمام علي عليه السلام الذي ارتبط برسول الله صلى الله عليه وآله ارتباطاً أخوياً وثيقاً ضمن عائلته صلى الله عليه وآله، وفي جميع مراحل مسيرة الدعوة الإسلامية في مكة والمدينة، وأسهم في جميع أعمال الرسول صلى الله عليه وآله وغزواته عدا واحدة، وكان كاتباً للوحي وواحداً من أهل الفتيا والفقه ومن حفظة القرآن الكريم وزوج ابنته السيدة فاطمة الزهراء (صلوات الله وسلامه عليه). وكان شاهداً على كثير من حالات نزول الوحي، وقربه الروحي والشخصي لأنه زوج السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وأم الحسن والحسين عليهما السلام سيدي شباب أهل الجنة ابنيه اللذين عدّهما



رسول الله ﷺ بمثابة أبنائه؛ وغيرها كثير من الخصائص والخصال التي تؤهله لأن يروي رواية موضوعية وموثوقة عن مبعث الرسول ﷺ والوحي ونزول القرآن. لكن شيئاً من هذا كله لم يترك أثراً عند المؤرخين ومفكري القرآن الكريم من أهل السنة، فالإعلام الإسلامي بعد وفاة رسول الله ﷺ لم يهتم برواية الإمام عليٍّ (عليه السلام) والسلطة السياسية والمجتمع الإسلامي لم يُفد كثيراً من تجاربه ووعيه وعلمه وحكمته وحسن تدبيره للأمور، ولا سيما عدالته مع نفسه ومع عائلته ومع الشؤون العامة السياسية والدينية والاجتماعية والعسكرية، ولم ينتفع من علمه وحفظه للقرآن الكريم شفاهاً وكتابةً، فإنه أول من نسخ المصحف الذي سلّمه إياه رسول الله ﷺ قبيل موته. مع كل الأسف على كلّ ما فات في عصره وعلى ما نحن فيه في أمورنا المعاصرة. هذا هو ديدن المجتمعات التي تلبس دوماً لباس الرياء والدجل والاحتيال، وتمتكت السليم والصحيح، وتمتكت العدل والمساواة بين البشر، إنها طبيعة الإنسان البائس المتعصب والكاره والفاقد. ألم يكن خالد بن عبد الله القسري أمير العراقيين لهشام بن عبد الملك، وولي مكة قبل ذلك للوليد بن عبد الملك، ثم لسليمان إنموذجاً حقيقياً لتفكير المجتمع؟ مجتمع الرياء والمقت والكراهية. إذ إنه -أي خالد- حينما طلب من الزهري أن يكتب له كتاباً في السيرة النبوية، ردّ الزهري مستفهماً وإن كان لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) دور فيها، فأجاب بسرعة وببديهة اللؤماء والمنبوذين: «إلا أن تجده في قعر الجحيم»! لكن شاءت الحياة أن ينظمر خالد ومن على شاكلته -وكانوا كثر- في قعر الجحيم ويبقى الإمام عليٍّ (عليه السلام) مرجعاً للإسلام الحنيف ومركزاً بحدّ ذاته للإشعاع العلمي والديني. ومع كل الأسف أن يتلف المجتمع الإسلامي وبالأخص سلطته السياسية على الرواية التي سمّاها معاوية بن أبي سفيان رواية أبي تراب، أي رواية الإمام عليٍّ (عليه السلام)، فلم يبق منها شيء مهم عدا ما أورده أبان بن عثمان البجلي الأحمر وهو من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) والذي كتب كتاباً بخمسة أجزاء عن السيرة النبوية الشريفة، لكن مع كل الأسف أيضاً فقد ضاع



هذا الكتاب الضخم والمهم أو ضُيِّعَ من قبل العباسيين قتلة الأئمة الأطهار عليهم السلام، حتى لم يبق منه سوى روايات اعتمدها يعقوبي في تاريخه والشيخ الطبرسي في كتابه (إعلام الوري) وغيره من المؤلفين ومفسري القرآن الكريم من الشيعة.

والحقيقة أن هناك روايات شيعية تبين أن الإمام علياً عليه السلام كان مع ابن عمه رسول الله يريغان الغنم في شعاب الجبال حينما رأى النبي صلى الله عليه وآله شخصاً يناديه باسمه فسأله النبي من يكون فأجابه الشخص بأنه الملك جبرئيل وبأن الله أرسله له ليتخذة رسولا. فيروي الإمام عليه السلام في رواية أوردها البيهقي في كتابه (دلائل النبوة) وسندها الآتي: - أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال حدثنا أبو محمد بن أحمد بن عبد الله المزني قال حدثنا يوسف بن موسى قال حدثنا عباد بن يعقوب قال حدثنا يوسف بن أبي ثور عن السدي عن عباد بن عبد الله [هو عباد بن عبد الله الأسدي الكوفي] عن علي عليه السلام قال: «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة فخرج في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال له: السلام عليك يا رسول الله» ^(٣٧). وروى الشيخ الطبرسي رواية أخرى عن طريق أبي الحسين بن بشران عن محمد بن العلاء عن السدي عن عباد قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: «لقد رأيته أدخل معه -يعني مع النبي صلى الله عليه وآله - الوادي فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله، وأنا أسمع» ^(٣٨). فهذه الروايات القليلة قد استخدمت في كتاب دلائل النبوة حول موضوع واحد لكنه مهم جداً، إذ إنه أعقب عملية نزول الوحي وتقبل رسول الله صلى الله عليه وآله رسالة الباري عز وجل في الوادي، وإنه على أثر منصرفه عائداً إلى منزله لاحظ أن الحجر والشجر كانت تحييه بتحية السلام عليك يا رسول الله. فمن المؤكد أن الإمام قد نقل رواية الوحي كما حدّثه بها رسول الله صلى الله عليه وآله شخصياً، وربما كان الإمام برفقته آنذاك، غير أن مثل هذه الروايات قد غابت أو أُلْتُفِت فلم تصلنا مع الأسف الشديد.



ويقدم لنا أحمد بن واضح اليعقوبي المتوفى سنة ٢٩٢هـ / ٩٠٤م - الذي كانت ميوله شيعية - رواية لم تذكر في المؤلفات التاريخية والتفسيرية السنّية بشأن المبعث النبوي جاء فيها: «وبعث رسول الله ﷺ لما استكمل أربعين سنة، فكان مبعثه في شهر ربيع الأول، وقيل في شهر رمضان، ومن شهور العجم في شباط. وكانت سنته التي بعث فيها سنة قرآن في الدلو. قال ما شاء الله الحاسب: كان طالع السنة التي بعث فيها رسول الله ﷺ وهو القرآن الثالث من قرآن مولده السنبله أربع درجات، والقمر في الميزان سبع عشرة درجة، والمريخ من الطالع في السنبله ثلاث عشرة درجة راجعاً، والمشتري في الخامس في الجدي إحدى وعشرين درجة، وزحل في الدلو في السادس في تسع درجات حدّ الزهرة في الحوت، والشمس في الثامن في الحمل دقيقة، وعطارد في الحمل أربع عشرة درجة، وحدّ مدخل السنة منذ أول يوم دخلت فيه الشمس. وقال الخوارزمي: كانت الشمس يومئذ في الدلو أربعاً وعشرين درجة وخمس عشرة دقيقة، والقمر في السرطان سبع عشرة درجة، وزحل في الدلو تسع عشرة درجة، والمشتري اثنتي عشرة درجة، والمريخ في الحوت خمس عشرة درجة وثلاثين دقيقة، والزهرة في الحمل إحدى عشرة درجة، وعطارد في الدلو ثلاثاً وعشرين درجة وكان الملك جبريل عليه السلام يظهر له فيكلمه. وربما ناداه من السماء ومن الشجرة ومن الجبل فيذعر من ذلك رسول الله ﷺ، ثم قال له: أن ربك يأمرك أن تجتنب الرجس من الأوثان، فكان أول أمره. فكان رسول الله ﷺ يأتي السيدة خديجة ابنة خويلد رضي الله عنها ويقول لها ما سمع وتكلم به. فتقول له: استريا بن عم، فوالله إني لأرجو أن يصنع الله بك خيراً. وأتاه الملك جبريل عليه السلام ليلة السبت وليلة الأحد ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين، وقال بعضهم يوم الخميس، وقال من رواه عن جعفر بن محمد [يفهم من اليعقوبي هاهنا أن للإمام الصادق عليه السلام رواية بشأن المبعث النبوي] يوم الجمعة لعشر بقين من شهر رمضان ولذلك جعله عيداً للمسلمين وعلى الملك جبريل عليه السلام جبة سندس وأخرج له درنوكاً من درانيك الجنة فأجلسه عليه وأعلمه



أنه رسول الله ﷺ وأبلغه عن الله وعلمه: اقرأ باسم ربك الذي خلق. وأتاه من غد وهو متدثر، فقال يا أيها المدثر قم فأنذر. وقال رسول الله ﷺ: أول ما نهاني عنه جبريل عليه السلام بعد عبادة الأصنام ملاحاة الرجال. وروى بعضهم أن إسرئيل عليه السلام وكل به ثلاث سنين وأن جبريل عليه السلام وكل به عشرين سنة^(٣٩). إلا أن يعقوبي لم يذكر سلسلة إسناد، وعلى الأرجح إنه اقتبسها من كتاب أبان بن عثمان البجلي الأحمري، فقد أسند روايته الى من رواها عن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام من دون أن يذكر اسمه، ولكنه كان أبان بن عثمان البجلي الأحمر المتوفى في الربع الأخير من القرن الثاني للهجرة. وكان أبان هذا من رواة أحاديث الأئمة ولا سيما الصادق عليه السلام، فكان من أصحابه ونقل الكثير من الروايات عنه إما مباشرة وإما عن طريق شيوخه الآخرين^(٤٠).

وقد اعتمد العلماء الشيعة رواية مخالفة تماماً للرواية الزبيرية كالتي تقدم ذكرها في تاريخ يعقوبي، فالعالم علي بن إبراهيم بن هاشم القمي المتوفى سنة ٣٢٩ هجرية، وهو راوية وفقيه ومفسر شيعي له التفسير المشهور بـ(تفسير القمي)، والذي يعدّ من أشهر رواة الشيعة وأبرزهم روى رواية المبعث النبوي الشريف بحسب الآتي:

فذكر علي بن إبراهيم «أن النبي ﷺ لما أتى له سبع وثلاثون سنة كان يرى في نومه كأن أتيا أتاه فيقول: يا رسول الله. وكان بين الجبال يرعى غنما فنظر الى شخص يقول له: يا رسول الله، فقال له: من أنت؟ قال: أنا جبرئيل، أرسلني الله ليتخذك رسولا. وكان رسول الله ﷺ يكتّم ذلك فأنزل جبرئيل عليه السلام بهاء من السماء فقال: يا محمد فتوضأ، فعلمه جبرئيل الوضوء على الوجه واليدين من المرفق ومسح الرأس والرجلين الى الكعبين وعلمه الركوع والسجود، فدخل الإمام علي عليه السلام الى رسول الله ﷺ وهو يصلي. وهذا لما تم له ﷺ أربعون سنة فلما نظر إليه يصلي قال: يا أبا القاسم ما هذا؟ قال: هذه الصلاة التي أمرني الله (عز وجل) بها، فدعاه الى الإسلام فأسلم وصلى معه وأسلمت السيدة خديجة رضي الله عنها، فكان لا يصلي رسول الله ﷺ إلا وعلي عليه السلام والسيدة خديجة رضي الله عنهما خلفه فلما أتى



لذلك أيام دخل أبو طالب (عليه السلام) الى منزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومعه جعفر فنظر الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلي بجنبه يصليان فقال لجعفر: يا جعفر صل جناح ابن عمك، فوقف جعفر بن أبي طالب من الجانب الآخر، ثم خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) الى بعض أسواق العرب فرأى زيدا فاشتره للسيدة خديجة (عليها السلام) ووجده غلاما كيسا فلما تزوجها وهبته له، فلما نبئ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أسلم زيد أيضا فكان يصلي خلف رسول الله (صلى الله عليه وآله) علي وجعفر وزيد والسيدة خديجة (عليها السلام)» (٤١)

ولم يكشف القمي عن مصدر معلومته تلك لكنه يعدّ من أجل الرواة الشيعة. وهناك رواية مماثلة أيضا رواها يحيى بن الحسين الزيدي وردت في كتاب تيسير المطالب في أمالي أبي طالب لمؤلفه يحيى بن الحسين الزيدي المتوفى سنة ٤٢٤ هجرية يرجع سندها بالحلقة النهائية الى الإمام علي (عليه السلام) جاءت عن طريق أبان بن عثمان البجلي الأحمر أو الأحمري في كتابه الضائع (السيرة النبوية) وهي كالآتي: - أبان بن عثمان عن محمد بن مروان الذهلي عن محمد بن سنان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه عن الإمام علي (عليه السلام). فحلقتها النهائية عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عن أبيه الإمام الباقر عن جده الإمام زين العابدين عن الإمام علي (عليه السلام) قال: «تراءى لرسول الله (صلى الله عليه وآله) جبريل (عليه السلام) بأعلى الوادي وعليه جبة من سندس، فأخرج له درنوكا من درانيك الجنة فأجلسه عليه، ثم أخبره أنه رسول الله، وأمره بما أراد أن يأمره به، فلما أراد جبرئيل (عليه السلام) أن يقوم أخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بطرف ثوبه قال له: ما اسمك؟ قال: أنا جبرئيل، فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلحق بالغنم فما مرّ بشجرة ولا مدرّة إلّا سلمت عليه وقالت: السلام عليك يا رسول الله، وكان يرعى غنما لأبي طالب عمه» (٤٢).

وللتأكيد فقد ذكر الفقيه المحدث والمفسر قطب الدين بن هبة الدين الراوندي المتوفى سنة ٥٧٣ هجرية في كتابه (الخرائج والجرائح) (وهو من محدثي ومفسي ومتكلمي وفقهاء وفلاسفة ومؤرخي الشيعة في القرن السادس الهجري. كما أنه كان من تلامذة



الشيخ الطوسي صاحب تفسير مجمع البيان، وله مؤلفات عديدة أشهرها كتاب الخرائج والجرائح، ويعدّ ابن شهر آشوب المازندراني والشيخ منتخب الدين الرازي من أبرز تلامذته)، ففي باب معجزات رسول الله ﷺ ينقل حديثاً عن الإمام الصادق عليه السلام جاء فيه: «قال الصادق عليه السلام نشأ رسول الله ﷺ في حجر أبي طالب عليه السلام حتى إذا بلغ قريبا من العشرين سنة قال: يا عمّ إني أرى في المنام رجلا يأتيني ومعه آخر فيقولان: هو هو، فإذا بلغ فشأنك به والرجل لا يتكلم، ثم قال: يا عمّ إني قد رأيت الرجل -الذي كنت أراه في المنام- قد ظهر لي. فانطلق به أبو طالب الى عالم كان بوادي مكة يتطبّب، فصوّب الرجل في بصره وصعد، وأخبره رسول الله ﷺ بما يرى. فقال الطيب: يا بن عبد مناف إن لابن أخيك شأنًا، إنّما هذا الذي يجد ابن أخيك الناموس [الأكبر] الذي يجده الأنبياء» (٤٣).

ومن المناسب ذكره هاهنا أن الصالحى الشامي المتوفى سنة ٩٤٢ هجرية في كتابه المتعدد الأجزاء الموسوم بـ(سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد) قد أورد رواية لم يتردد ذكرها في المؤلفات التاريخية والتفسيرية لأهل السنّة معتمدا في هذه الرواية على عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم المتوفى سنة ١٣٥ هـ؛ وعبد الله بن أبي بكر من الرواة الأوائل الذين اهتموا برواية الأحاديث المتعلقة بالسير والمغازي، حتى عدّه الذهبي أنه من أصحاب المغازي. لقد كانت تلك الأحاديث التي جمعها عبد الله بن أبي بكر النواة التي اعتمد عليها بعد ذلك كُتّاب السيرة النبوية الشريفة، وقد نقل عبد الله هذه الأحاديث عن زوجته فاطمة بنت عمار عن خالة أبيه عمرة بنت عبد الرحمن عن زوجة النبي ﷺ عائشة بنت أبي بكر، ونقلها عنه ابن إسحاق والواقدي وابن سعد والطبري، وشملت أخباراً تتعلق ببداية حياة النبي محمد ﷺ، ووفود القبائل عليه وأخبار حروب الردة. ونصّ الرواية -عند الصالحى- التي تهّم هذه المسألة هو: «أن أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة -وفي رواية: الصادقة- في النوم، فكان لا



يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، فرأى وهو بمكة أن آتياً أتاه ومعه صاحبان له فنظروا إليه فقالوا: هو هو ولم يأن له بعد. فهاله ذلك وذكره لعمه فقال: يا بن أخي ليس بشيء، حلمت. ثم رجع إليه بعد ذلك فقال: يا عم سطا بي الرجل الذي ذكرت لك فأدخل يده في جوفي حتى أجد بردها. فخرج به عمه إلى رجل من أهل الكتاب يتطبب بمكة فحدثه حديثه وقال عاجله فصوب به وصعد وكشف عن قدميه ونظر بين كتفيه وقال: يا عبد مناف ابنك هذا طيب طيب، للخير فيه علامات، إن ظفرت به يهود قتلتها، وليس الرئي من الشيطان ولكنه من النواميس الذين يتحسسون القلوب للنبوة. فرجع به»^(٤٤). ولعل راوية هذه الرواية قد أخذها من مصدر أو رواية مغايرة للرواية الزبيرية لكونها تتشابه في فحواها مع رواية قطب الدين الراوندي الشيعي.

ومن معجزات رسول الله ﷺ بحسب كتاب الخرائج والجرائح «أن جبرئيل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة، فغمز [وفي رواية أخرى فهمز] بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت عين، فتوضأ ليريه كيف وضوء الصلاة، ثم تطهر رسول الله ﷺ، ثم صلى جبرئيل عليه السلام وصلى رسول الله ﷺ، وإنها الظهر، فهي أول صلاة فرضت. فرجع رسول الله ﷺ إلى السيدة خديجة عليها السلام فأخبرها، فتوضأت وصلّت»^(٤٥).

ومنها -أي من معجزاته ﷺ- أن الإمام أبا عبد الله الصادق عليه السلام قال: «لما بلغ رسول الله ﷺ أربعين سنة قال: سمعت صوتاً من السماء: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبرئيل، ولما تراءى له جبرئيل بأعلى الوادي، وعليه جبة سندس، أخرج درنوكاً من درانيك الجنة، وأجلسه عليه، وأخبره أنه رسول الله، وأمره بما أراد، ثم قال: أنا جبرئيل، وقام، فلحق محمد ﷺ بالغنم، وكان يرعى غنم عمّه أبي طالب عليه السلام. قال: فما من شجرة ولا مدرّة إلا سلّمت عليّ وهنأتني»^(٤٦).



وروى مؤلف الخرائج والجرائح رواية عن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال فيها: «كنت مع رسول الله ﷺ فخرج في بعض نواحيها، فما بقي شجر ولا حجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله» ^(٤٧).

وجاء في كتاب الطبرسي أن «الملك جبرئيل عليه السلام نزل على أجياد أصفر والنبي ﷺ بين الإمام علي وجعفر عليهما السلام، فجلس الملك جبرئيل عليه السلام عند رأسه والملك ميكائيل عليه السلام عند رجله ولم ينبهاه إعظاما له، فقال الملك ميكائيل عليه السلام: إلى أيهم بعثت؟ قال: إلى الأوسط، فلما انتبه أدى إليه الملك جبرئيل عليه السلام الرسالة عن الله تعالى، فلما نهض الملك جبرئيل عليه السلام ليقوم أخذ رسول الله ﷺ بثوبه، ثم قال: ما اسمك؟ قال: أنا جبرئيل، ثم نهض النبي ﷺ، ليلحق بقومه، فما مرّ بشجرة ولا مدرّة إلا سلمت عليه وهنأته، ثم كان الملك جبرئيل عليه السلام يأتيه ولا يدنو منه إلا بعد أن يستأذن عليه، فأتاه يوما وهو بأعلى مكة، فغمز بعقبه بناحية الوادي، فانفجرت عين فتوضأ الملك جبرئيل عليه السلام وتطهر الرسول ﷺ ثم صلى الظهر، وهي أول صلاة فرضها الله تعالى، وصلى أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام مع النبي ﷺ، ورجع رسول الله ﷺ من يومه إلى السيدة خديجة عليها السلام، فأخبرها فتوضأت وصلت صلاة العصر من ذلك اليوم» ^(٤٨).

والأكثر أهمية هو ما رواه القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشيلي المالكي المتوفى سنة ٥٤٣ هـ من رواية نادرة بشأن الآيات الأولى التي نزلت على رسول الله ﷺ في كتابه (أحكام القرآن). ففي تعقيبه على سورة العلق قال ما نصّه: «الْقَوْلُ: فِي أَوَّلِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَفِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ: الْأَوَّلُ: هَذِهِ السُّورَةُ؛ قَالَتْهُ عَائِشَةُ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ، وَغَيْرُهُمْ. الثَّانِي: أَنَّهُ نَزَلَ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ)؛ قَالَهُ جَابِرُ الْأَنْصَارِيِّ (رضوان الله تعالى عليه). الثَّالِثُ: قَالَ أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ) [الأنعام: ١٥١]. والرَّابِعُ قَالَ أَبُو مَيْسَرَةَ الْهَمْدَانِيُّ: أَوَّلُ مَا نَزَلَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ» ^(٤٩).



إذن فالروايات الشيعية المذكورة أعلاه لا بدّ أنها قد أشارت الى أن الملك جبرئيل عليه السلام قد أنزل على رسول الله ﷺ آيات من الذكر الحكيم وهو يعلمه أن الله سبحانه وتعالى قد اختاره رسولاً وقبل أن يعلمه الصلاة؛ وأن هذه الآيات هي من سورة الأنعام التي تبين وصايا الله سبحانه وتعالى في دعوة الرسول الناس للإسلام، وهي الآيات: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطْنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمُ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)؛ وقد أكد ما قاله ابن عربي القرطبي في كتابه (الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان) في تفسيره لسورة العلق والآراء المختلفة بين العلماء حول السورة الأولى التي نزلت على رسول الله ﷺ فقال ما نصّه: «قوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذي خلق) هذه السورة أول ما نزل من القرآن في قول معظم المفسرين، نزل بها جبرئيل عليه السلام على النبي ﷺ وهو قائم على حراء، فعلمه خمس آيات من هذه السورة. وقيل: إن أول ما نزل (يا أيها المدثر)؛ قاله جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه)، وقد تقدم. وقيل: فاتحة الكتاب أول ما نزل؛ قاله أبو ميسرة الهمداني. وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: أول ما نزل من القرآن (قل تعالوا أتْل ما حَرَّمَ رَبِّكُمْ عَلَيْكُمْ) (الأنعام/ ١٥١). والصحيح الأول، قالت عائشة: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة» (٥٠).

فهاتان الروايتان على الرغم من أهميتهما في إبراز الاختلاف والجدل بين العلماء حول هذه المسألة المهمة جداً في سيرة النبي ﷺ، لكنهما لم يكشفوا عن مصادر معلوماتها ولعلها كانت مصادر شيعية. والسؤال المهم الذي تثيره هاتان الروايتان هو لماذا لم تذكر الروايات الشيعية السابقة الذكر في أعلاه وروايات العلماء من أهل السنة ما هي الآية التي أنزلها الله سبحانه وتعالى بحسب رواية الإمام علي عليه السلام في الوقت الذي تمّ ذكر ذلك عند المفسرين من أهل الأندلس؟.



الحقيقة أن الروايات الشيعية المتقدمة لا تؤثر الى الآية أو الآيات التي علمها أو أنزلها الملك جبرئيل عندما أبلغ رسول الله ﷺ بأن الله قد اختاره رسولا وهو يفرش درنوكا من درانيك الجنة لرسول الله ﷺ، ولعلها قد أغفلت ذلك أو أن مؤلفي تلك الكتب التي نوهنا عنها لم يشيروا الى الآية تلك ربما بحجة خشيتهم أن يؤثر ذلك على الرواية السائدة والمهيمنة ألا وهي الرواية الزبيرية التي تقول بنزول الآيات الخمس الأولى من سورة العلق وإنما الآيات الأولى التي نزلها الله سبحانه وتعالى على رسوله الكريم محمد ﷺ. مع ذلك فإن هذين التفسيرين لا يبرران أبدا عدم ذكر المؤرخين والمفسرين الشيعة والسنة للآية من سورة الأنعام التي تتضمن وصايا مهمة من الله سبحانه وتعالى بخصوص الممارسات والعادات السيئة التي كانت مستشرية وسائدة في المجتمع، مجتمع المشركين المكيين والمجتمع الجاهلي بشكل عام. في الوقت الذي شخص فيه القرطبي والقاضي ابن العربي المعافري الأشيلي المالكي قول الإمام علي عليه السلام بأن الملك جبرئيل عليه السلام أنزل على رسول الله ﷺ الوصايا الخمس التي تضمنتها الآية رقم ١٥١ من سورة الأنعام.

ومن المؤسف جدا أن يقلد المؤلفون العرب والمستشرقون ما كتبه الرواة والعلماء من أهل السنة وما رواه الرواة من الذين هم عباسيون في أدائهم وفي رواياتهم ومن لم يطلعوا أو لم يحاولوا أن يعرفوا أو يتعرفوا على روايات الأئمة من أهل البيت الذين يعدون أقرب الى أحداث ورواية سيرة سيد الأنام وهم عليه السلام يعتمدون كليا بحسب السلسلة الذهبية على الإمام علي عليه السلام عن ابن عمه رسول الله ﷺ، وعلى الآثار والمؤلفات وتفسير القرآن الشيعية بخصوص موضوع السيرة النبوية الشريفة على وجه التحديد، والباحث يعتقد أن هذه المصادر الأساسية تختلف عن تلك، وهي تقدّم معلومات جديدة لا يذكرها رواة أهل العامة ورواة السلطة الأموية نظير عروة بن الزبير أو بالأحرى الرواة الزبيريين عموما والزهري وغيرهم؛ وذلك لأنها مصادر قد استقت معلوماتها من أئمة



أهل البيت الأطهار عليهم السلام على وفق السلسلة الذهبية عن الإمام علي عليه السلام وصولاً إلى جدّهم المصطفى محمد عليه السلام. فهناك من الرواة والمصادر التي سبقت عروة بن الزبير في رواية السيرة النبوية زماناً ومكاناً وقرباً للإمام علي عليه السلام وهو الإمام زين العابدين السجاد عليه السلام، إذ ذكر أنه قال: «كُنَّا نَعْلَمُ مغازي النبي عليه السلام وسراياه كما نَعْلَمُ السورة من القرآن»^(٥١). وكان للإمامين الباقر وابنه الإمام الصادق عليهما السلام الكثير من الأحاديث والروايات عن السيرة النبوية الشريفة^(٥٢). وللأصبغ بن نباتة المتوفى في النصف الثاني من القرن الأول الهجري وابنه كتب وروايات عن السيرة^(٥٣). وروايات كتاب سليم بن قيس الهلالي المتوفى سنة ٧٦ هجرية، (سليم بن قيس الهلالي العامري له كتاب بعنوان السقيفة في القرن الأول للهجرة، وقد وثق في عهد الإمام الصادق عليه السلام وهو كتاب محقق ومطبوع). وروايات جابر بن يزيد الجعفي (جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي الكوفي، كان من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، توفي سنة ١٢٨ هجرية). وروايات المؤرخ معاوية بن عمار الدهني المتوفى سنة ١٣٣ هجرية، وذكر أبو جعفر الطوسي: ذكر بعض ثقات العامة أنّ كتب الواقدي سائرهما إنّما هي كتب إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى، نقلها الواقدي^(٥٤)، وكتاب أبان بن عثمان الجعفي الأحمر المتوفى حوالي ١٧٠ هجرية، وكتاب مبعث النبي من تأليف عبد الله بن ميمون القدّاح وكان من رواة الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام؛ جميع هذه المؤلفات وغيرها كثير قد حذفت من مؤلفات السيرة، وهم من الرواة الشيعة الذين كانوا من تلامذة وأتباع الإمام الباقر عليه السلام؛ وكثير غيرهم ممّن لم ينالوا شيئاً من الذكر في المؤلفات السنيّة لمجرد أنهم كانوا رافضة بحسب مصطلح أهل السنة المجحف، ولأنهم يعتمدون رواية أهل البيت التي لا تضاهيها أية رواية أخرى من الروايات التي هيمنت على تدوين رواية السيرة النبوية.

فمن بين الأمور المهمة التي حرّفتها الرواية الزبيرية ما له علاقة بصفات رسول الله عليه السلام تلك التي ساعد المحرفون والمستشرقون على دعمها وإذاعتها ونشرها، أود





أن أشير الى قصة بحيرا الراهب والى قصة أخرى تؤثر الى أنه ﷺ أراد أن يحتفل في حفلة صاخبة مع شباب مكة قبل أن يبعث ﷺ. والقصتان سجلهما ابن هشام في تهذيبه والطبري في تاريخه، والسؤال الكبير أإنهما روايتان من تأليف ابن هشام والطبري أم إنهما قد اعتمدا فيهما على ثمة رواية؟! فعند دراستنا وتحليلنا للروايتين نجدهما قد جاءتا من الرواية الزبيرية ومن موالي عروة، وهذه ومثيلاتها قد أقحمت من قبل الأمويين ورواتهم في سيرة النبي، وهي مضرة جدا بسيرة سيد المرسلين ﷺ، وإلا كيف نفهم من أن النبي ﷺ وبحسب رواية بحيرا كان منذ طفولته قد اختير من قبل العناية الإلهية وبين أن يشاطر شباب قومه في ليلتين من الليالي الصاخبة؟! تلك الليالي التي أطلق عليها المستشرق الأمريكي الدكتور فريد دونر Fred M. Donner في كتاب ترجمته الى اللغة العربية موسومة بـ «الروايات السردية عن الأصول الإسلامية: - بدايات الكتابة التاريخية الإسلامية» بالجملة الآتية *carousing in Mecca to spend the night* وكلمة *carousing* تعني احتفالاً صاخباً يسرف فيه بشرب الخمر. غير أن الرواية التي أوردها الطبري من دون أن يتفحص سلسلة سندها كانت كالآتي: كان رسول الله ﷺ يكره كشف العورة قبل البعثة، وسمع وهو صغير من دار من دور مكة غناء وصوت دفوف في حفلة زواج فحضره ونام فما أيقظه إلا حر الشمس. فليلاحظ القارئ كيف تحوّر الموضوع الى قضية أخلاقية يتهم فيها رسول الله ﷺ بشرب الخمر؛ فمن هو المسؤول عن ذلك؟ إنه الطبري والإسناد الذي اعتمده من غير تبصر ولا روية، وكان عليه أن يعلق على ذلك الموضوع أو يفنده ويفند مزاعم راويته، لكنه كان مجرد ناقل لا أكثر ولا أقل شأنه شأن موقفه أيضاً من قصة بحيرا الراهب التي حدثت قبل بعثة النبي ﷺ الميمونة.

وينظر تحليل الحادثة عند المستشرق كستر Kister، في دراسته «كيس من اللحم A Bag of Meat»، إذ يقول: «وعلى الرغم من الجهود الثقيلة والمرهقة في التنقيح تنقيح

الروايات، فيمكن للمرء أن يدرك حقيقة أن محمداً - قبل دعوته - كان قد قدم الأضاحي للأصنام الوثنية»، وهاهنا لا بدّ من القول إن المستشرق قد أخذ يعيد الأفكار نفسها التي ذهب إليها الكتّاب الكَنسيون في العصور الوسطى، فالمصدر الوحيد غير الموضوعي الذي اعتمد عليه كستر وغيره من المستشرقين هو كتاب الأصنام لابن الكلبي؛ وقد درس المؤلفون العرب والمسلمون هذه الرواية وسندها وبينوا معايها. لهذا فلن أقف على تفنيد الرأي، وكنت أحسب أن المستشرق دونر الذي بدأ بداية علمية في الموقف من رأي (جون ونزبوروغ) أن يقف محملاً لهذه الروايات الطاعنة بشخصية الرسول وإن صدرت من ابن الكلبي الذي كان من بين مصادر الطبري أو حتى من الطبري، لأنه كان مجرد جَماع للروايات وكيفما اتفق، بناءً على قوله الذي سبق أن أتينا عليه مراراً^(٥٥).



هوامش الفصل الثاني:

(١) الإتيان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م، جزء ١، ص ٩١-٩٦.

(٢) م. ن. جزء ١، ص ٩١-٩٥.

(٣) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هجرية، ص ٥٩٧؛ التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة: الأولى، جزء ١، ص ١١-١٢.

(٤) ينظر: السيوطي؛ الإتيان، جزء ١، ص ١٠١-١٠٣.

(٥) أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (المتوفى: ٤٣٨هـ)، المحقق: إبراهيم رمضان، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص ١١٣-١١٤.

(٦) م. ن. ص ٣٥.

(٧) قام الأستاذ محمد مصطفى الأعظمي بجمع أخبار المغازي، وبادر مكتب التربية العربي لطبعه مستقلاً في سنة ١٤٠١ هجرية / ١٩٨١م، كذلك الحالة مع كتاب المغازي النبوية لابن شهاب الزهري التي قام الدكتور سهيل زكار بطبعها بشكل مستقل في دمشق في دار الفكر المعاصر في سنة ١٤٠١ هجرية / ١٩٨١م.

(٨) ينظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٤، ص ٢٥٨؛ المزي: تهذيب الكمال، ج ٢، ص ٢١.

(٩) ينظر: ناجي، عبد الجبار: نقد الرواية التاريخية، ١٢٤-١٣٢.

(١٠) المقدمة، تحقيق: الدكتور سهيل زكار، ص ٣١-٣٢.

(١١) تاريخ دمشق لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م، جزء ٤٠، ص ٢٤٩.

(١٢) م. ن.

(١٣) الأخبار الموقفيات للزبير بن بكار، الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكي (المتوفى: ٢٥٦هـ)، تحقيق: سامي مكي العاني، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص ٣٣٢.

(١٤) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين بن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر:



- مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، (رقم ١٧٣)، جزء ٢، ص ١٧.
- (١٥) ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق: دكتور بشار معروف، جزء ٢، ص ٢١.
- (١٦) مجمع البيان، الطبرسي، ج ٩، ص ٦٣ - ٦٥. التبيان في تفسير غريب القرآن، أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين بن الهائم (المتوفى: ٨١٥ هـ)، المحقق: د. ضاحي عبد الباقي محمد، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ، جزء ٩، ص ٦٣ - ٦٥.
- (١٧) ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، جزء ١، ص ٤٩٢؛ المزي، تهذيب الكمال، رقم الحديث ٨٧١، جزء ٤، ص ٤٤٣ - ٤٥٤.
- (١٨) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ، جزء ١، صفحة ٧؛ الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار، المؤلف: الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكي (المتوفى: ٢٥٦ هـ)، تحقيق: سامي مكي العاني، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، ص ٣٣٢؛ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المؤلف: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين بن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢ هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠، (رقم ١٧٣) جزء ٢، ص ١٧.
- (١٩) ينظر: الطبقات، جزء ٣، ص ١٠٢ - ١٠٣، ج ٥، ص ١٧٥؛ طبقات خليفة بن خياط، تحقيق: د. سهيل زكار، ص ٩٠، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٦٥، كذلك تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: د. سهيل زكار، بيروت، ١٤١٤ هـ، ص ٩٥، ١٠٣، ٢١٥؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق: دكتور بشار معروف، جزء ٢، ص ٢١.
- (٢٠) ينظر: كتاب السير والمغازي، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر، ١٩٧٨، ص ٢٣؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي ييضمون، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ، جزء ٨، ص ٢٧٢؛ الكامل في ضعفاء الرجال لأبي أحمد بن عدي الجرجاني (المتوفى: ٣٦٥ هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة، الناشر: الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ج ٢، ص ١٩١.
- (٢١) السير والمغازي، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر، ١٩٧٨، ص ٢٣؛ الخرائج والجرائح، قطب الدين بن سعد بن هبة الله الراوندي، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام)، الطبعة: الأولى،



- ١٤٠٩هـ، جزء ١، ص ٤٦.
- (٢٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ، جزء ٨، ص ٢٧٢ ؛ ابن عدي: الكامل، ج ٢، ص ١٩١.
- (٢٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جزء ٨، ص ٤١٠ ؛ ينظر: الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن، طبعة جديدة منقحة الطبعة الأولى، طبعة دار المرتضى، بيروت، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، جزء ١٠، ص ٢٩٣ - ٢٩٤.
- (٢٤) ينظر: الخرائج والجرائح، قطب الدين بن سعد بن هبة الله الراوندي، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ، جزء ١، ص ٤٦.
- (٢٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت، الطبعة: الثانية، جزء ٢، ص ٢٩٩.
- (٢٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جزء ٨، ص ٢٠٤ ؛ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، جزء ١٥، ص ٣٩٩ - ٤٠٠ ؛ جلال الدين السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م، جزء ١، صفحة ٩١ الى صفحة ٩٧.
- (٢٧) السيوطي، الإتيقان، جزء ١، ص ٩٦.
- (٢٨) م. ن. ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، جزء ٤، ص ٣٦.
- (٢٩) السيوطي، الإتيقان، جزء ١، ص ٩٦ - ٩٨.
- (٣٠) ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، جزء ١٥، ص ١٢٨.
- (٣١) تفسير الطنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، جزء ١٥، ص ٤٥٣.
- (٣٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، جزء ١، ص ٦٤٩.
- (٣٣) ينظر: المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (رقم ٦٤٤٠)، جزء ٢٩، ص ٤٤٥ - ٤٥٠ ؛ ينظر: المعجم الصغير لرواة الإمام الطبري، الشيخ أكرم بن محمد الأثري، (رقم الترجمة ٤٦٧١).
- (٣٤) الطبري، تاريخ، جزء ٢، ص ٢٩٨ - ٢٩٩.



(٣٥) ينظر ترجمته العجلي، معرفة الثقات، ج ٢، ص ٣٠٥. البستي، مشاهير علماء الأمصار، ص ٨٠.
(٣٦) أحاديث منتخبة من مغازي موسى بن عقبة، المؤلف: موسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدي بالولاء، أبو محمد، مولى آل الزبير (المتوفى: ١٤١هـ)، انتخاب: يوسف بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة المتوفى: ٧٨٩هـ، المحقق: مشهور حسن سلمان، الناشر: مؤسسة الريان، دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، ١٩٩١م.

(٣٧) ينظر: الشيخ أبو الفضل بن الحسن الطبرسي: إعلام الوري بأعلام الهدى، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، جزء ١، ص ١٠٤.
(٣٨) م. ن. والصفحة نفسها.

(٣٩) ينظر: تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ج ٢، ص ٢٢-٢٣.
(٤٠) ينظر: الشيخ الطوسي، الأمالي، طبعة أولى، مطبعة دار الثقافة، رقم ١٤١٤هـ، بالفهرست طبعة أولى ١٤١٧، مؤسسة النشر الإسلامي، ص ٥٩؛ العلامة الحلي: خلاصة الأقوال، طبعة ثانية، ١٣٨١، المطبعة الحيدرية، النجف، ص ٧٤، جعفریان، رسول: سيرة سيد الأنبياء والمرسلين، نقله الى العربية علي هاشم الأسدي، مشهد، ص ٩٢-٩٣؛ وله أيضاً (إعداد) المبعث والمغازي والوفاة والسقيفة والردة لأبان بن عثمان الأحمر، طبعة أولى، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، قم ١٤١٧، ص ٤٢-٤٣، ٤٠.

(٤١) ينظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الوري بأعلام الهدى، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، ص ٥٣؛ ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، تحقيق وفهرسة: دكتور يوسف البقاعي، الجزء الأول، الطبعة الثانية، ١٩٩١م، دار الأضواء، جزء ١، ص ٧١؛ المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الكتاب السادس: تاريخ نبينا وأحواله ﷺ، قم المقدسة، ١٣٨٨ هجرية، ص ٦٤٨.

(٤٢) ينظر: السيد يحيى بن الحسين بن هارون بن الحسين بن محمد بن هارون بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، رتبه على الأبواب القاضي جعفر بن محمد بن عبد السلام، تحقيق: عبدالله بن حمود العزي، الناشر: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هجرية / ٢٠٠٢م، ص ٥٢-٥٣؛ د. جعفریان، تيسير المطالب في أمالي أبي طالب، ص ٢٦.
(٤٣) قطب الدين الراوندي، الخرائج والجرائح، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي (عجل الله فرجه)، قم المقدسة (٣٩) الجزء الأول، ص ٨٣؛ ينظر عن قطب الدين الراوندي القمي، الكنى والألقاب، ج ٣، ص ٧٢.

(٤٤) ينظر: الصالح الشامي، سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد؛ محمد بن يوسف الصالح الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق:



الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، جزء ٢، ص ٢٣٢.

(٤٥) ينظر: قطب الدين الراوندي، الخرائج والجرائح، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام) في قم المقدسة، جزء ١، ص ٨٣ - ٨٤؛ أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي الهذلي، إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية، ١٩٨٨م، ص ١٢٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، كتاب تاريخ نبينا، ص ٦٣٧.

(٤٦) ينظر: الخرائج والجرائح، جزء ١، ص ٨٣.

(٤٧) م. ن. جزء ١، ص ٤٦.

(٤٨) م. ن. جزء ١، ص ٧٣.

(٤٩) القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، أحكام القرآن، راجع أصوله وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، جزء ٤، ص ٤١٨.

(٥٠) القرطبي المتوفى سنة ٦٧١، كتاب الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، جزء ٢٢، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٦م، ص ٣٧٤.

(٥١) ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، جزء ٤، ص ٣٦.

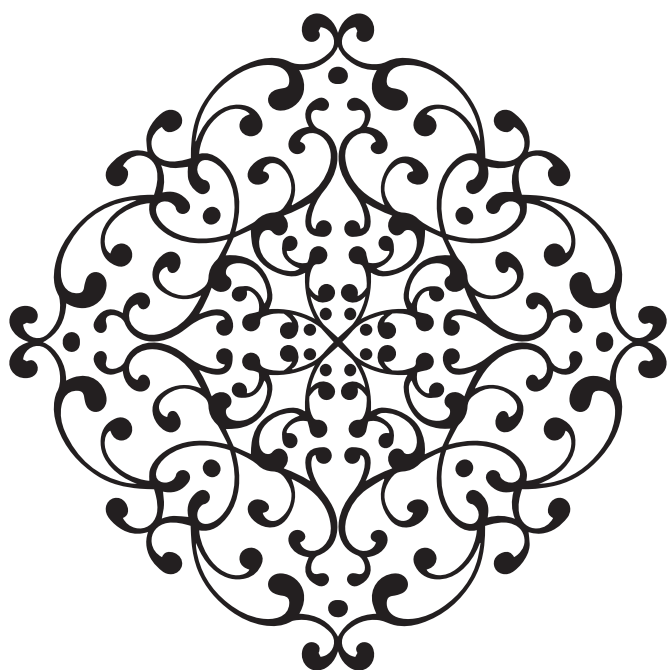
(٥٢) ينظر: د. جمعة الحمداني، السيرة النبوية في مرويات الإمام الصادق (عليه السلام).

(٥٣) ينظر: تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، جزء ٢، ص ٢٢ - ٢٣.

(٥٤) ينظر: الشيخ الطوسي، الأمالي، طبعة أولى، مطبعة دار الثقافة رقم ١٤١٤هـ، بالفهرست طبعة أولى ١٤١٧ مؤسسة النشر الإسلامي، ص ٥٩؛ العلامة الحلي: خلاصة الاقوال، طبعة ثانية ١٣٨١، المطبعة الحيدرية النجف، ص ٧٤؛ جعفر بن، رسول: سيرة سيد الأنبياء والمرسلين، نقله الى العربية علي هاشم الأسدي، مشهد، ص ٩٢ - ٩٣؛ وله أيضاً (إعداد) المبعث والمغازي والوفاء والسقيفة والردة لأبان بن عثمان الأحمر، طبعة أولى، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤١٧، ص ١٠، ٤٢ - ٤٣.

Fred M. Donner Narratives of Islamic Origins: The Beginnings of Islamic Historical Writing ; M. J. Kister "A Bag of Meat : 'A Study of an Early Ḥadīth " in Bulletin of the School of Oriental and African Studies







الفصل الثالث

مولد سيد المرسلين ﷺ

هدى ورحمة للعالمين

(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا)

[التوبة: ٣٣].

بادئ ذي بدء فإنني تتبعت ذكر اسم النبي محمد ﷺ في القرآن الكريم فوجدت أنه قد تكرر بلفظ (محمد) في أربع حالات وواحدة باسم أحمد. ففي سورة آل عمران قال تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) [آل عمران: ١٤٤]، وفي سورة الأحزاب قال تعالى: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) [الأحزاب: ٤٠]، وفي سورة الفتح قال تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) [الفتح: ٢٩]، وفي سورة محمد ﷺ قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ) [محمد: ٢]. وجاء ذكره ﷺ مرة واحدة باسم أحمد في الآية ٦ من سورة الصف الكريمة. ولم أجد في جميع تلك الآيات الكريبات ولا في الآيات الأخرى التي تذكره ﷺ باسم رسول الله ﷺ أو الرسول شيئاً يذكر بما له علاقة بولادته الميمونة ﷺ.

من هنا توجهت الى سورة الضحى الكريمة لعلّي أجد في أحاديث الأئمة الأطهار ومؤلفات التفسير ضالتي في الولادة الميمونة والسورة الكريمة ﴿وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرَضَىٰ (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)﴾، وركزت على تفسير الآية الكريمة (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ) فاعتمدت أولاً أحاديث الأئمة الأطهار ﷺ في تفسيرهم لهذه الآية الكريمة من سورة الضحى، فيحدثنا الشيخ الطبرسي والعلامة المجلسي عن معناها في قولين: أحدهما أنه تقرير لنعمة الله



عليه حين مات أبوه وبقي يتيماً فأواه الله بأن سخر له عبد المطلب ثم أبا طالب عليه السلام، وكان عليه السلام قد مات أبوه وهو في بطن أمه أو بعد ولادته بمدة قليلة، وماتت أمه وهو ابن ست سنين، ومات جده وهو ابن ثمانين سنين^(١). وسئل الإمام الصادق عليه السلام: «لم أوتم النبي عليه السلام عن أبيه؟» فقال: لثلاث يكون لمخلوق عليه حق. والآخر أن يكون المعنى: ألم يجدك واحداً لا مثل لك في شرفك وفضلك فأواك إلى نفسه، واختصك برسالته، من قولهم: «درة يتيمة» إذا لم يكن لها مثل، وقيل: فأواك - في تفسير البرهان للسيد هاشم البحراني - أي جعلك مأوى للأيتام بعد أن كنت يتيماً، وكفيلًا للأنام بعد أن كنت مكفولاً. وقال الإمام عليه السلام: (في قوله تعالى: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى: إِلَيْكَ النَّاسُ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى أَيْ هَدَى إِلَيْكَ قَوْمًا لَا يَعْرِفُونَكَ حَتَّى عَرَفُوكَ وَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى أَيْ وَجَدَكَ تَعُولُ أَقْوَامًا فَأَغْنَاهُمْ بِعِلْمِكَ). وفي هذا المعنى نفسه حدث ابن عباس إذ قال: «إِنَّمَا سُمِّيَ يَتِيماً لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ نَظِيرٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَلَا مِنَ الْآخِرِينَ، فَقَالَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) مُتَمَتًّا عَلَيْهِ بِنِعْمِهِ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً أَيْ وَحِيدًا لَا نَظِيرَ لَكَ فَآوَى إِلَيْكَ النَّاسُ وَعَرَفَهُمْ فَضَلَّكَ حَتَّى عَرَفُوكَ»^(٢).

وفي تفسير الرازي الشافعي (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير) فإنه فسّر الآية الكريمة وذكر في تفسير اليتيم أمرين، الأول: أن عبد الله بن عبد المطلب فيما ذكره أهل الأخبار توفي وأم رسول الله عليه السلام حامل به، ثم ولد رسول الله عليه السلام فكان مع جده عبد المطلب ومع أمه أمنة عليها السلام، فهلكت أمه أمنة وهو ابن ست سنين فكان مع جده، ثم هلك جده بعد أمه بستين ورسول الله ابن ثمان سنين. وكان عبد المطلب يوصي أبا طالب عليه السلام به فكان أبو طالب عليه السلام هو الذي يكفل رسول الله عليه السلام بعد جده إلى أن بعثه الله للنبوّة، فقام بنصرته مدة مديدة، ثم توفي أبو طالب عليه السلام بعد ذلك فلم يظهر على رسول الله عليه السلام يتم البتة فأذكره الله تعالى هذه النعمة^(٣).

وعلى هذا الاعتبار فإن التساؤل يبقى حيًا، إذ ليس هنالك من آية كريمة يمكننا جعلها مدخلا لولادة سيد المرسلين ﷺ، في الوقت الذي يعدّ فيه القرآن الكريم مصدرا إلهيا لشرح ظروف ولادة كل من النبي موسى والنبي عيسى ﷺ؛ إذ جاء في سورة القصص ثمان آيات كريمات بخصوص ولادة النبي موسى ﷺ بدءا بهذه الآية: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ) الى الآية الكريمة: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)، والواقع أن للإمام أبي جعفر الباقر ﷺ تفسيراً لهذه الآيات الكريمة بين فيها ﷺ ولادة النبي موسى ﷺ بشكل مفصل ودقيق كما أوضحه وفصل فيه علي بن إبراهيم القمي في تفسيره «تفسير القمي»، قال أبو جعفر ﷺ: «إن النبي موسى ﷺ لما حملت به أمه لم يظهر حملها إلا عند وضعه وكان فرعون قد وكل بنساء بني إسرائيل نساءً من القبط يحفظنهنَّ، وذلك أنه كان لما بلغه عن بني إسرائيل أنهم يقولون إنه يولد فينا رجل يقال له موسى بن عمران يكون هلاك فرعون وأصحابه على يده، فقال فرعون عند ذلك لأقتلن ذكور أولادهم حتى لا يكون ما يريدون، وفرق بين الرجال والنساء وحبس الرجال في المحابس، فلما وضعت أم موسى بموسى ﷺ نظرت إليه وحزنت عليه واغتمت وبكت وقالت يذبح الساعة، فعطف الله بقلب الموكلة بها عليه فقالت لأم موسى: ما لك قد أصفر لونك؟ فقالت: أخاف أن يذبح ولدي فقالت: لا تخافي، وكان موسى لا يراه أحد إلا أحبه، وهو قول الله: (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةَ مِنِّي)، فأحبته القبطية الموكلة به وأنزل الله على موسى ﷺ التابوت ونوديت أمه (ضعيه في التابوت فاقدفيه في اليم) وهو البحر (ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) فوضعت في التابوت وأطبقت عليه وألقته في النيل. وكان لفرعون قصر على شط النيل منتزها، فنظر من قصره ومعه آسية امرأته فنظر إلى سواد في النيل ترفعه



الأمواج والرياح تضربه حتى جاءت به إلى باب قصر فرعون، فأمر فرعون بأخذه فأخذَ التابوت ورفع إليه فلما فتحه وجد فيه صبيا، فقال: هذا إسرائيلي، وألقى الله في قلب فرعون لموسى ﷺ محبة شديدة، وكذلك في قلب آسية وأراد فرعون أن يقتله فقالت آسية: لا تقتله (عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون) أنه موسى، ولم يكن لفرعون ولد فقال: إئتوا ظئرا تربيه فجاءوا بعدة نساء قد قتل أولادهن فلم يشرب لبن أحد من النساء وهو قول الله: (وحرمنا عليه المراضع من قبل) وبلغ أمه أن فرعون قد أخذه فحزنت وبكت كما قال الله: (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) يعني كادت أن تخبر بخبره أو تموت ثم ضبطت نفسها فكان كما قال الله عز وجل: (لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقالت لأختها) أي لأخت موسى (قصية) أي اتبعيه فجاءت أختها إليه (فبصرت به عن جنب) أي عن بعد (وهم لا يشعرون) فلما لم يقبل موسى ثدي أحد من النساء اغتم فرعون غما شديدا، فقالت أختها: (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون) فقال: نعم فجاءت بأمه فلما أخذته في حجرها وألقمته ثديها التقمه وشرب ففرح فرعون وأهله أكرموا أمه، فقالوا لها: ربي لنا فإننا نفعل بك ما نفعل وذلك قول الله تعالى: (فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون)، وكان فرعون يقتل أولاد بني إسرائيل كلما يلدون ويربي موسى ويكرمه ولا يعلم أن هلاكه على يده» (٤) .

أما ما جاء بخصوص ولادة النبي عيسى ﷺ فقد ذكرت ولادته في حوالي ثماني عشرة آية كريمة من سورة مريم بدءا من الآية الكريمة: (وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا) إلى الآيتين الكريمتين: (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا) * ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ). وهاهنا أيضا فإن للأئمة ﷺ الدور الأساس في تفسيرها، إذ جاءت في تفسير القمي رواية عن أبي بصير عن الإمام أبي عبد الله الصادق ﷺ، وهي شرح مفصل بين ﷺ فيه كيفية ولادة النبي عيسى ﷺ



وبشكل دقيق وبالأخص في الوقت الذي ولد فيه عيسى عليه السلام، إذ قال الإمام الصادق عليه السلام: (فحملت بعيسى عليه السلام بالليل فوضعت بالغداء وكان حملها تسع ساعات من النهار جعل الله لها الشهور ساعات ثم ناداها جبرئيل عليه السلام وهزي إليك بجذع النخلة أي هزي النخلة اليابسة فهزت، وكان ذلك اليوم سوق فاستقبلها الحاكّة وكانت الحياكة أنبل صناعة في ذلك الزمان فأقبلوا على بغال شهب فقالت لهم مريم: أين النخلة اليابسة؟ فاستهزؤوا بها وزجروها فقالت لهم: جعل الله كسبكم بورا وجعلكم في الناس عارا ثم استقبلها قوم من التجار فدلّوها على النخلة اليابسة فقالت لهم مريم: جعل الله البركة في كسبكم وأحوج الناس إليكم، فلما بلغت النخلة أخذها المخاض) (٥).

كذلك يذكر ابن بابويه القمي الشيخ الصدوق في كتابه كمال الدين وتمام النعمة عن أبان بن عثمان يرفعه بإسناده قال: «لما بلغ عبد الله بن عبد المطلب زوجته عبد المطلب أمنة بنت وهب الزهري، فلما تزوجها حملت برسول الله ﷺ، فروي عنها أنها قالت: لما حملت برسول الله ﷺ لم أشعر بالحمل ولم يصبني ما يصيب النساء من ثقل الحمل، ورأيت في نومي كأن آتيا أتاني وقال لي: قد حملت بخير الأنام، فلما حان وقت الولادة خف ذلك علي حتى وضعت، وهو يتقي الأرض بيديه» (٦).

لهذا كله فقد تساءلت مع نفسي عن السبب في عدم وجود مثل هذه الآيات في سورة محمد ﷺ مثلاً عن ظروف ولادة رسول الله ﷺ! فهل يا ترى أن مصحف الإمام علي عليه السلام الذي سلّمه إليه رسول الله ﷺ قبل وفاته لينسخه فمكث عليه ثلاثاً أيام في منزله لا يخرج منه إلا للصلاة، وعندما أتمه حمله على جمل إلى المسجد الجامع حيث يوجد الصحابة وقال لهم: (هذا هو القرآن الكريم)، فنهض الخليفة الأول وقلّبه ثم الخليفة الثاني فقالا للإمام عليه السلام: خذه وعد به إلى منزلك، وأن هذا القرآن سيكون منشوراً عندما يقوم القائم الحجة ابن الحسن (عجل الله فرجه الشريف) فهل يا ترى فيه آيات مباركات عن ولادة خاتم الأنبياء وسيد المرسلين؟ (٧)!



ومع كل ذلك فإن للأئمة الأطهار قولاً في بيان الولادة الميمونة فقد أورد محمد بن عباد بن سريع البارقي قال سمعت الإمام جعفر بن محمد عليه السلام يقول: «لما ولد النبي عليه السلام ولد ليلاً، فأتى رجل من أهل الكتاب إلى الملاء من قريش وهم مجتمعون: هشام بن المغيرة، والوليد بن المغيرة، وعتبة، وشيبة، فقال: أ ولد فيكم الليلة مولود؟ قالوا: لا وما ذاك؟، قال: لقد ولد فيكم الليلة أو بفلسطين مولود اسمه أحمد، به شامة، يكون هلاك أهل الكتاب على يديه، فسألوا فأخبروا فطلبوه، فقالوا: لقد ولد فينا غلام، فقال: قبل أن أنبئكم أو بعد؟ قالوا: قبل، قال: فانطلقوا معي أنظر إليه، فأتوا أمه وهو معهم فأخبرتهم كيف سقط، وما رأيت من النور، قال اليهودي: فأخرجيه، فنظر إليه، ونظر إلى الشامة فخر مغشياً عليه، فأدخلته أمه، فلما أفاق قالوا له: ويلك مالك؟ قال: ذهبت نبوة بني إسرائيل إلى يوم القيامة، هذا والله مبيرهم، ففرحت قريش بذلك، فلما رأى فرحهم قال: والله ليسطون بكم سطوة يتحدث بها أهل الشرق وأهل الغرب»^(٨).

وأورد أبان بن عثمان البجلي رواية الأئمة عن ولادته الميمونة فجاء عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: كان إبليس لعنه الله يخترق السماوات السبع، فلما ولد عيسى عليه السلام حجب عن ثلاث سماوات، وكان يخترق أربع سماوات، فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وآله حجب عن السبع كلها، وأوضح عليه السلام من المعجزات التي رافقت مولده الشريف إذ رميت الشياطين بالنجوم، وقالت قريش: هذا قيام الساعة الذي كنا نسمع أهل الكتب يذكرونه، وقال عمرو بن أمية: وكان من أزجر أهل الجاهلية: انظروا هذه النجوم التي يهتدي بها، ويعرف بها أزمان الشتاء والصيف، فإن كان رمي بها فهو هلاك كل شيء، وإن كانت ثبتت ورمي بغيرها فهو أمر حدث، وأصبحت الأصنام كلها صبيحة ولد النبي صلى الله عليه وآله ليس منها صنم إلا وهو منكب على وجهه، وارتجس في تلك الليلة إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وغاضت بحيرة ساوة، وفاض وادي السماوة، وخمدت نيران فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، ورأى المؤبذان في تلك الليلة في المنام إبلاً صعباً



تقود خيلاً عرباً، قد قطعت دجلة، وانسربت في بلادهم، وانقصم طاق الملك كسرى من وسطه، وانخرقت عليه دجلة العوراء، وانتشر في تلك الليلة نور من قبل الحجاز ثم استطار حتى بلغ المشرق، ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً، والملك مخرساً لا يتكلم يومه ذلك، وانتزع علم الكهنة، وبطل سحر السحرة، ولم تبق كاهنة في العرب إلا حجبت عن صاحبها، وعظمت قريش في العرب، وسموا آل الله عز وجل. قال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): إنما سموا آل الله لأنهم في بيت الله الحرام^(٩).

قال (عليه السلام): وقالت آمنة: إن ابني والله سقط فاتقى الأرض بيده، ثم رفع رأسه إلى السماء فنظر إليها، ثم خرج مني نور أضاء له كل شيء، وسمعت في الضوء قائلاً يقول: إنك قد ولدت سيد الناس فسميه محمداً، وأتى به عبد المطلب لينظر إليه وقد بلغه ما قالت أمه، فأخذه فوضعه في حجره ثم قال:

الحمد لله الذي أعطانِي، هذا الغلام الطيب الأردان

قد ساد في المهد على الغلمان^(١٠)

ثم عودته بأركان الكعبة، وقال فيه أشعاراً، قال: وصاح إبليس لعنه الله في أبالسته فاجتمعوا إليه، فقالوا: ما الذي أفرعك يا سيدنا؟ فقال لهم: ويلكم لقد أنكرت السماء والأرض منذ الليلة، لقد حدث في الأرض حدث عظيم ما حدث مثله منذ رفع عيسى بن مريم (عليه السلام)، فاخرجوا وانظروا ما هذا الحدث الذي قد حدث، فافترقوا ثم اجتمعوا إليه فقالوا: ما وجدنا شيئاً، فقال إبليس لعنه الله: أنا لهذا الأمر، ثم انغمس في الدنيا فجعلها حتى انتهى إلى الحرم فوجد الحرم محفوظاً بالملائكة، فذهب ليدخل فصاحوا به، فرجع ثم صار مثل الصر وهو العصفور فدخل من قبل حراء، فقال له جبرئيل: وراك لعنك الله، فقال له: حرف أسألك عنه يا جبرئيل، ما هذا الحدث الذي حدث منذ الليلة في الأرض؟ فقال له: ولد محمد ﷺ، فقال له: هل لي فيه نصيب؟ قال: لا، قال: ففي أمته؟ قال: نعم، قال: رضيت^(١١).



وفي أمالي الصدوق: عن الدقاق، عن ابن زكريا القطان، عن البرمكي، عن عبد الله بن محمد، عن أبيه، عن خالد بن إلياس، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي جهم، عن أبيه، عن جده قال: سمعت أبا طالب حدث عن عبد المطلب قال: بينا أنا نائم في الحجر إذ رأيت رؤيا هالتي، فأتيت كاهنة قريش وعليَّ مطرف خز، وجهتي تضرب منكبي، فلما نظرت إلى عرفت في وجهي التغير فاستوت وأنا يومئذ سيد قومي، فقالت: ما شأن سيد العرب متغير اللون؟ هل رابه من حدثان الدهر ريب؟ فقلت لها: بلى إني رأيت الليلة وأنا نائم في الحجر، كأن شجرة قد نبتت على ظهري قد نال رأسها السماء، وضربت بأغصانها الشرق والغرب، ورأيت نورا يزهر منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفا، ورأيت العرب والعجم ساجدة لها، وهي كل يوم تزداد عظما ونورا، ورأيت رهطا من قريش يريدون قطعها، فإذا دنوا منها أخذهم شاب من أحسن الناس وجهها، وأنظفهم ثيابا، فيأخذهم ويكسر ظهورهم، ويقلع أعينهم، فرفعت يدي لأتناول غصنا من أغصانها، فصاح بي الشاب وقال: مهلاً سيكون لك منها نصيب، فقلت: لمن النصيب والشجرة مني؟ فقال: النصيب لهؤلاء الذين قد تعلقوا بها وسيعود إليها، فانتبهت مذعورا فزعا متغير اللون، فرأيت لون الكاهنة قد تغير، ثم قالت: لئن صدقت ليخرجن من صلبك ولد يملك الشرق والغرب (١٢).

وبهذه المناسبة لابد من الإشارة الى ما استنتجه المستشرق اليهودي أوري روبين في كتابه *The Eye of the Beholder: The Life of Muhammad as Viewed by the Early Muslims* الذي تطرق الى ولادة نبينا ﷺ قائلا بشأن التسلسل الزمني لحياة سيد المرسلين محمد ﷺ، ومفاد كلامه أن المسلمين أرادوا لسيرة النبي ﷺ أن تكون مشابهة لسير الأنبياء السابقين وعلى وجه الخصوص لسيرة النبي موسى عليه السلام وبدءا من ولادته، الى حين خروجه من مصر حتى وفاته. وذلك باختيارهم -والمقصود المسلمون بشكل عام من دون تحديد وأصحاب السير خاصة- يوم الاثنين على أنه يوم



ولادة سيد المرسلين وبعثته وهجرته الى المدينة المنورة الى وفاته ﷺ، كما هو الحال في ولادة النبي موسى عليه السلام.

إن هذا تفسير مغالى به من قبل المستشرق وإلى أبعد الحدود، إذ ليس هنالك من مفصل في ولادة نبينا ﷺ وحياته يتشابه مع سيرة النبي موسى عليه السلام وحياته، فإنه بحسب ما أورده القرآن الكريم في عدة آيات مباركات، وبحسب ما سبق من قول الإمام عليه السلام، وبحسب التوراة والكتب المقدسة اليهودية كسفر الخروج وفي الكتاب اليهودي الذي يعتمد عليه اليهود « آثار العصور القديمة لليهود " THE Antiquities of the Jews ؛ بقلم Flavius Josephus ، فقد ولدته أمه سرًا خوفًا من الملك في مصر (فرعون) الذي كان قد اتخذ قرارًا، اعتمادًا على أحد كتّابه الذي كان مفسرًا للأحلام، وهذا هو الذي أبلغ الملك بأن طفلًا سيولد لبني إسرائيل، من دون ذكر اسم يوم ولادته أو الشهر الذي ولد فيه، وأنه إذا بقي حيًا سيؤدي إلى إنهاء الهيمنة المصرية وسيعلي من شأن الإسرائيليين، وسينال المجد والعظمة وسيبقى مذكورًا في التاريخ لجميع الأعمار، فأمر الملك أن يلقي بكل طفل إسرائيلي يولد في نهر النيل. وهكذا كانت قصة ولادة النبي موسى عليه السلام وكيف أن أمه قد وضعت في سلة وألقته في النهر، ثم ما جرى عليه من أحداث لاحقة إلى حين خروجه إلى مدين ثم إلى زواجه حتى وفاته عليه السلام؛ فجميع هذه الأحداث لم يمر بها نبينا ﷺ. فكيف إذن وجد المسلمون أو مؤرخو السيرة النبوية ورواتها -بحسب رؤية المستشرق روين- تلك الأسوة ليتبنوها ويتخذوها بله وليقلدوها في روايتهم عن نبينهم وعن سيرة سيد المرسلين ﷺ. فضلا عن ذلك فإن يوم ولادة النبي موسى عليه السلام كان مجهولا، وإن ولادته كانت سرية خوفًا من الملك. كذلك ليس هنالك أي ذكر في التوراة وفي سفر الخروج للشهر الذي ولد فيه ألا وهو شهر أدر العبري كما يزعم المستشرق على أنه الشهر الذي ولد فيه النبي موسى عليه السلام، وبتحويل هذا الشهر إلى الرواية الإسلامية فإن أدر هو ما يعادله تقريبا في التقويم العربي فإنه شهر ربيع



الأول. أقول إن هذه الاستنتاجات المتخبطة والمحرفة هي غير موجودة إطلاقاً في القصة اليهودية لولادة النبي موسى (عليه السلام) (١٣).

توزع موضوع هذا المبحث (ولادة رسول الله ﷺ) معتمداً على روايات الأئمة (عليهم السلام) والروايات التاريخية في المؤلفات الشيعية والسنية على ثلاثة محاور بحسب الآتي:-

أولاً: الوقت واليوم والشهر لولادته الميمونة.

وثانياً: الولادة وموقعها بما له علاقة بعلم الفلك.

وثالثاً: المعجزات التي رافقت مولده الشريف.

الولادة:

لقد اطلعت على آراء العلماء الشيعة في كتبهم، نظير كتاب مواليد الأئمة (عليهم السلام)، وكتاب «إقبال الأعمال» للسيد رضي الدين علي بن موسى بن طاووس، وكتاب كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق، وكتاب أمالي الصدوق، وكتاب حقائق الرياض للشيخ المفيد، وكتاب الكافي للكليني، وكتاب قصص الأنبياء الذي اعتمده المجلسي وهو مخطوط، وكتاب الطبرسي إعلام الوري بأعلام الهدى، وكتاب الفضائل لشاذان بن جبرئيل القمي، وجميع هؤلاء العلماء اتفقوا على أن مولده الشريف كان في السابع عشر من يوم الجمعة من شهر ربيع الأول، وولد ﷺ بعد طلوع الفجر، وقيل عند الزوال.

فقد عقد السيد رضي الدين بن طاووس المتوفى سنة ٦٦٤ هجرية، وهو من كبار علماء الشيعة، صاحب المصنفات الكثيرة في كتابه «إقبال الأعمال» الجزء ٣/ ١٢١ فصلاً في تعيين وقت الولادة الميمونة فقال: «فيما نذكره من تعيين وقت ولادة النبي ﷺ، وفضل صوم اليوم المعظم المشار إليه، اعلم أننا ذكرنا في كتاب التعريف للمولد الشريف، ما عرفناه من اختلاف أعيان الإمامية في وقت هذه الولادة المعظمة النبوية، وقلنا: إن الذين أدركناهم من العلماء، كان عملهم على أن ولادته المقدسة (عليه السلام) وعلى الحافظين لأمره، أشرقت أنوارها يوم الجمعة السابع عشر من شهر ربيع الأول عند طلوع فجره،



وأن صومه يعدل عند الله جلّ جلاله صيام سنة، هكذا وجدت في بعض الروايات، أن صومه يعدل هذه المقدار من الأوقات». وما ذكره شيخنا المفيد رضوان الله عليه، فقال في كتاب حدائق الرياض وزهرة المرتاض ونور المسترشد ما هذا لفظه: السابع عشر منه مولد سيدنا رسول الله صلوات الله عليه عند طلوع الفجر من يوم الجمعة من عام الفيل، وهو يوم شريف عظيم البركة ولم تزل الشيعة على قديم الأوقات تعظمه وتعرف حقه وترعى حرمة وتتطوع بصيامه، وقد روي عن أئمة الهدى من آل محمد عليهم السلام أنهم قالوا من صام يوم السابع عشر من ربيع الأول، وهو يوم مولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله كتب الله له صيام سنة، ويستحب فيه الصدقة والإمام بمشاهد الأئمة عليهم السلام والتطوع بالخيرات وإدخال السرور على أهل الإيمان ^(١٤).

كذلك ذكر اليعقوبي في تاريخه والعلامة المجلسي في بحار الأنوار، إذ قال في باب تاريخ ولادته صلى الله عليه وآله وما يتعلق بها، وما ظهر عندها من المعجزات والكرامات والمنامات، يقول العلامة المجلسي: اعلم أنه اتفقت الإمامية إلا من شذّ منهم على أن ولادته صلى الله عليه وآله في السابع عشر من شهر ربيع الأول، وذهب أكثر المخالفين إلى أنها كانت في الثاني عشر منه، واختاره الكليني إما اختياراً أو تقيّة. إذ ذكر في كتابه الكافي (باب مولد النبي صلى الله عليه وآله ووفاته): ولد النبي صلى الله عليه وآله لاثنتي عشر ليلة مضت من شهر ربيع الأول في عام الفيل يوم الجمعة مع الزوال، وروي أيضاً عند طلوع الفجر.

فأما يوم الولادة فالمشهور بين علمائنا ومدلول أخبارنا أنه كان في يوم الجمعة، ثم الأشهر بيننا وبينهم أنه صلى الله عليه وآله ولد بعد طلوع الفجر، وقيل: عند الزوال، وذكر جماعة من المؤرخين وأرباب السير أنه كان في ساعة الولادة غفر (الغفر هو منزل للقمر ثلاثة أنجم صغار في برج السنبلة، وهي المنزل الخامس عشر من منازل القمر، قال البيروني: وتقول العرب: إنه خير المنازل، وقيل: إن مواليد الأنبياء قد اتفقت فيه، ويقال: كان طالعه برج الأسد والقمر فيه)، وكان اليوم موافقاً للعشرين أو للثامن والعشرين أو الغرة من



شهر نيسان الرومي، والسابع عشر من دي ماه بحساب الفرس، وكانت في عهد كسرى أنوشروان بعد مضي اثنتين وأربعين سنة من ملكه، وبعد مضي اثنين وثمانين وثمانمئة من وفاة الإسكندر الرومي، وكان في عام الفيل بعد مضي خمس وخمسين ليلة، أو أربعين من الواقعة (١٥).

وكان مولده ﷺ بمكة في دار عرفت بدار محمد بن يوسف في شعب بني هاشم، ويذكر اليعقوبي «عن يسارك وأنت داخل». كانت الدار للنبي ﷺ فوهبها لعقيل بن أبي طالب، فباعها أولاده لمحمد بن يوسف أخي الحجاج فأدخله في داره، فلما كان زمن هارون أخذته خيزران أمه فأخرجته وجعلته مسجداً، وهو الآن -أي في زمن اليعقوبي- معروف يزار ويصلى فيه (١٦).

ووقف ابن كثير موقفا معارضا لرأي العلماء الشيعة الذين اعتمدوا قول الإمام الصادق عليه السلام فقال: «وَأَبْعَدَ بَلِّ أَخْطَأَ مَنْ قَالَ إِنَّهُ وَلِدَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِسَبْعِ عَشْرَةِ خَلَتْ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ نَقْلُهُ الْحَافِظُ ابْنُ دَحِيةِ الْكَلْبِيِّ [المتوفى سنة ٦٣٣ هجرية] فيما قرأه في كتاب أعلام الروي بأعلام الهدى [الصحيح إعلام الوري بأعلام الهدى] لِبَعْضِ الشَّيْعَةِ. ثُمَّ شَرَعَ ابْنُ دَحِيَّةٍ فِي تَضْعِيفِهِ وَهُوَ جَدِيرٌ بِالتَّضْعِيفِ إِذْ هُوَ خِلَافُ النَّصِّ». لكن ابن كثير قد تراجع عن موقفه الهجومي هذا على الشيخ الطبرسي في كتابه إعلام الوري بعد صفحة واحدة من موقفه إذ يذكر اعتماده على رواية للامام أبي جعفر الباقر عليه السلام بخصوص مولد رسول الله ﷺ (١٧).

أما بخصوص ولادته الميمونة عند أهل السنة فنجد أن هناك اختلافا كبيرا بين أقوال ورواة علمائهم كما ذكر الشيخ الطبرسي والمقريري وابن كثير بخصوص الاختلاف الكبير بين الرواة الشفاهيين وعلمائهم في يوم ولادة رسول الله ﷺ (١٨). إذ جاء عن أبي قتادة أن أعرابيا قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تَقُولُ فِي صَوْمِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ؟ فَقَالَ: «ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ وَأُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ». وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنْ حَنْشِ الصَّنْعَانِيِّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ،



قَالَ: وُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَاسْتُتْبِئَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَخَرَجَ مُهَاجِرًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَتُوِّفِيَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَرَفَعَ الْحَجَرُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ. تفرد به أحمد، ابن هبة، وزاد: نزلت سُورَةُ الْمَائِدَةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ». وَهَكَذَا رَوَاهُ بَعْضُهُمْ عَنْ مُوسَى بْنِ دَاوُدَ بِهِ، وَزَادَ أَيْضًا: وَكَانَتْ وَقْعَةُ بَدْرِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ. مِمَّنْ قَالَ هَذَا يَزِيدُ بْنُ حَبِيبٍ. وَهَذَا بِحَسَبِ ابْنِ كَثِيرٍ مُتَكَرِّرٌ جِدًّا. قَالَ ابْنُ عَسَاكِرَ: وَالْمَحْفُوظُ أَنَّ بَدْرًا وَنُزُولَ «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَصَدَقَ ابْنُ عَسَاكِرَ ^(١٩).

وذكر المقرئ في كتابه (إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة المتاع) وهو من جمع أقوال العلماء من أهل السنة في ولادته ﷺ فقال: يوم الاثنين لاثني عشرة خلت من ربيع الأول، وقيل: لليلتين خلتا منه، وقيل: ولد ثالثه، وقيل: في عاشره، وقيل: في ثامنه، وقيل: ولد يوم الاثنين لاثني عشرة مضت من شهر رمضان حين طلع الفجر. وقد شذَّب ذلك الزبير بن بكار، إلا أنه موافق لقوله: إن أمه ﷺ حملت به أيام التشريق، فيكون حملها مدة تسعة أشهر على العادة الغالبة. وذلك عام الفيل، وقيل: بعد قدوم الفيل مكة بخمسين يومًا، وقيل: بشهر، وقيل: بأربعين يومًا، وقيل: قدم الفيل للنصف من المحرم وقبل مولده ﷺ بشهرين إلا أيامًا، وقيل: ولد بعد الفيل بثمانية وخمسين يومًا، وقيل: بعده بعشر سنين، وقيل: بعده بثلاثين عامًا، وقيل: ولد قبل الفيل بخمس عشرة سنة، وقيل: قبله بأربعين عامًا، وقيل: ولد يوم الفيل، وقيل: ولد سنة ثلاث وعشرين للفيل. وقيل: ولد في صفر، وقيل: يوم عاشوراء، وقيل: في ربيع الآخر. وذهب شاذ من المخالفين إلى أنه ولد في شهر رمضان، لأنهم اتفقوا على أن بدء الحمل به ﷺ كان في عشية عرفة أو أوسط أيام التشريق. واشتهر بينهم أن مدة الحمل كانت تسعة أشهر، فيلزم أن تكون الولادة في شهر رمضان. وذهب شذمة منهم إلى أن الولادة كانت في الثامن من شهر ربيع الأول ^(٢٠).



وجاء في أمالي الصدوق ما نصّه: «المجلس الثامن والثمانون يوم السبت سلخ رجب سنة ثمان وستين وثلاثمائة: حدّثنا الشيخ الجليل أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (رضي الله عنه)، قال: حدّثنا محمّد بن موسى بن المتوكل، قال: حدّثنا عليّ بن إبراهيم، عن أبيه إبراهيم بن هاشم، عن محمّد بن سنان، عن زياد بن المنذر، عن ليث بن سعد، قال: قلت لكعب وهو عند معاوية: كيف تجدون صفة مولد النبي ﷺ، وهل تجدون لعترته فضلاً؟ فالتفت كعب إلى معاوية لينظر كيف هواه، فأجرى الله (عزّ وجلّ) على لسانه، فقال: هات -يا أبا إسحاق رحمك الله- ما عندك. فقال كعب: إني قد قرأت اثنين وسبعين كتاباً كلها أنزلت من السماء، وقرأت صحف دانيال كلها، ووجدت في كلها ذكر مولده ومولد عترته، وإن اسمه المعروف، وإنه لم يولد نبي قط فنزلت عليه الملائكة ما خلا عيسى وأحمد ﷺ، وما ضرب على آدمية حجب الجنة غير مريم وآمنة أم أحمد ﷺ، وما وكلت الملائكة بأنثى حملت غير مريم أم المسيح وآمنة أم أحمد، وكان من علامة حمله أنه لما كان الليلة التي حملت آمنة به ﷺ نادى مناد في السماوات السبع: أبشروا فقد حمل الليلة بأحمد، وفي الأرضين كذلك حتى في البحور، وما بقي يومئذ في الأرض دابة تدب ولا طائر يطير إلا علم بمولده، ولقد بني في الجنة ليلة مولده سبعون ألف قصر من ياقوت أحمر، وسبعون ألف قصر من لؤلؤ رطب، فقيل: هذه قصور الولادة، ونجدت الجنان، وقيل لها: اهتزي وتزيني، فإن نبي أوليائك قد ولد. فضحكت الجنة يومئذ فهي ضاحكة إلى يوم القيامة. وبلغني أن حوتا من حيتان البحر يقال له طمسوسا -وهو سيد الحيتان- له سبع مائة ألف ذنب، يمشي على ظهره سبع مائة ألف ثور، الواحد منها أكبر من الدنيا، لكل ثور سبع مائة ألف قرن من زمرد أخضر، لا يشعر بهن، اضطرب فرحاً بمولده، ولولا أن الله تبارك وتعالى ثبته لجعل عاليها سافلها. ولقد بلغني أن يومئذ ما بقي جبل إلا نادى صاحبه بالبشارة ويقول: لا إله إلا الله، ولقد خضعت الجبال كلها لأبي قبيس كرامة لمحمّد ﷺ، ولقد قدست



الأشجار أربعين يوماً بأنواع أفنانها وثمارها فرحاً بمولده، ولقد ضرب بين السماء والأرض سبعون عموداً من أنواع الأنوار لا يشبه كل واحد صاحبه، وقد بشر آدم بمولده فزيد في حسنه سبعين ضعفاً، وكان قد وجد مرارة الموت، وكان قد مسه ذلك فسرى عنه ذلك. ولقد بلغني أن الكوثر اضطرب في الجنة واهتز، فرمى بسبعمائة ألف قصر من قصور الدر والياقوت نثاراً لمولد محمد ﷺ، ولقد زم إبليس وكبل وألقي في الحصن أربعين يوماً، وغرق عرشه أربعين يوماً، ولقد تنكست الأصنام كلها وصاحت وولولت، ولقد سمعوا صوتاً من الكعبة: يا آل قريش، لقد جاءكم البشير، جاءكم النذير معه عز الأبد والربح الأكبر، وهو خاتم الأنبياء. ونجد في الكتب أن عترته خير الناس بعده، وأنه لا يزال الناس في أمان من العذاب ما دام من عترته في دار الدنيا خلق يمشي. فقال معاوية: يا أبا إسحاق، ومن عترته؟ قال كعب: ولد فاطمة ؓ. فعبس وجهه، وعض على شفتيه، وأخذ يعبث بلحيته. فقال كعب: وإنا نجد صفة الفرخين المستشهدين، وهما فرخا فاطمة ؓ، يقتلها شر البرية، قال: ومن يقتلها؟ قال: رجل من قريش. فقام معاوية وقال: قوموا إن شئتم، فقمنا» (٢١).

في علم الفلك:

عن ابن شهر آشوب قال بعض المنجمين: موالد الأنبياء السنبل والميزان، وكان طالع النبي ﷺ الميزان، وقال ﷺ ولدت بالسماء، وفي حساب المنجمين أنه السماء الرامح (السماء الرامح: نجم نير، ويقال له: الرامح لأن أمامه كوكبا صغيراً يقال له: راية السماء ورمحه، بخلاف السماء الأغزل، فإنه ليس أمامه شيء). وولد على ما قال أصحاب الحساب بقران العقرب. قال ما شاء الله المنجم: كان طالع السنة التي كان فيها القرآن الذي دل على مولد رسول الله ﷺ الميزان اثنتين وعشرين درجة حد الزهرة وبيتها والمشتري في العقرب ثلاث درجات وثلاثاً وعشرين دقيقة، وزحل في العقرب ست درجات وثلاثاً وعشرين دقيقة راجعاً، وهما في الثاني من الطوالع، والشمس في



نظير الطالع في الحمل أول دقيقة، والزهرة في الحمل على درجة وست وخمسين دقيقة، وعطارد في الحمل على ثماني عشرة درجة وست عشرة دقيقة راجعاً، والمريخ في الجوزاء اثنتي عشرة درجة وخمس عشرة دقيقة، والقمر وسط السماء في السرطان درجة وعشرين دقيقة. وقال الخوارزمي: كانت الشمس يوم ولد رسول الله ﷺ في الثور درجة، والقمر في الأسد على ثماني عشرة درجة وعشر دقائق، وزحل في العقرب تسع درجات وأربعين دقيقة راجعاً، والمشتري في العقرب درجتين وعشر دقائق راجعاً، والمريخ في السرطان درجتين وخمسين دقيقة، والزهرة في الثور اثنتي عشرة درجة وعشر دقائق^(٢٢).

وذكر أبو معشر البلخي من المنجمين أنه كان طالع ولادته ﷺ الدرجة العشرون من الجدي، وكان الزحل والمشتري في العقرب، والمريخ في بيته في الحمل، والشمس في الحمل في الشرف، والزهرة في الحوت في الشرف، والعطارد أيضاً في الحوت، والقمر في أول الميزان، والرأس في الجوزاء، والذنب في القوس^(٢٣).

المعجزات التي رافقت مولده الشريف:

لقد سبق ذكر ما ذكره الإمام الصادق عليه السلام من المعجزات التي رافقت ولادة رسول الله ﷺ منها:-

أولاً:- لما ولد رسول الله ﷺ رجعت الشياطين وانقضت الكواكب. فلما رأت ذلك قريش أنكرت انقضا الكواكب وقالوا: ما هذا إلا لقيام الساعة.
ثانياً:- وأصاب الناس زلزلة عمت جميع الدنيا حتى اهتدمت الكنائس والبيع، وزال كل شيء يعبد دون الله عز وجل عن موضعه.

ثالثاً:- وعميت على السحرة والكهان أمورهم وحسبت شياطينهم.

رابعاً:- وطلعت نجوم لم تر من قبل ذلك فأنكرتها كهان اليهود.

خامساً:- وزلزل إيوان كسرى فسقطت منه ثلاث عشرة شرافة.

سادساً:- وخمدت نار فارس ولم تكن خمدت قبل ذلك بألف عام.



سابعاً:- ورأى عالم الفرس وحكيمهم وهو الذي تسميه الفرس موبدان موبذ القيم بشرائع دينهم كأن إبلاً عرباً تقود خيلاً صعباً حتى قطعت دجلة وانتشرت في البلاد. فراع ذلك كسرى أنو شروان وأفزعه، فوجه إلى النعمان فقال: هل بقي من كهان العرب أحد؟ قال: نعم! سطيح الغساني بدمشق من أرض الشام. قال: فجئني بشيخ من العرب له عقل ومعرفة أو وجهه إليه. فأتاه بعبد المسيح بن بقيقة، فوجهه إليه. فخرج عليه عبد المسيح على جمل حتى قدم دمشق. فسأل عنه فدل عليه وهو ينزل في باب الجابية، فوجده في آخر رمق. فنادى في أذنه بأعلى صوته:

- أصم أم تسمع غطريف اليمن ... يا فارغ الكربة أعيت من ومن
- وفاصل الخطبة في الأمر العنن ... أذاك شيخ الحي من آل يزن

فقال: عبد المسيح، على جمل مشيخ، نحو سطيح، حين أشفى على الضريح. بعثك ملك بني ساسان بهدم الأيوان وخود النيران ورؤيا الموبدان. رأى إبلاً عرباً تقود خيلاً صعباً حتى قطعت دجلة وانتشرت في البلاد. يا بن ذي يزن تكون هنة وهنات ويموت ملوك وملكات بعدد الشرافات. إذا غاضت بحيرة ساوة وظهرت التلاوة بأرض تهامة وظهر صاحب الهراوة فليست الشام لسطيح شاما. ثم فاضت نفسه.

ثامناً:- وأصبحت الأصنام كلها صبيحة اليوم الذي ولد النبي ﷺ ليس منها صنم إلا وهو منكب على وجهه.

تاسعاً:- وغاضت بحيرة ساوة.

عاشراً:- وانقصم طاق الملك كسرى من وسطه، وانخرقت عليه دجلة العوراء. فلما رأى ذلك حزنه، وقال: انقضت طاق ملكي من وسطها من غير ثقل، وانخرقت دجلة الغوراء (شاه بشكست) يقول: الملك انكسر، ثم دعا بكهانه وسحاره ومنجمه ودعا السائب معهم وقال: انقضت طاق ملكي من غير ثقل وانخرقت دجلة الغوراء انظروا في هذا الأمر ما هو، فخرجوا من عنده فنظروا في أمره فأخذ عليهم بأقطار السماء،



وأظلمت عليهم الأرض، وتسكعوا في علمهم، فلا يمضي لساحر سحره، ولا لكاهن كهانته، ولا يستقيم لمنجم علم نجومه، وبات السائب في ليلة ظل على ربوة من الأرض يرمق برقاً نشأ من قبل الحجاز، ثم استطار حتى بلغ المشرق، فلما أصبح ذهب ينظر إلى ما تحت قدميه فإذا روضة خضراء، فقال فيما يعتاف: لئن صدق ليخرجن من الحجاز سلطان يبلغ المشرق، يخصب عنه الأرض كأفضل ما أخصبت عن ملك كان قبله، فلما خلص الكهان والمنجمون بعضهم إلى بعض ورأوا ما قد أصابهم ورأى السائب ما قد رأى قال بعضهم لبعض: تعلمون؟ والله ما حيل بينكم وبين علمكم إلا لأمر جاء من السماء، وإنه لنبي قد بعث أو هو مبعوث يسلب هذا الملك ويكسره، ولئن نفيتم لكسرى ملكه ليقتلنكم، فأقيموا بينكم أمراً تقولونه حتى تؤخرونه عنكم إلى أمر ما شاع، فجاءوا إلى كسرى فقالوا له: قد نظرنا في هذا الأمر فوجدنا حسابك الذي وضعت به طاق ملكك وسكرت دجلة الغوراء وضعوه على النحوس، فلما اختلف عليهم الليل والنهار وقعت النحوس على مواقعها، فذلك كل وضع عليها، وإنا سنحسب لك حساباً تضع عليه بنيانك فلا تزول، قال: فاحسبوا، فحسبوا له، ثم قالوا له: ابنه، فبنى فعمل في دجلة ثمانية أشهر، وأنفق فيها من الأموال ما لا يدرى ما هو حتى إذا فرغ، قال لهم: أجلس على سورها؟ قالوا: نعم، فأمر البسط والفرش والرياحين فوضعت عليها، وأمر بالمرازبة فجمعوا إليه النقبون، ثم خرج حتى جلس عليها، فبينما هو هنالك إذ انتسفت دجلة بالبنيان من تحته فلم يخرج إلا بآخر رمق، فلما أخرجه جمع كهانه وسحاره ومنجميه فقتل منهم قريباً من مائة، وقال: نमितكم وأدنيتمكم دون الناس فأجريت عليكم أرزاقى تلعبون بي؟ قالوا: أيها الملك أخطأنا كما أخطأ من قبلنا، ولكننا سنحسب حساباً فنيينه حتى تضعها على الوثاق من السعود، قال: انظروا ما تقولون، قالوا: فإننا نفعل، قال: فاحسبوا، فحسبوا ثم قالوا له: ابنه فبنى وأنفق من الأموال ما لا يدرى ما هو ثمانية أشهر، فلما فرغوا قال: أفأخرج وأقعد عليها؟ قالوا: نعم، فهاب



الجلوس عليها، وركب برذوناً له، وخرج يسير عليها فبينما هو يسير إذا انتسفت دجلة بالبنيان فلم يدرك إلا بآخر رمق، فدعاهم فقال: والله لأمرن على آخركم، ولأنزعن أكتافكم، ولأطرحنكم تحت أيدي الفيلة، أو لتصدقني ما هذا الأمر الذي تلفقون علي؟ قالوا: لا نكذبك أيها الملك، أمرتنا حين انخرقت عليك دجلة وانقضت عليك طاق مجلسك من غير ثقل أن نظر في علمنا، فأظلمت علينا بأقطار السماء فتردد علمنا في أيدينا، فلا يستقيم لساحر سحره، ولا لكاهن كهانته، ولا لمنجم علم نجومه فعرفنا أن هذا الأمر حدث من السماء، وأنه قد بعث نبي أو هو مبعوث، فلذلك حيل بيننا وبين علمنا، فخشينا إن نفينا إليك ملكك أن تقتلنا، فكرهنا من الموت ما يكره الناس فعللناك عن أنفسنا بما رأيت، قال: ويحكم فهلا يكون بيتهم لي هذا فأرى فيه رأيي؟! قالوا: منعنا من ذلك ما تخوفنا منك، فتركهم ولهاً عن دجلة حين غلبته.

حادي عشر:- وانتشر في تلك الليلة نور من قبل الحجاز ثم استطار حتى بلغ المشرق.

ثاني عشر:- ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً.

ثالث عشر:- وانتزع علم الكهنة، وبطل سحر السحرة، ولم تبق كاهنة في العرب إلا

حجبت عن صاحبها.

رابع عشر:- وبدا من فيه نور رأى أهل مكة منه قصور بصرى من الشام وما يليها،

والقصور الحمر من أرض اليمن وما يليها، والقصور البيض من إصطخر وما يليها،

ولقد أضاءت الدنيا ليلة ولد النبي ﷺ حتى فزع الجن والإنس والشياطين وقالوا:

يحدث في الأرض حدث، ولقد رئيت الملائكة ليلة ولد تصعد وتنزل، وتسبح وتقدس،

وتضطرب النجوم وتتساقط علامات ميلاده، ولقد هم إبليس بالظعن في السماء لما رأى

من الأعاجيب في تلك الليلة، وكان له مقعد في السماء الثالثة، والشياطين يسترقون

السمع، فلما رأوا الأعاجيب أرادوا أن يسترقوا السمع، فإذا هم قد حجبوا من السماوات

كلها، ورموا بالشهب دلالة لنبوته ﷺ (٢٤).



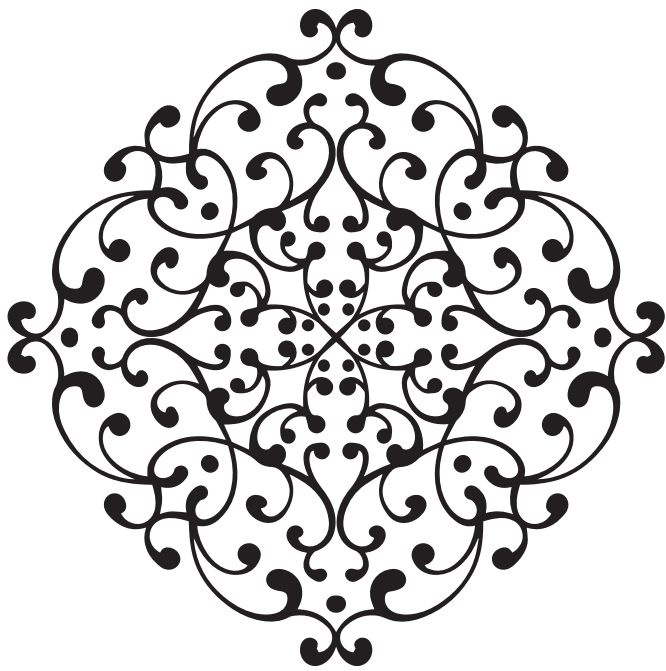
هوامش الفصل الثالث:

- (١) ينظر: الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، (سورة الضحى)، جزء ١٠، ص ٣٨٣؛ المجلسي، بحار الأنوار، جزء ٣٥، ص ٤٢٥.
- (٢) السيد هاشم البحراني، البرهان في تفسير القرآن، مؤسسة البعثة، جزء ٥، ص ٦٨٤.
- (٣) هامش مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هجرية، جزء ٣١، ص ١٩٥ - ١٩٦.
- (٤) علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، ج ٢، ص ١٣٥ - ١٣٦.
- (٥) م. ن. جزء ٢، ص ٤٨ - ٤٩.
- (٦) كمال الدين وقام النعمة، للشيخ الجليل الأقدم الصدوق، ج ١، ص ٢٢٤.
- (٧) كتاب سليم بن قيس الهالبي: أسرار آل محمد، تحقيق: محمد باقر الزنجاني الخوئي، طبعة ١٤٢٠ هجرية، قم، ص ١٤٦ - ١٤٧.
- (٨) كمال الدين وقام النعمة، الشيخ الصدوق، المجلد ١، ص ١٩٦.
- (٩) م. ن. ج ١، ص ١٩٦ - ١٩٧.
- (١٠) ينظر: ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٢٩ - ٣٠.
- (١١) م. ن.
- (١٢) الأمالي، الشيخ الصدوق، المجلد ١، ص ٧٢٣.
- (13) Uri Rubin، as Muhammad of Life The: Beholder the of Eye The، 21.P، Press1995 Darwin The by copwrite، Muslims Early the by Viewed
- (١٤) إقبال الأعمال، السيد ابن طاووس، ج ٣، ص ١٢٢.
- (١٥) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، منشورات المكتبة الحيدرية في النجف، ١٣٨٤ هجرية - ١٩٦٤ م، ج ٢، ص ٤؛ بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ١٥، ص ٢٤٨.
- (١٦) اليعقوبي، ج ٢، ص ٤.
- (١٧) السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م، ج ١، ص ١٩٨ - ١٩٩.
- (١٨) الشيخ الطبرسي، إعلام الوري بأعلام الهدى، ج ١، ص ٤٢؛ إمتاع الأسعاع بما للنبى من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، المؤلف: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ (المتوفى: ٨٤٥هـ)، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، الناشر: دار الكتب العلمية،



- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ج ١، ص ٦ - ٧.
- (١٩) تاريخ دمشق، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١ هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، جزء ٣ ص ٦٦ - ٦٨.
- (٢٠) المقرئزي، المصدر السابق.
- (٢١) الأمالي، الشيخ الصدوق، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، (المجلس الثامن والثمانون، يوم السبت، ١ / ٩٥٣، ص ٦٩٨ - ٧٠٠).
- (٢٢) اليعقوبي، المصدر السابق؛ ابن شهر آشوب مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٣٠.
- (٢٣) ينظر: اليعقوبي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤؛ بحار الأنوار، المجلسي، ج ١٥، الصفحة ٢٤٩ - ٢٥٠، ٢٥٩، ٢٦٣ - ٢٦٤.
- (٢٤) ينظر عن المعجزات: اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٥ - ٦؛ الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ٣٦٠ - ٣٦٢؛ بحار الأنوار، المجلسي، ج ١٥، الصفحة ٢٤٩ - ٢٥٠، ٢٥٩، ٢٦٣ - ٢٦٤.







الفصل
الرابع

المباحث التطبيقية

الروايات الشفاهية بخصوص المبعث النبوي الشريف

بحسب المؤلفات التاريخية السنية

أولاً :

الرواية التأسيسية «رواية محمد بن إسحاق في كتابه (السيرة النبوية: كتاب السير والمغازي) وكذلك روايته بحسب رواية زياد بن عبد الله أو عبيد الله البكائي في سيرة ابن هشام»، وروايات المؤرخين والعلماء الذين اعتمدوا سيرة ابن هشام نصّاً ولم يرجعوا الى السيرة الأصلية لابن إسحاق إلا القليل منهم.

بعون من الله سبحانه وتعالى سيكون هذا الفصل في حقيقته فصل جرد ومناقشة للرواية التأسيسية التي تعدّ هي المصدر بل الأخرى المصدر الوحيد لدراسة المبعث النبوي الشريف من وجهة نظر المؤرخين والمفسرين ومؤلفي الصحاح والمساند والمصاحف من أهل العامة، وهو المصدر الذي اعتمد السلسلة السندية الزبيرية بحلقتهما الأخيرة عن عائشة زوج رسول الله ﷺ خالة مؤسس الرواية عروة بن الزبير بن العوام. فلقد كانت صلة عروة بخالته متميزة وفعالة جداً، إذ تؤشر رواية رواها سفيان بن عيينة إلى أنه كان هناك في المدينة المنورة ثلاثة علماء كانوا من أعلم الناس بحديث عائشة ألا وهم:- القاسم بن محمد، وعروة بن الزبير، وعمرة بنت عبد الرحمن؛ وذكر ابن حجر العسقلاني رواية رواها قبيصة بن ذؤيب [وهو أبو سعيد قبيصة بن ذؤيب الخزاعي الدمشقي (٨هـ - ٨٦هـ) تابعي شامي، وأحد رواة الحديث النبوي، وَكَانَ عَلَى الْخُتْمِ وَالْبَرِيدِ لِعَبْدِ الْمَلِكِ، وَقَدْ أُصِيبَتْ عَيْنُهُ يَوْمَ الْحَرَّةِ، وَلَهُ دَارٌ مُعْتَبَرَةٌ بِبَابِ الْبَرِيدِ] ^(١) قال: «كان عروة يغلبنا -وفي رواية أخرى عند المزني وردت يعلمنا بدلاً من يغلبنا- بدخوله على عائشة، وكانت عائشة أعلم الناس يسألها الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ».



وفي محاولة متواضعة وسريعة للمقارنة بين أهم ثلاث حلقات نهائية في أسانيد السيرة النبوية وصولاً الى حلقة الرسول الكريم ﷺ ألا وهي حلقة عبد الله بن عباس، وحلقة جابر بن عبد الله بن عمرو بن حزام الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه)، وحلقة راويتنا عروة بن الزبير سنجد أن الأخير يتفوق في عدد المرويات التي قد تمّ اعتمادها في مؤلفات الصحاح وبعض المؤلفات التاريخية الرائدة. الأمر الذي يدل على أن عروة بن الزبير قد أولى هذه الحقبة التاريخية التأسيسية في التدوين التاريخ الإسلامي اهتماماً خاصاً، ولا سيما أنه قد اختص -إن صحّ هذا التعبير- بحلقة قريبة جداً من حديث رسول الله ﷺ ألا وهي حلقة خالته عائشة. والحقيقة أن جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه) كان هو نفسه يمثل حلقة أساسية، إذ إنه إما كان قد سمع رسول الله ﷺ، وإما كان قد تحدث معه؛ وكذلك الحال في طبيعة حلقة عبد الله بن عباس. غير أن وثيقة الرابطة الزوجية باعتبار الخالة عائشة زوجة رسول الله ﷺ المفضلة ووجودها المستمر، فضلاً عن قربها المتواصل يؤدي بالتأكيد الى ارتفاع نسبة الأحاديث التي زودت بها عروة بن الزبير. آخذين بنظر الاعتبار أن عائشة قد أولت هذا الموضوع أهمية أساسية، وجعلت من نفسها مدرسة لتعليم حديث رسول الله ﷺ.

روايات عن اليوم والشهر الذي بعث فيه النبي ﷺ :-

ومع شيوع حديث الرسول ﷺ بين الصحابة مشيراً الى أنه قد بعث يوم الاثنين ((ذلك يوم ولدت فيه ويوم بعثت فيه أو أنزل عليّ فيه))، لكن الآراء تباينت عن أي الاثنين، وقد تباينت الآراء في تحديد ذلك الاثنين فضلاً عن الشهر وهي :-

١- رواية عروة عن عائشة أن النبي ﷺ قد نبئ يوم السبت والأحد وجاءته الرسالة يوم الاثنين لسبع عشر خلت من شهر رمضان.

٢- رواية عبد الله بن عباس أنه يوم الاثنين. ورواية أنس تتفق مع ذلك.

٣- أما الرواية التي وردت عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن أبي جعفر فهي



قوله: نزل الملك بحراء يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان.

٤- ورواية يعقوبي التي لم تشر الى مصدرها، ومفادها أن الرسول ﷺ قد بعث «لما استكمل أربعين سنة»، وكان مبعثه في شهر ربيع الأول وقيل في شهر رمضان. ونقل يعقوبي رواية الخوارزمي الذي حدّد مبعثه ﷺ تحديداً فلكياً قائلاً: إن الملك جبريل عليه السلام أتاه ليلة السبت وليلة الأحد ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين وقال بعضهم: يوم الخميس. وأشار الى رواية الإمام الصادق عليه السلام أن اليوم هو الجمعة لعشر بقين من شهر رمضان ولذلك فقد صار الجمعة عيد المسلمين. واعتماداً على رواية يعقوبي فإن الملك إسرافيل عليه السلام وكلّ بالرسول ﷺ ثلاث سنين، والملك جبريل عليه السلام وكلّ به لمدة عشرين سنة، وقيل: إن جبريل عليه السلام ما زال موكلاً به، ولم يحدد مدة (ما زال)، أي تمثّل مدة حياة المصدر الذي اعتمده؟ أم مدة حياة يعقوبي في نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي؟.

٥- وللتأكيد على يوم الاثنين هناك رواية حلقتها السندية الأخيرة أبو قتادة الأنصاري حول سؤال وجهه أحد الصحابة للرسول الكريم ﷺ عن صيام يوم الاثنين فكان جوابه ﷺ: «ذلك يوم ولدت فيه ويوم بعثت فيه أو أنزل عليّ فيه». ووردت رواية أخرى عن أبي قتادة بهذا الفحوى مفادها أن عمر بن الخطاب كان قد سأل النبي ﷺ عن صوم الاثنين فأجاب ﷺ: «ذاك يوم ولدت فيه ويوم أنزلت عليّ فيه النبوة».

٦- وفي رواية ثانية عن عبد الله بن عباس ولكن عن طريق حنش الصنعاني لا عكرمة قوله: «ولد النبي ﷺ يوم الاثنين واستنبت يوم الاثنين»، وعلّق الطبري على ذلك بقوله: «وهذا مما لا خلاف فيه بين أهل العلم».

واختلفوا فيه أي الأثنين، فبعضهم قال: نزل القرآن الكريم على الرسول ﷺ لثماني عشرة خلت من شهر رمضان، وهي رواية أبي قلابة عبد الله بن زيد الجرهمي، أما آخرون فيرون أن نزول الوحي كان لأربع وعشرين ليلة خلت من شهر رمضان بحسب رواية



قتادة بن دعامة السدوسي عن أبي الجلد. والقسم الثالث يقول بنزول الوحي في سبع عشرة خلت من شهر رمضان مستشهدين بآية يوم الفرقان. علماً أن ابن إسحق قد أورد رواية قال فيها حدثه الإمام أبو جعفر محمد بن علي بأن يوم الفرقان الذي التقى فيه رسول الله ﷺ بالمشركين في بدر كان يوم الجمعة صبيحة السابع عشر من شهر رمضان وليس يوم الاثنين. على الرغم من أن الإمام لم يشر إلى أنه يوم نزول الوحي، فالإمام هنا يصحح فقط ما ورد بشأن معركة بدر على أنها قد وقعت فعلاً في صبيحة يوم الاثنين. وبحسب روايته عليه السلام «أتى الوحي يوم الاثنين بالرسالة لسبع عشر خلت من شهر رمضان وقيل في الرابع والعشرين منه» وعنه عليه السلام بحسب رواية عبيد بن عمير كان نزول الوحي يوم الاثنين وقيل من شهر ربيع الأول.

٧- وفي رواية منفردة لابن الجوزي فإن الشهر هو شهر رجب أو السابع والعشرون منه وليس شهر رمضان.

وقد أجهل ابن سيد الناس الاختلافات على الوفق الآتي:-

أ- يوم الاثنين (أو ليلة الاثنين) لسبع من شهر رمضان.

ب- لسبع عشرة قضيت من شهر رمضان.

ج- في السابع والعشرين من شهر رجب.

د- يوم الاثنين الثامن من ربيع الأول سنة ٤١ في عام الفيل.

ولقد فصل ابن عساكر في سيرته في تاريخ دمشق في باب خاصّ عنونه بـ(باب ذكر مولد النبي (عليه الصلاة والسلام) ومعرفة من كفله وما كان من أمره قبل أن يوحى الله (عز وجل) إليه ويرسله إلى الخلق بتبليغ الرسالة) الآراء المتباينة بين رواة السيرة النبوية الشفاهيين بقوله: «أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن عبد الملك الأديب أنبأنا إبراهيم بن منصور السلمي أنبأنا أبو بكر بن المقرئ أنبأنا أبو يعلى أنبأنا محمد بن منهال أنبأنا يزيد بن زريع أنبأنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن غيلان بن جرير عن عبد الله بن معبد



الزمانى عن أبى قتادة قال: قال عمر: يا رسول الله إني رأيت رجلاً يصوم يوم الاثنين قال قال يوم ولدت فيه يوم أنزل علي. في حديث أخبرنا أبو سهل محمد بن إبراهيم المزكي أنبأنا أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي أنبأنا جعفر بن عبد الله بن يعقوب أنبأنا محمد بن هارون الروياني أنبأنا أبو سعيد الأشج قال سمعت وكيعاً يقول حدثنا مهدي بن ميمون عن غيلان بن جرير عن عبد الله بن معبد الزماني عن أبي قتادة أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن صوم يوم الاثنين قال فيه ولدت وفيه أوحى إلي. أخبرنا أبو غالب بن البنا أنبأنا أبو الحسين بن الأنبوسي أنبأنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى الدقاق أنبأنا أبو محمد إسماعيل بن علي بن إسماعيل الخطابي أنبأنا محمد بن عثمان أنبأنا عقبة بن مكرم أنبأنا المسيب بن شريك عن شعيب بن شعيب عن أبيه عن جده قال حمل رسول الله ﷺ في عاشوراء المحرم وولد يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة أصحاب الفيل. أخبرنا أبو عبد الله الفراوي أنبأنا أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو علي الروذباري بطوس أنبأنا أبو النضر محمد بن محمد بن يوسف أنبأنا عثمان بن سعيد الدارمي أنبأنا سعيد بن عفير حدثني ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمرو عن حنش عن ابن عباس قال ولد نبيكم ﷺ يوم الاثنين ونبي يوم الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين وفتح مكة يوم الاثنين ونزلت سورة المائدة يوم الاثنين «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي» [المائدة / ٣] وتوفي يوم الاثنين. أخبرنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزة السلمى أنبأنا أبو بكر الخطيب أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنبأنا أبو بكر اللالكائي وأبو سعد محمد بن علي بن جعفر الرستمي قالوا أنبأنا أبو الحسين بن الفضل أنبأنا عبد الله بن جعفر أنبأنا يعقوب بن سفيان أنبأنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني عبد الله بن لهيعة عن خالد عن حنش عن ابن عباس قال ولد نبيكم ﷺ يوم الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ونزلت سورة المائدة يوم الاثنين «اليوم أكملت لكم دينكم» ورفع الركن يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين. أخبرناه



أبو القاسم بن الحصين أنبأنا أبو علي بن المذهب أنبأنا أبو بكر بن مالك أنبأنا عبد الله بن أحمد حدثني أبي أنبأنا موسى بن داود أنبأنا ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن حنش الصنعاني عن ابن عباس قال ولد النبي ﷺ يوم الاثنين واستنبت يوم الاثنين وخرج مهاجرا من مكة يوم الاثنين. أخبرنا أبو العزّ بن كادش أنبأنا أبو محمد الجوهري أنبأنا أبو الحسن علي بن محمد بن لؤلؤ حدثنا عبد الله بن العباس الطيالسي أنبأنا سالم بن جنادة أنبأنا أبي أنبأنا عبيد الله بن عمر عن كريب عن ابن عباس قال ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين ومات يوم الاثنين ودفن ليلة الثلاثاء. أخبرنا أبو العباس أحمد بن الفضل بن أحمد سمكويه الخياط أنبأنا أبو بكر أحمد بن الفضل بن محمد بن الناظر قاني أنبأنا محمد بن إسحاق أنبأنا خيثمة بن سليمان أنبأنا خلف بن محمد كردوس الواسطي أنا المعلى بن عبد الرحمن أنبأنا عبد الحميد بن جعفر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال ولد النبي ﷺ يوم الاثنين في ربيع الأول وأنزلت عليه النبوة يوم الاثنين في أول شهر ربيع الأول وأنزلت عليه البقرة يوم الاثنين في ربيع الأول وهاجر إلى المدينة في ربيع الأول وتوفي يوم الاثنين في ربيع الأول. قال وأنبأنا الناظر قاني أنبأنا محمد بن الحسن بن يوسف الإمام أنبأنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الكريم الرازي أنبأنا الحسن بن عبد الله بن منصور الأنطاكي أنبأنا موسى بن داود عن ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن حنش عن ابن عباس قال ولد نبيكم ﷺ يوم الاثنين ونبي يوم الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وكان فتح بدر يوم الاثنين وأنزلت المائدة يوم الاثنين... قال وأنبأنا الزبير بن بكار قال وحدثني أيضا محمد بن حسن عن عبد السلام بن عبد الله عن معروف بن خربوذ وغيره من أهل العلم قالوا ولد رسول الله ﷺ عام الفيل وسميت قريش آل الله وعظمت في العرب ولد لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول ويقال ولد في شهر رمضان في اثنتي عشرة منه يوم الاثنين حين طلع الفجر قال وكان إبليس يخترق السموات السبع فلما ولد النبي



عيسى عليه السلام حجب من ثلاث سموات فكان يصل إلى أربع سموات فلما ولد النبي صلى الله عليه وآله حجب من السموات ورميت الشياطين من النجوم فقالت قريش هذا قيام الساعة فقال رجل من قريش يقال له عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف انظروا انظروا إلى العيوق فإن كان قد رمي به فهو قيام الساعة. أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي أنبأنا أبو محمد الجوهري أنبأنا أبو عمر بن حيوية أنبأنا أحمد بن معروف بشر أنبأنا حارث بن أبي أسامة أنبأنا محمد بن سعد أنبأنا محمد بن عمر قال كان أبو معشر نجيح المدني يقول ولد رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول. أخبرنا أبو الفرج قوام بن زيد المري بدمشق وأبو القاسم بن السمرقندي ببغداد قال أنا أبو الحسين بن النقر أنبأنا أبو الحسن علي بن عمر الحربي أنبأنا أحمد بن الحسين بن عبد الجبار نا يحيى بن معين وأخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الفقيه أنبأنا أبو حفص عمر بن أحمد بن منصور الزاهد أنبأنا أبو سهل بشر بن أحمد بن بشر الإسفرايني أنبأنا أبو أحمد بن ناجية بن نجية من بغداد قال أخبرنا حسين بن منصور أبو علوية وأخبرنا أبو العز بن كادش أنبأنا أبو محمد الجوهري أنبأنا علي بن محمد بن أحمد بن لؤلؤ أنبأنا أبو العباس أحمد بن محمد الكرخي أنبأنا يوسف بن مسلم أنبأنا حجاج بن محمد نا يونس بن أبي إسحاق عن أبيه وفي حديث يحيى عن أبي إسحاق عن أبيه عن ابن عباس قال ولد رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الفيل. أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن منصور الفقيه أنبأنا أبو الحسن بن أبي الحديد أنبأنا جدي أبو بكر أنبأنا محمد بن بركة أنبأنا يوسف بن مسلم نا حجاج بن محمد عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه وفي حديث يحيى عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ولد رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الفيل. قال وأنبأنا محمد بن بركة أنبأنا أبو حميد عبد الله بن محمد بن تميم أنبأنا حجاج بن محمد أنبأنا يونس بن أبي إسحاق عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله ولد يوم الفيل. قال وحدثنا الزراد بمنج أنبأنا عباس الدوري أنبأنا يحيى بن معين أنبأنا حجاج بن محمد عن يونس



بن أبي إسحاق عن أبي إسحاق فذكر مثله. أخبرنا أبو الفتح يوسف بن عبد الواحد الماهاني أنا شجاع بن علي المصقلي، أنبأنا أبو عبد الله بن مندة أنبأنا عبد الله بن جعفر البغدادي بمصر أنبأنا عبيد الله بن عبد الرحيم بن البرقي أنبأنا عبد الملك بن هشام أنبأنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق حدثني المطلب بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن جده قال ولد رسول الله ﷺ عام الفيل وبين الفجار والفيل عشرون سنة. وأخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنبأنا أبو الحسين بن النقور حدثنا عيسى بن علي أنبأنا عبد الله بن محمد قال وأنبأنا ابن النقور أنا أبو طاهر المخلص أنبأنا رضوان بن أحمد بن جالينوس قال أنبأنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق أخبرنا أبو الفتح يوسف الماهاني أنبأنا شجاع المصقلي أنبأنا أبو عبد الله بن مندة أنبأنا محمد بن عمر بن حفص أنا إسحاق بن إبراهيم بن شاذان نا وهب بن جرير نا أبي قال سمعت محمد بن إسحاق يحدث عن المطلب وأخبرنا أبو الحسن بن أحمد بن منصور أنبأنا أبو الحسن بن أبي الحديد أنا جدي أبو بكر أنبأنا أبو بكر بن دا عيس نا سليمان بن سيف نا سعيد بن بزيع عن ابن إسحاق وأخبرت نا أم البهاء فاطمة بنت محمد قالت أنبأنا أبو طاهر بن محمود الثقفي أنبأنا أبو بكر بن المقرئ أنبأنا أبو الطيب محمد بن جعفر الزراد المنبجي أنبأنا أبو الفضل عبيد الله بن سعد الزهري نا عمي يعقوب بن إبراهيم نا أبي عن ابن إسحاق حدثني المطلب بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن جده زاد البغوي وابن المقرئ قيس بن مخرمة قال ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل فنحن لدتان، قال يونس كنا لدين. وقال كنا لدان. وفي حديث ابن المقرئ قال ابن إسحاق ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول. أخبرنا أبو غالب بن البنا أنبأنا أبو الحسين بن الآبوسي أنبأنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى الدقاق أنبأنا أبو محمد إسماعيل بن علي بن إسماعيل الخطابي أنبأنا عبد الله يعني أحمد بن حنبل حدثني جعفر بن مهران أبو النضر بالبصرة نا عبد الأعلى بن عبد الأعلى حدثني محمد



بن إسحاق عن المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخزومة عن أبيه عن جده قيس بن مخزومة قال ولد رسول الله ﷺ عام الفيل وبين الفجار وبين الفيل عشرون سنة. قال سموا فجار لأنهم فجرُوا وأحلوا أشياء كانوا يحرمونها وكان بين الفجار وبين بناء الكعبة خمس عشرة سنة وبين بناء الكعبة وبين مبعث النبي ﷺ خمس سنين قال فبعث نبينا عليه الصلاة والسلام وهو ابن أربعين سنة كذا جاءت هذه التواريخ مدرجة في الحديث وأراها من قول ابن إسحاق. أخبرنا أبو عبد الله الفراوي أنبأنا أبو بكر البيهقي. وأخبرنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزة أنبأنا أبو بكر الخطيب وأخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنبأنا أبو بكر الطبري وأبو سعد محمد بن علي الرستمي قالوا أنبأنا أبو الحسين بن الفضل أنبأنا عبد الله بن جعفر أنبأنا يعقوب بن سفيان نا إبراهيم بن المنذر نا عبد العزيز بن أبي ثابت حدثني عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان النوفلي عن أبيه عن محمد بن جبير بن مطعم قال ولد رسول الله ﷺ عام الفيل وكانت عكاظ بعد الفيل بخمس عشرة سنة وبني البيت على رأس خمس وعشرين من الفيل وتنبئ رسول الله ﷺ على رأس أربعين من الفيل. قال ونبأنا يعقوب ونبأنا إبراهيم بن المنذر نا مليح بن فضيل عن موسى عن فضيل بن عقبة عن ابن شهاب قال بعث الله تعالى محمدا على رأس خمس عشرة سنة من بنيان الكعبة وكان بين مبعث النبي ﷺ وبين أصحاب الفيل سبعون سنة. قال أبو إسحاق إبراهيم بن المنذر هذا وهم والذي لا يشك فيه أحدا من علمائنا أن رسول الله ﷺ ولد عام الفيل وبعث على رأس أربعين سنة من الفيل. أخبرنا أبو بكر الفرضي أنبأنا أبو محمد الجوهري أنبأنا أبو عمر بن حيوية، أنبأنا أحمد بن معروف أنبأنا حارث بن أبي أسامة أنبأنا محمد بن سعد أنبأنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمي حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة وأخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنبأنا محمد بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز أنبأنا أبو الحسين بن بشران أنبأنا القاضي أبو الحسين علي بن الحسن بن علي بن مالك الأشثاني وأخبرنا أبو محمد بن الأكفاني أنبأنا أبو



بكر الخطيب أنبأنا أبو الحسن الحمامي أنبأنا أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي قيس الدقاق قال أنبأنا ابن أبي الدنيا أخبرني محمد بن صالح القرشي أنبأنا محمد بن عمر حدثنا ابن أبي سبرة عن أبي جعفر محمد بن علي قال ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين لعشر خلون من ربيع الأول وكان قد قدم الفيل للنصف من المحرم فبين الفيل وبين مولد النبي ﷺ خمس وخمسون ليلة. هذا لفظ محمد بن صالح وزاد: وكان بين الفيل والفجار عشرون سنة وكان بين بنان الكعبة والفجار خمس عشرة سنة فبنيت الكعبة ورسول الله ﷺ ابن خمس وثلاثون سنة. قال: قال عمر وعلي: حدثنا ابن أبي الدنيا قال فأخبرني وقال ابن الأكفاني حدثنا الحسن بن عثمان أخبرني ابن أبي زائدة عن مجالد عن عامر قال ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الاثنين لعشر خلون من ربيع الأول. أخبرنا أبو عبد الله الفراوي أنبأنا الحسن أنبأنا أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنبأنا عمر بن عبيد الله بن عمر قال أنبأنا أبو الحسين بن بشران أنبأنا عثمان بن أحمد بن عبد الله أنبأنا حنبل بن إسحاق أنبأنا أبو الربيع الزهراني أنبأنا يعقوب القمي نا جعفر بن أبي المغيرة عن ابن أبيزى قال كان بين الفيل وبين مولد رسول الله ﷺ عشر سنين. أخبرنا أبو غالب الماوردي أنبأنا أبو الحسن محمد بن علي السيرافي أنبأنا أبو عبد الله أحمد بن إسحاق النهاوندي أنبأنا أحمد بن عمران نا موسى بن زكريا نا خليفة بن خياط حدثني شعيب بن حيان عن عبد الواحد بن أبي عمرو عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال ولد النبي ﷺ يوم الاثنين قبل الفيل بخمس عشرة سنة قال خليفة وقال علي بن محمد عن موسى بن عقبة قال ولد بعد الفيل بثلاثين عاما وقال أبو زكريا العجلاني بعد الفيل بأربعين عاما قال خليفة والمجمع عليه عام الفيل» (٣) .



آراء ومواقف توفيقية:

فالمرويات السابقة الذكر في اللوحة المفصلة التي وصفها ابن عساكر لا بدّ من أنها تعكس أن هناك اختلافات بين الرواة الشفاهيين من الصحابة الذين من المفروض أن نعول عليهم بشأن يوم ولادة النبي ﷺ، فضلاً عن عمره عند بعثته الربانية الميمونة، وكذلك بشأن اليوم أو الليلة أو الشهر الذي أنزل فيه الوحي والملك جبرئيل بالرسالة السماوية السامية. ومع وجود هذه التباينات الكثيرة ومع إقرار علماء السيرة بوجودها لكنهم لم يبدوا موقفاً محدداً في ترجيح أحدها على الآخر، فيما عدا الموقف الذي بذله بعضهم في محاولة التوفيق أو إجراء عملية رأب الصدع بين الرواة الشفاهيين لرواية هشام بن عروة -الزهري عروة بن الزبير- عائشة، ورواية عن عبد الله بن عباس أو عن سعيد بن المسيب وآخرين إزاء تحديد عمر رسول الله ﷺ أ كان عمره الشريف أربعين سنة أو عند استكمال الأربعين سنة أو أربعين سنة ويوماً أو أربعين سنة وشهرين أو ثلاث وأربعين سنة وهكذا، الأمر الذي يقودنا الى القول بأن هناك تعمداً -بامتياز- بين هؤلاء الرواة الشفاهيين والأصليين لطمر المعالم البينة والحقيقية كما فعل هؤلاء في جعل عام الفيل هو العام المؤكد لولادته الميمونة العام المجهول أصلاً وغير المتفق على حدوثه وسنة وقوعه؛ وكذلك لم يتفق هؤلاء الرواة الشفاهيون الذين عينهم معاوية بن أبي سفيان [عروة بن الزبير وابن شهاب الزهري وعبد الملك بن مروان واثنان من فقهاء المدينة المنورة وهما فقهاء وعاظ السلاطين] فيما إذا قد قرن رسول الله ﷺ بالملك إسرائيل عليه السلام مدة ثلاث سنين في مكة ثم قرن به الملك جبريل عليه السلام لعشر سنين في مكة المكرمة، ومثلها في المدينة المنورة؛ أو بين تلك الرواية وهي الرواية الفريدة الوحيدة عن ابن عباس أيضاً بأنه عليه السلام قد قضى خمس عشرة سنة في مكة وليس عشر سنين أو ثلاث عشرة سنة كما عرضها رواة آخرون. ولسبب له علاقة بالأمويين عامة وبمعاوية بشكل خاص هيمن على عقلية بعض علماء السيرة النبوية المطهرة، إذ وجدوا في رواية (الزهري



+ عروة + عائشة) إغفالاً أو تغاضياً متعمداً عن السنوات الثلاث التي قرن الرسول ﷺ بها بالملك إسرائيل عليه السلام، وهي مدة مهمة لا يمكن المرور عليها مروراً هيناً وسريعاً دون وقفة تفكير وتمعن؛ فضلاً عن أن هؤلاء (الرواة الشفاهيين وأعضاء اللجنة العلمية الأمنية والرقابية التي عينها معاوية بحسب رواية ابن عساکر) قد أيقنوا بأنها تشكل ثغرة في التعارض بل والتضاد بين مرويات الحلقة المتميزة في تاريخ الرسالة الإسلامية ألا وهي رواية الأئمة الأطهار عليهم السلام التي أعدموها وغيبوها؛ لذلك حاولوا التدخل لمجرد إيجاد حل توفيقياً مناسب وذلك لأهميتها. فكيف يا ترى كانت محاولتهم التوفيقية أو الترفيعية؟.

فابن حبان البستي قد خصّص صحيحه بعنوان واضح مصرح به بشكل لا يقبل الشك بأنه انتقد أولئك الذين رأوا أن هنالك تناقضاً بين الروایتين (رواية عروة بن الزبير + عائشة من جهة، ورواية عبد الله بن عباس وابن المسيب وغيرهم من الجهة الثانية). واختار عنواناً غريباً هو (ذَكَرَ خَبَرُ أَوْهَمَ مَنْ لَمْ يُحْكَمْ صِنَاعَةُ الْحَدِيثِ أَنَّهُ يُضَادُّ خَبَرَ عَائِشَةَ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ). ثم يتابع البستي حديثه هذا على هذه الصيغة التي نقلها نصاً من كتابه وهي الآتي، قال: «أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ حَدَّثَنَا أَبَانُ بْنُ يَزِيدَ الْعَطَّارُ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ أَيُّ الْقُرْآنِ أَنْزَلَ أَوَّلَ قَالَ: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) قُلْتُ: إِنِّي نُبِّئْتُ أَنَّ أَوَّلَ سُورَةٍ أَنْزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِي (رضوان الله تعالى عليه) أَيُّ الْقُرْآنِ أَنْزَلَ أَوَّلَ قَالَ: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي نُبِّئْتُ أَنَّ أَوَّلَ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) قَالَ جَابِرٌ (رضوان الله تعالى عليه): لَا أَحَدُّثُكَ إِلَّا مَا حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «جَاوَزْتُ فِي حِرَاءٍ فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي نَزَلْتُ فَاسْتَبَطَنْتُ الْوَادِي فَنَوْدَيْتُ فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي فَلَمْ أَرْ شَيْئاً فَنَوْدَيْتُ فَنَظَرْتُ فَوْقِي فَإِذَا أَنَا بِهِ قَاعِدٌ عَلَى عَرْشٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَجِئْتُ مِنْهُ فَانْطَلَقْتُ إِلَى خَدِيجَةَ ؓ فَقُلْتُ دَثِّرُونِي دَثِّرُونِي وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِداً فَأَنْزَلَتْ عَلَيَّ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) قُمْ



فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ). قَالَ أَبُو حَاتِمٍ فِي خَبَرِ جَابِرٍ هَذَا: «إِنَّ أَوَّلَ مَا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ (يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ) وَفِي خَبَرِ عَائِشَةَ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) وَلَيْسَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْخَبَرَيْنِ تَضَادٌّ إِذِ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) وَهُوَ فِي الْغَارِ بِحِرَاءَ فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ دَثَّرَتْهُ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَصَبَّتْ عَلَيْهِ الْمَاءَ الْبَارِدَ وَأُنْزِلَ عَلَيْهِ فِي بَيْتِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ قُمْ) مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْخَبَرَيْنِ تَهَانُثٌ أَوْ تَضَادٌّ.

ذَكَرَ الْقَدَرُ الَّذِي جَاوَرَ الْمُصْطَفَى ﷺ بِحِرَاءَ عِنْدَ نُزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ بِحَسَبِ رَأْيِ الْبَسْتِيِّ قَالَ: «أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ سَلَمٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ: أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ أَوَّلَ؟ قَالَ: «يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ» قُلْتُ: أَوْ «اقْرَأْ»؟ فَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ: سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ (رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ) عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ» فَقُلْتُ أَوْ «اقْرَأْ»؟ فَقَالَ: إِنِّي أَحَدْتُكُمْ مَا حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «جَاوَرْتُ بِحِرَاءَ شَهْرًا فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي نَزَلْتُ فَاسْتَبَطَنْتُ الْوَادِيَّ فَنُودِيتُ فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي فَلَمْ أَرِ أَحَدًا ثُمَّ نُودِيتُ فَنَظَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا هُوَ عَلَى الْعَرْشِ فِي الْهَوَاءِ فَأَخَذَنِي رَجْفَةٌ شَدِيدَةٌ فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَأَمَرَتْهُمْ فَدَثَّرُونِي ثُمَّ صَبُّوا عَلَيَّ الْمَاءَ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ (يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَتِبَابَكَ فَطَهِّرْ)» (٤).

وَفِي نَصِّ آخِرِ أَوْرَدَهُ الْبَسْتِيُّ بِعَنْوَانِ (ذَكَرَ وَصَفَ نُزُولِ الْوَحْيِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) قَالَ: «أَخْبَرَنَا عُمَرُ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ سِنَانٍ أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَنْ مَالِكٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي فِي مِثْلِ صَلَاسَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ فَيَنْفَصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ وَأَحْيَانًا يَتِمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيَكَلِّمُنِي فَأَعْيِي مَا يَقُولُ»، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ فِي الْيَوْمِ الشَّاتِي الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَنْفَصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَنْفَصِدُ عَرَقًا» (٥).



إذن، بحسب ما بيّنه البستي المتقدم ذكره بالنسبة إلى أول آية نزلت على رسول الأمة: (اقرأ باسم ربك)، ثم يستمر ابن حبان في نقده مشيراً إلى رواية يحيى بن أبي كثير إذ سأل أبا سلمة بشأن أول آية فأجاب أبو سلمة أنها: (يا أيها المدثر)، لكن يحيى استعلم ثانية بأن رواية عائشة ترى أنها (اقرأ باسم ربك...)، فكان جواب أبي سلمة بأنه اعتمد على ما قاله الصحابي المعروف جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه). حيثئذ عقب البستي قائلاً: (وليس بين هذين الخبرين تضاد إذ الله عز وجل أنزل على رسوله ﴿اقرأ باسم ربك﴾ في غار حراء فلما عاد إلى بيته دثرته زوجته فأنزلت عليه آيات ﴿يا أيها المدثر﴾). فالنتيجة التي توصل إليها البستي هي: (من غير أن يكون بين الخبرين تهاوتر أو تضاد). وواقع الحال فإن البستي هو الآخر قد تغافل بقصد أو بدونه نقطة الاختلاف الرئيسة وهي عمر الرسول ﷺ عند بعثته الميمونة، فالتضاد والتهاوتر يبقيان موجودين بين الروایتين في هذه الحالة.

مع ذلك فإن المحاولة التوفيقية التي اعتمدها ابن كثير (في السيرة النبوية) وهي جزء من كتابه (البداية والنهاية) هي محاولة أكثر دقة ومباشرة من التي رآها ابن حبان البستي. فابن كثير أولاً قدّم تعليقا عاما على رواية مدة الثلاث والأربعين سنة من عمر النبي ﷺ التي رواها عن طريق عامر الشعبي بخصوص مرافقة الملك إسرافيل ﷺ لرسول الله ﷺ مدة ثلاث سنوات بعدها قرن به ﷺ الملك جبرئيل ﷺ، لذلك تصبح مدة مكوثه في مكة ثلاث عشرة سنة؛ وهاهنا يتدخل ابن كثير قائلاً ما نصّه: «وإما الشيخ شهاب الدين أبو شامة فإنه قد قال وحديث عائشة لا ينافي هذا فإنه يجوز أن يكون أول أمره رؤيا ثم وكل به الملك إسرافيل ﷺ في تلك المدة التي كان يختلي فيها بغار حراء وكان الملك يلقي إليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه إلا تدريجاً به وتمرنًا إلى أن نزل عليه الملك جبرئيل ﷺ فعلمه بعد أن غطه ثلاث مرات فحكّت عائشة ما جرى له مع الملك جبرئيل ﷺ ولم تحك ما جرى له مع الملك إسرافيل ﷺ اختصاراً للحديث، أو لم تكن قد وقفت على قصة



الملك إِسْرَافِيلُ عليه السلام). ونصّ كلام ابن كثير هو الآتي:

”قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدَ، عَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله نَزَلَتْ عَلَيْهِ النَّبُوءَةُ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَقَرَنَ بُنْيَوْتَهُ إِسْرَافِيلُ عليه السلام ثَلَاثَ سِنِينَ، فَكَانَ يُعَلِّمُهُ الْكَلِمَةَ وَالشَّيْءَ، وَلَمْ يَنْزِلِ الْقُرْآنُ، فَلَمَّا مَضَتْ ثَلَاثُ سِنِينَ قَرَنَ بُنْيَوْتَهُ جَبْرِيلُ عليه السلام، فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ عِشْرِينَ سَنَةً، عَشْرًا بِمَكَّةَ وَعَشْرًا بِالْمَدِينَةِ. فَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً. فَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى الشَّعْبِيِّ، وَهُوَ يَقْتَضِي أَنَّ إِسْرَافِيلَ عليه السلام قَرَنَ مَعَهُ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ ثَلَاثَ سِنِينَ، ثُمَّ جَاءَهُ جَبْرِيلُ عليه السلام. وَأَمَّا الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ فَإِنَّهُ قَدْ قَالَ: وَحَدِيثُ عَائِشَةَ لَا يُنَافِي هَذَا. فَإِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَوَّلُ أَمْرِهِ الرُّؤْيَا، ثُمَّ وَكَّلَ بِهِ إِسْرَافِيلُ عليه السلام فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ يَخْلُو فِيهَا بِحِرَاءٍ، فَكَانَ يُلْقِي إِلَيْهِ الْكَلِمَةَ بِسُرْعَةٍ وَلَا يُقِيمُ مَعَهُ تَدْرِيجًا لَهُ وَتَمَرِينًا، إِلَى أَنْ جَاءَهُ جَبْرِيلُ عليه السلام فَعَلِمَهُ بَعْدَ مَا عَظَّهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَحَكَّتْ عَائِشَةُ مَا جَرَى لَهُ مَعَ الْمَلِكِ جَبْرِيلَ عليه السلام وَلَمْ تَحْكَمْ مَا جَرَى لَهُ مَعَ إِسْرَافِيلَ عليه السلام اخْتِصَارًا لِلْحَدِيثِ، أَوْ لَمْ تَكُنْ وَقَفَتْ عَلَى قِصَّةِ إِسْرَافِيلَ عليه السلام“ (٦).

وتعقيباً على ذلك فهي محاولة من أبي شامة غير موفقة تماماً وغير ناجحة في التوفيق بين التضاد والتهاتر بين الموقفين؛ فضلاً عن ذلك فإن ابن كثير يطعن بعالمية عائشة؛ لكونها لم تتحدث عن مدة الملك إِسْرَافِيلَ عليه السلام اختصاراً، وهذا جدل ضعيف وذلك لأنها تعدّ مصدراً أساسياً في مسألة الوحي بحسب الرواية الزبيرية وهي الرواية المهيمنة والسائدة الانتشار. أما محاججته الثانية فتكاد تكون أضعف من الأولى بكثير؛ لأنه يقلل من عالمية عائشة بأنها لم تقف على قصة الملك إِسْرَافِيلَ عليه السلام ولم تعرف بها في الوقت الذي كانت معروفة عند علماء الحديث وعند علماء التراجم من أهل العامة بأنها كانت أعلم (وليس من أعلم) الناس بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله.



وللسيوطي في كتابيه (الإتقان في علوم القرآن)، و(الدر المنثور في التفسير بالمأثور) مساهمة في مجال الجدل بين علماء أهل السنة بخصوص أول الآيات التي أنزلها الله تعالى عن طريق الملك جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ، إذ قسم رأيه في قولين: أحدهما وهو الصحيح: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ رَوَى الشَّيْخَانِ وَغَيْرُهُمَا عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ فَكَانَ يَأْتِي حِرَاءَ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ اللَّيْلُ ذَوَاتِ الْعَدَدِ وَيَتَزَوَّدُ لَذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجَأَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءَ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فِيهِ فَقَالَ: اقْرَأْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ حَتَّى بَلَغَ: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَرْجُفُ بَوَادِرِهِ... «الحديث. القول الثاني: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ روى الشيخان عن سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه) أي القرآن أنزل قبل قال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ قلت: أو ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ قال: أحدثكم ما حدثنا به رسول الله ﷺ: إني جاورت بحراء فلما قضيت جوارِي نزلت فاستبطنت الوادي ونظرت أمامي وخلفي وعن يميني وشمالِي ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا هُوَ يَعْنِي الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخَذَنِي رَجْمَةً فَاتَيْتُ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَأَمَرْتُهُمْ فَدَثَرُونِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ فَمَنْذَرُوا. وَأَجَابَ الْأَوَّلُ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ بِأَجُوبَةٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ السُّؤَالَ كَانَ عَنْ نُزُولِ سُورَةٍ كَامِلَةٍ فَبَيَّنَ أَنَّ سُورَةَ الْمُدَّثِّرِ نَزَلَتْ بِكَمَالِهَا قَبْلَ نُزُولِ تَمَامِ سُورَةِ أَقْرَأَ فَإِنَّهَا أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنْهَا صَدْرُهَا. وَيُؤَيِّدُ هَذَا مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ أَيْضًا عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ جَابِرِ الْأَنْصَارِيِّ (رضوان الله تعالى عليه): سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ



رَأْسِي فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَذَثَرُونِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ فَقَوْلُهُ: «الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ» يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ مُتَأَخِّرَةٌ عَنْ قِصَّةِ حِرَاءِ النَّبِيِّ نَزَلَ فِيهَا: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾. ثَانِيهَا: أَنَّ مُرَادَ جَابِرٍ (رضوان الله تعالى عليه) بالأولية مَخْصُوصَةٌ بِهَا بَعْدَ فِتْرَةِ الْوَحْيِ لَا أَوَّلِيَّةٌ مُطْلَقَةٌ.

ثَالِثُهَا: أَنَّ الْمُرَادَ أَوَّلِيَّةٌ مَخْصُوصَةٌ بِالْأَمْرِ بِالْإِنْدَارِ وَعَبَّرَ بَعْضُهُمْ عَنْ هَذَا بِقَوْلِهِ أَوَّلُ مَا نَزَلَ لِلنَّبِيِّ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ وأول ما نزل للرسالة: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾. رَابِعُهَا: أَنَّ الْمُرَادَ أَوَّلُ مَا نَزَلَ بِسَبَبٍ مُتَقَدِّمٍ وَهُوَ مَا وَقَعَ مِنَ التَّدْثِيرِ النَّاشِئِ عَنِ الرَّعْبِ وَأَمَّا اقْرَأَ فَنَزَلَتْ ابْتِدَاءً بِغَيْرِ سَبَبٍ مُتَقَدِّمٍ، ذَكَرَهُ ابْنُ حَجَرٍ.

وقال السيوطي في كتابه الآخر: ثُمَّ لَمْ يَنْشُبْ وَرَقَةً أَنْ تَوَفَّى وَفَتَرَ الْوَحْيِ قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ (رضوان الله تعالى عليه) قَالَ وَهُوَ يَحْدِثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: بَيْنَا أَنَا أُمِّشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصْرِي فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَرُعِبْتُ مِنْهُ فَارْجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) (سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ: ١-٥) فَحَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ. وَأَخْرَجَ ابْنُ الْمُنْذَرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَوَّلُ سُورَةٍ نَزَلَتْ عَلَى مُحَمَّدٍ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾. وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ وَابْنُ جُرَيْرٍ وَابْنُ الْمُنْذَرِ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ ثُمَّ (ن وَالْقَلَمِ). وَأَخْرَجَ ابْنُ الْمُنْذَرِ وَابْنُ مَرْزُوقٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَوَّلُ شَيْءٍ أَنْزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ خَمْسَ آيَاتٍ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾. وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ثُمَّ (ن). وَأَخْرَجَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ فِي الْمَصَاحِفِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ أَوَّلُ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ بَعْدَ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾



و(يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) (وَالضُّحَى). وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن الزهري وعمر بن دينار أن النبي ﷺ كَانَ بحراء إِذْ أَنَاهُ ملك بنمط من ديباج فِيهِ مَكْتُوبٌ ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ إِلَى ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾. وأخرج الحاكم من طريق عمرو عن جابر أن النبي ﷺ كَانَ بحراء إِذْ أَنَاهُ ملك بنمط من ديباج فِيهِ مَكْتُوبٌ ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ إِلَى ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾. وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وأبو نعيم في الدلائل عن عبد الله بن شداد قال: أَتَى جَبْرِيلُ ﷺ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَقْرَأْ. قَالَ: وَمَا أَقْرَأُ فَضَمَّهُ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَقْرَأْ قَالَ: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فَجَاءَ إِلَى السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ ﷺ فَقَالَ: يَا خَدِيجَةُ مَا أَرَاهُ إِلَّا قَدْ عُرِضَ لِي قَالَتْ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا كَانَ رَبُّكَ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِكَ وَمَا أَتَيْتُ فَاحِشَةً قَطُّ فَآتَتْ السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ ﷺ وَرَقَةً فَأَخْبَرَتْهُ الْخَبَرَ قَالَ: لِأَن كُنْتُ صَادِقَتَهُ إِنْ زَوْجَكَ لَنَبِيِّ وَلِيْلَقِينَ مِنْ أُمَّتِهِ شِدَّةٌ وَلَكِنْ أَذْرَكَتَهُ لِأَوْمَنْنَ بِهِ قَالَ: ثُمَّ أَبْطَأَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ ﷺ فَقُلْتُ السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ ﷺ: مَا أَرَى رَبِّكَ إِلَّا قَدْ قَلَاكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (وَالضُّحَى وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) (الضُّحَى: ١ - ٣) (١٧).

وأخيرا فإن من بين الآراء التي تعرضت للجدل القائم بين الرواة الشفاهيين والمؤلفين الأوائل للسيرة النبوية الشريفة من مؤرخي أهل السنة المتأخرين ممن حاجج في أن رواية عائشة في نزول أول الآيات على رسول الله ﷺ هي الرواية الأصح وليست رواية الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه) ما عرضه ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هجرية في كتابه (زاد المعاد في هدي خير العباد) من قوله: «بَعَثَهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ وَهِيَ سِنُ الْكَمَالِ. قِيلَ: وَلَهَا تُبْعَثُ الرُّسُلُ، وَأَمَّا مَا يُذَكَّرُ عَنِ الْمَسِيحِ أَنَّهُ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ وَلَهُ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً فَهَذَا لَا يَعْرِفُ لَهُ أَثَرٌ مُتَّصِلٌ يَحِبُّ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ. (وَأَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَمْرِ النَّبُوءَةِ الرَّؤْيَا، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ). قِيلَ: وَكَانَ ذَلِكَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، وَمُدَّةُ النَّبُوءَةِ ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، فَهَذِهِ الرَّؤْيَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ثُمَّ أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى



بِالنُّبُوَّةِ، فَجَاءَهُ الْمَلِكُ وَهُوَ بِغَارِ حِرَاءٍ، وَكَانَ يُحِبُّ الْخُلُوةَ فِيهِ، فَأَوَّلُ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) (العلق: ١) هَذَا قَوْلُ عَائِشَةَ وَالْجُمْهُورِ. وَقَالَ جَابِرٌ: أَوَّلُ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) (المدثر: ١). وَالصَّحِيحُ قَوْلُ عَائِشَةَ لِرُجُوعِهِ: أَحَدُهَا: أَنْ قَوْلُهُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ لَمْ يَقْرَأْ قَبْلَ ذَلِكَ شَيْئًا. الثَّانِي: الْأَمْرُ بِالْقِرَاءَةِ فِي التَّرْتِيبِ قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْإِنْذَارِ، فَإِنَّهُ إِذَا قَرَأَ فِي نَفْسِهِ أُنْذِرْ بِمَا قَرَأَهُ، فَأَمَرَهُ بِالْقِرَاءَةِ أَوَّلًا، ثُمَّ بِالْإِنْذَارِ بِمَا قَرَأَهُ ثَانِيًا. الثَّالِثُ: أَنَّ حَدِيثَ جَابِرٍ، وَقَوْلُهُ: أَوَّلُ مَا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) قَوْلُ جَابِرٍ، وَعَائِشَةَ أَخْبَرَتْ عَنْ خَبَرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ نَفْسِهِ بِذَلِكَ. الرَّابِعُ: أَنَّ حَدِيثَ جَابِرِ الَّذِي احْتَجَّ بِهِ صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ نُزُولُ الْمَلِكِ عَلَيْهِ أَوَّلًا قَبْلَ نُزُولِ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ)، فَإِنَّهُ قَالَ: فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي فَقُلْتُ: زَمَلُونِي دَثْرُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ)، وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّ الْمَلِكَ الَّذِي جَاءَهُ بِحِرَاءٍ أُنْزِلَ عَلَيْهِ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)، فَدَلَّ حَدِيثُ جَابِرٍ عَلَى تَأَخُّرِ نُزُولِ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) وَالْحُجَّةُ فِي رِوَايَتِهِ لَا فِي رَأْيِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ» (٧ب).

أما بالنسبة الى مسألة الاختلاف بين الرواة الشفاهيين والأصليين للسيرة النبوية المطهرة، ولاسيما ما يتعلق بأمر ارتباط رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مدة ثلاث سنوات بالملك إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ فهل كانت هذه السنوات ضمن الأربعين سنة من عمره الشريف؟ أم كانت زيادة على الأربعين بثلاث سنين تلك التي قرن بها بالملك إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ؟. وللصاحي وجهة نظر، والحقيقة أنه مؤلف متأخر زمانيا عن الرواة والمؤلفين الأوائل، غير أنه قدّم في كتابه الكبير -المؤلف من اثني عشر جزءا- بابا واسعا بشأن هذا الموضوع لا مندوحة من ذكره هاهنا لأهميته وهو يعطيه عنوانا موسوماً بـ «الباب السابع فيما ذكر أن إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ قرن به قبل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ». يقول فيه: «روى الإمام أحمد في تاريخه بسند صحيح عن عامر الشعبي قال: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشيء، ولم ينزل القرآن على لسانه، فلما مضت ثلاث



سنتين قرن بنبوته جبريل عليه السلام، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة، عشرا بمكة وعشرا بالمدينة، فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة. وهذا يقتضي أن إسرائيل عليه السلام قرن معه بعد الأربعين ثلاث سنين، ثم جاءه جبريل عليه السلام. قال الإمام أبو شامة: وحديث عائشة -أي الذي يأتي في الباب الذي يلي هذا الباب- لا ينافي هذا فإنه يجوز أن يكون أول أمره الرؤيا، ثم وكل به إسرائيل عليه السلام في تلك المدة التي كان يخلو فيها بحراء فكان يلقي إليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه تدريجا وتمرينا، إلى أن جاءه جبريل عليه السلام فعلمه بعد ما غطه ثلاث مرات. فحكّت عائشة ما جرى له مع جبريل عليه السلام ولم تحك ما جرى له مع إسرائيل عليه السلام اختصارا للحديث، أو لم تكن وقفت على قصة إسرائيل عليه السلام. ثم يعقب الصالحى على المقصود بقرن الملك إسرائيل عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله فيقول: «وذكر بعض العلماء الحكمة من مجيء الملك إسرائيل عليه السلام وقرنه برسول الله صلى الله عليه وآله أنه كان الموكل بالنفخ في الصور، والنبي صلى الله عليه وآله بعث قرب الساعة وكانت بعثته من أشراطها، فبعث الملك إسرائيل عليه السلام لهذه المناسبة ولم يبعث إلى نبي قبله» (٧). انتهى حديثه في صفحة ٢٣٠. واستمر الصالحى في رسم موقفه فقال: «وقد أنكر الواقدي خبر الشعبي وقال: لم يقرن به من الملائكة إلا الملك جبريل عليه السلام. قال الحافظ: ولا يخفى ما فيه، فإن المثبت مقدم على النافي إلا إن صحب النافي دليل نفيه فيقدم. قال الشيخ في فتاويه: قد ورد ما يوهم أثر الشعبي، وهو ما رواه مسلم عن ابن عباس قال: بينا النبي صلى الله عليه وآله جالس وعنده الملك جبريل عليه السلام إذ سمع نقيضا من السماء من فوق فرفع الملك جبريل عليه السلام بصره إلى السماء فقال: يا محمد هذا ملك قد نزل لم ينزل إلى الأرض قط. قال فأتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منها إلا أوتيته. قال جماعة من العلماء إن هذا الملك إسرائيل عليه السلام. انتهى كلام الشيخ». ثم يردف الصالحى هذا القول برواية للطبراني والبيهقي فيقول: «وروى الطبراني والبيهقي في الزهد بسند حسن عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم و الملك جبريل عليه السلام على الصفا



فقال رسول الله ﷺ: يا جبريل والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد سفةً دقيق ولا كف من سويق. فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء أفزعته فقال رسول الله ﷺ: أمر الله القيامة أن تقوم؟ فقال: لا ولكن أمر الملك إسرافيل عليه السلام فنزل إليك حتى يسمع كلامك فأتاه الملك إسرافيل عليه السلام فقال: إن الله تعالى بعثني إليك بمفاتيح خزائن الأرض وأمرني أن أعرض إليك أسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذها وفضة. فقلت: فإن شئت نبيا ملكا وإن شئت نبيا عبدا؟ فأوماً إليه الملك جبريل عليه السلام: أن تواضع. فقال بل نبياً عبداً، ثلاثاً. ورواه ابن حبان في صحيحه مختصراً من حديث أبي هريرة ولفظه: جلس رسول الله ﷺ فنظر إلى السماء فإذا ملك ينزل فقال له الملك جبريل عليه السلام: هذا الملك ما نزل منذ خلق قبل الساعة. وذكر الحديث. فظهر أن المعتمد ما مشى عليه الواقدي. قال الحافظ: وإذا علم أنه كان يجاور في غار حراء شهر رمضان وأن ابتداء الوحي جاءه وهو في الغار المذكور اقتضى ذلك أنه نبى في شهر رمضان. ويعكر على قول ابن إسحاق أنه بعث على رأس الأربعين مع قوله: إنه ولد في شهر ربيع. ويمكن أن يكون المجيء في الغار كان أولاً في شهر رمضان وحيث نبى وأنزل عليه: اقرأ باسم ربك ثم كان المجيء الثاني في شهر ربيع الأول بالإنذار وأنزلت عليه: يا أيها المدثر فم فأنذر فيحمل قول ابن إسحاق: على رأس الأربعين: أي عند المجيء بالرسالة^(٨).

ونقل الماوردي عن عامر الشعبي أيضاً أن الله قرن الملك إسرافيل عليه السلام بنبيه ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه، يعلمه الشيء بعد الشيء ولا يذكر له القرآن، فكان في هذه المدة مبشراً بالنبوة، وأمهلته هذه المدة ليتأهب لوحيه. وفي الأصل عن الشعبي قوله: «إن رسول الله وكل به الملك إسرافيل عليه السلام فكان يترأى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة من الوحي ولم ينزل القرآن» أي شيء منه على لسانه «ثم وكل به الملك جبريل عليه السلام فجاءه بالوحي والقرآن»، وهو موافق في ذلك لما في سيرة شيخه الحافظ الدمياطي حيث قال: قال بعض العلماء: وقرن به الملك إسرافيل عليه السلام، ثم قرن به الملك جبريل عليه السلام، وهو



ظاهر في أن اقتران الملك إسرائيل عليه السلام به كان بعد النبوة، ويؤيده قوله: «ويأتيه بالكلمة من الوحي» ؛ ومن المحتمل أن يكون ذلك قبل النبوة. وهو استنتاج من قبل الحافظ الدمياطي لكن الملك إسرائيل قد قرن بالنبي ﷺ قبل أن يبلغ عمره الأربعين سنة، فالمعروف -بحسب الرواية الشيعية- أنه كان عمره الشريف آنذاك سبعا وثلاثين سنة. فيوافق كلام الدمياطي ما تقدم ذكره عن الماوردي، ولكن بحسب ما تقدم فإنه عليه السلام كان يسمع حسه ولا يرى شخصه! إلا أن يقال: لا يلزم من كونه يتراءى له أن يراه، وقوله يأتيه بالكلمة من الوحي هو معنى قوله يأتيه بالشيء بعد الشيء، ثم رأيت الواقدي أنكر على عامر الشعبي كون الملك إسرائيل عليه السلام قد قرن به أولا. وقال: لم يقترن به من الملائكة إلا الملك جبريل عليه السلام: أي بعد النبوة، ويحتمل مطلقا. قال بعضهم: ما قاله الشعبي هو الموافق لما هو المشهور المحفوظ الثابت في الأحاديث الصحيحة، وخبر الشعبي مرسل أو معضل، فلا يعارض ما في الأحاديث الصحيحة هذا كلامه. يقول الماوردي في كتابه وهو يتحدث عن مسألة (البشرى بالنبوة) والمنزلة الثالثة ما نصّه: «والمنزلة الثالثة: البشرى بالنبوة من ملك أخبره بها عن ربه واختصت بشرها بالإشعار وتجردت عن تكليف وإنذار لم يسمع بها وحيا ولا رأى معها شخصا، وإنما كان إحساسا بالملك اقترن بآية دلّت وأمارة ظهرت اكتفى بها عن مشاهدته واستغنى بها عن نطقه ليعلم أنه من أنبياء الله تعالى فيتأهب لوحيه ويعان بإمهاله فيكون على البلوى أصبر وللنعمة أشكر روى الشعبي وداود بن عامر أن الله تعالى قرن الملك إسرائيل عليه السلام بنبوة رسوله ﷺ ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه ويعلمه الشيء بعد الشيء ولا ينزل عليه بالقرآن فكان في هذه المدة مبشرا بالنبوة وغير مبعوث إلى الأمة فاحتمل أن يكون إمهاله فيها معونة للرسول واحتمل أن يكون نظرا للأمة واحتمل أن يكون لأوان المصلحة وليس يمتنع أن يكون لجميعها فإنه أعلم بسر ما أخفى وأعرف بمعنى ما أظهر. والمنزلة الرابعة: أن نزل عليه جبريل عليه السلام بوحي ربه حتى رأى شخصه وسمع مناجاته فأخبره



أنه نبي الله ورسوله واقتصر به على الإخبار ولم يأمره بالإنذار ليعلمها بعد البشرى عيانا ويقطع بها يقينا فيكون معتقده بها أوثق وعلمه بها أصدق فلا يعترضه وهم ولا يخالجه ريب. روى الزهري عن عائشة أن رسول الله ﷺ لما فاجأه الحق أتاه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد أنت رسول الله قال رسول الله ﷺ: «فجئت لركبتي وأنا قائم ثم رجعت ترجف بوادري ثم دخلت على خديجة فقلت زملوني زملوني حتى ذهب عني ثم أتاني فقال يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله، ثم قال اقرأ، قلت: ما أقرأ؟ قال: فأخذني فغطني ثلاث مرات حتى بلغ مني الجهد وقال: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)، فأتيت خديجة فقلت: لقد أشفقت على نفسي فأخبرت بها خبري، فقالت: أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتصديق الحديث وتؤدي الأمانة وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت بي إلى ورقة بن نوفل وكان ابن عمها وخرج في طلب الدين وقيل قرأ التوراة والإنجيل وتنصر وقالت اسمع من ابن أخيك فسألني فأخبرته خبري فقال: هذا الناموس الذي نزل على النبي موسى عليه السلام يعني جبريل عليه السلام ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك قلت أو مخرجي هم؟ قال نعم إنه لم يحيء رجل قط بما جئت به إلا عودي ولئن يدركني يومك لأنصرنك نصرًا مؤزرا، ثم كان ما نزل علي من القرآن بعد اقرأ: (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ)، ونزل عليه ذلك ليزداد ثباتا ولنفسه استبصارا ولنعمة ربه شكرا» (٩).



ومن ثم قال السيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) ما نصّه: «أخرج الإمام أحمد في تاريخه من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي قال أنزل على النبي ﷺ النبوة وهو ابن أربعين سنة فقرن بنبوته الملك إسرافيل عليه السلام ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشيء ولم ينزل عليه القرآن الكريم على لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته الملك جبريل عليه السلام فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة قال ابن عساكر والحكمة في توكيل الملك إسرافيل عليه السلام أنه الموكل بالصور الذي فيه هلاك الخلق وقيام الساعة ونبوته ﷺ مؤذنة بقرب الساعة وانقطاع الوحي كما وكل بذي القرنين ريافيل الذي يطوي الأرض وبخالد بن سنان مالك خازن النار وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن سابط قال في أم الكتاب كل شيء هو كائن إلى يوم القيامة فوكل ثلاثة بحفظه إلى يوم القيامة من الملائكة» (١٠). فقول السيوطي ومن خصائصه هبوط الملك إسرافيل عليه السلام عليه، إذ ليس في ذلك دليل على أن الملك إسرافيل عليه السلام لم يكن نزل إليه قبل ذلك حتى يكون دليلاً على أن اقتران الملك جبريل عليه السلام به سابق على اقتران الملك إسرافيل عليه السلام به. هذا، وفي كلام الحافظ السيوطي أن مجيء الملك إسرافيل عليه السلام كان بعد ابتداء الوحي بستين، قال كما يعرف ذلك من سائر طرق الأحاديث، وهو بظاهره يرد ما في (سفر السعادة) أنه لما بلغ تسع سنين أمر الله تعالى الملك إسرافيل عليه السلام أن يقوم بملازمته. ولما بلغ إحدى عشرة سنة أمر الملك جبريل عليه السلام بملازمته فلازمه تسعا وعشرين سنة فليتأمل. (١١)

ويستمر السيوطي في قوله فيروي عن يحيى بن بكير قال: «ما خلق الله (عز وجل) خلقاً في السموات أحسن صوتاً من الملك إسرافيل عليه السلام، فإذا قرأ في السماء يقطع على أهل السماء ذكرهم وتسبيحهم. ثم رأيت في فتح الباري: ليس المراد بفترة الوحي المقدرة بثلاث سنين: أي على ما تقدم ما بين نزول اقرأ وأياها المدثر عدم مجيء جبرئيل عليه السلام إليه، بل تأخر نزول القرآن عليه فقط هذا كلامه: أي فكان الملك جبريل عليه السلام يأتي إليه بغير قرآن بعد مجيئه إليه باقراً، ولم يجيء إليه بالقرآن الذي هو (يا أيها المدثر) إلا بعد الثلاث سنين



على ما تقدم، ثم في تلك المدة مكث أياما لا يأتيه أصلا، ثم جاءه بيا أيها المدثر، فكان قبل تلك الأيام يختلف إليه هو والملك إسرافيل عليه السلام، وهذا السياق كما لا يخفى يؤخذ منه عدم المنافاة بين كون مدة فترة الوحي ثلاث سنين كما يقول ابن إسحاق، وستين ونصفا كما يقول السهيلي، وستين كما يقول الحافظ السيوطي، وبين كونها أياما أقلها ثلاثة وأكثرها أربعون كما تقدم عن ابن عباس، لأن تلك الأيام التي كانت لا يرى فيها الملك جبريل عليه السلام أصلا على ما تقدم: أي ولا يرى فيها الملك إسرافيل عليه السلام أيضا. وفي غير تلك الأيام كان يأتيه بغير القرآن، وحينئذ لا يحسن رد الحافظ فيما سبق على السهيلي. وينبغي أن تكون تلك الأيام التي لا يرى فيها الملك جبريل عليه السلام والملك إسرافيل عليه السلام هي التي يريد فيها أن يلقي نفسه من رؤوس شواحق الجبال، وهذا السياق أيضا يدل على أن النبوة سابقة على الرسالة بناء على أن الرسالة كانت بيا أيها المدثر، ويصرح به ما تقدم من قول بعضهم نبأه بقوله ﴿اقرأ باسم ربك﴾ وأرسله بقوله ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر﴾ وأن بينهما فترة الوحي وعليه أكثر الروايات^(١٢).

كذلك يتطرق ابن كثير إلى هذه المسألة في مكان آخر من رواية (عروة - عائشة) تلك المتعلقة بورقة بن نوفل - الذي سنقف عليه مفصلاً لاحقاً - عندما لقي رسول الله ﷺ وهو يطوف حول الكعبة واستفسر من النبي ﷺ عن لقائه بالملك فيقول ابن كثير ما نصّه: «وهذا الذي ذكره عبيد بن عمير كما ذكرناه كالتوطئة لما جاء بعده من اليقظة كما تقدم من قول عائشة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ويحتمل أن هذا المنام كان بعد ما رآه في اليقظة صبيحة ليلته» (ابن كثير؛ م. ن. جزء ١، ص ٣٨٧)، ثم يكرر ابن كثير هذين الموقفين التوفيقين في كتابه (البداية والنهاية).



وفضلاً عن ابن كثير فإن ابن سيد الناس هو الآخر قد أدلى برأيه بخصوص عمر الرسول ﷺ فيقول: حديث أنس أن الرسول ﷺ بعث على رأس أربعين المتفق عليه بين أهل النقل مما فيه إقامته ﷺ بالمدينة عشرًا وإما إقامته بمكة فمختلف في مقدارها وأما سنه ﷺ حين نبي فالمروي عن ابن عباس (الذي قدر سنه بثلاث وأربعين أو خمس وأربعين). وجبير بن طعم وقبات بن أشيم وعطاء وسعيد بن المسيب (الذي اتفقت روايته مع رواية ابن عباس بأنه ﷺ كان في الثلاث والأربعين سنة). كالمروي عن أنس وهو الصحيح عند أهل السير وغيرهم. (مع ملاحظة أن رواية أنس لا تتفق مع تلك المرويات وتؤكد على سن الأربعين فقط). المهم أن ابن سيد الناس قد دمجها جميعاً دون حتى التلميح إلى الاختلافات بينها. وفوق كل ذلك فإن ابن سيد الناس قد أغفل إدراج عائشة ضمن قائمة العلماء المذكورين تواءماً فإنه اكتفى فقط بالجمع بين الاختلافات في موضوع مهم ألا وهو أكان الرسول ﷺ نائماً في حالة تلقي الوحي أم في حالة يقظة، فيقول: «ولا تعارض لجواز الجمع بينهما بوقوعهما معاً ويكون الاثنان في النوم توطئة للإتيان في اليقظة».

فالعلاقة الروحية التي تربط عروة بن الزبير مع خالته عائشة زوج رسول الله ﷺ كان لها التأثير المباشر في شهرته فكانت عائشة بمثابة المشيخة أو المعلمة التي حافظت على تجربتها الحياتية السعيدة في بيت رسول الله ﷺ منذ أيام طفولتها الأولى (كان عمرها إما ست سنوات وإما ثماني سنوات) حتى تغمدته الله تعالى بوافر رحمته على مدى حوالي عشر أو إحدى عشرة سنة، وإنها قد صانت تجارب سيد الأنام وخبراته بما له علاقة بالرسالة السماوية وبنزول آيات الذكر الحكيم وبتجارب الرسول الشخصية وعلاقاته مع صحابته المقربين، فكانت -كما تعكسه مرويات عروة بن الزبير- تقوم مقام سجل للوثائق أو كديوان حفظ لنا تراثه ﷺ الروحي والعقدي بحسب ما أوردته من أحاديث ومرويات إن كانت صادقة وموثوقة في أداء تلك المهمة العقديّة والعلمية المهمة جداً،



كذلك باعتبارها زوجته فالمفروض أنها حفظت لنا أقواله وأحاديثه وخطبه وشمائله وفضائله وعاداته وقيمه في تلك السنوات الطويلة والى درجة كبيرة، بضمنها السنين الأولى لمبعثه الشريف وخلوته للعبادة في جبل حراء ونزول الملك جبرئيل عليه السلام بالآيات الخمس الأولى من سورة العلق وهو نائم في الغار كما تصوره روايتها التي رواها عروة بن الزبير وابن شهاب الزهري تلميذه، وما أعقب ذلك من حالات الخوف والفرع التي انتابت رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن عاد إلى بيته حيث انطلقت به زوجته السيدة خديجة عليها السلام الكبرى الى ورقة بن نوفل الذي طمأنه فشعر بعدها بالراحة والأمن، ثم ما حدث بعدها من دقائق الأمور التي واجهها النبي وهي لم تكن مولودة بعد، وإن كانت -على فرض- موجودة لكنها تحدثت بأخبار قد حدثت قبل ولادتها وقبل زواجها من رسول الله صلى الله عليه وآله، بمعنى منذ مبعثه وتلقيه الوحي والآيات الأولى التي أنزلها الله تعالى بواسطة الملك جبرئيل عليه السلام وما أعقب ذلك. فهل كانت عائشة تتمتع بتلك المواصفات العقدية والعلمية الدقيقة إذ كانت حينها صغيرة جدا لا تستوعب الحفظ الشفاهي عن ظهر قلب ولا تعرف القراءة والكتابة؟! والأكثر أهمية أنها لم تكن آنذاك قد تزوجت بالنبي صلى الله عليه وآله، فإنه كان متزوجا من السيدة خديجة الكبرى عليها السلام؛ وذلك لأن المعروف أنها تزوجت من رسول الله صلى الله عليه وآله وهي طفلة بين السادسة والثامنة من عمرها إن صحت هذه المعلومة. فضلا عن روايتها المعلومات الكثيرة المفصلة التي أوردتها عن جميع أحداث الدعوة الإسلامية وهي لم تزل دعوة سرية، ناهيك عن المعلومات الدقيقة عن السيرة النبوية المطهرة وعن المعلومات المفصلة التي حدثت في مكة المكرمة سواء كانت في الدعوة السرية أم في مدة الدعوة العلنية، ومعلوماتها عن المسلمين الأوائل وعن هجرة بعض المسلمين الى الحبشة وعن الأحداث الأخرى التي أتقنت روايتها قبل أن تكون زوجة للنبي صلى الله عليه وآله. كل ذلك وغيره يقودنا الى التساؤل عما إذا كانت هذه المعلومات صحيحة أم أنها من بنات أفكار شفاهيين غير معروفين، أم أن كل ذلك كان عملية صنع متقنة في زج اسمها



بكونها الراوية المقتدرة والعالمة بدقائق أحداث السيرة النبوية الشريفة من قبل صانع قدير وقادر على الكذب والتلفيق والدسّ على رسول الله ﷺ وهو معاوية بن أبي سفيان مستثمرا اسمها في صناعته لحديث السيرة النبوية الشريفة على وفق ما يريد. فهي إذن كانت تعدّ مدرسة تأسيسية لهذه العلوم الإسلامية الخاصة بالرسول ﷺ؛ فهل كان ذلك أيضا من صنع الصانع نفسه إذ جعلها تتمتع بتلك الأعلمية؟!، والسؤال المثار هو: هل كان عروة الابن الوفي والمقرب عند خالته والتلميذ الوحيد الذي دخل هذه المدرسة أم أن هناك آخرين؟، وإن كانوا فمن هم؟ الله أعلم.

وواقعا فإن الأحاديث التي قدمتها عائشة الى عروة بن الزبير تدل دلالة واضحة على أنها كانت منذ طفولتها وصغر سنّها تهتم بالتدوين أو أنها كانت تحفظ حديث السيرة النبوية كلها تقريبا عن ظهر قلب!. وهناك أسئلة في الجرح والتعديل توجه إليها منها: هل حظيت عائشة التي صوّرتها مؤلفات السيرة والتراجم من أهل العامة وهي الزوجة المفضلة للنبي ﷺ كما ألمحنا- بهذه المكانة العلمية والمعرفية الكبيرة وحدها دون بقية أمهات المؤمنين من زيجات النبي؟ وهل منحها رسول الله شرعية الفتيا ورواية أحاديثه؟ هناك معلومات تذكر أم سلمة وأخريات من زيجات الرسول ﷺ وأسماء بنت أبي بكر قد أدّين دوراً علمياً في ميدان رواية أحاديث رسول الله بنسبة عالية، بينما هناك أخريات من أمهات المؤمنين كان نصيبهن في الرواية قليلا وأقل بكثير!. هذه التساؤلات وغيرها سوف تشعب الموضوع كثيرا ونحن بصدد بحثها في بحوث لاحقة، وإن البحث ها هنا يتناول ما له علاقة برواية عروة بن الزبير عن خالته عائشة.

وحقيقة الأمر فقد كانت صلة عروة بخالته متميزة جداً، ففي رواية رواها سفيان بن عيينة أن هناك في المدينة وربما أعم من ذلك ثلاثة علماء كانوا من أعلم الناس بحديث عائشة وهم: القاسم بن محمد وعروة بن الزبير وعمرة بنت عبد الرحمن، وذكر ابن حجر العسقلاني رواية رواها قبيصة بن ذؤيب أن عروة «كان يغلبنا» وفي رواية أخرى



عند المزي وردت يعلمنا بدلاً من يغلبنا- بدخوله على عائشة وكانت عائشة أعلم الناس يسألها الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ. كذلك فإن ما يهمننا في هذا السياق أن عائشة كانت أثناء وفاة رسول الله لم يتجاوز عمرها العشرين سنة، وبعد ذلك انخرطت في التورط بالشؤون السياسية للرجال المتنازعين على السلطة بشكل بارز، وبشكل أساس على الخلافة. فكانت تبدي مواقفها من عثمان بن عفان الخليفة الثالث وتنتقده، ومن معاوية بن أبي سفيان والي بلاد الشام الأموي، ومن الإمام علي عليه السلام صهر النبي ﷺ وابن عمه وخليفته. وقد قادها هذا التورط السياسي غير اللائق بزوجة النبي ﷺ إلى أن تعمل في الخفاء على تشجيع عدد من الصحابة ممن بايع الإمام علياً عليه السلام في مسجد المدينة المنورة بعد مقتل الخليفة عثمان على التآمر، نظير الزبير بن العوام الأسدي القرشي (٢٨ ق.هـ - ٣٦ هـ / ٥٩٤ - ٦٥٦ م) وأحد الستة أصحاب الشورى الذين اختارهم عمر بن الخطاب ليختاروا الخليفة من بعده، وطَلْحَةَ بن عُبَيْدِ اللَّهِ التَّيْمِي الْقُرَشِي (٢٨ ق.هـ - ٣٦ هـ / ٥٩٤ - ٦٥٦ م)، أحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن السابقين الأولين إلى الإسلام، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين اختارهم عمر بن الخطاب ليختاروا الخليفة من بعده، وأمثالهما على نكث البيعة للإمام. وقادتهم يرافقهم جمع من المتمردين لشن هجوم على مدينة البصرة وفيها تمّ قتل واليها والاستحواذ على ما في بيت مال المسلمين، وقادت معركة عرفت باسم معركة الجمل ذلك الذي كانت تمتطيه، وقد أدت -مع الأسف- إلى هدر الدماء الكثيرة للمسلمين من الجانبين بسببها وبسبب إصرارها على البقاء في هودجها وعلى جملها. ولما انتهت المعركة بانتصار أصحاب الإمام علي عليه السلام الخليفة الشرعي، أمر بتنحية هودجها جانباً لأن وجوده ووجودها في ميدان المعركة سيؤدي إلى استمرار القتال من دون طائل سوى مسألة عدائها لأمر المؤمنين عليه السلام الخليفة الشرعي، إذ كان المتعصبون الموالون لها -وهم أتباع البهيمية بحسب وصف الإمام علي عليه السلام- كانوا يستमितون لمجرد غبائهم وجهلهم في القتال ولوجود الجمل وبقائه



واقفا في المعركة. وعندما فشلت محاولتها الشريرة أرسل الإمام عليه السلام أخاها محمد بن أبي بكر (رضوان الله تعالى عليه) ليتفقد أحوالها، فلما اطمأن على حالتها، جهّزها بالزاد، وأعادها إلى المدينة برفقة أخيها محمد وابنيه الإمامين الحسن والحسين عليه السلام، ويرافقها أربعين امرأة من نساء البصرة المعروفات بخشيتهن الله سبحانه وتعالى. وبعد عودتها إلى المدينة المنورة لزمّت بيتها وجعلته مدرسة يرتادها الصحابة والتابعون المواليون لها من أجل أخذ رواية سيد المرسلين وسيرته المطهرة ومن زاوية نظرها فقط أو كما تراها وتفسرها. وقد تعمّدت إقصاء أي رواية يشتم منها رائحة أهل البيت الذين أذهب الله (عز وجل) عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، بيت آل النبي زوجها عليه السلام، وقد تعدت إلى إقصاء الإمام علي عليه السلام بوجه خاص. وبقيت هكذا إلى أن حضرته الوفاة في ليلة الثلاثاء ١٧ من شهر رمضان عام ٥٧ هـ، وقيل: ٥٨ هـ / ٦٧٨ م، وقيل: ٥٩ هـ، وصلى عليها أبو هريرة بعد صلاة الوتر، ونزل في قبرها عبد الله وعروة ابنا الزبير بن العوام من أختها أسماء بنت أبي بكر، والقاسم وعبد الله ابنا محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، ودفنت في البقيع.

ومما له علاقة بتوجهات عائشة وحرصها الشديد والهادف على أن تكون هي الحلقة الأخيرة في سلاسل الأسانيد المتخصصة بالسيرة النبوية تلك المساعي التي سعى إليها معاوية بن أبي سفيان بشكل شديد وهادف أيضا -- آخذين بنظر الاعتبار الرأي الحصيف من عدد من علمائنا في الوقت الحاضر على أن معاوية هو الذي ورّطها واستثمر اسم عائشة إن لم يكن هو الذي استغل اسمها في تحريف الأحاديث النبوية وفي تزيف السيرة النبوية بأكملها -- لأن تكون رواية السيرة النبوية سواء كانت شفاهية أم مكتوبة، أموية النفس ومعبرة عن أهدافه في تغييب كل ما له علاقة بالأحاديث التي تبين دور أهل البيت والإمام علي عليه السلام [بالمناسبة فإن معاوية يشير دائما إلى الإمام علي عليه السلام بأبي تراب لكي يقلل من شأنه ولكن هيهات له ذلك فأين الثريا وأين الثرى من آل



أبي سفيان الزنادقة. عبد الجبار ناجي]، وذلك بتشكيل لجنة أمنية ثقافية عليا ومهيمنة في المدينة المنورة برئاسة عروة بن الزبير وعضوية ابن شهاب الزهري. كان الأستاذ وتلميذه (أعني عروة والزهري) أعضاءً في هذه اللجنة الأمنية الثقافية المحكمة التي شكّلها معاوية بن أبي سفيان، وكان عبد الملك بن مروان عضوا مشاركا فيها، وهدفها كتابة رواية السيرة النبوية على وفق المفهوم الأموي.

ومن الجدير ذكره في هذا الصدد أن عروة بن الزبير وتلميذه الزهري كانت لهما علاقة وطيدة بالبلاط الأموي منذ عهد معاوية، وأنها كانا يشكلان نوعا من اللجنة الثقافية منذئذ مشرفة على كتابة تاريخ السيرة النبوية المطهرة؛ إذ يذكر ابن عساكر في تاريخه لدمشق رواية سندها ابن شهاب الزهري عن قبيصة بن ذؤيب جاء فيها قول الزهري: «كنا -يعني الزهري وأستاذه عروة- في خلافة معاوية في آخرها نجتمع في حلقة في المسجد بالليل أنا ومصعب وعروة ابنا الزبير وأبو بكر عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الملك بن مروان وعبد الرحمن بن المسور بن مخرمة وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وكنا نفترق بالنهار» (١٤). فهذه الرواية مع أنها تتعامل مع اتجاهات متعددة لكنها كانت مترابطة في نسيجها الثقافي بين اجتماع هؤلاء النفر من الأمويين ومن أتباعهم الذين تربطهم بعروة وشائج قوية وبين أهداف اجتماعاتهم المطوّلة وبين تسابق عروة بن الزبير وبحسب قول الزهري نفسه بشأن عروة الذي كان معتادا على أن يسبق جميع الصحابة (١٥)، من أصحاب رسول الله بدخوله على عائشة التي كانت -بحسب رواية ابن عساكر- من أعلم الناس بالحديث. فالاجتماع هذا لا بدّ أن يكون ذا طابع ثقافي متعلق بالحديث وبالذات بأحاديث السيرة النبوية. فترابط المكونات الأساسية لهاتين الروايتين تلحّ علينا لأن نتساءل عما إذا كانت المواضيع الجوهرية لهذه الاجتماعات المطوّلة لها علاقة بمناقشة مشروع معاوية في صناعة الأحاديث أو بمشروع إعادة فبركة الأحاديث التي تتعلق بالسيرة النبوية على



وجه الخصوص على وفق الصيغة أو الرواية التي تتفق مع برنامج الأمويين في تحريف هذه الرواية. والرواية تهدف من بين ما تهدف نحو توجيه اهتمام عروة بن الزبير في التسابق في طلب الأحاديث من خالته على وجه التحديد، فهي تعدّ زوجة النبي ﷺ. ومما لا ريب فيه أن الرواية كانت مؤقتة منذ زمن معاوية.

ومن الجهة الأخرى فعلى الرغم من أن الزهري لم يفصح عن طبيعة هذه الاجتماعات الثقافية أو حتى عن طبيعة السبب في عقدها وبحضور عبد الملك بن مروان وبقيّة الأبقاق الثقافية لمعاوية منذ بداية الليل الى أن يحلّ النهار وكأنه اجتماع بالغ السرية ولا نعرف شيئاً عنه، مع أن الزهري (العالم) كان يخفي أموراً كثيرة عن هذه الاجتماعات، بشأن المواضيع التي كانت تبحث فيها من قبل هؤلاء من فقهاء المدينة المنورة ومؤرخيها. كذلك فإن هنالك أمراً غريباً آخر ألا وهو أن الزهري قد ابتدأ روايته بقوله: «في خلافة معاوية في آخرها» تحديداً فلماذا؟ أ لأن الاجتماع كما تطرقنا توا معنيّ بالدرجة الأولى بالشأن الثقافي وفي الوسيلة أو الوسائل في كيفية تطبيق توجيهات وتوجهات معاوية في تدوين أحاديث السيرة النبوية، وفي كيفية تزويرها وتزييفها وإعادة صناعتها لتكون في صالح الأمويين؟ ولا سيما أن الأعضاء المجتمعين كانت تربطهم علاقات ثقافية حميمة مع معاوية. ومما يستشف من الروايات أن الأمويين لم يكونوا متشوقين الى تاريخ السيرة النبوية الحقيقي باعتباره الدليل الدامغ على كفر جدّهم الأعلى وعلى زندقته وعلى ما كان يفرضه من عوامل التعذيب بشأن سيد المرسلين وبشأن الإسلام بصورة عامة.

فضلاً عن ما ذكرناه أعلاه فيذكر أبو الحسن علي بن محمد المدائني في كتاب أسماه (الأحداث)، وهو مفقود جاء فيه أن معاوية قد كتب كتاباً بنسخة واحدة - ويعني بنص واحد - إلى عماله بعد عام الجماعة يقول فيه: «برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليّاً ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته»^(١٦). وأعقب هذه المرحلة من التغييب وصناعة وتلفيق



الرواية التاريخية مرحلة ثانية، إذ إنه «كتب كتاباً إلى عماله في جميع الآفاق ألا يميزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فأدنوا مجالسهم وقربوهم وأكرمواهم واكتبوا لي بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته ففعلوا ذلك»^(١٧). وتلت هذه الخطوة الهادفة إلى تشويه التاريخ خطوة خطيرة أخرى، إذ كتب إلى عماله «بأن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب ألا وأتوني بمناقض له في الصحابة مفتعلة فإن هذا أحب إلي وأقر لعيني وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله فقرئت كتبه على الناس»^(١٨). فماذا تعتقد أن تكون نتيجة هذا المصنع التحريفي أن ينتج من روايات ومؤلفات؟! ولا سيما أن سيف السلطان العاتي فوق الرؤوس وأكياس البيضاء والصفراء إلى جانب العامل والوالي وخطيب المنبر! فتقول الرواية: «فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها وجد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر وألقي إلى معلمي الكتاتيب فعلموا صبيانهم وغلماهم من ذلك الكثير الواسع حتى روه وتعلموه كما يتعلمون القرآن حتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله»^(١٩). إنها حقيقة لا مرأ فيها بأن الناس يلهثون وراء المادة فيلهثون وراء تعلم وتعليم، والعمل على نشر الخطأ مع معرفتهم بأنه مصنوع ومختلق، فهذا الصنف من الناس الذين وصفهم الإمام علي (عليه السلام) هم الغوغاء الناعقون وراء كل ناعق. والأنكى من ذلك أن هؤلاء الرواة وبتحفيز من المادة والسيف لم يكتفوا بروايات محرّفة ومصنوعة بل أخذوا بالمبالغة في إعادة الصناعة المزيفة وبزيادة الإضافات والتعديلات والمصنوعات من الروايات التاريخية والأحاديث.



وقد يقول قائل: إن هذه المعلومات غير صحيحة، وإن المدائني الذي روى الروايات الإعلامية الكثيرة عن معاوية ومناقبه المفتعلة، ولا يبالي بصحة ما يروى أو إنه كان غير صحيح العقيدة بحسب مصطلح علم الرجال. ولكن المعلومات قد شرحها الإمام الباقر (عليه السلام) أثناء شرحه المعاناة التي كان يعاني منها أهل البيت ومؤيديهم وأنصارهم. فإذا ما ادّعى الداعي أن قول الإمام (عليه السلام) غير صحيح، فإننا إذن سنقول إن كل ما جاء في التاريخ الإسلامي وبالأخص السيرة النبوية بحاجة إلى دليل لإثبات صحته وإنه من صناعة مصنع التاريخ الأموي. واللجنة كل اللجنة على أولئك الذين حملوا العلم مسموعاً، فبحسب قول للإمام علي (عليه السلام) يقول فيه: «ليس ينفع المسموع إذا لم يكن المطبوع»، فأناس كثر قد اشتغلوا بالعلم الدهر الأطول فلم ينجح معهم العلاج وفارقوا الدنيا وهم على الغريزة الأولى في الساذجية وعدم الفهم^(٢٠). ويصف الإمام الباقر (عليه السلام) أمثال هؤلاء الرواة مندهشاً فيقول: «فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المراءون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحفظوا بذلك عند ولائهم ويقربوا مجالسهم ويصيبوا الأموال والضياع والمنازل حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها»^(٢١). ورب سائل يسأل عن الحقبة التاريخية التي أنشئت فيها معامل صناعة الرواية التاريخية والأحاديث هذه، إنها المدة منذ اتفاقية الإمام الحسن (عليه السلام) مع معاوية وامتدت حتى موته ثم أعادها عبد الملك بن مروان حتى نهاية أمر هذه الدولة. ويدلل ابن أبي الحديد على النتائج الخطيرة لهذه العملية الذكّية في تشويه التاريخ الإسلامي الذي أعلن قطيعته مع آل سفيان فيقول: «وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم في تاريخه ما يناسب هذا الخبر وقال إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل



الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقرباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بني هاشم»^(٢٢)؛ فالعملية هذه إنما هي نتيجة أساسية من نتائج الضدية والأفضلية بين بني أمية وبني هاشم.

ولعلنا نستطيع القول إن عروة بن الزبير لم يكن معروفاً برواية الحديث الشريف أو بالأحرى لم يكن مكثراً مهتماً كثيراً برواية السيرة النبوية، بله لم يكن راوية للسيرة النبوية حتى الحقبة التي دخل أو انضم إلى مدرسة الحديث التي كانت عائشة تمثل مرجعيتها الرئيسة بعد فشلها في معركة الجمل، فإلى عائشة يرجع الفضل الكبير في تطوير عروة بن الزبير وتعليمه وتلقيه بعلمها المجهد في الحديث النبوي الشريف، وذلك عن طريق تلقيه تلقينا وتعريفه بالأحاديث تعريفاً وبحسب قول عروة نفسه. إن هذه العملية المجهددة جداً في تلقين عروة تلميذ عائشة المدلل ذلك الذي لم يكن قبل تعليمها ذا شأن بين أوساط علماء الحديث بأنه كان لا يخرج من مدرسة خالته إلا وقد وعى ما كانت تلقنه، إذ يقول ما نصّه: ((إلا وقد وعيته))، يعني بذلك حديث عائشة. وإليها يرجع الفضل في تيسير علم الحديث لعروة وكذلك تيسير العلم بأحاديث السيرة النبوية المطهرة إلى أن كبر وصار يضاهي في علمه بل يتفوق بعلمه بالحديث النبوي الشريف على علم عمرة بنت عبد الرحمن وهي التلميذة الأخرى المحببة لعائشة في مدرستها التي تخصصت في تقليد أحاديث رسول الله ﷺ على وفق ما تراه وربما ليس كما قاله رسول الله بالذات.



وبهذه العملية اختتم عروة بن الزبير حفظه وتعلمه واكمل ما كانت تقوم به خالته من تلقينه وتحفيظه السيرة النبوية عن ظهر قلب قبل أربع حجج أو خمس حجج من وفاة خالته عائشة، فعروة نفسه يعترف بهذا فيقول: «لقد رأيتني قبل موت عائشة بأربع أو خمس حجج وأنا أقول لو ماتت إلي اليوم ما ندمت على حديث عندها إلا وقد وعيته». وهي إشارة صريحة وواضحة إلى الطريقة التي اتبعتها زوجة النبي عليه الصلاة والسلام في التعليم؛ إنها عملية تلقين الحديث تلقيناً وتحفيظاً بحيث إنه لم يكن -هو وغيره- نادماً على وفاتها من دون أن يستثمر علمها بحديث رسول الله ﷺ. فهل وعى عروة بالفعل نصّ الأحاديث التي لقتها إياه خالته عائشة؟ هذا ما لم نستطع الإجابة عنه بشكل مؤكد.

من كل ما تمّ ذكره والإشارة إليه بخصوص عالمية عروة بن الزبير التي كانت مكرّسة تماماً للحاكم الأموي معاوية وعبد الملك بن مروان؛ وهما من الذين دأبوا بأقصى جهودهم إلى صناعة أحاديث مصطنعة لتلقي الكثير من التردد والشك في مدى موضوعية ومصادقية بعض أو كثير من الأحاديث التي تروي السيرة النبوية الحقيقية. لأن عروة بن الزبير وتلميذه الزهري كانا يخدمان البيت الأموي الذي كان يتطلع دوماً إلى أن يكون لخدمهم الأعلى أبي سفيان وابنه معاوية دور مشرق في هذه السيرة المطهرة فينالوا شرف الأسبقية وقد حققوا ما كانوا يهدفون إليه.

ومن الجدير ذكره أن رواية ابن إسحاق الواردة في تهذيب ابن هشام أضحت هي الرواية المعتمدة التي يمكن وصفها بالرواية التأسيسية وهي بموجب سلسلة سندها المشترك لابن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج رسول الله ﷺ؛ وما أن اعتمدها البخاري في صحيحه حتى باتت هي الرواية التي لا يشك فيها أي متشكك وليس هنالك أي مجال للطعن بصحة سندها الذي لا يخلو من القدسية؛ وكذلك



بالمقابل لا يساور الشك أي مؤرخ أو محدّث أو مؤلف من مؤلفي كتب الصحاح والسنن ومفسري القرآن ومؤلفي المصاحف من أهل السنّة. وقد شاعت هذه الرواية عند كل من كتب أو صنف أو جمع روايات الوحي والمبعث النبوي الشريف في مسألة نزول القرآن ونزول الآيات الأولى على قلب رسول الله ﷺ في غار حراء، منذ القرن الأول الهجري الى زماننا المعاصر؛ وذلك لأن حلقتها السندية الأخيرة متمثلة بعائشة عن طريق عروة بن الزبير بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي الأسدي، أبي عبد الله المدني الذي وصفه ابن حجر العسقلاني بقوله: «مدني تابعي ثقة وكان رجلاً صالحاً لم يدخل في شيء من الفتن». ففي الرواية «كان أعلم الناس بحديث عائشة عروة وعمره والقاسم»^(٢٣)؛ ولأن حلقتها النهائية تمثل المقدس من الرواة الشفاهيين ألا وهي خالته عائشة زوجة رسول الله ﷺ.

ولن نبالغ إذا ما قلنا إن قراءة أي مرجع في تاريخ السيرة النبوية أو أي كتاب منهجي وغير منهجي نحفظه لأبنائنا الأعزاء في العراق على وجه التحديد بدءاً بالمرحلة المتوسطة حتى الجامعية تعكس وجهة نظرنا تماماً بخصوص هيمنة وسيادة وأثر رواية عروة بن الزبير عن عائشة وهي السلسلة السندية التي نتحدث عنها سيجدها القارئ بصورة واضحة.

كذلك فإنه ليس من المبالغة القول إنها الرواية الشائعة بل السائدة في أي حديث يتعامل مع أهم حلقتين تاريخيتين في بداية الدعوة بالرسالة الإسلامية ألا وهما مبعث رسول الله ﷺ وابتداء نزول الملك جبرئيل عليه السلام والكيفية التي اتصل بها الملك جبرئيل برسول الله ﷺ وكذلك ما هي النتائج التي ترتبت على هذا الاتصال السماوي الروحاني ونزول أول آيات قرآنية على رسول الله ﷺ.



ولا مندوحة من القول: إن القارئ لن يجد لأول وهلة أي تعارض أو تضاد أو اختلاف في هذه الموضوعات البالغة الأهمية، ولكن حقيقة الأمر قد تكون غير ذلك تماماً اعتماداً على المقارنة الحصيفة والدقيقة لهذه الأحداث في المرويات الإسلامية التي يمكننا وصفها بأنها المرويات التأسيسية.



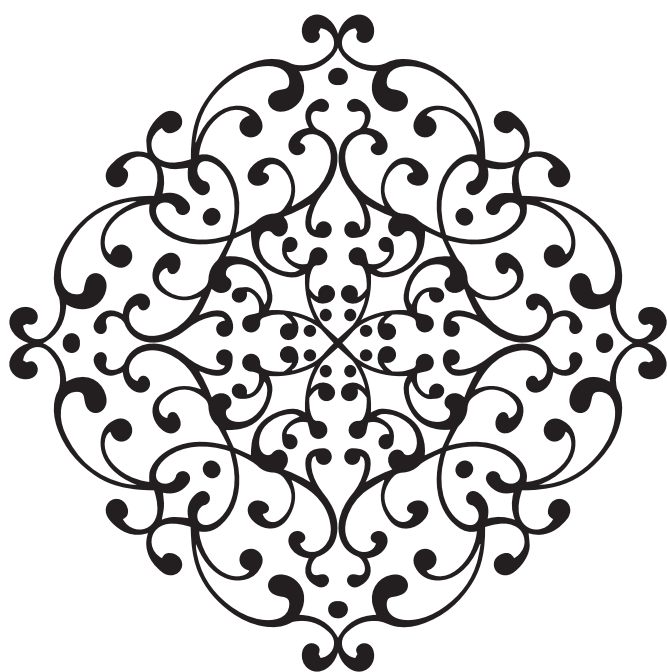
هوامش الفصل الرابع:

- (١) ينظر: تاريخ البخاري، ٧ / ١٧٤؛ طبقات ابن سعد، ٥ / ١٧٦، جزء ٧، ص ٤٤٧.
- (٢) تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، جزء ٤٠، ص ٢٥٣؛ التهذيب لابن حجر، ج ٧، ص ١٦٤، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ليوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين بن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠، جزء ٣، ص ١٧.
- (٣) تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، جزء ٣، ص ٦٦ - ٧٧.
- (٤) هامش الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبُد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، جزء ١، صفحة ٢٢٠ الى صفحة ٢٢٦.
- (٥) م. ن.
- (٦) السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٦م، جزء ١، صفحة ٣٨٨ - ٣٨٩.
- (٧) أ) الإتيان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، جزء ١، ص ٩١ - ٩٥؛ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، جزء ١، ص ٥٦١ - ٥٦٢.
- (٧ب) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، جزء ١، ص ٨٢ - ٨٤.
- (٨) سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالح الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ -



- ١٩٩٣م، جزء ٢، صفحة ٢٣٠.
- (٩) المصدر نفسه، جزء ٢، صفحة ٢٣٠.
- (١٠) الماوردي؛ أعلام النبوة، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩، صفحة ٢٣٧ - ٢٣٨.
- (١١) الإيتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، جزء ١، ص ١٢٨.
- (١٢) م. ن.
- (١٣) م. ن.
- (١٤) تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، جزء ٤٠، ص ٢٤٩.
- (١٥) م. ن.
- (١٦) ينظر: ابن أبي الحديد، شرح النهج البلاغة، م ٣ / جزء ١١، ص ٦.
- (١٧) م. ن.
- (١٨) م. ن.
- (١٩) م. ن.
- (٢٠) م. ن. مجلد ٤، جزء ١٩، ص ٣٩٩.
- (٢١) م. ن.
- (٢٢) م. ن.
- (٢٣) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ، جزء ٧، ص ١٨٢.







الفصل الخامس

التطبيقات

الروايات الشفاهية التأسيسية بخصوص عمر النبي ﷺ

أثناء بعثته الميمونة من المصادر السنّة

حتى القرن الخامس الهجري / العاشر الميلادي

١ - المرحلة الأولى :

مؤرخو الرواية التأسيسية من القرن الثاني للهجرة حتى القرن الخامس الهجري
أولاً:

نصّ رواية يونس بن بكير في سيرة محمد بن إسحاق المتوفى في سنة ١٥٠ هجرية
 والمعروف أن يونس بن بكير هو أحد رواة سيرة ابن إسحاق الثلاثة. وهو يونس
 بن بكير بن واصل الشيباني الجزري أبو بكر الكوفي الشيباني المتوفى سنة ١٩٩ هجرية؛
 وكما يذكره الذهبي بكنية الإمام الحافظ الصدوق، صاحب المغازي والسير^(١)، وقيل:
 إنه أبو بكر الجمال الكوفي الحافظ الذي وثّقه علماء جمهور المسلمين. وهو مولى بني
 شيان ويكنى أبا بكر وهو صاحب محمد بن إسحاق صاحب المغازي، توفي بالكوفة في
 خلافة المأمون العباسي. أمّا الرواية التي أوردها عنه السيّد ابن طاووس فهي تلك التي
 تتعلق بدعاء للإمام الرضا عليه السلام إذ يقول: «وجدناه من كتاب أصل يونس بن بكير، قال:
 سألت سيدي أن يعلمني دعاءً أدعوه عند الشدائد، فقال لي: يا يونس! تحفظ ما أكتبه
 لك وادعُ به في كلّ شدةٍ مُجَابٌ وتُعْطَى ما تتمناه». وهي رواية تفيد في تبيان ميول يونس
 بن بكير الشيعية.



نص رواية محمد بن إسحاق بحسب رواية يونس بن بكير

بعثة النبي ﷺ

يقول يونس بن بكير «بعث النبي ﷺ»

«نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحق قال: ونزل الوحي على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة عشراً. نا أحمد نا يونس عن ابن إسحق قال: كنت جالساً مع أبي جعفر محمد بن علي فمر بنا عبد الرحمن الأعرج، مولى ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فدعاه فجاءه فقال: يا أعرج ما هذا الذي تحدث به أن عبد المطلب هو الذي وضع حجر الركن في موضعه؟ فقال: أصلحك الله حدثني من سمع عمر بن عبد العزيز يحدث أنه حدث عن حسان بن ثابت يقول: حضرت بنيان الكعبة، فكأنني أنظر إلى عبد المطلب جالساً على السور شيخ كبير قد عصب له حاجباه حتى رفع إليه الركن، فكان هو الذي وضعه بيديه، فقال: انفذ راشداً، ثم أقبل علي أبو جعفر فقال: إن هذا الشيء ما سمعنا به قط، وما وضعه إلا رسول الله ﷺ بيده، اختلفت فيه قريش فقالوا: أول من يدخل عليكم من باب المسجد فهو بينكم، فدخل رسول الله ﷺ، فقالوا: هذا الأمين، فحكموه، فأمر بثوب فبسط، ثم أخذ الركن بيديه، فوضعه على الثوب، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة من الثوب بناحية، وارفعوا جميعاً، فرفعوا جميعاً، حتى إذا انتهوا به إلى موضعه أخذه رسول الله ﷺ فوضعه في موضعه بيده ثم بنى عليه. حدثنا أحمد: نا يونس عن ابن إسحق قال: ورسول الله ﷺ يومئذ ابن خمس وثلاثين سنة، ونزل عليه الوحي بعد بناء الكعبة بخمس سنين، وهو ابن أربعين سنة، وأقام بمكة ثلاثة عشرة سنة ثم هاجر إلى المدينة»^(٢).



ثانياً:

نص رواية محمد بن إسحاق بحسب رواية

زياد بن عبد الله البكائي

والرواية زياد بن عبد الله أو عبيد الله البكائي المتوفى في سنة ١٨٣ لسيرة ابن إسحاق في تهذيب ابن هشام، وهو رواية ثانٍ لرواية سيرة ابن إسحاق. واعتماداً على قول الذهبي فيه فإنه الشيخ الحافظ المحدث أبو محمد زياد بن عبد الله بن الطفيل العامري البكائي الكوفي راوي السيرة النبوية عن ابن إسحاق^(٣). وقال ابن معين: ثقة في ابن إسحاق. وروى عباس عن يحيى قال: «ليس بشيء قد كتبت عنه المغازي. وقال ابن المديني: لا أروي عنه شيئاً. وقال صالح جزرة هو في نفسه ضعيف الحديث، لكنه من أثبت الناس في المغازي. وقال النسائي: ليس بالقوي. وقال أبو زرعة: صدوق، وقال أبو حاتم: لا يحتج به، وقال الترمذي: كثير المناكير»^(٤).

نص الرواية

المصدر سيرة ابن هشام، تحقيق: السقا ومجموعته

«مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «فَلَمَّا بَلَغَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعِينَ سَنَةً بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَكَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا، وَكَانَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ بَعَثَهُ قَبْلَهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَالتَّصَدِّيقِ لَهُ، وَالنَّصْرِ لَهُ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُؤَدُّوا ذَلِكَ إِلَى كُلِّ مَنْ آمَنَ بِهِمْ وَصَدَّقَهُمْ، فَأَدُّوا مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَقِّ فِيهِ. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ، ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ، لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾ أَيْ ثَقُلَ مَا حَمَلْتُكُمْ مِنْ عَهْدِي ﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ فَأَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ جَمِيعًا بِالتَّصَدِّيقِ لَهُ، وَالنَّصْرِ لَهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ، وَأَدُّوا ذَلِكَ إِلَى مَنْ آمَنَ بِهِمْ وَصَدَّقَهُمْ مِنْ أَهْلِ هَذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ»^(٥).



مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ

ابْتِدَاءُ تَنْزِيلِ الْقُرْآنِ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَابْتَدَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالتَّنْزِيلِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) سورة البقرة الآية ١٨٥^(٦). وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ. وَمَا أَذْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ. لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ. تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ. سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) سورة القدر الآيات ١ - ٥. وَقَالَ اللَّهُ سبحانه وتعالى: (حَم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ. فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) سورة الدخان الآيات ١ - ٥. وَقَالَ تَعَالَى: (إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجُمُعَانِ) سورة الأنفال الآية ٤١. وَذَلِكَ مُلْتَقَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْمُشْرِكِينَ بِبَدْرٍ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ حُسَيْنٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ التَّقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ بِبَدْرٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، صَبِيحَةَ سَبْعِ عَشْرَةَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ تَتِمَّ الْوَحْيُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ مُصَدِّقٌ بِمَا جَاءَهُ مِنْهُ، قَدْ قَبِلَهُ بِقَبُولِهِ، وَتَحَمَّلَ مِنْهُ مَا حَمَلَهُ عَلَى رِضَا الْعِبَادِ وَسَخَطِهِمْ، وَالتَّيْبَةُ أَثْقَالٌ وَمُؤْنَةٌ، لَا يَحْمِلُهَا وَلَا يَسْتَطِيعُ بِهَا إِلَّا أَهْلُ الْقُوَّةِ وَالْعَزَمِ مِنَ الرُّسُلِ بِعَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَوْفِيقِهِ، لَمَا يَلْقَوْنَ مِنَ النَّاسِ وَمَا يَرُدُّ عَلَيْهِمْ مِمَّا جَاءُوا بِهِ عَنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى^(٧).



ثالثاً:

نص رواية محمد بن سعد البصري في الطبقات الكبرى

محمد بن سعد هو أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ هجرية^(٨). وماله علاقة بنسبته الزهري، فإنه كان مولى لبني هاشم، ويشار إليه بأنه زهري، نسبة إلى زهرة بن كلاب من قريش، ويكنى بأبي عبد الله، ويُعرف ابن سعد بكاتب الواقدي أو صاحب الواقدي. والأول أكثر استعمالاً، وقد يكفي بعضهم بلفظ (الكاتب) وانفرد السمعاني بقوله: «يعرف بـغلام الواقدي»، ولُقّب بذلك نظراً لِمَلازمته شيخه محمد بن عمر الواقدي^(٩).

ذَكَرُ مَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَا بُعِثَ بِهِ

”أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيُّ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ السُّدِّيَّ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى» الضحى: آية ٧. قَالَ: كَانَ عَلَى أَمْرِ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ عَامًا. أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمَةَ بْنُ قَعْنَب. أَخْبَرَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ قَالَ: «أَخْبَرَنَا مَعْنُ بْنُ عِيسَى عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ جَمِيعًا عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَمِعَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ يَقُولُ: بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً. يَعْنِي مِنْ مَوْلَدِهِ». أَخْبَرَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ. أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ حَسَّانَ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً». أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو أَبُو مَعْمَرٍ الْمُنْقَرِيُّ. أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ سَعِيدٍ، أَخْبَرَنَا أَبُو غَالِبٍ الْبَاهِلِيُّ أَنَّهُ شَهِدَ الْعَلَاءُ بْنُ زِيَادٍ الْعَدَوِيُّ يَسْأَلُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: يَا أَبَا حَمْرَةَ بِسْنٍ أَيْ الرَّجَالِ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذْ بُعِثَ؟ قَالَ: كَانَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً. قَالَ: ثُمَّ كَانَ مَاذَا؟ قَالَ: كَانَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ. قَالَ: هَذَا قَوْلُ أَنَسٍ أَنَّهُ كَانَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ وَلَمْ يَكُنْ يَقُولُهُ غَيْرُهُ. أَخْبَرَنَا الْمُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ الْعُمِّيُّ. أَخْبَرَنَا وَهَيْبُ بْنُ خَالِدٍ عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ عَنْ عَامِرٍ. وَأَخْبَرَنَا خَلْفُ بْنُ الْوَلِيدِ الْأَزْدِيُّ. أَخْبَرَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ عَنْ عَامِرٍ. وَأَخْبَرَنَا نَصْرُ بْنُ سَائِبٍ الْخُرَّاسَانِيُّ عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي





هَندٍ عَنْ عَامِرٍ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ النُّبُوءَةُ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً. وَكَانَ مَعَهُ إِسْرَافِيلُ (عليه السلام) ثَلَاثَ سِنِينَ». ثُمَّ عُزِلَ عَنْهُ إِسْرَافِيلُ (عليه السلام) وَأُقِرَّنَ بِهِ جَبْرِيلُ (عليه السلام) عَشْرَ سِنِينَ بِمَكَّةَ وَعَشْرَ سِنِينَ مُهَاجِرُهُ الْمَدِينَةَ. فَقَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ: فَذَكَرْتُ هَذَا الْحَدِيثَ لِمُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ فَقَالَ: لَيْسَ يَعْرِفُ أَهْلُ الْعِلْمِ بِيَلَدِنَا أَنَّ إِسْرَافِيلَ (عليه السلام) قُرِنَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَإِنَّ عُلَمَاءَهُمْ وَأَهْلَ السَّيَرَةِ مِنْهُمْ يَقُولُونَ لَمْ يُقِرَّنْ بِهِ غَيْرُ جَبْرِيلَ (عليه السلام) مِنْ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ إِلَى أَنْ قُبِضَ ﷺ». أَخْبَرَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ. أَخْبَرَنَا سَالِمُ بْنُ الْعَلَاءِ الْأَنْصَارِيُّ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ أَبِي سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بُعِثْتُ إِلَى الْأَخْمَرِ وَالْأَسْوَدِ. قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: الْأَخْمَرُ النَّاسُ وَالْأَسْوَدُ الْجُنُّ. أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بْنُ يُونُسَ الْأَزْرَقِيُّ عَنْ عَوْفٍ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَنَا رَسُولٌ مَنْ أَدْرَكْتُ حَيًّا وَمَنْ يُولَدُ بَعْدِي). أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْأَسْلَمِيُّ. حَدَّثَنِي أَبُو عَتَبَةَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبَّاسٍ عَنْ بَحِيرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِي فَلِيَ الْعَرَبُ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِي فَلِيَ قُرَيْشٍ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِي فَلِيَ بَنِي هَاشِمٍ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِي فَلِيَ وَحْدِي). أَخْبَرَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ، أَخْبَرَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (أُرْسِلْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً وَبِي خَتَمُ النَّبِيِّينَ) (١٠).

أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ الْهَمْدَانِيُّ عَنْ مُجَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ عَامِرٍ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنِّي خَاتَمُ أَلْفِ نَبِيٍّ أَوْ أَكْثَرَ). أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ الْوَلِيدِ الْمَكِّيُّ. أَخْبَرَنَا مُسْلِمُ بْنُ خَالِدِ الزَّنَجِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي زِيَادُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُتَكَدِّرِ وَعَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (بُعِثْتُ عَلَى اثْرَ ثَمَانِيَةِ آلَافٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ. مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ نَبِيٍّ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ). أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ الطَّنَافِسيُّ. أَخْبَرَنَا بُرْدُ الْحَرِيرِيُّ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ). أَخْبَرَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ. أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ

عَجْلَانِ عَنِ الْقَعْفَاعِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ). حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ. أَخْبَرَنَا مِسْعَرٌ عَنْ مَعْبِدِ بْنِ خَالِدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (تَعْلَمُونَ أَنِّي رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ بُعِثْتُ لِرَفْعِ قَوْمٍ وَوَضْعِ آخَرِينَ). أَخْبَرَنَا وَكِيعُ بْنُ الْجَرَّاحِ. أَخْبَرَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي صَالِحٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ) (١١).

أَخْبَرَنَا مَعْنُ بْنُ عِيسَى الْأَشَجَعِيُّ. أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ). حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنِي مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ). وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَذَكَرَ قَوْمًا قَدْ اسْتَكْبَرُوا، فَقَالَ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الصافات: ٣٥) (١٢).

ذكر اليوم الذي بعث فيه رسول الله ﷺ

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ النَّيْسَابُورِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ هَلِيعَةَ عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ عَنْ أَبِي حَنْشَلٍ الصَّنَعَانِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: نُبِّئَ نَبِيُّكُمْ ﷺ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ. أَخْبَرَنَا مُوسَى بْنُ دَاوُدَ، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكُوفِيُّ عَنْ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: اسْتَنْبَأَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ. أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ وَقْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَبْرَةَ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فَرَوَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ: نَزَلَ الْمَلَكُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِحِجَاءٍ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِسَبْعِ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَجِبْرِيلُ ﷺ الَّذِي كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْوَحْيِ (١٣).



رابعاً:

جمل من أنساب الأشراف؛ لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (المتوفى:

٢٧٩هـ)

نصّ رواية البلاذري في أنساب البلاذري^(١٤)

مبعث رسول الله ﷺ

«قَالُوا: وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً. وَذَلِكَ فِي مَلِكٍ إِبْرَوِيزَ. وَعَلَى الْحِيرَةِ إِيَّاسُ بْنُ قَبِيصَةَ بْنِ أَبِي عَفْرِ الطَّائِي الَّذِي مَلَكَ بَعْدَ النُّعْمَانِ بْنِ الْمَنْذَرِ. وَكَانَ النُّعْمَانُ قَتَلَ بِالْمَدَائِنِ. وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ الْوَاقِدِيِّ، عَنْ ابْنِ أَبِي سَبْرَةَ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ: نَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِسَبْعِ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، بِحَرَاءَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً. وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يَرَى وَيَسْمَعُ. وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ الْوَاقِدِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ أُمِّهِ عَزِيزَةَ بِنْتِ أَبِي تَجْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ، حِينَ أَرَادَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ وَابْتِدَاءَهُ بِالنَّبُوَّةِ، إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَبْعَدَ حَتَّى لَا يَرَى بَيْتًا وَيَفْضِي إِلَى الشَّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ. فَلَا يَمُرُّ بِشَجَرَةٍ إِلَّا قَالَتْ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ»، فَيَلْتَفِتُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ وَخَلْفَهُ فَلَا يَرَى أَحَدًا»^(١٥).



خامسا:

تاريخ الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هجرية) الجزء

الثاني

نصّ رواية الطبري الشفاهية [وهي رواية جامعة مؤلفة من عدد من الرواة الشفاهيين لم يكن ابن إسحاق من بينهم، لا بحسب رواية يونس بن بكير، ولا بحسب رواية زياد البكائي، ولا بحسب رواية محمد بن سلمة الأبرش]. يقول: واختلف السلف في سن رسول الله حين نبيّ كم كانت؟ فقال بعضهم: نبيّ رسول الله بعد ما بنت قريش الكعبة بخمس سنين؛ وبعد ما تمت له من مولده أربعون سنة. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن خلف العسقلاني، قال حدثنا آدم، قال: حدثنا حماد بن سلمة، قال: حدثنا أبو جمرّة الضبعي، عن ابن عباس قال: «بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة». حدثنا عمرو بن علي وابن المثنى، قالا: حدثنا يحيى بن محمد بن قيس، قال: سمعت ربيعة بن أبي عبد الرحمن يذكر عن أنس بن مالك، «أن رسول الله بعث على رأس أربعين». حدثنا العباس بن الوليد، قال: أخبرني أبي، قال حدثنا الأوزاعي، قال: حدثني ربيعة بن أبي عبد الرحمن، قال: حدثني أنس بن مالك «أن رسول الله بعث على رأس أربعين». حدثني أبو شرحبيل الحمصي، قال: حدثني أبو اليمان، قال: حدثنا إسماعيل بن عياش، عن يحيى بن سعيد عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، عن أنس بن مالك، قال: «أنزل على النبي وهو ابن أربعين». حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا الحجاج بن المنهال، قال: حدثنا حماد، قال: حدثنا عمرو بن دينار، عن عروة بن الزبير، قال: «بعث رسول الله وهو ابن أربعين». حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا الحجاج، عن حماد، قال: أخبرنا عمرو، عن يحيى بن جعدة «أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة رضي الله عنها: إنه كان يعرض عليّ القرآن كل عام مرة؛ وإنه قد عرض عليّ العام مرتين، وإنه قد خيل إليّ أن أجليّ قد حضر؛ وأن أول أهلي لحاقاً بي أنت؛ وإنه لم يبعث نبي إلا بعث الذي بعده بنصف من عمره، وبعث عيسى



لأربعين، وبعثت لعشرين». حدثني عبيد بن محمد الوراق، قال: حدثنا روح بن عباد، قال: حدثنا هشام، قال: حدثنا عكرمة، عن ابن عباس، قال: «بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة». حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو أسامة ومحمد بن ميمون الزعفراني، عن هشام بن حسان، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: «بعث رسول الله ﷺ وأنزل عليه وهو ابن أربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة»^(١٦). وقال آخرون: بل نبي حين نبي وهو ابن ثلاث وأربعين سنة. ذكر من قال ذلك:- حدثنا أحمد بن ثابت الرازي، قال: حدثنا أحمد، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، عن هشام، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: «أنزل على النبي وهو ابن ثلاث وأربعين سنة». حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، قال: «أنزل على رسول الله ﷺ الوحي وهو ابن ثلاث وأربعين سنة». حدثنا ابن المنثني، قال: حدثنا عبد الوهاب، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، قال: سمعت سعيداً -يعني ابن المسيب- يقول: «أنزل على رسول الله ﷺ الوحي؛ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة».

ذكر اليوم الذي نبي به ﷺ

ذكر اليوم الذي نبي فيه رسول الله ﷺ من الشهر الذي نبي فيه وما جاء في ذلك قال أبو جعفر: صح الخبر عن رسول الله ﷺ بما حدثنا به ابن المنثني، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن غيلان بن جرير، أنه سمع عبد الله بن معبد الزماني، عن أبي قتادة الأنصاري، «أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم الاثنين، فقال: ذلك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت - أو أنزل علي فيه». حدثنا أحمد بن منصور، قال: حدثنا الحسن بن موسى الأشيب، قال: حدثنا أبو هلال، قال: حدثنا غيلان بن جرير المعولي قال: حدثنا عبد الله بن معبد الزماني، عن أبي قتادة، عن عمر أنه قال للنبي ﷺ: «يا نبي الله، صوم يوم الاثنين؟ قال: ذاك يوم ولدت فيه، ويوم أنزلت علي فيه النبوة». حدثنا إبراهيم بن سعيد، قال: حدثنا موسى بن داود، عن ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن حنش الصنعاني،



عن ابن عباس، قال: «ولد النبي ﷺ يوم الاثنين، واستنبت يوم الاثنين». قال أبو جعفر: وهذا مما لا خلاف فيه بين أهل العلم. واختلفوا في أي الأثنين كان ذلك؟ فقال بعضهم: نزل القرآن على رسول الله ﷺ لثماني عشرة خلت من شهر رمضان» (١٧).

سادسا:

مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هجرية نصّ رواية المسعودي

«وكان مولده ﷺ عام الفيل وكان بين عام الفيل وعام الفجار عشرون سنة، والفجار حرب كانت بين قيس عيلان وبين كنانة، استحلوا فيها القتال في الأشهر الحرم، فسميت الفجار.

ذكر مبعثه ﷺ

وما جاء في ذلك إلى هجرته

ثم بعث الله رسوله وأكرمه بما اختصه به من نبوته، بعد بنيان الكعبة بخمس سنين على ما قدمنا آنفاً، وهو ابن أربعين سنة كاملة؛ فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة، وأخفى أمره ثلاث سنين، ونكح السيدة خديجة بنت خويلد [وله خمس وعشرون سنة] وأنزل عليه بمكة من القرآن اثنتان وثمانون سورة، ونزل تمام بعضها في المدينة، وأول ما نزل عليه من القرآن: (اقرأ باسم ربك الذي خلق) وأتاه جبريل ﷺ في ليلة السبت، ثم في ليلة الأحد، وخاطبه بالرسالة في يوم الاثنين، وذلك بحراء، وهو أول موضع نزل فيه القرآن، وخاطبه بأول السورة إلى قوله تعالى: (علم الإنسان ما لم يعلم) ونزل تمامها بعد ذلك؛ وخوطب بفرض الصلوات ركعتين ركعتين، ثم أمر بإتمامها بعد ذلك، وأقرت ركعتين بالسفر وزيد في صلاة الحضر، وكان مبعثه ﷺ على رأس عشرين سنة من ملك كسرى أبرويز، وذلك على رأس مائتي سنة من يوم التالف بالربذة، وذلك لستة آلاف ومائة وثلاث عشرة سنة من هبوط آدم عليه السلام، وقد ذكر بمثل هذا من بعض حكماء العرب



في صدر الإسلام ممن قرأ الكتب السالفة على حسب ما استخرج منها، وفي ذلك يقول في إرجوزة طويلة:

في رأس عشرة من السنين ... الى ثلاث حصلت يقين
والمائة الممدودة التمام ... الى ألوف سدست نظام
أرسله الله لنا رسولا ... وكان فينا هادي السبيل^(١٨)
سابعاً:

السيرة النبوية الشريفة وأخبار الخلفاء ؛ محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن
مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)
نصّ رواية محمد بن حبان البستي
المبعث

ذكر صفة بدء الوحي على رسول الله ﷺ

«قال أبو حاتم: هذان خبران [ويقصد أبو حاتم الروائين بشأن نزول الوحي على رسول الله ﷺ ونزول آيات من سورة العلق أو آيات من سورة يا أيها المدثر] أو هما من لم يكن الحديث صناعته أنهما متضادان وليس كذلك، إن الله [عز وجل] بعث رسوله ﷺ يوم الاثنين وهو ابن أربعين سنة، ونزل عليه جبريل عليه السلام وهو في الغار بحراء بـ(أقرأ باسم ربك الذي خلق). فلما رجع رسول الله ﷺ إلى بيت السيدة خديجة عليها السلام وذرّوه أنزل الله [عليه] في بيت السيدة خديجة عليها السلام (يا أيها المدثر. قُمْ فَأَنْذِرْ. وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ)، من غير أن يكون بين الخبرين تضاد ولا تهاثر»^(١٩).



ثامنا:

جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم؛ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)

مولد النبي ﷺ ومبعثه وسنه ووفاته

نصّ رواية ابن حزم الأندلسي

«وأنته ﷺ النبوة من عند الله عز وجل، وهو في غار حراء، وهو ﷺ ابن أربعين سنة، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة، أسلم فيها رجال من أصحابه ونساء. ثم هاجر إلى المدينة، إذ أكرم الله الأنصار رضوان الله عليهم بذلك، فأقام بالمدينة عشر سنين» (٢٠).

تاسعا:

الاستيعاب في معرفة الأصحاب؛ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر

بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)

نصّ رواية ابن عبد البر

«وقيل: إنه ولد أول اثنين من ربيع الأول، وقيل: لاثنتي عشرة ليلة خلت منه عام الفيل، إذ ساقه الحبشة إلى مكة في جيشهم يغزون البيت، فردهم الله عنه، وأرسل عليهم طيرًا أبابيل [فأهلكتهم]. وقيل: إنه ولد في شعب بني هاشم، ولا خلاف أنه ولد عام الفيل (٢١). فأما الخوارزمي محمد بن موسى فقال: كان قدوم الفيل مكة وأصحابه لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرم. وقد قال ذلك غير الخوارزمي أيضًا، وزاد يوم الأحد قال: وكان أول المحرم تلك السنة يوم الجمعة. قال الخوارزمي: وولد رسول الله ﷺ بعد ذلك بخمسين يومًا، يوم الاثنين لثمان خلت من ربيع الأول، وذلك يوم عشرين من نيسان. قال: وبعث نبيًا يوم الاثنين لثمان أيضًا من ربيع الأول، وذلك سنة إحدى وأربعين عام الفيل، فكان من مولده ﷺ إلى أن بعثه الله تعالى أربعون سنة ويومًا، ومن مبعثه إلى أول المحرم من السنة التي هاجر فيها اثنتا عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرون يومًا، وذلك



ثلاث وخمسون سنة تامة من أول عام الفيل. أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَرْيَابِيُّ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ لُهِيعَةَ عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ عَنْ حَنْشٍ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «وُلِدَ نَبِيُّكُمْ ﷺ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَخَرَجَ مِنْ مَكَّةَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَكَانَتْ بَدْرُ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ﷺ وَشَرَفَ وَكَرَّمَ». قَالَ أَبُو عَمْرٍ: «الأكثر على أن وقعة بدر كانت يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان، وما رأيت أحدا ذكر أنها كانت يوم الاثنين. إلا في هذا الخبر من رواية ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن حنش، ولا حجة في مثل هذا الإسناد عند جميعهم، إذا خالفه من هو أكثر منه» (٢٢).

قَالَ الْخَوَارِزْمِيُّ: وقدم رسول الله ﷺ المدينة مهاجراً يوم الاثنين، وهو اليوم الثامن من ربيع الأول سنة أربع وخمسين من عام الفيل، وهي سنة إحدى من الهجرة، يوم عشرين من أيلول فكان مبعثه ﷺ إلى يوم هاجر ودخل المدينة ثلاث عشرة سنة كاملة، ومكث بالمدينة عشر سنين وشهرين إلى أن مات، وذلك يوم الاثنين أول يوم من ربيع الأول سنة أربع وستين من عام الفيل، ومن الهجرة سنة إحدى عشرة، وهذا كله قول الخوارزمي، وهذا الذي قَالَ هو معنى قول ابن عباس، إن رسول الله ﷺ أقام بمكة ثلاث عشرة سنة، يعني بعد المبعث، وبالمدينة عشر سنين، ويشهد بصحة ذلك قول أبي قيس صرمة بن قيس الأنصاري:-

ثوى في قريش بضع عشرة حجة ... يذكر لو يلقي صديقاً مواتياً
ويعرض في أهل المواسم نفسه ... فلم ير من يؤوي ولم ير داعياً
فلما أتانا واستقرت به النوى ... وأصبح مسروراً بطيبة راضياً
وأصبح لا يخشى ظلامه ظالم ... بعيد، ولا يخشى من الناس باغياً
بذلنا له الأموال من جل مالنا ... وأنفسنا عند الوغى والتآسيا
نعادي الذي عادى من الناس كلهم ... جميعاً وإن كان الحبيب المواتياً



ونعلم أن الله لا شيء غيره ... وأن كتاب الله أصبح هاديا

وروينا هذه الآيات من طرق عن سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد الأنصاري، وهذا أكمل الروايات فيها. حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ خَالِدٍ، قَالَ حَدَّثَنَا قَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ إِمْلَاءً، قَالَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْدَرِ الْجَزَامِيُّ، قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، قَالَ سَمِعْتُ عَمْرَو بْنَ دِينَارٍ، قَالَ قُلْتُ لِعُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ: كَمْ لَبِثَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَكَّةَ؟ قَالَ: عَشْرَ سِنِينَ. فَقُلْتُ: إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: لَبِثَ بِمَكَّةَ بَضْعَ عَشْرَةِ سَنَةٍ. فَقَالَ: إِنَّمَا أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ. قَالَ سَفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: وَأَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَجُوزًا مِنَ الْأَنْصَارِ يَقُولُ: رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَخْتَلِفُ إِلَى صَرْمَةِ بْنِ قَيْسٍ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ هَذِهِ الْآيَاتِ:

ثَوَى فِي قَرِيْشٍ بَضْعَ عَشْرَةِ حِجَّةٍ ... يَذْكُرُ لَوْ يَلْقَى صَدِيقًا مَوَاتِيَا

فذكر الآيات كما ذكرتها سواء إلى آخرها (٢٣). قَالَ أَبُو عَمْرِو: وَمَاتَ أَبُوهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَأُمُّهُ حَامِلٌ بِهِ. وَقِيلَ: بَلْ تُوْفِيَ أَبُوهُ بِالْمَدِينَةِ وَالنَّبِيُّ ﷺ ابْنُ ثَمَانِيَةِ وَعِشْرِينَ شَهْرًا (٢٤). وَقَبْرُهُ بِالْمَدِينَةِ فِي دَارٍ مِنْ دُورِ بَنِي عَدِيٍّ بْنِ النَّجَّارِ، وَكَانَ خَرَجَ إِلَى الْمَدِينَةِ يَمْتَارُ تَمْرًا. وَقِيلَ: بَلْ خَرَجَ بِهِ إِلَى أَحْوَالِهِ زَائِرًا وَهُوَ ابْنُ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ. وَقِيلَ: بَلْ تُوْفِيَ أَبُوهُ وَهُوَ ابْنُ شَهْرَيْنِ، فَكَفَلَهُ جَدُّهُ عَبْدُ الْمَطْلَبِ. وَفِي خَبَرِ سَيْفِ بْنِ ذِي يَزَنَ: مَاتَ أَبُوهُ وَأُمُّهُ فَكَفَلَهُ جَدُّهُ وَعَمُّهُ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ تُوْفِيَ وَالنَّبِيُّ ﷺ ابْنُ ثَمَانِيَةِ وَعِشْرِينَ شَهْرًا. وَرَوَى ابْنُ وَهْبٍ عَنْ يُونُسَ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ قَالَ: بَعَثَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ يَمْتَارُ لَهُ تَمْرًا مِنْ يَثْرِبَ، فَمَاتَ بِهَا، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ وَهُوَ شَابٌّ عِنْدَ أَحْوَالِهِ بَنِي النَّجَّارِ بِالْمَدِينَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ غَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتُوْفِيَتْ أُمُّهُ آمَنَةُ بِالْأَبْوَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَهُوَ ابْنُ سِتِّ سِنِينَ. وَقِيلَ: ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ فِي كِتَابِ الْمُحَبَّرِ: تُوْفِيَتْ أُمُّهُ ﷺ، وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِ سِنِينَ. وَتُوْفِيَ جَدُّهُ عَبْدُ الْمَطْلَبِ بَعْدَ ذَلِكَ بِسَنَةِ وَأَحَدِ عَشْرِ شَهْرًا، سَنَةِ تَسَعٍ مِنْ أَوَّلِ عَامِ الْفِيلِ. وَقِيلَ: إِنَّهُ تُوْفِيَ جَدُّهُ عَبْدُ الْمَطْلَبِ، وَهُوَ



ابن ثمان سنين. وقيل: بل توفي جده وهو ابن ثلاث سنين، فأوصى به إلى أبي طالب فصار في حجر عمه أبي طالب حتى بلغ خمس عشرة سنة، وكان أبو طالب يحبه، ثم انفرد بنفسه، وكان مائلا إلى عمه أبي طالب لوجهته في بني هاشم وسنه، وكان مع ذلك شقيق أبيه، وخرج النبي ﷺ مع عمه في تجارة إلى الشام سنة ثلاث عشرة من عام الفيل، فرآه بحيرا الراهب، فقال: احتفظوا به فإنه نبي^(٢٥). وشهد بعد ذلك بثمان سنين يوم الفجار سنة إحدى وعشرين، وخرج إلى الشام في تجارة للسيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فرآه نسطور الراهب وقد أظلمته غمامة فقال: هذا نبي، وذلك سنة خمس وعشرين. وتزوج رسول الله ﷺ السيدة خديجة بنت خويلد بن أسد بعد ذلك بشهرين وخمسة وعشرين يوما، في عقب صفر سنة ست وعشرين، وذلك بعد خمس وعشرين سنة وشهرين وعشرة أيام من يوم الفيل، وقال الزهري: كانت سن رسول الله ﷺ يوم تزوج السيدة خديجة رضي الله عنها إحدى وعشرين سنة.

وقال أبو بكر بن عثمان وغيره: كان يومئذ ابن ثلاثين سنة. قالوا: والسيدة خديجة رضي الله عنها يومئذ بنت أربعين سنة، ولدت قبل الفيل بخمس عشرة سنة. وشهد رسول الله ﷺ ببيان الكعبة، وتراضت قريش بحكمه في وضع الحجر بعد ذلك بعشر سنين، وذلك سنة ثلاث وثلاثين. قال أبو عمر: لو صح هذا لكانت سن السيدة خديجة رضي الله عنها يوم تزوجها خمسًا وأربعين سنة. وقال محمد بن جبير بن مطعم: بنيت الكعبة على رأس خمس وعشرين سنة من عام الفيل. وقيل: بل كان بين ببيان الكعبة وبين مبعث النبي ﷺ خمس سنين، ثم نبأه الله تعالى وهو ابن أربعين سنة، وكان أول يوم أوحى الله تعالى إليه فيه يوم الاثنين، فأسر رسول الله ﷺ أمره ثلاث سنين أو نحوها، ثم أمره الله تعالى بإظهار دينه والدعاء إليه، فأظهره بعد ثلاث سنين من مبعثه. وقال الشعبي: أخبرت أن الملك إسرَافيل عليه السلام تراءى له ثلاث سنين^(٢٦).



حدثنا عبد الوارث بن سفيان، قال: حدثنا قاسم بن أصبغ، قال حدثنا أحمد بن زهير، قال: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَرْبَعِينَ، وَوُكِّلَ بِهِ الْمَلِكُ إِسْرَافِيلُ ﷺ ثَلَاثَ سِنِينَ، ثُمَّ وُكِّلَ بِهِ جِبْرَائِيلُ ﷺ. قَالَ: وَأَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، قَالَ حَدَّثَنَا هَشِيمٌ، قَالَ حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: نَبِيَّ النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرَ مِثْلَهُ. قَالَ: ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ جِبْرِيلَ ﷺ بِالرَّسَالَةِ. قَالَ: وَأَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ عَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: نَزَلَتْ عَلَيْهِ النَّبُوءَةُ، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَقُرْنَ بِنُبُوءَتِهِ الْمَلِكُ إِسْرَافِيلُ ﷺ ثَلَاثَ سِنِينَ، فَكَانَ يُعَلِّمُهُ الْكَلِمَةَ وَالشَّيْءَ، وَلَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ، فَلَمَّا مَضَتْ ثَلَاثُ سِنِينَ قُرْنَ بِنُبُوءَتِهِ الْمَلِكُ جِبْرِيلُ ﷺ، فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ عِشْرِينَ سَنَةً. وَقِيلَ: كَانَ مَبْعُوثَهُ ﷺ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَعِشْرَةَ أَيَّامٍ. وَقِيلَ: بَلْ كَانَ مَبْعُوثَهُ ﷺ لَتَمَامِ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ مَوْلَدِهِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِلَّيْلَتَيْنِ خَلَّتَا مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ أَرْبَعِينَ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ ﷺ نَبِيٌّ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ جَبْرِ بْنِ مَطْعَمٍ، وَقَبَاثُ بْنُ أَشِيمٍ، وَعَطَاءٌ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ (٢٧).

الملاحظات العامة على معلومات هذه المجموعة من الروايات الشفاهية التي اعتمدها المؤلفون والمؤرخون حتى نهاية القرن الخامس للهجرة:

بادئ ذي بدء هناك تعقيبات على الجوامع المشتركة بين هذه الفئة من الروايات الشفاهية التي احتوتها أقدم المؤلفات التاريخية لأهل العامة وعلى وفق التسلسل الزمني لحياة مؤلفيها بدءاً بمحمد بن إسحاق المتوفى في سنة ١٥٠ أو ١٥١ هجرية.

ففيما يتعلق الأمر باليوم الذي بعث فيه رسول الله ﷺ، وفي مسألة عمره الشريف آنذاك، وكذلك فيما يتعلق بمسألة تحقيق بعثته في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ثمة ملاحظات من اللازم الوقوف عليها. أولاها أن هناك إجماعاً بين المؤلفات وروايات الشفاهيين على أن يوم الاثنين هو اليوم الذي أنزل فيه القرآن على قلب رسول الله ﷺ؛



وقد اختلف في الشهر الذي وقع فيه يوم الاثنين هذا، فعند ابن إسحق -بحسب رواية يونس بن بكير- هو الاثنين السابع عشر من شهر رمضان، وكذلك بحسب رواية محمد بن عمر الواقدي عند ابن سعد وهم عبد الله بن فروة وأبو جعفر. أما الرأي الآخر فهو يوم الاثنين لثمان خلت من شهر ربيع الأول (أي ما يقابله شهر نيسان)، وزيادة في التأكيد لسنة إحدى وأربعين من عام الفيل بحسب رواية الراوي الشفاهي محمد بن جعفر السابق الذكر. والرأي الثالث أنه يوم الاثنين الثامن عشر من شهر رمضان.

ولكن الاختلافات البيّنة والمهمة بين الرواة الشفاهيين لهذه المؤلفات التاريخية كانت بشأن عمر النبي ﷺ، فرواية عروة بن الزبير عن خالته عائشة، إذ أورد ابن عبد البر أن الراوية الشفاهي أحمد بن عبد الله وضمن سلسلة إسناد جامعة تنتهي بسفيان بن عيينة أنه سمع عمرو بن دينار (يعني رواية شفاهي أيضا) يقول: قال لعروة بن الزبير، كم بعث النبي ﷺ بمكة؟ قال: عشر سنين، قلت: إن ابن عباس يقول بعث بمكة بضع عشر سنة. فقال: إنما أخذه من قول الشاعر. وذهب الى مثل ذلك رواية أنس بن مالك بحسب روايته الشفاهي العلاء بن زياد العدوي، وكان قد سأل أنس بن مالك فأجاب «أن النبي ﷺ كان بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين». ويعلق هذا الراوي بقوله الذي نصّه: «هَذَا قَوْلُ أَنَسٍ أَنَّهُ كَانَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ وَلَمْ يَكُنْ يَقُولُهُ غَيْرُهُ». وآخرون نظير رواية ابن عباس الشفاهي، أبي عبد الله عكرمة بن عبد الله البربري المدني. وواقعا فإن لابن عباس عن طريق روايته عكرمة روايتين متضاربتين، ففي الأولى التي وردت عن رواية هو أبو كريب، محمد بن العلاء بن كريب الهمداني الكوفي المعروف بكنيته أبي كريب (المتوفى ٢٤٨ هجرية محدث من الثقات، ومن المشايخ التسعة الذين رووا لهم أصحاب الكتب الستة من دون واسطة) عن هشام بن حسان، عن عكرمة عن ابن عباس، قال: بعث رسول الله وأنزل عليه وهو ابن أربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة^(٢٨). بمعنى أن عكرمة رواية ابن عباس أو ابن عباس نفسه كان مترددا في القول



بأن النبي ﷺ قد بعث على رأس الأربعين سنة من عمره، وذلك بفرضه أنه ﷺ قد مكث في مكة ثلاث عشرة سنة بخلاف الآخرين الذين اعتمدوا مقولة العشر سنين قضائها في مكة ومثلها في المدينة ووفاته في هذه الحالة في الثلاث والستين سنة لا في الستين سنة. لأن ابن عباس في رواية أخرى جاءت عن طريق الراوية الشفاهي العسقلاني عن أبي جمرة الضبعي كانت على وفق الآتي:-

حدثني محمد بن خلف العسقلاني [الشامي المتوفى سنة ٢٦٠ هجرية]، قال: حدثنا آدم، قال: حدثنا حماد بن سلمة، قال: حدثنا أبو جمرة الضبعي [وهو بحسب الذهبي في سير أعلام النبلاء نصر بن عمران الضبعي البصري، أحد الأئمة الثقات. حدث عن ابن عباس]، وقال: «أبو جمرة الضبعي نصر بن عمران، وأبو حمزة: عمران بن أبي عطاء الواسطي، ثقة مات في ولاية يوسف بن عمر على العراق، وقال غيره: مات بسر خس في آخر سنة سبع وعشرين ومائة، ويقال: سنة ثمان»^(٢٩)، عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة. ويفهم منها أنه ﷺ مكث عشر سنين في مكة. ومع ذلك فقد جاء عند ابن البر أنه ﷺ قد بعث في الأربعين وشهرين كما تعرضه رواية ابن عبد البر الآتية: «وقيل: كان مبعثه ﷺ وهو ابن أربعين سنة وشهرين وعشرة أيام». وعلى وفق هذه الكيفية إذ أورد رواة شفاهيون آخرون نقلا عن ابن عباس أيضا القول إنه «أنزل على النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة». وهي رواية جاءت عن طريق أحمد بن ثابت الرازي عن آخر حلقة في الإسناد عكرمة بن عبد الله البربري المدني عن ابن عباس. وهي رواية تفند رواية عكرمة عن ابن عباس الواردة أعلاه توا. ولزيادة التأكيد لهذه الرواية وردت عن ابن عباس أيضا بما رجّحه الخوارزمي كما أورد الخبر ابن عبد البر وهو «قَالَ الخوارزمي: وقدم رسول الله ﷺ المدينة مهاجراً يوم الاثنين، وهو اليوم الثامن من ربيع الأول سنة أربع وخمسين من عام الفيل، وهي سنة إحدى من الهجرة، يوم عشرين من أيلول فكان من مبعثه ﷺ إلى يوم هاجر ودخل المدينة ثلاث عشرة سنة كاملة، ومكث



بالمدينة عشر سنين وشهرين إلى أن انتقل إلى جوار ربّه، وذلك يوم الاثنين وهو أول يوم من ربيع الأول سنة أربع وستين من عام الفيل، ومن الهجرة سنة إحدى عشرة، وهذا كله قول الخوارزمي، وهذا الذي قال ما معنى قول ابن عباس، إن رسول الله ﷺ أقام بمكة ثلاث عشرة سنة، يعنى بعد المبعث، وفي المدينة عشر سنين، ويشهد بصحة ذلك قول أبي قيس صرمة بن قيس الأنصاري:-

ثوى في قريش بضع عشرة حجة ... يذكر لو يلقى صديقاً مواتياً
ويعرض في أهل المواسم نفسه ... فلم ير من يؤوي ولم ير داعياً
فلما أتانا واستقرت به النوى ... وأصبح مسروراً بطيبة راضياً
وأصبح لا يخشى ظلامه ظالم ... بعيد، ولا يخشى من الناس باغياً
بذلنا له الأموال من جل مالنا ... وأنفسنا عند الوغى والتأسيا
نعادي الذي عادى من الناس كلهم ... جميعاً وإن كان الحبيب المواتياً
ونعلم أن الله لا شيء غيره ... وأن كتاب الله أصبح هادياً

ويعقب ابن عبد البر بقوله: «روينا هذه الأبيات من طرق عن سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد الأنصاري، وهذا أكمل الروايات فيها». وهي الأبيات الشعرية التي اعتمدها عروة بن الزبير للردّ على رواية ابن عباس هذه كما سبق ذكره في أعلاه. غير أن الطبري يدلي برواية أخرى غير الرواية التي مفادها الدلالة على الأربعين سنة؛ إذ يقول: «وقال آخرون: بل نبيّ حين نبيّ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة». ورواية أخرى له نصّها: «حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، قال: أنزل على رسول الله ﷺ الوحي وهو ابن ثلاث وأربعين سنة».

وعودة على بدء فإن يونس بن بكير راوية سيرة ابن إسحاق ينفرد برواية لم يذكرها زياد البكائي راوية سيرة ابن إسحاق الآخر وهو راوية سيرة ابن إسحاق إلى ابن هشام مفادها: «حدثنا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: ورسول الله ﷺ يومئذ ابن خمس



وثلاثين سنة، ونزل عليه الوحي بعد بناء الكعبة بخمسة سنين، وهو ابن أربعين سنة، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ثم هاجر إلى المدينة». وأورد يونس بن بكير أيضاً: «حدثنا يونس عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع الأنصاري عن رجل عن سعيد بن المسيب قال: نزل الوحي على رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين، فأقام بمكة عشرًا وبالمدينة عشرًا. حدثنا أحمد: نا يونس عن ابن إسحق قال: ونزل الوحي على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة عشرًا».

ومهما يكن من أمر فإن الرواة الشفاهيين السابقين لم يتطرقوا إلى مسألة مهمة جداً، وهي بالأحرى تستوجب الذكر لمن كان قد روى أنه ﷺ قد مكث في مكة ثلاث عشرة سنة وليس عشر سنوات كما أكدته عروة بن الزبير وأنس بن مالك وآخرون. بمعنى أن هذه السنوات الثلاثة كانت ضمن مدة المبعث النبوي الشريف أم غير ذلك؟ لأن هناك روايات شفاهية أخرى قد بيّنت أنها ضمن البعثة الشريفة، وأنه ﷺ كان مقرّونا بالملك إسرَافيل قبل أن يقرن بالملك جبرئيل عليه السلام. والأكثر أهمية أن المصدر الأساسي لهؤلاء الرواة هو عامر الشعبي وحده. والمعروف عن عامر الشعبي هو عامر بن شراحيل بن عبد أبو عمر الهمداني ثم الشعبي، وعدّه أصحاب السير في الطبقة الثانية من التابعين. وصنّفه صاحب تهذيب التهذيب في الطبقة الثالثة، وكان في المدينة وسافر إلى خراسان، وعاش في الكوفة. ونال شرف صحبة أصحاب رسول الله ﷺ، وتعلم على أيديهم، ونهل من علمهم، وأورد أبو نعيم الأصبهاني في كتابه «الحلية» أن عامر بن شراحيل الشعبي قد أدرك خمسمائة من أصحاب رسول الله ﷺ، وتعلم من عبد الله بن عباس. وكان داوود بن أبي هند من بين أكثر من روى من الذين رووا عنه. صنّفه العلماء على أنه كان يعدّ بعد ابن عباس وسفيان الثوري في عالميته^(٣٠). فالرواية عن هذا الموضوع هي:-
«أَخْبَرَنَا نَصْرُ بْنُ سَائِبِ الْخُرَّاسَانِيُّ عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ عَنْ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْزَلَتْ عَلَيْهِ النَّبُوءَةُ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً. وَكَانَ مَعَهُ الْمَلِكُ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَلَاثَ سِنِينَ. ثُمَّ عُزِّلَ



عَنْهُ الْمَلِكُ إِسْرَافِيلُ عليه السلام وَأُقِرَّنَ بِهِ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عليه السلام عَشْرَ سِنِينَ بِمَكَّةَ وَعَشْرَ سِنِينَ مُهَاجِرُهُ بِالْمَدِينَةِ. «حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ سَفْيَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغٍ، قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: «بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لِأَرْبَعِينَ، وَوُكِّلَ بِهِ الْمَلِكُ إِسْرَافِيلُ عليه السلام ثَلَاثَ سِنِينَ، ثُمَّ وُكِّلَ بِهِ جِبْرَائِيلُ عليه السلام. قَالَ: وَأَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، قَالَ حَدَّثَنَا هَشِيمٌ، قَالَ حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: «نَبِيُّ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فَذَكَرَ مِثْلَهُ. قَالَ: ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عليه السلام بِالرَّسَالَةِ. قَالَ: وَأَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ عَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: «نَزَلَتْ عَلَيْهِ النَّبُوءَةُ، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَقَرَنَ بِنُبُوتِهِ الْمَلِكُ إِسْرَافِيلُ عليه السلام ثَلَاثَ سِنِينَ، فَكَانَ يَعْلَمُهُ الْكَلِمَةُ وَالشَّيْءَ، وَلَمْ يَنْزَلْ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ، فَلَمَّا مَضَتْ ثَلَاثَ سِنِينَ قُرِنَ بِنُبُوتِهِ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عليه السلام، فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ عَشْرِينَ سَنَةً.»

وعلى هذا الاعتبار كانت مسألة أنه صلى الله عليه وآله قد مكث في مكة ثلاث عشرة سنة على خلاف ما قاله عروة بن الزبير، وذلك لأمر واضح جدا، إذ إنه صلى الله عليه وآله قد انتقل إلى جوار ربه وعمره كان ثلاثا وستين سنة. وللخوارزمي توضيح في هذا الصدد إذ يقول نقلا عن رواية لابن عبد البر: «قَالَ الْخَوَارِزْمِيُّ: وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله الْمَدِينَةَ مُهَاجِرًا يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الثَّامِنُ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ مِنْ عَامِ الْفِيلِ، وَهِيَ سَنَةٌ إِحْدَى مِنْ الْهَجْرَةِ، يَوْمَ عَشْرِينَ مِنْ أَيْلُولٍ فَكَانَ مَبْعُوثُهُ صلى الله عليه وآله إِلَى يَوْمٍ هَاجَرَ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً كَامِلَةً، وَمَكَّثَ بِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ وَشَهْرَيْنِ إِلَى أَنْ مَاتَ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِينَ مِنْ عَامِ الْفِيلِ، وَمِنْ الْهَجْرَةِ سَنَةٌ إِحْدَى عَشْرَةَ، وَهَذَا كُلُّهُ قَوْلُ الْخَوَارِزْمِيِّ.»

ومع هذا كله نلاحظ أن ابن سعد في طبقاته يقول ما نصّه: «قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ: فَذَكَرْتُ هَذَا الْحَدِيثَ لِمُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ فَقَالَ: لَيْسَ يَعْرِفُ أَهْلُ الْعِلْمِ بِلَدْنَا أَنَّ الْمَلِكَ



إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قُرْنٌ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَإِنَّ عُلَمَاءَهُمْ وَأَهْلَ السَّيْرِ مِنْهُمْ يَقُولُونَ لَمْ يُقْرَنَ بِهِ غَيْرُ الْمَلِكِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ إِلَى أَنْ قُبِضَ ﷺ» (٣١) .

والخلاصة علينا أن نقول: إن هذه المتاهة وعدم الوضوح في مسألة مهمة جدا في سيرة رسول الله ﷺ اعتمادا على هؤلاء الرواة الشفاهيين جعلنا في حيرة من أمرنا، فهذه الاختلافات في سنة مبعث النبي وفي السنوات التي مكثها في مكة المكرمة والمدينة المنورة؛ وفيما إذا كان برفقة الملك إسرافيل عليه السلام مدة ثلاث سنين كان فيها الملك يعلمه مبادئ الإسلام هي اختلافات مختلفة ومن صنع خيال هؤلاء الرواة، فلماذا يختلفون في هذا المضمار من حياة النبي ﷺ في الوقت الذي يتفقون مثلا على شأن آخر نظير حياة عبد الله بن عباس والزبير بن العوام وعبد الله بن الزبير ومعاوية بن أبي سفيان؟! ولماذا يجعلون مولد النبي ﷺ ومبعثه وحياته مختلف عليها وهو سيد المرسلين ونبي الأمة أرسله الله سبحانه وتعالى للعالم أجمع؟ إن ذلك جاء بممارسة متعمدة من الرواة الأمويين؟ أم إنه كان من تأمر اللجنة الأمنية العلمية التي شكلها معاوية بن أبي سفيان لكتابة السيرة النبوية المطهرة؟، وهو ما نعتقد بشباته وصحته!.



ثانيا:

المرحلة الثانية:

المؤرخون من أهل العامة الذين اعتمدوا أيضا على الرواة الشفاهيين الأوائل منذ منتصف القرن الخامس الهجري فصاعدا

الموضوع

عمر الرسول ﷺ أثناء بعثته الميمونة

واليوم الذي بعث فيه ﷺ

(أ) المؤرخون منذ منتصف القرن الخامس الهجري الى القرن السابع الهجري

عاشرا:

الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

نص رواية السهيلي

ملحوظة مهمة: منهج السهيلي اعتماده نص ابن هشام ثم يعقب عليه ويشرح التعبيرات والأفكار الواردة في نص ابن هشام (٣٢).

عمر النبي ﷺ أثناء البعثة

ملحوظة مهمة: النص الآتي هو رواية زياد بن عبد الله البكائي الشفاهية عند ابن

هشام في السيرة النبوية

”مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ، قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبُكَّائِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْمُطَّلِبِيِّ قَالَ: فَلَمَّا بَلَغَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَزْبَعِينَ سَنَةً بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَكَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا، وَكَانَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ بَعَثَهُ قَبْلَهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَالتَّصَدِيقِ لَهُ، وَالنَّصْرَ لَهُ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ، وَأَخَذَ



عَلَيْهِمْ أَنْ يُؤَدُّوا ذَلِكَ إِلَى كُلِّ مَنْ آمَنَ بِهِمْ وَصَدَّقَهُمْ، فَأَدُّوا مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَقِّ فِيهِ. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِحَمْدِهِ ﷺ: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ، لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي) أَيُّ ثِقَلٍ مَا حَمَلْتُمْكُمْ مِنْ عَهْدِي: (قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) [آل عمران: ٨١]. فَأَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ جَمِيعًا بِالتَّصَدِيقِ لَهُ، وَالتَّصَرُّفِ لَهُ بِمَنْ خَالَفَهُ، وَأَدُّوا ذَلِكَ إِلَى مَنْ آمَنَ بِهِمْ، وَصَدَّقَهُمْ مِنْ أَهْلِ هَذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ (٣٣) ”.

”قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَذَكَرَ الزُّهْرِيُّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا حَدَّثَتْهُ: أَنَّ أَوَّلَ مَا بَدَأَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ النَّبُوءَةِ، حِينَ أَرَادَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ وَرَحْمَةَ الْعِبَادِ بِهِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ، لَا يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رُؤْيَا فِي نَوْمِهِ إِلَّا جَاءَتْ كَفَلَقِ الصُّبْحِ. قَالَتْ: وَحَبَّبَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ الْخُلُوعَ، فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَخْلُو وَحْدَهُ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ بْنِ الْعَلَاءِ بْنِ جَارِيَةِ الثَّقَفِيِّ، وَكَانَ وَاعِيَةً، عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَرَادَهُ اللَّهُ بِكَرَامَتِهِ، وَابْتَدَأَهُ بِالنَّبُوءَةِ، كَانَ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَبْعَدَ حَتَّى تَحْسَرَ عَنْهُ النَّبِيُّوتُ، وَيُقْضَى إِلَى شِعَابِ مَكَّةَ وَبُطُونِ أَوْدِيَتِهَا، فَلَا يَمُرُّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ، إِلَّا قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَيَلْتَفِتُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَوْلَهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ وَخَلْفَهُ، فَلَا يَرَى إِلَّا الشَّجَرَ وَالْحِجَارَةَ. فَكَثُرَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَذَلِكَ يَرَى وَيَسْمَعُ، مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمَكُثَ، ثُمَّ جَاءَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ ﷺ بِهَا جَاءَهُ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ، وَهُوَ بِحَرَاءٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ“.

وقد عقَّب السهيلي على ما نصَّ عليه ابن هشام في أعلاه:

كِتَابُ الْمُبْعَثِ: مَتَى بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟

”ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بُعِثَ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ مِنْ مَوْلِدِهِ ﷺ، وَهَذَا مَرْوِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَجُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ وَقَبَاثِ بْنِ أَشِيمٍ، وَعَطَاءٍ وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، وَأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ وَهُوَ صَحِيحٌ عِنْدَ أَهْلِ السِّيَرِ وَالْعِلْمِ بِالْأَثَرِ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ نُبِئَ لِأَرْبَعِينَ



وَشَهْرَيْنِ مِنْ مَوْلِدِهِ، وَقِيلَ لِقَبَاثِ بْنِ أَشِيمٍ: مَنْ أَكْبَرُ، أَنْتَ أَمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنِّي، وَأَنَا أَسَنُّ مِنْهُ، وولد رسول الله ﷺ عام الفيل، ووقفت بي أمي على روث الفيل ويروى: خزق الطير، فرأيتُه أخضر محيلاً، أي: قد أتى عليه حول، وفي غير رواية البكائي من هذا الكتاب أن رسول الله ﷺ قال لبلال: لا يفتنك صياح يوم الاثنين؛ فإنني قد ولدت فيه، وبُعِثت فيه، وأموت فيه» (٣٤).

أحد عشر:

ابن الجوزي في كتابه المنتظم في تاريخ الملوك والأمم

نص رواية ابن الجوزي

باب ذكر الحوادث الكائنة في زمان نبينا

«ذكر ما جرى في السنة الأولى من زمان النبوة. قال مؤلف الكتاب: لما تمت له ﷺ أربعون سنة ودخل في سنة إحدى وأربعين يوم واحد أوحى الله عز وجل إليه، وذلك في سنة عشرين من ملك كسرى أبرويز، وكان قد حُبب إليه الخلوة، وكان ينفرد في جبل حراء يتعبد. أخبرنا محمد بن أبي طاهر البزاز قال: أخبرنا أحمد بن معمر قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال: حدثنا محمد بن سعد قال: أخبرنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب قال: حدثنا سليمان بن بلال وأخبرنا معن عن مالك بن أنس جميعاً عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه سمع أنس بن مالك يقول: «بُعِث رسول الله ﷺ على رأس أربعين سنة». أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ قال: أخبرنا عاصم بن الحسن قال: أخبرنا محمد بن أحمد البراء قال: «بَعَثَ اللهُ تعالى رسول الله ﷺ وله يومئذ أربعون سنة وفأناه الملك جبريل عليه السلام ليلة السبت وليلة الأحد ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان بحراء وهو أول موضع نزل فيه القرآن به، نزل: (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) فقط. ثم فحص بعقبه الأرض فنبع منها ماء فعلمه الوضوء والصلاة ركعتين» (٣٥).



«وروى أبو قتادة عن النبي ﷺ: أنه سئل عن صوم يوم الاثنين فقال: «ذاك يوم وُلدت فيه ويوم بعثت فيه». قال مؤلف الكتاب: واختلفوا أي الاثنين كان على أربعة أقوال: أحدها: لسبع عشرة خلت من شهر رمضان وقد ذكرناه عن ابن البراء. وأخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر قال: أخبرنا الجوهري قال: أخبرنا ابن حيوية قال: أخبرنا الحارث قال: أخبرنا ابن سعد قال: أخبرنا الواقدي قال: حَدَّثَنِي أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن أبي جعفر قال: نزل الملك على رسول الله ﷺ بحراء يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان. والقول الثاني: ان القرآن نزل لأربع وعشرين ليلة خلت من شهر رمضان. رواه قتادة عن أبي الجلد. والثالث: لثمان عشرة خلت من شهر رمضان. رواه أيوب عن أبي قلابة عبد الله بن زيد الجرهمي. والقول الرابع: انه كان في رجب. أخبرنا سعد الخير بن محمد الأنصاري قال: أخبرنا عبد الله بن علي الأبنوسي قال: أخبرنا عبد الملك بن عمر الرزاز قال: أخبرنا أبو حفص بن شاهين قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله البزار قال: أخبرنا علي بن سعيد الرقي قال: أخبرنا ضمرة بن أبي شاذب عن مطر الوراق عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: مَنْ صام يوم سبعة وعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهرًا وهو اليوم الذي نزل فيه جِبْرِيل على النبي ﷺ بالرسالة أول يوم هبط فيه» (٣٦).



الملاحظات العامة بخصوص الروايات الشفاهية المدونة

عند مؤرخي هذه المرحلة التاريخية

كما لاحظنا من قراءة نصوص روايات السهيلي وابن الجوزي وهما من المؤرخين البارزين في هذه الحقبة التاريخية، اهتموا بالكتابة عن تاريخ المبعث النبوي الشريف، إذ اعتمدا أساساً على الرواة الشفاهيين الذين يرجع تاريخ وفاتهم إلى المرحلة التأسيسية الأولى نظير: أبي هريرة وعروة بن الزبير والرواية المجهول الهوية الذي كان قد سمع أنس بن مالك وعكرمة عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وعبيد بن عمير عن عروة بن الزبير أو عن أخيه عبد الله بن الزبير بخصوص موضوع اليوم الذي بعث فيه رسول الله ﷺ وموضوع كم كان عمره الشريف أثناء بعثته الميمونة؛ ويلاحظ أن السهيلي قد ضمن اسم ابن عباس بين الرواة الذين حددوا سنة بعثة رسول الله ﷺ بأنها كانت على (رأس الأربعين سنة)، بينما ذكر رواية ابن عباس عكرمة فضلاً عن سعيد بن المسيب أنه ﷺ كان في عمر الثلاث والأربعين سنة حينما جاءه الوحي الإلهي؛ وأن تعبير على رأس الأربعين قد استعمله أنس بن مالك على حدّ تعبير راويته الشفاهي.

غير أن ابن الجوزي في المنتظم قد ابتدأ حديثه بما له علاقة بنبوة النبي ﷺ فقال: «ذكر ما جرى في السنة الأولى من زمان النبوة. قال مؤلف الكتاب: لما تمت له ﷺ أربعون سنة ودخل في سنة إحدى وأربعين يوم واحد أوحى الله (عز وجل) إليه»، ثم أردفها برواية مماثلة نقلاً عن راويته الشفاهي الحافظ عبد الوهاب بن المبارك الذي أنبأه قائلًا: «أخبرنا عاصم بن الحسن قال: أخبرنا محمد بن أحمد البراء قال: بعث الله تعالى رسول الله ﷺ وله يومئذ أربعون سنة ويوم فأتاه الملك جبريل عليه السلام ليلة السبت وليلة الأحد ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان بحراء». والسند الذي اعتمده ابن الجوزي في هذه الرواية لا يرقى إلى مرتبة الحديث النبوي ولا يمكننا أن ندرجه تحت مرتبة الحديث المرسل أو المقطوع أو حتى الضعيف، فالشخص



الذي نبأ ابن الجوزي هو عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن الأنطاقي المتوفي سنة ٥٣٨ هجرية، وهو شيخ ابن الجوزي ومعاصر له، وكان كما يصفه ابن الجوزي: «ذا دين وورع وكان قد نصب نفسه للحديث طول النهار وسمع الكثير من الخلق وكتب بيده الكثير وكان صحيح السماع ثقة ثبًا وكنت أقرأ عليه الحديث وهو يبكي فاستفدت ببيكائه أكثر من استفادتي بروايته»^(٣٧). فدرجة الوثوق به والاعتماد على روايته أمر ضعيف جدا، ولا سيما إذا ما دققنا في نهاية حلقة روايته، وأقصد الراوية المدعو محمد بن أحمد البراء الذي لم يعرف في المصادر الرجالية وفي مؤلفات التراجم. لهذا كله فإننا لا يمكننا الاعتماد على رأيه غير المدعوم. على الرغم من أن السهيلي هو الآخر قد أورد رواية مقطوعة لا سند لها إذ يقول ما نصّه: «وَقَدْ رَوَى أَنَّهُ نُبِيَ لَأَرْبَعِينَ وَشَهْرَيْنِ مِنْ مَوْلَدِهِ»، كما ذكرنا في أعلاه.

وقد أفاد السهيلي كثيرا في تعقيباته وتفسيراته للتعبيرات التي استخدمها ابن إسحاق في نص روايته، بالأخص تسمية الحجر الذي ذكره رسول الله ﷺ، أي الحجر الأسود، وفكرة الحنث والاعتكاف.

وعلى أية حال فإن مؤرخي هذه المرحلة قد وضعوا رواية سيرة ابن إسحق أساسا في عرضهم لموضوعات يوم بعثة رسول الله ﷺ وعمره الشريف. فقد ظل السهيلي محافظا على النص الذي رواه البكائي في سيرة ابن هشام، في حين خرج ابن الجوزي على النص باعتياده على علماء حقبة المعاصرة فضلا عن معارفه التاريخية من مصادر لم يسمها ولم يكشف عنها.



المرحلة الثالثة:

الروايات الشفاهية لمؤرخي القرن السابع الهجري فصاعدا

المصدر الثاني عشر:

ابن الأثير؛ عز الدين؛ أبو الحسن علي الشيباني الجزري المتوفى ٦٣٠ هجرية، المعروف بابن الأثير الجزري، مؤرخ عاصر دولة صلاح الدين الأيوبي، ورصد أحداثها. صاحب كتاب الكامل في التاريخ.

نصّ رواية ابن الأثير

الجزء الأول ص: ٦٤٦

ذكر الوقت الذي أرسل فيه رسول الله ﷺ

«بعث الله نبيه محمدا ﷺ لعشرين سنة مضت من ملك كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان، وكان على الحيرة إياس بن قبيصة الطائي عاملا للفرس على العرب. قال ابن عباس من رواية حمزة وعكرمة عنه وأنس بن مالك وعروة بن الزبير: «إن النبي ﷺ بعث وأنزل عليه الوحي وهو ابن أربعين سنة». وقال ابن عباس من رواية عكرمة أيضا عنه وسعيد بن المسيب: «إنه أنزل عليه ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة». وكان نزول الوحي عليه يوم الاثنين بلا خلاف. واختلفوا في أي الاثنين كان ذلك، فقال أبو قلابة الجرمي: «أنزل الفرقان على النبي ﷺ لثمان عشرة ليلة خلت من شهر رمضان»، وقال آخرون: «كان ذلك لتسع عشرة مضت من شهر رمضان، وكان ﷺ قبل أن يظهر له جبرائيل عليه السلام يرى ويعاين آثارا من آثار من يريد الله إكرامه بفضله». وكان من ذلك ما ذكرت من شق الملكين بطنه واستخراجهما ما في قلبه من الغلّ والدنس، ومن ذلك أنه كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه، فكان يلتفت يمينا وشمالا فلا يرى أحدا، وكانت الأمم تتحدث بمبعثه وتخبر علماء كل أمة قومها بذلك. قال عامر بن ربيعة: «سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول: إنا لنتنظر نبيا من ولد إسماعيل، ثم من بني عبد



المطلب، ولا أراني أدركه، وأنا أومن به وأصدقّه وأشهد أنه نبي، فإن طالت بك حياة ورأيتَه فأقرئه مني السلام، وسأخبرك ما نعتَه حتى لا يخفى عليك. قلت: هلم. قال: هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير، ولا بكثير الشعر ولا بقليله، ولا تفارق عينيه حمرة، وخاتم النبوة بين كتفيه، واسمه أحمد، وهذا البلد مولده ومبعثه، ثم يخرج قومه ويكرهون ما جاء به، ويهاجر إلى يثرب فيظهر بها أمره، فأياك أن تنخدع عنه، فأني طفت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم، فكل من أسأله من اليهود والنصارى والمجوس يقول: هذا الدين وراءك، وينعتونه مثل ما نعتَه لك، ويقولون: لم يبق نبي غيره». قال عامر: فلما أسلمت أخبرت رسول الله ﷺ قول زيد وأقرأته السلام. فرد عليه رسول الله ﷺ وترحم عليه وقال: «قد رأيتَه في الجنة يسحب ذيولا». وقال جبير بن مطعم: «كنا جلوسا عند صنم ببوالة قبل أن يبعث رسول الله ﷺ بشهر. نحرنّا جزورا، فإذا صائح يصيح من جوف الصنم: اسمعوا إلى العجب، ذهب استراق الوحي، ونرمى بالشهب، لنبي بمكة اسمه أحمد، مهاجره إلى يثرب. قال: فأمسكنا وعجبنا، وخرج رسول الله ﷺ». والأخبار عن دلائل نبوته كثيرة، وقد صنف العلماء في ذلك كتباً كثيرة ذكرها فيها كل عجيبة، ليس هذا موضع ذكرها (٣٨).

المصدر الثالث عشر:

أبو شامة المقدسي عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر. هو فقيه شافعي ومحدث ومؤرخ، اشتهر بأبي شامة؛ لشامة كبيرة كانت فوق حاجبه الأيسر. ولد في دمشق وتوفي فيها سنة ٦٦٥ هجرية ١٢٦٧.



نص رواية أبي شامة

ذكر مولده ﷺ ومعرفة من كفله وما كان من أمره قبل أن يوحى إليه

«عن أبي قتادة قال: قال عمر: يا رسول الله، أرأيت رجلاً يصوم الاثنين. قال: ذاك يوم ولدت فيه ويوم أنزل علي. وروى المسيب بن شريك عن شعيب عن أبيه عن جده قال: حمل برسول الله ﷺ في عاشوراء المحرم، وولد يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة أصحاب الفيل. وعن ابن عباس قال: ولد نبيكم ﷺ يوم الاثنين، وخرج من مكة يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين، وفتح مكة يوم الاثنين. ونزلت سورة المائدة يوم الاثنين (اليوم أكملت لكم دينكم)، ورفع الركن يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين. وعن ابن عباس قال: ولد النبي ﷺ في ربيع الأول، وأنزلت عليه النبوة في يوم الاثنين في أول شهر ربيع الأول، وأنزلت عليه البقرة يوم الاثنين في ربيع الأول. وهاجر إلى المدينة في ربيع الأول، وتوفي يوم الاثنين في ربيع الأول. وفي رواية أخرى: وكان فتح بدر يوم الاثنين. قال: والمحفوظ أن نزول (اليوم أكملت لكم دينكم) ووقعة بدر كانا في يومي جمعة. وعن مكحول: أنه كان يصوم يوم الاثنين والخميس، وكان يقول: ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين، وبعث يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين، وترفع أعمال بني آدم يوم الخميس. وعن يزيد بن أبي حبيب قال: في يوم الاثنين ولد النبي ﷺ، وفيه بعث، وفيه قبض، وهو يوم الفرقان، وفيه نزلت هذه الآية: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً). وقيل: إن رسول الله ﷺ ولد عام الفيل. ولد لثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول. ويقال: ولد في شهر رمضان في اثنتي عشرة منه يوم الاثنين حين طلع الفجر. قال: وكان إبليس يخرق السموات السبع. فلما ولد عيسى عليه السلام حجب من ثلاث سموات فكان يصل إلى أربع، فلما ولد رسول الله ﷺ حجب من السبع، ورميت الشياطين بالنجوم. فقالت قريش: هذا قيام الساعة. فقال رجل من قريش يقال له:



عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف: انظروا إلى العيوق فإن كان قد رمي به فهو قيام الساعة، في حديث طويل. وقيل: ولد النبي ﷺ يوم الفيل وقيل: عام الفيل، وبين الفجار والفيل عشرون سنة. وسمي الفجار لأنهم فجروا وأحلوا أشياء كانوا يحرمونها. وكان بين الفجار وبين الكعبة خمس عشرة سنة. وبين بناء الكعبة وبين مبعث رسول الله ﷺ خمس سنين. قال: فبعث نبينا ﷺ وهو ابن أربعين سنة. وكانت عكاظ بعد الفيل بخمس عشرة سنة. قيل: ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين لعشر خلون من ربيع الأول، وكان قدوم الفيل للنصف من المحرم، فبين الفيل وبين مولد سيدنا رسول الله ﷺ خمس وخمسون ليلة. وقيل: كان بين الفيل وبين مولده عشر سنين. وقيل: ولد قبل الفيل بخمس عشرة سنة وقيل: ولد بعد الفيل بثلاثين عاماً. وقيل: بعد الفيل بأربعين عاماً. قال: والمجمع عليه: عام الفيل^(٣٩).

ذكر الوقت الذي أوحى فيه إليه ومعرفة أول ما نزل من الوحي

«عن ابن جعفر قال: نزل الملك على رسول الله ﷺ بحراء يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان، ورسول الله ﷺ يومئذ ابن أربعين سنة، والملك جبريل عليه السلام الذي كان ينزل عليه الوحي. وعن ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ بعث بعد بنیان الكعبة بخمس سنين ورسول الله ﷺ يومئذ ابن أربعين سنة كاملاً. وعن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة: أي القرآن نزل أول؟ قال: «يا أيها المدثر» فقلت: «اقرأ باسم ربك؟» قال سألت جابر بن عبد الله (رضوان الله تعالى عليه): أي القرآن أنزل أول؟ قال: «يا أيها المدثر» قلت: «اقرأ باسم ربك» قال جابر (رضوان الله تعالى عليه): لا أحدثكم إلا ما حدثني رسول الله ﷺ قال: «جاورت شهراً بحراء فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت بطن الوادي فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أر أحداً ثلاث مرات، ثم رفعت بصري إلى السماء فإذا هو على العرش في الهواء، فجئشت فأتيته خديجة فأمرتهم فدثروني فأنزل الله عز وجل: (يا أيها المدثر)»^(٤٠).



المصدر الرابع عشر:

عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير

لمحمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمرى الربيعي، أبي الفتح، فتح الدين (المتوفى: ٧٣٤هـ).

ذكر بنيان قريش الكعبة شرفها الله تعالى

«وَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً اجْتَمَعَتْ قُرَيْشُ لِبُنْيَانِ الْكَعْبَةِ، قَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، وَإِنَّمَا حَمَلَ قُرَيْشًا عَلَى بَنَائِهَا أَنَّ السَّيْلَ كَانَ أَتَى مِنْ فَوْقِ الرِّدْمِ الَّذِي صَنَعُوا فَأَخْرَجَهُ، فَخَافُوا أَنْ يَدْخُلَهَا الْمَاءُ، وَكَانَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ مُلَيْحٌ سَرَقَ طِيبَ الْكَعْبَةِ، فَأَرَادُوا أَنْ يُسَيِّدُوا بُنْيَانَهَا، وَأَنْ يَرْفَعُوا بِأَبِهَا حَتَّى لَا يَدْخُلَ إِلَّا مَنْ شَاءُوا، وَأَعَدُّوا لِذَلِكَ نَفَقَةً وَعَمَالًا، ثُمَّ عَمَدُوا إِلَيْهَا لِيَهْدِمُوهَا عَلَى شَفَقٍ وَحَذَرٍ مِنْ أَنْ يَمْنَعَهُمُ اللَّهُ الَّذِي أَرَادُوا^(٤١)».

ذكر المبعث

متى وجبت له ﷺ النبوة

«قُرِئَ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ أَبِي الْفَتْحِ الصُّورِيِّ وَأَنَا أَسْمَعُ، أَخْبَرَكَمُ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ الْحَرَسْتَانِيِّ قِرَاءَةً عَلَيْهِ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ فَأَقْرَبَ بِهِ قَالَ: أَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ حَمْزَةَ بْنِ أَبِي الْخَضِرِ السَّلْمِيِّ سَمَاعًا عَلَيْهِ قَالَ: أَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ أَحْمَدَ الْكَتَانِيِّ قَالَ: أَنَا تَمَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيِّ قَالَ: أَنَا أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، ثَنَا يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، ثَنَا أَبُو الْجَاهِرِ، ثَنَا سَعِيدُ بْنُ بَشِيرٍ، ثَنَا فَتَادَةُ عَنْ الْحَسَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: كُنْتُ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ فِي الْخَلْقِ، وَأَخْرَهُمْ فِي الْبُعْثِ». أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَنْطَاطِيِّ بِقِرَاءَةٍ وَالِدِي عَلَيْهِ وَأَنَا أَسْمَعُ قَالَ: أَنَا ابْنُ الْحَرَسْتَانِيِّ سَمَاعًا وَأَبُو الْحَسَنِ الْمُؤَيَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الطُّوسِيُّ إِجَارَةً قَالَ: أَنَا، وَقَالَ ابْنُ الْحَرَسْتَانِيِّ: أَنْبَأَنَا الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرَاوِيُّ قَالَ: أَنَا أَبُو حَفْصٍ بْنُ مَسْرُورٍ قَالَ: أَنَا أَبُو عَمْرٍو بْنُ نُجَيْدٍ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَيُّوبَ الرَّازِي



قال: أنا محمد بن سنان العوفي، ثنا إبراهيم بن طهمان عن بُدَيْلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ عَنْ مَيْسَرَةَ الْفَجْرِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى كُنْتُ نَبِيًّا؟ قَالَ: (كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ) «(٤٢)» .

كَم كَانَتْ سِنُهُ ﷺ حِينَ بُعِثَ

«أَخْبَرَنَا أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْعِمِ بْنِ الْقَوَاسِ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ بِعَرَبِيَّةٍ بَغُوطَةٍ دِمَشْقٍ قُلْتُ لَهُ: أَخْبَرَكُمُ الْقَاضِي الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي الْفَضْلِ الْأَنْصَارِيُّ قِرَاءَةً عَلَيْهِ بِحُضُورِكَ فِي الرَّابِعَةِ فَأَقَرَّ بِهِ قَالَ: أَنَا جَمَالُ الْإِسْلَامِ أَبُو الْحَسَنِ السُّلَمِيُّ قَالَ: أَنَا أَبُو نَصْرِ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ طَلَابٍ قَالَ: أَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ جُمَيْعٍ، ثَنَا خَالِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِدِمْيَاطَ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الصَّائِغُ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ التَّنِيسِيُّ، ثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي رَبِيعَةُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بُعِثَ عَلَى رَأْسِ الْأَرْبَعِينَ، وَقَبِضَ عَلَى رَأْسِ السِّتِينَ، وَمَا فِي رَأْسِهِ وَلَحِيَّتِهِ عَشْرُونَ شَعْرَةً بِيضَاءً» «(٤٣)» .

خَبَرُ بَعَثَتُهُ ﷺ إِلَى الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ

«أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الْمُنْعِمِ الْحَرَّانِيُّ بِقِرَاءَةٍ وَالِدِي عَلَيْهِ، أَخْبَرَكُمُ أَبُو عَلِيٍّ ضِيَاءُ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْحَرِيفِ قَالَ: أَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْبَاقِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيُّ قَالَ: أَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الْبَاقِلَانِيُّ قَالَ: أَنَا أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ، ثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الطَّيِّبِ الْبُلْخِيُّ، ثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، ثَنَا بَكْرُ بْنُ مُضَرَ عَنْ ابْنِ الْهَادِ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَامَ تَبُوكَ قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يُصَلِّي، فَاجْتَمَعَ رَجَالٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَحْرُسُونَهُ، حَتَّى إِذَا صَلَّى وَانْصَرَفَ إِلَيْهِمْ قَالَ لَهُمْ: «لَقَدْ أُعْطِيتُ اللَّيْلَةَ خَمْسًا مِمَّا أُعْطِيَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي، أَمَّا أَوَّلُهُنَّ فَأُرْسِلْتُ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ عَامَّةً وَكَانَ مِنْ قَبْلِي إِنَّمَا يُرْسَلُ إِلَى قَوْمِهِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ عَلَى الْعَدُوِّ وَلَوْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَسِيرَةُ شَهْرٍ لَمَلَأَ مِنِّي رُعْبًا،



وَأَحَلَّتْ لِي الْغَنَائِمَ كُلَّهَا وَكَانَ مِنْ قَبْلِي يُعَظَّمُونَهَا كَانُوا يُحَرِّمُونَهَا، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا أَيْنَمَا أَذْرَكْتَنِي الصَّلَاةُ تَمَسَّحْتُ وَصَلَّيْتُ، وَكَانَ مِنْ قَبْلِي يُعَظَّمُونَ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانُوا يُصَلُّونَ فِي كَنَائِسِهِمْ وَيَبْعِيهِمْ. وَالْخَامِسَةُ قِيلَ لِي: سَلْ فَإِنْ كُلُّ نَبِيٍّ قَدْ سَأَلَ، فَأَخَّرْتُ مَسْأَلَتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ لَكُمْ وَلِمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». قرئ على عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ يُوسُفَ الْمُوصِلِيِّ وَأَنَا أَسْمَعُ، أَخْبَرَكَمُ ابْنُ طَبْرَزْدَ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعِينَ سَنَةً بَعَثَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَكَافَّةً لِلنَّاسِ، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ أَخَذَ لَهُ الْمِيثَاقَ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ بَعَثَهُ قَبْلَهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَالتَّصَدِيقِ لَهُ، وَالتَّصَرُّعِ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُؤَدُّوا ذَلِكَ إِلَى كُلِّ مَنْ آمَنَ بِهِمْ وَصَدَّقَهُمْ، فَأَدَّوْا مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَقِّ فِيهِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي)، أَيِ ثَقُلَ مَا حَمَلْتَكُمْ مِنْ عَهْدِي، (قَالُوا أَأَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) .

ذكر فوائد تتعلق بهذه الأخبار

”حدث أنس أن رسول الله ﷺ بُعِثَ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ الْمُتَّقِ عَلَيْهِ بَيْنَ أَهْلِ النَّقْلِ مِمَّا فِيهِ إِقَامَتُهُ ﷺ بِالْمَدِينَةِ عَشْرًا، وَأَمَّا إِقَامَتُهُ بِمَكَّةَ فَمُخْتَلَفٌ فِي مِقْدَارِهَا. وَسَيَأْتِي ذَلِكَ فِي آخِرِ الْكِتَابِ عِنْدَ ذِكْرِ وَفَاتِهِ ﷺ. وَأَمَّا سُنَّتُهُ ﷺ حِينَ نَبِيٍّ، فَالْمَرْوِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَجُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ وَقَبَاتِ بْنِ أَشِيمٍ وَعَطَاءٍ وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ كَالْمَرْوِيِّ عَنْ أَنَسٍ وَهُوَ الصَّحِيحُ عِنْدَ أَهْلِ السَّيَرِ وَغَيْرِهِمْ، قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ السُّهَيْلِيُّ: وَقَدْ رَوِيَ أَنَّهُ نُبِّئَ لِأَرْبَعِينَ وَشَهْرَيْنِ، وَفِي حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، «فَاجْتَمَعَ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يُحَرِّسُونَهُ، حَتَّى إِذَا صَلَّى وَالْمُرَادُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ يَنْتَظِرُونَ فَرَاعَهُ مِنَ الصَّلَاةِ، وَأَمَّا حَرَسُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَقَدْ كَانَ انْقَطَعَ مِنْذُ نَزَلَتْ: وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، وَذَلِكَ قَبْلَ تَبُوكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ». وَحَدِيثُ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ «لَا عَرَفُ حَجْرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ»، هَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ بِغَيْرِ زِيَادَةٍ، وَقَدْ



رُويَ أَنَّ ذَلِكَ الْحَجَرَ هُوَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ. يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا التَّسْلِيمُ حَقِيقَةً وَأَنْ يَكُونَ اللَّهُ أَنْطَقَهُ بِذَلِكَ كَمَا خَلَقَ الْحَيْنَ فِي الْجَذَعِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مُضَافًا إِلَى مَلَائِكَةٍ يَسْكُنُونَ هُنَاكَ مِنْ بَابٍ: وَأَسْأَلَ الْقَرْيَةَ، فَيَكُونُ مِنْ مَجَازِ الْحَذَفِ وَهُوَ عَلَّمَ ظَاهِرًا مِنْ أَعْلَامِ النَّبَوَّةِ عَلَى كَلَا التَّقْدِيرَيْنِ» (٤٤).

«وَفِي حَدِيثِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ فِي خَبَرِ نَزُولِ الْمَلِكِ جِبْرِيلَ عليه السلام: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَجَاءَنِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَهَذِهِ حَالَةٌ. وَحَدِيثُ عَائِشَةَ وَغَيْرَهَا: أَنَّهُ كَانَ فِي الْيَقِظَةِ، فَهَذِهِ حَالَةٌ ثَانِيَةٌ، وَلَا تَعَارِضَ لِمَا جَوَّازِ الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا بِوُقُوعِهِمَا مَعًا، وَيَكُونُ الْإِتْيَانُ فِي النَّوْمِ تَوَاطُفًا لِلْإِتْيَانِ فِي الْيَقِظَةِ، وَقَدْ قَالَتْ عَائِشَةُ: «أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ». وَعَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَكُلَّ بِهِ الْمَلِكِ إِسْرَافِيلَ عليه السلام، فَكَانَ يَتَرَاءَى لَهُ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَيَأْتِيهِ بِالْكَلِمَةِ مِنَ الْوَحْيِ، ثُمَّ وَكَّلَ بِهِ جِبْرِئِيلُ، فَجَاءَهُ بِالْقُرْآنِ وَالْوَحْيِ، فَهَذِهِ حَالَةٌ ثَالِثَةٌ لِمَجِيءِ الْوَحْيِ، وَرَابِعَةٌ وَهِيَ أَنْ يَنْفِثَ فِي رَوْعِهِ الْكَلَامَ نَفْثًا كَمَا قَالَ ﷺ: «إِنَّ رُوحَ الْمَقْدَسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ أَجَلَهَا وَرَزَقَهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ». وَخَامِسَةٌ وَهِيَ: أَنْ يَأْتِيَهُ الْوَحْيُ فِي مِثْلِ صَلَصلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيْهِ، وَقِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ يَسْتَجْمِعُ قَلْبُهُ عِنْدَ تِلْكَ الصَّلَصلَةِ فَيَكُونُ أَوْعَى لِمَا يَسْمَعُ. وَسَادِسَةٌ وَهِيَ: أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ إِمَّا فِي الْيَقِظَةِ كَمَا فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ وَإِمَّا فِي النَّوْمِ كَمَا فِي حَدِيثِ مُعَاذٍ: أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ. وَفَتَرَةُ الْوَحْيِ لَمْ يَذْكُرْ لَهَا ابْنُ إِسْحَاقَ مُدَّةً مُعَيَّنَةً، قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ السُّهَيْلِيُّ، وَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ الْمُسْنَدَةِ أَنَّهَا كَانَتْ سِتِينَ وَنِصْفَ سَنَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ» (٤٥).

المصدر الخامس عشر:

السيرة النبوية من تاريخ الإسلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي
الدمشقي (٦٧٣ هـ - ٧٤٨ هـ / ١٢٧٤ م - ١٣٤٨ م) محدث وإمام حافظ.



ذكر عمر النبي ﷺ

«وَقَالَ هِشَامُ بْنُ حَسَّانَ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكَتْ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أُمِرَ بِالْهَجْرَةِ، فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَقَالَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيُّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكَتْ بِمَكَّةَ عَشْرًا وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرًا. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ قَالَ: نَزَلَتْ عَلَيْهِ النَّبُوءَةُ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَقَرَنَ بِنُبُوءَتِهِ الْمَلِكُ إِسْرَافِيلُ (عليه السلام) ثَلَاثَ سِنِينَ، فَكَانَ يُعَلِّمُهُ الْكَلِمَةَ وَالشَّيْءَ، وَلَمْ يَنْزِلِ الْقُرْآنُ، فَلَمَّا مَضَتْ ثَلَاثُ سِنِينَ قَرَنَ بِنُبُوءَتِهِ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ (عليه السلام)، فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ عَشْرِينَ سَنَةً، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ. أَخْبَرَنَا أَبُو الْمَعَالِي الْأَبْرُقُوهِيُّ، أَنَا عَبْدُ الْقَوِيِّ بْنُ الْجَبَابِ، أَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رِفَاعَةَ، أَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ الْخَلْعِيُّ، أَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ النَّحَّاسِ، أَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْوَرْدِ، أَنَا عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَرْقِيُّ، ثنا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامٍ، ثنا زَيْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكَّائِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: كَانَتْ الْأَحْبَارُ وَالرُّهْبَانُ وَكُثَّانُ الْعَرَبِ قَدْ تَحَدَّثُوا بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ قَبْلَ مَبْعِثِهِ لَمَّا تَقَارَبَ مِنْ زَمَانِهِ، أَمَّا أَهْلُ الْكِتَابِ فَعَمَّا وَجَدُوا فِي كُتُبِهِمْ مِنْ صِفَتِهِ وَصِفَةِ زَمَانِهِ، وَمَا كَانَ عَهْدَ إِيْنِهِمْ أَنْبِيَآؤُهُمْ مِنْ شَأْنِهِ، وَأَمَّا الْكُثَّانُ فَأَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ بِمَا اسْتَرْفَتْ مِنْ السَّمْعِ، وَأَنَّهَا قَدْ حُجِبَتْ عَنِ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ وَرُمِيَتْ بِالشُّهْبِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا) (سورة الجن/ الآية ٩)؛ فَلَمَّا سَمِعَتِ الْجِنُّ الْقُرْآنَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عَرَفَتْ أَنَّهَا مُنَعَتْ مِنَ السَّمْعِ قَبْلَ ذَلِكَ، لِئَلَّا يُشْكَلَ الْوَحْيُ بِشَيْءٍ مِنْ خَبَرِ السَّمَاءِ فَيَلْتَبَسَ الْأَمْرُ، فَأَمْنُوا وَصَدَّقُوا وَوَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذَرِينَ. وَعَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عُتْبَةَ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ أَوَّلَ الْعَرَبِ فَرَعَ لِلرَّمْيِ بِالنُّجُومِ ثَقِيفٌ، فَجَاءُوا إِلَى عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ وَكَانَ أَذْهَى الْعَرَبِ، فَقَالُوا: أَلَا تَرَى مَا حَدَثَ؟ قَالَ: بَلَى، فَانْظُرُوا فَإِنْ كَانَتْ مَعَالِمُ النُّجُومِ الَّتِي يُهْتَدَى بِهَا وَتُعْرَفُ بِهَا الْأَنْوَاءُ هِيَ الَّتِي يُزْمَى بِهَا،



فَهِيَ وَاللَّهُ طَيُّ الدُّنْيَا وَهَلَكَ أَهْلُهَا، وَإِنْ كَانَتْ نُجُومًا غَيْرَهَا، وَهِيَ ثَابِتَةٌ عَلَى حَالِهَا، فَهَذَا أَمْرٌ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ هَذَا الْخَلْقَ فَمَا هُوَ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ بِمَكَّةَ لَحَجْرًا كَانَ يُسَلَّمُ عَلَيَّ لِيَالِي بُعِثْتُ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ: ثنا أَبُو سَلَمَةَ قَالَ: سَأَلْتُ جَابِرًا أَيُّ الْقُرْآنِ أَنْزَلَ أَوَّلَ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) سُورَةَ الْمُدَّثِّرِ / الْآيَةُ ١، أَوْ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) سُورَةَ الْعَلَقِ / الْآيَةُ ١؟ فَقَالَ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِمَا حَدَّثَنِي بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: إِنِّي جَاوَزْتُ بِحِرَاءَ شَهْرًا، فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي نَزَلْتُ فَاسْتَبَطَنْتُ الْوَادِي فَتَوَدَّيْتُ فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي، فَلَمْ أَرْ شَيْئًا ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا هُوَ عَلَى عَرْشٍ فِي الْهَوَاءِ، يَعْنِي الْمَلِكَ، فَأَخَذَنِي رَجْفَةٌ فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ)، فَأَمَرَتْهُمْ فَدَثَرُونِي، ثُمَّ صَبَّوْا عَلَيَّ الْمَاءَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ٧٤: ١-٢. وَقَالَ الزُّهْرِيُّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ جَابِرٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَجِئْتُ مِنْهُ رُعْبًا، فَارْجَعْتُ، فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي فَدَثَرُونِي، وَنَزَلَتْ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) إِلَى قَوْلِهِ (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) سُورَةَ الْمُدَّثِّرِ الْآيَةُ ٥ وَهِيَ الْأَوْتَانُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَهُوَ نَصٌّ فِي أَنَّ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) نَزَلَتْ بَعْدَ فِتْرَةِ الْوَحْيِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) فَكَانَ الْوَحْيُ الْأَوَّلُ لِلنَّبِيِّ وَالثَّانِي لِلرَّسَالَةِ. (٤٦)

المصدر السادس عشر:

زاد المعاد في هدي خير العباد؛ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ).

مبعث النبي ﷺ

فَصَلِّ فِي مَبْعَثِهِ ﷺ وَأَوَّلِ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ

«بَعَثَهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ وَهِيَ سِنُ الْكَمَالِ. قِيلَ: وَلَهَا تُبْعَثُ الرُّسُلُ، وَأَمَّا مَا يُذَكَّرُ



عَنِ الْمَسِيحِ أَنَّهُ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ وَلَهُ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً فَهَذَا لَا يُعْرَفُ لَهُ أَثَرٌ مُتَّصِلٌ يَجِبُ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ.

وَأَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَمْرِ النَّبُوءَةِ الرَّؤْيَا، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ. قِيلَ: وَكَانَ ذَلِكَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، وَمُدَّةُ النَّبُوءَةِ ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، فَهَذِهِ الرَّؤْيَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ثُمَّ أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالنَّبُوءَةِ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ وَهُوَ بِغَارِ حِرَاءٍ، وَكَانَ يُحِبُّ الْخَلْوَةَ فِيهِ، فَأَوَّلُ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) (سورة العلق الآية: ١) هَذَا قَوْلُ عَائِشَةَ وَالْجُمْهُورِ. وَقَالَ جَابِرٌ: أَوَّلُ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) (سورة المدثر الآية ١). وَالصَّحِيحُ قَوْلُ عَائِشَةَ لَوْ جُوهٍ: أَحَدَهَا: أَنَّ قَوْلَهُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ لَمْ يَقْرَأْ قَبْلَ ذَلِكَ شَيْئًا. الثَّانِي: الْأَمْرُ بِالْقِرَاءَةِ فِي التَّرْتِيبِ قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْإِنْذَارِ، فَإِنَّهُ إِذَا قَرَأَ فِي نَفْسِهِ أُنْذِرَ بِمَا قَرَأَهُ، فَأَمْرُهُ بِالْقِرَاءَةِ أَوَّلًا، ثُمَّ بِالْإِنْذَارِ بِمَا قَرَأَهُ ثَانِيًا. الثَّلَاثُ: أَنَّ حَدِيثَ جَابِرٍ (رضوان الله تعالى عليه)، وَقَوْلُهُ: أَوَّلُ مَا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) (سورة المدثر الآية ١)، قَوْلُ جَابِرٍ، وَعَائِشَةُ أَخْبَرَتْ عَنْ خَبَرِهِ ﷺ عَنْ نَفْسِهِ بِذَلِكَ. الرَّابِعُ: أَنَّ حَدِيثَ جَابِرٍ الَّذِي احْتَجَّ بِهِ صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ نُزُولُ الْمَلَكِ عَلَيْهِ أَوَّلًا قَبْلَ نُزُولِ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ)، فَإِنَّهُ قَالَ: فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي دَثْرُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) المدثر: ١، وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّ الْمَلَكَ الَّذِي جَاءَهُ بِحِرَاءٍ أُنْزِلَ عَلَيْهِ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) سورة العلق: ١، فَدَلَّ حَدِيثُ جَابِرٍ عَلَى تَأَخُّرِ نُزُولِ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ)، وَالْحُجَّةُ فِي رِوَايَتِهِ لَا فِي رَأْيِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ (٤٧) ”.

المصدر السابع عشر:

البداية والنهاية؛ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ).



بَابُ كَيْفِيَّةِ بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،

وَذِكْرُ أَوَّلِ شَيْءٍ أُنْزِلَ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

«كَانَ ذَلِكَ وَلَهُ ﷺ مِنَ الْعُمُرِ أَرْبَعُونَ سَنَةً. وَحَكَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ: أَنَّهُ كَانَ عُمُرُهُ إِذْ ذَاكَ ثَلَاثًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً. قَالَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بَدَأَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، وَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ. ثُمَّ حُبَّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَانَ يَخْلُو بَغَارَ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ -وَهُوَ التَّعَبُّدُ- اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدَ لَذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا. حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارٍ حِرَاءٍ. فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي. فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي. فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ. ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ). فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجِفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي. فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ. فَقَالَ لِلْسَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ-: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي. فَقَالَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَلَّا، وَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا. إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. فَانْطَلَقَتْ بِهِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَتَّى أَتَتْ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ. وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ. فَقَالَتْ لَهُ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا بَنَ عَمِّ! اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا بَنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا





رَأَى. فَقَالَ لَهُ وَرَقَّةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي كَانَ يَنْزِلُ عَلَى النَّبِيِّ مُوسَى عليه السلام، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا، إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْ مَخْرَجِي هُمْ؟» فَقَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا جِئْتُ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْسَبْ وَرَقَّةً أَنْ تُوفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيَ فِتْرَةً. حَتَّى حَزَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهَا بَلْعَنًا - حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مَرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ. فَكَلَّمَا أَوْفَى بِذُرْوَةِ جَبَلٍ لَكَيْ يَلْقَى نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ الْمَلِكُ جِبْرِيلُ عليه السلام فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا. فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأَشُهُ، وَتَقَرُّ نَفْسُهُ، فَيَرْجِعُ. فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فِتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا كَمِثْلِ ذَلِكَ. قَالَ: فَإِذَا أَوْفَى بِذُرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ الْمَلِكُ جِبْرِيلُ عليه السلام فَقَالَ لَهُ: مِثْلُ ذَلِكَ. هَكَذَا وَقَعَ مُطَوَّلًا فِي بَابِ التَّعْبِيرِ مِنَ الْبُخَارِيِّ. قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ (رضوان الله تعالى عليه) قَالَ - وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ - فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: «بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ: فَرُعِبْتُ مِنْهُ، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمَلُونِي، زَمَلُونِي. فَأَنْزَلَ اللَّهُ «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ، وَتَيَّاكَ فَطَهِّرْ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ» فَحَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ. ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ: تَابَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، وَأَبُو صَالِحٍ، يَعْنِي عَنِ اللَّيْثِ، وَتَابَعَهُ هِلَالُ بْنُ رَدَادٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ. وَقَالَ يُونُسُ وَمَعْمَرٌ: - بَوَادِرُهُ. - وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ رَوَاهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِهِ فِي مَوَاضِعَ مِنْهُ، وَتَكَلَّمْنَا عَلَيْهِ مُطَوَّلًا فِي أَوَّلِ شَرْحِ الْبُخَارِيِّ فِي كِتَابِ بَدْءِ الْوَحْيِ إِسْنَادًا وَمَتْنًا وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ. وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ اللَّيْثِ بِهِ، وَمِنْ طَرِيقِ يُونُسَ وَمَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ كَمَا عُلِّقَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْهُمَا، وَقَدْ رَمَزْنَا فِي الْخَوَاشِي عَلَى زِيَادَاتِ مُسْلِمٍ وَرَوَايَاتِهِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، وَانْتَهَى سِيَاقُهُ إِلَى قَوْلِ وَرَقَّةَ: أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. فَقَوْلُ عَائِشَةَ: «أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ»، يُقَوِّي مَا ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

«فَجَاءَنِي الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عليه السلام وَأَنَا نَائِمٌ بَنَمَطٍ مِنْ دِيْبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ. فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟ فَغَتَّتَنِي، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي» وَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ عَائِشَةَ سَوَاءً. فَكَانَ هَذَا كَالْتَوَاطَةِ لَمَّا يَأْتِي بَعْدَهُ مِنَ الْيَقِظَةِ، وَقَدْ جَاءَ مُصَرَّحًا بِهَذَا فِي مَعَاذِي مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَنَّهُ رَأَى ذَلِكَ فِي الْمَنَامِ، ثُمَّ جَاءَهُ الْمَلِكُ فِي الْيَقِظَةِ. وَقَدْ قَالَ الْحَافِظُ أَبُو نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي كِتَابِهِ «دَلَائِلُ النَّبَوَّةِ»: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَانَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَنَابُ بْنُ الْحَارِثِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَجْلَحِ، عَنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ مَا يُؤْتَى بِهِ الْأَنْبِيَاءُ فِي الْمَنَامِ حَتَّى تَهْدَأَ قُلُوبُهُمْ، ثُمَّ يَنْزِلُ الْوَحْيُ بَعْدُ. وَهَذَا مِنْ قَبْلِ عَلْقَمَةَ بْنِ قَيْسٍ نَفْسِهِ، وَهُوَ كَلَامٌ حَسَنٌ يُؤَيِّدُهُ مَا قَبْلَهُ وَيُؤَيِّدُهُ مَا بَعْدَهُ» (٤٨).

ذكر عمره عليه السلام ووقت بعثته وتاريخها

«قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن أبي عدي عن داود بن أبي هند عن عامر الشعبي «أن رسول الله عليه السلام نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته الملك إِسْرَافِيلُ عليه السلام ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشيء، ولم ينزل القرآن، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته الملك جَبْرِيلُ عليه السلام، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة، عشرين بمكة، وعشرين بالمدينة، فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة. فهذا إسناد صحيح إلى الشعبي وهو يقتضي أن الملك إِسْرَافِيلَ عليه السلام قرن معه بعد الأربعين ثلاث سنين، ثم جاءه الملك جَبْرِيلُ عليه السلام. وَأَمَّا الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ فَإِنَّهُ قَدْ قَالَ: وَحَدِيثُ عَائِشَةَ لَا يُنَافِي هَذَا. فَإِنَّهُ يُجَوِّزُ أَنْ يَكُونَ أَوَّلُ أَمْرِهِ الرُّؤْيَا، ثُمَّ وَكَّلَ بِهِ الْمَلِكُ إِسْرَافِيلَ عليه السلام فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ يَخْلُو فِيهَا بِحِرَاءٍ، فَكَانَ يُلْقِي إِلَيْهِ الْكَلِمَةَ بِسُرْعَةٍ وَلَا يَقِيمُ مَعَهُ تَدْرِيجًا لَهُ وَتَمَرِينًا، إِلَى أَنْ جَاءَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عليه السلام فَعَلِمَهُ بَعْدَ مَا غَطَّهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَحَكَتْ عَائِشَةُ مَا جَرَى لَهُ مَعَ الْمَلِكِ جَبْرِيلَ عليه السلام وَلَمْ تَحْكْ مَا جَرَى لَهُ مَعَ الْمَلِكِ إِسْرَافِيلَ عليه السلام اخْتِصَارًا لِلْحَدِيثِ، أَوْ لَمْ تَكُنْ وَقَفَتْ عَلَى قِصَّةِ الْمَلِكِ إِسْرَافِيلَ عليه السلام».



«وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ هِشَامٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ عَشْرًا، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرًا، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ. وَهَكَذَا رَوَى يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ. ثُمَّ رَوَى أَحْمَدُ عَنْ غُنْدَرٍ، وَيزِيدُ بْنُ هَارُونَ، كِلَاهُمَا عَنْ هِشَامٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ. وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً. قَالَ أَبُو شَامَةَ: وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرَى عَجَائِبَ قَبْلَ بَعْثِهِ. فَمِنْ ذَلِكَ مَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجْرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلَّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ). انْتَهَى كَلَامُهُ (٤٩).»

«وَأِنَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ الْخَلَاءَ وَالْأَنْفِرَادَ عَنْ قَوْمِهِ، لِمَا يَرَاهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ الْمُبِينِ، مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالسُّجُودِ لِلْأَصْنَامِ، وَقَوِيَتْ مَحَبَّتُهُ لِلْخُلُوةِ عِنْدَ مُقَارَبَةِ إِجَاءِ اللَّهِ إِلَيْهِ ﷺ. وَقَدْ ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ الْعَلَاءِ بْنِ حَارِثَةَ - قَالَ: وَكَانَ وَاعِيَةً - عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْرُجُ إِلَى حِرَاءٍ فِي كُلِّ عَامٍ شَهْرًا مِنَ السَّنَةِ يَتَنَسَّكُ فِيهِ، وَكَانَ مِنْ نُسُكِ قُرَيْشٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، يُطْعِمُ مَنْ جَاءَهُ مِنَ الْمَسَاكِينِ، حَتَّى إِذَا انْصَرَفَ مِنْ مُجَاوَرَتِهِ لَمْ يَدْخُلْ بَيْتَهُ حَتَّى يَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ» (٥٠).

«وكما سيأتي أيضا في يوم الاثنين، كما ثبت في «صحيح مسلم» عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين، فقال: ذاك يوم ولدت فيه ويوم أنزل علي فيه، وقال ابن عباس: ولد نبيكم محمد ﷺ يوم الاثنين، ونبي يوم الاثنين. وهكذا قال عبيد بن عمير وأبو جعفر الباقر وغير واحد من العلماء أنه (عليه الصلاة والسلام) أوحى إليه يوم الاثنين، وهذا ما لا خلاف فيه بينهم. ثم قيل: كان ذلك في شهر ربيع الأول كما تقدم عن ابن عباس وجابر أنه ولد ﷺ في الثاني عشر من ربيع الأول يوم الاثنين، وفيه



بعث، وفيه عرج به إلى السماء. والمشهور أنه بعث ﷺ في شهر رمضان، كما نصّ على ذلك عبيد بن عمير ومحمد بن إسحاق وغيرهما. قال ابن إسحاق مستدلاً على ذلك بما قال الله تعالى: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس) سورة البقرة الآية ٨٥؛ فقول: في ثاني عشره. وروى الواقدي بسنده عن أبي جعفر الباقر أنه قال: كان ابتداء الوحي إلى رسول الله ﷺ يوم الاثنين، لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان. وقيل: في الرابع والعشرين منه^(٥١).

«قال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا عمران أبو العوام عن قتادة عن أبي المليح عن واثلة بن الأسقع أن رسول الله ﷺ قال: أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من شهر رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من شهر رمضان. وروى ابن مردويه في «تفسيره» عن جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه) مرفوعاً نحوه، ولهذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين إلى أن ليلة القدر ليلة أربع وعشرين»^(٥٢).

المصدر الثامن عشر:

ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لابن خلدون (المتوفى سنة ٨٠٨هـ)، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: الأستاذ خليل شحادة، الجزء الثاني، دار الفكر العربي، ٢٠٠٠م.

نصّ رواية ابن خلدون

المولد الكريم وبدء التوحيد

ثم ولد رسول الله ﷺ عام الفيل لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول لأربعين سنة من ملك كسرى أنوشروان، وقيل لثمان وأربعين وثمانمائة واثنتين وثمانين لذي القرنين. وكان عبد الله أبوه غائباً بالشام، وانصرف فهلك بالمدينة، وولد سيدنا رسول



الله ﷺ بعد مهلكه بأشهر قلائل، وقيل غير ذلك. فكفله جده عبد المطلب بن هاشم، وكفالة الله من ورائه.

وكان يعرف بالأمين. وظهرت كرامة الله (عز وجل) فيه، وكان إذا أبعد في الخلاء لا يمر بحجر ولا شجر إلا وسلم عليه.

بدء الوحي

ثم بدأ بالرؤيا الصالحة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم تحدث الناس بشأن ظهوره ونبوته، ثم حبيت إليه العبادة والخلوة بها، فكان يتزود للانفراد حتى جاء الوحي بحراء لأربعين سنة من مولده، وقيل لثلاث وأربعين. وهي حالة يغيب فيها عن جلسائه وهو كائن معهم، فأحيانا يتمثل له الملك رجلا فيكلمه ويعي قوله، وأحيانا يلقي عليه القول ويصيبه أحوال الغيبة عن الحاضرين من الغط والعرق، وتصيبه كما ورد في الصحيح من أخباره قال: وهو أشد علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال. وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول. فأصابته تلك الحالة بغار حراء وألقى عليه: (اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم) (٥٣).

المصدر التاسع عشر:

عيون الأثر في فنون المغازي والشئائل والسير: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمرى الربيعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: ٧٣٤هـ)، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ / ١٩٩٣. (٥٤) جزء ١ ص ٣٢ - ٣٥.

ذكر وفاة عبد الله بن عبد المطلب

«قَالَ ابْنُ إِسْحَقَ: ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْ هَلَكَ وَأُمُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَامِلٌ بِهِ. هَذَا قَوْلُ ابْنِ إِسْحَقَ. وَغَيْرُهُ يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ فِي الْمَهْدِ [حِينَ]

تُوفِّيَ أَبُوهُ، رُويَ عَنْ الدُّولَابِيِّ، وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ أَنَّهُ كَانَ ابْنُ شَهْرِينَ وَقِيلَ ابْنُ ثَمَانِيَةِ وَعَشْرِينَ شَهْرًا. وَقَبْرُهُ فِي الْمَدِينَةِ فِي دَارٍ مِنْ دُورِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ، كَانَ خَرَجَ إِلَى الْمَدِينَةِ يَمْتَارُ تَمْرًا، وَقِيلَ: بَلْ خَرَجَ بِهِ إِلَى أَخْوَالِهِ زَائِرًا وَهُوَ ابْنُ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ. وَفِي خَبَرِ سَيْفِ بْنِ ذِي يَزَنَ: مَاتَ أَبُوهُ فَكَلَفَهُ جَدُّهُ وَعَمُّهُ. وَرَوَى ابْنُ وَهْبٍ عَنْ يُونُسَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ بَعَثَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ يَمْتَارُ لَهُ تَمْرًا مِنْ يَثْرِبَ فَمَاتَ بِهَا وَهُوَ شَابٌّ عِنْدَ أَخْوَالِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَالَّذِي رَجَّحَهُ الْوَاقِدِيُّ وَقَالَ: هُوَ أَتَبْتُ الْأَقَاوِيلَ عِنْدَنَا فِي مَوْتِ عَبْدِ اللَّهِ وَسَنَّهُ أَنَّهُ كَانَ خَرَجَ إِلَى غَزَاةٍ فِي عِيرٍ مِنْ عِيرَاتِ قُرَيْشٍ يَحْمِلُونَ تَجَارَاتٍ، فَفَرَّغُوا مِنْ تِجَارَاتِهِمْ وَأَنْصَرَفُوا، فَمَرُّوا بِالْمَدِينَةِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَوْمَئِذٍ مَرِيضٌ، فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عِنْدَ أَخْوَالِي بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ، وَأَقَامَ عِنْدَهُمْ مَرِيضًا شَهْرًا، وَمَضَى أَصْحَابُهُ فَقَدِمُوا مَكَّةَ، فَسَأَلَهُمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالُوا: خَلَفْنَاهُ عِنْدَ أَخْوَالِهِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ أَكْبَرَ وَلَدِهِ الْحَارِثَ فَوَجَدَهُ قَدْ تُوُفِّيَ، وَدُفِنَ فِي دَارِ النَّابِغَةِ قِيلَ: كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِهِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ عَامًا، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي تَرْوِيجِ عَبْدِ اللَّهِ أَمَنَةً مَا حُكِيَ عَنِ السَّلَفِ فِي ذَلِكَ».

ذكر الخبر عن وفاة أمه آمنة بنت وهب

وحضانة أم أيمن له وكفالة عبد المطلب إياه (عليهم السلام)

«قال ابن إسحق: فكان رسول الله ﷺ مع أمه آمنة وجده عبد المطلب في كِلَاءَةِ اللَّهِ وَحَفْظِهِ، يُنَبِّئُهُ اللَّهُ نَبَاتًا حَسَنًا، لَمَّا يُرِيدُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ، فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سِتَّ سِنِينَ تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ آمنةُ بِالْأَبْوَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، قَالَ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: وَقِيلَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ، قَالَ: وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ فِي الْخَبَرِ: تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِ سِنِينَ، وَقَالَ: وَتُوُفِّيَ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بَعْدَ ذَلِكَ بِسَنَةٍ وَأَحَدٍ عَشَرَ شَهْرًا، سَنَةً تِسْعٍ مِنْ عَامِ الْفِيلِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ تُوُفِّيَ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِ سِنِينَ».



ذكر مولد رسول الله ﷺ

«وُلِدَ سَيِّدُنَا وَنَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ عَامِ الْفِيلِ، قِيلَ: بَعْدَ الْفِيلِ بِخَمْسِينَ يَوْمًا. وَقَالَ الزُّبَيْرُ: حَمَلَتْ بِهِ أُمُّهُ ﷺ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فِي شُعْبِ أَبِي طَالِبٍ عِنْدَ الْجُمُرَةِ الْوُسْطَى، وَوُلِدَ ﷺ فِي الدَّارِ الَّتِي تُدْعَى لِمُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ أَخِي الْحَجَّاجِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَقِيلَ: بَلْ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ لِلْيَلَتَيْنِ خَلْتَا مِنْهُ. قَالَ أَبُو عُمَرَ: وَقَدْ قِيلَ لِثَمَانَ خَلَوْنَ مِنْهُ، وَقِيلَ: إِنَّهُ أَوَّلُ اثْنَيْنِ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَقِيلَ: لاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْهُ عَامُ الْفِيلِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ وُلِدَ فِي شُعْبِ بَنِي هَاشِمٍ. وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: وُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْفِيلِ: أَخْبَرَنَاهُ أَبُو الْمُعَالِي أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَقٍ فِيمَا قَرَأْتُ عَلَيْهِ، قُلْتُ: قَالَ: أَخْبَرَكُمْ الشَّيْخَانِ أَبُو الْفَرَجِ الْفَتْحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ وَأَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ صَرْمَا. قَالَ: وَقَرَأْتُ عَلَى الْإِمَامِ أَبِي إِسْحَقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ الْحَنْبَلِيِّ الرَّاهِدِ بَسْفَحٍ فَاسِيُونَ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: أَخْبَرَكُمْ أَبُو الْبَرَكَاتِ دَاوُدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَغْدَادِيُّ قَالُوا: أَنَا أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ يُوسُفَ الْأُمَوِيِّ سَمَاعًا عَلَيْهِ قَالَ: أَنَا أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ النَّقُورِ قَالَ: أَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ السَّكْرِيُّ قَالَ: أَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْجُبَّارِ، ثَنَا يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، ثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ، ثَنَا يُونُسُ بْنُ أَبِي إِسْحَقٍ عَنْ أَبِي إِسْحَقَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: وُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْفِيلِ. وَعَنْ قَيْسِ بْنِ مَخْرَمَةَ قَالَ: وُلِدْتُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْفِيلِ، فَنَحْنُ لِدَّانِ. وَقِيلَ: بَعْدَ الْفِيلِ بِشَهْرٍ، وَقِيلَ: بَارَبَعِينَ يَوْمًا، وَقِيلَ: بِخَمْسِينَ يَوْمًا. وَذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الْخُوارزميُّ قَالَ: كَانَ قُدُومُ الْفِيلِ مَكَّةَ لثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنَ الْمُحَرَّمِ، وَقَدْ قَالَ ذَلِكَ غَيْرُ الْخُوارزميِّ، وَزَادَ: يَوْمَ الْأَحَدِ، قَالَ: وَكَانَ أَوَّلُ الْمُحَرَّمِ تِلْكَ السَّنَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ. قَالَ الْخُوارزميُّ: وَوُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَمْسِينَ يَوْمًا يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِثَمَانَ خَلَتْ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَذَلِكَ يَوْمَ عَشْرِينَ مِنْ نَيْسَانَ، قَالَ: وَبَعَثَ نَبِيُّنَا يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِثَمَانَ



خَلَتْ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةً إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ مِنْ عَامِ الْفِيلِ، فَكَانَ مِنْ مَوْلِدِهِ إِلَى أَنْ بَعَثَهُ اللَّهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً وَيَوْمَ، وَمِنْ مَبْعَثِهِ إِلَى أَوَّلِ الْمُحَرَّمِ مِنَ السَّنَةِ الَّتِي هَاجَرَ فِيهَا اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَعِشْرُونَ يَوْمًا، وَذَلِكَ ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً تَامَّةً مِنْ عَامِ الْفِيلِ. وذكر ابن السكن من حديث عثمان ابن أبي العاص عن أمه فاطمة بنت عبد الله أنها شهدت ولادة النبي ﷺ ليلاً، قالت: فما شيء أنظر إليه من البيت إلا نور، وإني لأنظر إلى النجوم تدنو حتى إني لأقول لتقعن علي. ويُقال: وضعت عليه جفنة فأنفلقت عنه فلقنت، فكان ذلك من مبادئ إمارات النبوة في نفسه. وذكر ابن أبي خيثمة عن أبي صالح السمان قال: قال كعب: إنا لنجد في كتاب الله (عز وجل) محمد موله بمكة. وعن عبد الملك بن عمير قال: قال كعب: إني أجد في التوراة: عبدي أحمد المختار، موله بمكة. وحكى أبو الربيع بن سالم أن بقي بن مخلد ذكر في تفسيره أن إبليس لعنه الله رن أربع رنات: رنة حين لعن، ورنة حين أهبط، ورنة حين ولد رسول الله ﷺ، ورنة حين نزلت فاتحة الكتاب» (٥٥).

المصدر العشرون:

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

نص رواية الذهبي

ذَكَرُ وَفَاةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ

«وَتُوفِيَ «عَبْدُ اللَّهِ» أَبُوهُ وَلِلنَّبِيِّ ﷺ ثَمَانِيَّةٌ وَعِشْرُونَ شَهْرًا. وَقِيلَ: أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ. وَقِيلَ: وَهُوَ حَمَلٌ تُوْفِيَ بِالْمَدِينَةِ غَرِيبًا، وَكَانَ قَدَمُهَا لِيَمْتَازَ تَمَرًا، وَقِيلَ: بَلْ مَرَّ بِهَا مَرِيضًا رَاجِعًا مِنَ الشَّامِ، فَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ وَغَيْرُهُ: «أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ إِلَى غَزَاةٍ فِي عِيرٍ تَحْمِلُ تِجَارَاتٍ، فَلَمَّا قَفَلُوا مَرُّوا بِالْمَدِينَةِ وَعَبْدُ اللَّهِ مَرِيضٌ فَقَالَ: أَخْلَفَ عِنْدَ أَخَوَالِي بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ، فَأَقَامَ عِنْدَهُمْ مَرِيضًا مُدَّةَ شَهْرٍ، فَلَبَّغَ



ذَلِكَ عَبْدُ الْمُطَلِّبِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْحَارِثَ وَهُوَ أَكْبَرُ وَلَدِهِ، فَوَجَدَهُ قَدْ مَاتَ، وَدُفِنَ فِي دَارِ النَّابِغَةِ أَحَدِ بَنِي النَّجَّارِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَوْمَئِذٍ حَمْلٌ، عَلَى الصَّحِيحِ. وَعَاشَ عَبْدُ اللَّهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَذَلِكَ أَثَبَّتُ الْأَقَاوِيلَ فِي سِنِّهِ وَوَفَاتِهِ وَتَرَكَ عَبْدُ اللَّهِ مِنَ الْمِيرَاثِ أُمَّ أَيْمَنَ وَخَمْسَةَ أَجْمَالٍ وَغَنَمًا، فَوَرِثَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ.

وَتُوَفِّيَتْ أُمُّهُ «أَمَنَةُ» بِالْأَبْوَاءِ وَهِيَ رَاجِعَةٌ بِهِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ مِنْ زِيَارَةِ أَخْوَالِ أَبِيهِ بَنِي عَدِيٍّ بْنِ النَّجَّارِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ ابْنُ سِتِّ سِنِينَ وَمِائَةِ يَوْمٍ. وَقِيلَ: ابْنُ أَرْبَعِ سِنِينَ. فَلَمَّا مَاتَتْ وَدُفِنَتْ، حَمَلَتْهُ أُمُّ أَيْمَنَ مَوْلَاتُهُ إِلَى مَكَّةَ إِلَى جَدِّهِ، فَكَانَ فِي كِفَالَتِهِ إِلَى أَنْ تُوفِيَ جَدُّهُ، وَلِلنَّبِيِّ ﷺ ثَمَانِ سِنِينَ، فَأَوْصَى بِهِ إِلَى عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ» (٥٦).

المصدر الحادي والعشرون :

شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن أحمد الكناfi العسقلاني ثم المصري الشافعي (شعبان ٧٧٣ هـ / ١٣٧١ م): فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م)، مُحَدَّثٌ وعالم مسلم، شافعي المذهب، لُقِبَ بعدة ألقاب منها شيخ الإسلام في الحديث، أصله من مدينة عسقلان، ولد الحافظ ابن حجر العسقلاني في شهر شعبان سنة ٧٧٣ هـ في الفسطاط، ودرس العلم، وتولَّى التدريس. وها هنا ملاحظة يجدر التنويه عليها، فالعسقلاني محدث مشهور، ومع أنه ألف في التراجم وعلى سبيل المثال كتابه الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، وهو كتاب يبحث في علم التراجم، فضلاً عن أن آراءه التي طرحها في شرحه لصحيح البخاري بخصوص عمر رسول الله ﷺ قد استشهد بها عند مؤرخي عصره وبعده ولهذا السبب صار من اللزوم علينا أن نذكر آراءه الآن ضمن دراستنا لنصوص مؤرخي السيرة النبوية. فقد قدّم ابن حجر العسقلاني نصّين يتعلّقان بالمبعث النبوي الشريف في شرحه لصحيح البخاري، النصّ الأول حول مبعثه ﷺ وعمره الشريف. وأمّا النصّ الثاني فهو حول موضوع مكوثه ﷺ في مكة المكرمة.



النص الأول في شرح البخاري

قوله - يقصد ابن حجر البخاري - بَابُ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ

«الْمَبْعُوثُ مِنَ الْبَعْثِ وَأَصْلُهُ الْإِثَارَةُ وَيُطْلَقُ عَلَى التَّوَجُّهِ فِي أَمْرٍ مَا رِسَالَةٌ أَوْ حَاجَةٌ وَمِنْهُ بَعَثْتُ الْبَعِيرَ إِذَا أَثَرُهُ مِنْ مَكَانِهِ وَبَعَثْتُ الْعَسْكَرَ إِذَا وَجَّهْتُهُمْ لِلْقِتَالِ وَبَعَثْتُ النَّائِمَ مِنْ نَوْمِهِ إِذَا أَيْقَظْتُهُ، قَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ فِي الْكَلَامِ عَلَى حَدِيثِ عَائِشَةَ كَثِيرٌ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهَذِهِ التَّرْجُمَةِ وَسَاقِ الْمُصَنِّفُ هُنَا التَّنَسُّبَ الشَّرِيفَ قَوْلُهُ مُحَمَّدٌ ذَكَرَ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ بِإِسْنَادٍ مُرْسَلٍ أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ لَمَّا وُلِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَمِلَ لَهُ مَادُبَةٌ فَلَمَّا أَكَلُوا سَأَلُوا مَا سَمِيَتْهُ قَالَ مُحَمَّدًا قَالُوا فَمَا رَغِبْتَ بِهِ عَنْ أَسْمَاءِ أَهْلِ بَيْتِهِ قَالَ أَرَدْتُ أَنْ يُحَمَّدَهُ اللَّهُ فِي السَّاءِ وَخَلَقَهُ فِي الْأَرْضِ قَوْلُهُ بَنَ عَبْدُ اللَّهِ لَمْ يُخْتَلَفْ فِي اسْمِهِ وَاخْتَلَفَ مَتَى مَاتَ فَقِيلَ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يُولَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَقِيلَ بَعْدَ أَنْ وُلِدَ وَالْأَوَّلُ أَثْبَتُ وَاخْتَلَفَ فِي مِقْدَارِ عُمُرِهِ ﷺ لَمَّا مَاتَ أَبُوهُ وَالرَّاجِحُ أَنَّهُ دُونَ السَّنَةِ قَوْلُهُ بَنَ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ اسْمُهُ شَيْبَةُ الْحُمْدِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ وَزَعَمَ ابْنُ قُتَيْبَةَ أَنَّ اسْمَهُ عَامِرٌ وَسُمِّيَ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ وَاشْتَهَرَ بِهَا لِأَنَّ أَبَاهُ لَمَّا مَاتَ بَغَزَةً كَانَ خَرَجَ إِلَيْهَا تَاجِرًا فَتَرَكَ أُمَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ بِالْمَدِينَةِ فَأَقَامَتْ عِنْدَ أَهْلِهَا مِنَ الْخَزَرَجِ فَكَبَّرَ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ فَجَاءَ عُمُهُ الْمُطَّلِبُ فَأَخَذَهُ وَدَخَلَ بِهِ مَكَّةَ فَرَأَاهُ النَّاسُ مُرَدِّفَهُ فَقَالُوا هَذَا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ فَغَلَبَتْ عَلَيْهِ فِي قِصَّةِ طَوِيلَةٍ» (٥٧).

[٣٨٥١] قَوْلُهُ حَدَّثَنَا النَّضْرُ هُوَ بَنُ شُمَيْلٍ قَوْلُهُ عَنْ هِشَامٍ هُوَ بَنُ حَسَّانٍ قَوْلُهُ عَنْ عِكْرَمَةَ فِي رِوَايَةِ رَوْحٍ عَنْ هِشَامِ الْآتِيَةِ فِي الْمَجْرَةِ حَدَّثَنَا عِكْرَمَةُ قَوْلُهُ أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ هَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ فِي هَذَا الْبَابِ وَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَقَدْ مَضَى فِي صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ حَدِيثُ أَنَسٍ أَنَّهُ ﷺ بُعِثَ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ وَتَقَدَّمَ فِي بَدْءِ الْوَحْيِ أَنَّهُ أَنْزَلَ عَلَيْهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فَعَلَى الصَّحِيحِ الْمَشْهُورِ أَنَّ مَوْلَدَهُ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ وَيَكُونُ حِينَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَكَلامُ ابْنِ الْكَلْبِيِّ يُؤْذِنُ بِأَنَّهُ وُلِدَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ قَالَ مَاتَ وَلَهُ اثْنَتَانِ وَسِتُّونَ سَنَةً وَنِصْفُ سَنَةٍ وَقَدْ أَجْمَعُوا عَلَى



أَنَّهُ مَاتَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ فَيَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ وُلِدَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَبِهِ جَزَمَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ وَهُوَ شَاذٌ وَفِي مَوْلده أَقْوَالٌ أُخْرَى أَشَدُّ شُدُودًا مِنْ هَذَا قَوْلُهُ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً هَذَا أَصَحُّ مِمَّا رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ طَرِيقِ عَمَّارِ بْنِ أَبِي عَمَّارٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَقَامَ بِمَكَّةَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً وَسَيَأْتِي الْبَحْثُ فِي ذَلِكَ فِي أَبْوَابِ الْهِجْرَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى» (٥٨).

قَوْلُهُ بَابُ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ

«أَمَّا النَّبِيُّ ﷺ فَجَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ أَذِنَ لَهُ فِي الْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ هُوَ وَالْحَاكِمُ وَذَكَرَ الْحَاكِمُ أَنَّ خُرُوجَهُ ﷺ مِنْ مَكَّةَ كَانَ بَعْدَ بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ بِثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا وَجَزَمَ ابْنُ إِسْحَاقَ بِأَنَّهُ خَرَجَ أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ فَعَلَى هَذَا يَكُونُ بَعْدَ الْبَيْعَةِ بِشَهْرَيْنِ وَبِضْعَةِ عَشَرَ يَوْمًا وَكَذَا جَزَمَ بِهِ الْأُمَوِيُّ فِي الْمَغَازِي عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ فَقَالَ كَانَ مَخْرَجُهُ مِنْ مَكَّةَ بَعْدَ الْعَقَبَةِ بِشَهْرَيْنِ وَلَيْالٍ قَالَ وَخَرَجَ لِهَلَالِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ قُلْتُ وَعَلَى هَذَا خَرَجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ».

[٣٩٠٢] قَوْلُهُ حَدَّثَنَا هِشَامُ هُوَ ابْنُ حَسَّانَ قَوْلُهُ فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ هَذَا أَصَحُّ مِمَّا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ قَالَ أَنْزَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ فَمَكَثَ بِمَكَّةَ عَشْرًا وَأَصَحُّ مِمَّا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ إِقَامَةَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ كَانَتْ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُ ذَلِكَ» (٥٩).

المصدر الثاني والعشرون:

إنسان العيون في سيرة الأمين والمؤمن، برهان الدين الحلبي أبو الوفا إبراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسي الشافعي سبط ابن العجمي، تاريخ الوفاة ٨٤١هـ. ترجمة المصنف: سبط ابن العجمي (٧٥٣ - ٨٤١هـ = ١٣٥٢ - ١٤٣٨م)؛ أي إنه ألف كتابه



زمن الدولة العثمانية، إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون، اختصره من كتاب عيون الأثر لابن سيد الناس وغيره. وهو عالم بالحديث ورجاله، من كبار الشافعية. يرجع أصله الى طرابلس الشام، ومولده ووفاته في حلب. وفي أيامه هاجمها تيمورلنك. ويعرف بالبرهان الحلبي، وسبط ابن العجمي. وهو والد المؤرخ أحمد بن إبراهيم (٨٨٤). رحل إلى دمشق وفلسطين ومصر والحجاز، وأخذ عن علمائها. من كتبه (نور النبراس على سيرة ابن سيد الناس) مجلدان، و (نقد النقصان في معيار الميزان)، و (التبيين لأسماء المدلسين) رسالة، و (تذكرة الطالب المعلم بمن يقال إنه مخضرم)، و (الاغبتاب بمن رمي بالاختلاط)، وكتاب (الكشف الحثيث عن رمي بوضع الحديث)، و (المقتفى في ضبط ألفاظ الشفا)، و (بل الهميان في معيار الميزان) وهو ذيل لكتاب الميزان للذهبي، و (نهاية السؤل في رواة الستة الأصول)، و (تعليق على سنن ابن ماجة)، و (التوضيح لمبهات الجامع الصحيح)، وكتاب (الناظر الصحيح على الجامع الصحيح)، وكتاب (مختصر الغوامض والمبهات) مخطوط بخطه وقد اختصر به كتاب (الغوامض) في الأسماء الواقعة في الأحاديث، لابن بشكوال. وكتاب (إنسان العيون) الذي تضمن معلومات كثيرة ومتنوعة عن السيرة النبوية المطهرة، أي نقصد (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون) الذي يعرف أيضا بالسيرة الحلبية، وهو مصنف مطول عن السيرة النبوية، جمعه من كتاب سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائل رسول الله ﷺ وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في البدء والميعاد وهو المعروف بالسيرة الشامية لمحمد بن يوسف الدمشقي الصالحي المتوفى سنة ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م. وقد جمعها من أكثر من ثلاثمائة كتاب وأضاف إليها زيادات موسعة. ومع ذلك فإننا سوف نقتبس منه نصًا المعلومات تلك التي تخصّ محورين: عمر رسول الله ﷺ أثناء المبعث، وأول الآيات التي نزلت على صدر رسول الله ﷺ.



باب وفاة والده ﷺ

«عن ابن إسحق: لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب أن توفي وأم رسول الله ﷺ حامل به: أي كما عليه أكثر العلماء أي وصححه الحافظ الدمي، وسيأتي في بعض الروايات ما يدل على أن ذلك من علامات نبوته ﷺ في الكتب القديمة قيل وإن موت والده ﷺ كان بعد أن تم لها من حملها شهران، قيل قبل ولادته بشهرين، وقيل كان في المهد حين توفي أبوه ابن شهرين. وذكر السهيلي أن عليه أكثر العلماء، فليتأمل مع ما قبله، وقيل كان ابن سبعة أشهر. أي وقيل ابن تسعة أشهر، وقيل وعليه الأكثرون. والحق أنه قول كثيرين لا الأكثرين، وقيل ابن ثمانية عشر شهرا وقيل: ابن ثمانية وعشرين شهرا: أي وما يأتي في الرضاع من أن المراضع أبتة ليطمه يخالفه لتمام زمن الرضاع وكذا يخالف القول الذي قبله، لأنه لم يبق من زمن الرضاع إلا شهران، وكانت وفاته بالمدينة خرج إليها ليمتار تمرا أو لزيارة أخواله بها: أي أخوال أبيه عبد المطلب بني عدي بن النجار: أي ولا مانع من قصد الأمرين معا، وقيل خرج إلى غزة في غير من عيرات قريش، والعيرات بكسر العين وفتح المثناة تحت جمع عير: وهي التي تحمل الميرة، خرجوا للتجارة ففرغوا من تجارتهم وانصرفوا فمروا بالمدينة وعبد الله مريض، فقال أنا أتخلف عند أخوالي بني عدي بن النجار، والنجار هذا اسمه تميم وقيل له النجار لأنه اختتن بقدوم: أي وهو آلة النجار، وقيل لأنه نجر وجه رجل بقدوم فأقام عندهم مريضا شهرا: أي وهذا أثبت من الأول ومضى أصحابه فقدموا مكة، فسألهم أبوه عبد المطلب عنه، فقالوا خلفناه عند أخواله بني عدي بن النجار وهو مريض، فبعث إليه أخاه الحارث وهو أكبر أولاد عبد المطلب كما تقدم: أي ومن ثم كان يكنى به، ولم يدرك الإسلام فوجده قد توفي» (٦٠).

باب ذكر مولده ﷺ وسلم وشرف وكرم

«وعن ابن عباس: ولد يوم الاثنين في ربيع الأول، وأنزلت عليه النبوة يوم الاثنين في ربيع الأول، وهاجر إلى المدينة يوم الاثنين في ربيع الأول، وأنزلت عليه البقرة يوم



الاثنين في ربيع الأول، وتوفي يوم الاثنين في ربيع الأول. قال بعضهم: وهذا غريب جدا». وقد وقع الاختلاف في وقت ولادته ﷺ: أي هل كان ليلاً أو نهاراً وعلى الثاني في أي وقت من ذلك النهار وفي شهره وفي عامه وفي محله؟ فقليل ولد يوم الاثنين، قال بعضهم: لا خلاف فيه والله، بل أخطأ من قال ولد يوم الجمعة: أي فعن قتادة «أن رسول الله ﷺ سئل عن يوم الاثنين، فقال ذلك يوم ولدت فيه» وذكر الزبير بن بكار والحافظ ابن عساكر أن ذلك كان حين طلوع الفجر ويدل له قول جده عبد المطلب: ولد لي الليلة مع الصبح مولود. وعن سعيد بن المسيب «ولد رسول الله ﷺ عند إنبهار النهار» أي وسطه «وكان ذلك اليوم لمضي اثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول» أي وكان ذلك في فصل الربيع، وقد أشار إلى ذلك بعضهم بقوله:

يقول لنا لسان الحال منه ... وقول الحق يعذب للسميع

فوجهي والزمان وشهر وضعي ... ربيع في ربيع في ربيع^(٦١)

قال: وحكي الإجماع عليه وعليه العمل الآن، أي في الأمصار خصوصاً أهل مكة في زيارتهم موضع مولده ﷺ، وقيل لعشر ليال مضت من ربيع وصحح، أي صححه الحافظ الدمياطي: أي لأن الأول قال فيه ابن دحية: ذكره ابن إسحق مقطوعاً دون إسناد، وذلك لا يصح أصلاً، وقيل ولد لسبع عشرة ليلة خلت منه. وقيل لثمان مضت منه. قال ابن دحية: وهو الذي لا يصح غيره وعليه أجمع أهل التاريخ. وقال القطب القسطلاني: وهو اختيار أكثر أهل الحديث: أي كالحميدي وشيخه ابن حزم. وقيل لليلتين خلتا منه، وبه جزم ابن عبد البر. وقيل لثمان عشرة ليلة خلت منه، رواه ابن أبي شيبه، وهو حديث معلول. وقيل لاثنتي عشرة بقين منه. وقيل لاثنتي عشرة. وقيل لثمان ليال خلت من شهر رمضان وصححه كثير من العلماء، وهذا هو الموافق لما تقدم من أن أمه ﷺ حملت به في أيام التشريق أو في يوم عاشوراء وأنه مكث في بطنها تسعة أشهر كوامل، لكن قال بعضهم: إن هذا القول غريب جداً ومستند قائله أنه أوحى



إليه ﷺ في شهر رمضان فيكون مولده في شهر رمضان، وعلى أنها حملت به في أيام التشريق الذي لم يذكروا غيره يعلم ما في بقية الأقوال قال، وقيل ولد في صفر. وقيل في ربيع الآخر، وقيل في محرم، وقيل في عاشوراء أي كما ولد عيسى عليه السلام، وقيل لخمس بقين منه. أي وذكر الذهبي أن القول بأنه ولد ﷺ في عاشوراء من الإفك: أي الكذب، وفيه إن كان ذلك لأنه لا يجامع أنها حملت به ﷺ في أيام التشريق، وأنه مكث في بطنها تسعة أشهر كوامل لا يختص الإفك بهذا القول، بل يأتي فيها عدا القول بأنه ولد في شهر رمضان، ثم رأيت بعضهم حكى أنه حمل في شهر رجب، وحينئذ يصح القول المشهور بولادته في ربيع الأول»^(٦٢). وعن ابن عباس: ولد يوم الاثنين في ربيع الأول، وأنزلت عليه النبوة يوم الاثنين في ربيع الأول، وهاجر إلى المدينة يوم الاثنين في ربيع الأول، وأنزلت عليه البقرة يوم الاثنين في ربيع الأول، وتوفي يوم الاثنين في ربيع الأول. قال بعضهم: وهذا غريب جدا.

وقيل لم يولد نهارا، بل ولد ليلا. فعن عثمان بن أبي العاص عن أمه أنها شهدت ولادة النبي ﷺ ليلا، قالت: فما شيء أنظر إليه من البيت إلا نورا، وإني لأنظر إلى النجوم تدنو حتى إني لأقول لتقعن علي. قال ابن دحية وهو حديث مقطوع. قال بعضهم: ولا يصح عندي بوجه أنه ولد ليلا، لقوله ﷺ الثابت عنه بنقل العدل عن العدل «أنه سئل عن صوم يوم الاثنين فقال: فيه ولدت» واليوم إنما هو النهار بنص القرآن. وأيضا الصوم لا يكون إلا نهارا. وأفاد البدر الزركشي أن هذا الحديث: أي المتقدم عن أم عثمان بن أبي العاص على تقدير صحته لا دلالة فيه على أنه ولد ليلا، قال: فإن زمان النبوة صالح للخوارق. ويجوز أن تسقط النجوم نهارا: أي فضلا عن أن تكاد تسقط سيما إن قلنا ولد عند الفجر لأن ذلك ملحق بالليل، وإلى التردد في وقت ولادته ﷺ هل هو في الليل أو النهار أشار صاحب الهمزية بقوله:

ليلة المولد الذي كان للـ ... ين سرور بيومه وازدهاء

فهنيئاً به لآمنة الف ... ضل الذي شرفت به حواء
من لحواء أنها حملت أح ... مد أو أنها به نفساء
يوم نالت بوضعه ابنة وهب ... من فخار ما لم تنله النساء
أي ليلة المولد الذي وجد فيه الفرح والافتخار للدين بيومه، وقد أضاف كلا من
الليل واليوم للولادة مراعاة للخلاف في ذلك» (٦٣).

وولادته ﷺ قيل كانت في عام الفيل، قيل في يومه. فعن ابن عباس قال: ولد رسول
الله ﷺ يوم الفيل. وعن قيس بن مخرمة: ولدت أنا ورسول الله ﷺ يوم الفيل ضحا
فنحن لدان. وفي تاريخ ابن حبان: ولد عام الفيل في اليوم الذي بعث الله تعالى الطير
الأبابل فيه على أصحاب الفيل. وعند ابن سعد: ولد يوم الفيل يعني عام الفيل، أي
لما تقدم عن ابن حجر، وعليه فيكون قول ابن حبان في اليوم تفسيراً للعام. على أن
المراد باليوم مطلق الوقت الصادق للعام. وقيل ولد بعد الفيل بخمسين يوماً، كما ذهب
إليه جمع منهم السهيلي. قال بعضهم: وهو المشهور. قال: وقيل بخمسة وخمسين يوماً.
وقيل بأربعين يوماً، وقيل بشهر، وقيل بعشر سنين، وقيل بثلاث وعشرين سنة، وقيل
بثلاثين سنة، وقيل بأربعين سنة، وقيل بسبعين سنة. وعبارة المواهب: حكاه الدمياطي
في آخرين، وكونه في عام الفيل قال الحافظ ابن كثير: هو المشهور عند الجمهور. وقال
إبراهيم بن المنذر شيخ البخاري لا يشك فيه أحد من العلماء، ونقل غير واحد فيه الإجماع.
وقال: كل قول يخالفه وهم: أي وأقول: والقول بأنه ولد قبل عام الفيل أو فيه أو بعده
بعشر سنين يقتضي تضعيف ما ذكره الحافظ أبو سعيد النيسابوري أن نور النبي ﷺ كان
يضيء في غرة جده عبد المطلب، وكانت قريش إذا أصابها قحط أخذت بيد عبد المطلب
إلى جبل ثبير يستسقون به، فيسقيهم الله تعالى ببركة ذلك النور، وأنه لما قدم صاحب
الفيل لهدم الكعبة لتكون كنيسة بنيها. ويقال إنها القليس كجميز لارتفاع بنائها
وعلوها ومنه القلانس لأنها في أعلى الرؤوس مكان الكعبة في الحج إليها. قيل قبل عام



الفيل بخمس عشرة سنة. قال بعضهم: وهذا غريب منكر وضعيف أيضا^(٦٤). «وقيل ولد لسبع عشرة ليلة خلت منه. وقيل لثمان مضت منه. قال ابن دحية: وهو الذي لا يصح غيره وعليه أجمع أهل التاريخ. وقال القطب القسطلاني: وهو اختيار أكثر أهل الحديث: أي كالحميدي وشيخه ابن حزم. وقيل لليلتين خلتا منه، وبه جزم ابن عبد البر. وقيل لثمان عشرة ليلة خلت منه، رواه ابن أبي شيبة، وهو حديث معلول. وقيل لاثنتي عشرة بقين منه. وقيل لاثني عشرة. وقيل لثمان ليال خلت من شهر رمضان وصححه كثير من العلماء، وهذا هو الموافق لما تقدم من أن أمه عليها السلام حملت به في أيام التشريق أو في يوم عاشوراء وأنه مكث في بطنها تسعة أشهر كوامل، لكن قال بعضهم: إن هذا القول غريب جدا ومستند قائله أنه أوحى إليه عليه السلام في شهر رمضان فيكون مولده في شهر رمضان، وعلى أنها حملت به في أيام التشريق الذي لم يذكروا غيره يعلم ما في بقية الأقوال قال، وقيل ولد في صفر. وقيل في ربيع الآخر، وقيل في محرم، وقيل في عاشوراء أي كما ولد عيسى عليه السلام، وقيل لخمس بقين منه اهـ. أي وذكر الذهبي أن القول بأنه ولد عليها السلام في عاشوراء من الإفك: أي الكذب، وفيه إن كان ذلك لأنه لا يجامع أنها حملت به عليها السلام في أيام التشريق، وأنه مكث في بطنها تسعة أشهر كوامل لا يختص الإفك بهذا القول، بل يأتي فيما عدا القول بأنه ولد في شهر رمضان، ثم رأيت بعضهم حكى أنه حمل في شهر رجب، وحينئذ يصح القول المشهور بولادته في ربيع الأول»^(٦٥).

«وفي المواهب: والمشهور أنه عليه السلام ولد بعد الفيل، لأن قصة الفيل كانت توطئة لنبوته ومقدمة لظهوره وبعثته، هذا كلامه. وفيه أنه قد يقال الإرهافات إنما تكون بعد وجوده وقبل مبعثه الذي هو دعواه الرسالة، لا قبل وجوده بالكلية الذي هو المراد بظهوره. وحينئذ فقول القاضي البيضاوي: إنها من الإرهافات، إذروي أنها وقعت في السنة التي ولد فيها رسول الله عليه السلام: أي بعد وجوده. ومن ثم قال ابن القيم في الهدى: إن مما جرت به عادة الله تعالى أن يقدم بين يدي الأمور العظيمة مقدمات تكون كالمدخل



لها، فمن ذلك قصة مبعثه ﷺ تقدمها قصة الفيل، هذا كلامه» (٦٦).

وكان مولده ﷺ بمكة في الدار التي صارت تدعى لمحمد بن يوسف أخي الحجاج: أي وكانت قبل ذلك لعقيل بن أبي طالب، ولم تنزل بيد أولاده بعد وفاته إلى أن باعوها لمحمد بن يوسف أخي الحجاج بمائة ألف دينار قاله الفاكهي: أي فأدخلها في داره وسماها البيضاء: أي لأنها بنيت بالجص ثم طليت به، فكانت كلها بيضاء، وصارت تعرف بدار ابن يوسف، لكن سيأتي في فتح مكة أنه قيل له ﷺ «يا رسول الله تنزل في الدور؟ قال: هل ترك لنا عقيل من رباغ أو دور»، فإن هذا السياق يدل على أن عقيلًا باع تلك الدار فلم يبق بيده ولا بيد أولاده بعده (٦٧).

باب: بيان عمره ﷺ حين المبعث

«قال ابن إسحق: لما بلغ رسول الله ﷺ أربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين، وكافة للناس أجمعين. وكان الله قد أخذ له الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالإيمان به، والتصديق له، والنصر على من خالفه، وأن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم: أي فهم وأممهم من حملة أمته ﷺ كما سيأتي عن السبكي. فعن أنس بن مالك «أن رسول الله ﷺ بعث على رأس الأربعين». قال: وهذا هو المشهور بين الجمهور من أهل السير، والعلم بالأثر. وقيل بزيادة يوم. وقيل بزيادة عشرة أيام، وقيل بزيادة شهرين. وقيل بزيادة سنتين، وهو شاذ، وأكثر منه شذوذا ما قيل إنه بزيادة ثلاث سنين، وما قيل إنه بزيادة خمس سنين. قال بعضهم: والأربعون هي سن الكمال، ونهاية بعث الرسل: أي لا يرسلون دونها، ومن ثم قال في الكشف: ويروى أنه لم يبعث نبي إلا على رأس أربعين سنة، هذا كلام الكشف. وأما ما يذكر عن المسيح أنه رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث أو أربع وثلاثين سنة: أي ومعلوم أنه دعا إلى الله قبل ذلك، فهو قول شاذ حكاه وهب بن منبه عن النصارى اهـ: أي وعليه جرى غير واحد من المفسرين، بل قال في ينبوع الحياة: لم يبلغني أن أحدا من المفسرين ذكر في مبلغ سنه إذ رفع أكثر من ثلاث وثلاثين سنة هذا



كلامه. وفي الهدى: وأما ما يذكر عن المسيح أنه رفع إلى السماء وله ثلاث وثلاثون سنة، فهذا لا يعرف به أثر متصل يجب المصير إليه، هذا كلامه» (٦٨).

باب: بدء الوحي له ﷺ

«عن عائشة: أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من النبوة حين أراد الله تعالى كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصالحة، لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق -وفي لفظ كفرق الصبح- أي كضياء وإنارته، فلا يشك فيها أحد كما لا يشك أحد في وضوح ضياء الصبح ونوره. وفي لفظ «فكان لا يرى شيئا في المنام إلا كان» أي وجد في اليقظة كما رأى، فالمراد بالصالحة الصادقة. وقد جاءت في رواية البخاري في التفسير: أي ولا يخفى أن رؤيا النبي ﷺ كلها صادقة وإن كانت شاقة كما في رؤياه يوم أحد. قال القاضي وغيره وإنما ابتدئ رسول الله ﷺ بالرؤيا لثلاث أسباب: الأول هو الملك الذي هو الملك جبريل عليه السلام بالنبوة: أي الرسالة، فلا تتحملها القوى البشرية: أي لأن القوى البشرية لا تتحمل رؤية الملك وإن لم يكن على صورته التي خلقه الله عليها ولا على سماع صوته ولا على ما يخبر به لا سيما الرسالة، فكانت الرؤيا تأنيسا له ﷺ والمراد بالملك جبريل عليه السلام، لكن ذكر بعضهم أن من لطف الله تعالى بنا عدم رؤيتنا للملائكة أي على الصورة التي خلقوا عليها لأنهم خلقوا على أحسن صورة فلو كنا نراهم لطارت أعيننا وأرواحنا لحسن صورهم. وذكر بعضهم أن مدة الرؤيا ستة أشهر قال فيكون ابتداء الرؤيا حصل في شهر ربيع الأول، وهو مولده ﷺ ثم أوحى الله (عز وجل) إليه في اليقظة أي في شهر رمضان ذكره البيهقي وغيره. وجاء في الحديث «الرؤيا الصادقة» وفي البخاري «الرؤيا الحسنة: أي الصادقة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة». قال بعضهم: معناه أن النبي ﷺ حين بعث أقام بمكة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة عشر سنين يوحى إليه ومدة الوحي إليه في اليقظة ثلاث وعشرون سنة، ومدة الوحي إليه في المنام أي التي هي الرؤيا ستة أشهر، فالمراد خصوص رؤيته وخصوص نبوته ﷺ، وهذا القيل نقله في



الهدى وأقره حيث قال: كانت الرؤيا ستة أشهر، ومدة النبوة ثلاثا وعشرين سنة، فهذه الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءا، هذا كلامه (٦٩).

ونقل الماوردي عن الشعبي أن الله قرن الملك إسرَافيل عليه السلام بنبيه ثلاث سنين يسمع حسّه ولا يرى شخصه، يعلمه الشيء بعد الشيء ولا يذكر له القرآن، فكان في هذه المدة مبشرا بالنبوة، وأمهله هذه المدة ليتأهب لوحيه. وفيه أنه لو كان في تلك المدة مبشرا بالنبوة ما قال للسيدة خديجة عليها السلام ما تقدم، إلا أن يقال ما تقدم إنما قاله للسيدة خديجة عليها السلام في أول الأمر، ويدل لذلك ما قيل إنه عليه السلام مكث خمس عشرة سنة يسمع الصوت أحيانا ولا يرى شخصا، وسبع سنين يرى نورا ولم ير شيئا غير ذلك، وإن المدة التي بشر فيها بالنبوة كانت ستة أشهر من تلك المدة التي هي اثنان وعشرون سنة، وهذا الشيء الذي كان يعلمه له الملك إسرَافيل عليه السلام لم أقف على ما هو، والله أعلم. وبعد ذلك حجب الله إليه عليه السلام الخلوة التي يكون بها فراغ القلب والانقطاع عن الخلق فهي تفرغ القلب عن أشغال الدنيا لدوام ذكر الله تعالى، فيصفو وتشرق عليه أنوار المعرفة، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده. وكان يخلو بغار حراء بالمد والقصر، وهذا الجبل هو الذي نادى رسول الله عليه السلام بقوله إلي يا رسول الله لما قال له ثبير وهو على ظهره «اهبط عني، فإني أخاف أن تقتل على ظهري فأعذب»، فكان عليه السلام يتحنث: أي يتعبد به أي بغار حراء الليالي ذوات العدد، ويروى أولات العدد: أي مع أيامها، وإنما غلب الليالي لأنها أنسب بالخلوة. قال بعضهم: وأبهم العدد لاختلافه بالنسبة إلى المدد، فتارة كان ثلاث ليال، وتارة سبع ليال، وتارة شهر رمضان أو غيره (٧٠).

وفي كلام بعضهم ما قد يدل على أنه لم يختل عليه السلام أقل من شهر، وحينئذ يكون قوله في الحديث الليالي ذوات العدد محمول على القدر الذي كان يتزود له فإذا فرغ زاده رجع إلى مكة وتزود إلى غيرها إلى أن يتم الشهر، وكذا قول بعضهم، فتارة كانت ثلاث ليال، وتارة سبع ليال، وتارة شهرا. ولم يصح أنه عليه السلام اختل أكثر من شهر. قال السراج



البلقيني في شرح البخاري: لم يجئ في الأحاديث التي وقفنا عليها كيفية تعبدته عليه الصلاة والسلام، هذا كلامه وسيأتي بيان ذلك قريبا. ثم إذا مكث ﷺ تلك الليالي: أي وقد فرغ زاده يرجع إلى السيدة خديجة ﷺ فيتزود لمثلها: أي قيل وكانت زوادته ﷺ الكعك والزيت. وفيه أن الكعك والزيت يبقى المدة الطويلة، فيمكث جميع الشهر الذي يختل في فيه ثم رأيت عن الحافظ ابن حجر مدة الخلوة كانت شهرا، فكان يتزود لبعض ليالي الشهر فإذا نفذ ذلك الزاد رجع إلى أهله يتزود قدر ذلك، ولم يكونوا في سعة بالغة من العيش، وكان غالب أدمهم اللبن واللحم، وذلك لا يدخر منه لغاية شهر لثلا يسرع الفساد إليه، ولا سيما وقد وصف بأنه ﷺ كان يطعم من يرد عليه هذا كلامه. وهو يشير فيه إلى ثلاثة أجوبة:

الأول: أنه لم يكن في سعة بحيث يدخر ما يكفيه شهرا من الكعك والزيت.

الثاني: أن غالب أدمهم كان اللحم واللبن وهو لا يدخر شهرا (٧١).

الثالث: أنه على فرض أن يدخر ما يكفيه شهرا أي من الكعك والزيت إلا أنه ﷺ كان يطعم فربما نفذ ما ادخره. وإنما اختار الزيت للأدم لأن دسومته لا ينفر منها الطبع، بخلاف اللبن واللحم، ومن ثم جاء «اتئدموا بالزيت وادهنوا به فإنه يخرج من شجرة مباركة» وقوله «اتئدموا من هذه الشجرة المباركة» أي من عصارة ثمرة هذه الشجرة المباركة التي هي الزيتون وهو الزيت. وقيل لها مباركة لأنها لا تكاد تنبت إلا في شريف البقاع التي بورك فيها كأرض بيت المقدس، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء: أي في اليوم والشهر المتقدم ذكره. وعن عبيد بن عمير «كان رسول الله ﷺ يجاور في حراء في كل سنة شهرا، وكان ذلك مما تتحنث فيه قريش في الجاهلية» أي المتأهلين منهم: أي وكان أول من تحنث فيه من قريش جدّه ﷺ عبد المطلب، فقد قال ابن الأثير: أول من تحنث بحراء عبد المطلب، كان إذا دخل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين ثم تبعه على ذلك من كان يتأله: أي يتعبد كورقة بن نوفل وأبي أمية بن المغيرة، وقد أشار



إلى تعبدته ﷺ صاحب الهمزية بقوله:

ألف النسك والعبادة والخل ... وة طفلا وهكذا النجباء

وإذا حلت الهداية قلبا ... نشطت في العبادة الأعضاء^(٧٢)

أي ألف ﷺ العبادة والخلوة في حال كونه طفلا، ومثل هذا الشأن العلي شأن الكرام، وإنما كان هذا شأن الكرام، لأنه إذا حلت الهداية قلبا نشطت الأعضاء في العبادة، لأن القلب رئيس البدن المعول عليه في صلاحه وفساده ولعل الخلوة في كلام صاحب الهمزية المراد بها مطلق اعتزاله للناس، وأراد بطفلا زمن رضاعه ﷺ عند حليمة. فقد تقدم عنها أنها قالت: لما ترعرع رسول الله ﷺ كان يخرج إلى الصبيان وهم يلعبون فيتجنبهم لا خصوص اعتزاله الناس في غار حراء فلا ينافي قوله طفلا ظاهر ما تقدم من أن خلوته ﷺ بغار حراء كانت في زمن تزوجه ﷺ بالسيدة خديجة عليها السلام، فكان ﷺ يجاور ذلك الشهر، يطعم من جاءه من المساكين: أي لأنه كان من نسك قريش في الجاهلية: أي في ذلك المحل أن يطعم الرجل من جاءه من المساكين. وقد قيل إن هذا كان تعبدته في غار حراء أي مع الانقطاع عن الناس، وإلا فمجرد إطعام المساكين لا يختص بذلك المحل: إلا إن كان ذلك المحل صار في ذلك الشهر مقصودا للمساكين دون غيره. وقيل كان تعبدته ﷺ التفكير مع الانقطاع عن الناس: أي لا سيما إن كانوا على باطل، لأن في الخلوة يخشع القلب وينسى المألوف من مخالطة أبناء الجنس المؤثرة في البنية البشرية، ومن ثم قيل: الخلوة صفوة الصفوة. وقول بعضهم: كان يتعبد بالتفكر: أي مع الانقطاع عما ذكرنا، وإلا فمجرد التفكير لا يختص بذلك المحل، إلا أن يدعي أن التفكير فيه أتم من التفكير في غيره لعدم وجود شاغل به. وقيل تعبدته ﷺ كان بالذكر وصححه في «سفر السعادة» وقيل بغير ذلك.

من ذلك الغير أنه قيل كان يتعبد قبل النبوة بشرع إبراهيم. وقيل بشريعة موسى غير ما نسخ منها في شرعنا وقيل بكل ما صح أنه شريعة لمن قبله غير ما نسخ من ذلك في



شرعنا. وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي: تعبد ﷺ قبل نبوته بشريعة إبراهيم حتى فجأه الوحي وجاءته الرسالة، فالولي الكامل يجب عليه متابعة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح الله له في قلبه عين الفهم عنه فيلهم معاني القرآن، ويكون من المحدثين بفتح الدال ثم يصير إلى إرشاد الخلق. وكان ﷺ إذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به إذا انصرف قبل أن يدخل بيته الكعبة فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله تعالى ثم يرجع إلى بيته، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به ما أراد من كرامته ﷺ وذلك شهر رمضان، وقيل شهر ربيع الأول، وقيل شهر رجب خرج رسول الله ﷺ إلى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله: أي عياله التي هي السيدة خديجة (عليها السلام) إما مع أولادها أو بدونهم، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله تعالى فيها برسالته ورحم العباد بها، وتلك الليلة ليلة سبع عشرة من ذلك الشهر، وقيل رابع عشر منه، وقيل كان ذلك ليلة ثمان من ربيع الأول: أي وقيل ليلة الثالثة (٧٣).

قال بعضهم: القول بأنه في ربيع الأول يوافق القول بأنه بعث على رأس الأربعين لأن مولده ﷺ كان في ربيع الأول على الصحيح: أي وهو قول الأكثرين وقيل كان ذلك ليلة أو يوم السابع والعشرين من رجب. فقد أورد الحافظ الدمياطي في سيرته عن أبي هريرة قال: «من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله تعالى له صيام ستين شهرا» وهو اليوم الذي نزل فيه الملك جبريل (عليه السلام) على النبي ﷺ بالرسالة وأول يوم هبط فيه الملك جبريل (عليه السلام) هذا كلامه، أي أول يوم هبط فيه على النبي ﷺ ولم يهبط عليه قبل ذلك، وسيأتي في بعض الروايات أن الملك جبريل (عليه السلام) نزل في سحر تلك الليلة التي هي ليلة الاثنين. ويجوز أن يكون كل من تلك الليالي كانت ليلة الاثنين، فقد جاء أن رسول الله ﷺ قال لبلال: «لا يفتك صوم يوم الاثنين، لأنني ولدت فيه، ونبتت فيه»، فلا مخالفة بين كونه نبي في الليل وبين كونه نبي في اليوم، لأن السحر قد يلحق بالليل. وفي كلام بعضهم أتاها ﷺ الملك جبريل (عليه السلام) ليلة السبت وليلة الأحد، ثم ظهر له بالرسالة يوم



الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان في حراء، فجاء بأمر الله تعالى وهذا القول:
 أي أن البعث كان في شهر رمضان قال به جماعة، منهم الإمام الصرصري حيث قال:
 وأنت عليه أربعون فأشرقت ... شمس النبوة منه في رمضان
 واحتجوا بأن أول ما أكرمه الله تعالى بنبوته أنزل عليه القرآن. وأجيب بأن المراد
 بنزول القرآن في شهر رمضان نزوله جملة واحدة في ليلة القدر إلى بيت العزة في سماء
 الدنيا، قال رسول الله ﷺ: «فجاءني وأنا نائم بنمط» وهو ضرب من البسط، وفي رواية:
 «جاءني وأنا نائم بنمط من ديباج، فيه كتاب أي كتابة، فقال اقرأ، فقلت: ما أقرأ» أي
 أنا أُمي لا أحسن القراءة أي قراءة المكتوب أو مطلقا «فغطني، أو فغطني» بالتاء بدل
 من الطاء به: أي غمني بذلك النمط، بأن جعله على فمه وأنفه قال «حتى ظننت أنه
 الموت، ثم أرسلني فقال اقرأ أي من غير هذا المكتوب، فقلت: ماذا أقرأ وما أقول ذلك
 إلا افتداء منه: أي تخلصا منه أن يعود لي بمثل ما صنع أي إنها استفهمت عما أقرؤه ولم
 أنف خوفا أن يعود لي بمثل ما صنع عند النفي: أي وفي رواية «فقلت والله ما قرأت شيئا
 قط، وما أدري شيئا أقرؤه»: أي لأني ما قرأت شيئا فهو من عطف السبب على المسبب
 قال: اقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقرأ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ
 (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) [العلق: الآيات ١ - ٥] فقرأتها
 فانصرف عني، وهببت: أي استيقظت، من نومي فكأنها كتب في قلبي كتابا (٧٤). أقول:
 أي استقر ذلك في قلبي وحفظته. ثم لا يخفى أن كلام هذا البعض، وهو أنه جاءه ليلة
 السبت وليلة الأحد، ثم ظهر له يوم الاثنين، محتمل لأن يكون أتاه بذلك النمط في ليلة
 السبت وليلة الأحد، وسحر يوم الاثنين وهو نائم لا يقظة لقلوه «ثم هببت من نومي». ولا
 ينافي ذلك قوله: ثم ظهر له بالرسالة، أي أعلن له بما يكون سببا للرسالة الذي هو
 اقرأ الحاصل في اليقظة. وحينئذ يكون تكرر مجيئه هو السبب في استقرار ذلك في قلبه ﷺ.
 وحينئذ لا يبعده قوله في الليلة الثانية: «ما قرأت شيئا»؛ لأن المراد لم يتقدم لي قراءة قبل

محيئك إلي، ولا يبعده أيضا قوله: «ما أدري ما أقرأ»؛ لأنه لم يستقر ذلك في قلبه لما علمت أن سبب الاستقرار التكرار، فلم يستقر ذلك في قلبه ﷺ في الليلة الأولى. وفي سيرة الشامي أن مجيء الملك جبريل عليه السلام له ﷺ بالنمط لم يتكرر، وأنه كان قبل دخوله ﷺ غار حراء، وهذا السياق يدل على أنه كان بعده. وفي «سفر السعادة» ما يقتضي أنه جاء بالنمط يقظة في حراء، ونصه: «فبينما هو في بعض الأيام قائم على جبل حراء إذ ظهر له شخص وقال: أبشر يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله لهذه الأمة، ثم أخرج له قطعة نمط من حرير مرصعة بالجواهر ووضعها في يده وقال: اقرأ، قال والله ما أنا بقارئ ولا أدري في هذه الرسالة كتابة» أي لا أعلم ولا أعرف المكتوب فيها، قال: «فضمني إليه وغطني حتى بلغ مني الجهد، فعل ذلك بي ثلاثا وهو يأمرني بالقراءة، ثم قال: اقرأ باسم ربك. هذا كلامه فليتأمل، والله أعلم «قال فخرجت» أي من الغار: أي وذلك قبل مجيء جبريل إليه ﷺ باقرا خلافا لما يقتضيه السياق «حتى إذا كنت في شط من الجبل» أي في جانب منه «سمعت صوتا من السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل، فوقفت أنظر إليه، فإذا الملك جبريل عليه السلام على صورة رجل صاف قدميه» أي وفي رواية «واضعا إحدى رجله على الأخرى في أفق السماء» أي نواحيها «يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل، فوقفت أنظر إليه، فما أتقدم وما أتأخر، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء، فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك، فما زلت واقفا، ما أتقدم أمامي وما أرجع ورائي، حتى بعثت خديجة عليها السلام رسلها في طلبي فبلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك، ثم انصرف عني وانصرفت راجعا إلى أهلي حتى أتيت خديجة عليها السلام: أي في الغار، فجلست إلى فخذها مضيئا إليها أي مستندا إليها، فقالت: يا أبا القاسم أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك فبلغوا مكة ورجعوا إلي». أقول: وهذا يدل على أن السيدة خديجة عليها السلام كانت معه بغار حراء، وهو الموافق لما تقدم من قوله ومعه أهله أي السيدة خديجة عليها السلام على ما تقدم. وقد يخالف ذلك ما روي أن السيدة خديجة عليها السلام



صنعت طعاما ثم أرسلته إلى رسول الله ﷺ فلم تجده بحراء، فأرسلت في طلبه إلى بيت أعمامه وأخواله فلم تجده، فشق ذلك عليها، فبينما هي كذلك إذا أتاها فحدثها بما رأى وسمع، فإن هذا يدل على أنها لم تكن معه ﷺ بحراء. وقد يقال: يجوز أن تكون خرجت معه أولا وأرسلت رسلها إليه ﷺ وهي بحراء فلم تجده، وأن الرسل أخطؤوا محل وقوفه ﷺ بالجبل الذي هو حراء، ثم رجعت إلى مكة وأرسلت رسلها إليه ﷺ بحراء، لاحتمال عوده إليه، ثم أرسلت إلى بيت أعمامه وأخواله لما لم تجده ﷺ بحراء، فإرسالها تكرر مرتين مع اختلاف محلها، ويكون قوله: «وانصرفت راجعا إلى أهلي»: أي بمكة لا بحراء، لأنه يجوز أن يكون بلغه رجوع السيدة خديجة ﷺ إلى مكة. هذا على مقتضى الجمع. وأما على ظاهر الرواية الأولى يكون رجوعه إلى أهله بحراء كما ذكرنا، وهو يدل على أن خروجه ﷺ إلى شط الجبل كان من غار حراء كما ذكرنا لا من مكة الذي يدل عليه قول الشمس الشامي «فخرج مرة أخرى إلى حراء، قال: فخرجت حتى أتيت الشط من الجبل سمعت صوتا» إلى آخره، فلي تأمل والله أعلم^(٧٥).

قال «ثم حدثتها بالذي رأيت»، أي من سماع الصوت ورؤية الملك جبريل عليه السلام، وقوله له: يا محمد أنت رسول الله، فقالت أبشريا بن عمي واثبت، فو الذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة، ثم قامت فجمعت عليها ثيابها: أي التي تتجمل بها عند الخروج. ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ أنه رأى وسمع: أي رأى الملك جبريل عليه السلام وسمع منه أنت رسول الله وأنا جبريل، فقال ورقة: قدوس قدوس بالضم والفتح، والذي نفسي بيده لئن كنت صدقت يا خديجة، لقد جاءه الناموس الأكبر الذي يأتي موسى عليه السلام الذي هو جبريل عليه السلام، وإنه لنبي هذه الأمة، فقولي له يثبت.

والقدوس: الطاهر المنزه عن العيوب، وهذا يقال للتعجب، أي وجاء بدل قدوس سبوح سبوح، وما لجبريل عليه السلام يذكر في هذه الأرض التي تعبد فيها الأوثان، جبريل عليه السلام



أمين الله بينه وبين رسله: أي لأن هذا الاسم لم يكن معروفا بمكة ولا غيرها من بلاد العرب، فرجعت السيدة خديجة عليها السلام إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول ورقة بن نوفل، فلما قضى رسول الله ﷺ جواره وانصرف: أي فرغ ما تزوّده وليس المراد انقضاء جواره بانقضاء الشهر، لأن ذلك كان قبل أن يجيء إليه جبريل باقرأ باسم ربك يقظة كما تقدم. أي وذلك كان في الشهر الذي أكرمه الله فيه برسالته. فعند ذلك صنع كما كان يصنع، بدأ بالكعبة فطاف بها، فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة، فقال له: يا بن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت، فأخبره رسول الله ﷺ، فقال له ورقة: والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى عليه السلام، ولتكذبه ولتؤذنه، ولتقاتلنه ولتخرجنه بها السكت، ولا تكون إلا ساكنة. ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرك الله نصراً يعلمه، ثم أدنى ورقة رأسه ﷺ منه وقبل يافوخه، أي وسط رأسه، لأن اليافوخ بالهمزة وسط الرأس إذا استند وقبل استداده كما في رأس الطفل يقال له الفادية بالفاء. ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله أي ولا مانع من تكرار مراجعة ورقة فتارة قال قدوس قدوس، وتارة قال سبوح سبوح، أو جمع بين ذلك في وقت واحد. وبعض الرواة اقتصر على أحد اللفظين، وقد جاء أن أبا بكر دخل على السيدة خديجة عليها السلام أي وليس عندها رسول الله ﷺ، فقالت له: يا عتيق اذهب بمحمد ﷺ إلى ورقة: أي بعد أن أخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ كما سيذكر، فلما دخل رسول الله ﷺ أخذ أبو بكر بيده فقال: انطلق بنا إلى ورقة، وذهب به إلى ورقة، فقال له رسول الله ﷺ: إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي: يا محمد يا محمد فأنطلق هارباً إلى الأرض، فقال له: لا تفعل، إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم اتني: أي وهذا قبل أن يراه ويجتمع به ويحيي إليه بالقرآن. وحينئذ يكون تكرر سؤال ورقة ثلاث مرات، الأولى على يد أبي بكر. وذلك قبل أن يرى الملك جبريل عليه السلام. والثانية التي رأى فيها الملك جبريل عليه السلام وسمع منه ولم يجتمع به، وذلك عند اجتماعه ﷺ به في المطاف. والثالثة التي بعد مجيء



الملك جبريل عليه السلام له يقظة بالقرآن أي باقرأ باسم ربك على المشهور، من أنه أول ما نزل، وذلك على يد السيدة خديجة عليها السلام، ولا ينافي ذلك ما ذكره الحافظ ابن حجر كما سيأتي أن القصة واحدة لم تتعدد ومخرجها متحد، لأن مراده قصة مجيء الملك جبريل عليه السلام له يقظة باقرأ باسم ربك وسيأتي ما فيه. وإنما قال ورقة له عليه السلام: يا بن أخي، قيل لأنه يجتمع مع عبد الله والد النبي صلى الله عليه وآله في قصي فكان عبد الله بمثابة الأخ له أو أنه قال ذلك توقيرا له وإنما ذكر ورقة النبي موسى دون النبي عيسى عليه السلام، مع أن النبي عيسى عليه السلام أقرب منه وهو على دينه لأنه كان على دين النبي موسى عليه السلام، ثم صار على دين النبي عيسى عليه السلام أي كان يهوديا. ثم صار نصرانيا، أي لأن نبوة النبي موسى عليه السلام مجمع عليها أي على أنها ناسخة لما قبلها، وأن شريعة النبي عيسى عليه السلام، قيل إنها متممة ومقررة لشريعة النبي موسى عليه السلام لا ناسخة لها، قيل ولأن ورقة كان ممن تنصر أي كما علمت، والنصارى لا يقولون بنزول الملك جبريل عليه السلام على النبي عيسى عليه السلام أي بل كان يعلم الغيب، لأنهم يقولون فيه إنه أحد الأقانيم الثلاثة اللاهوتية وذلك الأقنوم هو أقنوم الكلمة التي هي العلم حل بناسوت المسيح واتحد به، فلذلك كان يعلم علم الغيب ويخبر بها في الغد. أقول: وفيه أن في رواية «وإنك على مثل ناموس النبي موسى والنبي عيسى عليه السلام» أي ففي بعض الروايات جمع وفي بعضها اقتصر على النبي موسى عليه السلام. وفي الاقتصار على النبي موسى عليه السلام دون الاقتصار على النبي عيسى عليه السلام ما علمت، ثم رأيت أنه جاء في غير الصحيح الاقتصار على النبي عيسى عليه السلام فقال هذا الناموس الذي نزل على عيسى، فهو كما جاء الجمع بينهما جاء الاقتصار على كل منهما. ولا ينافي ذلك أي مجيء الملك جبريل عليه السلام للنبي عيسى عليه السلام ما تقدم عن النصارى من أنهم لا يقولون بنزول الملك جبريل عليه السلام على النبي عيسى عليه السلام، لجواز أن يكون المراد لا ينزل عليه دائما وأبدا بالوحي، بل في بعض الأحيان، وفي بعضها يعلم الغيب بغير واسطة. ثم رأيت في فتح الباري أن عند إخبار السيدة خديجة عليها السلام لورقة بالقصة قال لها هذا ناموس النبي عيسى عليه السلام بحسب ما هو



فيه من النصرانية، وعند إخبار النبي ﷺ له بالقصة قال له هذا ناموس النبي موسى عليه السلام للمناسبة بينهما لأن النبي موسى عليه السلام أرسل بالنقمة على فرعون، وقد وقعت النقمة على يد نبينا ﷺ على فرعون هذه الأمة الذي هو أبو جهل، هذا كلامه فليتأمل. وقد جاء أنه ﷺ قال في حق أبي جهل في يوم بدر «هذا فرعون هذه الأمة» والله أعلم^(٧٦).

وعن عائشة «جاءه الملك سحرا» أي سحر يوم الاثنين يقظة لا مناما، أي بغير نمط «فقال له اقرأ. قال: ما أنا بقارئ» أي لا أوجد القراءة، قال «فأخذني فغطني» أي ضممني وعصرني. وفي لفظ «فأخذ بحلقي حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ» أي لا أحسن القراءة، أي لا أحفظ شيئا أقرؤه «فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ» أي أي شيء أقرؤه. وفيه أنه لو كان كذلك لقال ما أقرأ، أو ماذا أقرأ. إلا أن يقال أطلق ذلك وأراد لازمه الذي هو الاستفهام، خصوصا وقد قدمه، قال «فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق (١) خلق الإنسان من علق (٢) اقرأ وربك الأكرم (٣) الذي علم بالقلم (٤) علم الإنسان ما لم يعلم (٥) [العلق: الآيات ١ - ٥]». أقول: فقولنا: أي بغير نمط هو ظاهر الروايات، ويجوز أن يكون لفظ النمط سقط في هذه الرواية كغيرها من الروايات، ويؤيده اقتصار السيرة الشامية على مجيئه بالنمط. وأيضا كيف الجمع بين قوله هنا ما ذكر وبين قوله هناك «فكانها كتب في قلبي كتابا»، «وما بالعهد من قدم». إلا أن يقال يجوز أن يكون ﷺ جوز أن يكون الملك جبريل عليه السلام يريد منه قراءة غير الذي قرأه وكتب في قلبه. ولا يخفى أنه علم أن قول الملك جبريل عليه السلام اقرأ أمر بالقراءة. وفيه أنه من التكليف بما لا يطاق، أي في الحال: أي ومن ثم ادعى بعضهم أنه لمجرد التنبيه واليقظة لما يلقي إليه. وفيه أنه لو كان كذلك لم يحسن أن يقال في جوابه: ما أنا بقارئ الذي معناه لا أوجد القراءة. إلا أن يقال الملك جبريل عليه السلام أراد التنبيه لا الأمر، وجوابه ﷺ بناء على مقتضى ظاهر اللفظ. وعلم أن قوله ﷺ: ما



أنا بقارئ في المواضع الثلاثة معناه مختلف: ففي الأول معناه الإخبار بعدم إيجاد القراءة، والثاني معناه الإخبار بأنه لا يحسن شيئاً يقرؤه وإن كان ذلك هو مستند الأول، والثالث معناه الاستفهام عن أي شيء أن يقرؤه، وفيه ما علمت^(٧٧).

وبعضهم جعل قوله الأول لا أقرأ: لا أحسن القراءة بدليل أنه جاء في بعض الروايات ما أحسن أن أقرأ. وحيث أن يكون بمعنى الثاني، فيكون تأكيداً له: أي الغرض منهما شيء واحد. قال بعضهم: وجه المناسبة بين الخلق من العلق والتعليم وتعليم العلم أن أدنى مراتب الإنسان كونه علقه، وأعلاها كونه عالماً، فالله سبحانه وتعالى امتن على الإنسان بنقله من أدنى المراتب وهي العلقه إلى أعلاها، وهي تعلم العلم. وقد اشتملت هذه الآيات على براعة الاستهلال: وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه، ويشير إلى ما سبق الكلام لأجله فإنها اشتملت على الأمر بالقراءة والبدء فيها بسم الله، إلى غير ذلك مما ذكره في الإتيان. قال فيه: من ثم قيل إنها جديرة أن تسمى عنوان القرآن، لأن عنوان الكتاب ما يجمع مقاصده بعبارة موجزة في أوله، وكرر الملك جبريل عليه السلام الغط ثلاثاً للمبالغة. وأخذ منه بعض التابعين وهو القاضي شريح أن المعلم لا يضرب الصبي على تعليم القرآن أكثر من ثلاث ضربات. وأورد الحافظ السيوطي عن الكامل لابن عدي بسند ضعيف عن ابن عمر «أن النبي ﷺ نهى أن يضرب المؤدب الصبي فوق ثلاث ضربات». وذكر السهيلي أن في ذلك: أي الغط ثلاثاً إشارة إلى أنه عليه السلام يحصل له شدائد ثلاث ثم يحصل له الفرج بعد ذلك فكانت الأولى إدخال قريش له عليه السلام الشعب والتضييق عليه. والثانية اتفاقهم على الاجتماع على قتله عليه السلام. والثالثة خروجه من أحب البلاد إليه، وجاءه ﷺ الملك جبريل عليه السلام والملك ميكائيل عليه السلام: أي قبل قول الملك جبريل عليه السلام له أقرأ فشق الملك جبريل عليه السلام بطنه وقلبه، إلى آخر ما تقدم في الكلام على أمر الرضاع ثم قال له الملك جبريل عليه السلام: أقرأ الحديث، فعلم أن أقرأ باسم ربك نزلت من غير بسملة، وقد صرح بذلك الإمام البخاري، وما ورد عن ابن عباس «بأن



أول ما نزل الملك جبريل عليه السلام على محمد عليه السلام قال: يا محمد استعذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ثم قال: قل بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قال: اقرأ باسم ربك، قال الحافظ ابن كثير. هذا الأثر غريب، في إسناده ضعف وانقطاع، أي فلا يدل للقول بأن أول ما نزل بسم الله الرحمن الرحيم، حكاه ابن النقيب في مقدمة تفسيره، وبه يرد على الجلال السيوطي حيث قال: وعندي فيه أن هذا لا يعد قولاً برأسه، فإن من ضرورة نزول السورة أي سورة اقرأ نزول البسملة معها، فهي أول آية نزلت على الإطلاق، هذا كلامه والله أعلم ^(٧٨).

قال الحافظ ابن حجر: هذا الذي وقع له عليه السلام في ابتداء الوحي من خصائصه، إذ لم ينقل عن أحد من الأنبياء عليه الصلاة والسلام أنه جرى له عند ابتداء الوحي مثل ذلك. «ولما قرأ رسول الله عليه السلام تلك الآية رجع بها ترجف بوادره»، والبادرة اللحمة التي بين المنكب والعنق، تتحرك عند الفزع ويقال لها الفريضة والفرائض: أي وفي رواية «فؤاده» أي قلبه، ولا مانع من اجتماع الأمرين، لأن تحرك البادرة ينشأ عن فزع القلب حتى دخل عليه السلام على السيدة خديجة عليها السلام فقال: زملوني زملوني أي غطوني بالثياب «فزملوه حتى ذهب عنه الروع» بفتح الراء: أي الفزع «ثم أخبرها الخبر وقال: لقد خشيت على نفسي» وفي رواية «على عقلي» كما في «الأمّاع» «قالت له السيدة خديجة عليها السلام: كلا أبشر، فو الله لا يخزيك الله أبداً» أي لا يفضحك «إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل» أي الشيء الذي يحصل منه التعب والإعياء لغيرك «وتكسب المعدوم» بضم التاء. والمعدوم الذي لا مال له لأن من لا مال له كالمعدوم: أي توصل إليه الخير الذي لا يجده عند غيرك. وبهذا يعلم سقوط قول الخطابي الصواب المعدوم بلا واو، لأن المعدوم: أي الشخص المعدوم لا يكسب: أي لا يعطى الكسب «وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق» أي على حوادثه «فانطلقت به السيدة خديجة عليها السلام حتى أتت به ورقة بن نوفل، فقالت له السيدة خديجة عليها السلام: أي عم اسمع من ابن أخيك»، أي وقولها



أي عم صوابه ابن عم، لأنه ابن عمها لا عمها كما وقع في مسلم. قال ابن حجر: وهو وهم لأنه وإن كان صحيحاً لجواز إرادة التوقير، لكن القصة لم تتعدد ومخرجها متحد: أي فلا يقال يجوز أنها جاءت إليه بعد نزول الآية مرتين، قالت في مرة أي عم، وفي مرة أي ابن عم «قال ورقة: يا بن أخي ماذا ترى: فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على النبي موسى (عليه السلام) أي صاحب سر الوحي وهو الملك جبريل (عليه السلام) «يا ليتني فيها جذعا» أي يا ليتني حينئذ أكون في زمن الدعوى إلى الله (عز وجل): أي إظهاره الذي جاء به وأنذر، أو أصل وجودها بناء على تأخر الدعوى التي هي الرسالة عن النبوة على ما يأتي شاباً حتى أبلغ في نصرتها «يا ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك، قال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم؟» بتشديد الياء المفتوحة لأنه جمع مخرج، والأصل أو مخرجوني حذف النون للإضافة فصار مخرجوي، قلبت الواو ياء وأدغمت، قال ورقة: «نعم لم يأت رجل بما جئت به إلا عودي»، أي فتكون المعادة سبباً لإخراجه. وهذا يفيد بظاهره أن من تقدم من الأنبياء أخرجوا من أماكنهم لمعاداة قومهم لهم، وإلا فمجرد المعادة لا يقتضي الإخراج، فلا يحسن أن يكون علامة عليه، وقد يؤيد ذلك ما تقدم عند الكلام على بناء الكعبة أن كل نبي إذا كذبه قومه خرج من بين أظهرهم إلى مكة يعبد الله عز وجل بها حتى يموت وتقدم ما فيه. وفي كونه ﷺ لم يقل شيئاً في جواب قول ورقة إنه يكذب ويؤذى ويقاتل، وقال في جواب قوله: إنه يخرج أو مخرجي هم؟ استفهما إنكارياً، دليل على شدة حب الوطن وعسر مفارقتها، خصوصاً وذلك الوطن حرم الله وجوار بيته ومسقط رأسه، قال ورقة: «وإن أدركت يومك أنصرك نصراً مؤزراً» أي شديداً قوياً، من الأزر وهو الشدة. الذي في الحديث الصحيح «وإن يدركني يومك» وسيأتي في بعض الروايات «وإن يدركني ذلك» قال السهيلي: وهو القياس، لأن ورقة سابق بالوجود، والسابق: هو الذي يدركه ما سيأتي بعده كما جاء «أشقى الناس من أدركته الساعة وهو حي» هذا كلامه. أي وفي بعض



الروايات أنه قال لها: «إن ابن عمك لصادق وإن هذا لبدء نبوة» وفي لفظ «إنه لنبي هذه الأمة» أي وفي الشفاء أن قوله ﷺ للسيدة خديجة (عليها السلام): «لقد خشيت على نفسي» ليس معناه الشك فيما آتاه الله تعالى من النبوة، ولكنه لعله خشي أن لا تحمل قوته ﷺ مقاومة الملك وأعباء الوحي، بناء على أنه قال ذلك بعد لقاء الملك وإرساله إليه بالنبوة، فإن للنبوة أثقالا لا يستطيع حملها إلا أولو العزم من الرسل. وفي كلام الحافظ ابن حجر، اختلف العلماء في هذه الخشية على اثني عشر قولاً، وأولها بالصواب وأسلمها من الارتياب أن المراد بها الموت أو المرض أو دوام المرض هذا كلامه، فليتأمل مع رواية «خشيت على عقلي». قال: وفي بعض الروايات أن السيدة خديجة (عليها السلام) قبل أن تذهب به إلى ورقة ذهبت به إلى عداس وكان نصرانياً من أهل نينوى: قرية سيدنا يونس عليه الصلاة والسلام، فقالت له: يا عداس أذكرك الله إلا ما أخبرني هل عندكم علم من جبريل: أي فإن هذا الاسم لم يكن معروفاً بمكة ولا بغيرها من أرض العرب كما تقدم، فقال عداس: قدوس قدوس، ما شأن جبريل يذكر بهذه الأرض التي أهلها أهل أوثان؟ أي والقدوس المنزه عن العيوب وأن هذا يقال للتعجب كما تقدم، فقالت: أخبرني بعلمك فيه؟ قال: هو أمين الله بينه وبين النبيين، وهو صاحب النبي موسى والنبي عيسى (عليهما السلام). وفيه أنه سيأتي عند الكلام على ذهابه ﷺ للطائف بعد موت أبي طالب يلتمس إسلام ثقيف اجتماعه بعداس الموصوف بما ذكر، لكن في تلك القصة ما قد يبعد معه كل البعد أنه المذكور هنا فليتأمل، ثم رأيت أن عداساً المذكور هنا كان راهباً وكان شيخاً كبير السن، وقد وقع حاجباه على عينيه من الكبر، وأن السيدة خديجة (عليها السلام) قالت له: أنعم صباحاً يا عداس، فقال: كأن هذا الكلام كلام خديجة سيدة نساء قريش، قالت أجل، قال ادني مني فقد ثقل سمعي، فدنوت منه ثم قالت له ما تقدم، وهذا صريح في أنه غير عداس الآتي ذكره، وأنها اشتركا في الاسم والبلد والدين، أي وكونهما غلامين لعتبة بن ربيعة. ففي كلام ابن دحية: عداس كان غلاماً لعتبة بن ربيعة من أهل نينوى، عنده علم



من الكتاب، فأرسلت إليه السيدة خديجة عليها السلام تسأله عن الملك جبريل عليه السلام، فقال: قدوس قدوس الحديث ولا يخفى أن هذا اشتباه وقع من بعض الرواة بلا شك. وفي رواية أن عداسا هذا قال لها: يا خديجة إن الشيطان ربما عرض للعبد فأراه أمورا، فخذي كتابي هذا فانطلقني به إلى صاحبك، فإن كان مجنونا فإنه سيذهب عنه، وإن كان من الله فلن يضره، فانطلقت بالكتاب معها، فلما دخلت منزلها إذا هي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع الملك جبريل عليه السلام يقرئه هذه الآيات: (ن وَالْقَلَمَ وَمَا يَسْطُرُونَ) (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (٥) بَأْيُكُمْ الْمُفْتُونُ) سورة القلم: الآيات ١ - ٦. فلما سمعت السيدة خديجة عليها السلام قراءته اهتزت فرحا ثم قالت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فذاك أبي وأمي، امض معي إلى عداس، فلما رآه عداس كشف عن ظهره فإذا خاتم النبوة يلوح بين كتفيه، فلما نظر عداس إليه خر ساجدا يقول: قدوس قدوس، أنت والله النبي الذي بشر بك النبي موسى والنبي عيسى عليهما السلام الحديث. وفيه إن كان هذا قبل أن تذهب به إلى ورقة اقتضى أن نزول سورة ن قبل اقرأ، ولا يحسن ذلك مع قوله للملك جبريل عليه السلام ما أنا بقارئ، إذ هو صريح في أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يقرأ قبل ذلك شيئا، ومن ثم كان المشهور أن أول ما نزل اقرأ. وكون ن نزلت لهذا السبب مخالف لما ذكر في أسباب النزول أنها نزلت لما وصفه المشركون بأنه مجنون، إلا أن يقال لا مانع من تعدد النزول.

وذكر ابن دحية أيضا أنه صلى الله عليه وآله وسلم لما أخبرها بالملك جبريل عليه السلام ولم تكن سمعت به قط، كتبت إلى بحيرا الراهب فسألته عن الملك جبريل عليه السلام، فقال لها: قدوس قدوس يا سيدة نساء قريش، أنى لك بهذا الاسم؟ فقالت: بعلي وابن عمي أخبرني بأنه يأتيه، فقال: إنه السفير بين الله وبين أبنائه، وإن الشيطان لا يجترئ أن يتمثل به، ولا أن يتسمى باسمه. وهذه العبارة: أي كون الملك جبريل عليه السلام هو السفير بين الله (عز وجل) وبين أنبيائه عليهم السلام صدرت من الحافظ السيوطي، وزاد: ولا يعرف ذلك لغيره من الملائكة (٧٩).



واعترض عليه بعضهم بأن الملك إِسْرَافِيلَ عليه السلام كان سفيرا بين الله وبينه ﷺ. فعن الشعبي أنه جاءته النبوة ﷺ وهو ابن أربعين سنة، وقرن بنبوته الملك إِسْرَافِيلُ عليه السلام ثلاث سنين، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته ﷺ الملك جِبْرِيلُ عليه السلام، وفي لفظ عنه: «فلما مضت ثلاث سنين تولى عنه الملك إِسْرَافِيلُ عليه السلام وقرن به الملك جِبْرِيلُ عليه السلام: أي وقد تقدم أن الملك إِسْرَافِيلَ عليه السلام قرن به ﷺ قبل النبوة ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه، يعلمه الشيء بعد الشيء إلى آخره»، وحينئذ يلزم أن يكون قرن به بعد النبوة ثلاث سنين أيضا، وسيأتي عن بحث بعض الحفاظ أنها مدة فترة الوحي فليتأمل. وأجاب الحفاظ السيوطي عن ذلك بأن السفير هو المرصد لذلك، وذلك لا يعرف لغير الملك جِبْرِيلَ عليه السلام، ولا ينافي ذلك مجيء غيره من الملائكة إلى النبي ﷺ في بعض الأحيان. ولك أن تقول: إن كان المراد بالمجيء إليه بوحى من الله كما هو المتبادر فليس في هذه الرواية أن الملك إِسْرَافِيلَ عليه السلام وغيره من الملائكة كان يأتيه بوحى من الله قبل مجيء الملك جِبْرِيلَ عليه السلام له ﷺ بوحى غير النبوة، ولا يخرج ذلك عن الاختصاص باسم السفير، وبأن الملك إِسْرَافِيلَ عليه السلام لم ينزل لغير النبي ﷺ من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كما ثبت في الحديث، فلم يكن السفير بين الله وجميع أنبيائه. قيل وإنما خص بذلك لأنه أول من سجد من الملائكة لآدم^(٨٠).

وفي أسباب النزول للواحدي عن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام «لما سمع النداء: يا محمد قال: لبيك، قال قل: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، ثم قال قل: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) سورة الفاتحة: الآيات ٢-٤ حتى فرغ من السورة»: أي فلما بلغ «ولا الضالين، فقال: قل آمين فقال آمين» كما في رواية وكيع وابن أبي شيبه. فأتى ﷺ ورقة فذكر له ذلك، فقال له ورقة: أبشر ثم أبشر، فإني أشهد أنك الذي بشر بك ابن مريم، فإنك على مثل ناموس النبي موسى عليه السلام، وإنك نبي مرسل، وإنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك، ولئن



أدركني ذلك لأجاهدن معك. أقول: هذا لا يدل للقول بأن الفاتحة أول ما نزل، وعليه كما قال في الكشف أكثر المفسرين، إذ يبعد كل البعد أن تكون هذه الرواية قبل نزول (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) [العلق: الآية ١] ثم رأيت عن البيهقي أنه قال فيما تقدم عن أسباب النزول، هذا مرسل ورجاله ثقات، فإن كان محفوظاً فيحتمل أن يكون خبراً عن نزولها بعد ما نزلت عليه اقرأ والمدثر: أي والمدثر نزلت بعد (يا أَيُّهَا الْمُرْسَلُ) [المزمل: الآية ١]. ثم رأيت ابن حجر اعترض ما تقدم عن الكشف بقوله: الذي ذهب إليه أكثر الأمة هو الأول: أي القول بأنه اقرأ، وأما الذي نسبته إلى الأكثر فلم يقل به إلا عدد أقل من القليل بالنسبة إلى من قال بالأول، هذا كلامه. ثم رأيت الإمام النووي قال: القول بأن الفاتحة أول ما نزل بطلانه أظهر من أن يذكر: أي ومما يدل على ذلك ما جاء من طرق عن مجاهد أن الفاتحة نزلت بالمدينة. ففي تفسير وكيع عن مجاهد: فاتحة الكتاب مدنية، وفيه أنه جاء عن قتادة أنها نزلت بمكة.

وعن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كما في أسباب النزول للواحدي أنها نزلت بمكة من كنز تحت العرش. وفيها عنه «لما قام النبي صلى الله عليه وآله بمكة فقال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) [الفاتحة: الآية ١ و ٢] قالت قريش: رض الله فاك» ^(٨١).

باب: ذكر وضوئه وصلاته صلى الله عليه وآله أول البعثة

أي أول الإرسال إليه باقراً. أقول: في المواهب «أنه روي أن الملك جبريل عليه السلام بدا له صلى الله عليه وآله في أحسن صورة وأطيب رائحة، فقال له: يا محمد إن الله تعالى يقربك السلام، ويقول لك: أنت رسول الله إلى الجن والإنس فادعهم إلى قول: لا إله إلا الله، ثم ضرب برجله الأرض فنبعت عين ماء، فتوضأ منها الملك جبريل عليه السلام، ثم أمره أن يتوضأ، وقام الملك جبريل عليه السلام يصلي، وأمره أن يصلي معه، فعلمه الوضوء والصلاة» الحديث. وقوله «فعلمه الوضوء» يحتمل أن يكون بفعله المذكور. ويحتمل أن يكون علمه بقوله افعل



كذا في وضوئك وصلاتك، ويدل للأول ما سيأتي. وفيه أن قول الملك جبريل عليه السلام المذكور إنما كان عند أمره بإظهار الدعوة والمفاجأة بها إلى الله تعالى بعد فترة الوحي كما سيأتي، فالجمع بينه وبين قوله ثم ضرب برجله الأرض إلى آخره لا يحسن، لأنه سيأتي أن ذلك كان في يوم نزوله له اقرأ باسم ربك [العلق: الآية ١] ولعله من تصرف بعض الرواة، والله أعلم. فعن ابن إسحق: حدثني بعض أهل العلم «أن الصلاة حين افترضت على النبي ﷺ: أي قبل الإسراء أتاها جبريل وهو بأعلى مكة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي، فانفجرت منه عين فتوضأ الملك جبريل عليه السلام ورسول الله ﷺ ينظر ليريه كيف الطهور- أي الوضوء للصلاة- أي فغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ومسح برأسه وغسل رجليه إلى الكعبين» كما في بعض الروايات أي وفي رواية «فغسل كفيه ثلاثاً، ثم تغمض واستنشق، ثم غسل وجهه، ثم غسل يديه إلى المرفقين، ثم مسح رأسه، ثم غسل رجليه ثلاثاً ثلاثاً، ثم أمر النبي ﷺ فتوضأ مثل وضوئه». أقول: وبهذه الرواية، يرد قول بعضهم: إن النبي ﷺ زاد في الوضوء التسمية وغسل الكفين والمضمضة والاستنشاق ومسح جميع الرأس والتخليل ومسح الأذنين والتثليث، إلا أن يقال مراد هذا البعض أن ما ذكر زاده على ما في الآية. وفي كلام بعضهم: كانت العرب في الجاهلية يغتسلون من الجنابة، ويدومون على المضمضة والاستنشاق والسواك، والله أعلم. ثم قام الملك جبريل عليه السلام فصلى به ﷺ ركعتين يحتمل أن تلك الصلاة كانت بالغداة قبل طلوع الشمس. ويحتمل أنها كانت بالعشي: أي قبل غروب الشمس. وفي الإمتاع وإنما كانت الصلاة قبل الإسراء صلاة بالعشي: أي قبل غروب الشمس، ثم صارت صلاة بالغداة، وصلاة بالعشي ركعتين: أي ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي. والعشي: هو العصر. ففي كلام بعض أهل اللغة: العصر العشاء، والعصران الغداة والعشي، وكانت صلاته ﷺ نحو الكعبة، واستقبل الحجر الأسود: أي جعل الحجر الأسود قبالة وهذا يدل على أنه لم يستقبل في تلك الصلاة بيت المقدس، لأنه لا يكون مستقبلاً لبيت المقدس



إلا إذا صلى بين الركنين الأسود واليمني كما كان يفعل بعد فرض الصلوات الخمس وهو بمكة، كما سيأتي «أنه كان يصلي بين الركنين الركن اليمني والحجر الأسود، ويجعل الكعبة بينه وبين الشام» أي بينه وبين بيت المقدس: أي صخرته، إلا أن يقال يجوز أن يكون عند صلاته إلى الكعبة كان بينهما إلا أنه كان إلى الحجر الأسود أقرب منه إلى اليمني، فقل استقبل الحجر الأسود فلا مخالفة، لكن سيأتي ما قد يفيد أنه لم يستقبل بيت المقدس إلا في الصلوات الخمس: أي بعد الإسراء وقبل ذلك كان يستقبل الكعبة إلى أي جهة من جهاتها، ولما صلى رسول الله ﷺ بصلاة الملك جبريل عليه السلام، قال الملك جبريل عليه السلام: هكذا الصلاة يا محمد، ثم انصرف الملك جبريل عليه السلام، فجاء رسول الله ﷺ السيدة خديجة رضي الله عنها وأخبرها، فغشي عليها من الفرح، فتوضأ لها ليربها كيف الطهور للصلاة كما أراه الملك جبريل عليه السلام فتوضأت كما توضأ رسول الله ﷺ ثم صلى بها رسول الله ﷺ كما صلى به الملك جبريل عليه السلام (٨٢) .

باب نزول أول الآيات

«وعن النخعي: إن أول سورة أنزلت عليه ﷺ اقرأ باسم ربك (العلق: الآية ١) قال الإمام النووي: وهو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف، هذا كلامه. ولا يخفى أن مراد النخعي بالسورة هنا القطعة من القرآن: أي أول آيات أنزلت، فلا ينافي ما تقدم من رواية عمرو بن شرحبيل مما يدل على أن أول سورة أنزلت فاتحة الكتاب، لأن المراد أول سورة كاملة نزلت لا في شأن الإنذار، فلا ينافي ما تقدم من رواية جابر مما يقتضي أن أول ما نزل (يا أيها المدثر) سورة المدثر الآية ١؛ لأن المراد بذلك أول سورة كاملة نزلت في شأن الإنذار بعد فترة الوحي: أي فإنها نزلت قبل تمام نزول سورة اقرأ، وهذا الجمع تقدم الوعد به، أي لكن يشكل عليه ما في الكشف عن رسول الله ﷺ «ما نزل علي القرآن إلا آية آية وحرفا حرفا، ما خلا سورة براءة- وقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ (الإخلاص: الآية ١) فإنها أنزلتا علي ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة» فإن هذا



السياق يدل على أنه لم ينزل عليه ﷺ سورة كاملة إلا براءة وقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ. ويخالفه ما في «الإتقان» أن مما نزل جملة سورة الفاتحة وسورة الكوثر، وسورة تبت، وسورة لم يكن، وسورة النصر والمرسلات والأنعام. لكن ذكر ابن الصلاح أن هذا روي بسند فيه ضعف قال: ولم أر له إسنادا صحيحا. وقد روي ما يخالفه، ولم يذكر في «الإتقان» مما نزل جملة سورة براءة، وذكر أن المعوذتين نزلتا دفعة واحدة. وحينئذ يكون المراد بقوله ﷺ: «إلا آية آية وحرفا حرفا» أي كلمة، والمراد بها ما قابل السورة، وإلا فقد أنزل عليه ثلاث آيات وأربع آيات وعشر آيات كما أنزل عليه آية وبعض آية. فقد صح نزول غير أولي الضرر (النساء: الآية ٩٥) منفردة وهي بعض آية. وفي الإتقان عن جابر بن زيد قال: «أول ما أنزل الله تعالى من القرآن بمكة (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) سورة العلق الآية ١، ثم (ن وَالْقَلَمِ) سورة القلم الآية ١، ثم (يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ) المزمّل: الآية ١، ثم (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) المدثر: الآية ١، ثم الفاتحة (٨٣)، إلى آخر ما ذكر. ثم قال: قلت هذا السياق غريب، وفي هذا الترتيب نظر، وجابر بن زيد من علماء التابعين، هذا كلامه. وذكر بعض المفسرين أن سورة (والتين) أول ما نزل من القرآن، والله أعلم. وما تقدم من نزول (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) (المدثر: الآية ١) كان في شأن الإنذار بعد فترة الوحي، لأنه كان بعد نزول الملك جبريل عليه السلام عليه باقراً باسم ربك (العلق: الآية ١)، مكث مدة لا يرى الملك جبريل عليه السلام. أي وإنما كان كذلك ليذهب ما كان يجده من الرعب، وليحصل له التشوف إلى العود، ومن ثم حزن لذلك حزنا شديدا حتى غدا مرارا كي يتردى من رؤوس شواهد الجبال، فكلما وافى بذروة كي يلقي نفسه منها تبدى له الملك جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد إنك رسول الله حقا، فيسكن لذلك جأشه: أي قلبه وتقرّ نفسه ويرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا وافى ذروة جبل تبدى له مثل ذلك. قال: وفي رواية «أنه لما فتر الوحي عنه ﷺ حزن حزنا شديدا حتى كان يغدو إلى ثبير مرة وإلى حراء مرة أخرى يريد أن يلقي نفسه منه، فكلما وافى ذروة جبل منها كي يلقي نفسه تبدى له



الملك جبريل عليه السلام فقال: يا محمد أنت رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه وتقر عينه ويرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي عاد لمثل ذلك، وكانت تلك المدة أربعين يوماً، وقيل خمسة عشر يوماً، وقيل اثني عشر يوماً، وقيل ثلاثة أيام. قال بعضهم وهو الأشبه بحاله عند الله تعالى انتهى. أقول: ويبعد هذا الأشبه قوله فإذا طالت عليه فترة الوحي، والله أعلم. وفي الأصل وهذه الفترة لم يذكر لها ابن إسحق مدة معينة. أقول: في فتح الباري أن ابن إسحق جزم بأنها ثلاث سنين، والله أعلم. قال أبو القاسم السهيلي: وقد جاء في بعض الأحاديث المسندة أن مدة هذه الفترة كانت ستين ونصف سنة: أي وفي كلام الحافظ ابن حجر: وهذا الذي اعتمده السهيلي لا يثبت. وقد عارضه ما جاء عن ابن عباس أن مدة الفترة كانت أياماً أي وأقلها ثلاثة: أي وتقدم ما فيه. قال بعض الحفاظ: والظاهر - والله أعلم - أنها أي مدة الفترة كانت بين اقرأ ويا أيها المدثر [المدثر: الآية ١] هي المدة التي اقترن معه فيها الملك إسرأفيل عليه السلام كما قال الشعبي انتهى. أقول: ويوافق ذلك ما في الاستيعاب لابن عبد البر أن الشعبي قال: أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين، وقرن بنبوته الملك إسرأفيل عليه السلام ثلاث سنين وقد تقدم ذلك» (٨٤).

المصدر الثالث والعشرون:

سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، المؤلف: محمد بن يوسف الصالحى الشامى (المتوفى: ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م. محمد بن يوسف الصالحى الشامى (المتوفى: ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م) هو مؤرخ من مؤرخي القرن العاشر الهجري، وقد أتاح له تأخره النسبي الاطلاع على كتب التواريخ والسير، منذ عصر التدوين حتى زمانه، فألف موسوعة ضخمة في السيرة النبوية أطلق عليها «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد».



نصّ رواية الصالحى الشامى

الباب الثالث فى وفاة عبد الله بن عبد المطلب عليه السلام

«قال ابن إسحاق: ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب أن توفي وأم رسول الله ﷺ حامل به. هذا ما جزم به ابن إسحاق ورجحه الواقدي وابن سعد والبلاذري، وصححه الذهبي، وقال ابن كثير: إنه المشهور. وقال ابن الجوزي: إنه الذي عليه معظم أهل السير، ورواه الحاكم وصححه، وأقره الذهبي عن قيس بن مخزومة. قال غير ابن إسحاق: وذلك حين تمّ لها شهران. وقيل إن رسول الله ﷺ كان في المهد حين توفي أبوه. وعليه فقليل وله شهران. وقيل ثمانية وعشرون شهراً. وقيل تسعة أشهر، ونقل السهيلي عن الدّولابيّ أنه قول الأكثرين قلت: والحق أنه قول كثيرين لا أكثرين. وروى ابن سعد عن محمد بن كعب، وعن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة قالاً: خرج عبد الله إلى الشام إلى غزة في غير من عيرات قريش يحملون تجارات، ففرغوا من تجارتهم، ثم انصرفوا فمروا بالمدينة وعبد الله يومئذ مريض، فقال: أتخلف عند أخوالي بني عدي بن النجار. فأقام عندهم مريضاً شهراً ومضى أصحابه فقدموا مكة فسألهم عبد المطلب عن ابنه فقالوا: خلفناه عند أخواله بني عدي بن النجار مريضاً، فبعث عبد المطلب أكبر ولده الحارث فوجده قد توفي ودفن في دار النابغة فرجع فأخبره فوجد عليه عبد المطلب وعماته، وإخوته وأخواته وجداً شديداً. نقل أبو حيان في بحره وغيره عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: إنما يتم رسول الله ﷺ لثلاث يكون عليه حقّ لمخلوق».

الباب الرابع: فى تاريخ مولده عليه السلام ومكانه

وفيه فصلان: الأول: فى بيان يومه، وشهره، وعامه. الصواب: أنه ﷺ ولد يوم الاثنين. روى الإمام أحمد ومسلم وأبو داود عن أبي قتادة إن رسول الله ﷺ سئل عن يوم الاثنين فقال: «ذاك يوم ولدت فيه. أو قال أنزل علي فيه» ^(٨٥).

وروى يعقوب بن سفيان عن ابن عباس قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين



واستنبى يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين. وفي بعض الطرق عند ابن عساكر: وأنزلت سورة المائدة يوم الاثنين: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ)، وكانت وقعة بدر يوم الاثنين. قال ابن عساكر: المحفوظ أن وقعة بدر ونزول: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) يوم الجمعة.

وروى الزبير بن بكار وابن عساكر عن معروف بن خربوذ قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين حين طلع الفجر. وقال الحافظ أبو الفضل العراقي في المورد: الصواب أنه ﷺ ولد في النهار، وهو الذي ذكره أهل السير. وحديث أبي قتادة مصرح به. وروى الأربعة عن سعيد بن المسيب قال: ولد رسول الله ﷺ عند إبهار النهار، وجزم به ابن دحية، وصححه الزركشي في شرح البردة، ولبعضهم في ذلك:

يا ساعة فتح الهدى أرفادها ... لطفاً وقد منح الجزا إسعادها
لاحت بشهر ربيع الزاكي الذي ... فاق الشهور جلاله إذ سادها
حيث النبوة أشرقت بمآثر ... كالشهب لا يحصى الورى تعدادها
حيث الأمانة والرّسالة قد بدت ... يعلي لمكة غورها ونجادها

قال ابن دحية: وأما ما روي من تدلّي النجوم فضعيف، لاقتضائه أن الولادة كانت ليلاً^(٨٦). قال الزركشي: وهذا لا يصلح أن يكون تعليلاً فإن زمان النبوة صالح للخوارق، ويجوز أن تسقط النجوم نهاراً.

شعر:

يا ساعةً لننا السّعادة والهنا ... فيها بخير العالمين محمّد
تمّت لنا أفراحها بظهوره ... وتكمّلت في شهر مولد أحمد
فيا طيب أوقاتٍ ويا طيب مولدٍ ... ويا طيب مولودٍ حوى سائر المجد^(٨٧)

قال ابن كثير والحافظ وغيرهما: ثم إن الجمهور على أن ذلك كان في شهر ربيع الأول. قال السهيلي: وهو المعروف. ونقل بعضهم فيه الإجماع.



يقول لنا لسان الحال منه ... وقول الحق يعذب للسَّميع

فوجهي والزَّمان وشهر وضعي ... ربيعٌ في ربيع في ربيع

قال بعض أهل المعاني: كان مولده ﷺ في فصل الربيع وهو أعدل الفصول ليله ونهاره معتدلان بين الحر والبرد، ونسيمه معتدل بين اليبوسة والرطوبة وشمسه معتدلة في العلوّ والهبوط، وقمره معتدل في أول درجة من الليالي البيض، وينعقد في سلك هذا النظام، ما هيأ الله تعالى له ﷺ من أسماء مربّيه ففي الوالدة والقابلة الأيمن والشفاء وفي اسم الحاضنة البركة والنماء، وفي مرضعيه ﷺ الآتي ذكرهما الثواب والحلم والسَّعد. قال ابن إسحاق: لاثنتي عشرة ليلة [خلت] منه ورواه ابن أبي شيبه في المصنف عن جابر وابن عباس. قال في الغرر: وهو الذي عمل العمل. وقيل لليلتين خلتا منه وقدمه في الإشارة، وقيل لثمان. ونقل أبو عمر عن أصحاب الزَّيج أنهم صححوه ورجحه ابن دحية. وقال الحافظ: إنه مقتضى أكثر الأخبار. وقيل: لعشر. حكاه الديماطي عن أبي جعفر الباقر وصححه. وقيل: لسبع عشرة. وقيل لثماني عشرة، وقيل: في أوله حين طلع الفجر. قال ابن إسحاق: عام الفيل. قال ابن كثير: وهو المشهور عند الجمهور. وقال إبراهيم بن المنذر الحزامي شيخ البخاري: وهو الذي لا يشك فيه أحد من العلماء^(٨٨). وبالع خليفه بن خياط وابن الجزّار وابن دحية وابن الجوزي وابن القيم فنقلوا فيه الإجماع. وروى البيهقي والحاكم في المستدرک وصححه وأقره الذهبي في مختصره، وصحّحه في تاريخه الكبير عن يحيى بن معين، عن حجاج بن محمد، عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الفيل. قال الحافظ في شرح الدرر: والمحفوظ لفظ العام. وقيل: يطلق اليوم ويراد به مطلق الوقت، كما يقال يوم الفتح، ويوم بدر، فإن كان المراد حقيقة اليوم فيكون أخص من الأول وبذلك صرح ابن حبان في تاريخه فإنه قال: ولد عام الفيل في اليوم الذي بعث الله فيه الطير الأبائيل على أصحاب الفيل. قال: ثم وجدت الحديث عن ابن مسعود عن يحيى بن معين بسنده



المذكور قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الفيل يعني عام الفيل. وروى ابن إسحاق وأبو نعيم والبيهقي عن المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخزومة عن أبيه عن جده قال: ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل كنا لدين. وسأل عثمان بن عفان قباث بن أشيم الكناني ثم الليثي: يا قباث أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ فقال: رسول الله ﷺ أكبر مني وأنا أسنّ منه ولد رسول الله ﷺ عام الفيل ووقفت بي أُمّي على خذق الفيل أخضر محيلاً. مخزومة بفتح الميم وإسكان الخاء المعجمة. ومات على دينه. لدين: قال أبو ذر المشهور فيه: لدينين بالتاء يقال فلان لدة فلان إذا ولد معه في وقت واحد. وعلى هذا فقل بعد الفيل بخمسين يوماً. قال ابن كثير: وهو أشهر. وصححه المسعودي والسهيلي^(٨٩). وزاد أنه الأشهر والأكثر وقيل بزيادة خمس. وذكر أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي أن قدوم أصحاب الفيل مكة لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم. وقد قال ذلك غيره. وزاد يوم الأحد. وكان أول المحرم تلك السنة يوم الجمعة. وروى ابن سعد وابن عساكر عن أبي جعفر الباقر قال: كان قدوم أصحاب الفيل في النصف من المحرم ومولد رسول الله ﷺ بعده بخمس وخمسين ليلة. صحح الحافظ الدميّاطي هذا القول. وقيل بأربعين يوماً. وقيل بشهر وستة أيام. وقيل بعشر سنين. وقيل بثلاثين عاماً. وقيل بأربعين عاماً. وقيل بسبعين عاماً. وقيل لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة أصحاب الفيل. وقيل في صفر. وقيل في ربيع الآخر. وقيل في المحرم لخمس بقين منه. وقيل في عاشوراء قال السهيلي: أهل الحساب يقولون وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان، وكان لعشرين مضت منه. وقال الذهبي في تاريخ الإسلام: نظرت في أن يكون ﷺ ولد في ربيع وأن يكون ذلك في العشرين من نيسان فرأيتُه بعيداً من الحساب يستحيل أن يكون مولده في نيسان إلا أن يكون مولده في شهر رمضان. وقال الإمام أبو الحسن الماوردي: وافق شهر ربيع من شهور الروم العشرين من شباط. ويقال: شباط بالإعجام والإهمال^(٩٠).



قال الدمياطي: في برج الحمل. قال في النور: وهذا يحتمل أن يكون في أوائل نيسان وأن يكون في آذار. ثم قال السهيلي. وولد بالغفر من المنازل وهو مولد النبيين، ولذا قيل: خير منزلتين كانت في الأبد... هو ما بين الزباني والأسد

لأن الغفر يليه من العقرب زبانيها، ولا ضرر في الزبانيين إنما تضر العقرب بذنبها، ويليه من الأسد أليته وهو السماك والأسد لا يضر بأليته وإنما يضر بمخلبه ونابه. وقال ابن دحية: أظن السهيلي نسي السنبله وظن أن السماك من الأسد. قال أبو عبد الله بن الحاج في المدخل: فإن قال قائل: ما الحكمة في كونه ﷺ خص مولده بشهر ربيع ويوم الاثنين على الصحيح المشهور عند أكثر العلماء، ولم يكن في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وفيه ليلة القدر، واختص بفضائل عدة، ولا في الأشهر الحرم التي جعل الله لها الحرمة يوم خلق السموات والأرض، ولا في ليلة النصف من شعبان، ولا في يوم الجمعة ولا في ليلتها؟ فالجواب من أربعة أوجه:

الأول: ما ورد في الحديث من أن الله تعالى خلق الشجر يوم الاثنين. وفي ذلك تنبيه عظيم وهو أن خلق الأقوات والأرزاق والفواكه والخيرات التي يمتد بها بنو آدم ويحيون ويتداونون وتنشر صدورهم لرؤيتها وتطيب بها نفوسهم وتسكن خواطرهم عند رؤيتها لاطمئنان نفوسهم لتحصيل ما يبقي حياتهم، على ما جرت به حكمة الحكيم سبحانه وتعالى. فوجوده ﷺ في هذا الشهر في هذا اليوم قوة عين بسبب ما وجد من الخير العظيم والبركة الشاملة لأمة محمد ﷺ^(٩١).

الوجه الثاني: أن ظهوره ﷺ في شهر ربيع فيه إشارة ظاهرة لمن تفتن لها بالنسبة إلى اشتقاق لفظة ربيع؛ إذ إن فيه تفاؤلاً حسناً وبشارةً لأُمَّته ﷺ. وقد قال الشيخ الإمام أبو عبد الرحمن الصَّقلي: لكل إنسان من اسمه نصيب. هذا في الأشخاص وكذلك في غيرها، وإذا كان كذلك ففصل الربيع فيه تنشق الأرض عما في باطنها من نعم المولى سبحانه وتعالى وأرزاقه التي بها قوام العباد وحياتهم ومعاشهم وصلاح أحوالهم، فتتفلق الحبة

والنوى وأنواع النبات والأقوات المقدرة فيها، فتبهج الناظر عند رؤيتها وتبشّره بلسان حالها بقدوم ينعمها. وفي ذلك إشارة عظيمة إلى الاستبشار بابتداء نعم المولى سبحانه وتعالى، ألا ترى أنك إذا دخلت إلى البستان في مثل هذه الأيام تنظر إليه كأنه يضحك لك، وتجد زهره كأن لسان حاله يخبرك بما لك من الأرزاق المدخرة والفواكه. وكذلك الأرض إذا أبهج نوارها كأنه يحدثك بلسان حاله كذلك أيضاً. فمولده ﷺ في شهر ربيع فيه من الإشارات ما تقدّم ذكر بعضه. وذلك إشارة ظاهرة من المولى تبارك وتعالى إلى التنويه بعظيم قدر هذا النبي الكريم ﷺ، وإنه رحمة للعالمين، وبشرى للمؤمنين. وحماية لهم من المهالك والمخاوف في الدارين وحماية للكافرين بتأخير العذاب عنهم لأجله ﷺ. قال الله تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) فوقعت البركات وإدرار الأرزاق والأقوات. ومن أعظمها منته على عباده لهدايته عليه الصلاة والسلام لهم إلى صراط الله المستقيم^(٩٢).

الوجه الثالث: ما في شريعته ﷺ من شبه الحال، ألا ترى أن فصل الربيع أعدل الفصول وأحسنها إذ ليس فيه برد مزعج ولا حرّ مقلق، وليس في ليله ولا نهاره طول خارق، بل كله معتدل وفصله سالم من العلل والأمراض والعوارض التي يتوقعها الناس في أبدانهم في زمان الخريف، بل الناس فيه تنتعش قواهم وتنصلح أمزجتهم وتنشرح صدورهم لأن الأبدان يدركها فيه من أمداد القوة ما يدرك النبات حين خروجه، إذ منها خلقوا، فيطيب ليلهم للقيام ونهارهم للصيام، لما تقدم من اعتداله في الطول والقصر والحر والبرد، فكان في ذلك شبه الحال بالشرعية السمحة التي جاء بها صلوات الله وسلامه عليه من رفع الإصر والأغلال التي كانت على من قبلنا.

الوجه الرابع: أنه قد شاء الحكيم سبحانه وتعالى أنه ﷺ تشرف به الأزمنة والأمكنة لا هو يتشرف بها، بل يحصل للزمان أو المكان الذي يباشره عليه الصلاة والسلام الفضيلة العظمى والمزية على ما سواه من جنسه إلا ما استثنى من ذلك لأجل زيادة



الأعمال فيها وغير ذلك، فلو ولد ﷺ في الأوقات المتقدم ذكرها لكان قد يتوهم أنه يتشرف بها فجعل الحكيم جل جلاله مولده ﷺ في غيرها ليظهر عظيم عنايته سبحانه وتعالى وكرامته عليه (٩٣).

الفصل الثاني: في مكانه:

اختلف: هل ولد بمكة أو غيرها؟ والصحيح الذي عليه الجمهور هو الأول. وعليه اختلف في مكانه من مكة على أقوال: أحدها: في الدار التي في الزقاق المعروف بزقاق المولد في شعب مشهور بشعب بني هاشم. وكانت بيد عقيل. قال ابن الأثير: قيل إن رسول الله ﷺ وهبها عقيل بن أبي طالب فلم تزل بيده حتى توفي عنها فباعها ولده من محمد بن يوسف أخي الحجاج، وقيل إن عقيلاً باعها بعد الهجرة تبعاً لقريش حين باعوا دور المهاجرين.

الثاني: أنه ﷺ ولد في شعب بني هاشم. حكاه الزبير. الثالث: أنه ولد ﷺ بالرّدم. الرابع: بعسفان (٩٤).

الباب الخامس في قدر عمر النبي ﷺ

وقت بعثته وتاريخها

قال الإمام النووي في شرح مسلم: الصواب أنه ﷺ بعث على رأس الأربعين سنة، هذا هو المشهور الذي أطبق عليه العلماء. وقال السهيلي: إنه الصحيح عند أهل السير والعلم بالأثر. وحكى القاضي عن ابن عباس وسعيد بن المسيب رواية شاذة أنه بعث على رأس ثلاث وأربعين سنة والصواب الأول. وقال شيخ الإسلام البلقيني: كان سنّ رسول الله ﷺ حين جاءه الملك جبريل عليه السلام في غار حراء أربعين سنة على المشهور. وقيل ويوما. وقيل عشرة أيام. وقيل وشهرين وقيل وستين وقيل وثلاث. وقيل وخمس. قال: وكان ذلك يوم الاثنين نهارا. واختلف في الشهر. فقيل شهر رمضان في سابع عشره وقيل سابعه. وقيل رابع عشره. وقال الحافظ: وشهر رمضان هو الراجح لما سيأتي



من أنه الشهر الذي جاور فيه في حراء فجاءه الملك. وعلى هذا يكون سنة حيثئذ أربعين سنة وستة أشهر. وقيل في سابع عشر شهر رجب. وقيل في أول شهر ربيع الأول. وقيل في ثامنه.

وعند أبي داود الطيالسي ما يقتضي أن مجيء الملك جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ في حراء كان في آخر شهر رمضان. قال الحافظ: ولعله الراجح. وروى الإمام أحمد والشيخان عن ابن عباس قال: أنزل على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة ^(٩٥).
تنبيهات:

الأول: قال العلامة ابن القيم في زاد المعاد: بعثه الله تعالى على رأس الأربعين وهي سن الكمال. قيل: ولها تبعث الرسل. وأما ما يذكر عن المسيح أنه رفع إلى السماء وله ثلاث وثلاثون فهذا لا يعرف به أثر متصل يجب المصير إليه والأمر كما قال: فإن ذلك يروى عن وهب بن منبه قال: إن النصارى تزعم. فذكر الحديث إلى أن قال: وإنه رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة رواه الحاكم. وفي سنده عبد المنعم بن إدريس كذبوه، ولو صح سنده فإنه عن النصارى كما ترى. وعن الحسن رواه ابن عساكر من طريق إسحاق بن بشر وهو كذاب يضع، لكنه قال ابن أربع وثلاثين. ورواه الحاكم عن سعيد بن المسيب وفي سنده علي بن زيد وهو ضعيف. ويأتي في الوفاة النبوية أحاديث صحيحة تدل على أنه رفع وهو ابن مائة وعشرين سنة.

الثاني: قال ابن الجوزي: حديث «ما من نبي نبي إلا بعد الأربعين». لأن عيسى عليه الصلاة والسلام نبي ورفعه إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فاشترط الأربعين في حق الأنبياء ليس بشيء. وما ذكره في قدر عمر عيسى لما رفع يرده ما سبق عن ابن القيم وسيأتي في أبواب الوفاة حديث عائشة إن رسول الله ﷺ قال في مرضه الذي توفي فيه للسيدة فاطمة عليها السلام إن جبريل كان يعارضني القرآن في كل عام مرة، وإنه عارضني بالقرآن العام مرتين وأخبرني أنه لم يكن نبي إلا عاش نصف عمر الذي كان



قبله وأخبرني أن عيسى ابن مريم عاش عشرين ومائة سنة ولا أراني إلا ذاهبا على رأس الستين. رواه الطبراني ورجاله ثقات وله طرق تأتي في الوفاة. والمشهور عند الجمهور كما قال الحافظان ابن كثير وابن حجر أنه ﷺ بعث في شهر رمضان. وصححه الإمام علاء الدين علي بن محمد الخازن. زاد الحافظ: لما تقدم أنه الشهر الذي جاء فيه إلى حراء فجاءه الملك. وعكس ابن القيم فقال في زاد المعاد: قيل إنه بعث لثمان مضي من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل. وهذا قول الأكثرين. ثم حكى أنه كان في شهر رمضان. وجمع بعضهم بين القولين بأنه ﷺ نبى بالرؤيا في شهر مولده ثم كانت مدتها ستة أشهر ثم أوحى إليه في اليقظة. ولهذا مزيد بيان في التنبيه السابع من الباب الثامن. وكان ذلك يوم الاثنين. وروى مسلم عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين فقال: «ذاك يوم ولد فيه وفيه بعثت أو قال أنزل عليّ فيه»، وروى محمد بن عمر الأسلمي، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: كان ابتداء الوحي إلى رسول الله ﷺ يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان. وروى الإمام أحمد وابن جرير والطبراني والبيهقي في الشعب عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان وأنزلت التوراة لست مضي من شهر رمضان وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من شهر رمضان، وأنزل الله القرآن لأربع وعشرين خلت من شهر رمضان» (٩٦).



الباب السادس: في ابتدائه ﷺ بالرؤيا الصادقة

وسلام الحجر والشجر عليه، زاده الله فضلاً وشرفاً لديه

«قالت عائشة: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. رواه البخاري. وروى أبو نعيم عن علي بن الحسين وعن آبائه عليهم السلام قال: إن أول ما أتى رسول الله ﷺ الرؤيا الصالحة، فكان لا يرى شيئاً في المنام إلا كان كما رأى. وروى أيضاً عن علقمة بن قيس قال: أن أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحي. وروى أيضاً البيهقي عن الزهري قال: بلغنا أن أول ما رأى رسول الله ﷺ أن الله تعالى أراه رؤيا فشق ذلك عليه فذكرها للسيدة خديجة عليها السلام فقالت أبشر فإن الله لن يصنع بك إلا خيراً. وروى ابن سعد عن برة بنت أبي تجرة - بكسر الفوقانية وسكون الجيم - قالت: إن رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يرى بيتاً ويفضي إلى الشعاب وبطون الأودية فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله. وكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً. وروى الإمام أحمد ومسلم عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجراً كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن». وقال عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان العلاء بن جارية - بجيم وراء - الثقفي، وكان واعية، عن بعض أهل العلم، أن رسول الله ﷺ حين أراد الله تعالى كرامته وابتدأه بالنبوة كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى تحسر عنه البيوت ويفضي إلى شعاب مكة وأوديتها فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله. فيلتفت رسول الله ﷺ خلفه وعن يمينه وعن شماله فلا يرى إلا الشجر وما حوله من الحجارة وهي تحييه بتحية النبوة: السلام عليك يا رسول الله. رواه ابن إسحاق.

وروى ابن سعد عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: يا خديجة إني أرى ضوءاً وأسمع صوتاً لقد خشيت أن أكون كاهناً. قالت: إن الله تعالى لا يفعل ذلك



بك إنك تصدق الحديث وتؤدي الأمانة وتصل الرحم. وروى ابن الجوزي عن ابن عباس قال: أقام رسول الله ﷺ بمكة خمس عشرة سنة: سبعا يرى الضوء والنور ويسمع الصوت، وثمانى سنين يوحى إليه. وقال الخازن: وهذا إن صح فيحمل على سنتين قبل النبوة فيما كان رسول الله ﷺ يراه من تباشير النبوة، وثلاث سنين بعد النبوة قبل إظهار الدعوة وعشر سنين معلنا بالدعوة بمكة» (٩٧).

تنبيهان:

الأول: قال السهيلي: إن هذا الحجر الذي كان يسلم على النبي ﷺ هو الحجر الأسود. وهذا التسليم الأظهر فيه أن يكون حقيقة ويكون الله تعالى أنطقه إنطاقاً، كما خلق الحنين في الجذع. ولهذا مزيد بيان في المعجزات.

الثاني: قال القاضي وغيره: وإنما ابتدئ رسول الله ﷺ بالرؤيا لئلا يفجأه الملك ويأتيه بصريح النبوة بغتة فلا تحملها القوى البشرية، فبدئ بأوائل خصال النبوة وتباشير الكرامة ومن صدق الرؤيا وما جاء في الحديث الآخر من رؤية الضوء وسماع الصوت وتسليم الحجر والشجر عليه بالنبوة حتى استشعر عظيم ما يراد به واستعد لما ينتظره فلم يأتيه الملك إلا بأمر عنده مقدماته. والله أعلم (٩٩).

الباب السابع فيما ذكر أن الملك إسرَافيل عليه السلام قرن به قبل الملك جبريل عليه السلام

«روى الإمام أحمد في تاريخه بسند صحيح عن عامر الشعبي قال: إن رسول الله ﷺ نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرَافيل عليه السلام ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشيء، ولم ينزل القرآن على لسانه، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته الملك جبريل عليه السلام، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة، عشر بمكة وعشر بالمدينة، فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة. وهذا يقتضي أن الملك إسرَافيل عليه السلام قرن معه بعد الأربعين ثلاث سنين، ثم جاءه الملك جبريل عليه السلام. قال الإمام أبو شامة: وحديث عائشة - أي الآتي في الباب بعده - لا ينافي هذا فإنه يجوز أن يكون أول أمره الرؤيا، ثم وكل به الملك



إِسْرَافِيلُ عليه السلام في تلك المدة التي كان يخلو فيها بحراء فكان يلقي إليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه تدريجاً وتمريناً، إلى أن جاءه الملك جِبْرِيلُ عليه السلام فعلمه بعد ما غطه ثلاث مرات. فحكّت عائشة ما جرى له مع الملك جِبْرِيلُ عليه السلام ولم تحك ما جرى له مع الملك إِسْرَافِيلُ عليه السلام اختصاراً للحديث، أو لم تكن وقفت على قصة إِسْرَافِيلُ عليه السلام. وذكر بعض العلماء في حكمة مجيء الملك إِسْرَافِيلُ عليه السلام إليه أنه الموكل بالنفخ في الصور، والنبي صلى الله عليه وآله بعث قرب الساعة وكانت بعثته من أشراطها، فبعث الملك إِسْرَافِيلُ عليه السلام لهذه المناسبة ولم يبعث إلى نبي قبله. وقد أنكر الواقدي خبر الشعبي وقال: لم يقرن به من الملائكة إلا الملك جِبْرِيلُ عليه السلام. قال الحافظ: ولا يخفى ما فيه، فإن المثبت مقدم على النافي إلا إن صحب النافي دليل نفيه فيقدم. قال الشيخ في فتاويه: قد ورد ما يوهي أثر الشعبي، وهو ما رواه مسلم عن ابن عباس قال: بينا النبي صلى الله عليه وآله جالس وعنده الملك جِبْرِيلُ عليه السلام إذ سمع نقيضاً من السماء من فوق فرفع الملك جِبْرِيلُ عليه السلام بصره إلى السماء فقال: يا محمد هذا ملك قد نزل لم ينزل إلى الأرض قط. قال فأتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفاً منها إلا أوتيته. قال جماعة من العلماء إن هذا الملك إِسْرَافِيلُ عليه السلام. وروى الطبراني والبيهقي في الزهد بسند حسن عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم والملك جِبْرِيلُ عليه السلام على الصفا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبريل والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد سفه دقيق ولا كف من سويق. فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء أفزعته فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أمر الله القيامة أن تقوم؟ فقال: لا ولكن أمر الملك إِسْرَافِيلُ عليه السلام فنزل إليك حتى يسمع كلامك فاتاه الملك إِسْرَافِيلُ عليه السلام فقال: إن الله تعالى بعثني إليك بمفاتيح خزائن الأرض وأمرني أن أعرض إليك أسير معك جبال تهامة زمرداً وياقوتاً وذهباً وفضة. فقلت: فإن شئت نبياً ملكاً وإن شئت نبياً عبداً؟ فأوماً إليه جبريل عليه السلام: أن تواضع. فقال بل نبياً عبداً. ثلاثاً. ورواه ابن حبان في صحيحه مختصراً من حديث أبي هريرة ولفظه: جلس رسول الله صلى الله عليه وآله فنظر



إلى السماء فإذا ملك ينزل فقال له جبريل: هذا الملك ما نزل منذ خلق قبل الساعة. وذكر الحديث. فظهر أن المعتمد ما مشى عليه الواقدي» (١٠٠).

الباب الثامن في كيفية بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ

”قد ورد ذلك من حديث: السيدة خديجة رضي الله عنها. رواه البيهقي. وعائشة. رواه الشيخان. وعبيد بن عمير الليثي. رواه ابن إسحاق. وابن الجوزي في الوفا. وسعيد بن المسيب. رواه موسى بن عقبة. وسليمان بن طرخان التيمي. رواه أبو نعيم وابن عساكر وعمرو بن شرحبيل. رواه البيهقي وأبو نعيم. وابن شهاب. رواه أبو نعيم والبيهقي. وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم رواه الدولابي: أن أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة - وفي رواية: الصادقة - في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، فرأى وهو بمكة أن آتياً أتاه ومعه صاحبان له فنظروا إليه فقالوا: هو هو ولم يأن له بعد. فهاله ذلك وذكره لعمه فقال: يا بن أخي ليس بشيء، حلمت. ثم رجع إليه بعد ذلك فقال: يا عم سطا بي الرجل الذي ذكرت لك فأدخل يده في جوفي حتى أجد بردها. فخرج به عمه إلى رجل من أهل الكتاب يتطيب بمكة فحدثه حديثه وقال عاجله فصوب به وصعد وكشف عن قدميه ونظر بين كتفيه وقال: يا عبد مناف ابنك هذا طيب طيب، للخير فيه علامات، إن ظفرت به يهود قتلته، وليس الرئي من الشيطان ولكنه من النواميس الذين يتحسسون القلوب للنبوة. فرجع به. ثم رأى في منامه أن سقف بيته نزعت منه خشبة وأدخل فيه سلم من فضة ثم نزل إليه رجلان، فأراد أن يستغيث فمنع الكلام فقعد أحدهما إليه والآخر إلى جنبه، فأدخل أحدهما يده في جنبه فنزع ضلعين منه، فأدخل يده في جوفه ورسول الله ﷺ يجد بردها فأخرج قلبه فوضعه على كفه فقال لصاحبه: نعم القلب قلب رجل صالح. فظهر قلبه وغسله ثم أدخل القلب مكانه ورد الضلعين، ثم ارتفعا ورفعاه سلمهما فإذا السقف كما هو، فذكر للسيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقالت له: أبشر فإن الله لا يصنع بك إلا خيراً



هذا خير فأبشر. وفي حديث عبيد بن عمير أنه عليه السلام رأى في منامه أيضاً الملك جبريل عليه السلام ومعه نمط من ديباج فيه كتاب فقال له اقرأ. فقال له: ما اقرأ. فغته به حتى ظن رسول الله عليه السلام أنه الموت، ثم أرسله فقال: اقرأ. قال: ما اقرأ. فغته به حتى ظن رسول الله عليه السلام أنه الموت، ثم أرسله فقال له اقرأ. قال: ماذا اقرأ - ما قال ذلك إلا افتداء منه أن يعود إليه بمثل ما صنع - قال: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) [العلق: ١ - ٥] فقرأها رسول الله عليه السلام ثم انتهى فانصرف الملك جبريل عليه السلام وهب رسول الله عليه السلام من نومه، قال: فكأنها كتب في قلبي كتاباً، فذكر ذلك للسيدة خديجة عليها السلام فقالت: أبشر فإن الله (عز وجل) لا يصنع بك إلا خيراً. ثم حُبب إليه الخلاء فكان يخلو شهر رمضان بغار حراء - وفي لفظ يلحق - ومعه أهله فيتحنث - وفي لفظ: فيتحنف - فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع - وفي لفظ: يرجع - إلى أهله ويتزود لذلك ويطعم من جاءه من المساكين، فإذا رجع من جواره كان أول ما يبدأ به إذا انصرف قبل أن يدخل بيته الكعبة، فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله، ثم يرجع إلى بيته فيتزود لمثلها. فقال للسيدة خديجة عليها السلام يوماً: «لما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً فنظرت عن شمالي فلم أر شيئاً فرفعت رأسي فرأيت شيئاً بين السماء والأرض فقلت: دثروني دثروني وصبوا علي ماء بارداً». وفي رواية أبي الأسود عن عروة عن عائشة قالت: كان أول شأنه يرى في المنام، وكان أول ما رأى الملك جبريل عليه السلام بأجياذ وصرخ الملك جبريل عليه السلام: يا محمد أنا جبريل. فنظر يميناً وشمالاً فلم يرى شيئاً فرفع بصره فإذا هو على أفق السماء فقال: يا محمد أنا جبريل. فهرب فدخل في الناس فلم ير شيئاً، ثم خرج عنهم فناداه ثم هرب ثم استعلن الملك جبريل عليه السلام من قبل حراء. وفي رواية: إني إذا خلوت وحدي أرى ضوءاً وأسمع نداء: يا محمد أنا جبريل. وقد والله خشيت أن يكون هذا أمراً. فقالت: معاذ الله ما كان الله ليفعل ذلك بك، إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث.



فلما دخل أبو بكر ذكرت السيدة خديجة عليها السلام حديثه له وقالت: اذهب مع محمد إلى ورقة بن نوفل فإنه رجل يقرأ الكتب فيذكر له ما يسمع. فانطلقا إليه فقصا عليه فقال: إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي: يا محمد أنا جبريل. فأطلق هاربا، فقال ورقة: سبوح سبوح! وما لجبريل عليه السلام يذكر في هذه الأرض التي يعبد فيها الأوثان، جبريل عليه السلام أمين الله تعالى على وحيه بينه وبين رسله، لا تفعل إذا أتاك فائت حتى تسمع ما يقول ثم ائتني فأخبرني. فخرج ذات ليلة فسمع: السلام عليكم قال فظنها فجأة الجن، فجاء مسرعا حتى دخل على السيدة خديجة عليها السلام فقالت: ما شأنك؟ فأخبرها، فقالت: أبشر فإن السلام خير. فخرج مرة أخرى إلى حراء. قال: فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل. فرفعت رأسي إلى السماء أنظر فإذا الملك جبريل عليه السلام في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء فرفعت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك، فما زلت واقفا ما أتقدم أمامي وما أتأخر ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي فبلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك ثم انصرفت راجعا إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست إليها فقالت: يا أبا القاسم أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك فبلغوا مكة ورجعوا إلي. ثم حدثتها بالذي رأيت فقالت: أبشر يا بن عم واثبت، فوالذي نفسي بيده إني أرجو أن تكون نبي هذه الأمة. ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت إلى ورقة فأخبرته بما أخبرها به فقال ورقة: قدوس قدوس! والذي نفسي بيده لئن كنت صدقتيني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي النبي موسى عليه السلام، وإنه لنبي هذه الأمة، فقول لي فليثبت» ^(١٠١).

«فرجعت السيدة خديجة عليها السلام إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول ورقة، فلما قضى رسول الله ﷺ جواره وانصرف صنع كما كان يصنع، بدأ بالكعبة فطاف فلقيه ورقة فقال له: يا بن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت. فأخبره فقال له ورقة: والذي نفسي بيده إنك لنبي

هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء النبي موسى ﷺ ولتكذبنه ولتقاتلنه ولتؤذينه، ولئن أدركت ذلك لأنصرن الله نصرًا يعلمه. ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه. وقالت السيدة خديجة ﷺ لرسول الله ﷺ: يا بن عم أستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي نفسي بيده إذا جاءك؟ قال: نعم. قالت: فإذا جاءك فأخبرني به. فجاءه الملك جبريل ﷺ فقال رسول الله ﷺ: يا خديجة هذا جبريل قد جاءني فقالت: قم يا بن عمي فاجلس على فخذي اليسرى. فقام رسول الله ﷺ فجلس عليها، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم. قالت: فتحول فاقعد على فخذي اليمنى فتحول رسول الله ﷺ فجلس على فخذه اليمنى فقالت: هل تراه؟ قال: نعم. فحسرت فألقت خمارها ورسول الله ﷺ جالس في حجرها ثم قالت: هل تراه؟ قال: لا. قالت يا بن عم اثبت وأبشر فوالله إنه لملك ما هذا شيطان» (١٠٢).

«قال البراء بن عازب: عرض الملك جبريل ﷺ للنبي ﷺ ليلة السبت وليلة الأحد، ثم أتاه بالرسالة ليلة الاثنين ففجأه الحق - وفي لفظ: فجاءه الحق - وهو في غار حراء وفي رواية: فأتاه الملك جبريل والملك ميكائيل ﷺ، فنزل الملك جبريل ﷺ وبقي الملك ميكائيل ﷺ واقفا بين السماء والأرض، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: هو هو. قال: فوزنه برجل. فوزنه به فرجحه رسول الله ﷺ. قال: زنه بعشرة فوزنه فرجحهم. قال: زنه بمائة. فوزنه فرجحهم. قال: زنه بألف. فوزنه فرجحهم. ثم جعلوا يتساقطون عليه من كفة الميزان فقال الملك ميكائيل ﷺ: تبعته أمته ورب الكعبة. ثم أجلس على بساط كهية الدرنوك، فيه الياقوت واللؤلؤ، فقال أحدهما لصاحبه: شق بطنه فشقه فأخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحها فقال أحدهما لصاحبه: اغسل بطنه غسل الإناء واغسل قلبه غسل الملاء. ثم قال أحدهما لصاحبه: خط بطنه. فخاطه. ثم أجلساه فبشره الملك جبريل ﷺ برسالة ربه حتى اطمأن النبي ﷺ فقال له الملك جبريل ﷺ: اقرأ فقال: ما أنا بقارئ. فغطه حتى بلغ منه الجهد، ثم أرسله فقال له اقرأ قال: ما أنا بقارئ. فغطه



حتى بلغ منه الجهد، ثم أرسله فقال له اقرأ قال: ما أنا بقارئ فغطه حتى بلغ منه الجهد. ثم أرسله فقال: اقرأ أوجد القراءة. مبتدئاً باسم ربك الذي خلق الخلائق خلق الإنسان الجنس من علق جمع علقه وهي القطعة اليسيرة من الدم الغليظ وجمعها لأن الإنسان في معنى الجمع اقرأ تأكيد للأول. وربك الأكرم الذي لا يوازيه كريم. الذي علم الخط بالقلم وأول من خط إدريس عليه السلام. ثم أفرد ما هو أشرف وأظهر صنيعاً وتدبيراً وأدل على وجوب العبادة المقصودة من القراءة فقال: علم الإنسان الجنس ما لم يعلم قبل تعليمه من الهدى والكتابة والصناعة وغيرها.

وهذا القدر من هذه السورة هو الذي نزل أولاً بخلاف بقية السورة فإنها نزل بعد ذلك فرجع بها رسول الله ﷺ إلى أهله ترجف بوادره. وفي لفظ: فؤاده. لا يلقاه حجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله. فرجع إلى بيته وهو موقن قد فاز فوزاً عظيماً فدخل على السيدة خديجة عليها السلام فقال: «زملوني زملوني». فزملوه حتى ذهب عنه الروع. قال رأيته الذي كنت أخبرتك أني رأيته في المنام؟ فإنه الملك جبريل عليه السلام استعلن لي أرسله إلي ربي. وأخبرها الخبر. وقال: لقد خشيت على نفسي. فقالت السيدة خديجة عليها السلام: كلا أبشر فو الله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتقري الضيف وتصدق الحديث وتؤدي الأمانة وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق، فاقبل الذي جاءك من الله فإنه حق، وأبشر فإنك رسول الله حقاً. ثم انطلقت حتى أتت غلاماً لعتبة بن ربيعة بن عبد شمس نصرانياً من أهل نينوى يقال له عداس، فقالت له يا عداس أذكرك الله إلا ما أخبرتني هل عندكم علم من جبريل؟ فقال عداس: قدوس قدوس ما شأن جبريل يذكر بهذه الأرض التي أهلها أهل الأوثان. فقالت: أخبرني بعلمك فيه. قال: هو أمين الله بينه وبين النبيين، وهو صاحب النبي موسى والنبي عيسى عليه السلام. فرجعت من عنده فانطلقت برسول الله ﷺ إلى ورقة بن نوفل بن أسد ابن عم السيدة خديجة عليها السلام وكان امرءاً قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي فيكتب من الإنجيل ما شاء



الله أن يكتب، وكان شيخا قد عمي، فقالت له السيدة خديجة (عليها السلام): يا بن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة: يا بن أخي ماذا ترى. فأخبره رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خبر ما رأى فقال له ورقة: أبشر فأنا أشهد أنك الذي بشر به ابن مريم (عليها السلام). هذا الناموس الذي أنزل الله على النبي موسى (عليه السلام). وفي لفظ: وإنك على مثل ناموس النبي موسى (عليه السلام)، وإنك لنبي مرسل وستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا، ولئن أدركني ذلك لأجاهدن معك، يا ليتني فيها جذعا. وفي لفظ جذع. ليتني أكون حياً إذا يخرجك قومك ... فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أو مخرجي هم؟ فقال: نعم. لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي. وفي لفظ: أودي. وفي رواية: لتكذبنه وتؤذينه وتقاتلنه، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي. وقال ورقة في ذلك أشعاراً منها قوله:

يا للرجال وصرف الدهر والقدر ... وما لشيء قضاءه الله من غير
حتى خديجة تدعوني لأخبرها ... أمرا أراه سيأتي الناس من آخر
وخبرتني بأمر قد سمعت به ... فيما مضى من قديم الدهر والعصر
بأن أحمد يأتيه ويخبره ... جبريل أنك مبعوث إلى البشر
فقلت عل الذي ترجين ينجزه ... لك الإله فرجني الخير وانتظري
وأرسله إلينا كي نسأله ... عن أمره ما يرى في النوم والسهر
فقال حين أتانا منطلقا عجا ... يقف منه أعالي الجلد والشعر
إني رأيت أمين الله واجهني ... في صورة أكملت من أعظم الصور
ثم استمر فكاد الخوف يذعرنى ... مما يسلم من حولي من الشجر
فقلت ظني وما أدري أصدقني ... أن سوف تبعث تتلو منزل السور
وسوف أنبيك إن أعلنت دعوتهم ... من الجهاد بلا من ولا كدر



وقوله:

إن يك حقاً يا خديجة فاعلمي ... حديثك إيانا فأحمد مرسل
وجبريل يأتيه وميكال معها ... من الله وحي يشرح الصدر منزل
يفوز به من فاز فيها بتوبة ... ويشقى به الغالي القوي المضلل
فريقان منهم فرقة في جنانه ... وأخرى بأحواز الجحيم تعلل
فسبحان من تهوي الرياح بأمره ... ومن هو في الأيام ما شاء يفعل
ومن عرشه فوق السموات كلها ... وأقضاؤه في خلقه لا تبدل» (١٠٣)

تنبيهات

الأول: في رواية البخاري في التفسير: الرؤيا الصادقة وفي غيره: الصالحة. وهما
بمعنى بالنسبة إلى أمور الآخرة في حق الأنبياء. وأما بالنسبة إلى أمور الدنيا فالصالحة
في الأصل أخص، فرؤيا النبي كلها صادقة، وقد تكون صالحة، وهي الأكثر، وغير
صالحة بالنسبة للدنيا كما وقع في الرؤيا يوم أحد. وأما رؤيا غير الأنبياء فبينهما عموم
وخصوص، إن فسرنا الصادقة بأنها التي لا تحتاج إلى تعبير، وأما إن فسرناها بأنها غير
الأضغاث فالصالحة أخص مطلقاً. قال الإمام نصر بن يعقوب الدينوري في التعبير
القادري: الرؤيا الصادقة ما يقع بعينه أو ما يعبر في المنام أو يخبر به من لا يكذب.
والصالحة ما يسر.

الثاني: قال البيضاوي: شبه ما جاء في اليقظة ووجده في الخارج طبقاً لما رآه في المنام
بالصبح في إنارته ووضوحه، والفلق: الصبح، لكنه لما كان مستعملاً في هذا المعنى وفي
غيره أضيف إليه للتخصيص والبيان إضافة العام إلى الخاص، كقولهم عين الشيء ونفسه.
قال الطيبي: وللفلق شأن عظيم ولذلك جاء وصفاً لله تعالى في قوله: «فالق الإصباح»،
وأمر بالاستعاذة برب الفلق لأنه ينبئ عن انشقاق ظلمة عالم الشهادة وطلوع تبشير
الصبح بظهور سلطان الشمس وإشراقها في الآفاق، كما أن الرؤيا الصالحة مبشرات



تنبئ عن وفود أنوار عالم الغيب وآثار مطالع الهدايات، شبه الرؤيا التي هي جزء يسير من أجزاء النبوة وتنبيه من تنبيهاتها لمشاركي العقول على ثبوت النبوة، لأن النبي إنما سمي نبيا لأنه ينبئ عن الغيب الذي لا تستقل العقول بإدراكه.

وقال ابن أبي جرة: إنما شبهت رؤياه بفلق الصبح دون غيره، لأن شمس النبوة قد كانت الرؤيا مبادئ أنوارها، فما زال ذلك النور يتسع حتى أشرقت الشمس وتم نورها، فمن كان باطنه نوريا كان في التصديق كأبي بكر، ومن كان باطنه مظلمًا كان في التكذيب خفاشا كأبي جهل، وبقية الناس بين هاتين المنزلتين، كل منهم بقدر ما أعطي من النور.

الثالث: قال الخطابي: هذه الأمور التي كان النبي ﷺ قد بدئ بها من صدق الرؤيا وحب العزلة عن الناس والخلوة في غار حراء والتعبد فيه ومواظبته عليه الليالي ذوات العاد إنما هي أسباب ومقدمات أرهصت لنبوته وجعلت مبادئ لظهورها، والخلوة يكون معها فراغ القلب وهي معينة على الفكر ومقطع لدعاوى الشغل، والبشر لا ينفك عن طباعه ولا يترك مألوفه من عاداته إلا بالرياضة البليغة والمعالجة الشديدة، فلفظ الله تعالى بينه محمد ﷺ في بادية أمره فحبب إليه الخلوة وقطعه عن مخالطة البشر، ليتناسى المألوف من عاداتهم ويستمر على هجران ما لا يحمد من أخلاقهم وألزمه شعار التقوى وأقامه في مقام التعبد بين يديه ليخشع قلبه وتلين عريكته لورود الوحي فيجد منه مرادا سهلا ولا يصادفه حزنا وعرا، فجعلت هذه الأسباب مقدمات لما أرصد له من هذا الشأن ليرتاض بها ويستعد لما ندب إليه، ثم جاء التوفيق والتبشير وأخذته بالقوة الإلهية، فجبرت منه النقائص البشرية وجمعت له الفضائل النبوية. وقال غيره: من فوائد خلوة نفسه ما ألهمه الله تعالى قبل ظهور الملك له ومخاطبته لما أراده الله تعالى من صدوفه عن متعبدات قريش وعزوب نفسه الشريفة عن قرب أرجاس الأصنام وتبريه منه وبغضه لها وإقباله على التحنن وهو فعل البر والقرب.



الرابع: قال ابن أبي جمرة: الحكمة في تخصيصه ﷺ التخلي بغار حراء، أن المقيم فيه كان يمكنه رؤية الكعبة فيجتمع لمن يخلو فيه ثلاث عبادات: الخلوة والتعبد والنظر إلى البيت. وقال الحافظ وكانت قريش تفعله كما كانت تصوم عاشوراء وإنما لم ينازعوا النبي ﷺ في غار حراء مع مزيد الفضل فيه على غيره لأن جده عبد المطلب أول من كان يخلو فيه من قريش وكانوا يعظمونه لجلالته وكبر سنه، فتبعه على ذلك من كان يتأله، فكان النبي ﷺ يخلو مكان جده فسلم له ذلك أعمامه لكرامته عليهم (١٠٤).

الخامس: قوله: فرأى بمكة أن آتياً آتاه. الخ قال السهيلي: ليس ذكر النوم حديث عائشة، بل يدل ظاهره على أن نزول الملك جبريل عليه السلام حين نزل بسورة اقرأ قد كان في اليقظة وقد يمكن الجمع بين الحديثن بأن يكون النبي ﷺ جاءه الملك جبريل عليه السلام في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيراً عليه ورفقاً به، لأن أمر النبوة عظيم وعبؤها ثقیل والبشر ضعيف، قال في «الزهر»: والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم هذا شأنهم، فلا حاجة إلى ما ذكره السهيلي بقوله: وقد يمكن الخ، لأن الرواية بذلك لا بأس بسندها. وبسط الكلام على ذلك.

السادس: قال السهيلي: في كون الكتاب في نمط من الديباج إشارة إلى أن هذا الكتاب به يفتح على أمته ملك الأعاجم ويسلبونهم الديباج والحرير الذي كان زيهم وزينتهم وبه ينال أيضاً ملك الآخرة ولباس الجنة وهو الحرير والديباج.

السابع: يؤخذ من قول عائشة: «فجاءه الملك فيه» - كما في كتاب التعبير من الصحيح - أي في الغار، دفع توهم من يظن أن الملك لم يدخل إليه الغار بل كلمه والنبي ﷺ داخل الغار والملك خارجه على الباب. قال الحافظ: وإذا علم أنه كان يجاور في غار حراء شهر رمضان وأن ابتداء الوحي جاءه وهو في الغار المذكور اقتضى ذلك أنه نبي في شهر رمضان. ويعكر على قول ابن إسحاق رأس الأربعين مع قوله: إنه ولد في شهر ربيع. ويمكن أن يكون المجيء في الغار كان أولاً في شهر رمضان وحينئذ نبيء وأنزل عليه:

أَقْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ [العلق ١] ثم كان المجيء الثاني في شهر ربيع الأول بالإنذار وأنزلت عليه: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ [المدثر: ١] فيحمل قول ابن إسحاق: على رأس الأربعين: أي عند المجيء بالرسالة.

الثامن: فإن قيل: لم كرر: «اقرأ» ثلاث مرات؟ أجاب الإمام أبو شامة بأنه يحتمل أن يكون قوله أولاً «ما أنا بقارئ» على الامتناع، وثانياً على الإخبار بالنفي المحض، وثالثاً على الاستفهام. ويؤيده أن في رواية أبي الأسود في مغازيه عن عروة أنه قال: كيف أقرأ. وفي رواية عبيد بن عمير عند ابن إسحاق ماذا أقرأ. وفي مرسل الزهري عند البيهقي كيف أقرأ وكل ذلك يؤكد أنها استفهامية. وقال الحافظ: لعل الحكمة في تكرير «اقرأ» الإشارة إلى انحصار الإيمان الذي ينشأ الوحي بسببه في ثلاث: القول والعمل والنية، وأن الوحي يشتمل على ثلاث: التوحيد والأحكام والقصص (١٠٥).

التاسع: الحكمة في غطّ الملك جبريل عليه السلام له: شغله عن الالتفات لشيء آخر، أو لإظهار الشدة والجد في الأمر تنبيهاً على ثقل القول الذي سيلقى إليه، فلما ظهر أنه صبر على ذلك ألقى إليه، هذا وإن كان في علم الله حاصل لكن المراد إبرازه للظاهر بالنسبة إليه عليه السلام وقيل ليختبر هل يقول من قبل نفسه شيئاً فلما لم يأت بشيء دل على أنه لا يقدر عليه. ونقل الحافظ عن بعض من لقيه أن هذا يعد من خصائصه عليه السلام إذا لم ينقل عن أحد من الأنبياء أنه وقع له عند ابتداء الوحي مثل ذلك. قال البلقيني: وكان الذي حصل للنبي عليه السلام عند تلقي الوحي من الجهد مقدمة لما صار يحصل له من الكرب عند نزول القرآن وبسط الكلام على ذلك، ويأتي بتمامه في باب شدة الوحي.

العاشر: الحكمة في تكرير الغط: المبالغة في التنبيه، ففيه أنه ينبغي للمعلم أن يحتاط في تنبيه المتعلم وأمره بإحضار قلبه. وقيل الإشارة إلى التشديدات الثلاث التي وقعت له، وهي الحصر في الشعب، وخروجه إلى الهجرة، وما وقع له يوم أحد، وفي الإرسالات الثلاث إشارة إلى حصول التيسير له عقب الثلاث، أو في الدنيا، والبرزخ، والآخرة.



الحادي عشر: هذا القدر الذي ذكر من سورة اقرأ هو الذي نزل أولاً بخلاف بقية السورة، فإنما نزل بعد ذلك بزمان. والحكمة في هذه الأولية: أن هذه الآيات الخمس اشتملت على مقاصد القرآن، ففيها براعة الاستهلال وهي جدية أن تسمى عنوان القرآن لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة، في أوله، وهذا بخلاف الفن البديعي المسمى بالعنوان فإنهم عرفوه بأن يأخذ المتكلم في فن فيؤكد به ذكر مثال سابق. وبيان كونها اشتملت على مقاصد القرآن: أنها تنحصر في علم التوحيد والأحكام والأخبار، وقد اشتملت على الأمر بالقراءة والبدء فيها باسم الله، وفي هذا الإشارة إلى الأحكام. وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب وإثبات ذاته وصفاته من صفات ذات وصفات فعل، وفي هذا إشارة إلى أصول الدين، وفيها ما يتعلق بالأخبار من قوله عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ. وقال السهيلي: قيل للنبي ﷺ: اقرأ باسم ربك فإنك لا تقرأ بحولك وقوتك ولا بصفة نفسك ولا بمعرفتك، ولكن اقرأ مفتتحاً قراءتك باسم ربك مستعيناً في جميع أمورك به، فهو يعلمك كما خلقك وكما نزع عنك الدم وعلمك ما لم تكن تعلم من أمور الدين ومصالح العباد وما تنطق به من المغيبات.

الثاني عشر: قال الحافظ: ذكر أكثر الأئمة أن هذا القدر المذكور في القصة من سورة اقرأ أول ما نزل من القرآن. وشذ صاحب الكشف فقال: إن أكثر المفسرين على أن أول سورة نزلت الفاتحة. وهذا وهم بلا شك. وقال في موضع آخر: المحفوظ أن أول ما نزل: اقرأ باسم ربك وأن نزول الفاتحة كان بعد ذلك. وقال النووي: أول ما نزل من القرآن: اقرأ. هذا هو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف وقيل أوله: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ وليس بشيء^(١٠٦).

الثالث عشر: دل قوله: «لقد خشيت على نفسي» مع قوله «ترجف بوادره» وفي لفظ: «فؤاده» على انفعال حصل له من مجيء الملك، ومن ثم قال: «زملوني». والخشية المذكورة تختلف في المراد بها على اثني عشر قولاً: أولاً بالصواب: الموت من شدة

الرعب. وقيل المرض. وقيل دوامه. وقيل تعييرهم إياه. قال القاضي: ليس هذا من معنى الشك فيما آتاه الله، لكنه ﷺ عساه يخشى أن لا يقوى على مقاومة هذا الأمر ولا يقدر على حمل أعباء النبوة فتزهق نفسه أو ينخلع قلبه لشدة ما لقيه أولاً عند لقاء الملك. قال: أو يكون قوله هذا الأول ما رأى التبشير في النوم واليقظة وسمع الصوت قبل لقاء الملك وتحقق رسالة ربه فيكون ما خاف أولاً أن يكون من الشيطان، فأما منذ ما جاءه الملك برسالة ربه فلا يجوز عليه الشك ولا يخشى من تسلط الشيطان عليه. قال: وعلى هذا يحمل كل ما ورد من مثل هذا في حديث البعث. قال النووي: وهذا الاحتمال الثاني ضعيف، لأنه خلاف تصريح الحديث بأن هذا بعد غط الملك وإتيانه (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ).

الرابع عشر: خصّ ورقة النبي موسى ﷺ بالذكر ولم يقل على عيسى، مع كون ورقة نصرانياً، لأن كتاب النبي موسى ﷺ مشتمل على أكثر الأحكام بخلاف عيسى، وكذلك نبينا ﷺ، أو لأن النبي موسى ﷺ بعث بالنقمة على فرعون ومن معه، بخلاف النبي عيسى ﷺ، وكذلك وقعت النقمة على يد النبي ﷺ بفرعون هذه الأمة وهو أبو جهل ومن معه يوم بدر. أو قاله تحقيقاً للرسالة، لأن نزول الملك جبريل ﷺ على النبي موسى ﷺ متفق عليه بين أهل الكتابين بخلاف عيسى، فإن كثيراً من اليهود ينكرون نبوته. قال الحافظ: وأما ما تحل له السهيلي من أن ورقة كان على اعتقاد النصراني في عدم نبوة عيسى ودعواهم أنه أحد الأقانيم فهو محال لا يعرج عليه في حق ورقة وأشباهه من لم يدخل في التبديل ولم يأخذ عمن بدل. على أنه قد ورد عند أبي نعيم في الدلائل بسند حسن عن عروة في هذه القصة أن السيدة خديجة ﷺ أولاً قد أتت ابن عمها ورقة فأخبرته الخبر، فقال: لئن كنت صدقتيني إنه ليأتيه ناموس النبي عيسى ﷺ الذي لا يعلمه بنو إسرائيل أبناءهم. فعلى هذا فكان ورقة يقول تارة: ناموس النبي عيسى ﷺ وتارة ناموس النبي موسى ﷺ، فعند إخبار السيدة خديجة ﷺ له بالقصة قال لها ناموس عيسى بحسب ما هو فيه من النصرانية، وعند إخبار النبي ﷺ له قال ناموس النبي



موسى عليه السلام للمناسبة التي قدمناها، وكل صحيح.

الخامس عشر: قال السهيلي: قال ورقة للنبي ﷺ: لتكذبنه فلم يقل له شيئاً، ثم قال ولتؤذينه. فلم يقل له شيئاً. ثم قال: ولتخرجنه فقال عليه الصلاة والسلام: أو مخرجي هم؟ ففي هذا دليل على حب الوطن وشدة مفارقتها على النفس، وأيضاً فإنه حرم الله تعالى وجوار بيته وبلدة أبيه إسماعيل، فلذلك تحركت نفسه عند ذكر الخروج ما لم تتحرك قبل ذلك، فقال: أو مخرجي هم؟ والموضع الدال على تحرك النفس وتحرقها: إدخال الواو بعد ألف الاستفهام مع اختصاص الإخراج بالسؤال عنه، وذلك أن الواو ترد إلى الكلام المتقدم وتشعر المخاطب بأن الاستفهام على جهة الإنكار والتفجع لكلامه والتألم منه. قال الحافظ: ويحتمل أن يكون انزعاجه كان من جهة خشية فوات ما أمله من إيمان قومه بالله وإنقاذهم به من ضرر الشرك وأدناس الجاهلية ومن عذاب الآخرة وليتم له المراد من إرساله إليهم. ويحتمل أن يكون انزعج من الأمرين معاً. وسبقه إلى ذلك الشيخ تقي الدين السبكي فقال: كما حكاه عنه ولده في الطبقات: الأحسن أن يقال: تحركت نفسه، لما في الإخراج من فوات ما ندب إليه من إيمانهم، وهدايتهم، فإن ذلك مع التكذيب والإيذاء مترقب، ومع الإخراج منقطع، وذلك هو الذي لا شيء عند الإنسان أعظم منه، لأنه امتثال أمر الله تعالى، وأما مفارقة الوطن فأمر جبلي والنبي ﷺ أجل وأعلى مقاماً من الوقوف عنده في هذا الموطن العظيم^(١٠٧).

السادس عشر: قال الإسماعيلي: موه بعض الطاعنين على المحدثين فقال: كيف يجوز للنبي ﷺ أن يرتاب في نبوته حتى يرجع إلى ورقة ويشكو للسيدة خديجة عليها السلام ما يخشاه؟ والجواب: أن عادة الله سبحانه وتعالى جرت بأن الأمر الجليل إذا قضى الله تعالى بإيصاله إلى الخلق أن يتقدمه تشريح وتأسيس، وكان ما يراه النبي ﷺ من الرؤيا الصادقة ومحبة الخلوة والتعبد من ذلك، فلما جاءه الملك فجأه بغتة أمر خالف العادة والمألوف فنفر طبعه البشري منه وهاله ذلك ولم يتمكن من التأمل في تلك الحال، لأن النبوة لا تزال



طباع البشرية كلها، فلا يتعجب أن يجزع مما لم يألّفه وينفر طبعه منه، حتى إذا اندرج عليه وألّفه استمر عليه، فلذلك رجع إلى أهله التي ألف أنسها فأعلمها بما وقع له، فهونت عليه خشيته مما عرفته من أخلاقه الكريمة وطريقته الحسنة، فأرادت الاستظهار بمسيرها به إلى ورقة لمعرفة ما بصدقه ومعرفته وقراءته الكتب القديمة فلما سمع كلامه أيقن بالحق واعترف به، وأشار إلى أن الحكمة في ذكره ﷺ ما اتفق له في هذه القصة: أن يكون سببا في انتشار خبره في بطانته ومن يستمع لقوله ويصغي إليه طريقا في معرفتهم مباينة من سواه في أحواله لينبهوا على محله (١٠٨).

السابع عشر: ورقة هو ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي ابن عم السيدة خديجة ﷺ زوج النبي ﷺ. ذكره الطبري والبغوي وابن نافع وابن السكن وغيرهم في الصحابة. وروى يونس بن بكير عن أبي مسرة عمرو بن شرحبيل أحد كبار التابعين أن ورقة قال لرسول الله ﷺ: أبشر فأنا أشهد أنك الذي بشر به عيسى بن مريم وأنك على مثل ناموس النبي موسى ﷺ، وأنك نبي مرسل. فذكر الحديث وفيه: فلما توفي قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب بيض لأنه آمن بي وصدقني». في سنده انقطاع. ويعضده ما رواه الزبير بن بكار بسند جيد عن عروة بن الزبير قال: كان بلال لجارية من بني جمح، وكانوا يعذبونه برمضاء مكة يلصقون ظهره بالرمضاء لكي يشرك فيقول: أحد أحد. فمر به ورقة وهو على تلك الحال فيقول: أحد أحد يا بلال، والله لئن قتلتموه لأتخذنه حنانا. فهذا المرسل يدل على أن ورقة عاش إلى أن دعا رسول الله ﷺ إلى الإسلام حتى أسلم بلال. قال الحافظ: والجمع بين هذا وبين حديث عائشة: أن يحمل قولها: لم ينشب ورقة أن توفي. أي قبل أن يشتهر الإسلام ويؤمر النبي ﷺ بالجهاد. ولا يعكر على ذلك ما رواه ابن عائد عن ابن عباس أن ورقة مات على نصرانيته لأن في سنده عثمان ابن عطاء وهو ضعيف.



وروى الإمام أحمد بسند حسن عن عائشة أن السيدة خديجة عليها السلام سألت رسول الله ﷺ عن ورقة فقال: قد رأيته فرأيت عليه ثيابا بيضا، فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بيض. وروى أبو يعلى بسند حسن عن جابر بن عبد الله (رضوان الله تعالى عليه) أن رسول الله ﷺ سئل عن ورقة بن نوفل فقال: «أبصرته في بطنان الجنة وعليه، السندس»، وروى البزار وابن عساكر بإسناد جيد عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا ورقة فإني رأيت له جنة أو جنتين» ^(١٠٩).

الباب التاسع في كيفية إنزال الوحي

قال الزركشي في البرهان والشيخ في الإتقان: إنه الأصح الأشهر، وقال الحافظ في الفتح: إنه الصحيح المعتمد. وقيل: إنه نزل إلى سماء الدنيا في عشرين ليلة قدر أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين في كل ليلة ما يقدر الله تعالى إنزاله في كل سنة، ثم نزل بعد ذلك منجما في جميع السنة. وقيل: إنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجما في أوقات مختلفات ^(١١٠).

الباب الثاني عشر: في فترة الوحي

وتشريف الله تعالى نبيه ﷺ بالرسالة بعد النبوة.

روى ابن سعد عن ابن عباس، والإمام أحمد والبخاري والبيهقي عن الزهري، والشيخان عن جابر بن عبد الله (رضوان الله تعالى عليه)، قال الأوّلان: إن رسول الله ﷺ لما نزل عليه الوحي بحراء مكث أياما لا يرى الملك جبريل عليه السلام، فحزن لذلك حزنا شديدا -ولفظ الزهري: فتر الوحي فيما بلغنا- غدا منه مرارا حتى يتردى من رؤوس شواهق الجبال. ولفظ ابن عباس: حتى كاد يغدو إلى ثبير مرة وإلى حراء مرة أخرى، يريد أن يلقي نفسه منه. فبينما رسول الله ﷺ كذلك عامدا لبعض تلك الجبال. قال الزهري: فكلما وافى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدّى له الملك جبريل عليه السلام فقال له: يا محمد أنت رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقرّ عينه فيرجع، فإذا طالت عليه

فترة الوحي غداً مثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له الملك جبريل عليه السلام. فقال له مثل ذلك. قال جابر (رضوان الله تعالى عليه): قال رسول الله ﷺ: جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جوارى هبطت فاستبطنت الوادي، فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً، ونظرت أمامي فلم أر شيئاً ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، ثم نوديت فرفعت بصري إلى السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي - وفي لفظ: على عرش بين السماء والأرض - فرعبت منه. - وفي لفظ فجثت. وفي لفظ فجثت - فرقا حتى هويت إلى الأرض. فرجعت حتى أتيت خديجة فقلت: زملوني زملوني، وفي لفظ دثروني دثروني صبوا علي ماء بارداً، فانزل الله تعالى: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ أَيْ الْمَتْلَفُ بشيابه عند نزول الوحي عليه قُمْ فَأَنْذِرْ خَوْفَ النَّاسِ بِالنَّارِ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ عَظَمَ عَنْ إِشْرَافِ الْمُشْرِكِينَ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ عَنْ النِّجَاسَةِ، أَوْ قَصَّرْ خِلَافَ جَرِّ الْعَرَبِ ثِيَابَهُمْ لِلْخِلَاءِ فَرَبَّهَا أَصَابَتْهَا النِّجَاسَةُ. وَالرُّجُزَ فَسَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْأَوْثَانِ. فَاهْجُرْ أَيُّ دَمٍ عَلَى هَجْرِهِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالزَّهْرِيُّ: فَتَتَابَعُ الْوَحْيُ وَحَمِي.

قال ابن إسحاق ومتابعوه: وجاءه الملك جبريل عليه السلام بسورة الضحى يقسم له ربه، وهو الذي أكرمه بما أكرمه ما ودَّعه وما قلاه فقال تعالى: وَالضُّحَى أَوَّلُ النَّهَارِ أَوْ كُلِّهِ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى غَطَّى بِظِلَامِهِ أَوْ سَكَنَ مَا وَدَّعَكَ تَرَكَّكَ يَا مُحَمَّدُ رَبُّكَ وَمَا قَلَى مَا بَغْضَكَ، وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ لِمَا فِيهَا مِنَ الْكَرَامَاتِ مِنَ الْأُولَى الدُّنْيَا وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَيْرَاتِ عَطَاءً جَزِيلاً فَتَرْضَى بِهِ. فقال رسول الله ﷺ: «أذن لا أَرْضَى وَوَاحِدٌ مِنْ أُمَّتِي فِي النَّارِ». وَإِلَى هُنَا تَمَّ جَوَابُ الْقِسْمِ بِمُثْبِتِينَ بَعْدَ مُنْفِيَيْنَ. أَلَمْ يَجِدَكَ اسْتَفْهَامَ تَقْرِيرِي أَيْ وَجَدَكَ يَتِيماً بِفَقْدِ أَبِيكَ قَبْلَ وَلادتك فَآوَى بِأَنْ ضَمَكَ إِلَى عَمِّكَ أَبِي طَالِبٍ وَوَجَدَكَ ضَالًّا عَمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرِيعَةِ فَهَدَى أَيْ هَدَاكَ إِلَيْهَا وَوَجَدَكَ عَائِلاً أَيْ فَقِيراً فَأَغْنَى بِمَا قَنَعَكَ بِهِ مِنَ الْغَنِيمَةِ وَغَيْرِهَا. وَفِي الْحَدِيثِ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنْ الْغِنَى عَنْ غِنَى النَّفْسِ». فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ بِأَخْذِ مَالِهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ



وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ تَزَجِرُهُ لِفَقْرِهِ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ عَلَيْكَ بِالنَّبُوءَةِ وَغَيْرِهَا فَحَدِّثْ أَخْبِرْ .
وحذف ضميره ﷺ في بعض الأفعال لذكره أولاً، رعاية للفواصل (١١١) .

تنبيهات:

الأول: قال الحافظ: فترة الوحي عبارة عن تأخره مدة من الزمان، وليس المراد بفترته بين نزول أقرأ وأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ عدم مجيء الملك جبريل ﷺ إليه بل تأخر نزول الوحي فقط.
قلت: وفيه نظر، لما سبق أول الباب عن ابن عباس والزهري.

الثاني: الحكمة في فترة الوحي -والله أعلم- ليذهب عنه ما كان يجده ﷺ من الرُّوع وليحصل له التشوق إلى العود.

الثالث: اختلف في مقدار مدة الفترة: فقال السَّهيلي: جاء في بعض الأحاديث المسندة أنها كانت سنتين ونصف سنة. قال في «الزَّهر»: ويحدث فيه ما ذكره ابن عباس في تفسيره أنها كانت أربعين يوماً وفي تفسير ابن الجوزي ومعاني الزَّجَّاج والفراء: خمسة عشر يوماً. وفي تفسير مقاتل: ثلاثة أيام. ولعل هذا هو الأشبه بحاله عند ربه لا ما ذكر السَّهيلي واحتج لصحته. وقال الحافظ فما رأيته بخطه في الفتح: وهذا الذي اعتمده السَّهيلي لا يثبت وقد عارضه ما جاء عن ابن عباس: أن مدة الفترة المذكورة كانت أياماً. قال: وسيأتي مزيد لذلك في كتاب التعبير، إن شاء الله تعالى. قلت: راجعت كتاب التعبير من نسخة بغير خطه فألفيته قال: قوله: «وفتر الوحي» تقدم القول في مدة هذه الفترة في أول الكتاب. انتهى فليراجع خطه، لعله يكون الحق ذلك في نسخته بعد.

الرابع: وقع في بعض النسخ القديمة من الفتح وتبعه الشيخ وشيخنا القسطلاني في شرحيهما أن الإمام أحمد روى في تاريخه عن الشعبي أن فترة الوحي كانت ثلاث سنين، وأن ابن إسحاق جزم بذلك. قلت: وهذا وهم بلا شك، وعزو ذلك لجزم ابن إسحاق أشد، وكأنَّ الحافظ قلَّد في ذلك ولم يراجع التاريخ المذكور، فإن الموجود فيه وفي الطبقات لابن سعد ودلائل البيهقي عن داود بن أبي هند، عن الشعبي قال: أنزلت عليه

النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته الملك إِسْرَافِيلُ ؑ ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشيء، ولم ينزل عليه القرآن على لسان، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته الملك جبريل ؑ فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة.

الخامس: قال الحافظ ابن كثير في البداية: قال بعضهم: كانت الفترة قريبا من سنتين أو سنتين ونصف والظاهر والله أعلم أنها المدة التي اقترن معه الملك ميكائيل ؑ كما قال الشَّعْبِي وغيره، ولا ينفي هذا تقدّم إحياء الملك جبريل ؑ إليه أولا: اقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ثم حصلت الفترة التي اقترن معه الملك ميكائيل ؑ، ثم اقترن به الملك جبريل ؑ بعد نزول: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ثم هي الوحي بعد هذا وتتابع. قلت: الثابت عن الشَّعْبِي إنما هو الملك إِسْرَافِيلُ ؑ كما تقدم لا الملك ميكائيل ؑ، وإن كان ابن التَّيْن جزم به، ولتأمل عبارة الشَّعْبِي إن كانت تفهم ما قال أنه الظاهر.

السادس: روى البخاري في بدء الوحي وتفسير سورة اقرأ من طريق ابن شهاب: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه) قال: قال رسول الله ﷺ، وهو يحدث عن فترة الوحي: قال في حديثه: بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء ... وذكر الحديث. وفي تفسير سورة المزمل من طريق علي بن المبارك، ومن طريق حرب بن شداد، كلاهما عن يحيى بن أبي كثير، قال سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن: أي القرآن أنزل أول؟ ثم قال الحافظ: ولو لم يكن في ذلك إلا ثبوت الواو العاطفة فإنها دالة على تقدم شيء عطفته، ودلّ قوله: «عن فترة الوحي»، وقوله: «الملك الذي جاءني بحراء» على تأخر نزول يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ عن اقرأ. ولما خلت رواية يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر، عن هاتين الجملتين أشكل الأمر فجزم من جزم بأن يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ أول ما نزل. ورواية الزهري هذه الصحيحة ترفع ذلك الإشكال. وقال في التفسير: والمشكل من رواية يحيى قوله: «جاورت بحراء فلما قضيت جوازي نزلت فاستبطنن الوادي فنوديت» إلى أن



قال: «فرفعت رأسي فإذا هو على العرش في الهواء، يعني الملك جبريل عليه السلام، فأنتيت خديجة فقلت: «دثروني» ويزيل الإشكال أحد أمرين: إما أن يكون سقط على يحيى أو شيخه من القصة مجيء الملك جبريل عليه السلام بحراء بـ(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ)، وسائر ما ذكرته عائشة. وإما أن يكون جاور ﷺ بحراء شهرا آخر، ففي مرسل عبيد بن عمير عند البيهقي أنه عليه السلام كان يجاور في كل سنة شهرا وهو شهر رمضان، وكان ذلك في مدة فترة الوحي، فعاد إليه الملك جبريل عليه السلام بعد انقضاء جواره. وقال الحافظ أيضا: فكأن من قال من أول ما نزل اقرأ أراد أولية مطلقة ومن قال يا أيها المدثر أراد بقيد التصريح بالإرسال. وقال الكرمانى: استخرج جابر أن أول ما نزل يا أيها المدثر باجتهاده وليس هو من روايته، والصحيح ما وقع في حديث عائشة (١١٢).

السابع: قال عطاء الخراساني: إن سورة المزمل نزلت قبل سورة المدثر. قال الحافظ: عطاء ضعيف وروايته معضلة. وظاهر الأحاديث الصحيحة تأخر المزمل لأن فيها ذكر قيام الليل وغير ذلك مما تراخى عند ابتداء الوحي، بخلاف المدثر فإن فيها قُمْ فَأَنْذِرْ. وقال في موضع آخر: يعرف من اتحاد الحديثين في نزول يا أيها المدثر عقيب قوله: «دثروني» و«زملوني» أن المراد بزملوني دثروني، ولا يؤخذ من ذلك نزول يا أيها المزمل حينئذ، لأن نزول يا أيها المزمل تأخر عن نزول يا أيها المدثر بالاتفاق، لأن أول يا أيها المدثر الأمر بالإندار، وذلك أول ما بعث، وأول المزمل الأمر بقيام الليل وترتيل القرآن، فيقتضي تقدم نزول كثير من القرآن قبل ذلك.

الثامن: هذا القدر الذي نزل من المدثر فيه محصل ما يتعلق بالرسالة. ففي الآية الأولى المؤانسة بالحالة التي هو عليها من التدثر، إعلاما بعظم قدره وتقدم في اسمه «المدثر» و«المزمل» زيادة لذلك. فراجعه.

فقال: يا أيها المدثر فقلت: أنبت أنه: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ فقال جابر: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «جاورت في حراء فلما قضيت



جواني هبطت فنوديت»، فذكر الحديث السابق. قال الحافظ: رواية الزهري تدل على أن المراد بالأولية في قوله: أول ما نزل سورة المدثر. أولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي، أو مخصوصة بالإنذار، لا أن المراد بها أولية مطلقة، وإنما أتى بحرف العطف ليعلم أنه معطوف على ما سبق، كأنه قال عروة بكذا. أي بحديث عائشة في بدء الوحي ونزول سورة اقرأ. وفي الثانية: الأمر بالإنذار قائما، وحذف المفعول تخفيفا. والمراد بالقيام إما حقيقة، أي قم من مضجعك، أو مجازا، أي قم مقام تصميم. وأما الإنذار فالحكمة في الاختصار عليه هنا - فإنه أيضا بعث مبشرا - لأن ذلك كان أول الإسلام، فمتعلق الإنذار محقق فلما أطاع من أطاع نزلت: إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا [الأحزاب ٤٥]. وفي الثالثة: تكبير الرب تمجيذا وتعظيما، ويحتمل الحمل على تكبير الصلاة، كما حمل الأمر بالتطهير على طهارة البدن والثياب، وهي الآية الرابعة. أما الخامسة فهجران ما ينافي التوحيد وما يؤول إلى العذاب وحصلت المناسبة بين السورتين المبتدأ بهما النزول فيما اشتملتا عليه من المعاني الكثيرة باللفظ الوجيز في عدة ما نزل من كل منهما ابتداء (١١٣).



جماع أبواب بعض الأمور الكائنة بعد بعثته ﷺ

الباب الأول: في تعليم الملك جبريل عليه السلام

النبى ﷺ الوضوء والصلاة

«عن أسامة بن زيد بن حارثة أن الملك جبريل عليه السلام أتى النبى ﷺ في أول ما أوحى إليه فأراه الوضوء والصلاة، فلما فرغ من الوضوء حثى حفنة من الماء فنضح بها فرجه. رواه الإمام أحمد والدارقطني من طريق رشدين بن سعد وهو ضعيف، عن عقيل عن قرّة، عن عروة، عن أسامة. والحاترث بن أبي أسامة، والدارقطني من طريق ابن لهيعة وهو ضعيف، عن عقيل، عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير، عن أسامة بن زيد، عن أبيه فذكره، ورواه الطبراني في الأوسط عن عقيل عن الزهري به. فينظر فيمن دون عقيل فإن كانوا ثقات فالحديث سنده جيد. ورواه أبو نعيم من طريق النضر بن سلمة وهو ضعيف، عن عائشة. ورواه أبو نعيم والبيهقي من طريق [يزيد بن رومان] عن عروة بن الزبير، فذكر مجيء الملك جبريل عليه السلام وحديث البعث، وفي آخره: ففتح الملك جبريل عليه السلام عينا من ماء فتوضأ ومحمد ﷺ ينظر إليه فغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ومسح برأسه وغسل رجليه إلى الكعبين ثم نضح فرجه وسجد سجدين مواجهة البيت ففعل محمد كما رأى جبريل يفعل. ورواه أبو نعيم من طريق [يزيد بن رومان] عن الزهري عن عروة عن عائشة. وهذه الطرق يقوي بعضها بعضا. ويدل على أن للقصة أصلا. وصلى رسول الله ﷺ بصلاته، ثم انصرف الملك جبريل عليه السلام فجاء رسول الله ﷺ السيدة خديجة عليها السلام فتوضأ لها يريها كيف الطهور للصلاة كما أراه الملك جبريل عليه السلام، فتوضأت كما توضأ لها رسول الله ﷺ ثم صلى لها كما صلى به الملك جبريل عليه السلام، فصلّت بصلاته. وروى الإمام أحمد والبيهقي وابن عبد البر عن إسماعيل بن إلياس بن عفيف الكندي عن أبيه، عن جده، قال: كنت امرأ تاجرا فقدمت الحج في الجاهلية، فأتيت العباس بن عبد المطلب لابتاع منه بعض التجارة فوالله إني لعنده بمنى إذ خرج رجل مجتمع من

خباء قريب منه، فنظر إلى الشمس فلما رآها مالت توضاً فأسبغ الوضوء ثم قام يصلي، ثم خرج غلام قد راهق الحلم من ذلك الخباء فقام يصلي معه، ثم لم ألبث إلا يسيراً حتى جاءت امرأة من ذلك الخباء فقامت خلفهما، ثم ركع الشاب وركع الغلام وركعت المرأة، ثم رفع الشاب ورفع الغلام ورفعت المرأة، ثم خرّ الشاب ساجدا وخرّ الغلام وخرّت المرأة فقلت للعباس: يا عباس ما هذا؟ قال: هذا محمد بن عبد المطلب ابن أخي. قلت: من هذه المرأة. قال: هذه امرأته السيدة خديجة بنت خويلد. فقلت: من هذا الفتى؟ قال: هذا علي بن أبي طالب ابن عمه، قلت: فما هذا الذي يصنع؟ قال: يصلي، يزعم أنه نبي ولم يتبعه على أمره إلا امرأته وابن عمه هذا الفتى، وهو يزعم أنه ستفتح عليه كنوز كسرى وقيصر. قال عفيف: فليتني كنت آمنت به يومئذ فكنت أكون ثانياً مع علي بن أبي طالب. وهذا الحديث يردّ قول من قال: إن فرض الصلاة كانت بالعادة والعشي فقط^(١١٤).

تنبيه:

«وفي قول عائشة قد ذكر القصة ابن إسحاق ورواه البلاذري عن الزهري وقتادة والكلبي ومحمد بن قيس قالوا: إن الملك جبريل عليه السلام علّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوضوء والصلاة وأقرأ باسم ربك الذي خلق أتاه وهو بأعلى مكة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت له منه عين فتوضاً الملك جبريل عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينظر إليه ليريه كيف الطهور للصلاة، ثم توضاً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما رأى الملك جبريل عليه السلام يتوضاً، ثم أقام به الملك جبريل عليه السلام فصلّى به. وفي حديث عائشة السابق أنه صلى به ركعتين نحو الكعبة واستقبل الحجر الأسود»^(١١٥).

الملاحظات العامة بخصوص الروايات الشفاهية

لمؤرخي القرن السابع وما بعدهم

هناك عدد من الملاحظات البارزة عند مؤرخي هذه المرحلة لا مندوحة من ذكرها



هاهنا لتوضيح منطلقات الرؤى التي اهتم بها مؤرخو هذه المرحلة المتأخرة جدا عن مرحلة الرواة الشفاهيين الأوائل وعن مرحلة رواد مؤلفي السيرة النبوية المطهرة نجملها بالآتي:-

١. امتداد أزمنة مؤرخيها إذ يدخلنا هنا الى حقبة العصر العثماني بمعنى القرن السادس عشر الميلادي. وهذا يؤكد لنا أن الاهتمام بالكتابة عن السيرة النبوية قد بقي فاعلا وربما بشكل أكثر جدية وأكثر جدلا ومحاجة مما حدث في المرحلتين السابقتين. فضلا عن أنه كان متميزا عن المراحل التاريخية التي جاءت بعد ذلك أي بعد القرن السادس عشر وحتى وقتنا الحاضر في القرن الواحد والعشرين وبالأخص فيما يتعلق الأمر بالمدى الذي استوعب فيه مؤرخو هذه المرحلة بمعنى المرحلة الثالثة من جدلية في موضوعات ساخنة في السيرة النبوية وبشكل أخص الجدلية المرتبطة بعمر رسول الله ﷺ وسنة وفاة والده عبد الله ﷺ ولا سيما عمر النبي الشريف أثناء البعثة وقبلها، وعن نزول الوحي في أول آيات القرآن الكريمة، وحول مدة بقائه ﷺ ومكوثه في مكة المكرمة على وجه الخصوص. ويعدّ سبط ابن العجمي في كتابه إنسان العيون متميزا في محاجة المصادر والاختلافات التي وجدت عند الرواة الشفاهيين وعند مؤلفي السيرة الأوائل على وجه التحديد تلك التي من بينها مسائل مهمة جدا في موضوع السيرة النبوية المطهرة، فهو يناقش مثلا قضية وفاة والد النبي ﷺ وكم كان عمره الشريف آنذاك فيقول: «وإن موت والده ﷺ كان بعد أن تمّ لها من حملها شهران، قيل قبل ولادته بشهرين، وقيل كان في المهد حين توفي أبوه ابن شهرين. وذكر السهيلي أن عليه أكثر العلماء، فليتأمل مع ما قبله، وقيل كان ابن سبعة أشهر. أي وقيل ابن تسعة أشهر، وقيل وعليه الأكثرون. والحق أنه قول كثيرين لا الأكثرين، وقيل ابن ثمانية عشر شهرا وقيل: ابن ثمانية وعشرين شهرا: أي وما يأتي في الرضاع من أن المراضع أبتة ليطمه يخالفه لتمام زمن الرضاع وكذا يخالف القول الذي قبله، لأنه لم يبق من زمن الرضاع إلا



شهران». والعسقلاني أيضا قد استهل قبل سبط ابن العجمي فقد ناقش مسألة عمر رسول الله ﷺ مفندا رأي ابن الكلبي فيقول: «وَقَدْ مَضَى فِي صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ حَدِيثٌ أَنَسٍ أَنَّهُ ﷺ بُعِثَ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ وَتَقَدَّمَ فِي بَدْءِ الْوَحْيِ أَنَّهُ أُنْزِلَ عَلَيْهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فَعَلَى الصَّحِيحِ الْمَشْهُورِ أَنَّ مَوْلِدَهُ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ يَكُونُ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَكَلامَ ابْنِ الْكَلْبِيِّ يُؤْذَنُ بِأَنَّهُ وُلِدَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ قَالَ مَاتَ وَلَهُ اثْنَتَانِ وَسِتُّونَ سَنَةً وَنِصْفُ سَنَةٍ وَقَدْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ مَاتَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ فَيَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ أَنَّ يَكُونَ وُلِدَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَبِهِ جَزَمَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ وَهُوَ شَادُو فِي مَوْلِدِهِ أَقْوَالُ آخَرٍ أَشَدُّ شُدُودًا مِنْ هَذَا قَوْلُهُ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً هَذَا أَصَحُّ مِمَّا رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ طَرِيقِ عَمَّارِ بْنِ أَبِي عَمَّارٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَقَامَ بِمَكَّةَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً» ؛ وكذلك فقد جادل سبط ابن العجمي مسألة ارتباط رسول الله ﷺ بالملك إسرافيل عليه السلام مدة ثلاث سنين وفيها إذا كانت هذه المدة داخلية ضمن بعثته ﷺ أم بعدها أم قبلها فيقول سبط ابن العجمي والصالح الشامي ووقف على الموضوع نفسه سبط ابن العجمي فيقول موضحا سبب اعتراض بعض الرواة الشفاهيين والمؤلفين الأوائل على أن الملك جبرئيل عليه السلام كان هو الملك الوحيد الذي ارتبط به رسول الله ﷺ قائلا: «واعترض عليه بعضهم بأن الملك إسرافيل عليه السلام كان سفيرا بين الله وبينه ﷺ. فعن الشعبي أنه جاءته النبوة ﷺ وهو ابن أربعين سنة، وقرن بنبوته الملك إسرافيل عليه السلام ثلاث سنين، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته الملك جبرئيل عليه السلام، وفي لفظ عنه: فلما مضت ثلاث سنين تولى عنه الملك إسرافيل عليه السلام وقرن به الملك جبرئيل عليه السلام: أي وقد تقدم أن الملك إسرافيل عليه السلام قرن به ﷺ قبل النبوة ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه، يعلمه الشيء بعد الشيء إلى آخره»، وحينئذ يلزم أن يكون قرن به بعد النبوة ثلاث سنين أيضا، وسيأتي عن بحث بعض الحفاظ أنها مدة فترة الوحي فليتأمل. وأجاب الحفاظ السيوطي عن ذلك بأن السفير هو المرصد لذلك، وذلك لا يعرف لغير الملك جبرئيل عليه السلام، ولا ينافي ذلك مجيء غيره من الملائكة



إلى النبي ﷺ في بعض الأحيان. ولك أن تقول: إن كان المراد بالمجيء إليه بوحى من الله (عز وجل) كما هو المتبادر فليس في هذه الرواية أن الملك إسرَافيل عليه السلام وغيره من الملائكة كان يأتيه بوحى من الله (عز وجل) قبل مجيء الملك جبريل عليه السلام له ﷺ بوحى غير النبوة، ولا يخرج ذلك عن الاختصاص باسم السفير، وبأن الملك إسرَافيل عليه السلام لم ينزل لغير النبي ﷺ من الأنبياء (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) كما ثبت في الحديث، فلم يكن السفير بين الله (عز وجل) وجميع أنبيائه عليه السلام. قيل وإنما خص بذلك لأنه أول من سجد من الملائكة لآدم في الوقت الذي يتداخل فيه الصالحى الشامى فى هذا الموضوع فيقول: «فقرن بنبوتة الملك إسرَافيل عليه السلام ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشيء، ولم ينزل القرآن على لسانه، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوتة الملك جبريل عليه السلام، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة، عشرا بمكة وعشرا بالمدينة، فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة. وهذا يقتضى أن الملك إسرَافيل عليه السلام قرن معه بعد الأربعين ثلاث سنين، ثم جاءه الملك جبريل عليه السلام. قال الإمام أبو شامة: وحديث عائشة -أي الآتي في الباب بعده- لا ينافي هذا فإنه يجوز أن يكون أول أمره الرؤيا، ثم وكل به الملك إسرَافيل عليه السلام في تلك المدة التي كان يخلو فيها بحراء فكان يلقي إليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه تدريجا وتمرينا، إلى أن جاءه الملك جبريل عليه السلام فعلمه بعد ما غطه ثلاث مرات. فحكّت عائشة ما جرى له مع الملك جبريل عليه السلام ولم تحك ما جرى له مع الملك إسرَافيل عليه السلام اختصارا للحديث، أو لم تكن وقفت على قصة الملك إسرَافيل عليه السلام. انتهى. وذكر بعض العلماء في حكمة مجيء الملك إسرَافيل عليه السلام إليه أنه الموكل بالنفخ في الصور، والنبي ﷺ بعث قرب الساعة وكانت بعثته من أشراطها، فبعث الملك إسرَافيل عليه السلام لهذه المناسبة ولم يبعث إلى نبي قبله. وقد أنكر الواقدي خبر الشعبي وقال: لم يقرن به من الملائكة إلا الملك جبريل عليه السلام. قال الحافظ: ولا يخفى ما فيه، فإن المثبت مقدم على النافي إلا إن صحب النافي دليل نفيه فيقدم. قال الشيخ في فتاويه: قد ورد ما يوهي أثر الشعبي، وهو ما رواه مسلم عن ابن



عباس قال: بينا النبي ﷺ جالس وعنده الملك جبريل عليه السلام إذ سمع نقيضا من السماء من فوق فرفع الملك جبريل عليه السلام بصره إلى السماء فقال: يا محمد هذا ملك قد نزل لم ينزل إلى الأرض قط. قال فأتى النبي ﷺ فقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منها إلا أوتيته. قال جماعة من العلماء إن هذا الملك إسرافيل عليه السلام. انتهى كلام الشيخ. وروى الطبراني والبيهقي في الزهد بسند حسن عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ ذات يوم والملك جبريل عليه السلام على الصفا فقال رسول الله ﷺ: يا جبريل والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد سفه دقيق ولا كف من سويق. فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء أفزعته فقال رسول الله ﷺ: أمر الله القيامة أن تقوم؟ فقال: لا ولكن أمر الملك إسرافيل عليه السلام فنزل إليك حتى يسمع كلامك فأتاه الملك إسرافيل عليه السلام فقال: إن الله تعالى بعثني إليك بمفاتيح خزائن الأرض وأمرني أن أعرض إليك أسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذها وفضة. فقلت: فإن شئت نبيا ملكا وإن شئت نبيا عبدا؟ فأوماً إليه الملك جبريل عليه السلام: أن تواضع. فقال بل نبياً عبداً. ثلاثاً. ورواه ابن حبان في صحيحه مختصراً من حديث أبي هريرة ولفظه: جلس رسول الله ﷺ فنظر إلى السماء فإذا ملك ينزل فقال له الملك جبريل عليه السلام: هذا الملك ما نزل منذ خلق قبل الساعة. وذكر الحديث. فظهر أن المعتمد ما مشى عليه الواقدي.

٢. على الرغم من استمرارية فاعلية روايات الرواة الشفاهيين الأوائل ومؤلفي السيرة الأصليين فإن بعض مؤرخي هذه المرحلة تميزوا بسعة الإطار التاريخي لمعارفهم وتتبعاتهم في المؤلفات التاريخية والتفسيرية والمعرفية واللغوية والعقائدية؛ بمعنى أنهم خرجوا عن المألوف من تلك المعلومات التي ركز عليها مؤرخو المراحل السابقة ورواتها؛ كما هو حاصل في مؤلف كتاب «إنسان العيون» لسبط ابن العجمي وكتاب «سبل الهدى» للصالحى الشامي وهما مؤلفان قد عاشا زمن العثمانيين. فنرى سبط ابن

العجمي وهو يعرض رواية أول الآيات المباركات التي أنزلها الله تعالى بواسطة الملك جبرئيل عليه السلام ثم عودة رسول الله إلى بيته إذ انطلقت به السيدة خديجة الكبرى عليها السلام إلى ورقة بن نوفل وهي الرواية الشائعة عند مؤلفي السيرة النبوية منذ روايتها عن طريق عروة بن الزبير عن خالته عائشة، فيتداخل سبط ابن العجمي بخبر آخر لا يصح بمصدره وربما يكون ذلك المصدر مسيحيا فيقول: «قال: وفي بعض الروايات أن السيدة خديجة عليها السلام قبل أن تذهب به إلى ورقة ذهبت به إلى عداس وكان نصرانيا من أهل نينوى: قرية سيدنا يونس عليه الصلاة والسلام، فقالت له: يا عداس أذكرك الله إلا ما أخبرني هل عندكم علم من جبريل؟: أي فإن هذا الاسم لم يكن معروفا بمكة ولا غيرها من أرض العرب كما تقدم، فقال عداس: قدوس قدوس، ما شأن جبريل يذكر بهذه الأرض التي أهلها أهل أوثان؟ أي والقدوس المنزه عن العيوب وأن هذا يقال للتعجب كما تقدم، فقالت: أخبرني بعلمك فيه؟ قال: هو أمين الله بينه وبين النبيين، وهو صاحب النبي موسى والنبي عيسى عليهما السلام. وفيه أنه سيأتي عند الكلام على ذهابه عليه السلام للطائف بعد موت أبي طالب يلتبس إسلام ثقيف اجتماعه بعداس الموصوف بها ذكر، لكن في تلك القصة ما قد يبعد معه كل البعد أنه المذكور هنا فليتأمل، ثم رأيت أن عداسا المذكور هنا كان راهبا وكان شيخا كبير السن، وقد وقع حاجباه على عينيه من الكبر، وأن السيدة خديجة عليها السلام قالت له: أنعم صباحا يا عداس، فقال: كأن هذا الكلام كلام السيدة خديجة سيدة نساء قريش، قالت أجل، قال ادني مني فقد ثقل سمعي، فدنوت منه ثم قالت له ما تقدم، وهذا صريح في أنه غير عداس الآتي ذكره، وأنها اشتركا في الاسم والبلد والدين، أي وكونهما غلامين لعتبة بن ربيعة. ففي كلام ابن دحية: عداس كان غلاما لعتبة بن ربيعة من أهل نينوى، عنده علم من الكتاب، فأرسلت إليه السيدة خديجة عليها السلام تسأله عن الملك جبريل عليه السلام، فقال: قدوس قدوس الحديث، ولا يخفى أن هذا اشتباه وقع من بعض الرواة بلا شك. وفي رواية أن عداسا هذا قال لها: يا خديجة إن الشيطان ربما عرض



للعبد فأراه أمورا، فخذني كتابي هذا فانطلقني به إلى صاحبك، فإن كان مجنونا فإنه سيذهب عنه، وإن كان من الله فلن يضره، فانطلقت بالكتاب معها، فلما دخلت منزلها إذا هي برسول الله ﷺ مع الملك جبريل عليه السلام يقرئه هذه الآيات: (ن وَالْقَلَمَ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (٥) بَايِكُمُ الْمُفْتُونُ) سورة القلم: الآيات ١ - ٦.

٣. والأهم من ذلك أنهم تميزوا بمحاجة الروايات التي أصبحت ثابتة وسائدة تلك التي رواها الرواة الشفاهيون الأوائل؛ بالأخص ما نلاحظه في عرض كل من الصالحي الشامي المتوفى سنة ١٥٣٥ ميلادية أي زمن العثمانيين فيقول: «قال الإمام النووي في شرح مسلم: الصواب أنه عليه السلام بعث على رأس الأربعين سنة، هذا هو المشهور الذي أطبق عليه العلماء. وقال السهيلي: إنه الصحيح عند أهل السير والعلم بالأثر. وحكى القاضي عن ابن عباس وسعيد بن المسيب رواية شاذة أنه بعث على رأس ثلاث وأربعين سنة والصواب الأول. وقال شيخ الإسلام البلقيني: كان سن رسول الله ﷺ حين جاءه الملك جبريل عليه السلام في غار حراء أربعين سنة على المشهور. وقيل ويوما. وقيل وعشرة أيام. وقيل وشهرين وقيل وستين وقيل وثلاثة. وقيل وخمس. قال: وكان ذلك يوم الاثنين نهارا. واختلف في الشهر. فقيل شهر رمضان في سابع عشره وقيل سابعه. وقيل رابع عشره. وقال الحافظ: وشهر رمضان هو الراجح لما سيأتي من أنه الشهر الذي جاور فيه في حراء فجاءه الملك. وعلى هذا يكون سنه حينئذ أربعين سنة وستة أشهر. وقيل في سابع عشر شهر رجب. وقيل في أول شهر ربيع الأول. وقيل في ثامنه. وعند أبي داود الطيالسي ما يقتضي أن محيى الملك جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ في حراء كان في آخر شهر رمضان. قال الحافظ: ولعله الراجح. وروى الإمام أحمد والشيخان عن ابن عباس قال: أنزل على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة». والصالحي الشامي وكذلك سبط ابن العجمي يوسعان هذه الجدلية فيشيران إلى مقارنة بالنبي عيسى عليه السلام فيقول



الصالحى: «قال العلامة ابن القيم في زاد المعاد: بعثه الله تعالى على رأس الأربعين وهي سن الكمال. قيل: ولها تبعث الرسل. وأما ما يذكر عن المسيح أنه رفع إلى السماء وله ثلاث وثلاثون فهذا لا يعرف به أثر متصل يجب المصير إليه. والأمر كما قال: فإن ذلك يروى عن وهب بن منبه قال: إن النصارى تزعم. فذكر الحديث إلى أن قال: وإنه رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة رواه الحاكم. وفي سنده عبد المنعم بن إدريس كذبوه، ولو صح سنده فإنه عن النصارى كما ترى».

٤. ونلاحظ أيضا أن عددا من مؤرخي هذه المرحلة قد أوردوا روايات مصدرها الأئمة الأطهار كالإمام علي بن أبي طالب والإمام الباقر والإمام الصادق عليه السلام في الوقت الذي سكت عن ذكرها رواة المراحل التاريخية السابقة ومؤلفوها. فالصالحى الشامي يعتمد على كتاب أسباب النزول للواحدي برواية نقلا عن الإمام علي عليه السلام بخصوص لقاء النبي صلى الله عليه وآله أول مرة بالملك جبرئيل عليه السلام فيقول: «وفي أسباب النزول للواحدي عن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: لما سمع النداء: يا محمد قال: لبيك، قال قل: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم قال قل: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) سورة الفاتحة: الآيات ٢ - ٤ حتى فرغ من السورة: «أي فلما بلغ «ولا الضالين، فقال: قل آمين فقال آمين» كما في رواية وكيع وابن أبي شيبة. وابن كثير كذلك حين معالجته مسألة في بعثة رسول الله صلى الله عليه وآله فيعرض رأي الإمام الباقر عليه السلام فيقول: «كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وآله سئل عن صوم يوم الاثنين، فقال: ذاك يوم ولدت فيه ويوم أنزل علي فيه وقال ابن عباس: ولد نبيكم محمد صلى الله عليه وآله يوم الاثنين، ونبي يوم الاثنين. وهكذا قال عبيد بن عمير وأبو جعفر الباقر عليه السلام وغير واحد من العلماء أنه (عليه الصلاة والسلام) أوحى إليه يوم الاثنين، وهذا ما لا خلاف فيه بينهم. ثم قيل: كان ذلك في شهر ربيع الأول كما تقدم عن ابن عباس وجابر أنه ولد، عليه السلام، في الثاني عشر من ربيع الأول يوم الاثنين، وفيه بعث،



وفيه عرج به إلى السماء. والمشهور أنه بعث عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان، كما نصّ على ذلك عبيد بن عمير ومحمد بن إسحاق وغيرهما. قال ابن إسحاق مستدلاً على ذلك بما قال الله تعالى: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس) سورة البقرة الآية ٨٥؛ فقيل: في ثاني عشره. وروى الواقدي بسنده عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنه قال: كان ابتداء الوحي إلى رسول الله ﷺ يوم الاثنين، لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان. وقيل: في الرابع والعشرين منه. وهناك روايات أخرى مذكورة في أعلاه تبين سعة إطلاع ومتابعة تاريخية للروايات المهمة جداً لكل من سبط ابن العجمي والصالح الشامي المتأخرين في الكتابة عن السيرة النبوية، فضلاً عن غيرهما من مؤرخي هذه المرحلة الثالثة، تلك التي تعرض آراء وأفكاراً تختلف عن الرواية التأسيسية التي بدأنا بعرضها في هذا المبحث، يمكن للقارئ اللبيب التعرف عليها.

فضلاً عن تلك النقاط المشار إليها أعلاه، يلاحظ أن ابن الأثير قد ابتدا حديثه عن الموضوعين اللذين وقفنا على ذكرهما بمدخل يشابه مدخل ابن الجوزي في كتابه المنتظم والمذكور أعلاه، فضلاً عن ذلك فإنه قد اعتمد نصّ سيرة محمد بن إسحاق الأصلي. والمهم أنه كان على خلاف مع عدد من مؤرخي هذه الحقبة فقد وزّع روايته عن المبعث النبوي على مجموعتين، مجموعة رواية عروة بن الزبير وأنس بن مالك على حدة بقولهما إنه ﷺ قد بعث على رأس الأربعين، وبين مجموعة رواية عكرمة عن ابن عباس ورواية سعيد بن المسيب إذ يقولان إن عمره كان عند البعثة الشريفة ثلاث وأربعين سنة. فضلاً عن هذا فإن ابن الأثير أبدى ملاحظة لم يكشف عن مصدرها الأساس في الرواية الشفاهية إذ يقول: «وكان ﷺ قبل أن يظهر له الملك جبرائيل (عليه السلام) يرى ويعاين آثاراً من آثار من يريد الله إكرامه بفضله. وكان من ذلك ما ذكرت من شق الملكين بطنه واستخراجهما ما في قلبه من الغلّ والدنس»، وهي ملاحظة قد تكرر ذكرها عند مؤرخين آخرين لهذه المرحلة.



وقد بين ابن سيد الناس منهجه في سرد الروايات الشفاهية عن هذين الموضوعين وموضوعات أخرى من تاريخ السيرة النبوية الشريفة في أول كتابه مبيناً السبب الذي أدى به الى تأليف كتابه عن السيرة والمغازي بقوله: «ولما وقفت على ما جمعه الناس قديماً وحديثاً، من المجاميع في سير النبي الأعظم ﷺ ومغازيه، وأيامه، وغير ذلك، لم أر إلا مطيلاً مملاً، ومقتصراً بأكثر المقاصد ومخللاً». ومن ثم بين أن منهجه لم يكن سوى الاختيار والانتقاء من كلامهم ما صحّ لديه، حيث يقول: «فليس لي في هذا المجموع، إلا حسن الاختيار من كلامهم، والتبرك بالدخول في نظامهم». عندئذ فلن نتوقع من رواية ابن سيد الناس سوى التكرار وربما إضافة حدث هنا وحدث هناك ورأي وتحليل هنا ورأي وتحليل هناك كما سنبينه، وقد أدرجها ضمن محور اصطلاح عليه بتعبير «ذكر فوائد تتعلق بهذه الأخبار». ويبدو أن ابن سيد الناس كان من الذين يميلون بله ويؤكدون على رواية أنس بن مالك وعروة بن الزبير في أن رسول الله ﷺ قد بعث على رأس الأربعين سنة إذ يقول ما نصّه: «الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ بَيْنَ أَهْلِ النَّقْلِ مِمَّا فِيهِ إِقَامَتُهُ ﷺ بِالْمَدِينَةِ عَشْرًا، وَأَمَّا إِقَامَتُهُ بِمَكَّةَ فَمُخْتَلَفٌ فِي مِقْدَارِهَا»، وهو تأكيد متناقض ضمناً، إذ إنه يؤكد على عمر رسول الله ﷺ لكنه من جهة أخرى يعقب على ذلك بقوله: إن إقامته بمكة مختلف في مقدارها، وكيف هو التناقض؟ فالمعروف عند المؤرخين عامة، فيما خلا موقف أنس بن مالك وعروة بن الزبير، أن رسول الله ﷺ قد وافاه الأجل وهو ابن ثلاث وستين سنة، عندئذ تكون مدة إقامته في مكة ثلاث عشرة سنة بحسب رواية ابن عباس وسعيد بن المسيب. في الجانب الآخر فإن ابن سيد الناس قد تصوّر خطأً أن رواية ابن عباس وسعيد بن المسيب تماثل رواية أنس بن مالك حين يقول: «وَأَمَّا سَنَتُهُ ﷺ حِينَ نَبِيٍّ، فَالْمَرْوِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَجُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ وَقَبَاتِ بْنِ أَشِيمٍ وَعَطَاءٍ وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ كَالْمَرْوِيِّ عَنْ أَنَسٍ وَهُوَ الصَّحِيحُ عِنْدَ أَهْلِ السَّيَرِ وَغَيْرِهِمْ»، بينما في الحقيقة أن رواية ابن عباس وسعيد بن المسيب وقبات بن أشيم لا تتلاقى في مفادها مع رواية أنس في الرأي. فإنهم

كانوا يميلون الى رواية «على رأس الأربعين» لا الأربعين فما هو يا ترى الداعي الى أن يذكر نقيضها في رواية أبي القاسم السهيلي على أنه نُبئَ لَرَبْعِينَ سنةً وَشَهْرَيْنِ؟ وقد اعتمد ابن سيد الناس على الرواية الشفاهية التي اعتمدت صيغة السماع على القاضي ابن الحرستاني وهو الشيخ الإمام العالم المفتي المعمر الصالح مسند الشام شيخ الإسلام قاضي القضاة جمال الدين أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل بن علي بن عبد الواحد الأنصاري الدمشقي الشافعي ابن الحرستاني المتوفى سنة ٥٢٠ هجرية.

وهناك حالة أخرى ربما أخطأ فيها ابن سيد الناس، وربما يرجع هذا الخطأ الى راويته الشفاهي المتأخر الحرستاني، إذ يقول نقلاً عن عبيد بن عمير: «فَجَاءَنِي وَأَنَا نَائِمٌ فَهَذِهِ حَالَةٌ. وَحَدِيثُ عَائِشَةَ وَغَيْرَهَا أَنَّهُ كَانَ فِي الْيَقِظَةِ فَهَذِهِ حَالَةٌ ثَانِيَةٌ وَلَا تَعَارِضُ لِحَوَازِ الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا بِوُقُوعِهِمَا مَعًا، وَيَكُونُ الْإِتْيَانُ فِي النَّوْمِ تَوَاطُفًا لِلْإِتْيَانِ فِي الْيَقِظَةِ، وَقَدْ قَالَتْ عَائِشَةُ: أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ». فمحتوى هذه الرواية متداخل ومضطرب. أولاً: إن رواية عبيد بن عمير في الأصل لا تتعلق بهذا الموضوع وإنما كانت -كما تحدث بها شفاها ابن كيسان مولى عبد الله بن الزبير- عن موقف النبي ﷺ عندما نزل عليه الوحي. ثانياً: إن الرواية تلك التي تفيد أنه ﷺ كان نائماً عندما جاءه جبرئيل عليه السلام هي رواية عروة بن الزبير عن خالته عائشة، فهي -في الواقع- لم تنصّ ولم تؤشر الى: - «عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَكُلَّ بِهِ الْمَلِكُ إِسْرَافِيلُ عليه السلام، فَكَانَ يَتَرَاءَى لَهُ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَيَأْتِيهِ بِالْكَلِمَةِ مِنَ الْوَحْيِ، ثُمَّ وَكَّلَ بِهِ جَبْرَائِيلُ، فَجَاءَهُ بِالْقُرْآنِ وَالْوَحْيِ»، إنما تتعلق بمدة مكوث النبي ﷺ في مكة.

فإذا ما انتقلنا الى ما أورده شمس الدين الذهبي في كتابه «السيرة النبوية» بقوله إن سعيد بن المسيب بحسب ما أورده يحيى بن سعيد قائلًا: «وقال يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب قال أنزل على رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة فمكث بمكة عشرة وبالمدينة عشرة. وهذا يعدّ ردّاً على ما قاله أنس بن مالك، وكذلك جاء في

سيرة ابن هشام، والرواية الصحيحة هي ما قاله سعيد بن المسيب كما أوردها ابن هشام في سيرة ابن إسحاق: «حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، قال: أنزل على رسول الله الوحي وهو ابن ثلاث وأربعين سنة».

في الوقت نفسه علينا أن نصحح تركيب نصّ رواية الذهبي عن رواية الشعبي، إذ جاء عند ابن سيد الناس الآتي: «وقال محمد بن أبي عدي عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة فقرن بنبوته الملك إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشيء ولم ينزل القرآن على لسانه عشرين سنة، ومات وهو ابن ثلاث وستين». وحقيقة رواية الشعبي هي عن راويته الشفاهي داود بن أبي هند وكما قدمها محمد بن سعد في الطبقات الكبرى هي: «أَخْبَرَنَا الْمُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ الْعَمِّيُّ. أَخْبَرَنَا وَهَيْبُ بْنُ خَالِدٍ عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ عَنْ عَامِرٍ. وَأَخْبَرَنَا خَلْفُ بْنُ الْوَلِيدِ الْأَزْدِيُّ. أَخْبَرَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ عَنْ عَامِرٍ. وَأَخْبَرَنَا نَصْرُ بْنُ سَائِبٍ الْخُرَّاسَانِيُّ عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ عَنْ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْزَلَتْ عَلَيْهِ النَّبُوءَةُ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً. وَكَانَ مَعَهُ الْمَلِكُ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَلَاثَ سِنِينَ» (٨٥).

هاهنا لابد لنا أن نبين بعض الشيء عن هذا التعبير الذي ذكر من قبل ابن إسحاق في سيرته وظل يتردد ويتكرر دوماً من دون أن يتم شرح مدلوله ومبتغاه ألا وهو: «كان يعلمه، الملك إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يعلم النبي ﷺ خلال الثلاث سنوات الكلمة والشيء وأحيانا الكلمة والدين»، إذ حاولت أن استعلم شيئاً عن المقصود بهذه التعبيرات لما له من أهمية في استطلاع مهمة الملك إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ التثقيفية لرسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه القرآن الكريم عن طريق الملك جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فخرج التحري عن هذا المضمون بالآتي: - فلفظ (الكلمة) ورد في القرآن الكريم في خمسة وسبعين موضعاً، جاء في واحد وخمسين منها بصيغة الاسم، من ذلك قوله تعالى: (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا)

(الأنعام: ١١٥)، وجاء في أربعة وعشرين موضعاً بصيغة الفعل من ذلك قول الله (عز وجل): (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) (البقرة: ١٧٤). ولم يرد لفظ (كلم) بمعنى الجرح في القرآن الكريم. فلفظة (الكلمة) قد وردت في القرآن الكريم على عدة معانٍ، منها: بمعنى كلام الله سبحانه أجمع من أمر ونهي وخبر، من ذلك قوله تعالى: (يسمعون كلام الله ثم يحرفونه) (البقرة: ٧٥)، أي: يحرفون ما أمرهم الله به، ونهاهم عنه. ومنه قوله سبحانه: (وكلم الله موسى تكليماً) (النساء: ١٦٤). ونحوه أيضاً قوله عز وجل: (يؤمن بالله وكلماته) (الأعراف: ١٥٨). وتعني أيضاً القرآن الكريم كما في قوله تعالى: (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) (التوبة: ٦)، أي: أجره حتى يسمع القرآن، تقرأه عليه، وتذكر له شيئاً من أمر الدين، تقيم عليه به حجة الله. تلك التي يقصد منها في آية أخرى وعد الله سبحانه، من ذلك قوله عز وجل: (يريدون أن يبدلوا كلام الله) (الفتح: ١٥)، أي: يريدون أن يغيروا وعد الله الذي وعد أهل الحديبية؛ وذلك أن الله جعل غنائم خيبر لهم، ووعدهم ذلك عوضاً من غنائم أهل مكة، إذا انصرفوا عنهم على صلح، ولم يصيبوا منهم شيئاً. ومن هذا القبيل قوله سبحانه: (ولا تبدل لكلمات الله) (الأنعام: ٣٤)، أي: لا تبدل لما أنزل الله على نبيه محمد ﷺ، بوعد إياه النصر على من خالفه وعلى من ضاده، والظفر على من تولى عنه وأدبر. كذلك تعني شرع الله الذي شرعه لعباده، وهو إما خبر صدق، وإما طلب عدل إن كان أمراً أو نهياً، من ذلك قوله سبحانه: (لا تبدل لكلماته) (الأنعام: ١١٥)، أي: لا تبدل لما شرعه الله لعباده بما فيه من صلاح الدين والدنيا. ومن ذلك هذه الآية الكريمة: (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات) (البقرة: ١٢٤)، أي: ابتلاه بما شرعه له من الأحكام. وتعني أيضاً علمه سبحانه وتعالى وحكمه، من ذلك قوله تعالى: (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي) (الكهف: ١٠٩)، قال البغوي: أي: علمه وحكمه. ونحوه قوله سبحانه وتعالى: (ما نفدت كلمات الله) (سورة لقمان: ٢٧). وقال ابن عباس

الكلمات هنا: المواعظ. ولعل أقرب ما كان يعلمه الملك (عليه السلام)، دين الله وتوحيده وقول لا إله إلا الله، من ذلك قوله تعالى: (وكلمة الله هي العليا) (التوبة: ٤٠).

ويقصد بها أيضا البشارة بعيسى (عليه السلام)، من ذلك قوله تعالى: (فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ) (آل عمران: ٣٩)، قال الطبري: إن الملائكة بشرت مريم بعيسى عن الله (عز وجل) برسالته وكلمته التي أمرها أن تلقىها إليها: أن الله (عز وجل) خالق منها ولداً من غير بعل ولا فحل. وقوله سبحانه: (إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم) (النساء: ١٧١). يعني: بشرى الله مريم بعيسى، ألقاها إليها. ونحوه قوله عز وجل: (إن الله يبشرك بكلمة منه) (آل عمران: ٤٥)، يعني برسالة من الله وخبر من عنده. وروي عن ابن عباس أنه قال: (الكلمة) هي عيسى. وقيل: (الكلمة) ها هنا بمعنى الآية. وهي الحجة والبرهان، من ذلك قوله تعالى: (ويحق الله الحق بكلماته) (سورة يونس: ٨٢)، ونحوه قوله سبحانه: (ويحق الحق بكلماته) (الشورى: ٢٤)، أي: بحججه التي جعلها لكم عليهم سلطاناً مبيناً. والحكم والقضاء، من ذلك قوله تعالى: (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى) (سورة طه: ١٢٩)، إشارة إلى ما سبق من حكمه وقضائه سبحانه. والكلمة هي التوراة، من ذلك قوله تعالى: (يحرفون الكلم عن مواضعه) (النساء: ٤٦)، عن مجاهد قال: تبديل اليهود التوراة. ونحوه قوله عز وجل: (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) (المائدة: ٤١)، يعني: تغييرهم حكم الله تعالى الذي أنزله في التوراة في المحصنات والمحصنين من الزناة بالرجم إلى الجلد والتحميم. وقوله تعالى: (فتلقى آدم من ربه كلمات) (البقرة: ٣٧)، قال المفسرون: الكلمات التي تلقاها آدم (عليه السلام) من ربه هي قوله تعالى: (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) (البقرة: ٢٣). وقيل المراد بـ (الكلمات) في الآية: الأمانة المعروضة على السماوات والأرض، المشار إليها في قوله سبحانه: (إننا عرضنا الأمانة

على السماوات والأرض والجبال) (الأحزاب: ٧٢). وقوله تعالى: (وتمت كلمة ربك الحسنی على بني إسرائيل بما صبروا) (الأعراف: ١٣٧)، قيل: هذه الكلمة هي قوله سبحانه: (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين) (القصص: ٥).

أما لفظة الدين فقد وردت في الكتاب العزيز بمعان متعددة، ومدلولات مختلفة، نحاول التعرف عليها. فلفظ (الدين) من دان بكذا ديانة، فهو دِينٌ؛ وتَدِينُ به فهو متدين؛ و(الدِّين) إذا أطلق يراد به: ما يَتَدَيَّنُ به الرجل، ويدين به من اعتقاد وسلوك؛ وبمعنى آخر، هو طاعة المرء والتزامه لما يعتنقه من أفكار ومبادئ. وهو الطاعة؛ وقد دِنْتُهُ ودِنْتُ له أطعته، وخضعت له. والدين الإسلام، قال تعالى: (إن الدين عند الله الإسلام) (آل عمران: ١٩)، وقد دِنْتُ به، أي: اتخذته منهجاً لي في الحياة. وهو يقصد منه الحساب، وفي الحديث الشريف: (الكَيْس من دانَ نَفْسَهُ، وعَمِلَ لما بعد الموت؛ والأَحْمَقُ من اتَّبَعَ نفسه هواها وتمنى على الله) رواه أحمد وغيره، قال أبو عبيد: قوله: دانَ نفسه، أي: أذلها واستعبدها، وقيل: حاسبها. وهو الجزاء، ومنه قوله تعالى: (أئنا لمدينون) (الصافات: ٥٣). والدين العادة والشأن، تقول العرب: ما زالَ ذلكَ ديني ودَيْدَنِي، أي: عادتي وشأني. وكذلك يعني الحكم والقضاء والسلطان، وفي التنزيل العزيز قال سبحانه وتعالى: (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) (يوسف: ٧٦) قال قتادة: في قضاء الملك. ومن الألفاظ القرآنية الوثيقة الصلة بلفظ (الدين) لفظ الشريعة والملة.

وواقعاً فإن كلام ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية» مباشر ودقيق باعتماده على قول لأبي حنيفة بما جاءت به رواية عن داود بن أبي هند عن عامر الشعبي أن رسول الله ﷺ نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته الملك إِسْرَافِيلُ عليه السلام ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشيء، ولم ينزل القرآن، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته الملك جبريل عليه السلام، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة، عشرا بمكة، وعشرا بالمدينة،



فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة. فهذا إسناد صحيح إلى الشعبي وهو يقتضي أن الملك إسرَافيل عليه السلام قرن معه بعد الأربعين ثلاث سنين، ثم جاءه الملك جبريل عليه السلام.

وهنا لا ريب من القول بأن ابن كثير قد أدرك رواية الشعبي وكأن الثلاث سنوات الخاصة بارتباط رسول الله بالملك إسرَافيل عليه السلام هي ضمن الأربعين سنة من عمره الشريف، عندها تكون النتيجة التي ذكرها ابن كثير بأن النبي صلى الله عليه وآله قد توفي عن عمر ناهز ثلاثاً وستين سنة لا كما رآها لأنه جعل الثلاث سنوات ضمن الأربعين سنة فيكون عمره عند الوفاة إذن ستين سنة لا ثلاثاً وستين. وكما صرح بذلك أنس بن مالك، فابن كثير -واقعا- قد جمع ما قيل من روايات شفهائية في المرحلة التأسيسية من دون أن يبدي أي رأي في الصحيح منها، وهو قد أورد رواية عن أحمد بن حنبل وهي رواية تخالف الروايات الشفهائية التأسيسية الأخرى، إذ ذكر رواية يرجع سندها إلى ابن عباس تلك التي قد تقدم ذكرها ونصّها: «وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أنبأنا عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال: أقام النبي صلى الله عليه وآله بمكة خمس عشرة سنة، سبع سنين يرى الضوء، ويسمع الصوت، وثمان سنين يوحى إليه». والملاحظ أن الراوية الذي ترجع حلقة الوصل فيها إلى ابن عباس هو حماد بن سلمة بن دينار، وهو عند الذهبي الإمام القدوة، شيخ الإسلام أبو سلمة البصري، النحوي، البزاز، الخرقى، البطائني، مولى آل ربيعة بن مالك، وابن أخت حميد الطويل. وكان عمار بن أبي عمار الذي أوصل إليه رواية ابن عباس من بين العلماء الذين كان قد سمعهم ^(٨٦). ويذكر الذهبي في ما رواه إسحاق الكوسج، عن ابن معين، قال: حماد بن سلمة ثقة وقال علي بن المديني: هو عندي حجة في رجال، وهو أعلم الناس بثابت البناني، وعمار بن أبي عمار. وذكر أيضاً قال شعبة: كان حماد بن سلمة يفيدني عن عمار بن أبي عمار ^(٨٧). وعلى هذا الأساس فإن ما رواه حماد بن سلمة وعمار بن أبي عمار عن ابن عباس يمكن الوثوق به، علماً أن رواية ابن عباس بشأن عمر النبي صلى الله عليه وآله كونه أقام في مكة خمس عشرة سنة لم يرد ذكرها



حتى في رواية عكرمة عن ابن عباس وقد تكرر ذكرها عند مؤرخي هذه المرحلة، لذلك فإن الاطمئنان إليها يؤدي بنا الى القول بأن النبي ﷺ قد وافاه الأجل وهو في الخامسة والستين من عمره لا في الستين كما يقول أنس بن مالك، ولا في الثلاث والستين كما يقول عكرمة عن ابن عباس أو كما يقول عامر الشعبي.

وأما ما له علاقة باليوم الذي نبئ به رسول الله ﷺ فإن ابن كثير يعرض روايات الرواة الشفاهيين السابقين من دون أن يقدم رأياً، إذ يقول: «ثم قيل: كان ذلك في شهر ربيع الأول كما تقدم عن ابن عباس وجابر أنه ولد ﷺ في الثاني عشر من ربيع الأول يوم الاثنين، وفيه بعث، وفيه عرج به إلى السماء. والمشهور أنه بعث عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان، كما نصّ على ذلك عبيد بن عمير ومحمد بن إسحاق وغيرهما. قال ابن إسحاق مستدلاً على ذلك بما قاله الله تعالى: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس) (البقرة: ١٨٥) فقيل: في ثاني عشره. وروى الواقدي بسنده عن الإمام أبي جعفر الباقر ﷺ أنه قال: «كان ابتداء الوحي إلى رسول الله ﷺ يوم الاثنين، لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان. وقيل: في الرابع والعشرين منه».

ولبرهان الدين الحلبي المتوفى سنة ٨٤١ هـ / ١٣٥٢، في كتابه السيرة الحلبية رأي صريح في توكيده على رواية أنس بن مالك ورفضه الروايات الشفاهية الأخرى بما فيها رواية ابن عباس وسعيد بن المسيب، فهو يقول ما نصّه: «فعن أنس بن مالك: أن رسول الله بعث على رأس الأربعين. قال: وهذا هو المشهور بين الجمهور من أهل السير، والعلم بالأثر. وقيل بزيادة يوم. وقيل بزيادة عشرة أيام، وقيل بزيادة شهرين. وقيل بزيادة سنتين، وهو شاذ، وأكثر منه شذوذاً ما قيل إنه بزيادة ثلاث سنين، وما قيل إنه بزيادة خمس سنين. قال بعضهم: والأربعون هي سن الكمال، ونهاية بعث الرسل: أي لا يرسلون دونها، ومن ثم قال في الكشف: ويروى أنه لم يبعث نبي إلا على رأس أربعين سنة، هذا كلام الكشف. وأما ما يذكر عن المسيح أنه رفع إلى السماء وهو ابن



ثلاث أو أربع وثلاثين سنة: أي ومعلوم أنه دعا إلى الله قبل ذلك، فهو قول شاذ حكاه وهب بن منبه عن النصارى ١. هـ: أي وعليه جرى غير واحد من المفسرين، بل قال في ينبوع الحياة: لم يبلغني أن أحدا من المفسرين ذكر في مبلغ سنة إذ رفع أكثر من ثلاث وثلاثين سنة هذا كلامه».

ولم يبدِ ابن خلدون أية ملاحظة أو مداخلة بخصوص هذين الموضوعين، عمر الرسول ﷺ ويوم مبعثه الشريف، والأحرى أنه اكتفى فقط بذكر الآتي: «جاء الوحي بحراء لأربعين سنة من مولده وقيل لثلاث وأربعين». في الوقت الذي حدّد الصالحى الشامى (المتوفى سنة ٩٤٢ هجرية) موقفه المؤيد تماما لرواية عروة بن الزبير + عائشة وأنس بن مالك والمعارض تماما لرواية عكرمة عن ابن عباس ورواية سعيد بن المسيب؛ فقال في: «الباب الخامس في قدر عمر النبي ﷺ وقت بعثته وتاريخها؛ قال الإمام النووي في شرح مسلم: الصواب أنه ﷺ بعث على رأس الأربعين سنة، هذا هو المشهور الذي أطبق عليه العلماء. وقال السهيلي: إنه الصحيح عند أهل السير والعلم بالأثر. وحكى القاضي عن ابن عباس وسعيد بن المسيب رواية شاذة أنه بعث على رأس ثلاث وأربعين سنة والصواب الأول. وقال شيخ الإسلام البلقيني: كان سن رسول الله ﷺ حين جاءه الملك جبريل عليه السلام في غار حراء أربعين سنة على المشهور. وقيل ويوما. وقيل وعشرة أيام. وقيل وشهرين وقيل وستين وقيل وثلاثة. وقيل وخمس».

في حين كان موقف الصالحين من اليوم الذي بعث فيه رسول الله ﷺ غير جازم فنراه يعرض الأقوال ويرجح ما كان يراه الحافظ، فيقول: «قال: وكان ذلك يوم الاثنين نهاراً. واختلف في الشهر. فقل شهر رمضان في سابع عشره وقل سابعه. وقل رابع عشره. وقال الحافظ: وشهر رمضان هو الراجح لما سيأتي من أنه الشهر الذي جاور فيه في حراء فجاءه الملك. وعلى هذا يكون سنه حينئذ أربعين سنة وستة أشهر. وقل في سابع عشر شهر رجب. وقل في أول شهر ربيع الأول. وقل في ثامنه. وعند أبي داود الطيالسي ما يقتضي أن مجيء الملك جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ في حراء كان في آخر شهر رمضان. قال الحافظ: ولعله الراجح».



هوامش الفصل الخامس:

- (١) ينظر: الذهبي، أعلام النبلاء؛ مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، جزء ٩، ص ٢٤٦ - ٢٤٧.
- (٢) سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، جزء ١، ص ١٠٨ - ١٠٩، (١٣٤)؛ وهناك ملحوظة أن هذه المعلومة لم ترد في رواية البكائي لسيرة ابن إسحاق.
- (٣) سير أعلام النبلاء، جزء ٩، ص ٦.
- (٤) م. ن.
- (٥) السيرة النبوية لابن هشام، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبي محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م، جزء ١، صفحة ٢٣٣.
- (٦) م. ن. جزء ١، ص ٢٣٩.
- (٧) م. ن. جزء ١، ص ٢٤٠.
- (٨) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠.
- (٩) عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (المتوفى: ٥٦٢هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.
- (١٠) الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، جزء ١، ص ١٤٩ - ١٥٠.
- (١١) م. ن. جزء ١، ص ١٥١.
- (١٢) م. ن. جزء ١، ص ١٥٢.
- (١٣) م. ن. جزء ١، ص ١٥٢.
- (١٤) البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، جزء ١، ص ١٠٣.
- (١٥) م. ن. جزء ١، ص ١٠٤.



(١٦) تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار التراث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٧ هـ، جزء ٢، ص ٢٩١.

(١٧) م. ن. جزء ٢، ص ٢٩١ - ٢٩٣.

(١٨) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي عبد الحميد، طبعة دار الفكر، الطبعة الخامسة، ١٢٩٣ / ١٩٧٣، الجزء الأول، ص ٢٨٢ - ٢٨٣.

(١٩) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبُد، التميمي، أبي حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤ هـ)، صحّحه، وعلق عليه: الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٧ هـ، جزء ١، ص ٦٦ - ٦٧.

(٢٠) جوامع السيرة النبوية، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، هامش ابن حزم؛ جزء ٥ ص ٥.

(٢١) ابن عبد البر، الإستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، الجزء الأول، ص ٣٠.

(٢٢) م. ن. جزء ١، ص ٣١.

(٢٣) م. ن. جزء ١، ص ٣٢.

(٢٤) م. ن. جزء ١، ص ٣٣.

(٢٥) م. ن. جزء ١، ص ٣٤.

(٢٦) م. ن. جزء ١، ص ٣٥.

(٢٧) م. ن. جزء ١، ص ٣٦.

(٢٨) ينظر: تاريخ الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، جزء ٢، ص ٢٩١.

(٢٩) سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف: الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، جزء ١، ص ٢٤٤.

(٣٠) ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، جزء ٤، ص ٣٠٠، ٣٠٢.

(٣١) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، جزء ١، ص ١٤٩.

(٣٢) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.

(٣٣) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام؛ جزء ٢، ص ٣٧٨ - ٣٧٩.



- (٣٤) م. ن. جزء ٢، ص ٣٨٤ - ٣٨٥.
- (٣٥) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م، جزء ٢، ص ٣٤٧ - ٣٤٨.
- (٣٦) م. ن. جزء ٢، ص ٣٤٨ - ٣٤٩.
- (٣٧) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، طبعة دار المعارف العثمانية، ١٣٥٨ هجرية، الطبعة الأولى، جزء ٨، ص ١٠٨.
- (٣٨) الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين، ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠ هـ) تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م، جزء ١، ص ٦٤٧.
- (٣٩) أبو شامة المقدسي، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، جزء ٢، ص ٣٣.
- (٤٠) م. ن. جزء ٢، ص ٩٣.
- (٤١) عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربيعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: ٧٣٤ هـ)، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ / ١٩٩٣، جزء ١، ص ٦٦.
- (٤٢) م. ن. جزء ١، ص ٩٧.
- (٤٣) م. ن. جزء ١، ص ٩٨.
- (٤٤) م. ن. جزء ١، ص ١٠٧.
- (٤٥) م. ن. جزء ١، ص ١٠٨.
- (٤٦) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، جزء ١، ص ١٢٠ - ١٢٦.
- (٤٧) زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م، جزء ١، ص ٨٢ - ٨٤.
- (٤٨) السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ) تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦، جزء ١، ص ٣٨٥ - ٣٨٨.
- (٤٩) م. ن. جزء ١، ص ٣٨٨ - ٣٩٠.



(٥٠) م. ن.

(٥١) م. ن.

(٥٢) م. ن.

(٥٣) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨ هـ)، تحقيق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، جزء ٢، ص ٤٠٧.

(٥٤) عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمرى الربيعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: ٧٣٤ هـ) تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ - ١٩٩٣، جزء ١، ص ٣٢ - ٣٥.

(٥٥) م. ن. ص ٣٥ - ٣٦، ٤٧.

(٥٦) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ)، المحقق: عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، ص ٤٩ - ٥١.

(٥٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

(٥٨) جزء ٧، ص ١٦٤؛ ٢٢٧.

(٥٩) م. ن. ج ٧، ص ٢٣٠.

(٥٩) م. ن.

هامش سبط ابن العجمي، برهان الدين، اسم المصنف: برهان الدين الحلبي أبو الوفا إبراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسي الشافعي سبط ابن العجمي؛ إنسان العيون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٧ هـ - ١٤٢٧ هـ، جزء ١، ص ٧٤.

(٦٠) م. ن. جزء ١، ص ٨٤.

(٦١) م. ن. جزء ١، ص ٨٥.

(٦٢) م. ن. جزء ١، ص ٨٦.

(٦٣) م. ن. ص ٨٧.

(٦٤) م. ن. ص ٣٢٢ - ٣٢٣.

(٦٤) م. ن. ص ٣٢٣ - ٣٢٤.



- (٦٥) م. ن. ص ٣٣٤ - ٣٧٥.
- (٦٦) م. ن. ص ٣٧٥ - ٣٧٨.
- (٦٧) م. ن. جزء ٢، ص ٣٣٧ - ٣٣٨.
- (٦٨) م. ن. جزء ٢، ص ٣٣٨ - ٣٤٠.
- (٦٩) م. ن. ص ٣٤٥ - ٣٤٨.
- (٧٠) م. ن. ص ٣٤٨ - ٣٤٩.
- (٧١) م. ن. ص ٣٥٠ - ٣٥١.
- (٧١) م. ن. ص ٣٥٠ - ٣٥١.
- (٧٢) م. ن. ص ٣٥٢ - ٣٥٤.
- (٧٣) م. ن. جزء ١، ص ٣٥٨.
- (٧٤) م. ن.
- (٧٥) جزء ١ ص.
- (٧٦) جزء ١، ص ٣٥١.
- (٧٧) م. ن. ص ٣٥١.
- (٧٨) م. ن. ص ٣٥٢.
- (٧٩) م. ن. ص ٣٥٣.
- (٨٠) م. ن. ص ٣٥٣ - ٣٥٤.
- (٨١) م. ن.
- (٨٢) م. ن.
- (٨٣) م. ن.
- (٨٤) سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، المؤلف: محمد بن يوسف الصالحى الشامى (المتوفى: ٩٤٢ هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، جزء ١، ص ٣٢٥ - ٣٢٧.
- (٨٥) م. ن. ص ٣٢٧ - ٣٢٨.
- (٨٦) م. ن. ص ٣٣٣.
- (٨٧) م. ن.
- (٨٨) جزء ١، ص ٣٣٤.
- (٨٩) م. ن. ص ٣٣٥.



(٩٠) م. ن.

(٩١) م. ن. ص ٣٣٦.

(٩٢) م. ن. ص ٣٣٧.

(٩٣) م. ن.

(٩٤) م. ن. ص ٣٣٨.

(٩٥) م. ن.

(٩٦) م. ن. ص ٢٢٦ - ٢٢٧.

(٩٧) م. ن. ج ١، ص ٢٢٨.

(٩٨) م. ن.

(٩٩) م. ن. ص ٢٣٠ - ٢٣١.

(١٠٠) م. ن. ص ٢٣١.

(١٠١) م. ن. ص ٢٣٢ - ٢٣٣.

(١٠٢) م. ن. ص ٢٣٤.

(١٠٣) م. ن.

(١٠٤) م. ن. ص ٢٣٧.

(١٠٥) م. ن. ص ٢٣٩.

(١٠٦) م. ن. ص ٢٤٠.

(١٠٧) م. ن. ص ٢٤١.

(١٠٨) م. ن. ص ٢٤٢.

(١٠٩) م. ن. ص ٢٤٤.

(١١٠) م. ن. ص ٢٥٢.

(١١١) م. ن. ص ٢٧١.

(١١٢) م. ن. ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

(١١٣) م. ن. ص ٢٧٤.

(١١٤) م. ن.

(١١٥) م. ن. ص ٢٩٧.





الفصل السادس

التطبيقات

رواية نزول الوحي على رسول الله ﷺ

في أول آيات الذكر الحكيم التي أنزلت على صدر الرسول الكريم ﷺ

الروايات الشفاهية بخصوص نزول جبرئيل عليه السلام

بناءً على النسق الذي اتبعناه في المباحث السالفة، فإن الروايات التأسيسية المتعلقة

بنزول الآيات الأولى على قلب رسول الله ﷺ بواسطة جبرئيل عليه السلام:

المصدر الأول:-

المعروف عند مؤلفي السيرة النبوية المطهرة ومؤلفي الصحاح والمساند والمصاحف أن عروة بن الزبير بن العوام المتوفى سنة ٩٤ هجرية قد وضع كتاباً عن مغازي رسول الله ﷺ، وقد قام الدكتور محمد مصطفى الأعظمي باستخراج ما روي من مرويات عروة بن الزبير في مغازي رسول الله ﷺ برواية أبي الأسود، وقد طبع الكتاب طبعة أولى في الرياض في سنة ١٤٠١ هجرية. غير أن هذه المرويات قد تطرقت كما هو بين إلى المغازي والسرايا فحسب، تماماً كما هو الحال بخصوص كتاب تلميذ عروة، ابن شهاب الزهري المتوفى سنة ١٢٤ هجرية، الموسوم بـ «مرويات الإمام الزهري في المغازي» جمع ودراسة محمد بن محمد العواجي، المطبوع طبعة أولى في الرياض سنة ٢٠٠٤ م. إذ بدأ المحقق الدكتور العواجي في الباب الثالث مستعرضاً محتويات الكتاب فكان أول كتاب الزهري سرايا رسول الله من أول سرية إلى آخر أحداث بني قريظة، ثم يستعرض مواد الكتاب بدءاً من الأحداث التي سبقت غزوة بدر الكبرى إلى غزوة تبوك والسرايا التي أعقبت غزوة تبوك. فالكتاب كما يصرّح عنوانه بشكل واضح هو عن المغازي والسرايا أيضاً.

في الوقت نفسه فإن ما تبقى من مغازي موسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدي بالولاء، أبي محمد، مولى آل الزبير والمتوفى سنة ١٤١ هجرية قد قام بانتخابها القاضي يوسف بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة المتوفى سنة ٧٨٩ هجرية تحت عنوان



«أحاديث منتخبة من مغازي موسى بن عقبة»، تحقيق: مشهور حسن سلمان، المطبوع في مؤسسة الريان، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٩٩١ م. فلم نعثر في هذه الأحاديث على مبتغى هذا المبحث في مسألة نزول الوحي سوى ما جاء في الفقرة الآتية من الجزء الأول صفحة ٥٩ :-

«قَالَ: قَالَ ابْنُ شَهَابٍ أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ أَنِّي أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ سَبَطَ الشَّعْرَ بَيْنَ الرَّجْلَيْنِ يَنْظِفُ أَوْ يَهْرَاقُ رَأْسُهُ مَاءً فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: ابْنُ مَرْيَمَ فَذَهَبْتُ أَلْتَفْتُ، فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ جَعْدُ الرَّأْسِ أَعْوَرُ كَأَنَّ عَيْنَهُ عَنَبَةٌ طَافِيَةٌ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الدَّجَالُ أَقْرَبُ النَّاسِ لَهُ شَبَهًا ابْنُ قَطَنِ الْخَزَاعِيِّ».

إذن ما كنا نتطلع إليه من هذين الكتابين ومن نصوص مغازي موسى بن عقبة وهي تعدّ بحسب مصادر أهل العامة من الوثائق التاريخية التي لا يمكن أن تضاهي؛ لكونها أقرب الحلقات في أسانيدھا لعائشة زوج رسول الله ﷺ، ولأن مؤلفيھا، أعني هنا عروة بن الزبير وابن شهاب الزهري، كانا من مؤسسي اللجنة العلمية الأمانية المخبرانية التي ألفھا معاوية بن أبي سفيان في أواخر مملكته لكتابة السيرة النبوية كما ذكر ابن عساکر في سيرته؛ غير أن شيئاً من ذلك لم يكن بالفعل حقيقياً!



المصدر الثاني:-

الجزء الثالث

من كتاب المغازي رواية يونس بن بكير عن محمد بن إسحق
رواية يونس بن بكير لسيرة ابن إسحاق بخصوص نزول الوحي

بعث النبي ﷺ

«توكلت على الله أخبرنا الشيخ أبو الحسين أحمد بن محمد النقور البزاز -قراءة عليه وأنا أسمع- قال: أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص قال: قرىء على أبي الحسين رضوان بن أحمد وأنا أسمع قال: نا أبو عمر أحمد بن عبد الجبار العطاردي قال: نا يونس بن بكير عن محمد بن إسحق قال: ثم بعث الله (عزَّ وجلَّ) محمداً ﷺ رحمة للعالمين، وكافة للناس، وكان الله قد أخذ له ميثاقاً على كل نبي بعثه قبله، بالإيمان به، والتصديق له، والنصر له على من خالفه، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى من آمن بهم وصدقهم، فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه، يقول الله تبارك وتعالى لمحمد ﷺ: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا) سورة آل عمران الآية ٨١ إلى آخر الآية. فأخذ الله ميثاق النبيين جميعاً بالتصديق له والنصر له على من خالفه، فأدوا ذلك إلى من آمن بهم وصدقهم من أهل هذين الكتابين، فبعثه الله بعد بنيان الكعبة بخمس سنين، ورسول الله ﷺ يومئذ ابن أربعين سنة.

قال: حدثنا أحمد نا يونس عن ابن إسحق قال: حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت: أول ما ابتدئ به رسول الله من النبوة حين أراد الله (عزَّ وجلَّ) كرامته ورحمته ورحمة العباد به ألا يرى شيئاً إلا جاءت كفلق الصبح. فمكث على ذلك ما شاء الله (عزَّ وجلَّ) أن يمكث، وحبب الله (عزَّ وجلَّ) إليه الخلوة، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده. نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحق قال:



فابتدى رسول الله ﷺ بالتنزيل في شهر رمضان. بقول الله تبارك وتعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) سورة البقرة الآية ١٨٥ إلى آخر الآية، وقال الله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) سورة القدر الآية رقم ١ إلى آخر السورة، وقال: (حم. وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ) سورة الدخان الآية ١-٣، وقال: (إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ) سورة الأنفال الآية ٤١، وذلك ملتقى رسول الله ﷺ والمشركين ببدر»^(١).

اليوم الذي وقعت فيه معركة بدر

«نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحق قال: حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون يوم بدر صبيحة الجمعة لسبع عشرة من شهر رمضان. نا أحمد: نا يونس عن أسباط بن إسماعيل بن عبد الرحمن قال: كان يوم بدر يوم الجمعة لسبع عشرة من شهر رمضان. نا أحمد: نا يونس عن قرة بن خالد قال: سألت عبد الرحمن بن قاسم عن ليلة القدر، فقال: كان زيد بن ثابت يعظم سابعة عشر ويقول: هي وقعة بدر. نا أحمد: نا يونس عن بسر بن أبي حفص الكندي الدمشقي قال: نا مكحول أن رسول الله ﷺ قال لبلال: ألا لا يغادرك صيام الاثنين، وأوحي إلي يوم الاثنين، وهاجرت يوم الاثنين، وأموت يوم الاثنين.

حدثنا أحمد: نا يونس عن ابن إسحق قال: حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي، وكان واعية، عن بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ حين أراد الله (عز وجل) كرامته، وابتدأه بالنبوة، كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه وسمع منه، فيلتفت رسول الله ﷺ خلفه وعن يمينه وعن شماله فلا يرى إلا الشجر وما حوله من الحجارة وهي تحييه بتحية النبوة: السلام عليك، رسول الله.

فكان رسول الله ﷺ يخرج إلى حراء في كل عام شهرا من السنة ينسك فيه، وكان من نسك الجاهلية من قریش يطعم من جاءه من المساكين، حتى إذا انصرف من مجاورته

وقضاه لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة حتى إذا كان الشهر الآخر الذي أراد الله (عزّ وجلّ) ما أراد من كرامته من السنة التي يبعثه فيها، وذلك شهر رمضان، فخرج رسول الله ﷺ كما كان يخرج لجواره، وخرج معه بأهله، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله (عزّ وجلّ) فيها برسالته، ورحم العباد به جاءه الملك جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى، فقال رسول الله ﷺ: «جاءني وأنا نائم فقال: اقرأ، فقلت: وما أقرأ؟ حتى ظننت أنه الموت، ثم كشطه عني فقال: اقرأ، فقلت: وما أقرأ؟ فعاد لي مثل ذلك ثم قال: اقرأ، فقلت: وما أقرأ؟ وما أقولها إلا تنجياً أن يعود لي بمثل الذي صنع بي، فقال: (اقرأ بسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) ثم انتهى فانصرف عني، وهبت من نومي، وكأننا صور في قلبي كتاب، ولم يكن في خلق الله (عزّ وجلّ) أحد أبغض إلي من شاعر أو مجنون، كنت لا أطيق أنظر إليهما، فقلت: إن الأبعد -يعني نفسه- لشاعر أو مجنون، ثم قلت: لا تحدث قریش عني بهذا أبداً، لأعمدن إلى حالق من الجبل، فلا طرحن نفسي منه، فلا قتلنها، فلا سترجن، فخرجت ما أريد غير ذلك، فبينما أنا عامد لذلك سمعت منادياً ينادي من السماء يقول: يا محمد! أنت رسول الله، وأنا جبريل، فرفعت رأسي إلى السماء أنظر، فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول: يا محمد! أنت رسول الله، وأنا جبريل، فوقعت أنظر إليه، وشغلني عن ذلك وعما أريد، فوقف ما أقدر على أن أتقدم ولا أتأخر ولا أصرف وجهي في ناحية من السماء إلا رأيته فيها، فما زلت واقفاً ما أتقدم ولا أتأخر حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي حتى بلغوا مكة ورجعوا، فلم أزل كذلك حتى كاد النهار يتحول، ثم انصرف عني، وانصرفت راجعاً إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفاً إليها، فقالت: يا أبا القاسم أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا، فقلت لها: إن الأبعد لشاعر أو مجنون، فقالت: أعينك بالله يا أبا القاسم من ذلك، ما كان الله (عزّ وجلّ) ليفعل بك ذلك مع ما أعلم



من صدق حديثك، وعظم أمانتك، وحسن خلقك، وصلة رحمك، وما ذاك يا بن عم، لعلك رأيت شيئاً أو سمعته؟ فأخبرتها الخبر، فقالت: أبشر يا بن عم، واثبت له، فو الذي تحلف به إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة، ثم قامت فجمعت ثيابها عليها، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل، وهو ابن عمها، وكان قد قرأ الكتب، وكان قد تنصر، وسمع التوراة والانجيل، فأخبرته الخبر، وقصّت عليه ما قصّ عليها رسول الله ﷺ أنه رأى وسمع، فقال ورقة: قدوس قدوس، والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة، إنه لنبي هذه الأمة، وإنه ليأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي النبي موسى ﷺ، فقول لي فليثبت، ورجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته ما قال لها ورقة، فسهّل ذلك عليه بعض ما هو فيه من الهمّ بما جاءه فلما قضى رسول الله ﷺ جواره صنع كما كان يصنع، بدأ بالكعبة فطاف بها، فلقية ورقة وهو يطوف بالكعبة، فقال ورقة: والذي نفس ورقة بيده إنه ليأتيك الناموس الأكبر الذي كان يأتي النبي موسى ﷺ، وإنك لنبي هذه الأمة، ولتؤذين، ولتكذبن، ولتقاتلن، ولتنصرن، ولئن أنا أدركت ذلك لأنصرنك نصراً يعلمه الله، ثم أدنى إليه رأسه فقبل يافوخه، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله وقد زاده الله (عزّ وجلّ) من قول ورقة ثباتاً، وخفف عنه بعض ما كان فيه من الهم.

حدثنا أحمد: نا يونس عن قرة بن خالد قال: حدثني أبو رجاء العطاردي قال: أول سورة نزلت على محمد ﷺ (اقرأ باسم ربك الذي خلق). نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحق قال: حدثني الزهري عن عروة عن عائشة قالت: أول ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من النبوة حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به لا يرى شيئاً إلا جاءت كفلق الصبح، يمكث على ذلك ما شاء الله أن يمكث، وحبب إليه الخلوة، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده. نا أحمد: نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبي ميسرة عمر بن شربيل أن رسول الله ﷺ قال للسيدة خديجة ﷺ: إني إذا خلوت وحدي أسمع نداء، وقد والله خشيت أن يكون هذا الأمر، فقالت: معاذ الله ما كان الله ليفعل بك ذلك فوالله إنك لتؤدي الأمانة،



وتصل الرحم، وتصدق الحديث، فلما دخل أبو بكر وليس [عندها] رسول الله ﷺ، ثم ذكرت السيدة خديجة عليها السلام حديثه له، فقالت: يا عتيق اذهب مع محمد إلى ورقة، فلما دخل رسول الله ﷺ أخذ أبو بكر بيده: فقال: انطلق بنا إلى ورقة، فقال: ومن أخبرك؟ قال: خديجة، فانطلقا إليه فقصا عليه، فقال: إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي: يا محمد، يا محمد، فانطلق هارباً في الأرض، فقال له: لا تفعل إذا أتاك فائت حتى تسمع ما يقول، ثم اتتني فأخبرني فلما خلا ناداه يا محمد قل: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) حتى بلغ (وَلَا الضَّالِّينَ) قل: لا إله إلا الله، فأتى ورقة فذكر ذلك له، فقال له ورقة: أبشر ثم أبشر، فأنا أشهد أنك الذي بشر بك ابن مريم، وأنت على مثل ناموس النبي موسى عليه السلام، وأنت نبي مرسل، وأنت ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا، ولئن أدركني ذلك لأجاهدن معك؛ فلما توفي ورقة قال رسول الله ﷺ: لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب الحرير لأنه آمن بي وصدقني -يعني ورقة.

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه قال: ساب أخ لورقة، فتناول الرجل ورقة فسيبه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال لأخيه: هل علمت أي رأيت لورقة جنة أو جنتين، فنهى رسول الله ﷺ عن سبه. نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحق قال: حدثني اسماعيل بن أبي حكيم، مولى الزبير، أنه حدث عن السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام أنها قالت لرسول الله ﷺ، فيما تثبته به، فيما أكرمه الله به من نبوته: يا بن عم هل تستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ قال: نعم، فقالت: إذا جاءك فأخبرني، فبينما رسول الله ﷺ عندها يوماً، إذ جاء الملك جبريل عليه السلام، فرآه رسول الله ﷺ، فقال: يا خديجة هذا جبريل قد جاءني، فقالت أترأه الآن، فقال نعم، قالت: فاجلس إلى شقي الأيسر فجلس، فقالت هل تراه الآن؟ قال: نعم، قالت: فاجلس إلى شقي الأيمن، فتحول فجلس، فقالت: هل تراه الآن؟ قال: نعم، قالت: فتحول فاجلس في حجري، فتحول رسول الله ﷺ فجلس، فقالت: هل تراه الآن؟ قال: نعم، فتحسرت فألقت



خمارها ورسول الله ﷺ جالس في حجرها، فقالت: هل تراه الآن؟ قال: لا، قالت: ما هذا الشيطان، إن هذا الملك يا بن عم فائبت، وأبشر، ثم آمنت به، وشهدت أن الذي جاء به الحق. نا أحمد: نا يونس عن ابن اسحق قال: فحدثت عبد الله بن الحسن هذا الحديث، فقال: قد سمعت فاطمة بنت الحسين تحدث بهذا الحديث عن السيدة خديجة (عليها السلام)، إلا أني سمعتها تقول: أدخلت رسول الله ﷺ بينها وبين درعها، فذهب عند ذلك الملك جبريل (عليه السلام).

نا يونس عن زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبي قال: سئل رسول الله ﷺ متى استنبئت؟ فقال: بين خلق آدم ونفخ الروح فيه.

نا يونس عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع الأنصاري عن رجل عن سعيد بن المسيب قال: نزل الوحي على رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين، فأقام بمكة عشراً، وبالمدينة عشراً. نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحق قال: ونزل الوحي على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة عشراً.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحق قال: وأمر رسول الله ﷺ بالصبر لله على رسالته وتبليغ ما أمر به. نا يونس عن عيسى بن عبد الله التميمي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية: (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) سورة الأحقاف الآية ٣٥: النبي نوح والنبي هود والنبي إبراهيم (عليهم السلام)، فأمر رسول الله ﷺ أن يصبر كما صبر هؤلاء، وكانوا ثلاثة ورسول الله ﷺ رابعهم (عليهم السلام)، قال النبي نوح (عليه السلام): (يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ) سورة يونس الآية ٧١ إلى آخرها، فأظهر لهم المفارقة، وقال هود حين قالوا: (إِن نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ) سورة هود الآية ٥٤، فأظهر لهم المفارقة، وقال إبراهيم: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ) سورة الممتحنة الآية ٤ إلى آخر الآية، فأظهر لهم المفارقة، وقال محمد ﷺ: (إِنِّي نَهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) سورة الأنعام الآية ٥٦، فقام رسول الله ﷺ عند الكعبة، فقرأها على المشركين فأظهر لهم المفارقة.



نا أحمد نا يونس عن ابن إسحق قال: ثم فتر الوحي عن النبي ﷺ فترة مل ذلك حتى شق عليه وأحزنه، ثم قال في نفسه مما أبلغ ذلك منه: لقد خشيت أن يكون صاحبي قد قلاني وودعني، فجاء الملك جبريل عليه السلام بسورة (والضحى)، يقسم له به، وهو الذي أكرمه (ما ودَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) فقال: (وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى) يقول: (ما ودَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) ما صرمك وتركك، وما قلى: ما أبغضك منذ أحبك، (وَلَا آخِرَةَ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى) أي ما عندي من مرجعك إلي خير لك مما عجلت لك من الكرامة في الدنيا، (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) من الفتح في الدنيا والثواب في الآخرة، (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى) يعرفه ما ابتدأه به من كرامته في عاجل أمره ومنه عليه في يتمه وعيلته وضلالته، واستنقاذه من ذلك كله برحمته (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ) لا تكون جباراً ولا متكبراً ولا فاحشاً فظاً على الضعفاء من عباد الله (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) أي بما جاءك من الله من كرامته ونعمته من النبوة، فحدث اذكرها وادع إليها، يذكره ما أنعم الله به عليه وعلى العباد من النبوة. نا أحمد: نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن السيدة خديجة عليها السلام أنها قالت: لما أبطأ على رسول الله ﷺ الوحي جزع من ذلك جزعا شديداً، فقلت له مما رأيت من جزعه: لقد قلاك ربك مما يرى من جزعك، فأنزل الله: (ما ودَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى). نا يونس عن عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال للملك جبريل عليه السلام ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فأنزل الله تعالى: (وَمَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا) إلى قوله: (مَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) سورة مريم الآية ٦٤.

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحق قال: ثم أن الملك جبريل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ حين افترضت عليه الصلاة، فهمز له بعقبة في ناحية الوادي فانفجرت منه عين ماء مزن، فتوضأ الملك جبريل عليه السلام، ومحمد ينظر إليه، فوضأ وجهه ومضمض واستنشق ومسح برأسه وأذنيه ورجليه إلى الكعبيين، ونضح فرجه، ثم قام فصلّى ركعتين، وسجد أربع

سجديات على وجهه، ثم رجع النبي ﷺ قد أقر الله عينه وطابت نفسه، وجاءه ما يحب من الله، فأخذ بيد السيدة خديجة ﷺ حتى أتى بها العين، فتوضاً كما توضأ الملك جبريل ﷺ، ثم ركع ركعتين وأربع سجديات هو والسيدة خديجة ﷺ، ثم كان هو والسيدة خديجة ﷺ يصليان سراً.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحق قال: حدثني صالح بن كيسان عن عروة بن الزبير عن عائشة أن الصلاة أول ما افترضت ركعتين، ثم أكملت أربعاً، وأثبتت للمسافر. قال: فحدثت ذلك عمر بن عبد العزيز، فقال لعروة: حدثتني أن عائشة كانت تصلي في السفر أربعاً، فجاء عروة فقلت في نفسي لا يكون هذا بي، فسألته عن الحديث، فحدثه، فقال عمر: ما أدري ما أحاديثكم هذه! ثم حول وركه ونزل عن سريره ودخل.

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت: أول ما افترضت الصلاة ركعتين فأثبت للمسافر وأكملت للمقيم أربعاً.

نا يونس عن سالم مولى أبي المهاجر قال: سمعت ميمون بن مهران يقول: كان أول الصلاة مثنى مثنى، ثم صلى رسول الله ﷺ أربعاً فصارت سنة، وأقرت الركعتين للمسافر وهي تمام» (٢).



المصدر الثالث:-

سيرة محمد بن إسحاق عند السهيلي في كتابه (الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام)، والسهيلي هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي المتوفى سنة ٥٨١ هجرية؛ محدث فقيه نحوي أصولي له تصانيف كثيرة من أهمها كتاب الروض الأنف، والمشرع الروي، في تفسير حديث سيرة الرسول محمد ﷺ. والسهيلي نسبة إلى قرية تقع بالقرب من مالقة في الأندلس اسمها سهيل، ولد سنة ٥٠٨ هجرية في مالقة وتوفي سنة ٥٨١ هجرية في مراكش بالمغرب^(٣).

النص والشرح عن الروض الأنف للسهيلي

مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ وَسَلَّم تَسْلِيًا:

«قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ الْمَطْلَبِي: قَالَ فَلَمَّا بَلَغَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعِينَ سَنَةً بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَكَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا، وَكَانَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ بَعَثَهُ قَبْلَهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ وَالتَّصَدِيقِ لَهُ وَالتَّصَرُّفِ لَهُ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ وَأَخَذَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُؤَدُّوا ذَلِكَ إِلَى كُلِّ مَنْ آمَنَ بِهِمْ وَصَدَّقَهُمْ فَأَدُّوا مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَقِّ فِيهِ. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾ أَيْ ثَقُلَ مَا حَمَلْتُكُمْ مِنْ عَهْدِي: ﴿قَالُوا أَأَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٨١]. فَأَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ جَمِيعًا بِالتَّصَدِيقِ لَهُ وَالتَّصَرُّفِ لَهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ وَأَدُّوا ذَلِكَ إِلَى مَنْ آمَنَ بِهِمْ وَصَدَّقَهُمْ مِنْ أَهْلِ هَذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ».

«أول ما بُدِيَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَذَكَرَ الزَّهْرِيُّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا حَدَّثَتْهُ أَنَّ: أَوَّلَ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ النَّبُوءَةِ حِينَ أَرَادَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ وَرَحْمَةَ الْعِبَادِ بِهِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ لَا يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رُؤْيَا فِي نَوْمِهِ إِلَّا جَاءَتْ كَفَلَقِ الصُّبْحِ قَالَتْ وَحَبَّبَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ الْخُلُوةَ فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَخْلُوَ وَحْدَهُ».



تَسْلِيمُ الْحِجَارَةِ وَالشَّجَرِ عَلَيْهِ ﷺ

«قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ الْعَلَاءِ بْنِ جَارِيَةَ الثَّقَفِيِّ، وَكَانَ وَاعِيَةً عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَرَادَهُ اللَّهُ بِكَرَامَتِهِ وَابْتِدَآءَهُ بِالنَّبُوءَةِ كَانَ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَبْعَدَ حَتَّى تُحْسَرَ عَنْهُ الْبُيُوتُ وَيُنْضِي إِلَى شِعَابِ مَكَّةَ وَبُطُونِ أَوْدِيَّتِهَا، فَلَا يَمُرُّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَيَلْتَفِتُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَوْلَهُ وَعَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ وَخَلْفَهُ فَلَا يَرَى إِلَّا الشَّجَرَ وَالْحِجَارَةَ. فَمَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَذَلِكَ يَرَى وَيَسْمَعُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمُكَّثَ ثُمَّ جَاءَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَا جَاءَهُ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ وَهُوَ بِحِرَاءَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ».

ابْتِدَاءُ نَزُولِ الْمَلِكِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي وَهْبُ بْنُ كَيْسَانَ مَوْلَى آلِ الزُّبَيْرِ. قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَهُوَ يَقُولُ لِعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرِ بْنِ قَتَادَةَ اللَّيْثِيِّ حَدَّثَنَا يَا عُبَيْدُ، كَيْفَ كَانَ بَدْءُ مَا ابْتَدَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ النَّبُوءَةِ حِينَ جَاءَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ قَالَ فَقَالَ عُبَيْدُ -وَأَنَا حَاضِرٌ يُحَدِّثُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَمَنْ عِنْدَهُ مِنَ النَّاسِ- كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُجَاوِرُ فِي حِرَاءٍ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ شَهْرًا، وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا تَحَنَّتْ بِهِ قُرَيْشٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. وَالتَّحَنُّ التَّبَرُّزُ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ:

وَتَوَّرَ وَمَنْ أَرَسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ ... وَرَاقَ لِيَرْقَى فِي حِرَاءٍ وَنَازَلَ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: تَقُولُ الْعَرَبُ: التَّحَنُّ وَالتَّحَنُّ يُرِيدُونَ الْحَنِيفِيَّةَ فَيُبْدِلُونَ الْفَاءَ مِنَ الثَّاءِ كَمَا قَالُوا: جَدَفٌ وَجَدْتُ يُرِيدُونَ الْقُبْرَ. قَالَ رُوْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ: لَوْ كَانَ أَحْجَارِي مَعَ الْأَجْدَافِ يُرِيدُ الْأَجْدَاثَ وَهَذَا الْبَيْتُ فِي أَرْجُوزَةٍ لَهُ. وَبَيَّتُ أَبِي طَالِبٍ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ سَأَذْكُرُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي مَوْضِعِهَا. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَحَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ فَمَّ فِي مَوْضِعٍ ثُمَّ يُبْدِلُونَ الْفَاءَ مِنَ الثَّاءِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي وَهْبُ بْنُ كَيْسَانَ قَالَ: قَالَ عُبَيْدُ [ابْنُ عُمَيْرٍ]: فَكَانَ رَسُولُ



الله ﷺ أَوَّلَ مَا بُدِيَ بِهِ مِنَ النَّبُوءَةِ إِذْ كَانَ لَا يَمُرُّ بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. وَفِي مُصَنَّفِ التِّرْمِذِيِّ وَمُسْلِمٍ أَيْضًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجْرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيَّ» وَفِي بَعْضِ الْمُسْنَدَاتِ زِيَادَةٌ أَنَّ هَذَا الْحَجَرَ الَّذِي كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ هُوَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ. فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجَاوِرُ ذَاتَ الشَّهْرِ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ يُطْعِمُ مَنْ جَاءَهُ مِنَ الْمَسَاكِينِ فَإِذَا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَوَارَهُ مِنْ شَهْرِهِ ذَلِكَ كَانَ أَوَّلَ مَا يَبْدَأُ بِهِ - إِذَا انْصَرَفَ مِنْ جَوَارِهِ - الْكَعْبَةُ، قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ فَيَطُوفُ بِهَا سَبْعًا، أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى بَيْتِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ الشَّهْرُ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِيهِ مَا أَرَادَ مِنْ كَرَامَتِهِ مِنَ السَّنَةِ الَّتِي بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا، وَذَلِكَ الشَّهْرُ شَهْرُ رَمَضَانَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى حِرَاءٍ، كَمَا كَانَ يَخْرُجُ لِجَوَارِهِ وَمَعَهُ أَهْلُهُ حَتَّى إِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ فِيهَا بِرِسَالَتِهِ.

حَوْلَ مُجَاوَرَتِهِ فِي حِرَاءٍ:

«وَقَوْلُهُ يُجَاوِرُ فِي حِرَاءٍ إِلَى آخِرِ الْكَلَامِ. الْجَوَارُ بِالْكَسْرِ فِي مَعْنَى الْمُجَاوَرَةِ وَهِيَ الْإِعْتِكَافُ وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْجَوَارِ وَالْإِعْتِكَافِ إِلَّا مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ وَهُوَ أَنَّ الْإِعْتِكَافَ لَا يَكُونُ إِلَّا دَاخِلَ الْمَسْجِدِ وَالْجَوَارُ قَدْ يَكُونُ خَارِجَ الْمَسْجِدِ كَذَلِكَ قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، وَلِذَلِكَ لَمْ يُسَمَّ جَوَارُهُ بِحِرَاءٍ اِعْتِكَافًا، لِأَنَّ حِرَاءَ لَيْسَ مِنَ الْمَسْجِدِ وَلَكِنَّهُ مِنْ جِبَالِ الْحَرَمِ، وَهُوَ الْجَبَلُ الَّذِي نَادَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ قَالَ لَهُ ثَبِيرٌ وَهُوَ عَلَى ظَهْرِهِ أَهْبَطُ عَنِّي؛ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تُقْتَلَ عَلَى ظَهْرِي فَأُعَذِّبُ فَنَادَاهُ حِرَاءٌ: إِلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ».

كِتَابُ الْبَيْعَةِ: مَتَى بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟

ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بُعِثَ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ مِنْ مَوْلِدِهِ ﷺ وَهَذَا مَرْوِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَجُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ وَقَبَاتِ بْنِ أَشِيمٍ وَعَطَاءٍ وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، وَأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ وَهُوَ صَحِيحٌ عِنْدَ أَهْلِ السِّيَرِ وَالْعِلْمِ بِالْأَثَرِ وَقَدْ رَوَى أَنَّهُ نَبِيٌّ لِأَرْبَعِينَ وَشَهْرَيْنِ مِنْ مَوْلِدِهِ وَقِيلَ لِقَبَاتِ بْنِ أَشِيمٍ أَنْتَ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: رَسُولُ



الله أَكْبَرُ مِنِّي، وَأَنَا أَسَنُّ مِنْهُ، وَوُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفِيلِ وَوَقَفْتُ بِي أُمِّي عَلَى رَوْثِ الْفِيلِ - وَيُرْوَى: خَزَقِ الطَّيْرَ - فَرَأَيْتُهُ أَخْضَرَ مُحِيلاً، أَيْ قَدْ أَتَى عَلَيْهِ حَوْلٌ. وَفِي غَيْرِ رَوَايَةٍ الْبُكَائِي مِنْ هَذَا الْكِتَابِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِبِلَالٍ: «لَا يَفُتُّكَ صِيَامُ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ فَإِنِّي قَدْ وُلِدْتُ فِيهِ وَبُعِثْتُ فِيهِ وَأَمُوتُ فِيهِ».

كَيْفِيَّةُ الْوَحْيِ:

فَصْل: وَذَكَرَ نَزُولَ الْمَلِكِ جَبْرِيلَ ﷺ

عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

قال: فِي الْحَدِيثِ: فَأَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ: فَهَبْتُ مِنْ نَوْمِي، فَكَأَنَّمَا كَتَبْتُ فِي قَلْبِي كِتَابًا، وَلَيْسَ ذَكَرَ النَّوْمَ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ وَلَا غَيْرَهَا، بَلْ فِي حَدِيثِ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ مَا يَدُلُّ ظَاهِرُهُ عَلَى أَنَّ نَزُولَ الْمَلِكِ جَبْرِيلَ ﷺ حِينَ نَزَلَ بِسُورَةِ أَقْرَأَ، كَانَ فِي الْيَقِظَةِ؛ لِأَنَّهَا قَالَتْ فِي أَوَّلِ الْحَدِيثِ: أَوَّلَ مَا بَدَىءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ، كَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصَّبْحِ، ثُمَّ حَبَّبَ اللَّهُ إِلَيْهِ الْخَلَاءَ - إِلَى قَوْلِهَا - حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ، وَهُوَ بَغَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلَ ﷺ. فَذَكَرْتُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الرُّؤْيَا كَانَتْ قَبْلَ نَزُولِ جَبْرِيلَ ﷺ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِالْقُرْآنِ، وَقَدْ يُمَكِّنُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ بَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلَ ﷺ فِي الْمَنَامِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ فِي الْيَقِظَةِ تَوْطِئَةً وَتَيْسِيرًا عَلَيْهِ (٤).

«فَجَاءَنِي الْمَلِكُ جَبْرِيلَ ﷺ وَأَنَا نَائِمٌ بِنَمَطٍ مِنْ دِيبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ فَقَالَ أَقْرَأْ قَالَ قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟ قَالَ فَغَتَّنِي بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ أَقْرَأْ قَالَ قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟ قَالَ فَغَتَّنِي بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ. ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ أَقْرَأْ قَالَ قُلْتُ: مَاذَا أَقْرَأُ؟ قَالَ فَغَتَّنِي بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ أَقْرَأْ قَالَ فَقُلْتُ: مَاذَا أَقْرَأُ؟ مَا أَقُولُ ذَلِكَ إِلَّا افْتِدَاءً مِنْهُ أَنْ يَعُودَ لِي بِمِثْلِ مَا صَنَعَ بِي، فَقَالَ: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ - ٥] قَالَ فَقَرَأْتُهَا ثُمَّ انْتَهَى، فَانْصَرَفَ عَنِّي، وَهَبْتُ مِنْ نَوْمِي، فَكَأَنَّمَا كَتَبْتُ فِي قَلْبِي كِتَابًا. قَالَ



فَخَرَجْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي وَسْطٍ مِنَ الْجَبَلِ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا جَبْرِيلُ. قَالَ فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ أَنْظُرُ فَإِذَا الْمَلِكُ جَبْرِيلُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ صَافٍ قَدَمَيْهِ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ يَقُولُ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا جَبْرِيلُ. قَالَ فَوَقَفْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَمَا أَتَقَدَّمُ وَمَا أَتَأَخَّرُ وَجَعَلْتُ أَصْرَفُ وَجْهِي عَنْهُ فِي آفَاقِ السَّمَاءِ فَلَا أَنْظُرُ فِي نَاحِيَةٍ مِنْهَا إِلَّا رَأَيْتُهُ كَذَلِكَ فَمَا زِلْتُ وَاقِفًا مَا أَتَقَدَّمُ أَمَامِي، وَمَا أَرْجِعُ وَرَائِي، حَتَّى بَعَثْتُ خَدِيجَةَ رُسُلَهَا فِي طَلْبِي، فَبَلَّغُوا أَعْلَى مَكَّةَ، وَرَجَعُوا إِلَيْهَا، وَأَنَا وَاقِفٌ فِي مَكَانِي ذَلِكَ ثُمَّ انْصَرَفَ عَنِّي. رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُصُّ عَلَى السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْمَلِكِ جَبْرِيلَ ﷺ مَعَهُ:

وَانْصَرَفْتُ رَاجِعًا إِلَى أَهْلِي، حَتَّى أَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَجَلَسْتُ إِلَى فِخْذِهَا مُضِيفًا إِلَيْهَا، فَقَالَتْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ أَيْنَ كُنْتَ؟ فَوَاللَّهِ لَقَدْ بَعَثْتُ رُسُلِي فِي طَلْبِكَ، حَتَّى بَلَّغُوا مَكَّةَ وَرَجَعُوا إِلَيَّ، ثُمَّ حَدَّثْتَهَا بِالَّذِي رَأَيْتُ، فَقَالَتْ أَبْشِرْ يَا بَنَ عَمِّ وَابْنُتُ فَوَالَّذِي نَفْسُ خَدِيجَةَ بِيَدِهِ إِنِّي لَا رَجُوءَ أَنْ تَكُونَ نَبِيَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

السيدة خديجة ﷺ بين يدي ورقة

تَحْدِثُهُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

ثُمَّ قَامَتْ فَجَمَعَتْ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا، ثُمَّ انْطَلَقَتْ إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّهَا، وَكَانَ وَرَقَةُ قَدْ تَنَصَّرَ وَقَرَأَ الْكِتَابَ وَسَمِعَ مِنْ أَهْلِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، فَأَخْبَرَتْهُ بِمَا أَخْبَرَهَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ رَأَى وَسَمِعَ فَقَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ وَالَّذِي نَفْسُ وَرَقَةَ بِيَدِهِ لَئِنْ كُنْتُ صَدَقْتَنِي يَا خَدِيجَةُ لَقَدْ جَاءَهُ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي النَّبِيَّ مُوسَى ﷺ. وَإِنَّهُ لَنَبِيَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَقُولِي لَهُ فَلْيُثَبِّتْ. فَرَجَعَتْ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ ﷺ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَتْهُ بِقَوْلِ وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جِوَارَهُ وَانْصَرَفَ صَنَعَ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ بَدَأَ بِالْكَعْبَةِ، فَطَافَ بِهَا، فَلَقِيَهُ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ، وَهُوَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، فَقَالَ يَا بَنَ أَخِي أَخْبِرْنِي بِمَا رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكَ لَنَبِيَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَلَقَدْ جَاءَكَ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ



الَّذِي جَاءَ النَّبِيَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَتَكْذِبْتَهُ وَلَتُؤْذِيَنَّهُ وَلَتُخْرِجَنَّهُ وَلَتَقَاتِلَهُ وَلَكِنْ أَنَا أَذْرُكَتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ لَا نُصْرَنَ اللَّهُ نَصْرًا يَعْلَمُهُ ثُمَّ أَذْنَى رَأْسُهُ مِنْهُ فَقَبِلَ يَأْفُوخُهُ ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَنْزِلِهِ (٥) .

امتحان السيدة خديجة ﷺ برهان الوحي:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ مَوْلَى آلِ الزَّيْبِرِ: أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَيُّ ابْنِ عَمٍّ أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُخْبِرَنِي بِصَاحِبِكَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ إِذَا جَاءَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: فَإِذَا جَاءَكَ فَأَخْبِرْنِي بِهِ. فَجَاءَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا كَانَ يَصْنَعُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْسَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ ﷺ: «يَا خَدِيجَةُ هَذَا جَبْرِيلُ قَدْ جَاءَنِي»، قَالَتْ: قُمْ يَا بَنَ عَمٍّ فَاجْلِسْ عَلَيَّ فَخِذِي الْيُمْنَى، قَالَ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَلَسَ عَلَيْهَا، قَالَتْ هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَتَحَوَّلْ فَاجْلِسْ عَلَيَّ فَخِذِي الْيُمْنَى، قَالَتْ: فَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَلَسَ فِي حِجْرِهَا، قَالَتْ: فَتَحَوَّلْ فَاجْلِسْ فِي حِجْرِي، قَالَتْ: فَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَلَسَ فِي حِجْرِهَا، قَالَتْ هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَتَحَسَّرْتُ وَأَلْقَتْ خِمَارَهَا - وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي حِجْرِهَا - ثُمَّ قَالَتْ لَهُ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: لَا، قَالَتْ يَا بَنَ عَمٍّ أَتُبْتُ وَأُنَبِّشُ فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَلَكٌ وَمَا هَذَا بِشَيْطَانٍ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ حَدَّثْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَسَنٍ هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ قَدْ سَمِعْتُ أُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتَ حُسَيْنٍ تُحَدِّثُ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَنِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ ﷺ إِلَّا أَنِّي سَمِعْتُهَا تَقُولُ أَدْخَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهَا وَبَيْنَ دِرْعِهَا، فَذَهَبَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمَلِكِ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّ هَذَا مَلَكٌ وَمَا هُوَ بِشَيْطَانٍ (٦) .

إِبْتِدَاءُ تَنْزِيلِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَابْتَدَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالتَّنْزِيلِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ بِقَوْلِ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ): (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) [البقرة: ١٨٥]. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةٌ



الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) [الْقَدْرُ: ١-٥]. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (حَم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) [الدَّخَانُ: ١-٥]. وَقَالَ تَعَالَى: (إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ) [الْأَنْفَالُ: ٤١]. وَذَلِكَ مُلْتَقَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْمُشْرِكِينَ بِبَدْرٍ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ حُسَيْنٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ التَّقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ بِبَدْرٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ. صَبِيحَةَ سَبْعِ عَشْرَةَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ (٧).

«قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ تَنَامُ الْوَحْيُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ مُصَدِّقٌ بِمَا جَاءَهُ مِنْهُ قَدْ قَبِلَهُ بِقَبُولِهِ وَتَحَمَّلَ مِنْهُ مَا حَمَلَهُ عَلَى رِضَا الْعِبَادِ وَسَخَطِهِمْ وَالنَّبَوَّةِ أَثْقَالًا وَمُؤْنَةً لَا يَحْمِلُهَا، وَلَا يَسْتَطِيعُ بِهَا إِلَّا أَهْلُ الْقُوَّةِ وَالْعَزَمِ مِنَ الرُّسُلِ بِعَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَوْفِيقِهِ لِمَا يَلْقَوْنَ مِنَ النَّاسِ وَمَا يُرَدُّ عَلَيْهِمْ مِمَّا جَاءُوا بِهِ عَنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. قَالَ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ عَلَى مَا يَلْقَى مِنْ قَوْمِهِ مِنَ الْخِلَافِ وَالْأَذَى» (٨).

شرح السهيلي:

«وَمِنْهَا: أَنْ يَنْفَتَ فِي رَوْعِهِ الْكَلَامَ نَفْثًا، كَمَا قَالَ ﷺ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدْسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ أَجْلَهَا وَرِزْقُهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ» وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا) [الشُّورَى: ٥١]. قَالَ هُوَ أَنْ يَنْفَتَ فِي رَوْعِهِ بِالْوَحْيِ. وَمِنْهَا: أَنْ يَأْتِيَهُ الْوَحْيُ فِي مِثْلِ صَلَاسَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيْهِ وَقِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ لَيَسْتَجْمَعُ قَلْبُهُ عِنْدَ تِلْكَ الصَّلَاسَةِ، فَيَكُونُ أَوْعَى لِمَا يَسْمَعُ وَالْقَنَ لِمَا يَلْقَى. وَمِنْهَا: أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الْمَلَكُ رَجُلًا، فَقَدْ كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ دَحِيَّةِ بْنِ خَلِيفَةَ وَيُرَوَى أَنَّ دَحِيَّةَ إِذَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ لَمْ تَبَقْ مُعَصِّرٌ إِلَّا خَرَجَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ لِفَرْطِ جَمَالِهِ. وَمِنْهَا: أَنْ يَرَأَى لَهُ الْمَلَكُ جَبْرِيلَ ﷺ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ فِيهَا، لَهُ سِتْرَانِ جَنَاحٍ يَنْتَشِرُ مِنْهَا اللَّوْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ. وَمِنْهَا: أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ



إِمَّا فِي الْيَقْظَةِ كَمَا كَلَّمَهُ فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ وَإِمَّا فِي النَّوْمِ كَمَا قَالَ فِي حَدِيثٍ مُعَاذِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، قَالَ: «أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَقَالَ فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى، فَقُلْتُ: لَا أَدْرِي. فَوَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ فَوَجَدَتْ بَرْدَهَا بَيْنَ ثُنْدَوَيَّ وَتَجَلَّى لِي عِلْمُ كُلِّ شَيْءٍ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى، فَقُلْتُ: فِي الْكَفَّارَاتِ فَقَالَ وَمَا هُنَّ؟ فَقُلْتُ: الْوُضُوءُ عِنْدَ الْكَرِيهَاتِ وَنَقْلُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْحَسَنَاتِ وَانْتِظَارُ الصَّلَوَاتِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ حَمِيدًا، وَمَاتَ حَمِيدًا، وَكَانَ مِنْ ذَنْبِهِ كَمَنْ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ. فَهَذِهِ سِتُّهُ أَحْوَالٍ وَحَالَةٌ سَابِعَةٌ قَدْ قَدَّمْنَا ذِكْرَهَا، وَهِيَ نُزُولُ الْمَلِكِ إِسْرَافِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيْهِ بِكَلِمَاتٍ مِنَ الْوَحْيِ قَبْلَ الْمَلِكِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَهَذِهِ سَبْعُ صُورٍ فِي كَيْفِيَّةِ نُزُولِ الْوَحْيِ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ لَمْ أَرِ أَحَدًا جَمَعَهَا كَهَذَا الْجَمْعِ وَقَدْ اسْتَشْهَدْنَا عَلَى صِحَّتِهَا بِمَا فِيهِ غَنِيَةٌ، وَقَدْ أَمْلَيْنَا أَيْضًا فِي حَقِيقَةِ رُؤْيَيْهِ ﷺ رَبَّهُ فِي الْمَنَامِ عَلَى أَحْسَنِ صُورَةٍ وَيُرَوَّى: عَلَى صُورَةِ شَابٍّ مَسْأَلَةٍ بَدِيعَةٍ كَاشِفَةٌ لِقِنَاعِ اللَّبْسِ فَلْتَنْظُرْ هُنَاكَ».

مِنْ تَفْسِيرِ حَدِيثِ الْوَحْيِ:

فَصُلِّ: وَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ الْمَلِكَ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ بَنِمَطٍ مِنْ دِيْبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ فَقَالَ أَفْرَأُ قَالَ بَعْضُ الْمُفْسِّرِينَ فِي قَوْلِهِ وَقَالَ ابْنُ سَلَامٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (الْمَ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ) [البقرة: ١، ٢] إِنَّهَا إِشَارَةٌ إِلَى الْكِتَابِ الَّذِي جَاءَهُ بِهِ الْمَلِكُ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ قَالَ أَفْرَأُ وَفِي الْآيَةِ أَقْوَالٌ غَيْرُ هَذِهِ مِنْهَا: أَنَّهَا إِشَارَةٌ إِلَى مَا تَضَمَّنَهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ (الم); لِأَنَّ هَذِهِ الْحُرُوفُ الْمُقْطَعَةُ تَضَمَّنَتْ مَعَانِيَ الْكِتَابِ كُلِّهِ فَهِيَ كَالترجمة لَهُ.

مَعْنَى (أَفْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ):

وَقَوْلُهُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ» أَيُّ إِنِّي أُمِّي، فَلَا أَفْرَأُ الْكُتُبَ فَالَهَا ثَلَاثًا فَقِيلَ لَهُ: (أَفْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ) أَيُّ إِنَّكَ لَا تَقْرُؤُهُ بِحَوْلِكَ، وَلَا بِصِفَةِ نَفْسِكَ، وَلَا بِمَعْرِفَتِكَ، وَلَكِنْ أَفْرَأُ مُفْتَتِحًا بِاسْمِ رَبِّكَ مُسْتَعِينًا بِهِ فَهُوَ يَعْلَمُكَ كَمَا خَلَقَكَ وَكَمَا نَزَعَ عَنْكَ الدَّمَ وَمَعْمَرِ الشَّيْطَانِ بَعْدَمَا خَلَقَهُ فِيكَ، كَمَا خَلَقَهُ فِي كُلِّ إِنْسَانٍ. وَالْآيَتَانِ الْمُتَقَدِّمَتَانِ مُحَمَّدٍ وَالْآخِرَتَانِ لِأُمِّتِهِ



وَهُمَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٤، ٥] لَأَنَّهَا كَانَتْ أُمَّةً أُمِّيَّةً لَا تَكْتُبُ فَصَارُوا أَهْلَ كِتَابٍ وَأَصْحَابَ قَلَمٍ فَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ بِالْقَلَمِ وَتَعَلَّمَهُ نَبِيُّهُمْ تَلْقِينًا مِنْ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِهِ بِإِذْنِ اللَّهِ لِيَكُونَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ^(٩).

وقوله في حديث ابن إسحاق: أقرأ قال ما أقرأ يحتمل أن تكون ما استنفها، يريد أي شيء أقرأ؟ ويحتمل أن تكون نفياً، ورواية البخاري ومسلم تدل على أنه أراد النفي أي ما أحسن أن أقرأ كما تقدم من قوله ما أنا بقارئ.

رؤية الملك جبريل عليه السلام ومعنى اسمه:

«وَذَكَرَ رُؤْيَاهُ لِلْمَلِكِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ صَافٍ قَدَمَيْهِ وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ أَنَّهُ رَأَاهُ عَلَى رَفْرِفٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَيُرْوَى: عَلَى عَرْشٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَفِي حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ الَّذِي ذَكَرَهُ فِي آخِرِ الْجَامِعِ أَنَّهُ حِينَ فُتِرَ عَنْهُ الْوُحْيُ كَانَ يَأْتِي شَوَاهِقَ الْجِبَالِ يُبَيِّنُ بَأْنَ يُلْقِي نَفْسَهُ مِنْهَا، فَكَانَ الْمَلِكُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَتَرَاءَى لَهُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ يَقُولُ لَهُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا جِبْرِيلُ. وَاسْمُ جِبْرِيلَ سُرياني، وَمَعْنَاهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَوْ عَبْدُ الْعَزِيزِ. هَكَذَا جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَوْفُوفًا وَمَرْفُوعًا أَيضًا، وَالْوُفُوفُ أَصْلُهُ. وَكَثُرَ النَّاسُ عَلَى أَنَّ آخِرَ الْأِسْمِ مِنْهُ هُوَ اسْمُ اللَّهِ وَهُوَ إِيلُ وَكَانَ شَيْخُنَا يَذْهَبُ مَذْهَبَ طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي أَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ إِضَافَتُهَا مَقْلُوبَةٌ وَكَذَلِكَ الْإِضَافَةُ فِي كَلَامِ الْعَجَمِ، يَقُولُونَ فِي غَلَامٍ زَيْدٍ زَيْدٌ غَلَامٌ فَعَلَى هَذَا يَكُونُ إِيلُ عَبَّارَةً عَنِ الْعَبْدِ وَيَكُونُ أَوَّلُ الْأِسْمِ عَبَّارَةً عَنِ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، أَلَا تَرَى كَيْفَ قَالَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ كَمَا تَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ أَلَا تَرَى أَنَّ لَفْظَ عَبْدٍ يَتَكَرَّرُ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ وَالْأَسْمَاءُ أَلْفَاظُهَا مُخْتَلِفَةٌ»^(١٠).

وكذلك فسره أبو عبيد، واتفق في اسم جبريل عليه السلام أنه موافق من جهة العربية لمعناه وإن كان أعجمياً، فإن الجبر هو إصلاح ما وهى، وجبريل موكل بالوحي وفي الوحي إصلاح ما فسد وجبر ما وهى من الدين. ولم يكن معروفاً بمكة ولا بأرض العرب فلما أخبر النبي ﷺ السيدة خديجة رضي الله عنها به انطلقت تسأل من عنده علم من الكتاب كعداس



وَسَطُورِ الرَّاهِبِ، فَقَالَ لَهَا: قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ أَنْتِ لِهَذَا الْإِسْمِ أَنْ يُذَكَرَ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ وَقَدْ قَدَّمْنَا هَذَا الْخَبَرَ عَنْهَا، وَهُوَ فِي سِيرِ التَّيْمِيِّ لَمَّا ذَكَرْنَاهُ قَبْلَ وَفِي كِتَابِ الْمُعِطِيِّ عَنْ أَشْهَبَ قَالَ سُئِلَ مَالِكٌ عَنِ التَّسْمِيِّ بِجَبْرِيلَ أَوْ مَنْ يُسَمَّى بِهِ وَلَدَهُ فَكَرَهُ ذَلِكَ وَلَمْ يُعْجِبْهُ.

مَعْنَى النَّامُوسِ:

«وَقَوْلُ وَرَقَةَ لَقَدْ جَاءَهُ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي النَّبِيَّ مُوسَى عليه السلام. النَّامُوسُ صَاحِبُ سِرِّ الْمَلِكِ قَالَ بَعْضُهُمْ هُوَ صَاحِبُ سِرِّ الْخَيْرِ وَالْجَاسُوسُ هُوَ صَاحِبُ سِرِّ الشَّرِّ».

لَمْ ذَكَرَ النَّبِيُّ مُوسَى عليه السلام وَلَمْ يُذَكَرِ النَّبِيُّ عِيسَى عليه السلام؟

«وَأَمَّا ذَكَرَ وَرَقَةَ مُوسَى وَلَمْ يُذَكَرِ عِيسَى، وَهُوَ أَقْرَبُ لِأَنَّ وَرَقَةَ كَانَ قَدْ تَنَصَّرَ وَالنَّصَارَى لَا يَقُولُونَ فِي عِيسَى: إِنَّهُ نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْمَلِكُ جَبْرِيلَ عليه السلام إِنَّمَا يَقُولُونَ فِيهِ إِنَّ أَقْنُومًا مِنَ الْأَقَانِيمِ الثَّلَاثَةِ اللَّاهُوتِيَّةِ حَلَّ بِنَاسُوتِ الْمَسِيحِ وَاتَّحَدَ بِهِ عَلَى اخْتِلَافٍ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ الْحُلُولِ وَهُوَ أَقْنُومُ الْكَلِمَةِ وَالْكَلِمَةُ عِنْدَهُمْ عِبَارَةٌ عَنِ الْعِلْمِ فَلِذَلِكَ كَانَ الْمَسِيحُ عليه السلام عِنْدَهُمْ يَعْلَمُ الْغَيْبَ وَيُخْبِرُ بِمَا فِي غَدٍ فَلَمَّا كَانَ هَذَا مِنْ مَذْهَبِ النَّصَارَى الْكَذْبَةَ عَلَى اللَّهِ الْمُدَّعِينَ الْمُحَالِ عَدَلَ عَنْ ذِكْرِ النَّبِيِّ عِيسَى عليه السلام إِلَى ذِكْرِ النَّبِيِّ مُوسَى عليه السلام لِعِلْمِهِ أَوْ لِاعْتِقَادِهِ أَنَّ الْمَلِكَ جَبْرِيلَ عليه السلام كَانَ يَنْزِلُ عَلَى النَّبِيِّ مُوسَى عليه السلام، لَكِنْ وَرَقَةَ قَدْ ثَبَتَ إِيْمَانُهُ بِمُحَمَّدٍ عليه السلام وَقَدْ قَدَّمْنَا حَدِيثَ التِّرْمِذِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَاهُ فِي الْمَنَامِ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ بَيْضٌ إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ»^(١).

شَرْحُ: أَوْ مُخْرِجِي؟

فَصْلٌ: وَفِي حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَوْرَقَةَ: «أَوْ مُخْرِجِي هُمْ» لَا بَدَّ مِنْ تَشْدِيدِ الْيَاءِ فِي مُخْرِجِي لِأَنَّهُ جَمْعٌ، وَالْأَصْلُ مُخْرِجَوِي فَأَدْغَمَتْ الْوَاوُ فِي الْيَاءِ وَهُوَ خَبْرُ ابْتِدَاءٍ مُقَدَّمٌ وَلَوْ كَانَ الْمُبْتَدَأُ اسْمًا ظَاهِرًا لَجَازَ تَخْفِيفُ الْيَاءِ وَيَكُونُ الْإِسْمُ الظَّاهِرُ فَاعِلًا لَا مُبْتَدَأً كَمَا تَقُولُ أَضَارِبُ قَوْمَكَ، أَخَارِجُ إِخْوَتَكَ فَتَفَرِّدُ لَأَنَّكَ رَفَعْتَ بِهِ فَاعِلًا، وَهُوَ حَسَنٌ فِي مَذْهَبِ سَبِيوَيْهِ وَالْأَخْفَشِ وَلَوْ لَا الْإِسْتِفْهَامُ مَا جَازَ الْإِفْرَادُ إِلَّا عَلَى مَذْهَبِ الْأَخْفَشِ فَإِنَّهُ يَقُولُ قَائِمُ الزَّيْدُونَ دُونَ اسْتِفْهَامٍ فَإِنْ كَانَ الْإِسْمُ الْمُبْتَدَأُ مِنَ الْمُضْمَرَاتِ



نَحْنُ أَخَارِجُ أَنْتَ وَأَقَاتِمُ هُوَ؟ لَمْ يَصِحَّ فِيهِ إِلَّا الْإِبْتِدَاءُ لِأَنَّ الْفَاعِلَ إِذَا كَانَ مُضْمَرًا لَمْ يَكُنْ مُنْفَصِلًا لَا تَقُولُ قَامَ أَنَا، وَلَا ذَهَبَ أَنْتَ وَكَذَلِكَ لَا تَقُولُ أَذَاهِبُ أَنْتَ عَلَى حَدِّ الْفَاعِلِ وَلَكِنْ عَلَى الْمُبْتَدَأِ وَإِذَا كَانَ عَلَى حَدِّ الْمُبْتَدَأِ فَلَا بُدَّ مِنْ جَمْعِ الْخَبَرِ، فَعَلَى هَذَا تَقُولُ أَخْرِجِي هُمْ تَرِيدُ مَخْرُجُونَ ثُمَّ أُضِيفَ إِلَى الْإِيَاءِ وَحُذِفَتِ التَّوْنُ وَأُدْغِمَتِ الْوَاوُ كَمَا يَقْتَضِي الْقِيَاسُ.

حَوْلَ الْيَافُوخِ وَالذَّهَابِ إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ:

فصل: وَذَكَرَ أَنَّ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَبِلَ يَافُوخَهُ قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ الْيَافُوخِ ... وَفِي رِوَايَةِ يُونُسَ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ بِسَنَدِهِ إِلَى أَبِي مَيْسَرَةَ عَمْرٍو بْنِ شَرْحِبِيلَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِلْسَيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إِنِّي إِذَا خَلَوْتُ وَخَدِي سَمِعْتُ نِدَاءً وَقَدْ خَشِيتُ وَاللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِهَذَا أَمْرٌ». قَالَتْ: مَعَاذَ اللَّهِ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَفْعَلَ ذَلِكَ بَكَ. فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَوَدِّي الْأَمَانَةَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ. وَتُصَدِّقُ الْحَدِيثَ فَلَمَّا دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَيْسَ [عِنْدَهَا] رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ ذَكَرَتْ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَهُ ذَلِكَ فَقَالَتْ يَا عَتِيقُ أَذْهَبَ مَعَ مُحَمَّدٍ إِلَى وَرَقَةَ فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ. فَقَالَ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ. فَقَالَ: «وَمَنْ أَخْبَرَكَ؟» قَالَ: خَدِيجَةُ، فَاَنْطَلَقَا إِلَيْهِ فَقَصَا عَلَيْهِ فَقَالَ: «إِنِّي إِذَا خَلَوْتُ وَخَدِي سَمِعْتُ نِدَاءً خَلْفِي: يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ فَانْطَلِقْ هَارِبًا فِي الْأَرْضِ»، فَقَالَ لَهُ لَا تَفْعَلْ إِذَا أَتَاكَ فَاتَّبْتُ حَتَّى تَسْمَعَ مَا يَقُولُ لَكَ. ثُمَّ اثْنَيْي، فَأَخْبَرَنِي، فَلَمَّا خَلَا نَادَاهُ يَا مُحَمَّدُ قُلْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. حَتَّى بَلَغَ وَلَا الضَّالِّينَ. قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَاتَى وَرَقَةَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ أَبْشِرْ ثُمَّ أَبْشِرْ فَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ ابْنُ مَرْيَمَ، وَأَنَّكَ عَلَى مِثْلِ نَامُوسِ النَّبِيِّ مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَنَّكَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَأَنَّكَ سَتُؤَمِّرُ بِالْجِهَادِ بَعْدَ يَوْمِكَ هَذَا. وَلَكِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ لِأَجَاهِدَنَّ مَعَكَ. فَلَمَّا تَوَفَّى وَرَقَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُ الْقَسَّ فِي الْجَنَّةِ وَعَلَيْهِ ثِيَابُ الْحَرِيرِ لِأَنَّهُ آمَنَ بِي وَصَدَّقَنِي» يَعْنِي: وَرَقَةَ وَفِي رِوَايَةِ يُونُسَ أَيْضًا أَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لِرَجُلٍ سَبَّ وَرَقَةَ: «أَمَّا عَلِمْتَ أَنِّي رَأَيْتُ لِرِوَقَةَ جَنَّةً أَوْ جَنَّتَيْنِ»، وَهَذَا الْحَدِيثُ الْأَخِيرُ قَدْ أَسْنَدَهُ الْبَزَّازُ.



لَقَدْ خَشِيتَ عَلَى نَفْسِي:

فَصَلِّ: وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ لِلْسَيِّدَةِ خَدِيجَةَ عليها السلام: «لَقَدْ خَشِيتَ عَلَى نَفْسِي» وَتَكَلَّمَ الْعُلَمَاءُ فِي مَعْنَى هَذِهِ الْخَشْيَةِ بِأَقْوَالٍ كَثِيرَةٍ فَذَهَبَ أَبُو بَكْرٍ الْإِسْمَاعِيلِيُّ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْخَشْيَةَ كَانَتْ مِنْهُ قَبْلَ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ الْعِلْمُ بِأَنَّ الَّذِي جَاءَهُ مَلَكٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَانَ أَشَقَّ شَيْءٍ عَلَيْهِ أَنْ يُقَالَ عَنْهُ مَجْنُونٌ وَلَمْ يَرَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ أَنَّ هَذَا مُحَالٌ فِي مَبْدَأِ الْأَمْرِ لِأَنَّ الْعِلْمَ الضَّرُورِيَّ قَدْ لَا يَحْصُلُ دَفْعَةً وَاحِدَةً وَضَرَبَ مَثَلًا بِالْبَيْتِ مِنَ الشَّعْرِ تَسْمَعُ أَوَّلُهُ فَلَا تَدْرِي أَنْظُمَ هُوَ أَمْ نَثَرُ فَإِذَا اسْتَمَرَّ الْإِنْشَادُ عَلِمْتَ قَطْعًا أَنَّهُ قَصَدَ بِهِ قَصْدَ الشَّعْرِ كَذَلِكَ لَمَّا اسْتَمَرَّ الْوَحْيُ وَاقْتَرَنْتَ بِهِ الْقَرَائِنُ الْمُقْتَضِيَةُ لِلْعِلْمِ ^(١٣).

المصدر الرابع:-

السيرة النبوية: ابن هشام. وهو عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣ هجرية أو ٢١٨ هجرية)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م.

نص رواية ابن هشام

أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ

«قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَذَكَرَ الزُّهْرِيُّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا حَدَّثَتْهُ: أَنَّ أَوَّلَ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ النَّبُوءَةِ، حِينَ أَرَادَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ وَرَحْمَةَ الْعِبَادِ بِهِ، الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ، لَا يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رُؤْيَا فِي نَوْمِهِ إِلَّا جَاءَتْ كَفَلَقِ الصُّبْحِ. قَالَتْ: وَحَبَّبَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ الْخُلُوةَ، فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَخْلُوَ وَحْدَهُ».

تَسْلِيمُ الْحِجَارَةِ وَالشَّجَرِ عَلَيْهِ ﷺ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُيَيْنَةَ اللَّهُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ الْعَلَاءِ بْنِ جَارِيَةَ الثَّقَفِيِّ، وَكَانَ وَاعِيَةً، عَنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَرَادَهُ اللَّهُ بِكَرَامَتِهِ، وَابْتَدَأَهُ



بِالنُّبُوَّةِ، كَانَ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَبْعَدَ حَتَّى تَحَسَّرَ عَنْهُ الْبُيُوتُ وَيُفْضِي إِلَى شِعَابِ مَكَّةَ وَبُطُونِ أَوْدِيَّتِهَا، فَلَا يَمُرُّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَيَلْتَفِتُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَوْلَهُ وَعَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ وَخَلْفَهُ، فَلَا يَرَى إِلَّا الشَّجَرَ وَالْحِجَارَةَ. فَمَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَذَلِكَ يَرَى وَيَسْمَعُ، مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمُكِّثَ، ثُمَّ جَاءَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ ﷺ بِهَا جَاءَهُ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ، وَهُوَ بِحِرَاءٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ (١٤).

ابْتِدَاءُ نُزُولِ الْمَلِكِ جَبْرِيلَ ﷺ

«قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي وَهْبُ بْنُ كَيْسَانَ، مَوْلَى آلِ الزُّبَيْرِ. قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَهُوَ يَقُولُ لِعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ بْنِ قَتَادَةَ اللَّيْثِيِّ: حَدَّثَنَا يَا عُبَيْدُ، كَيْفَ كَانَ بَدْءُ مَا أُبْتَدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ النَّبُوَّةِ، حِينَ جَاءَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ ﷺ؟ قَالَ: فَقَالَ: عُبَيْدُ -وَأَنَا حَاضِرٌ يُحَدِّثُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَمَنْ عِنْدَهُ مِنَ النَّاسِ-: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُجَاوِرُ فِي حِرَاءٍ مِنْ كُلِّ سَنَةِ شَهْرًا، وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا تَحَنَّتْ بِهِ قُرَيْشٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. وَالتَّحَنُّتُ التَّبَرُّرُ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ:

وَتَوَرَّ وَمَنْ أَرَسَى نَبِيرًا مَكَانَهُ ... وَرَاقٍ لِيَرْقَى فِي حِرَاءٍ وَنَازِلٍ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي وَهْبُ بْنُ كَيْسَانَ قَالَ: قَالَ عُبَيْدُ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُجَاوِرُ ذَلِكَ الشَّهْرَ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ، يُطْعِمُ مَنْ جَاءَهُ مِنَ الْمَسَاكِينِ، فَإِذَا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَوَارَهُ مِنْ شَهْرِهِ ذَلِكَ، كَانَ أَوَّلُ مَا يَبْدَأُ بِهِ -إِذَا أَنْصَرَفَ مِنْ جَوَارِهِ- الْكَعْبَةَ، قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ، فَيَطُوفُ بِهَا سَبْعًا أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى بَيْتِهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ الشَّهْرُ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِيهِ مَا أَرَادَ مِنْ كَرَامَتِهِ، مِنَ السَّنَةِ الَّتِي بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا، وَذَلِكَ الشَّهْرُ (شَهْرُ) رَمَضَانَ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى حِرَاءٍ، كَمَا كَانَ يَخْرُجُ لِجَوَارِهِ وَمَعَهُ أَهْلُهُ، حَتَّى إِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ فِيهَا بِرِسَالَتِهِ، وَرَحِمَ الْعِبَادَ بِهَا، جَاءَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ ﷺ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَجَاءَنِي الْمَلِكُ جَبْرِيلُ ﷺ، وَأَنَا نَائِمٌ، بِنَمَطٍ مِنْ دِيبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ، فَقَالَ اقْرَأْ، قَالَ: قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: فَغَتَّنِي بِهِ حَتَّى



ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: فَغَتَّنِي بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: قُلْتُ: مَاذَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: فَغَتَّنِي بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: فَقُلْتُ: مَاذَا أَقْرَأُ؟ مَا أَقُولُ ذَلِكَ إِلَّا افْتِدَاءً مِنْهُ أَنْ يَعُودَ لِي بِمِثْلِ مَا صَنَعَ بِي، فَقَالَ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) سورة العلق الآية ١-٥. قَالَ: فَقَرَأْتَهَا ثُمَّ انْتَهَى فَانْصَرَفَ عَنِّي وَهَبَيْتُ مِنْ نَوْمِي، فَكَأَنَّمَا كَتَبْتُ فِي قَلْبِي كِتَابًا. قَالَ: فَخَرَجْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي وَسْطِ مِنَ الْجَبَلِ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا جِبْرِيلُ، قَالَ: فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ أَنْظُرُ، فَإِذَا جِبْرِيلُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ صَافٍ قَدَمَيْهِ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا جِبْرِيلُ. قَالَ: فَوَقَفْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَمَا اتَّقَدَّمُ وَمَا أَتَأَخَّرُ، وَجَعَلْتُ أَصْرُفُ وَجْهِي عَنْهُ فِي آفَاقِ السَّمَاءِ، قَالَ: فَلَا أَنْظُرُ فِي نَاحِيَةٍ مِنْهَا إِلَّا رَأَيْتُهُ كَذَلِكَ، فَمَا زِلْتُ وَاقِفًا مَا اتَّقَدَّمُ أَمَامِي وَمَا أَرْجِعُ وَرَائِي حَتَّى بَعَثْتُ خَدِيجَةَ رُسُلَهَا فِي طَلْبِي، فَبَلَّغُوا أَعْلَى مَكَّةَ وَرَجَعُوا إِلَيْهَا وَأَنَا وَاقِفٌ فِي مَكَانِي ذَلِكَ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنِّي».

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْصُصُ عَلَى السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ (عليها السلام) مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْمَلِكِ جِبْرِيلَ (عليه السلام) مَعَهُ: «وَانْصَرَفْتُ رَاجِعًا إِلَى أَهْلِي حَتَّى أَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَجَلَسْتُ إِلَى فَخِذِهَا مُضِيًّا إِلَيْهَا: فَقَالَتْ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، أَيْنَ كُنْتَ؟ فَوَاللَّهِ لَقَدْ بَعَثْتُ رُسُلِي فِي طَلَبِكَ حَتَّى بَلَّغُوا مَكَّةَ وَرَجَعُوا لِي، ثُمَّ حَدَّثْتَنِي بِالَّذِي رَأَيْتُ، فَقَالَتْ: أَبْشِرْ يَا بَنَ عَمِّ وَاثِبْتَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ خَدِيجَةَ بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ نَبِيَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ» (١٥).

السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ (عليها السلام) بَيْنَ يَدَيِ وَرَقَةٍ بَنِ نَوْفَلٍ

مُحَدِّثُهُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

«ثُمَّ قَامَتْ فَجَمَعَتْ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا، ثُمَّ انْطَلَقَتْ إِلَى وَرَقَةَ بَنِ نَوْفَلٍ بَنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّهَا، وَكَانَ وَرَقَةُ قَدْ تَنَصَّرَ وَقَرَأَ الْكُتُبَ، وَسَمِعَ مِنْ أَهْلِ



التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا أَخْبَرَهَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ رَأَى وَسَمِعَ، فَقَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ، وَالَّذِي نَفْسُ وَرَقَةَ بِيَدِهِ، لَئِنْ كُنْتُ صَدَقْتَنِي يَا خَدِيجَةُ لَقَدْ جَاءَهُ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي النَّبِيَّ مُوسَى ﷺ، وَإِنَّهُ لَنَبِيِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَقَوْلِي لَهُ: فَلْيُثَبِّتْ. فَرَجَعَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِقَوْلِ وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَوَارَهُ وَانْصَرَفَ، صَنَعَ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ بَدَأَ بِالْكَعْبَةِ فَطَافَ بِهَا، فَلَقِيَهُ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ فَقَالَ: يَا بَنَ أَخِي أَخْبِرْنِي بِمَا رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكَ لَنَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَقَدْ جَاءَكَ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي جَاءَ النَّبِيَّ مُوسَى ﷺ وَلِتُكَذِّبَنَّهُ وَلِتُؤْذِنَهُ وَلِتُخْرِجَنَّهُ وَلِتَقَاتِلَنَّهُ، وَلَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ لَأَنْصُرَنَّ اللَّهَ نَصْرًا يَعْلَمُهُ، ثُمَّ أَدْنَى رَأْسَهُ مِنْهُ، فَقَبَّلَ يَافُوخَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَنْزِلِهِ» (١٦).

امْتَحَانُ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ بُرْهَانَ الْوَحْيِ

«قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ مَوْلَى آلِ الزُّبَيْرِ: أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ
السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ ابْنِ عَمٍّ، أَسْتَطِيعُ أَنْ تُخْبِرَنِي بِصَاحِبِكَ
هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ إِذَا جَاءَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَإِذَا جَاءَكَ فَأَخْبِرْنِي بِهِ. فَجَاءَهُ الْمَلِكُ
جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْسَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا خَدِيجَةُ، هَذَا
جَبْرِيلُ قَدْ جَاءَنِي، قَالَتْ: ثُمَّ يَا بَنَ عَمٍّ فَاجْلِسْ عَلَيَّ فَخِذِي الْيُسْرَى، قَالَ فَقَامَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ فَجَلَسَ عَلَيْهَا، قَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَتَحَوَّلْ فَاجْلِسْ عَلَيَّ فَخِذِي
الْيُمْنَى، قَالَتْ: فَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَلَسَ عَلَيَّ فَخِذَهَا الْيُمْنَى، فَقَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟
قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: فَتَحَوَّلْ فَاجْلِسْ فِي حِجْرِي، قَالَتْ: فَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَلَسَ فِي
حِجْرِهَا، قَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَتَحَسَّرْتُ وَأَلْقَيْتُ حِمَارَهَا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ
جَالِسٌ فِي حِجْرِهَا، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: لَا، قَالَتْ يَا بَنَ عَمٍّ، اثْبُتْ وَأَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ
أَنَّهُ لَمَلِكٌ وَمَا هَذَا بِشَيْطَانٍ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ حَدَّثْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَسَنٍ هَذَا الْحَدِيثَ،



فَقَالَ: قَدْ سَمِعْتُ أُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتَ حُسَيْنٍ تُحَدِّثُ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَنِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ (ع)، إِلَّا أَنِّي سَمِعْتُهَا تَقُولُ: أَدْخَلَتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهَا وَبَيْنَ دِرْعِهَا، فَذَهَبَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمَلِكِ جَبْرِيلَ (ع)، فَقَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ هَذَا الْمَلِكُ وَمَا هُوَ بِشَيْطَانٍ» (١٧).

ابْتِدَاءُ تَنْزِيلِ الْقُرْآنِ

«قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَابْتَدَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالتَّنْزِيلِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، بِقَوْلِ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ): (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) سورة البقرة الآية ١٨٥. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ. لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ. تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ. سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) سورة القدر الآية ١ - ٥. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (حَمِّمُوا الْأُمِّيِّينَ. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبْرُورَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ. فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) سورة الدخان الآية ١ - ٥. وَقَالَ تَعَالَى: (إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقْيِ الْجُمُعَانِ) سورة الأنفال الآية ٤١. وَذَلِكَ مُلْتَقَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْمُشْرِكِينَ بِبَدْرٍ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ حُسَيْنٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ التَّقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ بِبَدْرٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، صَبِيحَةَ سَبْعِ عَشْرَةَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ تَتَامَّ الْوَحْيُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ مُصَدِّقٌ بِمَا جَاءَهُ مِنْهُ، قَدْ قَبِلَهُ بِقَبُولِهِ، وَتَحَمَّلَ مِنْهُ مَا حَمَلَهُ عَلَى رِضَا الْعِبَادِ وَسَخَطِهِمْ، وَالثَّبُوءِ أَثْقَالَ، وَمُؤْنَةً، لَا يَحْمِلُهَا وَلَا يَسْتَطِيعُ بِهَا إِلَّا أَهْلُ الْقُوَّةِ وَالْعِزِّ مِنَ الرُّسُلِ بِعَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَوْفِيقِهِ، لَمَا يَلْقَوْنَ مِنَ النَّاسِ وَمَا يُرَدُّ عَلَيْهِمْ مِمَّا جَاءُوا بِهِ عَنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. قَالَ: فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، عَلَى مَا يَلْقَى مِنْ قَوْمِهِ مِنَ الْخِلَافِ وَالْأَذَى» (١٨).



المصدر الخامس:-

المحرر: محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، بالولاء، أبو جعفر البغدادي (المتوفى: ٢٤٥هـ)، تحقيق: إيلزة ليختن شتير، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

نص رواية محمد بن حبيب

«مبعث النبي ﷺ بأربعين سنة، وكان مبعثه ﷺ على رأس مائة وخمسين سنة من عام الغدر، والعشرين سنة من ملك كسرى إبرويز، ويقال لست عشرة خلت من ملكه. وعلى اليمن يومئذ باذام أبو مهران. وملك الحيرة يومئذ إلياس بن قبيصة الطائي ومعه النخير جان الفارسي على رأس سنتين وأربعة أشهر من ولايتهما»^(١٩).

مولد النبي الأعظم ﷺ

«فولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول، ويقال لثمان ليال خلون من شهر ربيع الأول. وتوفي عبد الله، أبوه، بعد ما أتى له ثمانية وعشرون شهراً. وتوفيت أمه بعد ما أتت عليه ثمان سنين. وهي (آمنة) بنت وهب بن عبد مناف ابن زهرة بن كلاب. و(أمها) برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي. و(أمها) أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي. و(أمها) برة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب»^(٢٠).

«فكان ﷺ في حجر عمه أبي طالب، وانطلق به إلى بصرى الشام وهو ابن تسع سنين. ووضع ﷺ الحجر في موضعه حين اختصمت قريش في وضعه وهو ابن خمس وثلاثين سنة وشهرين. ونكح السيدة خديجة بنت خويلد بن أسد ﷺ وهو ابن خمس وعشرين سنة. وهي بنت أربعين سنة. ثم أتاه الملك جبريل ﷺ ليلة السبت وليلة الأحد ثم ظهر له برسالة الله (عز وجل) يوم الاثنين، فعلمه الوضوء والصلاة وعلمه (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) سورة العلق الآية رقم ١، وكان له ﷺ يوم الاثنين يوم أوحى إليه أربعون سنة. وأسلمت السيدة خديجة ﷺ معه. ورميت النجوم بعد مبعثه ﷺ بعشرين يوماً.



وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة، ثم هاجر إلى المدينة في شهر ربيع الأول. وولد النبي صلى الله عليه بعد الفيل بخمسين يوماً. وكان مولده يوم الاثنين. وردته ظئره حليلة إلى أمه وهو ابن خمس سنين ويومين. وتوفي عبد المطلب وله ثلاث سنين وشهران وعشرة أيام. وبعثه الله (عز وجل) إلى الناس وهو ابن أربعين سنة وشهرين وعشرة أيام. ورميت النجوم بعد مبعثه بعشرين يوماً» (٢١).

المصدر السادس:-

الطبقات الكبرى، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

نص رواية محمد بن سعد

ذَكَرُ نَزُولِ الْوَحْيِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

«أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَبُو سُفْيَانَ الْعُبَيْدِيُّ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ) الْبَقَرَةُ: ٢٥٣. قَالَ: هُوَ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ ﷺ. أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنِي مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ. فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ. قَالَتْ: فَمَكَثَ عَلَى ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ. وَحُبِّبَ إِلَيْهِ الْخُلُوءُ فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهَا. وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّنُ فِيهِ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ. ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ ﷺ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ.

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنُ أَبِي حَبِيبَةَ عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْحُصَيْنِ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: فَبَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ بِأَجْيَادٍ إِذْ رَأَى مَلَكًا وَاضِعًا إْحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى فِي أَفْقِ السَّمَاءِ يَصِيحُ: يَا مُحَمَّدُ، أَنَا جَبْرِيلُ. يَا مُحَمَّدُ، أَنَا جَبْرِيلُ. فَذَعَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ ذَلِكَ. وَجَعَلَ يَرَاهُ كُلَّمَا رَفَعَ رَأْسَهُ



إِلَى السَّمَاءِ. فَرَجَعَ سَرِيعًا إِلَى السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ عليها السلام فَأَخْبَرَهَا خَبْرَهُ وَقَالَ: يَا خَدِيجَةُ وَاللَّهِ مَا أَبْغَضْتُ بُغْضَ هَذِهِ الْأَصْنَامِ شَيْئًا قَطُّ وَلَا الْكُهَّانَ وَإِنِّي لَأَخْشَى أَنْ أَكُونَ كَاهِنًا. قَالَتْ: كَلَا يَا بَنَ عَمٍّ لَا تَقُلْ ذَلِكَ. فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ بِكَ أَبَدًا. إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتُؤَدِّي الْأَمَانَةَ. وَإِنْ خُلِقَ لَكَرِيمٌ. ثُمَّ انْطَلَقَتْ إِلَى [وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ. وَهِيَ أَوَّلُ مَرَّةٍ أَتَتْهُ. فَأَخْبَرَتْهُ مَا أَخْبَرَهَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ وَرَقَةُ: وَاللَّهِ إِنْ ابْنُ عَمِّكَ لَصَادِقٌ. وَإِنْ هَذَا لَبَدْءُ بُيُوتَةٍ. وَإِنَّهُ لَيَأْتِيهِ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ. فَمُرِيهِ أَنْ لَا يَجْعَلَ فِي نَفْسِهِ إِلَّا خَيْرًا. أَخْبَرَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ. أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ عُرْوَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ [قَالَ: يَا خَدِيجَةُ إِنِّي أَرَى ضَوْءًا وَأَسْمَعُ صَوْتًا. لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ كَاهِنًا. فَقَالَتْ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَفْعَلُ بِكَ ذَلِكَ يَا بَنَ عَبْدِ اللَّهِ. إِنَّكَ تَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتُؤَدِّي الْأَمَانَةَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ]» (٢٢).

«أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ عَبَّادٍ وَعَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَا: أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَمَّارُ بْنُ أَبِي عَمَّارٍ. قَالَ يَحْيَى بْنُ عَبَّادٍ. قَالَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ: أَحْسَبُهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: يَا خَدِيجَةُ إِنِّي أَسْمَعُ صَوْتًا وَأَرَى ضَوْءًا وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَكُونَ فِي جَنَنٍ. فَقَالَتْ: لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَفْعَلَ بِكَ ذَلِكَ يَا بَنَ عَبْدِ اللَّهِ. ثُمَّ أَتَتْ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ فَذَكَرَتْ لَهُ ذَلِكَ. فَقَالَ: إِنَّ يَكُ صَادِقًا فَهَذَا نَامُوسٌ مِثْلُ نَامُوسِ النَّبِيِّ مُوسَى ﷺ. فَإِنْ يُبْعَثُ وَأَنَا حَيٌّ فَسَاعَزْرُهُ وَأَنْصُرُهُ وَأُؤْمِنُ بِهِ» (٢٣).

ذَكَرُ أَوَّلَ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَمَا قِيلَ لَهُ ﷺ

«أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: حَدَّثَنِي مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادٍ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: سَمِعْتُ بَعْضَ عُلَمَائِنَا يَقُولُ: كَانَ أَوَّلُ مَا أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (العلق: ١ - ٥). فَهَذَا صَدْرُهَا الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ حِرَاءٍ. ثُمَّ نَزَلَ آخِرُهَا بَعْدَ ذَلِكَ بِمَا شَاءَ اللَّهُ. أَخْبَرَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ الْكِنَانِيُّ. أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ عَنْ



عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: أَوَّلُ سُورَةٍ أَنْزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ (أَقْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ) الْعَلَقَ الْآيَةَ ١. أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي مُوسَى عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْحَصِينِ عَنْ أَبِي غَطَفَانَ بْنِ طَرِيفٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ بِحِرَاءٍ مَكَثَ أَيَّامًا لَا يَرَى الْمَلِكَ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَحَزَنَ حُزْنًا شَدِيدًا حَتَّى كَانَ يَغْدُو إِلَى ثَبِيرٍ مَرَّةً وَإِلَى حِرَاءٍ مَرَّةً يُرِيدُ أَنْ يُلقِي نَفْسَهُ مِنْهُ. فَبَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَافٍ لِلصَّوْتِ لِبَعْضِ تِلْكَ الْجِبَالِ إِلَى أَنْ سَمِعَ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ. فَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَافٍ لِلصَّوْتِ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا الْمَلِكُ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مُتَرَبِّعًا عَلَيْهِ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا وَأَنَا جَبْرِيلُ. قَالَ: فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ أَقْرَأَ اللَّهُ عَيْنَهُ وَرَبَطَ جَأَشَهُ. ثُمَّ تَتَابَعَ الْوَحْيُ بَعْدَ وَحْيِي. أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُصْعَبٍ الْفَرَقَسَانِيُّ. أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قِيلَ لِي: يَا مُحَمَّدُ لَنَنِمَ عَيْنُكَ وَلَتَسْمَعَ أُذُنُكَ وَلَيَعِ قَلْبُكَ. قَالَ النَّبِيُّ: فَتَأَمَّتْ عَيْنِي وَوَعَى قَلْبِي وَسَمِعَتْ أُذُنِي» (٢٤).

ذِكْرُ شِدَّةِ نُزُولِ الْوَحْيِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ

«أَخْبَرَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ، أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، أَخْبَرَنَا قَتَادَةُ وَحُمَيْدٌ عَنْ الْحَسَنِ عَنْ حِطَّانِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الرَّقَاشِيِّ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ كُرِبَ لَهُ وَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ».

«أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى الْعَبْسِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ عَنْ جَابِرٍ عَنْ عِكْرَمَةَ قَالَ: كَانَ إِذَا أُوحِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ لَدَلِكَ سَاعَةٌ كَهَيْئَةِ السَّكَرَانِ. أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْأَسْلَمِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَبْرَةَ عَنْ صَالِحِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي أَرْوَى الدَّوْسِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ الْوَحْيَ يَنْزِلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُ عَلَى رَاحِلَتِهِ. فَتَرَعُو وَتَفْتِلُ يَدَيْهَا حَتَّى أَظُنَّ أَنَّ ذِرَاعَهَا تَنْقَصُ. فَرُبَّمَا بَرَكَتْ وَرُبَّمَا قَامَتْ مُوتِدَةً يَدَيْهَا حَتَّى يُسَرَّى عَنْهُ مِنْ ثِقَلِ الْوَحْيِ، وَإِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ. أَخْبَرَنَا حُجَيْنُ بْنُ الْمُثَنَّى، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ عَمِّهِ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

كَانَ يَقُولُ: كَانَ الْوَحْيُ يَأْتِينِي عَلَى نَحْوَيْنِ: يَأْتِينِي بِهِ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عليه السلام فَيُلْقِيهِ عَلَيَّ كَمَا يُلْقِي الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ فَذَلِكَ يَتَفَلَّتُ مِنِّي، وَيَأْتِينِي فِي شَيْءٍ مِثْلِ صَوْتِ الْجَرَسِ حَتَّى يَخَالِطَ قَلْبِي فَذَلِكَ الَّذِي لَا يَتَفَلَّتُ مِنِّي» (٢٥).

أَخْبَرَنَا مَعْنُ بْنُ عِيسَى، أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ قَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: أحياناً يَأْتِينِي فِي مِثْلِ صَلَصلةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيُفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ. وَأحياناً يَتِمَثَّلُ لِي الْمَلِكُ فَيُكَلِّمُنِي فَأَعْيِي مَا يَقُولُ. قَالَتْ عَائِشَةُ: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يُنَزَّلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيُفْصِمُ عَنْهُ وَإِنْ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا» (٢٦).

أَخْبَرَنَا عبيدة بن حميد التيمي قال: حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ أَبِي عَائِشَةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ يُعَالِجُ مِنْ ذَلِكَ شِدَّةً. قَالَ: كَانَ يَتَلَقَّاهُ وَيَحْرُكُ شَفْتَيْهِ كَيْ لَا يَنْسَاهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ: (لَا تُحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ الْقِيَامَةَ الْآيَةُ ١٦، لَتَعْجَلَ بِأَخْذِهِ، (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) سورة القيامة الْآيَةُ ١٧، إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَجْمَعَهُ فِي صَدْرِكَ. قَالَ: قرأه أن يقرأه. قَالَ: (فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) القيامة: ١٨. قَالَ: أَنْصِتْ. (إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) القيامة: ١٩. أَنْ نُبَيِّنَهُ بِلسَانِكَ. قَالَ: فَانْشَرَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

أَخْبَرَنَا عفان بن مسلم، أَخْبَرَنَا أَبُو عَوَانَةَ، أَخْبَرَنَا مُوسَى بْنُ أَبِي عَائِشَةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (لَا تُحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) القيامة الْآيَاتِ ١٦-١٧. قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً يُحْرِكُ بِهِ شَفْتَيْهِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ. تَبَارَكَ وَتَعَالَى: (لَا تُحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) القيامة الْآيَاتِ ١٦-١٧. عَلَيْنَا جَمْعُهُ فِي صَدْرِكَ ثُمَّ تَقْرُؤُهُ، قَالَ: (فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) القيامة الْآيَةُ ١٨. قَالَ: اسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ. قَالَ: (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) القيامة الْآيَةُ ١٩. قَالَ: ثُمَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ. قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا آتَاهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عليه السلام اسْتَمَعَ لَهُ فَإِذَا انْطَلَقَ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عليه السلام قَرَأَهُ كَمَا أَقْرَأَهُ» (٢٧).

المصدر السابع:-

جمل من أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

مبعث رسول الله ﷺ

«قَالُوا: وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً. وَذَلِكَ فِي مَلِكٍ بَرْوِيزَ. وَعَلَى الْحِيرَةِ إِيَّاسُ بْنُ قَبِيصَةَ بْنِ أَبِي عَفْرِ الطَّائِي الَّذِي مَلَكَ بَعْدَ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ. وَكَانَ النُّعْمَانُ قَتَلَ بِالْمَدَائِنِ.

وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ الْوَاقِدِيِّ، عَنْ ابْنِ أَبِي سَبْرَةَ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ: نَزَلَ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ (عليه السلام) عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِسَبْعِ عَشْرَةِ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، بِحَرَاءَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً. وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يَرَى وَيَسْمَعُ. وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ الْوَاقِدِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ أُمِّهِ عَزِيزَةَ بِنْتِ أَبِي تَجْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ، حِينَ أَرَادَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ وَابْتِدَاءَهُ بِالنَّبُوَّةِ، إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَبْعَدَ حَتَّى لَا يَرَى بَيْتًا وَيَفْضِي إِلَى الشَّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ. فَلَا يَمُرُّ بِشَجَرَةٍ إِلَّا قَالَتْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَيَلْتَفِتُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ وَخَلْفَهُ فَلَا يَرَى أَحَدًا» (٢٨).

«وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ الْوَاقِدِيِّ، عَنْ أَبِي حَبِيبَةَ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْحَصِينِ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَجْيَادٍ إِذْ رَأَى مَلَكًا وَاضِعًا إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى فِي أَفْقِ السَّمَاءِ، يَصِيحُ: (يَا مُحَمَّدُ، أَنَا جَبْرِيلُ). فَذَعَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَرَجَعَ سَرِيعًا إِلَى السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ (عليها السلام). فَقَالَ: إِنِّي لَأَخْشَى أَنْ أَكُونَ كَاهِنًا، قَالَتْ: كَلَّا، يَا بَنِي عَمٍّ، لَا تَقُلْ ذَلِكَ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتُؤَدِّي الْأَمَانَةَ وَإِنَّ خُلُقَكَ لَكَرِيمٌ.

وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ الْوَاقِدِيِّ، عَنْ مَعْمَرِ بْنِ رَاشِدٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ. فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا كَانَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ. وَحُبِبَتْ إِلَيْهِ الْخُلُوةُ. فَكَانَ يَخْلُو بَغَارِ حِرَاءَ، فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ -وَالَّتَحَنُّنُ التَّعَبُّدُ وَالتَّبَرُّرُ- وَيَمْكُثُ اللَّيْلِي قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ. ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَيَتَزَوَّدُ. حَتَّى فَجَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءَ. وَعُرِضَ لَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَيْلَةَ السَّبْتِ وَلَيْلَةَ الْأَحَدِ. ثُمَّ آتَاهُ بِالرَّسَالَةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِسَنَعِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ: وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً» (٢٩).

«وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ الْوَاقِدِيِّ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَتْ قُرَيْشٌ إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ، خَرَجَ مَنْ يُرِيدُ التَّحَنُّنَ مِنْهَا إِلَى حِرَاءَ، فَيَقِيمُ فِيهِ شَهْرًا، وَيُطْعِمُ مَنْ يَأْتِيهِ مِنَ الْمَسَاكِينِ. حَتَّى إِذَا رَأَوْا هِلَالَ شَوَّالٍ، لَمْ يَدْخُلِ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ حَتَّى يَطُوفَ بِالْبَيْتِ أُسْبُوعًا. فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَفْعَلُ ذَلِكَ».

«حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ النَّاقِدُ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورِ السَّلُولِيِّ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يُونُسَ بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو مَيْسَرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ أَوَّلَ مَا بُعِثَ، يُدْعَى «يَا مُحَمَّدُ»، وَلَا يَرَى شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ يَسْمَعُ الصَّوْتَ، فَيَهْرُبُ مِنْهُ فِي الْأَرْضِ، قَالَ: فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلْسَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ ابْنَةِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَقَالَ: خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ عُرِضَ لِي أَمْرٌ. قَالَتْ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: إِذَا خَلَوْتُ، دُعِيتُ فَأَسْمَعُ صَوْتًا وَلَا أَرَى شَيْئًا فَقَدْ خَشِيتُ. قَالَتْ: مَا كَانَ اللَّهُ لِيَفْعَلَ بِكَ سُوءًا، إِنَّكَ لَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتُؤَدِّي الْأَمَانَةَ. ثُمَّ إِنَّ السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ لِأَبِي بَكْرٍ: انْطَلِقْ مَعَ مُحَمَّدٍ إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ يَقْرَأُ الْكُتُبَ، فَلْيَذْكُرْ لَهُ مَا يَسْمَعُ. فَاَنْطَلَقَا، حَتَّى أَتَيَا وَرَقَةَ. [فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: إِنِّي إِذَا خَلَوْتُ، دُعِيتُ «يَا مُحَمَّدُ»، فَأَسْمَعُ صَوْتًا وَلَا أَرَى شَيْئًا] قَالَ لَهُ وَرَقَةُ: لَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسٌ، فَإِذَا دُعِيتَ فَاتَّبِعْ، حَتَّى تَسْمَعَ مَا يُقَالُ لَكَ، فَتَتَّبِعَ لِلصَّوْتِ. فَقَالَ لَهُ: قُل: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ». فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ ثَلَاثَ



مَرَاتٍ. ثُمَّ قَالَ: قُلْ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. حَتَّى خَتَمَهَا، فَقَالَ لَهُ: قُلْ «آمِينَ». ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى وَرَقَةٍ. فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ. فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ النَّبِيُّ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، وَأَنَّكَ الَّذِي نَجَدُ فِي الْكِتَابِ، وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلَتُؤْمَرَنَّ بِالْقِتَالِ، وَلَتُنَّ طَالَتْ لِي الْحَيَاةُ، لِأُقَاتِلَنَّ مَعَكَ» (٣٠).

«قال الكلبي: هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، تنصر حتى استحكمت نصرانيته. ثم خرج إلى الشام. فمات هناك. وقال بعضهم: مات بمكة بعد المبعث، ودفن بها.

وقال الواقدي: أقام ورقة على النصرانية، فكان يدعوا القس. وعاش حتى بعث النبي ﷺ، فلقيه ببعض طرق مكة، فقال له: يا محمد، إنه لم يبعث نبي إلا له آية وعلامة، فما آيتك؟ فدعى رسول الله ﷺ سمرة، فأقبلت تحذ الأَرْضَ خِدا. فقال ورقة: أشهد لئن أمرت بالقتال، لأقاتلن معك ولأنصرك نصرا مؤبدا. ثم مات. [فقال رسول الله ﷺ: رأيت القس وعليه حلة خضراء يرقل في الجنة]. وقال الواقدي: أثبت خبره أنه خرج إلى الشام. فلما بلغه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قد أمر بالقتال بعد الهجرة، أقبل يريده. حتى إذا كان ببلاد لحم وجدام، قتلوه وأخذوا ما كان معه. فكان النبي ﷺ يترحم عليه» (٣١).

أول الآيات من البلاذري

«قال أحمد بن يحيى: وقد روي أن الحمد مدنية. حَدَّثَنِي بَكْرُ بْنُ الْهَيْثَمِ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسُفَ الْفَارِيَّابِيِّ، ثنا سَفِيَّانُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: أَنْزَلَتْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ بِالْمَدِينَةِ. حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ النَّاقِدُ، ثنا أَبُو نُعَيْمٍ الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ، ثنا إِسْرَائِيلُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ بِمِثْلِهِ. وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، ثنا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ إِبْلِيسَ أَرَانَ حِينَ نَزَلَتْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ. قَالَ: وَأَنْزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ. قَالَ: وَقَالَ أَبُو الْأَحْوَصِ: وَيُقَالُ إِنَّهَا مَكِّيَّةٌ».

أول آية نزلت

«وَحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ أَبُو خَيْثَمَةَ، ثنا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، ثنا أَبُو عَمْرِو الْأَوْزَاعِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ أَبِي كَثِيرٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ أَيَّ الْقُرْآنِ أَنْزَلَ قَبْلَ؟ فَقَالَ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ). فَقُلْتُ لِأَبِي سَلَمَةَ: أَوْ اقْرَأْ؟ فَقَالَ: سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ (رضوان الله تعالى عليه)، أَيَّ الْقُرْآنِ أَنْزَلَ قَبْلَ؟ فَقَالَ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ). فَقُلْتُ: أَوْ اقْرَأْ؟ قَالَ جَابِرٌ (رضوان الله تعالى عليه): أَحَدُكُمْ مَا حَدَّثَنَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: جَاوَرْتُ بَحْرَاءَ شَهْرًا، فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي نَزَلَتْ فَاسْتَبَطَنْتُ الْوَادِيَّ، فَنُودِيتُ، فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَلَمْ أَرِ أَحَدًا، ثُمَّ نُودِيتُ الثَّلَاثَةَ، فَلَمْ أَرِ أَحَدًا، ثُمَّ نُودِيتُ فَإِذَا هُوَ فِي الْهَوَاءِ. يَعْنِي الْمَلِكُ جَبْرِيلُ ﷺ، فَأَخَذَنِي رَجْفَةً شَدِيدَةً، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: «دَثِّرُونِي، دَثِّرُونِي»، فَدَثَّرُونِي، وَصَبُوا عَلَيَّ الْمَاءَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ)» (٣٢).

«حَدَّثَنِي شُرَيْحُ بْنُ يُونُسَ أَبُو الْحَارِثِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: فَتَرَ الْوَحْيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. وَكَانَ أَوَّلَ مَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ أَفْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي إِلَى قَوْلِهِ (مَا لَمْ يَعْلَمْ)، فَلَمَّا فَتَرَ، حَزَنَ حُزْنًا شَدِيدًا حَتَّى جَعَلَ يَأْتِي رُءُوسَ الْجِبَالِ مِرَارًا، فَكَلَّمَا أَوْفَى عَلَى ذِرْوَةِ جَبَلٍ، بَدَأَ لَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ ﷺ فَيَقُولُ: (إِنَّكَ نَبِيٌّ)، فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأَشَهُ وَتَرْجِعُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ. فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحَدِّثُ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي يَوْمًا إِذْ رَأَيْتُ الْمَلَكَ الَّذِي كَانَ يَأْتِي بَحْرَاءَ، بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجَشِئْتُ مِنْهُ رُعْبًا: فَرَجَعْتُ إِلَى خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي. قَالَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَدَثَّرَنَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ فُؤْمَ فَأَنْزَرَ)».

«حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ الْمَرْزُوقِيُّ، ثنا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ ابْنِ جَرِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ: أَفْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. قَالَ حَجَّاجُ: ثُمَّ اخْتَلَفْنَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَزَلَتْ كُلُّهَا بِحْرَاءَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُعْتَكِفٌ هُنَاكَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَزَلَ مِنْهَا إِلَى قَوْلِهِ: «مَا لَمْ يَعْلَمْ»، وَنَزَلَ بَاقِيهَا بَعْدَ مَا شَاءَ اللَّهُ».



«حدثنا محمد بن حاتم، ثنا حفص (بن) غياث، ثنا الشيباني، قال محمد -يعني سليمان بن أبي سليمان- عن عبد الله بن شداد، قال: أول سورة نزلت من القرآن (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ)، ثم أبطأ عنه التنزيل بعض الإبطاء، فقال كفار قريش: ودعه ربه وقلاه. فنزلت: (وَالضُّحَى)، إلى آخر السورة» (٣٣).

«وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ (رضوان الله تعالى عليه) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُمِّشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحَرَاءَ، بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجِشْتُ مِنْهُ رَهْبًا. فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: (زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي)، فنزلت: (يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ)، والثبت أنه قال: «دَثِّرُونِي» لِلرُّوْعِ الَّذِي دَخَلَهُ، فنزلت: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ)، وإنما نزلت يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ بَعْدَ، حِينَ أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَقُومَ مِنَ اللَّيْلِ».

«وروى الواقدي، عن عيسى بن وردان، عن أبي كريب، عن أبيه، أنه وجد في كتاب ابن عباس: أول السور المكية اقرأ باسم ربك، ثم ن والقلم، ثم يا أيها المدثر، ثم المزل». «حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، ثَنَا أَبَانُ بْنُ يَزِيدَ، ثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ فَقُلْتُ: أَيُّ الْقُرْآنِ أَنْزَلَ أَوَّلًا؟ قَالَ: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُلْتُ: وَأَيُّ أَوَّلِ سُورَةٍ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ أَوَّلًا؟ قَالَ: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. وَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ: سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ (رضوان الله تعالى عليه) فَقُلْتُ: أَيُّ الْقُرْآنِ أَنْزَلَ أَوَّلًا؟ قَالَ: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. فَقُلْتُ لَهُ: (و) أَيُّ أَوَّلِ سُورَةٍ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ أَوَّلًا؟ قَالَ: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. وَقَالَ جَابِرٌ (رضوان الله تعالى عليه): [حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: جَاوَرْتُ فِي حَرَاءَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي، نَزَلَتْ فَاسْتَبَطَنْتُ الْوَادِي، فَنَوْدَيْتُ، فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَلَمْ أَرْ شَيْئًا. فَنَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِهِ -يَعْنِي الْمَلِكَ- بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. فَانْطَلَقْتُ إِلَى خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: «دَثِّرُونِي»، فدَثِّرُونِي وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً، فَأَنْزَلَتْ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) قُمْ فَأَنْذِرْ» (٣٤).



«حدثني روح بن عبد المؤمن المقرئ، ثنا مسلم بن إبراهيم، عن قرّة بن خالد، ثنا أبو رجاء العطاردي قال: كان أبو موسى الأشعري يطوف علينا في هذا المسجد -يعني مسجد البصرة- يقرئنا القرآن. وعنه أخذت هذه السورة (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ). وكانت أول سورة أنزلت على مُحَمَّدٍ ﷺ».

«حَدَّثَنِي بَكْرُ بْنُ الْهَيْثَمِ، ثنا عمرو بن عاصم، عن هشام بن الكلبي، عن أبي صالح قال أول ما نزل من القرآن اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، حتى بلغ إلى الرجعى. ثم نزلت (يا أَيُّهَا الْمَدَنِيُّ)».

«حدثني يحيى بن معين، ثنا وكيع، ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مُجَاهِدٍ قَالَ: أول ما نزل من القرآن (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ)، ثم (ن وَالْقَلَمِ)».

«حدثنا محمد بن حاتم السمين، ثنا وكيع وعبد الرحمن بن مهدي، قالوا ثنا شعبة، عن عمرو بن دينار، عن عبيد بن عمير قال: أول ما نزل من القرآن (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)».

«وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْوَاقِدِيُّ، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ وَهْبِ بْنِ كَيْسَانَ أَبِي نُعَيْمٍ، قَالَ سَمِعْتُ عُيَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ يَقُولُ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ: جَاءَ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ ﷺ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي صُورَةِ رَجُلٍ، فَقَالَ لَهُ: اقْرَأْ. قَالَ: وَمَا اقْرَأُ؟ قَالَ: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، إِلَى قَوْلِهِ «مَا لَمْ يَعْلَمْ» (٣٥).

الوضوء والصلاة

«حَدَّثَنِي بَكْرُ بْنُ الْهَيْثَمِ، حَدَّثَنِي بِشْرُ بْنُ الْوَلِيدِ الْكِنْدِيُّ، عَنْ سُفْيَانَ عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ الزُّهْرِيِّ وَفَتَادَةَ وَالْكَلْبِيِّ قَالُوا: عَلَّمَ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ ﷺ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْوُضُوءَ، وَالصَّلَاةَ، وَاقْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. فَاتَتْ السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ ﷺ زَوْجَتَهُ، فَأَخْبَرَهَا بِمَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ. وَعَلَّمَهَا الْوُضُوءَ، فَصَلَّتْ مَعَهُ. فَكَانَتْ أَوَّلَ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ صَلَّى مَعَهُ».



«وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ الْوَاقِدِيِّ، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: فَحَصَّ الْمَلِكُ جَبْرِيلَ عليه السلام بِعَقَبَةِ الْأَرْضِ، فَنَبَعَ مَاءً، فَعَلَّمَ الْمَلِكُ جَبْرِيلَ عليه السلام النَّبِيَّ عليه السلام الْوُضُوءَ، فَمَضْمَضَ ثُمَّ اسْتَنْشَقَ وَغَسَلَ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ نَضَحَ تَحْتَ إِزَارِهِ، ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ. فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم مَسْرُورًا، فَجَاءَ إِلَى السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ عليها السلام فَحَدَّثَهَا وَأَرَاهَا مَا أَرَاهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلَ عليه السلام. ثُمَّ صَلَّتْ مَعَهُ رَكَعَتَيْنِ».

«حدثني محمد بن سعد، عن الواقدي، عن نَجِيعِ أَبِي مَعْشَرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ: أَنَّ السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ عليها السلام لَمَّا أَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَأَخْبَرَهَا بِمَا بَدَأَ بِهِ، جَمَعَتْ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا، وَأَتَتْ وَرَقَةَ فَحَدَّثَتْهُ حَدِيثَهُ وَقَالَتْ لَهُ: مَا جَبْرِيلُ؟ فَقَالَ وَرَقَةُ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْقُدُّوسِ، جَبْرِيلَ نَامُوسُ اللَّهِ الْأَكْبَرُ وَسَفِيرُهُ إِلَى أَنْبِيَائِهِ، لَئِنْ كَانَ صَاحِبُكَ رَأَى هَذِهِ الرُّؤْيَا، إِنَّهُ لَنَبِيٌّ، لَوَدِدْتُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فَأَكُونَ لَهُ وَزِيرًا، وَابْنَ عَمٍّ. ثُمَّ خَرَجَتْ، فَحَدَّثَتْ عَلَى عَدَّاسٍ، غَلَامَ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَكَانَ نَصْرَانِيًّا، فَقَالَتْ: يَا عَدَّاسُ أَخْبِرْنِي عَنْ جَبْرِيلَ، فَقَالَ: «قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، وَمَا ذَكَرَ جَبْرِيلَ فِي هَذَا الْبَلَدِ الَّذِي أَهْلُهُ عَبْدَةُ أَوْثَانٍ؟ جَبْرِيلَ نَامُوسُ اللَّهِ الْأَكْبَرُ، وَلَمْ يَأْتِ قَطُّ إِلَّا إِلَى نَبِيٍّ». فَرَجَعَتْ، فَأَخْبَرَتْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِمَا قَالَ الرَّجُلَانِ، وَبَيَّشَتْهُ بِذَلِكَ. وَحَدَّثَنِي عَمْرُو النَّاقِدُ، أَنَبَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي رَجَاءٍ، عَنْ الْحَسَنِ، فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ قَالَ: قُلْتُ يَا أَبَا سَعِيدٍ، هَلْ أَرَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم رُؤْيَا النُّبُوَّةِ؟ فَقَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ، وَلَكِنَّهُ رَأَى النُّورَ الَّذِي رَأَاهُ، عليه السلام» (٣٦).

«وقال الواقدي: صلى الإمام علي عليه السلام وله إحدى عشرة سنة، وذلك الثبت ويقال إنه صلى ابن عشر. ويقال ابن تسع. ويقال سبع. وقال ابن الكلبي: صلى وهو ابن إحدى عشرة سنة، وقتل وله ثلاث وستون سنة، وذلك في سنة أربعين» (٣٧).

«حَدَّثَنِي شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ الْأَبْلِيُّ، ثنا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، عَنِ الزَّيْرِ بْنِ الْحَرِيثِ، عَنْ عِكْرَمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةِ سَنَةً، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَقَامَ بِهَا عَشْرَ سِنِينَ».



«وحدثني عمرو بن محمد الناقذ، ثنا الحسين الجعفي، عن زائدة، عن هشام، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قال: أنزل القرآن على النبي ﷺ وله أربعون سنة، ثم مكث بمكة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة عشر سنين، وقبض وله ثلاث وستون سنة».

«وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وعمرو الناقد، قالا ثنا عبدة بن سليمان، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب قال: أنزل القرآن على رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة، وأقام بمكة عشر سنين، وبالمدينة عشر سنين، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة. وحدثني شيبان، ثنا جرير بن حازم، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، بمثله».

«حدثنا عبد الله بن أبي شيبة، عن وكيع، عن سفيان، عن خالد بن عمار مولى بني هاشم، عن ابن عباس قال: بعث النبي ﷺ ابن أربعين، فأقام بمكة خمس عشرة سنة، وبالمدينة عشر سنين، وقبض وله خمس وستون سنة. حدثنا شجاع بن مخلد، عن ابن عليّة، عن خالد بن عمار، عن، ابن عباس بمثله».

«وحدثني عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، ثنا خالد بن مخلد، ثنا سليمان بن بلال، عن ربيعة، عن أنس، عن عائشة قالت: «بعث رسول الله ﷺ ابن أربعين، فأقام بمكة عشر سنين، وبالمدينة عشرًا، وتوفي على رأس ستين». وحدثني عمرو الناقد، ثنا الحسين الجعفي، عن زائدة، عن هشام، عن الحسين بمثله. وحدثني يحيى بن أيوب الزاهد، عن إسماعيل بن جعفر، عن ربيعة، عن أنس بمثله».

«وحدثني عباس بن هشام، عن أبيه، عن جده، محمد بن السائب الكلبي قال: بعث رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة فأقام بمكة اثنتي عشرة سنة، وأقام باقي عمره بالمدينة، وتوفي وهو ابن اثنتين وستين سنة ونصف سنة».

«وحدثنا الواقدي، عن جارية بن أبي عمران، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، قال: «كان بين أن نزلت النبوة على النبي ﷺ إلى أن أمر بإظهار الدعاء ثلاث سنين».



فَكَانَ دُعَاؤُهُ ثَلَاثَ سِنِينَ مُسْتَخْفِيًّا». وَحَدَّثَنَا عَنِ الْوَاقِدِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ الزَّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سِرًّا أَرْبَعَ سِنِينَ، ثُمَّ أَعْلَنَ الدُّعَاءَ». وَحَدَّثَنَا الْوَاقِدِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ بْنَ عَمْرٍو بْنَ نَفِيلٍ يَقُولُ: اسْتَخْفَيْنَا بِالْإِسْلَامِ سَنَةً مَا نُصَلِّي إِلَّا فِي بَيْتٍ مُغْلَقٍ، أَوْ شِعْبٍ خَالٍ، يَنْظُرُ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ».

«وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ الْوَاقِدِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ (سعد بن أبي وقاص) قَالَ: خَرَجْتُ أَنَا، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، وَخَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِّ، وَعَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ إِلَى شِعْبِ أَبِي دُبٍّ نَتَوَضَّأُ وَنُصَلِّي، وَنَحْنُ مُسْتَخْفُونَ. فَظَهَرَ عَلَيْنَا نَفَرٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ كَانُوا يَرْضُدُونَنَا فَاتَّبَعُوا آثَارَنَا: أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، وَالْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. فَعَابُوا عَلَيْنَا، وَأَنْكَرُوا فَعِلْنَا حَتَّى بَطَشُوا بِنَا. فَأَخَذْتُ لَحْيَ جَمَلٍ. فَأَضْرَبُ بِهِ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَشْجُهُ شَجَّةً أَوْضَحَتْ. وَأَنْكَسَرَ الْمُشْرِكُونَ، وَقَوِيَ أَصْحَابِي. فَطَرَدْنَاهُمْ حَتَّى خَرَجُوا مِنَ الشَّعْبِ. فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ هَرَأَقَ دَمًا فِي الْإِسْلَامِ» (٣٨).

«حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ وَالْوَلِيدُ، عَنِ الْوَاقِدِيِّ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ بُخْتٍ، عَنْ عُمَيْرَةَ بِنْتِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ عَزِيزَةَ بِنْتِ أَبِي تَجْرَةَ قَالَتْ: كَانَتْ قَرِيشٌ لَا تُتَنَكَّرُ غَيْرَهَا. وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ إِذَا جَاءَ وَقْتُ الْعَصْرِ، تَفَرَّقُوا فِي الشَّعَابِ فَصَلُّوا، فُرَادَى وَمُتَنَى. فَبَيْنَا طِيلَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَحَاطِبُ بْنُ عَمْرٍو يُصَلِّيَانِ فِي شِعْبٍ بِأَجْيَادِ الْأَصْغَرِ إِذْ هَجَمَ عَلَيْهِمَا ابْنُ الْأَصْدَاءِ وَابْنُ الْغَيْطَلَةِ، وَكَانَا فَاحِشَيْنِ، فَبَاطَشُوهُمَا وَرَمَوْهُمَا بِالْحِجَارَةِ سَاعَةً حَتَّى خَرَجَا فَانْصَرَفَا. قَالَ الْوَاقِدِيُّ: كَانُوا يَصَلُّونَ الضُّحَى وَالْعَصْرَ، ثُمَّ نَزَلَتِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ قَبْلَ الْهَجْرَةِ. وَكَانَتِ الصَّلَاةُ رَكَعَتَيْنِ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ نَزَلَ إِتْمَامُهَا بِالْمَدِينَةِ لِلْمُقِيمِ، وَبَقِيَتْ صَلَاةُ الْمَسَافِرِ رَكَعَتَيْنِ رَكَعَتَيْنِ» (٣٩).



المصدر الثامن:-

تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ)، الناشر: دار التراث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٧ هـ.

نص رواية الطبري

«حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ وَابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَا: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَبِيعَةَ بْنَ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَذْكُرُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بُعِثَ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ. حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي رَبِيعَةُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بُعِثَ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ. حَدَّثَنِي ابْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْبَرْقِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي رَبِيعَةُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بُعِثَ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ. حَدَّثَنِي أَبُو شَرَحْبِيلَ الْحِمَصِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الْيَمَانِ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عِيَّاشٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ. حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَجَّاجُ بْنُ الْمُنْهَالِ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ. حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَجَّاجُ، عَنْ حَمَّادٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَمْرُو، عَنْ يَحْيَى بْنِ جَعْدَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِفَاطِمَةَ: إِنَّهُ كَانَ يُعْرَضُ عَلَيَّ الْقُرْآنُ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ قَدْ عُرِضَ عَلَيَّ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنَّهُ قَدْ خِيلَ إِلَيَّ أَنَّ أَجْلِي قَدْ حَضَرَ، وَأَنَّ أَوَّلَ أَهْلِي لِحَاقًا بِي أَنْتِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيٌّ إِلَّا بُعِثَ الَّذِي بَعْدَهُ بِنِصْفِ مِنْ عُمْرِهِ، وَبُعِثَ عِيسَى لِأَرْبَعِينَ، وَبُعِثَ لِعِشْرِينَ».



حَدَّثَنِي عُبيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَرَّاقُ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِكْرَمَةُ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً. حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ مَيْمُونٍ الزَّعْفَرَانِيُّ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأُنْزِلَ عَلَيْهِ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلَ نُبِيُّ حِينَ نُبِيٍّ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ الرَّازِي، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً. حَدَّثَنَا ابْنُ مُهِمِّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْوَحْيُ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً. حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى ابْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدًا -يَعْنِي ابْنَ الْمُسَيَّبِ- يَقُولُ: أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْوَحْيُ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً.

ذكر اليوم الذي نبي فيه رسول الله ﷺ

من الشهر الذي نبي فيه وما جاء في ذلك :

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: صَحَّ الْخَبَرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا حَدَّثَنَا بِهِ ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ غِيلَانَ بْنِ جَرِيرٍ، أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَعْبُدٍ الزَّمَّانِيَّ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ الْاِثْنَيْنِ، فَقَالَ: ذَلِكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ -أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ- فِيهِ. حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى الْأَشْيَبِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو هِلَالٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا غِيلَانُ بْنُ جَرِيرٍ الْمُعَوَّلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعْبُدٍ الزَّمَّانِيُّ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: (يَا نَبِيَّ اللَّهِ، صَوْمُ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ؟) قَالَ: ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ فِيهِ النَّبُوءَةُ. حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ دَاوُدَ، عَنْ ابْنِ هَلِيعَةَ، عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ، عَنْ



حَنَشَ الصَّنَعَانِيَّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: وُلِدَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَاسْتُنْبِئَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَهَذَا مِمَّا لَا خِلَافَ فِيهِ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ. وَاخْتَلَفُوا فِي أَيِّ الْاِثْنَيْنِ كَانَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِثَمَانِي عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ الْجَرْمِيِّ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ -فِيمَا بَلَغَهُ وَانْتَهَى إِلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ-: أَنْزَلَ الْفَرَقَانِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِثَمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ أَنْزَلَ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْهُ.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ: حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ لَا يَتَّهِمُ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ بْنِ دَعَامَةَ السَّدُوسِيِّ، عَنْ أَبِي الْجَلَدِ، قَالَ: نَزَلَ الْفَرَقَانِ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ نَزَلَ لِسَبْعِ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَاسْتَشْهَدُوا لِتَحْقِيقِ ذَلِكَ بِقَوْلِ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ): (وَمَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّفَقَّى الْجَمْعَانِ)، وَذَلِكَ مِلْتَقَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْمُشْرِكِينَ بِبَدْرٍ، وَإِنِ التَّقَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْمُشْرِكِينَ بِبَدْرٍ كَانَ صَبِيحَةَ سَبْعِ عَشْرَةَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَظْهَرَ لَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ ﷺ بِرِسَالَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ -فِيمَا ذَكَرَ عَنْهُ- يَرَى وَيُعَايِنُ آثَارًا وَأَسْبَابًا مِنْ آثَارِ مَنْ يَرِيدُ اللَّهُ إِكْرَامَهُ وَاخْتِصَاصَهُ بِفَضْلِهِ، فَكَانَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ ذَكَرْتُ فِيهِمَا مِنْ خَبَرِهِ عَنِ الْمَلِكَيْنِ اللَّذَيْنِ أَتَيَاهُ فَشَقَا بَطْنَهُ، وَاسْتَخْرَجَا مَا فِيهِ مِنَ الْغُلِّ وَالْدَنَسِ، وَهُوَ عِنْدَ أُمِّهِ مِنَ الرِّضَاعَةِ حَلِيمَةً، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا مَرَّ فِي طَرِيقٍ لَا يَمُرُّ -فِيمَا ذَكَرَ عَنْهُ- بِشَجَرٍ وَلَا حَجَرٍ فِيهِ إِلَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ. حَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أُمِّهِ، عَنْ بَرَّةَ بِنْتِ أَبِي تَجْرَةَ، قَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَرَادَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ وَابْتِدَاءَهُ بِالنُّبُوَّةِ، كَانَ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَبْعَدَ حَتَّى لَا يَرَى بَيْتًا، وَيُفْضِي إِلَى



الشُّعَابُ وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ، فَلَا يَمُرُّ بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرَةٍ إِلَّا قَالَتْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَانَ يَلْتَفِتُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ وَخَلْفِهِ فَلَا يَرَى أَحَدًا. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَكَانَتْ الْأُمَمُ تَتَحَدَّثُ بِمَبْعَثِهِ وَتُخْبِرُ عُلَمَاءُ كُلِّ أُمَّةٍ مِنْهَا قَوْمَهَا بِذَلِكَ، وَقَدْ حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الْحَكَمِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو بْنَ نُفَيْلٍ يَقُولُ: أَنَا أَنْتَظِرُ نَبِيًّا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَلَا أَرَانِي أَدْرِكُهُ، وَأَنَا أَوْ مِنْ بِهِ وَأُصَدِّقُهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَإِنْ طَالَتْ بِكَ مُدَّةٌ فَرَأَيْتُهُ، فَأَقْرِئُهُ مِنِّي السَّلَامَ، وَسَأُخْبِرُكَ مَا نَعْتُهُ حَتَّى لَا يَخْفَى عَلَيْكَ! قُلْتُ: هَلَمْ، قَالَ: هُوَ رَجُلٌ لَيْسَ بِالْقَصِيرِ وَلَا بِالطَّوِيلِ، وَلَا بِكَثِيرِ الشَّعْرِ وَلَا بِقَلِيلِهِ، وَلَيْسَتْ تُفَارِقُ عَيْنَيْهِ حُمْرَةٌ، وَخَاتَمُ النَّبَوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَاسْمُهُ أَحْمَدُ، وَهَذَا الْبَلَدُ مَوْلَدُهُ وَمَبْعَثُهُ، ثُمَّ يُخْرِجُهُ قَوْمُهُ مِنْهَا، وَيَكْرَهُونَ مَا جَاءَ بِهِ، حَتَّى يَهَاجِرَ إِلَى يَثْرَبَ فَيُظْهِرُ أَمْرَهُ، فَإِيَّاكَ أَنْ تُخَدِّعَ عَنْهُ، فَإِنِّي طُفْتُ الْبِلَادَ كُلَّهَا أَطْلُبُ دِينَ إِبْرَاهِيمَ، فَكُلُّ مَنْ أَسْأَلُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ يَقُولُونَ: هَذَا الدِّينُ وَرَأَاكَ، وَيَنْعَتُونَهُ مِثْلَ مَا نَعْتُهُ لَكَ، وَيَقُولُونَ: لَمْ يَبْقَ نَبِيٌّ غَيْرُهُ قَالَ عَامِرٌ: فَلَمَّا أَسْلَمْتُ أَخْبَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَوْلَ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو وَأَقْرَأْتُهُ مِنْهُ السَّلَامَ، فَرَدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: قَدْ رَأَيْتُهُ فِي الْجَنَّةِ يَسْحَبُ دُيُولًا.

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ عَمَّنْ لَا يَتَهُمُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ مَوْلَى عُثْمَانَ، أَنَّهُ حَدَّثَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بَيْنَا هُوَ جَالِسٌ فِي النَّاسِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ دَاخِلَ الْمَسْجِدِ، يُرِيدُ عُمَرَ - يَعْنِي ابْنَ الْخَطَّابِ - فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ عُمَرُ قَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ لَعَلَى شَرِّهِ بَعْدَ، مَا فَارَقَهُ - أَوْ لَقَدْ كَانَ كَاهِنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ - فَسَلَّمَ عَلَيْهِ الرَّجُلُ، ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: هَلْ أَسْلَمْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: هَلْ كُنْتَ كَاهِنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! لَقَدْ اسْتَقْبَلْتَنِي بِأَمْرِ مَا أَرَاكَ قُلْتُهُ لِأَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ مُنْذُ وُلِّيتَ! فَقَالَ عُمَرُ: اللَّهُمَّ غُفْرًا، قَدْ كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ

عَلَى شَرٍّ مِنْ ذَلِكَ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَعْتَقُ الْأَوْثَانَ حَتَّى أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ فَقَالَ: نَعَمْ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَقَدْ كُنْتُ كَاهِنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: فَأَخْبَرْنَا مَا أَعْجَبَ مَا جَاءَكَ بِهِ صَاحِبُكَ، قَالَ: جَاءَنِي قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِشَهْرٍ - أَوْ سَنَةٍ - فَقَالَ لِي: أَلَمْ تَرَ إِلَى الْجَنِّ وَإِبْلِاسِهَا، وَإِيَّاسِهَا مِنْ دِينِهَا، وَلُحُوقِهَا بِالْقِلَاصِ وَأَحْلَاسِهَا! قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ عِنْدَ ذَلِكَ يُحَدِّثُ النَّاسَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَعِنْدَ وَثْنٍ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، قَدْ ذَبَحَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ عَجَلًا فَنَحْنُ نَنْظُرُ قِسْمَهُ لِيَقْسِمَ لَنَا مِنْهُ، إِذْ سَمِعْتُ مِنْ جَوْفِ الْعَجَلِ صَوْتًا مَا سَمِعْتُ صَوْتًا قَطُّ أَنْفَذْتُهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِشَهْرٍ أَوْ شَيْعِهِ، يَقُولُ: يَا آلَ ذَرِيحٍ، أَمْرٌ نَجِيحٌ، وَرَجُلٌ يَصِيحُ، يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. حَدَّثَنَا ابْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ، مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، مِثْلَهُ.

«حَدَّثَنَا الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ صَنْمٍ بَبْوَائَةٍ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَهْرٍ، نَحْرُنَا جَزُورًا، فَإِذَا صَائِحٌ يَصِيحُ مِنْ جَوْفٍ وَاحِدَةٍ: اسْمَعُوا إِلَى الْعَجَبِ! ذَهَبَ اسْتَرَأَقَ الْوَحْيِ، وَنُرْمَى بِالشُّهْبِ لِنَبِيِّ بِمَكَّةَ اسْمُهُ أَحْمَدُ، مُهَاجِرُهُ إِلَى يَثْرِبَ، قَالَ: فَأَمْسَكْنَا، وَعَجَبْنَا، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ. حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ سِنَانَ الْقَطَّانِ الْوَاسِطِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَامِرٍ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: أَرِنِي الْخَاتَمَ الَّذِي بَيْنَ كَتِفَيْكَ، فَإِنْ يَكُ بِكَ طَبٌّ دَاوَيْتُكَ، فَإِنِّي أَطْبُ الْعَرَبَ، [قَالَ: أَحَبُّ أَنْ أُرِيكَ آيَةً؟ قَالَ: نَعَمْ، ادْعُ ذَاكَ الْعِدْقَ، قَالَ: فَنَظَرَ إِلَى عِدْقٍ فِي نَخْلَةٍ، فَدَعَاهُ فَجَعَلَ يُنْقِزُ، حَتَّى قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ: قُلْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ، فَرجَعَ، فَقَالَ الْعَامِرِيُّ: يَا بَنِي عَامِرٍ، مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ أَسْحَرَ! قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَالْأَخْبَارُ عَنِ الدَّلَالَةِ عَلَى نُبُوته ﷺ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تَحْصَى، وَلِذَلِكَ كُتِبَ يَفْرُدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» (٤٠).



ذكر الخبر عما كان من أمر نبي الله ﷺ

عند ابتداء الله تعالى ذكره إياه بإكرامه بإرسال جبريل عليه السلام إليه بوحيه

«قال أبو جعفر: قد ذكرنا قبل بعض الأخبار الواردة عن أول وقت مجيء الملك جبريل عليه السلام نبينا محمدا ﷺ بالوحي من الله (عز وجل)، وكما كان سن النبي ﷺ يومئذ، ونذكر الآن صفة ابتداء جبريل إياه بالمصير إليه، وظهوره له بتنزيل ربه. فحدثني أحمد بن عثمان المعروف بابي الجوزاء، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثنا أبي، قال: سمعت الثعمان بن راشد، يحدث عن الزهري، عن عروة، عن عائشة أنها قالت: كان أول ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة، كانت تحيئ مثل فلان الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يغلغول في الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله، ثم يرجع إلى أهله، فيتزود لمثلها، حتى فجأه الحق، فأتاه، فقال: يا محمد، أنت رسول الله! قال رسول الله ﷺ: فجنوت لركبتي وأنا قائم، ثم زحفت ترجف بوادري، ثم دخلت على خديجة، فقلت: زملوني، زملوني! حتى ذهب عني الروع، ثم أتاني فقال: يا محمد، أنت رسول الله قال: فلقد هممت أن أطرح نفسي من حلق من جبل، فتبدى لي حين هممت بذلك، فقال: يا محمد، أنا جبريل، وأنت رسول الله ثم قال: اقرأ، قلت: ما اقرأ؟ قال: فأخذني فغطني ثلاث مرات، حتى بلغ مني الجهد، ثم قال (اقرأ باسم ربك الذي خلق)، فقرأت فاتيت خديجة فقلت: لقد أشفقت على نفسي، فأخبرتها خبري، فقالت: أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدا، ووالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتؤدي الأمانة، وتحمل الكل وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت بي إلى ورقة بن نوفل بن أسد، قالت: اسمع من ابن أخيك، فسألني فأخبرته خبري، فقال: هذا الناموس الذي أنزل على موسى بن عمران، ليتني فيها جذع! ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك! قلت: أخرجني هم؟ قال: نعم، إنه لم ينجئ رجلا قط بما جئت به إلا عودي، ولئن أدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا. ثم كان أول ما نزل علي من القرآن



بعد اُقرأ (ن وَالْقَلَمَ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ)، و(يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ) و(وَالضُّحَى وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى). حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُزْرَةُ، أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَهُ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ: ثُمَّ كَانَ أَوَّلُ مَا أَنْزَلَ عَلَيَّ مِنَ الْقُرْآنِ... إِلَى آخِرِهِ» (٤١).

«حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي الشَّوَارِبِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ الشَّيْبَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَادٍ، قَالَ: أَتَى الْمَلِكَ جَبْرِيلَ ﷺ مُحَمَّدًا ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرَأُ؟ فَقَالَ: مَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: فَضَمَّهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرَأُ، قَالَ: مَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: فَضَمَّهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرَأُ، قَالَ: وَمَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ) حَتَّى بَلَغَ (عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)، قَالَ: فَجَاءَ إِلَى السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: يَا خَدِيجَةُ، مَا أَرَانِي إِلَّا قَدْ عَرَضَ لِي، قَالَتْ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا كَانَ رَبُّكَ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِكَ، مَا أَتَيْتَ فَاحِشَةً قَطُّ قَالَ: فَاتَتْ السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ فَأَخْبَرَتْهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: لَنْ كُنْتُ صَادِقَةً، إِنَّ زَوْجَكَ لَنَبِيٍّ، وَلَيَلْقَيْنِ مِنْ أُمَّتِهِ شِدَّةً، وَلَكِنْ أَذْرَكْتَهُ لَأُؤْمِنَنَّ بِهِ. قَالَ: ثُمَّ أَبْطَأَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ جَبْرِيلَ ﷺ، فَقَالَتْ لَهُ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا قَدْ قَلَاكَ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ (عزَّ وجلَّ): (وَالضُّحَى وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى)» (٤٢).

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي وَهْبُ بْنُ كَيْسَانَ مَوْلَى آلِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَهُوَ يَقُولُ لِعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرِ بْنِ قَتَادَةَ اللَّيْثِيِّ: حَدَّثَنَا يَا عُبَيْدُ كَيْفَ كَانَ بَدْءُ مَا ابْتَدَيْ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ النَّبُوَّةِ حِينَ جَاءَ الْمَلِكُ جَبْرِيلَ ﷺ؟ فَقَالَ عُبَيْدٌ -وَأَنَا حَاضِرٌ يُحَدِّثُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَمَنْ عِنْدَهُ مِنَ النَّاسِ-: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجَاوِرُ فِي حِرَاءٍ مِنْ كُلِّ سَنَةِ شَهْرًا، وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا تَحَنَّتْ بِهِ قُرَيْشٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ -وَالْتَحَنَّتْ: التَّبَرُّرُ- وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ:



وَرَأَى لَيْرَقَى فِي حِرَاءٍ وَنَازِلٌ

فكان رسول الله ﷺ يُجَاوِرُ ذَلِكَ الشَّهْرَ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ، يُطْعِمُ مَنْ جَاءَهُ مِنَ الْمَسَاكِينِ، فَإِذَا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَوَارَهُ مِنْ شَهْرِهِ ذَلِكَ، كَانَ أَوَّلُ مَا يَبْدَأُ بِهِ - إِذَا انْصَرَفَ مِنْ جَوَارِهِ - الْكَعْبَةَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ، فَيَطُوفُ بِهَا سَبْعًا، أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى بَيْتِهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ الشَّهْرُ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) فِيهِ مَا أَرَادَ مِنْ كَرَامَتِهِ، مِنَ السَّنَةِ الَّتِي بَعَثَهُ فِيهَا، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى حِرَاءٍ - كَمَا كَانَ يُخْرِجُ لَجَوَارِهِ - مَعَهُ أَهْلُهُ، حَتَّى إِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ فِيهَا بِرِسَالَتِهِ وَرَحِمَ الْعِبَادَ بِهَا، جَاءَهُ الْمَلِكُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَمْرِ اللَّهِ (تَبَارَكَ وَتَعَالَى)، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَجَاءَنِي وَأَنَا نَائِمٌ بَنَمَطٍ مِنْ دِيبَاجٍ، فِيهِ كِتَابٌ، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟ فَغَتَّيْتُ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَاذَا أَقْرَأُ؟ وَمَا أَقُولُ ذَلِكَ إِلَّا افْتِدَاءً مِنْهُ أَنْ يَعُودَ إِلَيَّ بِمِثْلِ مَا صَنَعَ بِي، قَالَ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) إِلَى قَوْلِهِ (عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)، قَالَ: فَقَرَأْتُهُ، قَالَ: ثُمَّ انْتَهَى، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنِّي وَهَبْتُ مِنْ نَوْمِي، وَكَأَنَّمَا كَتَبَ فِي قَلْبِي كِتَابًا. قَالَ: وَلَمْ يَكُنْ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ أَحَدٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ شَاعِرٍ أَوْ مَجْنُونٍ، كُنْتُ لَا أُطِيقُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهِمَا، قَالَ: قُلْتُ إِنَّ الْأَبْعَدَ - يَعْنِي نَفْسَهُ - لَشَاعِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ، لَا تُحَدِّثْ بِهَا عَنِّي قُرَيْشٌ أَبَدًا! لَا عَمَدَنَ إِلَى حَالِقٍ مِنَ الْجَبَلِ فَلَا طَرَحَنَ نَفْسِي مِنْهُ فَلَا قَتْلَنَهَا فَلَا سَتْرَ يَحْنُ قَالَ، فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ذَلِكَ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي وَسْطٍ مِنَ الْجَبَلِ، سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَا جِبْرِيلُ، قَالَ: فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا جِبْرِيلُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ صَافٍ قَدَمِيهِ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ، يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا جِبْرِيلُ قَالَ: فَوَقَفْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَشَغَلَنِي ذَلِكَ عَمَّا أَرَدْتُ، فَمَا أَتَقَدَّمُ وَمَا أَتَأَخَّرُ، وَجَعَلْتُ أَصْرُفُ وَجْهِي عَنْهُ فِي أَفَاقِ السَّمَاءِ فَلَا أَنْظُرُ فِي نَاحِيَةٍ مِنْهَا إِلَّا رَأَيْتُهُ كَذَلِكَ، فَمَا زِلْتُ وَاقِفًا مَا أَتَقَدَّمُ أَمَامِي، وَلَا أَرْجِعُ وَرَائِي، حَتَّى بَعَثْتُ خَدِيجَةَ رُسُلَهَا فِي طَلْبِي، حَتَّى بَلَّغُوا مَكَّةَ وَرَجَعُوا إِلَيْهَا وَأَنَا وَاقِفٌ فِي مَكَانِي ثُمَّ انْصَرَفَ عَنِّي وَانْصَرَفْتُ رَاجِعًا إِلَى أَهْلِي، حَتَّى



أَتَيْتُ خَدِيجَةَ، فَجَلَسْتُ إِلَى فَخْذِهَا مُضِيًّا فَقَالَتْ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، أَيْنَ كُنْتَ؟ فَوَاللَّهِ لَقَدْ بَعَثْتُ رُسُلِي فِي طَلَبِكَ، حَتَّى بَلَغُوا مَكَّةَ وَرَجَعُوا إِلَيَّ قَالَ: قُلْتُ لَهَا: إِنَّ الْأَبْعَدَ لَشَاعِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ، فَقَالَتْ: أُعِيدُكَ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ! مَا كَانَ اللَّهُ لِيَصْنَعَ ذَلِكَ بِكَ مَعَ مَا أَعْلَمُ مِنْكَ مِنْ صِدْقِ حَدِيثِكَ، وَعَظَمِ أَمَانَتِكَ، وَحُسْنِ خُلُقِكَ، وَصَلَةِ رَحِمِكَ! وَمَا ذَاكَ يَا بَنَ عَمٍّ! لَعَلَّكَ رَأَيْتَ شَيْئًا؟ قَالَ: فَقُلْتُ لَهَا: نَعَمْ، ثُمَّ حَدَّثْتُهَا بِالَّذِي رَأَيْتُ، فَقَالَتْ: أَبْشِرْ يَا بَنَ عَمٍّ وَاثْبِتْ، فَوَالَّذِي نَفْسُ خَدِيجَةَ بِيَدِهِ إِنِّي لَا رَجُو أَنْ تَكُونَ نَبِيَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، ثُمَّ قَامَتْ فَجَمَعَتْ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا، ثُمَّ انْطَلَقَتْ إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدٍ - وَهُوَ ابْنُ عَمِّهَا - وَكَانَ وَرَقَةُ قَدْ تَنَصَّرَ وَقَرَأَ الْكُتُبَ، وَسَمِعَ مِنْ أَهْلِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ فَأَخْبَرَتْهُ بِمَا أَخْبَرَهَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ رَأَى وَسَمِعَ، فَقَالَ وَرَقَةُ: قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ! وَالَّذِي نَفْسُ وَرَقَةَ بِيَدِهِ، لَئِنْ كُنْتُ صَدَقْتَنِي يَا خَدِيجَةُ، لَقَدْ جَاءَهُ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ - يَعْنِي بِالنَّامُوسِ الْمَلِكِ جَبْرِئِيلَ ﷺ الَّذِي كَانَ يَأْتِي النَّبِيَّ مُوسَى ﷺ - وَإِنَّهُ لَنَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَقُولِي لَهُ فَلْيُثَبِّتْ فَرَجَعَتْ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ ﷺ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرَتْهُ بِقَوْلِ وَرَقَةَ، فَسَهَّلَ ذَلِكَ عَلَيْهِ بَعْضَ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْهَمِّ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جِوَارَهُ، وَانْصَرَفَ صَنَعَ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ، وَبَدَأَ بِالْكَعْبَةِ فَطَافَ بِهَا فَلَقِيَهُ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ، وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقَالَ: يَا بَنَ أَخِي، أَخْبَرَنِي بِمَا رَأَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكَ لَنَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَقَدْ جَاءَكَ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي جَاءَ إِلَى مُوسَى، وَلَتَكْذِبُنَّهُ وَلَتَوْذِيبُهُ، وَلَتُخْرِجُنَّهُ، وَلَتَقَاتِلُنَّهُ، وَلَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُ ذَلِكَ لَأَنْصُرَنَّ اللَّهَ نَصْرًا يَعْلَمُهُ ثُمَّ أَدْنَى رَأْسِهِ فَقَبَّلَ يَافُوحَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِلَى مَنْزِلِهِ. وَقَدْ زَادَهُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ وَرَقَةَ ثَبَاتًا، وَخَفَّفَ عَنْهُ بَعْضَ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْهَمِّ.

فَحَدَّثَنَا ابْنُ مُحَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي حَكِيمٍ مَوْلَى آلِ الرَّبِيزِ، أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ خَدِيجَةَ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَا يُثَبِّتُهُ فِيهَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ نُبُوته: يَا بَنَ عَمٍّ، أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُخْبِرَنِي بِصَاحِبِكَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ إِذَا جَاءَكَ؟



قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَإِذَا جَاءَكَ فَأَخْبِرْنِي بِهِ، فَجَاءَهُ جَبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا كَانَ يَأْتِيهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لِّلْسَيِّدَةِ خَدِيجَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ: يَا خَدِيجَةُ هَذَا جَبْرِئِيلُ قَدْ جَاءَنِي، فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَقَمِ يَا بَنَ عَمٍّ، فَاجْلِسْ عَلَيَّ فَخِذِي الْيُسْرَى، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَلَسَ عَلَيْهَا، قَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَتَحَوَّلْ فَاقْعُدْ عَلَيَّ فَخِذِي الْيُمْنَى، فَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَلَسَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَتَحَوَّلْ فَاجْلِسْ فِي حِجْرِي، فَتَحَوَّلَ فَجَلَسَ فِي حِجْرِهَا، قَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَتَحَسَّرَتْ، فَأَلْقَتْ خِمَارَهَا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي حِجْرِهَا، ثُمَّ قَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: لَا، فَقَالَتْ: يَا بَنَ عَمِّ، اثْبَت وَأَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَلَكٌ وَمَا هُوَ بِشَيْطَانٍ (٤٣).

فَحَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: وَحَدَّثْتُ بِهِذَا الْحَدِيثِ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ، فَقَالَ: قَدْ سَمِعْتُ أُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتَ الْحُسَيْنِ تُحَدِّثُ بِهِذَا الْحَدِيثِ عَنِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، إِلَّا أَنِّي قَدْ سَمِعْتُهَا تَقُولُ: أَدَخَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهَا وَبَيْنَ دَرْعِهَا، فَذَهَبَ عِنْدَ ذَلِكَ جَبْرِئِيلُ، فَقَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ هَذَا لَمَلَكٌ، وَمَا هُوَ بِشَيْطَانٍ.

«حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ بْنِ فَارِسٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ يَحْيَى -يَعْنِي ابْنَ أَبِي كَثِيرٍ- قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ: أَيُّ الْقُرْآنِ أَنْزَلَ أَوَّلَ؟ فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ)، فَقُلْتُ: يَقُولُونَ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ)! فَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ: سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِي (رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ): أَيُّ الْقُرْآنِ أَنْزَلَ أَوَّلَ؟ فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ)، فَقُلْتُ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)، فَقَالَ: لَا أَخْبِرُكَ إِلَّا مَا حَدَّثَنَا النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: جَاوَزْتُ فِي حِرَاءٍ، فَلَمَّا فَضَيْتُ جَوَارِي، هَبَطْتُ فَاسْتَبَطَنْتُ الْوَادِي، فَوُدَيْتُ، فَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، وَخَلْفِي وَقُدَّامِي، فَلَمْ أَرِ شَيْئًا، فَظَرْتُ فَوْقَ رَأْسِي، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى عَرْشٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَخَشِيتُ مِنْهُ -قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى: هَكَذَا قَالَ عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ، وَإِنَّمَا هُوَ فَجِئْتُ مِنْهُ- فَلَقِيتُ خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي، فَدَثَّرُونِي، وَصَبُّوا عَلَى

ماء، وأنزل علي: (يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ) (٤٤).

«حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا وكيع، عن علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثير، قال: سألت أبا سلمة عن أول ما نزل من القرآن، قال: نزلت (يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) أول، قال: قلت: إنهم يقولون (اقرأ باسم ربك الذي خلق)، فقال: سألت جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه)، فقال: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ، قال: جاورت بحراء، فلما قضيت جواري، هبطت فسمعت صوتاً، فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً وعن شمالي فلم أر شيئاً، ونظرت أمامي فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي، فرأيت شيئاً، فأنيت خديجة، فقلت: دثروني، وصبوا علي ماء، قال: فدثروني وصبوا علي ماء بارداً، فنزلت: (يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ)».

«وحدثت عن هشام بن محمد، قال: أتى الملك جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ أول ما أتاه ليلة السبت، وليلة الأحد، ثم ظهر له برسالة الله (عز وجل) يوم الاثنين، فعلمه الوضوء، وعلمه الصلاة، وعلمه (اقرأ باسم ربك الذي خلق)، وكان لرسول الله ﷺ يوم الاثنين، يوم أوحى إليه، أربعون سنة».

«حدثني أحمد بن محمد بن حبيب الطوسي، قال: حدثنا أبو داود الطيالسي، قال: أخبرنا جعفر بن عبد الله بن عثمان القرشي، قال: أخبرني عمر بن عروة بن الزبير، قال: سمعت عروة بن الزبير يحدث عن أبي ذر الغفاري قال: قلت: يا رسول الله، كيف علمت أنك نبي أول ما علمت، حتى علمت ذلك واستيقنت؟ قال: يا أبا ذر، أتاني ملكان وأنا ببعض بطحاء مكة، فوقع أحدهما في الأرض والآخريين السماء والأرض، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: هو هو، قال: فزنه برجل، فوزنت برجل فرجحته، ثم قال: زنه بعشرة، فوزنتي بعشرة فرجحتهم، ثم قال: زنه ببائة، فوزنتي ببائة فرجحتهم، ثم قال: زنه بألف، فوزنتي بألف فرجحتهم، فجعلوا ينتشرون علي من كفة الميزان، قال: فقال أحدهما للآخر: لو وزنته بأتمته رجحها ثم قال أحدهما لصاحبه: شق بطنه، فشق بطني،



ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا: أَخْرِجْ قَلْبَهُ - أَوْ قَالَ: شُقَّ قَلْبُهُ - فَشُقَّ قَلْبِي، فَأُخْرِجَ مِنْهُ مَعَمَرُ الشَّيْطَانِ وَعَلِقَ الدَّم، فَطَرَحَهَا، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: اغْسِلْ بَطْنَهُ غَسْلَ الْإِنَاءِ، وَاغْسِلْ قَلْبَهُ غَسْلَ الْإِنَاءِ - أَوْ اغْسِلْ قَلْبَهُ غَسْلَ الْمَلَاءَةِ - ثُمَّ دَعَا بِالسَّكِينَةِ، كَأَنهَا وَجْهٌ هَرَّةٍ بَيَضَاءُ فَأَدْخَلَتْ قَلْبِي، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: خَطَّ بَطْنَهُ، فَخَاطَا بَطْنِي، وَجَعَلَا الْخَاتَمَ بَيْنَ كَتِفَيَّ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ وَلَّىا عَنِّي فَكَأَنَّمَا أُعَايِنُ الْأَمْرَ مُعَايِنَةً» (٤٥).

«حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعَمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: فَتَرَ الْوَحْيُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَرَةً، فَحَزَنَ حُزْنًا شَدِيدًا، جَعَلَ يَغْدُو إِلَى رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ لِيَتَرَدَّى مِنْهَا، فَكَلِمًا أَوْفَى بِذَرَوِهِ جَبَلٌ تَبَدَّى لَهُ جَبْرِئِيلُ، فَيَقُولُ: إِنَّكَ نَبِيُّ اللَّهِ، فَيَسْكُنُ لِدَلِكِ جَأَشُهُ، وَتَرْجِعُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحَدِّثُ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ فَبَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي يَوْمًا، إِذْ رَأَيْتُ الْمَلِكَ الَّذِي كَانَ يَأْتِينِي بِحِرَاءٍ، عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجِئْتُ مِنْهُ رُعْبًا، فَرَجَعْتُ إِلَى خَدِيجَةٍ، فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي، فَرَمَلَنَاهُ - أَيُّ دَثْرَنَاهُ - فَأَنْزَلَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ): (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ. وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ. وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ)، قَالَ الزُّهْرِيُّ: فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ أُنْزِلَ عَلَيْهِ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) حَتَّى بَلَغَ (مَا لَمْ يَعْلَمْ)» (٤٦).

«حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ (رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتَرَةِ الْوَحْيِ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَجِئْتُ مِنْهُ فَرَقًا، وَجِئْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي! فَدَثَرُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ. وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) إِلَى قَوْلِهِ: (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ)، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ الْوَحْيُ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَلَمَّا أَمَرَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يَقُومَ بِإِنْذَارِ قَوْمِهِ عِقَابَ اللَّهِ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مُقِيمِينَ مِنْ كُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ الْآلِهَةَ وَالْأَصْنَامَ دُونَ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَرَزَقَهُمْ، وَأَنْ يُحَدِّثَ بِنِعْمَةِ



رَبِّهِ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)، وَذَلِكَ -فِيمَا زَعَمَ ابْنُ إِسْحَاقَ- النُّبُوَّةُ. حَدَّثَنَا ابْنُ مُحَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)، أَيْ مَا جَاءَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ نِعْمَتِهِ وَكَرَامَتِهِ مِنَ النُّبُوَّةِ فَحَدِّثْ، أَذْكُرْهَا وَادْعُ إِلَيْهَا قَالَ: فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الْعِبَادِ بِهِ مِنَ النُّبُوَّةِ سِرًّا إِلَى مَنْ يَطْمَنُّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ وَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ -فِيهَا ذَكَرَ- زَوْجَتَهُ السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) (٤٧).

«حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ الْوَاقِدِيُّ: أَصْحَابُنَا مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ أَوَّلَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ اسْتَجَابَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ (عَلَيْهَا السَّلَامُ). قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: ثُمَّ كَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ فَرَضَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ عَلَيْهِ بَعْدَ الْإِقْرَارِ بِالتَّوْحِيدِ وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ وَخَلَعَ الْأَنْدَادِ الصَّلَاةَ، فِيمَا ذَكَرَ. حَدَّثَنَا ابْنُ مُحَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ الصَّلَاةَ حِينَ افْتَرَضَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَتَاهُ جَبْرِئِيلُ وَهُوَ بَاعِلَى مَكَّةَ، فَهَمَزَ لَهُ بِعَقْبِهِ فِي نَاحِيَةِ الْوَادِي، فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ عَيْنٌ، فَتَوَضَّأَ جَبْرِئِيلُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَيْهِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ الطُّهُورِ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا رَأَى جَبْرِئِيلُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) تَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ جَبْرِئِيلُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فَصَلَّى بِهِ وَصَلَّى النَّبِيَّ ﷺ بِصَلَاتِهِ ثُمَّ انْصَرَفَ جَبْرِئِيلُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ)، فَتَوَضَّأَ هَا يُرِيهَا كَيْفَ الطُّهُورِ لِلصَّلَاةِ، كَمَا أَرَاهُ جَبْرِئِيلُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فَتَوَضَّأَتْ كَمَا تَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ صَلَّى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا صَلَّى بِهِ الْمَلِكُ جَبْرِئِيلُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فَصَلَّتْ بِصَلَاتِهِ (عَلَيْهَا السَّلَامُ).

«حَدَّثَنَا ابْنُ مُحَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ الْمُغِيرَةِ وَحَكَّامُ بْنُ سَلَمٍ، عَنْ عُبَيْسَةَ، عَنْ أَبِي هَاشِمٍ الْوَاسِطِيِّ، عَنْ مَيْمُونِ بْنِ سِيَاهٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: لَمَّا كَانَ حِينَ نَبِيِّ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ يَنَامُ حَوْلَ الْكَعْبَةِ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَنَامُ حَوْلَهَا، فَاتَاهُ الْمَلِكُ جَبْرِئِيلُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَكَانَ يَنَامُ حَوْلَ الْكَعْبَةِ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَنَامُ حَوْلَهَا، فَاتَاهُ الْمَلِكُ جَبْرِئِيلُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فَقَالَا: بِأَيِّهِمْ أَمَرْنَا؟ فَقَالَا: أَمَرْنَا بِسَيِّدِهِمْ، ثُمَّ ذَهَبَا ثُمَّ جَاءَا مِنَ الْمَلِكِ مِيكَائِيلُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ).



الْقِبْلَةَ، وَهُمْ ثَلَاثَةٌ، فَأَلْفَوْهُ وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَلَّبُوهُ لِيُظْهِرَهُ، وَشَقُّوا بَطْنَهُ، ثُمَّ جَاءُوا بِإِثْمٍ مِنْ مَاءٍ زَمْزَمَ، فَغَسَلُوا مَا كَانَ فِي بَطْنِهِ مِنْ شَكٍّ أَوْ شَرِكٍ أَوْ جَاهِلِيَّةٍ أَوْ ضَلَالَةٍ، ثُمَّ جَاءُوا بِطُسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ، مَلَأُوا بِهَا بَطْنَهُ وَجَعَلُوا بَطْنَهُ وَجُوفُهُ إِيَّانًا وَحِكْمَةً» (٤٨).

المصدر التاسع:-

المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي عبد الحميد، طبعة دار الفكر، الطبعة الخامسة، ١٢٩٣ / ١٩٧٣.

نص رواية المسعودي في مروج الذهب

ذكر مولد النبي ﷺ، ونسبه وغير ذلك مما لحق بهذا الباب

مولده:

وكان مولده عليه الصلاة والسلام عام الفيل، وكان بين عام الفيل وعام الفجار عشرون سنة، والفجار حرب كانت بين قيس عيلان وبني كنانة، استحلوا فيها القتال في الأشهر الحرم، فسميت الفجار.

ذكر مبعثه ﷺ

وما جاء في ذلك إلى هجرته

ثم بعث الله رسوله ﷺ وأكرمه بما اختص به من نبوته، بعد بنيان الكعبة بخمس سنين على ما قدمنا آنفاً، وهو ابن أربعين سنة كاملة؛ فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة، وأخفى أمره ثلاث سنين، وتزوج السيدة خديجة (عليها السلام) بنت خويلد وله خمس وعشرين سنة وأنزل عليه بمكة من القرآن اثنتان وثمانون سورة، ونزل تمام بعضها في المدينة، وأول ما نزل عليه من القرآن (اقرأ باسم ربك الذي خلق)، وأتاه الملك جبريل (عليه السلام) في ليلة السبت، ثم في ليلة الأحد، وخاطبه بالرسالة في يوم الإثنين، وذلك بحراء، وهو أول موضع نزل فيه القرآن، وخاطبه بأول السورة إلى قوله تعالى: (علم الإنسان ما لم يعلم) ونزل تمامها بعد ذلك؛ وخوطب بفرض الصلوات ركعتين ركعتين، ثم أمر

بإتمامها بعد ذلك، وأقرت ركعتين بالسفر وزيد في الحضر، وكان مبعثه ﷺ على رأس عشرين سنة من ملك كسرى أبرويز، وذلك على رأس مائتي سنة من يوم التحالف بالرَبْذَة، وذلك لستة آلاف ومائة وثلاث عشرة سنة من هبوط آدم عليه السلام، وقد ذكر مثل هذا من بعض حكماء العرب في صدر الإسلام ممن قرأ الكتب السالفة على حسب ما استخرج منها، وفي ذلك يقول في أرجوزة طويلة:

في رأس عشرة من السنين ... الى ثلاث حصلت يقين
والمائة الممدودة التمام ... الى ألوف سدست نظام
أرسله الله لنا رسولا ... وكان فينا هادي السبيل^(٤٩)
المصدر العاشر:-

السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، صحّحه وعلق عليه: الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، الناشر: الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٧.

نصّ رواية البستي

وكانت السيدة خديجة عليها السلام قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد - وكان ابن عمها، وكان نصرانيا قد قرأ الكتب وعلم من علم الناس - ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب وما كان من الإِظلال عليه، فقال ورقة: إن كان هذا حقا يا خديجة إن محمدا لنبي هذه الأمة، قد عرفت أنه كائن بهذه الأمة سيظهر في هذا الوقت^(٥٠).

ذكر تفضّل الله على رسوله المصطفى ﷺ

بالكرامة والنبوة بين خلق آدم ونفخ الروح فيه

أخبرنا عمر بن سعيد بن سنان الطائي [بمنهج] ثنا العباس بن عثمان البجلي ثنا الوليد بن مسلم ثنا الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ: متى وجبت لك النبوة؟ قال: «منذ خلق آدم ونفخ الروح فيه»، عليه السلام



ذكر صفة بدء الوحي على رسول الله ﷺ

«أخبرنا محمد بن الحسن بن قتيبة بعسقلان ثنا ابن أبي السري ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري أخبرني عروة بن الزبير عن عائشة قالت: أول ما ابتدئ به [رسول الله ﷺ] من الوحي الرؤيا الصادقة يراها في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث فيه -وهو التعبد الليالي ذوات العدد- ويتزود لذلك ثم يرجع إلى السيدة خديجة ﷺ فتزوده لمثلها حتى فجئه الحق، وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه فقال: اقرأ، قال رسول الله ﷺ فقلت: «ما أنا بقارئ»، [قال]: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال [لي]: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: (اقرأ اسم ربك الذي خلق) حتى بلغ (ما لم يعلم)، قال: فرجع بها ترجف فقاده حتى دخل على السيدة خديجة ﷺ فقال: «زملوني زملوني!» فزملوه حتى ذهب عنه الروع، ثم قال: «يا خديجة! ما لي؟» وأخبرها الخبر، وقال: «قد خشيت علي»، فقالت: كلا! أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا! إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق؛ ثم انطلقت به السيدة خديجة ﷺ حتى أتت به إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي -وهو عم السيدة خديجة ﷺ وأخو أبيها، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي [يكتبه] بالعربية من الإنجيل ما شاء أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمر- فقالت له السيدة خديجة ﷺ: أي عم! اسمع من أخيك، فقال ورقة: يا بن أخي: ما ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على النبي موسى عليه السلام! يا ليتني أكون فيها جذعا! [يا ليتني] أكون حيا حين يخرجك قومك! فقال رسول الله ﷺ: أخرجني هم؟ قال: نعم، لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي وأوذي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا؛ ثم



لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي [فترة] حتى حزن رسول الله ﷺ حزنا غدا منه مرارا لكي يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل كي يلقي نفسه منها فيرى له الملك جبريل عليه السلام فقال [له]: يا محمد! إنك رسول الله حقاً! فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع، فإذا طال عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة الجبل تبدى له الملك جبريل عليه السلام فيقول له مثل ذلك.

قال أبو حاتم: روي في بدء الوحي عن النبي ﷺ خبران: خبر عن عائشة وخبر عن جابر (رضوان الله تعالى عليه)، فأما خبر عائشة فقد ذكرناه، وأما خبر جابر فحدثناه عبد الله بن محمد بن سالم ببیت المقدس ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم ثنا الوليد عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن: أي القرآن أنزل أول؟ قال: (يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ)، فقلت: أو أقرأ؟ قال: إني أحدثكم ما حدثنا رسول الله ﷺ، قال: جاورت بحراء شهراً، فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت الوادي، فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أر أحداً، ثم نوديت فنظرت إلى السماء فإذا هو [فوقي] على العرش في السماء، فأخذتني رجفة شديدة، فأتيت خديجة فأمرتهم فذروني، ثم صبوا عليّ الماء، وأنزل الله (عزّ وجلّ) [عليّ] (يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) إلى قوله (فَطَهَّرْ). قال أبو حاتم: هذان خبران أوهما من لم يكن الحديث صناعته أنها متضادان وليس كذلك، إن الله (عزّ وجلّ) بعث رسوله ﷺ يوم الاثنين وهو ابن أربعين سنة، ونزل عليه الملك جبريل عليه السلام وهو في الغار بحراء بـ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) فلما رجع رسول الله ﷺ إلى بيت السيدة خديجة عليها السلام وذرّوه أنزل الله [عليه] في بيت السيدة خديجة عليها السلام (يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ. وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ)، من غير أن يكون بين الخبرين تضاد ولا تهاثر؛ فكان أول من آمن برسول الله ﷺ زوجته السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام، ثم آمن علي بن أبي طالب وصدقه بما جاء به وهو ابن عشر سنين، ثم أسلم أبو بكر فكان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يخفي إسلامه من أبي طالب، وأبو بكر لما أسلم أظهر إسلامه، فلذلك اشتبه على الناس أول من أسلم» (٥١).



المصدر الحادي عشر:-

جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٠٠ م.

نص رواية ابن حزم

مولده ومبعثه وسنه ووفاته ﷺ

«ولد رسول الله ﷺ بمكة، وعاش يتيمًا، إذ مات أبوه وهو ﷺ لم يكمل له ثلاث سنين، وماتت أمه وهو لم يستكمل سبع سنين. وكفله جده عبد المطلب، ومات عبد المطلب ولرسول الله ﷺ ثماني سنين. ثم كفله عمه أبو طالب، وكان به رفيقًا... وأتته ﷺ النبوة من عند الله (عز وجل)، وهو في غار حراء، وهو ﷺ ابن أربعين سنة، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة، أسلم فيها رجال من أصحابه ونساء» (٥٢).

المصدر الثاني عشر:-

الاستيعاب في معرفة الأصحاب، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

نص رواية ابن عبد البر

«وقال الزبير: حملت به أمه ﷺ في أيام التشريق في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى، وولد ﷺ بمكة في الدار التي كانت تدعى لمحمد بن يوسف أخي الحجاج، وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان. وقيل: بل ولد يوم الاثنين في ربيع الأول لليلتين خلتا منه. قال أبو عمر: وقد قيل لثمان خلون منه. وقيل: إنه ولد أول اثنين من ربيع الأول، وقيل: لاثنتي عشرة ليلة خلت منه عام الفيل، إذ ساقه الحبشة إلى مكة في جيشهم يغزون البيت، فردهم الله عنه، وأرسل عليهم طيرًا أبابيل



[فأهلكتهم]. وقيل: إنه ولد في شعب بني هاشم، ولا خلاف أنه ولد عام الفيل: يروى عن ابن عباس أنه قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الفيل. وهذا يحتمل أن يكون أراد اليوم الذي حبس الله الفيل فيه عن وطء البيت الحرام، وأهلك الذين جاءوا به. ويحتمل أن يكون أراد بقوله يوم الفيل عام الفيل. وقيل: ولد رسول الله ﷺ بعد قدوم الفيل بشهر. وقيل: بأربعين يوماً. وقيل بخمسين يوماً. فأما الخوارزمي محمد بن موسى فقال: كان قدوم الفيل مكة وأصحابه لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرم. وقد قال ذلك غير الخوارزمي أيضاً، وزاد يوم الأحد قال: وكان أول المحرم تلك السنة يوم الجمعة.

قال الخوارزمي: وولد رسول الله ﷺ بعد ذلك بخمسين يوماً، يوم الاثنين لثمان خلت من ربيع الأول، وذلك يوم عشرين من نيسان. قال: وبعث نبياً يوم الاثنين لثمان أيضاً من ربيع الأول، وذلك سنة إحدى وأربعين عام الفيل، فكان من مولده ﷺ إلى أن بعثه الله تعالى أربعون سنة ويوم، ومن مبعثه إلى أول المحرم من السنة التي هاجر فيها اثنتا عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرون يوماً، وذلك ثلاث وخمسون سنة تامة من أول عام الفيل» (٥٣).

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَرِيَّابِيُّ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ لُحَيْعَةَ عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ عَنْ حَنْشٍ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: وَلِدَ نَبِيُّكُمْ ﷺ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَخَرَجَ مِنْ مَكَّةَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَكَانَتْ بَدْرُ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ﷺ وَسَلَّمٌ وَشَرَفٌ وَكَرَمٌ. قَالَ أَبُو عَمْرِو: الأكثر على أن وقعة بدر كانت يوم الجمعة صبيحة سبع شرة من شهر رمضان، وما رأيت أحداً ذكر أنها كانت يوم الاثنين إلا في هذا الخبر من رواية ابن لُحَيْعَةَ عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ عَنْ حَنْشٍ، ولا حجة في مثل هذا الإسناد عند جميعهم، إذا خالفه من هو أكثر منه. قال الخوارزمي: وقدم رسول الله ﷺ المدينة مهاجراً يوم الاثنين، وهو اليوم الثامن من ربيع الأول سنة أربع وخمسين من عام الفيل، وهي سنة إحدى من الهجرة، يوم عشرين من أيلول فكان مبعثه ﷺ إلى يوم هاجر ودخل المدينة ثلاث عشرة سنة

كاملة، ومكث بالمدينة عشر سنين وشهرين إلى أن مات، وذلك يوم الاثنين أول يوم من ربيع الأول سنة أربع وستين من عام الفيل، ومن الهجرة سنة إحدى عشرة، وهذا كله قول الخوارزمي، وهذا الذي قال هو معنى قول ابن عباس، إن رسول الله ﷺ أقام بمكة ثلاث عشرة سنة، يعني بعد المبعث، وبالمدينة عشر سنين، ويشهد بصحة ذلك قول أبي قيس صرمة بن قيس الأنصاري:

ثوى في قريش بضع عشرة حجة ... يذكر لو يلقي صديقاً مواتياً
ويعرض في أهل المواسم نفسه ... فلم ير من يؤوي ولم ير داعياً
فلما أتانا واستقرت به النوى ... وأصبح مسروراً بطيبة راضياً
وأصبح لا يخشى ظلامة ظالم ... بعيد، ولا يخشى من الناس باغياً
بذلنا له الأموال من جل مالنا ... وأنفسنا عند الوغى والتأسيا
نعادي الذي عادى من الناس كلهم ... جميعاً وإن كان الحبيب المواتياً
ونعلم أن الله لا شيء غيره ... وأن كتاب الله أصبح هادياً^(هـ)

وروينا هذه الأبيات من طرق عن سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد الأنصاري، وهذا أكمل الروايات فيها.

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ خَالِدٍ، قَالَ حَدَّثَنَا قَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ إِمْلَاءً، قَالَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُثَنَّى الْحِزَامِيُّ، قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، قَالَ سَمِعْتُ عَمْرَو بْنَ دِينَارٍ، قَالَ قُلْتُ لِعُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ: كَمْ لَبِثَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَكَّةَ؟ قَالَ: عَشْرَ سِنِينَ. فَقُلْتُ: إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: لَبِثَ بِمَكَّةَ بَضْعَ عَشْرَةِ سَنَةٍ. فَقَالَ: إِنَّمَا أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ. قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: وَأَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَجُوزًا مِنَ الْأَنْصَارِ يَقُولُ: رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَخْتَلِفُ إِلَى صَرْمَةَ بْنِ قَيْسٍ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ:

ثوى في قريش بضع عشرة حجة ... يذكر لو يلقي صديقاً مواتياً

فذكر الأبيات كما ذكرتها سواء إلى آخرها. قَالَ أَبُو عَمْرٍو: ومات أبوه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ



عَبْدُ الْمَطْلَبِ وأمه حامل به. وقيل: بل توفي أبوه بالمدينة والنبي ﷺ ابن ثمانية وعشرين شهرا، قيل: بل توفي أبوه وهو ابن شهرين، فكفله جده عَبْدُ الْمَطْلَبِ. وفي خبر سيف بن ذي يزن: مات أبوه وأمه فكفله جده وعمه. وقد قيل: إن عَبْدَ اللَّهِ بن عَبْدِ الْمَطْلَبِ توفي والنبي ﷺ ابن ثمانية وعشرين شهرا^(٥٥).

وروى ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب قَالَ: بعث عَبْدُ الْمَطْلَبِ ابنه عَبْدَ اللَّهِ يمتار له تمرا من يثرب، فمات بها، وكانت وفاته وهو شاب عند أخواله بني النجار بالمدينة، ولم يكن له ولد غير رسول الله ﷺ، وتوفيت أمه آمنة بالأبواء بين مكة والمدينة، وهو ابن ست سنين. وقيل: ابن سبع سنين. وقال مُحَمَّدُ بن حبيب في كتاب المحبر: توفيت أمه ﷺ، وهو ابن ثمان سنين. قال: وتوفي جده عَبْدُ الْمَطْلَبِ بعد ذلك بسنة وأحد عشر شهرا، سنة تسع من أول عام الفيل. وقيل: إنه توفي جده عَبْدُ الْمَطْلَبِ، وهو ابن ثمان سنين. وقيل: بل توفي جده وهو ابن ثلاث سنين، فأوصى به إلى أبي طالب فصار في حجر عمه أبي طالب حتى بلغ خمس عشرة سنة، وكان أبو طالب يحبه، ثم انفرد بنفسه، وكان مائلا إلى عمه أبي طالب لوجاهته في بني هاشم وسنه، وكان مع ذلك شقيق أبيه، وخرج النبي ﷺ مع عمه في تجارة إلى الشام سنة ثلاث عشرة من عام الفيل، فرآه بحيرا الراهب، فقال: احتفظوا به فإنه نبي^(٥٦).

حدثنا عبد الوارث بن سفيان، قال: حدثنا قاسم بن أصبغ، قال حدثنا أحمد بن زهير، قال: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَرْبَعِينَ، وَوُكِّلَ بِهِ الْمَلِكُ إِسْرَافِيلُ عليه السلام ثَلَاثَ سِنِينَ، ثُمَّ وُكِّلَ بِهِ الْمَلِكُ جِبْرَائِيلُ عليه السلام. قَالَ: وَأَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، قَالَ حَدَّثَنَا هَشِيمٌ، قَالَ حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: نَبِئَ النَّبِيُّ ﷺ فَذَكَرَ مِثْلَهُ. قَالَ: ثُمَّ بُعِثَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ جِبْرِيلُ عليه السلام بِالرَّسَالَةِ.



قَالَ: وَأَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ عَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: نَزَلَتْ عَلَيْهِ النُّبُوءَةُ، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَقَرَنَ بِنُبُوتِهِ الْمَلِكُ إِسْرَافِيلُ عليه السلام ثَلَاثَ سِنِينَ، فَكَانَ يُعَلِّمُهُ الْكَلِمَةَ وَالشَّيْءَ، وَلَمْ يَنْزَلْ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ، فَلَمَّا مَضَتْ ثَلَاثَ سِنِينَ قَرَنَ بِنُبُوتِهِ الْمَلِكُ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ عِشْرِينَ سَنَةً.

وقيل: كان مبعثه ﷺ وهو ابن أربعين سنة وشهرين وعشرة أيام. وقيل: بل كان مبعثه ﷺ لتمام أربعين سنة من مولده يوم الاثنين ليلتين خلتا من ربيع الأول سنة أربعين، ومن قال: إنه ﷺ نبي وهو ابن أربعين سنة عبد الله بن عباس، ومحمد بن جبير بن مطعم، وقباث بن أشيم، وعطاء، وسعيد بن المسيب، وأنس بن مالك، وهو الصحيح عند أهل السير وأهل العلم بالأثر، فلما دعا قومه إلى دين الله نابذوه، فأجاره عمه أبو طالب، ومنع منه قريشاً لأنهم أرادوا قتله لما دعاهم إليه من ترك ما كانوا عليه هم وأباؤهم، ومفارقة لهم في دينه، وتسفيه أحلامهم في عبادة أصنام لا تبصر ولا تسمع، ولا تضر ولا تنفع، فلم يزل في جوار عمه أبي طالب إلى أن توفي أبو طالب، وذلك في النصف من شوال في السنة الثامنة. وقيل: العاشرة من مبعث النبي ﷺ، وحصرت قريش النبي ﷺ وأهل بيته بني هاشم ومعهم بنو المطلب في الشعب بعد المبعث بست سنين، فمكثوا في ذلك الحصار ثلاث سنين، وخرجوا منه في أول سنة خمسين من عام الفيل. وتوفي أبو طالب بعد ذلك بستة أشهر، وتوفيت السيدة خديجة ﷺ بعده بثلاثة أيام. وقد قيل غير ذلك، وولد عبد الله بن عباس في الشعب قبل خروج بني هاشم منه. وقيل: إنه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وكان ابن ثلاث عشرة سنة يوم مات رسول الله ﷺ. وكان أبو طالب قد أسلم ابنه علياً إلى رسول الله ﷺ، وذلك أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه - وكان من أيسر بني هاشم: يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال، فانطلق بنا لنخفف عنه ^(٥٧).



ملاحظات على نصوص تلك المؤلفات التاريخية

بادئ ذي بدء علينا أن نتحدث في ملاحظتنا هذه عما نقله الرواة الشفاهيون والمؤرخون ومؤلفو هذه المرحلة التأسيسية للسيرة النبوية المطهرة عن طبيعة نقل الروايات إليهم وكانت عبر سلسلة من أقوال وتعقيبات لرواة شفاهيين من المعروفين عند علماء الجرح والتعديل، أو من غير المعروفين. كذلك سنين ما ورد من تراجم لحياتهم قدر الإمكان؛ بغية الوصول الى تبيان الكيفية التي سردوا تلك الروايات عن نزول أول الآيات الكريمة بواسطة الملك جبرئيل عليه السلام على قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ونبدأ بالمصطلحات التي خرجنا بها، تلك التي استعملها هؤلاء الرواة الشفاهيون في نقلهم أخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مسألة علاقته بالوحي الإلهي والملك جبرئيل عليه السلام، وبمسألة عمره الشريف وبمدة مكوثه في مكة المكرمة، فوصلنا إلى أنها -أي أن هذه التعبيرات والمصطلحات- قد تمحورت حول تعبيرات يغلب عليها تعبير: (سمعت أن فلان قال) أو (سمع فلان فلانا قال) أو (حدثني فلان بأنه قال) أو (أخبرني فلان أنه سمع فلان يقول) أو (حدثني فلان) أو (الواقدي عن محمد بن عباد بن جعفر أنه سمع بعض العلماء تقول) أو (حدثنا عبد الله بن شداد قال: أتى الملك جبرئيل عليه السلام محمدا صلى الله عليه وآله وسلم) أو (هشام بن عروة عن أبيه عن السيدة خديجة عليها السلام قالت) أو (عن عمر بن عبد الله بن عروة المتوفى سنة ١٠١ أو ١١٠ قال سمعت أبا ذر الغفاري قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم). فكيف يا ترى سمع أو التقى أو سمع عمر هذا الذي توفي وهو لم يزل شابا الصحابي الجليل أبا ذر جندب بن جنادة الغفاري المتوفى في سنة ٣١ هـ أو ٣٢ هـ وكان من السابقين إلى الإسلام؟! قيل إنه رابع أو خامس من دخل في الإسلام، وأحد الذين جهروا بالإسلام في مكة قبل الهجرة النبوية، كيف لهذا الصحابي أن يقول للشاب عمر وهو من أحفاد عروة بن الزبير قولاً قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟! أو (سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال: قلت لعروة كم لبث النبي في مكة؟) أو (وهب بن كيسان سمعت عبد الله



وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي حدثنا يا عبيد... أو (عن محمد بن السائب الكلبي قال: بعث النبي ﷺ) آخذين بنظر الاعتبار أن محمدا هذا هو محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث بن عبد الحارث الكلبي المتوفى سنة ١٤٩ هجرية / ٧٦٣م؛ وهو نسابة، راوية، وعالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب من أهل الكوفة، ووصف من قبل علماء التراجم بأنه متروك الحديث. إذن فهو جاء بعد حوالي القرن والنصف من الحدث الذي يقول عنه وهو مبعث النبي ﷺ فكيف يكون هذا؟! أو (عن عبد الله بن شداد قال: أول سورة نزلت... الخ)، وعبد الله بن شداد قد توفي سنة ٨١ هجرية أو سنة ٨٢ هجرية، أو (عن أبي معشر عن محمد بن قيس: بشأن تعليم جبرئيل ﷺ الصلاة للنبي الأكرم ﷺ)، أو (يحيى بن أبي كثير قال سألت أبا سلمة أي القرآن أنزل أول؟)، فمن هو أبو سلمة؟ وما هي الوسيلة التي عرف فيها جواب ما سئل عنه؟!، وهكذا دواليك من المصطلحات والتعبيرات التي تدوالها الرواة الشفاهيون في نقلهم أحداث السيرة النبوية الشريفة.

فالملاحظة اللافتة للنظر أن الأغلبية العظمى من هؤلاء الرواة كانوا إما قد سمعوا من راوية شفاهي، وإما أنهم سألوا راوية قال بأن كذا وكذا حدث، وبضمنهم زوجة النبي ﷺ عائشة؛ ما عدا الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه)، إذ كان تعبيره في نقل الخبر هو: «قال: إني أحدثكم ما حدثنا رسول الله ﷺ، قال». ويمكننا إجمال هذه الملاحظة الأولى بأن أخبار السيرة النبوية، وبالأخص أخبار الآيات الأولى التي نزلت على رسول الله ﷺ قد نقلت بواسطة السماع لا المشاهدة. وقد يستفهم القارئ اللبيب عن: ما هي الحال بخصوص عبد الله بن عباس؟، أقول: إنه ولد سنة ٣ قبل الهجرة / ٦١٨م، بمعنى أنه لم يكن حاضرا ولا مولودا في زمن بعثة رسول الله ﷺ فكيف وصلته معلومة عمر النبي عليه الصلاة والسلام، ومتى ولد وكم كان عمره الشريف أثناء البعثة الميمونة وكم مكث في مكة المكرمة (أي الأخبار التي نقلها مواليه من الرواة الشفاهيين)؟!.



والملاحظة الثانية الجديرة بالاهتمام والإثارة هي أن خارطة توزيع هؤلاء الرواة الشفاهيين يغلب عليها صيغة المضمون والاتجاه العشائري أو القبلي أو السلطوي. وعروة بن الزبير نموذجاً بامتياز على ذلك، قال خليفة ولد عروة سنة ثلاث وعشرين إِبَّان خلافة عثمان بن عفان وتوفي سنة ٩٤ هـ / ٧١٣ م؛ وأبوه الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، ابن عمه النبي محمد ﷺ صفية بنت عبد المطلب، وأمه أسماء بنت أبي بكر، وأخوه لأبيه وأمه عبد الله بن الزبير، وعمه أبيه السيدة خديجة بنت خويلد ﷺ أولى زوجات النبي محمد ﷺ، وكذلك ورقة بن نوفل، وخالته عائشة بنت أبي بكر ثالث زوجات النبي محمد ﷺ؛ وكان عروة يطلق على خالته تعبير (أمي) كدلالة روحانية عن علاقته بها، أو لكونه أحد المؤمنين بعائشة أمه، أو في أحيان يكون وهب بن كيسان حلقتة الأساسية وهو مولى آل الزبير يصل سنده إلى عائشة أيضاً، أو أن يكون إسناده عن أفراد آل الزبير ثم عن أسماء بنت أبي بكر. ويذكر أن ابنه هشاماً من تلامذة ابن شهاب الزهري الذي هو الآخر قد تتلمذ على عروة بن الزبير في المغازي، كان هو الآخر مهتماً برواية السيرة النبوية بسنده الموصول مباشرة بأبيه عروة، وإن ابن عروة الآخر عثمان كان أيضاً من رواة السيرة النبوية، وله ابن ثالث هو عبد الله الذي يكنى به كان راوية لرواية السيرة عن أبيه، وإن محمداً هو أيضاً قد روى عن أبيه هذه الرواية وابنه عمر بن عبد الله بن الزبير. أما عن غير أبناء عروة فهناك محمد بن جعفر وهو ابن أخ عروة بن الزبير، وهناك جعفر بن الزبير أخو عروة وعباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير ويحيى بن عباد بن حمزة، كذلك علينا أن لا ننسى ذكر عبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير، عم الزبير بن بكار مؤلف الموفقيات الكتاب المعروف الذي تضمن أخباراً كثيرة عن السيرة، وهناك عمر بن عبد الله ابن أخي عروة، وعاصم بن المنذر بن الزبير، وقد سمع عن عروة وروى عنه، وهناك المنذر بن عبيد الله بن المنذر بن الزبير الذي روى عن هشام بن عروة، ومن موالى آل الزبير نذكر وهب بن كيسان المعروف بوهب القرشي



المدني المعلم، وقد روى عن أسماء بنت أبي بكر وروى أيضا عن عروة، وإن هشاماً بن عروة قد روى عنه، وهناك يزيد بن رومان مولى عروة وروى عن عروة وعن عبد الله بن الزبير وروى عنه هشام بن عروة، وليزيد أخ هو عبد الله بن رومان كان يروي عن عروة وقد قدم محمد بن سعد في الطبقات الكبرى وصفاً عاماً لنفر من موالي آل الزبير في عدة أخبار تتعلق بالسيرة النبوية^(٥٨).

وحقيقة الأمر هناك مؤرخون قد أبانوا عن سعة الدائرة المعرفية لمدرسة الرواية الزبيرية ضمن نطاق أفراد العائلة ومواليهم، فابن سعد يعدد أسماء الرواة الذين رووا عن عبد الله بن الزبير وهم: - عروة بن الزبير وحمزة بن الزبير. ويذكر خليفة بن خياط في طبقاته أفراد بني أسد بن عبد العزى ومنهم: - عروة بن الزبير وعبد الله بن وهب بن زمعة بن الأسود بن المطلب (ويتردد ذكره في الأسانيد) وهشام بن عروة وعبد الله بن عروة وعثمان بن عروة ومحمد بن عروة، ويحيى بن عروة، وعمر بن عبد الله بن عروة، وعبد الله بن عروة وصالح بن عبد الله بن عروة والحكم بن يحيى بن عروة، والمنذر بن عبد الله بن المنذر بن عروة. ويذكر البخاري في تاريخه الكبير فعالية بعض آل عروة بن الزبير في الرواية ومنهم: - هشام بن عروة أو المنذر بأنه سمع ابن عمرو وابن الزبير والزهري ووهب بن كيسان، ويشير إلى هشام بن حمزة بن عروة على أنه روى الرواية عن هشام بن عروة ويقف محمد بن حبيب في المحبر على يحيى بن عروة على أن أمه بنت الحكم بن أبي العاص وأن خاله هو مروان بن الحكم ويشير ابن حبيب في كتابه المنمق إلى عثمان بن عبد الله بن عروة بن الزبير. كذلك ذكر عمر بن عبد الله ابن أخي عروة ومحمد بن جعفر ابن أخي عروة أيضاً، ويحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، وعباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير، وعاصم بن المنذر بن الزبير الذي يقول عنه البخاري إنه سمع عروة وروى عنه هشام ومنذر بن عبيد الله بن المنذر بن الزبير وقد روى عن هشام بن عروة وروى عنه قتيبة وأبو لهيعة عبد الله بن عقبة أبو عبد الرحمن المصري^(٥٩).



ومن بين أفراد الأسرة الزبيرية ممن وردت أسماؤهم في الحديث عن رسول الله ﷺ حكيم بن حزام بن خويلد (ورد خطأً عند بعضهم خويلف) بن أسد بن عبد العزى الأسدي كانت السيدة خديجة ﷺ عمته، وكان من المعمرين عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام وعدّ من سادات قريش وتجارها ووجوهها في الجاهلية وأسلم يوم الفتح وقد وصف بأنه أحد علماء قريش في النسب توفي سنة ٥٤ هجرية أو ٦٠ هجرية وله أبناء اشتهروا برواية السيرة أيضاً وهم هشام الذي روى عن أبيه عن الرسول ﷺ وكان من صحابة الرسول وحزام بن حكيم وقد روى أيضاً عن أبيه وعبد الله بن حكيم. وإلى حكيم بن حزام (الأب) ترجع مرويات حول عمر السيدة خديجة ﷺ وهل كانت أسنّ من الرسول أم العكس، ورواية عن وفاتها ودفنها من قبل الرسول ﷺ. وقد اتسعت الدائرة هذه لتشمل عدد من النساء من أمثال فاطمة بنت قيس بن المطلب بن أسد بن عبد العزى التي روت عن النبي ﷺ حديث الاستحاضة وروى عنها عروة وفاطمة بنت المنذر زوجة هشام بن عروة وكان محمد بن إسحق مؤلف السيرة والمغازي قد أخذ عنها روايات فضلاً عن ذلك فقد أنعم الله تعالى على هذه الدائرة النسبية في تدوين رواية السيرة النبوية، بشكل خاص عدد من موالي آل الزبير كما ذكرنا آنفاً، أمثال زميل بن عباس مولى آل الزبير وهو من الموالي كان عبداً لعروة، ويزيد بن رومان مولى آل الزبير وهو من أهل المدينة روى عن عروة وأخيه عبد الله المتوفى سنة ١٣٠ هـ. وقد روى عبد الله عن عروة وروى عنه محمد بن إسحق ويلاحظ أن يزيداً قد سمع عبد الله بن الزبير ويذكر الرازي أنه كان مولى الزبير بن العوام ووصف بأنه كان من قراء أهل المدينة. وأشار ابن حجر العسقلاني أن يزيد بن رومان قد أرسل في روايته عن أبي هريرة ومنهم أيضاً وهب بن كيسان مولى الزبير وهو أسدي حجازي، وذكره الرازي بأنه مولى لعبد الله بن الزبير ووصفه العجلي بأنه مدني تابعي ثقة وذكر أنه كان من متقني أهل المدينة توفي سنة ١٢٧ هجرية وقد روى عن جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله تعالى



عليه) وعن أبي هريرة وعن الخدري وروى عنه عبيد الله بن عمر بن الخطاب ومالك والوليد بن كثير وأخرج له البخاري مرويات عن المغازي والبيوع عن طريق هشام بن عروة ووصفه ابن حجر بالمعلم المكي وروى عن أسماء بنت أبي بكر وابن عباس وابن عمرو بن الزبير وجابر الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه) وأنس بن مالك والخدري وعبيد الله بن عمير. وروى عنه هشام بن عروة وعبيد الله بن عمر ومالك وآخرون^(٦٠). يعدّ عروة بن الزبير وابنه هشام والى حد أقل ابنه الآخر عثمان الحلقة الأساسية لمروياته عن السيرة النبوية وعصر الراشدين وعن عائشة، وفي أحيان غير قليلة يدخل ابن شهاب الزهري في حلقة السند بدلاً من هشام وصولاً الى عائشة، إذ كان ابن شهاب شيخ هشام وقد نقل عنه أخباراً في السيرة النبوية وربما لا نبالغ القول بأن حوالي ٩٥٪ من مرويات عروة بن الزبير قد وصلتنا عن طريق حلقة ابنه هشام المتوفى سنة ١٤٦ هـ. وأوصاف علماء الرجال لهشام إيجابية فهو عندهم ثقة وثبت وكثير الحديث.

وبمعزل عن المرويات والأحاديث المنفردة أي التي انفرد بروايتها حكيم بن حزام ووهب بن كيسان في سندها الموصول الى الرسول الكريم ﷺ فإن حلقة هشام بن عروة وبالأخص حلقة والده عروة لا شك في أنها السلسلة السنية التي طغت بل وسادت على مرويات السيرة النبوية، وفي أدناه محاولة إحصائية متواضعة في عدد من مؤلفات الصحاح والمساند والتاريخ عن حلقة عروة بن الزبير السنية ندونها للتدليل على ما سبق قوله من استنتاج على سيادة الرواية المعتمدة على عروة:-

١- عدد المرات المذكور فيها عروة في صحيح البخاري (ثمانية مجلدات) ١٤٢ رواية.

٢- أما في صحيح مسلم (ثمانية مجلدات) فالعدد = ٧٥ رواية.

٣- وفي سنن ابن ماجه = ٢٤ رواية.

٤- وفي سنن الدرامي (مجلدان) = ١٠ روايات.

٥- وفي السنن الكبرى للنسائي (ستة مجلدات) = ٦٩ رواية.



- ٦- وفي سنن النسائي (٨ مجلدات) = ٣٦ رواية.
- ٧- وفي سنن أبي داود (مجلدان) = ٦١ رواية.
- ٨- وفي سنن الترمذي (خمسة مجلدات) = ١٤ رواية.
- ٩- وفي صحيح ابن حبان البستي (١٦ مجلداً) = ٨٣ رواية.
- ١٠- وفي سنن الدارقطني (٤ مجلدات) = ٢٨ رواية.
- ١١- وفي السنن الكبرى للبيهقي (١٠ مجلدات) = ٢٦٦ رواية.
- ١٢- وفي مسند أحمد بن حنبل (٦ مجلدات) = ٦٥ رواية.
- ١٣- وفي مسند ابن راهويه (٥ مجلدات) = ٣٧ رواية.
- ١٤- وفي مستدرک الحاكم النيسابوري (٤ مجلدات) = ٧٥ رواية.
- ١٥- وفي كتاب الأم للشافعي (٧ مجلدات) = ١٨ رواية.
- ١٦- وفي كتاب تركة النبي للبغدادی (مجلد) = ٤ روايات.
- ١٧- وفي المصنف لابن أبي شيبه (٨ مجلدات) = ٤٢ رواية.
- ١٨- وفي فتح الباري في شرح صحيح البخاري (١٣ مجلداً) = ٧٨ رواية.
- ١٩- وفي كتاب دلائل النبوة لإسماعيل بن محمد الاصبهاني (٤ مجلدات) = ٢٨ رواية.
- ٢٠- وفي كتاب التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر الطوسي (١٠ مجلدات) = ٣ روايات.
- ٢١- وفي جامع البيان عن تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري (٣٠ مجلداً) = ٥٥ رواية.
- ٢٢- وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (مجلدان) = ١٧ رواية.
- ٢٣- وفي طبقات محمد بن سعد البصري (٨ مجلدات) = ٧٩ رواية.
- أما مجموع الروايات المعتمدة على هشام فهي = ٢٠٤ روايات.
- ٢٤- وفي التاريخ الكبير للبخاري (تسعة مجلدات) = ٥٠ رواية.
- ٢٥- وفي التاريخ الصغير للبخاري (مجلدان) = ٩ روايات.
- ٢٦- وفي رجال أبي جعفر الطوسي (مجلد) = ١ رواية.



٢٧- وفي تاريخ دمشق لابن عساكر (سبعون مجلداً) = ٤٥٥ رواية.

٢٨- وفي تاريخ خليفة بن خياط (مجلد) = ٩ روايات.

٢٩- وفي السيرة النبوية لابن هشام (٤ مجلدات) = ٤١ رواية.

٣٠- وفي تاريخ الرسل والملوك للطبري (٨ مجلدات) = ٧١ رواية.

٣١- وفي تاريخ المدينة لعمر بن شبة (٤ مجلدات) = ٢٧ رواية.

٣٢- وفي السيرة النبوية لابن كثير (٤ مجلدات) = ٦٦ رواية.

٣٣- وفي تاريخ البداية والنهاية لابن كثير (١٤ مجلداً) = ٩٥ رواية.

ومن الجانب الآخر فإن الرواة الذين نقلوا أقوال عبد الله بن عباس لم يقتصروا على عكرمة البربري (وهو أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله البربري المدني المتوفى سنة ١٠٥هـ - ٧٢٣م)، مولى عبد الله بن عباس، وكان ابن عباس معلمه الأول، فعني بتعليمه القرآن والسنة، وربما كان يضع في رجليه القيد لئلا ينفض عن مذاكرته. قال أبو تميلة، عن ضهاد بن عامر القسمل، عن الفرزدق بن جواس الحماني، قال: كنا مع شهر بن حوشب بجرجان، فقدم علينا عكرمة، فقلنا لشهر: ألا نأتيه؟ قال: اتتوه، فإنه لم تكن أمة إلا كان لها حبر، وإن مولى ابن عباس حبر هذه الأمة. قال يحيى بن معين: مات ابن عباس، وعكرمة عبد لم يعتق، فباعه علي بن عبد الله، فقيل له: تبيع علم أبيك؟ فاسترده. وورد عن ابن فضيل، عن عثمان بن حكيم قال: كنت جالسا مع أبي أمامة بن سهل إذ جاء عكرمة، فقال: يا أبا أمامة أذكرك الله، هل سمعت ابن عباس يقول: ما حدثكم عني عكرمة فصدقه، فإنه لم يكذب علي، فقال أبو أمامة: نعم. وجاء عن عمرو سمع أبا الشعثاء يقول: هذا عكرمة مولى ابن عباس، هذا أعلم الناس، قال سفيان: الوجه الذي عليه فيه عكرمة المغازي، إذا تكلم فسمعه إنسان قال كأنه مشرف عليهم يراهم. وقال إسماعيل بن أبي خالد: سمعت الشعبي يقول: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة. وقال قتادة: أعلم الناس بالحلل والحرام الحسن، وأعلمهم بالمناسك عطاء،



وأعلمهم بالتفسير عكرمة. وروى سعيد عن قتادة قال: كان أعلم التابعين أربعة، كان عطاء أعلمهم بالمناسك، وكان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير، وكان عكرمة أعلمهم بسيرة النبي ﷺ وكان الحسن أعلمهم بالحلل والحرام. فهل نصدق ذلك؟، ونصدق أن رواياته عن السيرة النبوية جميعها الصحيحة والمتناقضة كانت نقلا عن ابن عباس؟! لم يكن عكرمة تلميذ ابن عباس الوحيد بل كان هناك آخرون منهم على سبيل المثال لا الحصر كما قال يحيى القطان: أصحاب ابن عباس ستة: مجاهد، وطاووس، وعطاء، وسعيد، وعكرمة، وجابر بن زيد. فكان عطاء بن أبي رباح هو: التابعي الجليل، وقيل القرشي، من رواة الحديث النبوي، كانت ولادته في خلافة عثمان بن عفان، نشأ بمكة المكرمة، وكان يُلقَّب بمُفَتِّي الحَرَم، أدرك كثيراً من صحابة رسول الله ﷺ، وكانت وفاته في العام الرابع عشر بعد المائة من الهجرة النبوية الشريفة. وكان عطاء بن أبي رباح من رواة الحديث النبوي وقد روى الحديث النبوي الشريف عن كثير من الصحابة من أمثال: عبد الله بن عباس وعائشة وأم سلمة وروى عن زيد بن أرقم وجابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه) وأبي هريرة.

وقيل عن مجاهد بن جبر (ويقال: جبير) (٢١ - ١٠٤ هـ = ٦٤٢ - ٧٢٢ م) مولى السائب بن أبي السائب المخزومي القرشي. ويعرف اختصاراً في المصادر والكتب التراثية بمجاهد. وهو إمامٌ وفقه وعالم ثقة وكثير الحديث، وكان بارعاً في قراءة القرآن الكريم وتفسيره، والحديث النبوي. روى مجاهد الكثير عن ابن عباس، كما عرض عليه القرآن ثلاث مرات، وكان في كل مرة يقف عند كل آية فيسأله عنها، كيف كانت؟ وفيم نزلت؟. كذلك أخذ عن ابن عباس إضافة إلى قراءة القرآن تفسيره، أخذ عنه الفقه. وروى مجاهد عن عائشة وعن أبي هريرة وسعد بن أبي وقاص وجابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه) وعبد الله بن عمر وعن أبي سعيد الخدري.



وهناك عمار بن أبي عمار مولى بني هاشم كنيته أبو عمرو ويُقال أبو عمر ويُقال أبو عبد الله عداة في أهل مكة روى عن ابن عباس في سنن النبي ﷺ.

فالخارطة هذه تبين بوضوح المدى الذي توزع به هؤلاء الرواة الشفاهيون، تلك الخارطة التي يغلب عليها الهيمنة العشائرية لآل الزبير ولموالي ابن عباس، ويغلب عليها الموالاتة لسلطة معاوية وبني أمية. فإن الروايات التي نقلوها شفاها تلك التي تركز بله وتؤكد على الغموض والاختلاف في عناصر أساسية من السيرة النبوية عامة ومن كيفية ارتباط رسول الله ﷺ بالوحي وبنزول أول آيات الذكر الحكيم وبغيرها من الموضوعات المهمة في حياة نبي الأمة محمد ﷺ.

والملاحظة الثالثة تشدد على أن المخرجات التي أنتجتها هذه الروايات كانت مكدرية وخطيرة، إذ شوّهت وأربكت معالم السيرة النبوية المطهرة وأظهرتها بمظهر قلق وغير ثابت وفي عدة اتجاهات من بين أهمها الآتي:-

١- تركيزها على أن البعثة النبوية الشريفة كانت من وحي الصدفة، إذ تدّعي الرواية السائدة في عقول المسلمين حتى هذه اللحظة بسندها الشائع ابن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة التي اختلفت في تاريخ ولادتها غير أن الأكثر شيوعاً أنها ولدت قبل ست أو سبع سنوات من الهجرة بمعنى أنها لم تكن مولودة أثناء المبعث النبوي لكنها قالت وتحدثت وكأنها واثقة بقولها من دون ذكر أنها سألت رسول الله أو قال رسول الله ﷺ، وتعدّ رواية عائشة زوجة النبي ﷺ الأساس الذي بنى عليه مؤلفو الصحاح والسنن والمصاحف والمؤرخون ومفسرو القرآن الكريم من أهل العامة بشكل رئيس تلك الرواية التي سنّدي بنصّها الآتي من دون الإشارة إلى أن زوجها رسول الله ﷺ قد حدثها بذلك إذ قالت: «ذَكَرَ الزُّهْرِيُّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا حَدَّثَتْهُ: أَنَّ أَوَّلَ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ النَّبُوءَةِ، حِينَ أَرَادَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ وَرَحْمَةَ الْعِبَادِ بِهِ، الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ، لَا يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رُؤْيَا فِي نَوْمِهِ إِلَّا جَاءَتْ كَفَلَقِ الصُّبْحِ. قَالَتْ: وَحَبَّبَ



اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ الْخُلُوعَ، فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَخْلُوَ وَحْدَهُ وَكَانَ يَخْلُو بَغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لَذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ عليها السلام فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلِكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِيٍّ»، قَالَ: «فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ) فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ عليها السلام، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَزَمِّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِلْسَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ عليها السلام وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ عليها السلام: «كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ»، فَانْطَلَقَتْ بِهِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ عليها السلام حَتَّى آتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ عليها السلام وَكَانَ امْرَأً تَنْصَرُّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ عليها السلام: «يَا بَنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ»، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: «يَا بَنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟» فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: «هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ مُوسَى عليه السلام، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام: «أَوْ مُخْرِجِي هُمْ»، قَالَ: «نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتُ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا»، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوْفِّي، وَفَتَرَ الْوَحْيَ ^(٦١).
فَالنَّبُوءَةُ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ عليه السلام بِصِغَةِ رُؤْيَا عِنْدَمَا كَانَ نَائِمًا وَعِنْدَمَا اكْتَمَلَ عَمْرُهُ الشَّرِيفُ فِي سِنِّ الْأَرْبَعِينَ، نَاهِيكَ عَنْ ذِكْرهَا بِشَكْلِ مُضْطَرَبِّ الْبِنَاءِ اللَّغْوِيِّ وَالْمَعْرِفِيِّ «وَكَانَ امْرَأً تَنْصَرُّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا



شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ»^(٦٢)؟! فمن أين جاءت بهذه المعلومة الخطيرة التي أضحت المصدر الأساس والوحيد في رواية المبعث النبوي؟ لا أحد يعلم بذلك حتى البخاري نفسه لا يعرف مصدر قولها هذا؛ غير أنه لم يشكل عليه قداسة قولها لأن أبا موسى الأشعري بحسب قول الترمذي إذ قال ما نصّه: «مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثُ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ، إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا»^(٦٣). في الوقت الذي يؤشر القرآن الكريم إلى أن الله سبحانه وتعالى قد اختاره نبيا مرسلا منذ ولادته وهو أمر قد ذكرته والدته عند الولادة وقد شهد عليه جدّه عبد المطلب ﷺ وعمه أبو طالب ﷺ وشددت عليه أحاديث وروايات الأئمة الأطهار ﷺ. فالروايات الشفاهية السنيّة التي هي بالفعل قد اعتمدت الروايات الزبيرية الممنهجة بمنهج معاوية بن أبي سفيان وبدعمه لها قد ركزت على طبيعة العلاقة السلطوية في لقاء الملك جبرئيل ﷺ برسول الله ﷺ وإجباره على أن يقرأ فغته ثلاث مرات حتى بدى على النبي ﷺ علامات الخوف والجهد، وتناسى بله وأغفل هؤلاء الرواة الشفاهيون عن قصد ما كان النبي ﷺ - بحسب الروايات الشيعية - قد نودي بالنبوة منذ أن كان صغيرا. كذلك أظهرت هذه الروايات موقف رسول الله ﷺ كونه كان شاكّا ومترددا بتبليغه الرسالة من الله تعالى وكان خائفا ترجف بوادره من الرعب والخوف الذي مثله بالفعل الملك جبرئيل ﷺ حتى أنه عندما فتر عليه الوحي عزم على الانتحار عدة مرات بإلقاء نفسه من شواحق الجبال، وأن أبا بكر هو الذي أخذه الى ورقة بن نوفل الأسدي ابن عمّ السيدة خديجة الكبرى ﷺ، لاستشارة ورقة بن نوفل النصراني وأن مشورته هي التي طمأنته وجعلته متأكدا من كونه نبيا، وأن السيدة خديجة ﷺ كانت على معرفة بالراهب عدّاس وبحيرا وبرهبان آخرين تسألهم بل وتجمع معلومات عن الملك جبرئيل ﷺ... إلخ؛ كل هذا بل وأكثر من هذا كان المخرج الرئيس للرواية التي قدّمها الرواة الشفاهيون الأمويون بهدف تشويه صورة النبي ﷺ وبالتالي تخريب الاعتقاد بالرسالة الإسلامية. ألم يتغنّ المشركون من قريش بما تردد عند



هؤلاء الكفرة عبدة الأصنام من أن رسول الله ﷺ كان كاهنا أو شاعرا أو مجنونا؟ ألم يعاد أبو سفيان وأبو جهل والعباس بن عبد المطلب وخالد بن الوليد وغيرهم من عتاة قريش وسادتهم رسالة السماء التي بشر بها محمد ﷺ.

٢- تحديد المؤرخين ومؤلفي السيرة النبوية علاقة الوحي برسول الله ﷺ بروايتين متعاكستين رواية عروة بن الزبير الأسدي + خالته عائشة، ورواية الصحابي الجليل القدر جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه) التي شوهت في إخراجها بصورتها الحقيقية من قبل رواية عروة بن الزبير + خالته عائشة، وبالأخص قد شوه سردها ابن شهاب الزهري تلميذ عروة بن الزبير الذي عيّنه معاوية بن أبي سفيان مساعدا لعروة في اللجنة الأمنية الرقابية والمخابراتية لكتابة السيرة النبوية في أواخر حقبة حكمه غير الشرعية. بذلك اختزلوا معالم السيرة النبوية الشريفة اختزالا تعسفيا بين من يرى بأن أول خمس آيات من سورة العلق هي الآيات الأولى التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على رسول الله ﷺ، وأولئك الذين يرون أنها الخمس الأولى من سورة الضحى. وهم متغافلون عن عمد بما جاء عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ابن عم النبي ﷺ وصاحبه حينما كان يرعى غنما لأبي طالب (عليه السلام) في الوادي وحين التقى به الملك جبرئيل (عليه السلام) مبلغا إياه رسالة السماء بالنبوة ألا وهي الآية الكريمة ١٥١ من سورة الأنعام: (قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق ذلكم وصّاكم به لعلكم تعقلون). فلماذا أغفلوا ذكر الدور العظيم الذي أداه الإمام في جميع متطلبات السيرة النبوية الشريفة وهو يعدّ الأول من الرجال الذين آمنوا برسول الله ﷺ والأول من الرجال الذين صلوا الصلاة مع زيد بن الحارثة خلف رسول الله ﷺ؟ لماذا يتنكر الرواة الشفاهيون ومؤلفو السيرة النبوية الشريفة من ذكر دور الإمام إن لم يكونوا رواة لمعاوية وللأمويين معا؟!؛



فيا أسفا على ذلك وهم يزعمون أنهم من المسلمين حاشا الله تعالى بل إنهم من الطلقاء إن كانوا من الرواة أو من مؤلفي السيرة الأوائل الذين تحدثنا عنهم في هذا المبحث.

٣- أما المخرج الثالث الذي تمخض عنه جميع الذي أدته روايات الرواة الشفاهيين المدفوع إليهم من سيدهم معاوية فهو المخرج المكدر الأعظم أثرا من المخرجات السالفة الذكر في أعلاه. إن هذه المرويات التي أسستها ودعمتها السلطة الأموية هي الروايات التي بقيت حيّة وفعالة على مرور الأيام والسنوات حتى يومنا هذا من القرن الواحد والعشرين ومن المؤكد أنها ستبقى الرواية الوحيدة والفريدة المسيطرة على عقولنا وأديباتنا ومناهجنا التي ندرسها للناشئة من أبنائنا الى أبد الأبدين طالما استمر الفكر السلفي الأموي هو الفكر الرئيس الذي نجتره ونعيده باستمرار من دون صقل وتهذيب. الأمر الذي يدعوننا إلى أن نرفع أصواتنا جاهرين بأن يغت أو يغط المؤرخون الأحرار من كل تبعية لرواية السلطة الأموية، إن بقي منهم أحد، ليس لثلاث مرات كما فعل الملك جبرئيل عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غار حراء حتى بلغ به الجهد والتعب بحسب رواية ابن شهاب الزهري عن شيخه عروة بن الزبير عن خالته عائشة التي توفيت سنة ٥٨ هجرية زمن حكم الطاغية معاوية بن أبي سفيان الطليق والتي ولدت كما قلنا آنفا بعد المبعث بسنوات، بل نحن بحاجة الى أن يغت المؤرخون ألف مرة بهدف تصفية السيرة النبوية والحفاظ على مكوناتها الصافية والخالية من شوائب هشام بن عروة وابن شهاب الزهري وعروة بن الزبير وأبنائهم وإخوته ومواليه ومؤيديه، وذلك باعتمادنا على القرآن الكريم وأحاديث الأئمة الأطهار ورواياتهم، وهم الذين صاغوا لنا سندنا ذهبيا حلقاته الأساسية تنتهي به إلى الإمام علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرئيل عليه السلام وعن الحلقة النهائية العليا الله سبحانه وتعالى، وأن نغزل تلك المرويات الأموية ونبقيها لمن يريدوها ويبحث عنها وينقلها من دون تمعن ودراية.



المصدر الثالث عشر:-

الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ) تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

نص رواية السهيلي

كَيْفِيَّةُ الْوَحْيِ

فصل: وَذَكَرَ نُزُولَ الْمَلِكِ جَبْرِيلَ عليه السلام عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي الْحَدِيثِ: فَأَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ وَقَالَ فِي آخِرِهِ فَهَبْتُ مِنْ نَوْمِي، فَكَأَنَّمَا كَتَبْتُ فِي قَلْبِي كِتَابًا، وَلَيْسَ ذِكْرُ النَّوْمِ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ وَلَا غَيْرَهَا، بَلْ فِي حَدِيثِ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ مَا يَدُلُّ ظَاهِرُهُ عَلَى أَنَّ نُزُولَ الْمَلِكِ جَبْرِيلَ عليه السلام حِينَ نَزَلَ بِسُورَةِ أَقْرَأَ كَانَ فِي الْيَقِظَةِ لِأَنَّمَا قَالَتْ فِي أَوَّلِ الْحَدِيثِ أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّؤْيَا الصَّادِقَةَ كَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصَّبْحِ ثُمَّ حَبَّبَ اللَّهُ إِلَيْهِ الْخَلَاءَ - إِلَى قَوْلِهَا - حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ، وَهُوَ بَعَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلَ عليه السلام. فَذَكَرْتُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الرَّؤْيَا كَانَتْ قَبْلَ نُزُولِ الْمَلِكِ جَبْرِيلَ عليه السلام عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَقَدْ يُمَكِّنُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلَ عليه السلام فِي الْمَنَامِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ فِي الْيَقِظَةِ تَوْطِئَةً وَتَيْسِيرًا عَلَيْهِ وَرَفَقًا بِهِ لِأَنَّ أَمْرَ النَّبِيِّ عَظِيمٌ وَعَنْبُؤُهَا ثَقِيلٌ وَالْبَشَرُ ضَعِيفٌ وَسَيِّئَاتِي فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ مِنْ مَقَالَةِ الْعُلَمَاءِ مَا يُؤَكِّدُ هَذَا وَيُصَحِّحُهُ وَقَدْ ثَبَتَ بِالطَّرِيقِ الصَّحَاحِ عَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَكُلَّ بِهِ الْمَلِكُ إِسْرَافِيلَ عليه السلام فَكَانَ يَتَرَاى لَهُ ثَلَاثَ سِنِينَ وَيَأْتِيهِ بِالْكَلِمَةِ مِنَ الْوَحْيِ وَالشَّيْءِ، ثُمَّ وَكَّلَ بِهِ الْمَلِكُ جَبْرِيلَ عليه السلام فَجَاءَهُ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْوَحْيِ فَعَلَى هَذَا كَانَ نُزُولُ الْوَحْيِ عَلَيْهِ ﷺ فِي أَحْوَالٍ مُخْتَلِفَةٍ فَمِنْهَا: النَّوْمُ كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ، وَكَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ أَيْضًا: أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّؤْيَا الصَّادِقَةَ وَقَدْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام (إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى) [الصفات: ١٠٢] فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ: (افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ)





[الصَّافَاتُ ١٠٢]، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْوَحْيَ كَانَ يَأْتِيهِمْ فِي الْمَنَامِ كَمَا يَأْتِيهِمْ فِي الْيَقَظَةِ. وَمِنْهَا: أَنْ يَنْفُثَ فِي رَوْعِهِ الْكَلَامَ نَفْثًا، كَمَا قَالَ ﷺ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ أَجَلَهَا وَرَزَقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ»، وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا) [الشُّورَى: ٥١]. قَالَ هُوَ أَنْ يَنْفُثَ فِي رَوْعِهِ بِالْوَحْيِ. وَمِنْهَا: أَنْ يَأْتِيَهُ الْوَحْيُ فِي مِثْلِ صَلَصلةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيْهِ وَقِيلَ إِنَّ ذَلِكَ لَيَسْتَجْمِعُ قَلْبُهُ عِنْدَ تِلْكَ الصَّلَصلةِ، فَيَكُونُ أَوْعَى لِمَا يَسْمَعُ وَالْقِنَ لِمَا يَلْقَى. وَمِنْهَا: أَنْ يَتِمَثَّلَ لَهُ الْمَلِكُ رَجُلًا، فَقَدْ كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ دَحْيَةَ بْنِ خَلِيفَةَ وَيُرَوَى أَنَّ دَحْيَةَ إِذَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ لَمْ تَبْقَ مُعَصْرٌ إِلَّا خَرَجَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ لِفَرَطِ جَمَالِهِ. وَقَالَ ابْنُ سَلَامٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَؤُلَاءِ) [الْجُمُعَةُ: ١١]. قَالَ كَانَ اللَّهُوَ نَظَرُهُمْ إِلَى وَجْهِ دَحْيَةَ لَجَمَالِهِ. وَمِنْهَا: أَنْ يَتَرَأَى لَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلَ ﷺ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ فِيهَا، لَهُ سِتْمِائَةٌ جَنَاحٍ يَنْتَشِرُ مِنْهَا اللَّوْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ. وَمِنْهَا: أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ إِمَّا فِي الْيَقَظَةِ كَمَا كَلَّمَهُ فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ وَإِمَّا فِي النَّوْمِ كَمَا قَالَ فِي حَدِيثٍ مُعَاذِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، قَالَ: «أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَقَالَ فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى، فَقُلْتُ: لَا أَدْرِي. فَوَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثُنْدَوَتِي وَتَجَلَّى لِي عِلْمُ كُلِّ شَيْءٍ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى، فَقُلْتُ: فِي الْكُفَّارَاتِ فَقَالَ وَمَا هُنَّ؟ فَقُلْتُ: الْوُضُوءُ عِنْدَ الْكُرْبِيَّاتِ وَنَقْلُ الْأَفْدَامِ إِلَى الْحَسَنَاتِ وَانْتِظَارُ الصَّلَوَاتِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ حَمِيدًا، وَمَاتَ حَمِيدًا، وَكَانَ مِنْ ذَنْبِهِ كَمَنْ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ. فَهَذِهِ سِتَّةُ أَحْوَالٍ وَحَالَةٍ سَابِعَةٌ قَدْ قَدَّمْنَا ذِكْرَهَا، وَهِيَ نُزُولُ الْمَلِكِ إِسْرَافِيلَ ﷺ عَلَيْهِ بِكَلِمَاتٍ مِنَ الْوَحْيِ قَبْلَ الْمَلِكِ جَبْرِيلَ ﷺ فَهَذِهِ سَبْعُ صُورٍ فِي كَيْفِيَّةِ نُزُولِ الْوَحْيِ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ لَمْ أَرِ أَحَدًا جَمَعَهَا كَهَذَا الْجَمْعِ وَقَدْ اسْتَشْهَدْنَا عَلَى صِحَّتِهَا بِمَا فِيهِ غِنَى، وَقَدْ أَمْلَيْنَا أَيْضًا فِي حَقِيقَةِ رُؤْيَيْهِ ﷺ رَبَّهُ فِي الْمَنَامِ عَلَى أَحْسَنِ صُورَةٍ وَيُرَوَّى: عَلَى صُورَةِ شَابٍّ مَسَالَةَ بَدِيعَةٍ كَاشِفَةٍ لِقِنَاعِ اللَّبْسِ فَلْتَنْظُرْ هُنَالِكَ.

مِنْ تَفْسِيرِ حَدِيثِ الْوَحْيِ:

فَصُلِّ: وَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ الْمَلِكَ جَبْرِيلَ ﷺ أَتَاهُ بِنَمَطٍ مِنْ دِيبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ فَقَالَ اقْرَأْ قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِهِ: (الْم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ) [البقرة: ١، ٢] إِنَّهَا إِشَارَةٌ إِلَى الْكِتَابِ الَّذِي جَاءَهُ بِهِ الْمَلِكُ جَبْرِيلَ ﷺ حِينَ قَالَ اقْرَأْ وَفِي الْآيَةِ أَقْوَالٌ غَيْرُ هَذِهِ مِنْهَا: أَنَّهَا إِشَارَةٌ إِلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿الْم﴾؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْحُرُوفُ الْمُقْطَعَةُ تَضَمَّنَتْ مَعَانِي الْكِتَابِ كُلِّهِ فِيهِ كَالترجمة لَهُ.

مَعْنَى (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ):

وَقَوْلُهُ: «مَا أَنَا بِقَارِيٍّ» أَيُّ إِنِّي أُمِّيٌّ، فَلَا اقْرَأُ الْكُتُبَ قَالَهَا ثَلَاثًا فَقِيلَ لَهُ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) أَيُّ إِنَّكَ لَا تَقْرُؤُهُ بِحَوْلِكَ، وَلَا بِصِفَةِ نَفْسِكَ، وَلَا بِمَعْرِفَتِكَ، وَلَكِنْ اقْرَأْ مُفْتَتِحًا بِاسْمِ رَبِّكَ مُسْتَعِينًا بِهِ فَهُوَ يُعَلِّمُكَ كَمَا خَلَقَكَ وَكَمَا نَزَعَ عَنْكَ عِلْقَ الدَّمِّ وَمَعَمَزَ الشَّيْطَانَ بَعْدَ مَا خَلَقَهُ فِيكَ، كَمَا خَلَقَهُ فِي كُلِّ إِنْسَانٍ. وَالْآيَتَانِ الْمُتَقَدِّمَتَانِ لِمُحَمَّدٍ وَالْآخِرَتَانِ لِأُمَّتِهِ وَهُمَا قَوْلُهُ تَعَالَى: (الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) [العلق: ٤، ٥] لِأَنَّهَا كَانَتْ أُمَّةً أُمِّيَّةً لَا تَكْتُبُ فَصَارُوا أَهْلَ كِتَابٍ وَأَصْحَابَ قَلَمٍ فَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ بِالْقَلَمِ وَتَعَلَّمَهُ نَبِيُّهُمْ تَلْقِينًا مِنَ الْمَلِكِ جَبْرِيلَ ﷺ نَزَلَهُ عَلَى قَلْبِهِ بِإِذْنِ اللَّهِ لِيَكُونَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ

حَوْلَ بِسْمِ اللَّهِ:

فَصُلِّ: وَفِي قَوْلِهِ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) مِنَ الْفِقْهِ وَجُوبُ اسْتِفْتَاكِ الْقِرَاءَةِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، غَيْرَ أَنَّهُ أَمْرٌ مُبْهِمٌ لَمْ يُبَيِّنْ لَهُ بِأَيِّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ رَبِّهِ يَفْتَتَحُ حَتَّى جَاءَ الْبَيَانُ بَعْدُ فِي قَوْلِهِ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا﴾ [هود: ٤١] ثُمَّ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَأِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) [النمل: ٣٠]. ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَنْزِلُ الْمَلِكُ جَبْرِيلَ ﷺ عَلَيْهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَعَ كُلِّ سُورَةٍ وَقَدْ تَبَيَّنَتْ فِي سَوَادِ الْمُصْحَفِ بِإِجْمَاعٍ مِنَ الصَّحَابَةِ عَلَى ذَلِكَ وَمَا ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ مُصْحَفِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، فَشُدُودُ فَهْيٍ عَلَى هَذَا مِنَ الْقُرْآنِ إِذْ لَا يُكْتَبُ فِي الْمُصْحَفِ مَا لَيْسَ بِقُرْآنٍ وَلَا يَلْتَزِمُ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ أَنَّهَا آيَةٌ مِنْ كُلِّ سُورَةٍ وَلَا أَنَّهَا آيَةٌ مِنَ الْفَاتِحَةِ بَلْ



نَقُولُ إِنَّهَا آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، مُقْتَرَنَةٌ مَعَ السُّورَةِ وَهُوَ قَوْلُ دَاوُدَ وَأَبِي حَنِيفَةَ، وَهُوَ قَوْلُ بَيْنَ الْقُوَّةِ لِمَنْ أَنْصَفَ وَحِينَ نَزَلَتْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سَبَّحْتَ الْجِبَالَ فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: سَحَرَهُ مُحَمَّدٌ الْجِبَالَ ذَكَرَهُ النَّقَاشُ وَإِنْ صَحَّ مَا ذَكَرَهُ فَلِمَعْنَى مَا سَبَّحْتَ عِنْدَ نَزْوِهَا خَاصَّةً وَذَلِكَ أَنَّمَا آيَةٌ أَنْزَلْتَ عَلَى آلِ دَاوُدَ، وَقَدْ كَانَتْ الْجِبَالُ تُسَبِّحُ مَعَ دَاوُدَ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ) وَقَالَ: (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) [النمل: ٣٠].

وَفِي الْحَدِيثِ ذَكَرَ نَمَطَ الدِّيْبَاجِ مِنَ الْكِتَابِ وَفِيهِ دَلِيلٌ وَإِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ يُفْتَحُ عَلَى أُمَّتِهِ مُلْكُ الْأَعَاجِمِ، وَيَسْلُبُونَهُمُ الدِّيْبَاجَ وَالْحَرِيرَ الَّذِي كَانَ زِيَهُمْ وَزِينَتُهُمْ وَبِهِ أَيْضًا يُنَالُ مُلْكُ الْآخِرَةِ وَلِبَاسُ الْجَنَّةِ وَهُوَ الْحَرِيرُ وَالدِّيْبَاجُ وَفِي سِيرِ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، وَسِيرِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْمُعْتَمِرِ زِيَادَةٌ وَهُوَ أَنَّ الْمَلِكَ جَبْرِيلَ (عليه السلام) أَنَاهُ بَدَرَنُوكَ مِنْ دِيْبَاجٍ مَنُسُوجٍ بِالْدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ فَأَجْلَسَهُ عَلَيْهِ غَيْرَ أَنَّ مُوسَى بْنَ عُقْبَةَ قَالَ بِيَسَاطٍ وَلَمْ يَقُلْ دَرَنُوكَ، وَقَالَ فِي سِيرِ ابْنِ الْمُعْتَمِرِ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَيْهِ: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) [الشَّرح: ١] الْآيَاتِ، كَأَنَّهُ يُشِيرُ بِهِ فَمَسَحَ الْمَلِكُ جَبْرِيلَ (عليه السلام) صَدْرَهُ وَقَالَ اللَّهُمَّ اشْرَحْ صَدْرَهُ وَارْفَعْ ذِكْرَهُ وَضَعْ عَنْهُ وَزْرَهُ، وَيُصَحِّحُ مَا رَوَاهُ ابْنُ الْمُعْتَمِرِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَيْهِ: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) [الشَّرح: ١] الْآيَاتِ، كَأَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ الدَّعَاءِ الَّذِي كَانَ مِنَ الْمَلِكِ جَبْرِيلَ (عليه السلام) وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

الْغَطُّ:

وَقَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ: فَعَطَّنِي، وَيُرَوَّى: فَسَأَبَّنِي، وَيُرَوَّى: سَأَتْنِي، وَأَحْسَبُهُ أَيْضًا يُرَوَّى: فَذَعَنْتَنِي وَكُلَّهَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَهُوَ الْخَنْقُ وَالْغَمُّ، وَمِنْ الدَّعْتِ حَدِيثُهُ الْآخِرُ أَنَّ الشَّيْطَانَ عَرَضَ لَهُ وَهُوَ يُصَلِّي قَالَ فَذَعْتُهُ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ لِسَانِهِ عَلَى يَدَيَّ ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ (وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) الْحَدِيثُ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ إِظْهَارٌ لِلشَّدَّةِ وَالْجَدِّ فِي الْأَمْرِ وَأَنْ يَأْخُذَ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَيَتْرُكُ الْإِنَاةَ فَإِنَّهُ أَمْرٌ لَيْسَ بِالْهُوَيْنَى، وَقَدْ انْتَرَعَ بَعْضُ التَّابِعِينَ وَهُوَ شُرَيْحُ الْقَاضِي مِنْ هَذَا: أَلَّا يُضْرَبَ الصَّبِيُّ عَلَى الْقُرْآنِ إِلَّا ثَلَاثًا كَمَا



غَطَّ الْمَلِكُ جَبْرِيلَ عليه السلام مُحَمَّدًا عليه السلام ثَلَاثًا، وَعَلَى رَوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ أَنَّ ذَلِكَ فِي نَوْمِهِ كَانَ يَكُونُ فِي تِلْكَ الْغَطَّاتِ الثَّلَاثِ مِنَ التَّأْوِيلِ ثَلَاثُ شِدَائِدٍ يُبْتَلَى بِهَا أَوَّلًا، ثُمَّ يَأْتِي الْفَرْجُ وَالرَّوْحُ وَكَذَلِكَ كَانَ لَقِيَهُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ شِدَّةً مِنَ الْجُوعِ فِي شَعْبِ الْخَيْفِ، حِينَ تَعَاقَدَتْ قُرَيْشٌ أَلَّا يَبِيعُوا مِنْهُمْ وَلَا يَتْرَكُوا مِيرَةَ نَصْلٍ إِلَيْهِمْ وَشِدَّةً أُخْرَى مِنَ الْخَوْفِ وَالْإِعَادِ بِالْقَتْلِ وَشِدَّةً أُخْرَى مِنَ الْإِجْلَاءِ عَنْ أَحَبِّ الْأَوْطَانِ إِلَيْهِ ثُمَّ كَانَتْ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

مَا أَنَا بِقَارِي:

وَقَوْلُهُ فِي حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ: اقْرَأْ قَالَ: مَا أَقْرَأُ يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ مَا اسْتَفْهَمًا، يُرِيدُ أَيَّ شَيْءٍ أَقْرَأُ؟ وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ نَفْيًا، وَرَوَايَةُ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ النَّفْيَ أَيَّ مَا أَحْسَنَ أَنْ أَقْرَأَ كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ مَا أَنَا بِقَارِي.

رُؤْيُ الْمَلِكِ جَبْرِيلَ عليه السلام وَمَعْنَى اسْمِهِ

وَذَكَرَ رُؤْيَاهُ لِلْمَلِكِ جَبْرِيلَ عليه السلام وَهُوَ صَافٌّ قَدَمَيْهِ وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ أَنَّهُ رَأَاهُ عَلَى رَفْرِفٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَيُرَوَّى: عَلَى عَرْشٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَفِي حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ الَّذِي ذَكَرَهُ فِي آخِرِ الْجَامِعِ أَنَّهُ حِينَ فَرَّ عَنْهُ الْوَحْيُ كَانَ يَأْتِي شَوَاهِقَ الْجِبَالِ يَهُيمُ بِأَنْ يُلْقِيَهُ نَفْسُهُ مِنْهَا، فَكَانَ الْمَلِكُ جَبْرِيلَ عليه السلام يَتَرَاءَى لَهُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ يَقُولُ لَهُ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَا جَبْرِيلُ. وَاسْمُ جَبْرِيلَ عليه السلام سُرْيَانِي، وَمَعْنَاهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَوْ عَبْدُ الْعَزِيزِ. هَكَذَا جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَوْقُوفًا وَمَرْفُوعًا أَيْضًا، وَالْوَقْفُ أَصْلُهُ. وَأَكْثَرُ النَّاسِ عَلَى أَنَّ آخِرَ الْإِسْمِ مِنْهُ هُوَ اسْمُ اللَّهِ وَهُوَ إِيْلُ وَكَانَ شَيْخُنَا يَذْهَبُ مَذْهَبَ طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي أَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ إِضَافَتُهَا مَقْلُوبَةٌ وَكَذَلِكَ الْإِضَافَةُ فِي كَلَامِ الْعَجَمِ، يَقُولُونَ فِي غُلَامٍ زَيْدٍ زَيْدٌ غُلَامٌ فَعَلَى ذَا يَكُونُ إِيْلُ عَبَّارَةً عَنِ الْعَبْدِ وَيَكُونُ أَوَّلُ الْإِسْمِ عَبَّارَةً عَنِ اسْمِ مَنْ أَسَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، أَلَا تَرَى كَيْفَ قَالَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: جَبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ عليهما السلام، كَمَا تَقُولُ: عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ أَلَا تَرَى أَنَّ لَفْظَ عَبْدٍ يَتَكَرَّرُ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ وَالْأَسْمَاءُ أَلْفَاظُهَا مُخْتَلِفَةٌ.



حَوْلَ مَعْنَى إِلٍ وَخَرَافَةِ الرَّهْبَانِ:

وَأَمَّا إِلٌ بِالتَّشْدِيدِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: (إِلَّا وَلَا ذِمَّةً) [التَّوْبَةُ: ١٠] فَحَذَارٌ حَذَارٍ مِنْ أَنْ تَقُولَ فِيهِ هُوَ اسْمُ اللَّهِ فَتُسَمَّى اللَّهُ بِاسْمٍ لَمْ يُسَمَّ بِهِ نَفْسُهُ أَلَا تَرَى أَنَّ جَمِيعَ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى مُعَرَّفَةٌ وَ«إِلٌ» نِكْرَةٌ وَحَاشَا لِلَّهِ أَنْ يَكُونَ اسْمُهُ نِكْرَةً وَإِنَّمَا الْأَلُّ كُلُّ مَا لَهُ حُرْمَةٌ وَحَقٌّ، فَمِمَّا لَهُ حَقٌّ وَيَجِبُ تَعْظِيمُهُ الْقَرَابَةُ وَالرَّحِمُ وَالْجَوَارُ وَالْعَهْدُ وَهُوَ مِنْ أَلَّتْ: إِذَا اجْتَهَدْتَ فِي الشَّيْءِ وَحَافِظْتَ عَلَيْهِ وَلَمْ تُضَيِّعْهُ.

مَعْنَى النَّامُوسِ:

وَقَوْلُ وَرَقَةَ لَقَدْ جَاءَهُ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي النَّبِيَّ مُوسَى عليه السلام. النَّامُوسُ صَاحِبُ سِرِّ الْمَلِكِ قَالَ بَعْضُهُمْ هُوَ صَاحِبُ سِرِّ الْخَيْرِ وَالْجَاسُوسُ هُوَ صَاحِبُ سِرِّ الشَّرِّ.

لَمْ ذَكَرَ مُوسَى وَلَمْ يَذْكُرْ عِيسَى؟

وَإِنَّمَا ذَكَرَ وَرَقَةَ النَّبِيَّ مُوسَى وَلَمْ يَذْكُرِ النَّبِيَّ عِيسَى عليه السلام، وَهُوَ أَقْرَبُ لِأَنَّ وَرَقَةَ كَانَ قَدْ تَنَصَّرَ وَالتَّصَارَى لَا يَقُولُونَ فِي عِيسَى: إِنَّهُ نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْمَلِكُ جَبْرِيلَ عليه السلام إِنَّمَا يَقُولُونَ فِيهِ إِنَّ أَقْنُومًا مِنَ الْأَقَانِيمِ الثَّلَاثَةِ اللَّاهُوتِيَّةِ حَلَّ بِنَاسُوتِ الْمَسِيحِ وَاتَّحَدَ بِهِ عَلَى اخْتِلَافٍ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ الْحُلُولِ وَهُوَ أَقْنُومُ الْكَلِمَةِ وَالْكَلِمَةُ عَنْدهُمْ عِبَارَةٌ عَنِ الْعِلْمِ فَلِذَلِكَ كَانَ الْمَسِيحُ عَنْدهُمْ يَعْلَمُ الْغَيْبَ وَيُخْبِرُ بِهَا فِي غَدٍ فَلَمَّا كَانَ هَذَا مِنْ مَذْهَبِ النَّصَارَى الْكَذْبَةُ عَلَى اللَّهِ الْمُدَّعِينَ الْمَحَالِ عَدَلَ عَنْ ذِكْرِ النَّبِيِّ عِيسَى إِلَى ذِكْرِ النَّبِيِّ مُوسَى عليه السلام لِعِلْمِهِ أَوْ لِإِعْتِقَادِهِ أَنَّ الْمَلِكَ جَبْرِيلَ عليه السلام كَانَ يَنْزِلُ عَلَى النَّبِيِّ مُوسَى عليه السلام، لَكِنْ وَرَقَةَ قَدْ ثَبَتَ إِيْمَانَهُ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، وَقَدْ قَدَّمْنَا حَدِيثَ التِّرْمِذِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله رَأَاهُ فِي الْمَنَامِ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ بَيْضٌ إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ.

حَوْلَ هَاءِ السَّكْتِ وَالْفِعْلِ تُدْرِكُ:

وَقَوْلُ وَرَقَةَ لَتَكْذِبَنَّهُ وَلَتُؤْذِنَنَّهُ وَلَا يُنْطَقُ بِهَذِهِ الْهَاءِ إِلَّا سَاكِنَةً لِأَنَّهَا هَاءُ السَّكْتِ وَلَيْسَتْ بِهَاءِ إِضْمَارٍ. وَقَوْلُهُ إِنَّ أَدْرَكَ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ إِنَّ يَذْكُرُنِي يَوْمُكَ وَهُوَ الْقِيَاسُ لِأَنَّ وَرَقَةَ سَابِقٌ بِالْوُجُودِ وَالسَّابِقُ هُوَ الَّذِي يَذْكُرُكَ مَنْ



يَأْتِي بَعْدَهُ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: أَشَقَى النَّاسِ مَنْ أَدْرَكَتْهُ السَّاعَةُ وَهُوَ حَيٌّ، وَرَوَايَةُ ابْنِ إِسْحَاقَ أَيْضًا لَهَا وَجْهٌ لِأَنَّ الْمَعْنَى: أَتَرَى ذَلِكَ الْيَوْمَ فَسَمَى رُؤْيِيَّتهُ إِدْرَاكًا، وَفِي التَّنْزِيلِ: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) [الأنعام: ١٠٣] أَي لَا تَرَاهُ عَلَى أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ. وَقَوْلُهُ مُؤَزَّرًا مِنَ الْأَزْرِ وَهُوَ الْقُوَّةُ وَالْعَوْنُ.

شَرْحُ: أَوْخَرَجِي؟

فَصَلِّ وَفِي حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَوَرَقَةَ: «أَوْخَرَجِي هُمْ» لَا بُدَّ مِنْ تَشْدِيدِ الْيَاءِ فِي مَخْرَجِي لِأَنَّهُ جَمْعٌ، وَالْأَصْلُ مَخْرُجُوِي فَأُدْغِمَتْ الْوَاوُ فِي الْيَاءِ وَهُوَ خَبْرٌ ابْتِدَاءً مُقَدِّمٌ وَلَوْ كَانَ الْمُبْتَدَأُ اسْمًا ظَاهِرًا لَجَازَ تَخْفِيفُ الْيَاءِ وَيَكُونُ الْاسْمُ الظَّاهِرُ فَاعِلًا لَا مُبْتَدَأً كَمَا تَقُولُ أَضَارِبُ قَوْمُكَ، أَخَارِجُ إِخْوَتَكَ فَتَفَرِّدُ لَأَنَّكَ رَفَعْتَ بِهِ فَاعِلًا، وَهُوَ حَسَنٌ فِي مَذْهَبِ سِيبَوَيْهِ وَالْأَخْفَشِ وَلَوْ لَا اسْتِنْفَهُامُ مَا جَازَ الْإِفْرَادُ إِلَّا عَلَى مَذْهَبِ الْأَخْفَشِ فَإِنَّهُ يَقُولُ قَائِمُ الزَّيْدُونَ دُونَ اسْتِنْفَهُامٍ فَإِنْ كَانَ الْاسْمُ الْمُبْتَدَأُ مِنَ الْمُضْمَرَاتِ نَحْوُ أَخَارِجُ أَنْتَ وَأَقَائِمُ هُوَ؟ لَمْ يَصِحَّ فِيهِ إِلَّا الْإِبْتِدَاءُ لِأَنَّ الْفَاعِلَ إِذَا كَانَ مُضْمَرًا لَمْ يَكُنْ مُنْفَصِلًا لَا تَقُولُ قَامَ أَنَا، وَلَا ذَهَبَ أَنْتَ وَكَذَلِكَ لَا تَقُولُ أَذَاهِبُ أَنْتَ عَلَى حَدِّ الْفَاعِلِ وَلَكِنْ عَلَى الْمُبْتَدَأِ وَإِذَا كَانَ عَلَى حَدِّ الْمُبْتَدَأِ فَلَا بُدَّ مِنْ جَمْعِ الْخَبَرِ، فَعَلَى هَذَا تَقُولُ أَخْرَجِي هُمْ تُرِيدُ مَخْرُجُونَ ثُمَّ أُضِيفَ إِلَى الْيَاءِ وَحُذِفَتِ النَّوْنُ وَأُدْغِمَتْ الْوَاوُ كَمَا يَقْتَضِي الْقِيَاسُ. وَفِي رَوَايَةِ يُونُسَ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ بِسَنَدِهِ إِلَى أَبِي مَيْسَرَةَ عَمْرُو بْنُ شُرْحَبِيلَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِلْسَيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إِنِّي إِذَا خَلَوْتُ وَخَدِي سَمِعْتُ نِدَاءً وَقَدْ خَشِيتُ وَاللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِهَذَا أَمْرٌ». قَالَتْ: مَعَاذَ اللَّهِ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَفْعَلَ ذَلِكَ بَكَ، فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَوَدِّي الْأَمَانَةَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتُصَدِّقُ الْحَدِيثَ. فَلَمَّا دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَيْسَ [عِنْدَهَا] رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ ذَكَرَتْ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَهُ ذَلِكَ فَقَالَتْ: يَا عَتِيقُ أَذْهَبَ مَعَ مُحَمَّدٍ إِلَى وَرَقَةَ فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ. فَقَالَ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ. فَقَالَ: «وَمَنْ أَخْبَرَكَ؟» قَالَ: خَدِيجَةُ، فَانْطَلَقَا إِلَيْهِ فَقَصَّصَا عَلَيْهِ فَقَالَ: «إِنِّي إِذَا خَلَوْتُ وَخَدِي سَمِعْتُ



نَدَاءَ خَلْفِي: يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ فَانْطَلِقْ هَارِبًا فِي الْأَرْضِ»، فَقَالَ لَهُ: لَا تَفْعَلْ إِذَا أَتَاكَ فَانْتَبْتُ حَتَّى تَسْمَعَ مَا يَقُولُ لَكَ. ثُمَّ اثْنِي، فَأَخْبَرَنِي، فَلَمَّا خَلَا نَادَاهُ يَا مُحَمَّدُ قُلْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. حَتَّى بَلَغَ وَلَا الضَّالِّينَ. قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَأَتَى وَرَقَةَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ أَبْشِرْ ثُمَّ أَبْشِرْ فَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ ابْنُ مَرْيَمَ، وَأَنَّكَ عَلَى مِثْلِ نَامُوسِ النَّبِيِّ مُوسَى عليه السلام، وَأَنَّكَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَأَنَّكَ سَتُؤَمِّرُ بِالْجِهَادِ بَعْدَ يَوْمِكَ هَذَا. وَلَئِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ لِأَجَاهِدَنَّ مَعَكَ. فَلَمَّا تَوَفَّى وَرَقَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتَ الْقَسَّ فِي الْجَنَّةِ وَعَلَيْهِ ثِيَابُ الْحَرِيرِ لِأَنَّهُ آمَنَ بِي وَصَدَّقَنِي»، يَعْنِي: وَرَقَةَ وَفِي رَوَايَةٍ يُؤْنَسُ أَيْضًا أَنَّهُ عليه السلام قَالَ لِرَجُلٍ سَبَّ وَرَقَةَ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنِّي رَأَيْتُ لَوْرَقَةَ جَنَّةٍ أَوْ جَنَّتَيْنِ»، وَهَذَا الْحَدِيثُ الْأَخِيرُ قَدْ أَسْنَدَهُ الْبَزَّازُ.

لَقَدْ خَشِيتَ عَلَى نَفْسِي:

فَصَلِّ: وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ لِلْسَيِّدَةِ خَدِيجَةَ رضي الله عنها: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، وَتَكَلَّمَ الْعُلَمَاءُ فِي مَعْنَى هَذِهِ الْخَشْيَةِ بِأَقْوَالٍ كَثِيرَةٍ فَذَهَبَ أَبُو بَكْرٍ الْإِسْمَاعِيلِيُّ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْخَشْيَةَ كَانَتْ مِنْهُ قَبْلَ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ الْعِلْمُ بِأَنَّ الَّذِي جَاءَهُ مَلَكٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَانَ أَشَقَّ شَيْءٍ عَلَيْهِ أَنْ يُقَالَ عَنْهُ مَجْنُونٌ وَلَمْ يَرِ الْإِسْمَاعِيلِيُّ أَنَّ هَذَا مُحَالٌ فِي مَبْدَأِ الْأَمْرِ لِأَنَّ الْعِلْمَ الضَّرُورِيَّ قَدْ لَا يَحْصُلُ دَفْعَةً وَاحِدَةً وَضَرَبَ مَثَلًا بِالْبَيْتِ مِنَ الشَّعْرِ تَسْمَعُ أَوَّلَهُ فَلَا تَدْرِي أَنْظِمَ هُوَ أَمْ نَثَرَ فَإِذَا اسْتَمَرَّ الْإِنْشَادُ عَلِمْتَ قَطْعًا أَنَّهُ قَصَدَ بِهِ قَصْدَ الشَّعْرِ كَذَلِكَ لَمَّا اسْتَمَرَّ الْوَحْيُ وَافْتَرَنْتَ بِهِ الْفَرَائِنَ الْمُقْتَضِيَةَ لِلْعِلْمِ الْقَطْعِيِّ حَصَلَ الْعِلْمُ الْقَطْعِيُّ، وَقَدْ أَتَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِهَذَا الْعِلْمِ فَقَالَ: (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ) إِلَى قَوْلِهِ (وَمَلَأْنَاهُ كُتُبَهُ وَرُسُلَهُ) [البقرة الآية ٢٨٥] فَأَيَّاهُ بِاللَّهِ وَبِمَلَأْنَاهُ إِيْمَانًا كَسْبِيٍّ مُوْعُودٌ عَلَيْهِ بِالثَّوَابِ الْجَزِيلِ كَمَا وَعَدَ عَلَى سَائِرِ أَفْعَالِهِ الْمُكْتَسِبَةِ كَانَتْ مِنْ أَفْعَالِ الْقَلْبِ أَوْ أَفْعَالِ الْجَوَارِحِ وَقَدْ قِيلَ فِي قَوْلِهِ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» أَيُّ خَشْيَةٍ أَلَّا أَنْهَضَ بِأَعْبَاءِ النَّبَوَّةِ وَأَنَّ أَضْعَفَ عَنْهَا، ثُمَّ أزال الله خَشْيَتَهُ وَرَزَقَهُ الْإَيْدَ وَالْقُوَّةَ وَالثَّبَاتَ وَالْعِصْمَةَ وَقَدْ قِيلَ



إِنَّ خَشْيَتَهُ كَانَتْ مِنْ قَوْمِهِ أَنْ يَقْتُلُوهُ وَلَا غُرُوَ فَإِنَّهُ بَشَرٌ يَخْشَى مِنَ الْقَتْلِ وَالْإِذَايَةِ الشَّدِيدَةَ مَا يَخْشَاهُ الْبَشَرُ ثُمَّ يَهْوَنُ عَلَيْهِ الصَّبْرُ فِي ذَاتِ اللَّهِ كُلِّ خَشْيَةٍ وَيَجْلِبُ إِلَى قَلْبِهِ كُلِّ شَجَاعَةٍ وَقُوَّةٍ وَقَدْ قِيلَ فِي مَعْنَى الْخَشْيَةِ أَقْوَالٌ غَيْرُ هَذِهِ رَغِبْتُ عَنِ التَّطْوِيلِ بِذِكْرِهَا.

حُبُّ الرَّسُولِ ﷺ وَطَنُهُ:

بَقِيَّةٌ مِنْ حَدِيثٍ وَرَقَةٍ وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: لَتَكْذِبَنَّهُ فَلَمْ يَقُلْ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ وَلَتَوَدِّيَنَّهُ فَلَمْ يَقُلْ لَهُ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ وَلَتَخْرَجَنَّهُ فَقَالَ: «أَوْخَرَجِي هُم؟» فِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى حُبِّ الْوَطَنِ وَشِدَّةِ مُفَارَقَتِهِ عَلَى النَّفْسِ وَأَيْضًا فَإِنَّهُ حَرَّمَ اللَّهُ وَجَوَارِ بَيْتِهِ وَبَلَدَهُ أَبِيهِ إِسْمَاعِيلَ فَلِذَلِكَ تَحَرَّكَ نَفْسُهُ عِنْدَ ذِكْرِ الْخُرُوجِ مِنْهُ مَا لَمْ تَتَحَرَّكْ قَبْلَ ذَلِكَ فَقَالَ «أَوْخَرَجِي هُم؟» وَالْمَوْضِعُ الدَّالُّ عَلَى تَحَرُّكِ النَّفْسِ وَتَحَرُّقِهَا إِذْ خَالَ الْوَاوُ بَعْدَ أَلِفِ الْإِسْتِفْهَامِ مَعَ اخْتِصَاصِ الْإِخْرَاجِ بِالسُّؤَالِ عَنْهُ وَذَلِكَ أَنَّ الْوَاوُ تُرَدُّ إِلَى الْكَلَامِ الْمُتَقَدِّمِ وَتُشْعِرُ الْمُخَاطَبَ بِأَنَّ الْإِسْتِفْهَامَ عَلَى جِهَةِ الْإِنْكَارِ أَوْ التَّفَجُّعِ لِكَلَامِهِ أَوْ التَّأَلُّمِ مِنْهُ.

ذِكْرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ:

فَضْلٌ: وَذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنٍ بْنُ حَسَنٍ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَقَوْلُهُ حَدَّثَنِي أُمِّي فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ أَنَّ السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ ؓ أَدَخَلَتْهُ بَيْنَ ثَوْبَيْهَا. الْحَدِيثُ، عَبْدُ اللَّهِ هَذَا هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنٍ بْنُ حَسَنٍ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَأُمُّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ أُخْتُ سَكِينَةَ وَأَسْمُهَا: أَمَنَةُ وَسَكِينَةُ لَقَبٌ لَهَا ... وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنٍ هُوَ وَالِدُ الطَّالِبِيِّنَ الْقَائِمِينَ عَلَى بَنِي الْعَبَّاسِ وَهُمْ مُحَمَّدٌ وَيَحْيَى وَإِدْرِيسُ مَاتَ إِدْرِيسُ بِإِفْرِيقِيَّةٍ فَارًّا مِنَ الرَّشِيدِ وَمَاتَ مَسْمُومًا فِي دُلَاعَةٍ أَكَلَهَا.

فَرَضُ الصَّلَاةِ:

وَذَكَرَ حَدِيثَ غُرُوزَةٍ عَنْ عَائِشَةَ فُرِضَتْ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ فَرِيدٍ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ وَأَقْرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ وَذَكَرَ الْمُرْنِيَّ أَنَّ الصَّلَاةَ قَبْلَ الْإِسْرَاءِ كَانَتْ صَلَاةً قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ وَصَلَاةً قَبْلَ طُلُوعِهَا، وَيَشْهَدُ لِهَذَا الْقَوْلِ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ





بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) [غافر: ٥٥]. وَقَالَ يَحْيَى بْنُ سَلَامٍ مِثْلُهُ وَقَالَ كَانَ الْإِسْرَاءُ وَفُرْصُ الصَّلَوَاتِ الْخُمْسِ قَبْلَ الْهَجْرِ بِعَامٍ فَعَلَى هَذَا يُحْتَمَلُ قَوْلُ عَائِشَةَ: فَزِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ أَيُّ زَيْدٍ فِيهَا حِينَ أُكْمِلَتْ خُمْسًا، فَتَكُونُ الزِّيَادَةُ فِي الرُّكْعَاتِ وَفِي عَدَدِ الصَّلَوَاتِ وَيَكُونُ قَوْلُهَا: فُرِضَتْ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ أَيُّ قَبْلَ الْإِسْرَاءِ وَقَدْ قَالَ بِهَذَا طَائِفَةٌ مِنَ السَّلَفِ مِنْهُمْ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَيُجَوِّزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى قَوْلِهَا: فُرِضَتْ الصَّلَاةُ أَيُّ لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ حِينَ فُرِضَتْ الْخُمْسُ فُرِضَتْ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ زِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ بَعْدَ ذَلِكَ وَهَذَا هُوَ الْمُرَوِيُّ عَنْ بَعْضِ رَوَاةِ هَذَا الْحَدِيثِ عَنْ عَائِشَةَ وَمَنْ رَوَاهُ هَكَذَا الْحَسَنُ وَالشَّعْبِيُّ أَنَّ الزِّيَادَةَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ كَانَتْ بَعْدَ الْهَجْرَةِ بِعَامٍ أَوْ نَحْوِهِ وَقَدْ ذَكَرَهُ أَبُو عُمَرَ وَقَدْ ذَكَرَ الْبُخَارِيُّ مِنْ رَوَايَةِ مُعَمَّرٍ عَنِ الزَّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: فُرِضَتْ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَفُرِضَتْ أَرْبَعًا. هَكَذَا لَفْظُ حَدِيثِهِ وَهَاهُنَا سُؤَالٌ يُقَالُ هَلْ هَذِهِ الزِّيَادَةُ فِي الصَّلَاةِ نُسْخٌ أَمْ لَا؟ فَيُقَالُ أَمَّا زِيَادَةُ رَكْعَتَيْنِ أَوْ رَكْعَةٍ إِلَى مَا قَبْلُهَا مِنْ الرُّكُوعِ حَتَّى تَكُونَ صَلَاةً وَاحِدَةً فَنُسْخٌ لِأَنَّ النُّسْخَ رَفْعُ الْحُكْمِ وَقَدْ ارْتَفَعَ حُكْمُ الْإِجْزَاءِ مِنَ الرُّكْعَتَيْنِ وَصَارَ مَنْ سَلَّمَ مِنْهُمَا عَامِدًا أَفْسَدَهُمَا، وَإِنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ صَلَاتَهُ بَعْدَمَا سَلَّمَ وَتَحَدَّثَ عَامِدًا لَمْ يُجْزِهِ إِلَّا أَنْ يَسْتَأْنِفَ الصَّلَاةَ مِنْ أَوَّلِهَا، فَقَدْ ارْتَفَعَ حُكْمُ الْإِجْزَاءِ بِالنُّسْخِ وَأَمَّا الزِّيَادَةُ فِي عَدَدِ الصَّلَوَاتِ حِينَ أُكْمِلَتْ خُمْسًا بَعْدَمَا كَانَتْ اثْنَتَيْنِ فَيُسَمَّى نُسْخًا عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ، فَإِنَّ الزِّيَادَةَ عِنْدَهُ عَلَى النَّصِّ نُسْخٌ وَجُمْهُورُ الْمُتَكَلِّمِينَ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِنُسْخٍ وَلَا حَتَّاجِ الْفَرِيقَيْنِ مَوْضِعٌ غَيْرُ هَذَا.

الْوُضُوءُ:

فَصْلٌ: وَذَكَرَ نُزُولَ الْمَلِكِ جَبْرِيلَ ﷺ بِأَعْلَى مَكَّةَ حِينَ هَمَزَ لَهُ بِعَقْبِهِ فَانْبَعَجَ الْمَاءُ وَعَلِمَهُ الْوُضُوءُ وَهَذَا الْحَدِيثُ مَقْطُوعٌ فِي السَّيْرِ وَمِثْلُهُ لَا يَكُونُ أَضْلًا فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَلَكِنَّهُ قَدْ رُوِيَ مُسْنَدًا إِلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ -يَرْفَعُهُ- غَيْرَ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ الْمُسْنَدَ يَدُورُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ لَهِيْعَةَ وَقَدْ ضَعَّفَ وَلَمْ يُخْرِجْ عَنْهُ مُسْلِمٌ وَلَا الْبُخَارِيُّ؛ لِأَنَّهُ يُقَالُ إِنَّ كُتْبَهُ

اِحْتَرَقَتْ فَكَانَ يُحَدِّثُ مِنْ حِفْظِهِ وَكَانَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ يُحْسِنُ فِيهِ الْقَوْلَ وَيُقَالُ إِنَّهُ الَّذِي رَوَى عَنْهُ حَدِيثُ بَيْعِ الْعُرَبَانِ فِي الْمَوْطِئِ لِمَالِكٍ عَنِ الثَّقَّةِ عِنْدَهُ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، فَيُقَالُ إِنَّ الثَّقَّةَ هَاهُنَا ابْنُ لَهِيْعَةَ وَيُقَالُ إِنَّ ابْنَ وَهْبٍ حَدَّثَ بِهِ عَنْ ابْنِ لَهِيْعَةَ وَحَدِيثُ ابْنِ لَهِيْعَةَ هَذَا، أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو بَكْرٍ الْحَافِظُ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَرَبِيِّ قَالَ نَا أَبُو الْمُطَهْرِ سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الرَّجَاءِ عَنْ أَبِي نُعَيْمٍ الْحَافِظُ قَالَ نَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ الْعَطَّارُ قَالَ نَا الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ، قَالَ: نَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى عَنْ ابْنِ لَهِيْعَةَ عَنْ عُقَيْلِ بْنِ خَالِدٍ عَنِ الزَّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي أَوَّلِ مَا أَوْحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ ﷺ، فَعَلَّمَهُ الْوُضُوءَ فَلَمَّا فَرَعَ مِنَ الْوُضُوءِ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ فَنَضَحَ بِهَا فَرْجَهُ وَحَدَّثَنَا بِهِ أَيْضًا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ، عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْغَسَّانِيِّ عَنْ أَبِي عُمَرَ النَّمَرِيِّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ قَاسِمٍ عَنْ قَاسِمِ بْنِ أَصْبَغٍ، عَنْ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي أُسَامَةَ بِالإِسْنَادِ الْمُتَقَدِّمِ فَالْوُضُوءُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ مَكِّيٌّ بِالْفَرَضِ مَدَنِيٌّ بِالتَّلَاوَةِ لِأَنَّ آيَةَ الْوُضُوءِ مَدَنِيَّةٌ وَإِنَّمَا قَالَتْ عَائِشَةُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى آيَةَ التَّيَمُّمِ وَلَمْ تَقُلْ آيَةَ الْوُضُوءِ وَهِيَ هِيَ لِأَنَّ الْوُضُوءَ قَدْ كَانَ مَفْرُوضًا قَبْلَ غَيْرِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قُرْآنًا يُتْلَى، حَتَّى نَزَلَتْ آيَةُ الْمَائِدَةِ.

المصدر الرابع عشر:-

ابن الجوزي؛ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.



نص رواية ابن الجوزي

«بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَلَهُ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعُونَ سَنَةً وَيَوْمَ، فَأَتَاهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْلَةَ السَّبْتِ وَلَيْلَةَ الْأَحَدِ، ثُمَّ ظَهَرَ لَهُ بِالرَّسَالَةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِسَبْعِ عَشْرَةِ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ بِحَرَاءٍ، وَهُوَ أَوَّلُ مَوْضِعٍ نَزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ بِهِ نَزَلَ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) [سورة العلق الآيات ١ - ٥]. ثُمَّ فَحَصَ بَعْقِبَهُ الْأَرْضَ، فَنَبَعَ مِنْهَا مَاءٌ فَعَلِمَهُ الْوَضُوءَ وَالصَّلَاةَ، رَكَعَتَيْنِ.

وَرَوَى أَبُو قَتَادَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ، فَقَالَ: «ذَاكَ يَوْمٌ وَلَدَتْ فِيهِ، وَيَوْمٌ بَعِثْتُ فِيهِ». قَالَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ: وَاخْتَلَفُوا أَيَّ الْاِثْنَيْنِ كَانَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْوَالٍ أَحَدُهَا: لِسَبْعِ عَشْرَةِ [خَلَّتْ] مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ عَنْ ابْنِ الْبَرَاءِ. وَأَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا الْجَوْهَرِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ حَيَوِيَّةٍ قَالَ «أَخْبَرَنَا الْحَارِثُ قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ سَعْدٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا الْوَاقِدِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَبْرَةَ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فَرُوهَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ نَزَلَ الْمَلِكُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِحَرَاءٍ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِسَبْعِ عَشْرَةِ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ. الْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ لِأَرْبَعِ وَعَشْرِينَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ. رَوَاهُ قَتَادَةُ عَنْ أَبِي الْجَلَدِ. وَالثَّلَاثُ: لِثَمَانِ عَشْرَةِ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ. رَوَاهُ أَيُّوبُ، عَنْ أَبِي قَلَابَةَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ الْجَرْمِيِّ. وَالْقَوْلُ الرَّابِعُ: أَنَّهُ كَانَ فِي رَجَبٍ» (٦٤).

«أَخْبَرَنَا ابْنُ الْحُصَيْنِ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ بْنُ الْمَذْهَبِ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ حَنْبَلٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ: أَخْبَرَنَا مُعَمَّرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُروَةُ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبَّ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَأْتِي حِرَاءَ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِي ذَوَاتِ



الْعَدَدِ، وَيَتَرَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ عليها السلام فَتَرَوُّدُهُ بِمِثْلِهَا حَتَّى فَجَاءَهُ الْحَقُّ، وَهُوَ فِي غَارٍ حَرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلِكُ فِيهِ فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا أَنَا بِقَارِي. قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِي، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِي. فَأَخَذَنِي الثَّلَاثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ) [سورة العلق الآية: ١-٢] حَتَّى بَلَغَ (مَا لَمْ يَعْلَمْ) [الآية: ٥] فَرَجَعَ بِهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ عليها السلام فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَزَمِّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرُّوعُ، فَقَالَ: «يَا خَدِيجَةُ مَا لِي؟!» وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، قَالَ: قَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ لَهُ: كَلَّا أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ عليها السلام حَتَّى آتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ عليها السلام، وَكَانَ امْرَأً تَنْصَرُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ عليها السلام: أَيُّ ابْنِ عَمٍّ، اسْمِعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ وَرَقَةُ: يَا بَنَ أَخِي مَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ [الْأَكْبَرُ] الَّذِي نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ مُوسَى عليه السلام، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جِذْعًا أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْ مَخْرَجِي هُمْ؟» قَالَ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ [قَطُّ] بِمِثْلِ مَا جِئْتُ بِهِ إِلَّا عُودِي، فَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوْفِيَ. وَفَتَرَ الْوَحْيُ فِتْرَةً حَتَّى حَزَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيمَا بَلَغْنَا حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كِي يَتَرَدَّى مِنْ رُؤُوسِ [شَوَاهِقِ] الْجِبَالِ فَكَلِمًا أَوْفَى بِذُرْوَةِ جَبَلٍ كَيْ يُلْقِي نَفْسَهُ مِنْهُ تَبَدَّى لَهُ الْمَلِكُ جِبْرِيلُ عليه السلام فَقَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ حَقًّا. فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأَشُهُ وَتَقَرُّ نَفْسُهُ، فَيَرْجِعُ، فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فِتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا بِمِثْلِ ذَلِكَ، فَإِذَا أَوْفَى بِذُرْوَةِ تَبَدَّى لَهُ الْمَلِكُ جِبْرِيلُ عليه السلام فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ» (٦٥).

أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْأَوَّلِ بْنُ عِيسَى قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْمُظَفَّرِ قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ أَعِينَ قَالَ: أَخْبَرَنَا





الْفَرَبْرِئِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْبَخَارِيُّ قَالَهُ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكْرٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ (رضوان الله تعالى عليه) قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ، فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ [جَالِسٌ] عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَجِثْتُ مِنْهُ رُغْبًا، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَدَثَّرُونِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ عِزَّ وَجَل (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) [المدثر: ١]. قَالَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ: «هَذَا حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ، وَالَّذِي قَبْلَهُ». وَقَدْ رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي حَكِيمٍ مَوْلَى الزُّبَيْرِ أَنَّهُ حَدَّثَ عَنِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَا يُثَبِّتُهُ فِيمَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ (عِزَّ وَجَلَّ) بِهِ مِنْ نُبُوته: يَا بَنَ عَمِّ، أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُخْبِرَنِي بِصَاحِبِكَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ إِذَا جَاءَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: فَإِذَا جَاءَكَ فَأَخْبِرَنِي بِهِ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ جِبْرِيلُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: يَا خَدِيجَةُ، هَذَا جِبْرِيلُ. قَالَتْ: فَقَمِ فَاجْلِسْ إِلَى فَخْذِي الْيُسْرَى فَقَامَ فَجَلَسَ فَقَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَتَحَوَّلْ إِلَى فَخْذِي الْيُمْنَى، فَتَحَوَّلَ فَقَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: فَتَحَوَّلْ فَاجْلِسْ فِي حِجْرِي. فَجَلَسَ فَقَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَلْقَتْ خِمَارَهَا وَقَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: لَا. قَالَتْ: يَا بَنَ عَمِّ اثْبُتْ وَأَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَلَكٌ وَمَا هُوَ بِشَيْطَانٍ» (٦٦).

«أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الْبَاقِيِّ الْبَرَّازُ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرِو بْنُ حَيَوِيَةَ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَعْرُوفٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ بِالْحُجُونِ وَهُوَ مُكْتَتَبٌ حَزِينٌ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ ارْنِي [الْيَوْمَ] آيَةً لَا أُبَالِي مِنْ كَذَّبَنِي بَعْدَهَا مِنْ قَوْمِي»، فَإِذَا شَجَرَةٌ مِنْ قَبْلِ عَقَبَةِ الْمَدِينَةِ فَنَادَاهَا فَجَاءَتْ تَشُقُّ الْأَرْضَ حَتَّى انْتَهَتْ إِلَيْهِ، فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمَرَهَا فَرَجَعَتْ. فَقَالَ: «مَا أُبَالِي مِنْ كَذَّبَنِي بَعْدَهَا مِنْ قَوْمِي». أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ

السَّمَاءُ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الطَّيِّبِ قَالَ: أَخْبَرَنَا عُثْمَانُ بْنُ يُوسُفَ الْعَلَّافُ: أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ سَلْمَانَ النَّجَّادُ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ وَأَبُو رَبِيعَةَ وَدَاوُدُ بْنُ شَيْبٍ قَالُوا: أَخْبَرَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ رَافِعٍ، عَنْ عُمَرَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْحُجُونِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ ارْنِي آيَةً لَا أَبَالِي مِنْ كَذْبَنِي بَعْدَهَا مِنْ قُرَيْشٍ، فَقِيلَ لَهُ: ادْعُ هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَدَعَاَهَا فَأَقْبَلَتْ تَجُرُّ عُرُوقَهَا تَقْطَعُهَا، ثُمَّ أَقْبَلَتْ تَجُرُّ الْأَرْضَ [حَتَّى] وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَتْ: مَا تَشَاءُ؟ مَا تُرِيدُ؟ قَالَ: «ارْجِعِي إِلَى مَكَانِكَ»، فَرَجَعَتْ إِلَى مَكَانِهَا، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَبَالِي مِنْ كَذْبَنِي مِنْ قُرَيْشٍ» (٦٧).

فصل:

«قَالَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ وَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي مَنْ كَانَ قَرِينُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَدَّةَ نُبُوَّتِهِ. فَأَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ الْبَزَّازُ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرِو بْنُ حَيَوِيَّةٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَعْرُوفٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أَسَامَةَ قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا يَعْلَى بْنُ أَسِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا وَهَيْبُ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ عَامِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْزَلَتْ عَلَيْهِ النُّبُوَّةُ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَكَانَ مَعَهُ الْمَلِكُ إِسْرَافِيلُ (عليه السلام) ثَلَاثَ سِنِينَ. ثُمَّ عَزَلَ عَنِ الْمَلِكِ إِسْرَافِيلَ (عليه السلام) وَقَرْنَ بِهِ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ (عليه السلام) عَشْرَ سِنِينَ بِمَكَّةَ، وَعَشْرَ سِنِينَ مَهَاجِرَهُ بِالْمَدِينَةِ. قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: فَذَكَرْتُ هَذَا الْحَدِيثَ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو فَقَالَ: لَيْسَ يَعْرِفُ أَهْلُ الْعِلْمِ بِلِدْنِ أَنْ الْمَلِكِ إِسْرَافِيلَ (عليه السلام) قَرْنَ بِالنَّبِيِّ ﷺ فَإِنْ عَلِمَاءُهُمْ وَأَهْلُ السُّتْرِ [مِنْهُمْ] يَقُولُونَ: لَمْ يَقَرْنَ بِهِ غَيْرُ الْمَلِكِ جَبْرِيلَ (عليه السلام) مِنْ حِينَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ بِالْوَحْيِ إِلَى أَنْ قَبِضَ ﷺ» (٦٨).



فصل:

«فأما صفة نزول الوحي عليه ﷺ فَأَخْبَرَنَا عَبْدُ الْأَوَّلِ قَالَ: أَخْبَرَنَا الْمُظَفَّرُ قَالَ: أَخْبَرَنَا ابن أعين قال: أَخْبَرَنَا الفريري قال: أَخْبَرَنَا الْبُخَارِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي فِي مِثْلِ صَلَافَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ فَيَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتِمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيَكَلِّمُنِي فَأَعْيِي مَا يَقُولُ». قَالَتْ عَائِشَةُ: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَنْفَضُّ عَرَقًا. قَالَ مُؤَلَّفُهُ: «أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ». وفيهما: من حديث يعلى بن أمية: أنه كان يقول لعمر: ليتني أرى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حين ينزل عليه الوحي، فلما كان النبي ﷺ بالجعرانة جاءه رجل فسأله عَنْ شَيْءٍ فَجَاءَهُ الْوَحْيُ، فَأَشَارَ عُمَرُ إِلَى يَعْلَى أَنْ تَعَالَ، فَجَاءَ يَعْلَى فَأَدْخَلَ رَأْسَهُ، فَإِذَا هُوَ مُحْمَرُ الْوَجْهِ يَغْطِي كَذَلِكَ سَاعَةً، ثُمَّ سَرِي عَنْهُ. [وَقَدْ] أَخْبَرَنَا ابْنُ الْحَصِينِ قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ الْمَذْهَبِ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو النَّضْرِ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ قَالَ: أَخْبَرَنَا شَهْرٌ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِفِنَاءٍ بَيْنَهُ بِمَكَّةَ جَالِسٌ إِذْ مَرَّ بِهِ عُثْمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ فَتَكَشَّرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: «أَلَا تَجْلِسُ» قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَجَلَسَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَقْبَلُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُحَدِّثُهُ إِذْ شَخَّصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ فَنَظَرَ سَاعَةً إِلَى السَّمَاءِ، فَأَخَذَ يَضَعُ بَصَرَهُ حَتَّى وَضَعَهُ عَلَى يَمِينِهِ فِي الْأَرْضِ فَتَحَرَّفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ جَلِيسِهِ عُثْمَانَ إِلَى حَيْثُ وَضَعَ بَصَرَهُ، وَأَخَذَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ كَأَنَّهُ يَسْتَفْقَهُ، مَا يَقُولُ لَهُ وَابْنُ مَطْعُونٍ [يَنْظُرُ] فَلَمَّا قَضَى حَاجَتَهُ وَاسْتَفْقَهُ مَا يُقَالُ لَهُ شَخَّصَ بَصَرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ كَمَا شَخَّصَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَاتَّبَعَهُ بَصَرُهُ حَتَّى تَوَارَى فِي السَّمَاءِ، فَأَقْبَلَ عُثْمَانُ بِجِلْسَتِهِ الْأُولَى فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فِيمَا كُنْتُ أَجَالِسُكَ وَآتِيكَ، وَمَا رَأَيْتُكَ تَفْعَلُ كَفَعْلِكَ الْغَدَاةَ! قَالَ لَهُ: «وَمَا رَأَيْتَنِي فَعَلْتُ؟» قَالَ:



رَأَيْتَكَ تَشْخَصُ بِبَصَرِكَ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ وَضَعْتُهُ حَيْثُ وَضَعْتُهُ عَلَى يَمِينِكَ فَتَحَرَّفَتْ إِلَيْهِ وَتَرَكْتَنِي، فَأَخَذَتْ تَنْفِضُ رَأْسَكَ كَأَنَّكَ تَسْتَفْقَهُ شَيْئًا يُقَالُ لَكَ. قَالَ: «وَفَطِنْتَ لِدَلِكْ؟» قَالَ عُثْمَانُ: نَعَمْ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ أَنْفًا وَأَنْتَ جَالِسٌ، قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [النحل: ٩٠]. قَالَ عُثْمَانُ: فَذَلِكَ حِينَ اسْتَقَرَّ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِي وَأَحْبَبْتُ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ حَيَوِيَّةٍ قَالَ أَخْبَرَنَا بِإِسْنَادِهِ. وَقَالَ أَبُو أَرْوَى الدَّوْسِيُّ: رَأَيْتُ الْوَحْيَ يَنْزِلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنَّهُ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَتَرَعُو وَتَفْتَلُ يَدَيْهَا حَتَّى أَظُنُّ أَنَّ ذِرَاعَهَا يَنْفِصُمُ، فَرُبَّمَا بَرَكَتٌ وَرُبَّمَا قَامَتْ مُؤَدَّةً يَدَيْهَا، حَتَّى يُسْرَى مِنْ ثِقَلِ الْوَحْيِ، وَإِنَّهُ لَيَنْحَدِرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ. رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ (٦٩).

ملاحظات على الروايات الشفاهية التي وردت في مؤلفات المرحلة التاريخية الأولى

ومصادرها

نلاحظ أن المصدرين اللذين تقدم ذكرهما، السهيلي في كتابه الذي هو شرح لما جاء في سيرة ابن هشام على وجه التحديد من دون الإشارة إلى سيرة ابن إسحاق الأصلية، أو تلك التي هي من رواية يونس بن بكير «الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام»، وابن الجوزي في كتابه التاريخي الشامل حتى عصر مؤلفه «المنتظم»، قد وقفا وقفات مهمة على الشرح، بالإضافة لمعلومات هنا وهناك بهدف توضيح بعض الغموض في متن الرواية المتعلقة بنزول أول الآيات الكريمة على قلب رسول الله ﷺ. وأن عددا من شروح السهيلي وإضافته هي مفيدة جدا، نظير وقفته التي يهدف من ورائها إلى تحديد التناقض في رواية عائشة عن النوم واليقظة، فهو يقول: «بَلْ فِي حَدِيثِ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ مَا يَدُلُّ ظَاهِرُهُ عَلَى أَنَّ نَزُولَ الْمَلِكِ جِبْرِيلَ ﷺ حِينَ نَزَلَ بِسُورَةِ أَقْرَأَ كَانَ



فِي الْيَقِظَةِ لِأَنَّهَا قَالَتْ فِي أَوَّلِ الْحَدِيثِ أَوَّلَ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ. فَذَكَرَتْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الرُّؤْيَا كَانَتْ قَبْلَ نُزُولِ الْمَلِكِ جَبْرِيلَ ﷺ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِالْقُرْآنِ وَقَدْ يُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلَ ﷺ فِي الْمَنَامِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ فِي الْيَقِظَةِ تَوَظُّعًا وَتَنَسُّيرًا عَلَيْهِ وَرَفَقًا بِهِ لِأَنَّ أَمْرَ النَّبِيِّ عَظِيمٌ وَعِبْرَتُهَا ثَقِيلَةٌ وَالْبَشَرُ ضَعِيفٌ، فَالسَّهْلِيُّ هَاهُنَا يَحَاوِلُ تَرْقِيعَ الثَّلْمَةِ الْمَهْمَةِ جَدًّا فِي نُزُولِ الْمَلِكِ جَبْرِيلَ بآيات سورة العلق.

ونرى السهيلي يرتأي حالة مهمة في تفسير معنى (أقرأ)، إذ يعقب على هذه النقطة بقوله: «وَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ الْمَلِكَ جَبْرِيلَ ﷺ أَتَاهُ بِنَمَطٍ مِنْ دِيَاغٍ فِيهِ كِتَابٌ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (الْمَ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ) [البقرة: ١، ٢] إِنَّهَا إِشَارَةٌ إِلَى الْكِتَابِ الَّذِي جَاءَهُ بِهِ الْمَلِكُ جَبْرِيلَ ﷺ حِينَ قَالَ اقْرَأْ، وَفِي الْآيَةِ أَقْوَالٌ غَيْرُ هَذِهِ مِنْهَا: أَنَّهَا إِشَارَةٌ إِلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ ﴿الْم﴾؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْحُرُوفُ الْمُقْطَعَةُ تَضَمَّنَتْ مَعَانِي الْكِتَابِ كُلِّهِ فَهِيَ كَالترجمة له». كذلك فالسهيلي حاول بنجاح أن يرفع ما ورد في رواية عروة + عائشة بما له علاقة بقولهما إن ورقة ضرب لرسول الله ﷺ مثالا بالناموس الذي نزل على النبي موسى ﷺ في حين إن الرواية قد أشارت الى أنه كان نصرانيا فقال: «لَمْ ذَكَرَ النَّبِيُّ مُوسَى وَلَمْ يَذْكُرِ النَّبِيُّ عِيسَى ﷺ؟ وَإِنَّمَا ذَكَرَ وَرَقَةَ مُوسَى وَلَمْ يَذْكُرِ عِيسَى، وَهُوَ أَقْرَبُ لِأَنَّ وَرَقَةَ كَانَ قَدْ تَنَصَّرَ وَالنَّصَارَى لَا يَقُولُونَ فِي النَّبِيِّ عِيسَى ﷺ: إِنَّهُ نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْمَلِكُ جَبْرِيلَ ﷺ إِنَّهَا يَقُولُونَ فِيهِ إِنَّ أَقْنُومًا مِنَ الْأَقَانِيمِ الثَّلَاثَةِ اللَّاهُوتِيَّةِ حَلَّ بِنَاسُوتِ الْمَسِيحِ ﷺ وَاتَّحَدَ بِهِ عَلَى اخْتِلَافٍ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ الْحُلُولِ وَهُوَ أَقْنُومُ الْكَلِمَةِ» (٧١).

وابن الجوزي كذلك هياً فصولاً للتعقيب على بعض ما أورده عروة بن الزبير، لكن مع فارق بين ألا وهو تعصبه لرواية عروة + عائشة، إذ يعقب على مسألة زملوني ونزول سورة العلق وما حلَّ برسول الله من الفزع والخوف قائلا: «هَذَا حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَى



صِحَّتِهِ، وَالَّذِي قَبْلَهُ»، ويقصد سورة (اقرأ) و(سورة المدثر). وابن الجوزي عند تطرقه لمسألة نزول القرآن الكريم تجنب ذكر رواية الإمام الباقر عليه السلام التي رواها محمد بن عمر الأسلمي، عن أبي جعفر الباقر قال: كان ابتداء الوحي إلى رسول الله ﷺ يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، مما قد يؤشر إلى تعصبه المذهبي.

المرحلة الثانية للرواة الشفاهيين من القرن السابع الهجري

المصدر الخامس عشر:-

الكامل في التاريخ، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين بن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

نص رواية ابن الأثير

ذَكَرُ الْوَقْتُ الَّذِي أُرْسِلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

«بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ لِعِشْرِينَ سَنَةً مَضَتْ مِنْ مُلْكِ كِسْرَى أَبَرْوِيزَ بْنِ هُرْمُزَ بْنِ أُنُوشِرَوَانَ، وَكَانَ عَلَى الْحِيرَةِ إِيَّاسُ بْنُ قَبِيصَةَ الطَّائِيَّ عَامِلًا لِلْفُرسِ عَلَى الْعَرَبِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مِنْ رَاوِيَةِ حَمْزَةَ وَعَكْرَمَةَ عَنْهُ وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ بُعِثَ وَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً». وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مِنْ رَاوِيَةِ عَكْرَمَةَ أَيْضًا عَنْهُ وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ: إِنَّهُ «أُنْزِلَ عَلَيْهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً». وَكَانَ نَزُولُ الْوَحْيِ عَلَيْهِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ بَلَا خِلَافٍ. وَاخْتَلَفُوا فِي أَيِّ الْاِثْنَيْنِ كَانَ ذَلِكَ، فَقَالَ أَبُو قَلَابَةَ الْجَزْمِيُّ: أُنْزِلَ الْفُرْقَانُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ لِثَمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَ ذَلِكَ لِتِسْعِ عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ.

وَكَانَ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ لَهُ جِبْرَائِيلُ عليه السلام يَرَى وَيُعَايِنُ أَثَارًا مِنْ أَثَارِ مَنْ يُرِيدُ اللَّهُ إِكْرَامَهُ فَضْلِهِ. وَكَانَ مِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتُ مِنْ شَقِّ الْمَلَكَيْنِ بَطْنَهُ وَاسْتِخْرَاجِهِمَا مَا فِي قَلْبِهِ مِنْ



الْغُلِّ وَالْدَّنَسِ. وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ لَا يُمَرُّ بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ، فَكَانَ يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَلَا يَرَى أَحَدًا، وَكَانَتِ الْأُمَمُ تَتَحَدَّثُ بِمَبْعَثِهِ وَتُخْبِرُ عُلَمَاءُ كُلِّ أُمَّةٍ قَوْمَهَا بِذَلِكَ» (٧٢).

«قَالَ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ: سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ يَقُولُ: إِنَّا لَنَنْتَظِرُ نَبِيًّا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلَا أَرَانِي أُدْرِكُهُ، وَأَنَا أَوْ مِنْ بِهِ وَأُصَدِّقُهُ وَأَشْهَدُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ وَرَأَيْتَهُ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ، وَسَاخِرُكَ مَا نَعْتُهُ حَتَّى لَا يَخْفَى عَلَيْكَ. قُلْتُ: هَلَمْ. قَالَ: هُوَ رَجُلٌ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ، وَلَا بِكَثِيرِ الشَّعْرِ وَلَا بِقَلِيلِهِ، وَلَا يُفَارِقُ عَيْنَهُ حُمْرَةٌ، وَخَاتَمُ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَاسْمُهُ أَحْمَدُ، وَهَذَا الْبَلَدُ مَوْلَدُهُ وَمَبْعَثُهُ، ثُمَّ يُخْرِجُهُ قَوْمُهُ وَيَكْرَهُونَ مَا جَاءَ بِهِ، وَيُهَاجِرُونَ إِلَى يَثْرِبَ فَيُظْهِرُ بِهَا أَمْرَهُ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَخْدَعَ عَنْهُ، فَإِنِّي طُفْتُ الْبِلَادَ كُلَّهَا أَطْلُبُ دِينَ إِبْرَاهِيمَ فَكُلُّ مَنْ أَسْأَلُهُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ يَقُولُ: هَذَا الدِّينُ وَرَاءَكَ، وَيَنْعَتُونَهُ مِثْلَ مَا نَعْتُهُ لَكَ، وَيَقُولُونَ: لَمْ يَبْقَ نَبِيٌّ غَيْرُهُ. قَالَ عَامِرٌ: فَلَمَّا أَسْلَمْتُ أَخْبَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَوْلَ زَيْدٍ وَأَقْرَأْتُهُ السَّلَامَ. فَرَدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ: «قَدْ رَأَيْتُهُ فِي الْجَنَّةِ يَسْحَبُ ذُبُولًا». وَقَالَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ صَنْمِ بَبُوَانَةَ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَهْرِ. نَحْرُنَا جَزُورًا، فَإِذَا صَائِحٌ يَصِيحُ مِنْ جَوْفِ الصَّنَمِ: اسْمَعُوا إِلَى الْعَجَبِ، ذَهَبَ اسْتِرَاقُ الْوَحْيِ، وَنَزَمَى بِالشُّهْبِ، لِنَبِيِّ بِمَكَّةَ اسْمُهُ أَحْمَدُ، مُهَاجِرُهُ إِلَى يَثْرِبَ. قَالَ: فَأَمْسَكْنَا وَعَجَبْنَا، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَالْأَخْبَارُ عَنْ دَلَائِلِ نُبُوَّتِهِ كَثِيرَةٌ، وَقَدْ صَنَّفَ الْعُلَمَاءُ فِي ذَلِكَ كُتُبًا كَثِيرَةً ذَكَرُوا فِيهَا كُلَّ عَجِيبَةٍ، لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُ ذِكْرِهَا» (٧٣).

ذِكْرُ ابْتِدَاءِ الْوَحْيِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ

«قَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ أَوَّلَ مَا ابْتَدَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ، كَانَتْ تَحِيُّ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَانَ بَغَارَ حِرَاءٍ يَتَعَبَّدُ فِيهِ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى فَجَاءَ الْحَقُّ، فَاتَاهُ جِبْرَائِيلُ ﷺ فَقَالَ: يَا



مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَجَثَوْتُ لِرُكْبَتِي ثُمَّ رَجَعْتُ تَرْجُفُ بَوَادِرِي، فَدَخَلْتُ عَلَى خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي! ثُمَّ ذَهَبَ عَنِّي الرَّوْعُ، ثُمَّ أَتَانِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ: فَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَطْرَحَ نَفْسِي مِنْ حَالِقٍ، فَتَبَدَّى لِي حِينَ هَمَمْتُ بِذَلِكَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَنَا جَبْرَائِيلُ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: أَقْرَأْ. قُلْتُ: وَمَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَتَّنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ قَالَ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) [العلق: ١]، فَقَرَأْتُ. فَاتَيْتُ خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: لَقَدْ أَشْفَقْتُ عَلَى نَفْسِي، وَأَخْبَرْتُهَا خَبْرِي، فَقَالَتْ: أَبَشِّرْ، فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتُقِرِّي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ بِي إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، وَهُوَ ابْنُ عَمَّتِي، وَكَانَ قَدْ تَنَصَّرَ، وَقَرَأَ الْكُتُبَ، وَسَمِعَ مِنْ أَهْلِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، فَقَالَتْ: اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ. فَسَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ خَبْرِي. فَقَالَ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عليه السلام، لَيْتَنِي كُنْتُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. قُلْتُ: أَخْرِجَنِي هُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّهُ لَمْ يَحْيَ أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا جِئْتُ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَلَئِنْ أَدْرَكَنِي يَوْمُكَ لَأَنْصُرَنَّكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ إِنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ بَعْدَ أَقْرَأَ (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) [القلم: ١] و(يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) [المدثر: ١]، و(وَالضُّحَى) [الضحى: ١].

«وَقَالَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ عليها السلام لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: فِيمَا تَثْبُتُهُ فِيمَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ نُبُوَّتِهِ: يَا بَنَ عَمِّ أَسْتَطِيعُ أَنْ تُخْبِرَنِي بِصَاحِبِكَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ إِذَا جَاءَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَجَاءَهُ جَبْرَائِيلُ عليه السلام، فَأَعْلَمَهَا. فَقَالَتْ: فَمَنْ فَاجْلِسْ عَلَى فَخْذِي الْيُسْرَى، فَقَامَ عليه السلام فَجَلَسَ عَلَيْهَا. فَقَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: فَتَحَوَّلْ فَاقْعُدْ عَلَى فَخْذِي الْيُمْنَى. فَجَلَسَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَتَحَسَّرَتْ فَأَلْقَتْ خِمَارَهَا، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حِجْرِهَا، ثُمَّ قَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: لَا. قَالَتْ: يَا بَنَ عَمِّ اثْبُتْ وَأَبَشِّرْ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ مَلَكٌ، وَمَا هُوَ بِشَيْطَانٍ!» (٧٤).

«وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ: سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ عَنْ أَوَّلِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ، قَالَ: نَزَلَتْ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) [المدثر: ١] أَوَّلُ. قَالَ: قُلْتُ: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) [العلق: ١].



قَالَ: سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ (رضوان الله تعالى عليه) قَالَ: لَا أَحَدُثُكَ إِلَّا مَا حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: جَاوَزْتُ بَحْرَاءَ فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي هَبَطْتُ فَسَمِعْتُ صَوْتًا، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرِ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ عَنْ يَسَارِي فَلَمْ أَرِ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ خَلْفِي وَأَمَامِي فَلَمْ أَرِ شَيْئًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا هُوَ -يَعْنِي الْمَلَكُ- جَالِسٌ عَلَى عَرْشٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَخَشِيتُ مِنْهُ، فَاتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي دَثِّرُونِي، وَصُبُّوا عَلَيَّ مَاءً فَفَعَلُوا، فَزَلَّتْ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) [المدثر: ١]، هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ. قَالَ هِشَامُ بْنُ الْكَلْبِيِّ: أَتَى جِبْرَائِيلُ ﷺ النَّبِيَّ ﷺ أَوَّلَ مَا أَتَاهُ لَيْلَةَ السَّبْتِ وَلَيْلَةَ الْأَحَدِ، ثُمَّ ظَهَرَ لَهُ بِرِسَالَةِ اللَّهِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ فَعَلَّمَهُ الْوُضُوءَ وَالصَّلَاةَ، وَعَلَّمَهُ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) [العلق: ١]، وَكَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعُونَ سَنَةً» (٧٥).

«قَالَ الزُّهْرِيُّ: فَتَرَ الْوَحْيُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَرَةً، فَحَزَنَ حُزْنًا شَدِيدًا، وَجَعَلَ يَغْدُو إِلَى رُؤُوسِ الْجِبَالِ لِيَتَرَدَّى مِنْهَا، فَكَلَّمَ رَقِيَّ ذُرْوَةَ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرَائِيلُ ﷺ فَيَقُولُ: إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا. فَيَسْكُنُ لِدَلِكِ جَأْشُهُ وَتَرْجِعُ نَفْسُهُ. فَلَمَّا أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يُنْذِرَ قَوْمَهُ عَذَابَ اللَّهِ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ دُونَ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَرَزَقَهُمْ، وَأَنْ يُحَدِّثَ بِنِعْمَةِ رَبِّهِ عَلَيْهِ -وَهِيَ النُّبُوَّةُ فِي قَوْلِ ابْنِ إِسْحَاقَ- فَكَانَ يَذْكُرُ ذَلِكَ سِرًّا لِمَنْ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ﷺ زَوْجَتَهُ. ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ فَرَضَ اللَّهُ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ عَلَيْهِ بَعْدَ الْإِقْرَارِ بِالتَّوْحِيدِ وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْأَوْثَانِ: الصَّلَاةُ، وَأَنَّ الصَّلَاةَ لَمَّا فُرِضَتْ عَلَيْهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرَائِيلُ ﷺ وَهُوَ بَاعْلَى مَكَّةَ فَهَمَزَ لَهُ بِعَقِبِهِ فِي نَاحِيَةِ الْوَادِي، فَانْفَجَرَتْ فِيهِ عَيْنٌ، فَتَوَضَّأَ جِبْرَائِيلُ ﷺ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ لِيرِيَهُ كَيْفَ الطُّهُورُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِثْلَهُ، ثُمَّ قَامَ جِبْرَائِيلُ ﷺ فَصَلَّى بِهِ، وَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ بِصَلَاتِهِ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ. وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ ﷺ فَعَلَّمَهَا الْوُضُوءَ، ثُمَّ صَلَّى بِهَا فَصَلَّتْ بِصَلَاتِهِ» (٧٦).



المصدر السادس عشر:-

عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، المؤلف: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس، اليعمري الربيعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: ٧٣٤هـ)، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، الناشر: دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ / ١٩٩٣.

نص رواية ابن سيد الناس

ذكر المبعث

متى وجبت له ﷺ النبوة

قُرئَ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ أَبِي الْفَتْحِ الصُّورِيِّ وَأَنَا أَسْمَعُ، أَخْبَرَكُمْ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ الْحَرَسْتَانِيِّ قِرَاءَةً عَلَيْهِ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ فَأَقْرَبَهُ قَالَ: أَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ حَمْزَةَ بْنِ أَبِي الْخَضِرِ السُّلَمِيِّ سَمَاعًا عَلَيْهِ قَالَ: أَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ أَحْمَدَ الْكَتَانِيِّ قَالَ: أَنَا تَمَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيِّ قَالَ: أَنَا أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، ثَنَا يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، ثَنَا أَبُو الْجَاهِرِ، ثَنَا سَعِيدُ بْنُ بَشِيرٍ، ثَنَا قَتَادَةُ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كُنْتُ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ فِي الْخَلْقِ، وَآخِرُهُمْ فِي الْبَعْثِ». أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَنْطَاطِيِّ بِقِرَاءَةِ وَالِدِي عَلَيْهِ وَأَنَا أَسْمَعُ قَالَ: أَنَا ابْنُ الْحَرَسْتَانِيِّ سَمَاعًا وَأَبُو الْحَسَنِ الْمُؤَيَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الطُّوسِيِّ إِجَازَةً قَالَ: أَنَا، وَقَالَ ابْنُ الْحَرَسْتَانِيِّ: أَنْبَأَنَا الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرَاوِيِّ قَالَ: أَنَا أَبُو حَفْصِ بْنِ مَسْرُورٍ قَالَ: أَنَا أَبُو عَمْرٍو بْنُ نُجَيْدٍ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَيُّوبَ الرَّازِي قَالَ: أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَنَانَ الْعَوْفِي، ثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ عَنْ بُدَيْلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ عَنْ مَيْسَرَةَ الْفَجْرِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى كُنْتُ نَبِيًّا؟ قَالَ: «كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ».



كَم كَانَتْ سِنُّهُ ﷺ حِينَ بُعِثَ

أَخْبَرَنَا أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْعِمِ بْنِ الْقَوَاسِ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ بِعَرِيلٍ بِغُوطَةٍ دَمَشَقَ قُلْتُ لَهُ: أَخْبَرَكُمُ الْقَاضِي الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْفَضْلِ الْأَنْصَارِيُّ قِرَاءَةً عَلَيْهِ بِحُضُورِكَ فِي الرَّابِعَةِ فَأَقَرَّ بِهِ قَالَ: أَنَا جَمَالُ الْإِسْلَامِ أَبُو الْحَسَنِ السُّلَمِيُّ قَالَ: أَنَا أَبُو نَصْرِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ طَلَابٍ قَالَ: أَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ بْنِ جَمِيعٍ، ثَنَا خَالِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِدَمِيَّاطَ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الصَّبَّاحُ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَرٍ التَّنِيسِيُّ، ثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي رَبِيعَةُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بُعِثَ عَلَى رَأْسِ الْأَرْبَعِينَ، وَقُضِيَ عَلَى رَأْسِ السَّنَتَيْنِ، وَمَا فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عَشْرُونَ شَعْرَةً بِيضَاءً (٧٧).

«وَعَنْ عَائِشَةَ إِنَّ أَوَّلَ مَا ابْتَدَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ النَّبُوءَةِ حِينَ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ كَرَامَتَهُ وَرَحْمَةَ الْعِبَادِ بِهِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ، لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ كَفَلَقَ الصُّبْحُ، وَحَبَّبَ اللَّهُ إِلَيْهِ الْخُلُوءَ، فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَخْلُوَ وَحْدَهُ. وَرَوَيْنَا عَنْ أَبِي بَشَرٍ الدُّوَلَابِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ هُمَيْدٍ أَبُو قُرَّةَ، ثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَيْسَى بْنِ تَلِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي الْمُفَضَّلُ بْنُ فَضْلَةَ عَنْ أَبِي الطَّاهِرِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ عَنْ عَمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ أَنَّهُ كَانَ مِنْ بَدْءِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ رَأَى فِي الْمَنَامِ رُؤْيَا، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَصَاحِبَتِهِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ لَهُ: أَبْشِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَصْنَعُ بِكَ إِلَّا خَيْرًا، فَذَكَرَ لَهَا أَنَّهُ رَأَى أَنَّ بَطْنَهُ أُخْرِجَ فَطُهِرَ وَغُسِلَ ثُمَّ أُعِيدَ كَمَا كَانَ، قَالَتْ: هَذَا خَيْرٌ فَأَبْشِرْ، ثُمَّ اسْتَعْلَنَ بِهِ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَجْلَسَهُ عَلَى مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُجْلِسَهُ عَلَيْهِ، وَبَشَّرَهُ بِرِسَالَةِ رَبِّهِ حَتَّى أَطْمَأَنَّ ثُمَّ قَالَ: اقْرَأْ؟ قَالَ: كَيْفَ أَقْرَأُ؟ قَالَ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) فَقَبِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رِسَالَةَ رَبِّهِ، وَاتَّبَعَ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ (عز وجل)، وانصرف إلى أهله، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ: أَرَأَيْتَكَ الَّذِي



كُنْتُ أَحَدُكَ وَرَأَيْتُهُ فِي الْمَنَامِ، فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ اسْتَعْلَنَ، فَأَخْبَرَهَا بِالَّذِي جَاءَهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ جَلَّ وَسَمِعَ فَقَالَتْ: أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِكَ إِلَّا خَيْرًا، فَاقْبَلِ الَّذِي أَنَاكَ اللَّهُ، وَأَبْشِرْ فَإِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا. وَرَوَيْنَا مِنْ طَرِيقِ الدَّوْلَابِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَائِدٍ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ شُعَيْبٍ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَطَاءٍ الْخُرَّاسَانِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَطَاءِ بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بَعَثَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى رَأْسِ خَمْسِينَ سَنَةً مِنْ بَنِيَانِ الْكُعْبَةِ، وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ أَرَاهُ إِيَّاهُ مِنَ الثَّبُوتِ رُؤْيَا فِي النَّوْمِ فَذَكَرَ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ وَفِي آخِرِهِ: فَلَمَّا قَضَى إِلَيْهِ الَّذِي أَمَرَهُ بِهِ انصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَقَلِّبًا إِلَى أَهْلِهِ، لَا يَأْتِي عَلَى حَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ: سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَرَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ وَهُوَ مُوقِنٌ، قَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا. الْحَدِيثُ. وَرَوَيْنَا مِنْ طَرِيقِ مُسْلِمٍ، ثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، ثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ طَهْمَانَ قَالَ: حَدَّثَنِي سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجْرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ» (٧٨).

وَفِي رِوَايَةِ يُونُسَ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ بِسَنَدِهِ إِلَى أَبِي مَيْسَرَةَ عَمْرٍو بْنِ شَرْحِبِيلَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِلْسَيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إِنِّي إِذَا خَلَوْتُ وَحْدِي سَمِعْتُ نِدَاءً وَقَدْ خَشِيتُ وَاللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِهَذَا أَمْرٌ»، قَالَتْ: مَعَاذَ اللَّهِ، مَا كَانَ اللَّهُ لِيَفْعَلَ ذَلِكَ بِكَ، فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَوَدِّي الْأَمَانَةَ، وَتَصِلَ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقَ الْحَدِيثَ، فَلَمَّا دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَلَيْسَ [عِنْدَهَا] رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ ذَكَرَتْ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَتْ: يَا عَتِيقُ أَذْهَبَ مَعَ مُحَمَّدٍ إِلَى وَرَقَةَ، فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ وَقَالَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى وَرَقَةَ، فَقَالَ: وَمَنْ أَخْبَرَكَ؟ قَالَ: خَدِيجَةُ، فَانْطَلَقَا إِلَيْهِ فَقَصَّصَا عَلَيْهِ فَقَالَ: إِنِّي إِذَا خَلَوْتُ وَحْدِي سَمِعْتُ نِدَاءً مِنْ خَلْفِي: يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ، فَانْطَلِقْ هَارِبًا فِي الْأَرْضِ، فَقَالَ لَهُ: لَا تَفْعَلْ، إِذَا أَنَاكَ فَاتَّبْتُ حَتَّى تَسْمَعَ مَا يَقُولُ لَكَ، ثُمَّ اتَّيْنِي فَأَخْبَرَنِي، فَلَمَّا خَلَا نَادَاهُ: يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ، قُلْ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، حَتَّى بَلَغَ: (وَلَا الضَّالِّينَ)، وَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَاتَى وَرَقَةَ فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: اثْبُتْ فَإِنَّا أَشْهَدُ أَنَّكَ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ ابْنُ



مَرِيَمَ، وَإِنَّكَ عَلَى مِثْلِ نَامُوسِ النَّبِيِّ مُوسَى عليه السلام وَإِنَّكَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَإِنَّكَ سَتُؤَمَّرُ بِالْجِهَادِ بَعْدَ يَوْمِكَ هَذَا، وَلَئِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ لَأُجَاهِدَنَّ مَعَكَ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَرَقَةُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَقَدْ رَأَيْتُ الْقَسَّ فِي جَنَّةٍ وَعَلَيْهِ ثِيَابُ الْحَرِيرِ لِأَنَّهُ آمَنَ بِي وَصَدَّقَنِي، يَعْنِي وَرَقَةُ.

وَرَوَيْنَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ الشَّافِعِيِّ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ بْنِ مُوسَى، ثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ فَارِسٍ قَالَ: أَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ الْهَنْدِيُّ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ (رضوان الله تعالى عليه) فَقَالَ: لَا أُحَدِّثُكَ إِلَّا مَا حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: جَاوَزْتُ بِحَرَاءَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي هَبَطْتُ فَنُودِيتُ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرْ شَيْئًا، فَنَظَرْتُ عَنْ يَسَارِي فَلَمْ أَرْ شَيْئًا، فَنَظَرْتُ مِنْ خَلْفِي فَلَمْ أَرْ شَيْئًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ شَيْئًا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَاتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي وَصُبُّوا عَلَيَّ مَاءً، بَارِدًا، فَدَثَّرُونِي وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا، فَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ)، رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ ابْنِ مَثْنَى عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ فَارِسٍ. وَرَوَيْنَا مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ أَوَّلَ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَانَ يَخْلُو بَغَارَ حَرَاءٍ يَتَحَنَّنُ فِيهِ -وهو التَّعَبِد- اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدَ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رضي الله عنها فَيَتَزَوَّدَ لِمِثْلِهَا، حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حَرَاءَ، فَجَاءَهُ الْمَلِكُ فَقَالَ: (اقْرَأْ)، فَقَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: (اقْرَأْ)، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّلَاثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَرَجُّفُ بَوَادِرِهِ حَتَّى دَخَلَ عَلَى السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رضي الله عنها فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ ثُمَّ قَالَ لِلْسَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رضي الله عنها: أَيُّ خَدِيجَةٍ مَا لِي؟!،



وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، قَالَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، قَالَتْ لَهُ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ ؓ: كَلَّا أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتُقْرِى الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَاَنْطَلَقَتْ بِهِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ ؓ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ ؓ، وَكَانَ امْرَأً تَنْصَرُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ وَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ ؓ: أَيُّ عَمٍّ اسْمَعُ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، قَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: يَا بَنَ أَخِي مَاذَا تَرَى، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا هُوَ النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى النَّبِيِّ مُوسَى ؑ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا، يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْ مُخْرِجِي هُمْ»، قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِهَا جِئْتُ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، رَوَيْنَاهُ مِنْ حَدِيثِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الطَّاهِرِ عَنْ ابْنِ وَهْبٍ عَنْ يُونُسَ عَنْهُ وَهَذَا لَفْظُهُ. وَرَوَيْنَاهُ مِنْ طَرِيقِ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ وَلَفْظُهُمْ مُتْقَارِبٌ، وَرَوَيْنَاهُ مِنْ طَرِيقِ الدَّوْلَابِيِّ: ثَنَا يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ فَذَكَرَ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ فِي آخِرِهِ: ثُمَّ لَمْ يَنْسَبْ وَرَقَةَ أَنْ تُوْفِيَ وَفَتَرَ الْوَحْيَ فِتْرَةً حَتَّى حَزَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيمَا بَلَّغْنَا حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مَرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُؤُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ، فَكَلِمَا أَوْفَى بِذُرْوَةِ كَيْ يُلْقِي نَفْسَهُ مِنْهَا تَبَدَّى لَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ ؑ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا فَيَسْكُنُ لَذَلِكَ جَأَشُهُ وَتَقَرُّ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ، فَإِذَا طَالَ عَلَيْهِ فِتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ، فَإِذَا أَوْفَى ذُرْوَةً تَبَدَّى لَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ ؑ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ (٧٩).

«وَعَنْ عَبْدِ بْنِ عُمَيْرٍ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُجَاوِرُ فِي حِرَاءٍ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ شَهْرًا، وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا تَحَنَّتْ بِهِ قُرَيْشٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَالتَّحَنُّ التَّبَرُّرُ، فَكَانَ يُجَاوِرُ ذَلِكَ الشَّهْرَ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ، يُطْعِمُ مَنْ جَاءَهُ مِنَ الْمَسَاكِينِ، فَإِذَا قَضَى جَوَارَهُ مِنْ شَهْرِهِ ذَلِكَ كَانَ أَوَّلَ مَا يَبْدَأُ بِهِ إِذَا انْصَرَفَ - قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ - الْكَعْبَةَ، يَطُوفُ بِهِ سَبْعًا أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى

بَيْتِهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ الشَّهْرُ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ بِهِ فِيهِ مَا أَرَادَ مِنْ كَرَامَتِهِ، وَذَلِكَ الشَّهْرُ رَمَضَانُ خَرَجَ ﷺ إِلَى حِرَاءٍ كَمَا كَانَ يَخْرُجُ لِحَوَارِهِ وَمَعَهُ أَهْلُهُ، حَتَّى إِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ فِيهَا بِرِسَالَتِهِ وَرَحِمَ الْعِبَادَ بِهَا جَاءَهُ الْمَلِكُ جِبْرِيلُ ﷺ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَجَاءَنِي وَأَنَا نَائِمٌ بِنَمَطٍ مِنْ دِيبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟ فَغَشَّتَنِي بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ ثُمَّ أُرْسِلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟ فَغَشَّتَنِي بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ ثُمَّ أُرْسِلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَاذَا أَقْرَأُ؟، مَا أَقُولُ ذَلِكَ إِلَّا افْتِدَاءً مِنْهُ أَنْ يُعَوِّدَ لِي بِمِثْلِ مَا صَنَعَ قَالَ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)، فَقَرَأْتُهَا ثُمَّ انْتَهَيْتُ، فَانْصَرَفَ عَنِّي وَهَبَيْتُ مِنْ نَوْمِي، فَكَأَنَّمَا كَتَبَ فِي قَلْبِي كِتَابًا، فَخَرَجْتُ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي وَسْطٍ مِنَ الْجَبَلِ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا جِبْرِيلُ، رَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ أَنْظُرُ فَإِذَا جِبْرِيلُ ﷺ فِي صُورَةِ رَجُلٍ صَافٍ قَدِيمِهِ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا جِبْرِيلُ، فَوَقَفْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَمَا أَتَقَدَّمُ وَمَا أَتَأَخَّرُ، وَجَعَلْتُ أَصْرَفُ وَجْهِي عَنْهُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ فَلَا أَنْظُرُ فِي نَاحِيَةٍ مِنْهَا إِلَّا رَأَيْتُهُ كَذَلِكَ، فَمَا زِلْتُ وَاقِفًا مَا أَتَقَدَّمُ أَمَامِي وَمَا أَرْجِعُ وَرَأَيْتُ حَتَّى بَعَثْتُ خَدِيجَةَ رُسُلَهَا فِي طَلْبِي، فَبَلَغُوا مَكَّةَ وَرَجَعُوا إِلَيْهَا وَأَنَا وَاقِفٌ فِي مَكَانِي ذَلِكَ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنِّي، وَانْصَرَفْتُ رَاجِعًا إِلَى أَهْلِي حَتَّى أَتَيْتُ خَدِيجَةَ، فَجَلَسْتُ إِلَى فَخْذِهَا مُضِيغًا إِلَيْهَا فَقَالَتْ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ أَيْنَ كُنْتَ؟ فَوَاللَّهِ لَقَدْ بَعَثْتُ رُسُلِي فِي طَلَبِكَ فَبَلَغُوا مَكَّةَ وَرَجَعُوا إِلَيَّ! ثُمَّ حَدَّثْتَهَا بِالَّذِي رَأَيْتُ فَقَالَتْ: أَبَشِّرْ يَا بَنَ عَمِّي وَابْنَتُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ نَبِيَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، ثُمَّ قَامَتْ فَجَمَعَتْ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا ثُمَّ انْطَلَقَتْ إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّهَا، وَكَانَ قَدْ تَنَصَّرَ، وَقَرَأَ الْكِتَابَ، وَسَمِعَ مِنْ أَهْلِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، فَأَخْبَرَتْهُ بِمَا أَخْبَرَهَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ رَأَى وَسَمِعَ، فَقَالَ وَرَقَةُ: قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ كُنْتُ صَدَقْتَنِي يَا خَدِيجَةُ لَقَدْ جَاءَهُ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي النَّبِيَّ مُوسَى ﷺ، وَإِنَّهُ لَنَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَقَوْلِي



لَهُ: فَلْيُثَبِّتْ، فَرَجَعَتْ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَتْهُ بِقَوْلِ وَرَقَةَ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَوَارَهُ وَأَنْصَرَفَ صَنَعَ مَا كَانَ يَصْنَعُ، بَدَأَ بِالْكَعْبَةِ فَطَافَ بِهَا، فَلَقِيَهُ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ فَقَالَ لَهُ: يَا بَنَ أَخِي: أَخْبَرَنِي بِهَا رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكَ لَنَبِيِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَقَدْ جَاءَكَ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي جَاءَ النَّبِيَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلْتَكْذِبْنَهُ وَلْتَوْذِيْنَهُ وَلْتَقَاتِلْنَهُ، وَلَكِنْ أَنَا أَذْرُكَ ذَلِكَ الْيَوْمَ لَا نَصْرَنَ اللَّهُ نَصْرًا يَعْلَمُهُ، ثُمَّ أَذْنَى رَأْسَهُ مِنْهُ فَقَبَّلَ يَأْفُوخَهُ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَنْزِلِهِ ^(٨٠).

وَرَوَيْنَا عَنْ أَبِي بَشْرٍ، ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ، ثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامٍ عَنْ زِيَادٍ قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَقَ: حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ مَوْلَى آلِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَمَّا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ ابْنِ عَمٍّ أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُخْبِرَنِي بِصَاحِبِكَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ إِذَا جَاءَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَلِذَا جَاءَ فَأَخْبِرَنِي بِهِ، فَجَاءَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا خَدِيجَةُ هَذَا جَبْرِيلُ قَدْ جَاءَنِي قَالَتْ: قِمِ يَا بَنَ عَمٍّ فَاجْلِسْ عَلَى فَخْذِي الْيُسْرَى، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَلَسَ عَلَيْهَا، قَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَتَحَوَّلْ فَاقْعُدْ عَلَى فَخْذِي الْيُمْنَى، قَالَ: فَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَعَدَ عَلَى فَخْذِهَا الْيُمْنَى فَقَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَتَحَوَّلْ فَاجْلِسْ فِي حِجْرِي، فَتَحَوَّلَ فَجَلَسَ فِي حِجْرِهَا ثُمَّ قَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَتَحَسَّرَتْ فَأَلْقَتْ خِمَارَهَا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي حِجْرِهَا ثُمَّ قَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ، قَالَ: لَا، قَالَتْ: يَا بَنَ عَمٍّ اثْبُتْ وَأَبْشُرْ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَلِكٌ مَا هَذَا بِشَيْطَانٍ.

وَفِي رِوَايَةِ يُونُسَ: وَرَوَى عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ وَأَبُو بَشْرٍ وَابْنُ إِسْحَقَ كُلُّهُمْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ لِكُلِّ قَبِيلٍ مِنَ الْجَنِّ مَقْعَدٌ مِنَ السَّمَاءِ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ، فَلَمَّا رُمُوا بِالشُّهْبِ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ قَالُوا: مَا هَذَا إِلَّا لَشَيْءٍ حَدِيثٍ فِي الْأَرْضِ، وَشَكُّوا ذَلِكَ إِلَى إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ فَقَالَ: مَا هَذَا إِلَّا



لَأَمْرٍ حَدَثَ، فَأَتُونِي مِنْ تُرْبَةِ كُلِّ أَرْضٍ، فَانْطَلِقُوا يَضْرِبُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا يَبْتَغُونَ عِلْمَ ذَلِكَ، فَأَتُوهُ مِنْ تُرْبَةِ كُلِّ أَرْضٍ، فَكَانَ يَشُمُّهَا وَيَرْمِي بِهَا، حَتَّى أَتَاهُ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا إِلَى تِهَامَةِ بَثْرِيَّةٍ مِنْ تُرْبَةِ مَكَّةَ فَشَمُّهَا وَقَالَ: مِنْ هَاهُنَا يَحْدُثُ الْحَدُثُ، فَنَظَرُوا فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ قَدْ بُعِثَ، ثُمَّ انْطَلَقُوا فَوَجَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَطَائِفَةً مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ بَنَخْلَةٍ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاطٍ وَهُوَ يُصَلِّي بِهِمْ صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ فَقَالُوا: هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي حَالُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَوَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ فَقَالُوا: (يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ)، وَذَكَرَ تَمَامَ الْخَبَرِ ^(٨١).

«وَقَالَ شُعْبَةُ عَنْ مُغِيرَةَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) وَهُوَ فِي قَطِيفَةٍ. وَقَالَ شَيْبَانُ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ أَوَّلُ سُورَةِ أَنْزَلَتْ عَلَيْهِ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) وَهُوَ قَوْلُ عَائِشَةَ وَعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادِ بْنِ جَعْفَرٍ وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَعِكْرَمَةَ وَمُجَاهِدٍ وَالزُّهْرِيَّ».

«وَكَانَ نَزُولُ الْمَلِكِ جَبْرِيلَ ﷺ لَهُ ﷺ فِيهِمَا ذَكَرَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِسَبْعٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَقِيلَ لِسَبْعٍ عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْهُ رَوَاهُ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ وَغَيْرُهُ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ كَانَ فِي السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ، وَقَالَ أَبُو عُمَرَ: يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِثَمَانٍ مِنْ رَجَبٍ الْأَوَّلِ سَنَةً إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ مِنْ عَامِ الْفِيلِ، وَقَدْ قِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ» ^(٨٢).

ذكر فوائد تتعلق بهذه الأخبار

حدث أنس أن رسول الله ﷺ بُعِثَ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ يَنْ أَهْلَ التَّقَلِّ مِمَّا فِيهِ إِقَامَتُهُ ﷺ بِالْمَدِينَةِ عَشْرًا، وَأَمَّا إِقَامَتُهُ بِمَكَّةَ فَمُخْتَلَفٌ فِي مِقْدَارِهَا. وَسَيَأْتِي ذَلِكَ فِي آخِرِ الْكِتَابِ عِنْدَ ذِكْرِ وَفَاتِهِ ﷺ. وَأَمَّا سَنَةُ ﷺ حِينَ نَبِئَ، فَالْمَرْوِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَجُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ وَقَبَاثِ بْنِ أَشِيمٍ وَعَطَاءٍ وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ كَالْمَرْوِيِّ عَنْ أَنَسٍ وَهُوَ الصَّحِيحُ عِنْدَ أَهْلِ السِّيَرِ وَغَيْرِهِمْ، قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الشَّهْبَلِيُّ: وَقَدْ رَوَى أَنَّهُ نَبِئَ لِأَرْبَعِينَ وَشَهْرَيْنِ، وَفِي حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، فَاجْتَمَعَ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَحْرُسُونَهُ، حَتَّى إِذَا صَلَّى،



وَالْمُرَادُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ يَنْتَظِرُونَ فَرَاعَهُ مِنَ الصَّلَاةِ، وَأَمَّا حَرَسُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَقَدْ كَانَ انْقَطَعَ مُنْذُ نَزَلَتْ (وَاللَّهُ يَعِصُكُمْ مِنَ النَّاسِ) وَذَلِكَ قَبْلَ تَبُوكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَحَدِيثُ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: «لَا عَرَفُ حَجْرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ»، هَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ بِغَيْرِ زِيَادَةٍ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ ذَلِكَ الْحَجَرَ هُوَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ. يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا التَّسْلِيمُ حَقِيقَةً وَأَنْ يَكُونَ اللَّهُ أَنْطَقَهُ بِذَلِكَ كَمَا خَلَقَ الْحَنِينَ فِي الْجَذَعِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مُضَافًا إِلَى مَلَائِكَةٍ يَسْكُنُونَ هُنَاكَ مِنْ بَابٍ: وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ فَيَكُونُ مِنْ حِمَايزِ الْحَذَفِ وَهُوَ عَلَمٌ ظَاهِرٌ مِنْ أَعْلَامِ النَّبَوَّةِ عَلَى كِلَا التَّفْدِيرَيْنِ.

وَفِي حَدِيثِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ فِي خَبَرِ نُزُولِ الْمَلِكِ جَبْرِيلَ ﷺ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَجَاءَنِي وَأَنَا نَائِمٌ» فَهَذِهِ حَالَةٌ. وَحَدِيثُ عَائِشَةَ وَغَيْرَهَا أَنَّهُ كَانَ فِي الْيَقِظَةِ فَهَذِهِ حَالَةٌ ثَانِيَةٌ، وَلَا تَعَارِضَ لِحَوَازِ الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا بِوُقُوعِهِمَا مَعًا، وَيَكُونُ الْإِتْيَانُ فِي النَّوْمِ تَوَاطُفَةً لِلْإِتْيَانِ فِي الْيَقِظَةِ، وَقَدْ قَالَتْ عَائِشَةُ: أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ. وَعَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَكُلَّ بِهِ الْمَلِكِ إِسْرَافِيلَ ﷺ، فَكَانَ يَتَرَاى لَهُ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَيَأْتِيهِ بِالْكَلِمَةِ مِنَ الْوَحْيِ، ثُمَّ وَكَّلَ بِهِ الْمَلِكُ جَبْرِئِيلَ ﷺ، فَجَاءَهُ بِالْقُرْآنِ وَالْوَحْيِ، فَهَذِهِ حَالَةٌ ثَالِثَةٌ لِمَجِيءِ الْوَحْيِ، وَرَابِعَةٌ وَهِيَ أَنْ يَنْفَثَ فِي رَوْعِهِ الْكَلَامَ نَفْثًا كَمَا قَالَ ﷺ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ أَجْلُهَا وَرَزَقُهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ» (٨٣). وَخَامِسَةٌ وَهِيَ: أَنْ يَأْتِيَهُ الْوَحْيُ فِي مِثْلِ صَلَصلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيْهِ، وَقِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ يَسْتَجْمِعُ قَلْبُهُ عِنْدَ تِلْكَ الصَّلَصلَةِ فَيَكُونُ أَوْعَى لِمَا يَسْمَعُ. وَسَادِسَةٌ وَهِيَ: أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ إِمَّا فِي الْيَقِظَةِ كَمَا فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ وَإِمَّا فِي النَّوْمِ كَمَا فِي حَدِيثِ مُعَاذٍ: أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَقَالَ: فِيمَ يَخْصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى، وَكَانَ الْمَلِكُ يَأْتِيهِ ﷺ تَارَةً فِي صُورَتِهِ لَهُ سِتْمَائَةٌ جَنَاحٌ كَمَا رُوِيَ، وَتَارَةً فِي صُورَةِ دَحِيَّةِ الْكَلْبِيِّ، فَهَذِهِ حَالَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ ذَكَرَ مَعْنَاهَا الشُّهَيْلِيُّ. وَقَوْلُهُ: فَغَطَّنِي، وَيُرْوَى فَسَأَبَنِي، وَيُرْوَى سَأَتَنِي، وَيُرْوَى فِدَعَتَنِي، وَكُلُّهَا وَاحِدٌ، وَهُوَ الْخَنْقُ وَالْغَمُّ. وَالنَّامُوسُ: صَاحِبُ



سِرِّ الْمَلِكِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: النَّامُوسُ صَاحِبُ سِرِّ الْخَيْرِ، وَالْجَاسُوسُ صَاحِبُ سِرِّ الشَّرِّ. وَمُؤَزَّرًا مِنَ الْأَزْرِ وَهُوَ الْقُوَّةُ وَالْعَوْنُ. وَالْيَأْفُوخُ مَهْمُوزٌ، وَلَا يُقَالُ فِي رَأْسِ الطِّفْلِ يَأْفُوخٌ حَتَّى يَشْتَدَّ وَإِنَّمَا يُقَالُ لَهُ: الْعَاذِيَةُ. وَفَتْرَةُ الْوَحْيِ لَمْ يَذْكُرْ لَهَا ابْنُ إِسْحَقَ مُدَّةً مُعَيَّنَةً، قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ السُّهَيْلِيُّ، وَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ الْمُسْتَدَّةِ أَنَّهَا كَانَتْ سِتِينَ وَنِصْفَ سَنَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ^(٨٤).

ذكر صلاته ﷺ أول البعثة

«قال ابن إسحاق: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ الصَّلَاةَ حِينَ افْتُرِضَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَتَاهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ ﷺ وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ، فَهَمَزَ لَهُ بِعَقِبِهِ فِي نَاحِيَةِ الْوَادِي، فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ عَيْنٌ، فَتَوَضَّأَ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ ﷺ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ لِرِيئِهِ كَيْفَ الطُّهُورُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا رَأَى الْمَلِكُ جَبْرِيلُ ﷺ يَتَوَضَّأُ، ثُمَّ قَامَ بِهِ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ ﷺ فَصَلَّى بِهِ وَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِصَلَاتِهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ ﷺ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ ﷺ فَتَوَضَّأَ لَهَا لِرِيئِهَا كَيْفَ الطُّهُورُ لِلصَّلَاةِ كَمَا أَرَاهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ ﷺ، فَتَوَضَّأَتْ كَمَا تَوَضَّأَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ صَلَّى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا صَلَّى بِهِ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ ﷺ، فَصَلَّتْ بِصَلَاتِهِ. كَذَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَقَ مَقْطُوعًا، وَقَدْ وَصَلَهُ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ: ثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى عَنْ ابْنِ لَهِيْعَةَ عَنْ عُقَيْلِ بْنِ خَالِدٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي زَيْدٌ بَنَ حَارِثَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي أَوَّلِ مَا أُوْحِيَ إِلَيْهِ أَتَاهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ ﷺ فَعَلَّمَهُ الْوُضُوءَ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ الْوُضُوءِ أَخَذَ غُرْفَةً مِنْ مَاءٍ فَضَحَّ بِهَا فَرَجَهُ، قَالَهُ السُّهَيْلِيُّ. وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ مَاجَةَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْفَرِيَّابِيِّ عَنْ حَسَّانِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ لَهِيْعَةَ عَنْ عُقَيْلِ بْنِ الزُّهْرِيِّ بِسَنَدِهِ بِمَعْنَاهُ. وَقَدْ رُوِيَ نَحْوَهُ مِنَ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ. وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ مِنَ الْفَرِيضَةِ. وَعَنْ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ: فَرَضَ اللَّهُ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ الصَّلَاةَ رَكَعَتَيْنِ بِالْغَدَاةِ، وَرَكَعَتَيْنِ بِالْعِشِيِّ، ثُمَّ فَرَضَ الْخُمْسَ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ. وَأَمَّا إِمَامَةُ الْمَلِكِ جَبْرِيلُ ﷺ بِالنَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ



الْبَيْتِ لِيُرِيَهُ أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ هَذَا مَوْضِعُ الْحَدِيثِ، وَإِنْ كَانَ ابْنُ إِسْحَقَ وَضَعَهُ هُنَا مِنْ طَرِيقِ ابْنِ عَبَّاسٍ لِاتِّفَاقِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْوَاقِعَةَ كَانَتْ صَبِيحَةَ الْإِسْرَاءِ، وَهُوَ بَعْدَ هَذَا بِأَعْوَامٍ كَمَا سَيَأْتِي مُبَيَّنًا عِنْدَ ذِكْرِ أَحَادِيثِ الْمِعْرَاجِ وَالْإِسْرَاءِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى» (٨٥).

المصدر السابع عشر:-

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م (٨٦).

نص رواية الذهبي

ذَكَرَ وَفَاةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عليه السلام

«وَتُوفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ أَبُوهُ وَلِلنَّبِيِّ عليه السلام ثَمَانِيَّةٌ وَعِشْرُونَ شَهْرًا. وَقِيلَ: أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ. وَقِيلَ: وَهُوَ حَمَلٌ، تُوْفِيَ بِالْمَدِينَةِ غَرِيبًا، وَكَانَ قَدَمُهَا لِيَمْتَازَ تَمْرًا، وَقِيلَ: بَلْ مَرَّ بِهَا مَرِيضًا رَاجِعًا مِنَ الشَّامِ، فَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ وَغَيْرُهُ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ إِلَى غَزَاةٍ فِي عِيرٍ تَحْمِلُ نَجَارَاتٍ، فَلَمَّا قَفَلُوا مَرُّوا بِالْمَدِينَةِ وَعَبْدُ اللَّهِ مَرِيضٌ فَقَالَ: أَتَخَلَّفُ عِنْدَ أَخْوَالِي بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ، فَأَقَامَ عِنْدَهُمْ مَرِيضًا مُدَّةَ شَهْرٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْحَارِثَ وَهُوَ أَكْبَرُ وَلَدِهِ، فَوَجَدَهُ قَدْ مَاتَ، وَدُفِنَ فِي دَارِ النَّابِغَةِ أَحَدِ بَنِي النَّجَّارِ، وَالنَّبِيُّ عليه السلام يَوْمَئِذٍ حَمَلٌ، عَلَى الصَّحِيحِ». وَعَاشَ عَبْدُ اللَّهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَذَلِكَ أَثَبَّتُ الْأَقَاوِيلَ فِي سَنَةِ وَوَفَاتِهِ وَتَرَكَ عَبْدُ اللَّهِ مِنَ الْمِيرَاثِ أُمَّ أَيْمَنَ وَخَمْسَةَ أَجْمَالٍ وَغَنَمًا، فَوَرِثَ ذَلِكَ النَّبِيُّ عليه السلام.

«وَتُوفِيَتْ أُمُّهُ أَمْنَةُ بِالْأَبْوَاءِ وَهِيَ رَاجِعَةٌ بِهِ إِلَى مَكَّةَ مِنْ زِيَارَةِ أَخْوَالِ أَبِيهِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ ابْنُ سِتِّ سِنِينَ وَمِائَةِ يَوْمٍ. وَقِيلَ: ابْنُ أَرْبَعِ سِنِينَ. فَلَمَّا مَاتَتْ وَدُفِنَتْ، حَمَلَتْهُ أُمُّ أَيْمَنَ مَوْلَاتُهُ إِلَى مَكَّةَ إِلَى جَدِّهِ، فَكَانَ فِي كِفَالَتِهِ إِلَى أَنْ تُوفِيَ جَدُّهُ، وَلِلنَّبِيِّ عليه السلام ثَمَانِ سِنِينَ، فَأَوْصَى بِهِ إِلَى عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ».



المصدر الثامن عشر:-

السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.

نص رواية ابن كثير

باب كَيْفِيَّةَ بَدْءِ الْوَحْيِ

إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَذَكَرَ أَوَّلَ شَيْءٍ أُنْزِلَ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ
كَانَ ذَلِكَ وَلَهُ ﷺ مِنَ الْعُمَرِ أَرْبَعُونَ سَنَةً. وَحَكَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَسَعِيدِ
بْنِ الْمُسَيَّبِ: أَنَّهُ كَانَ عُمُرُهُ إِذْ ذَاكَ ثَلَاثًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً. قَالَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ
بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا
قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، وَكَانَ لَا يَرَى
رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ. ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَانَ يَخْلُو بَغَارَ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ
فِيهِ -وَهُوَ التَّعَبُّدُ- اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدَ لَذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى
السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا. حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ. فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ:
اقْرَأْ. فَقَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي. فَقَالَ:
اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي. فَقَالَ:
اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ. ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ:
(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ
بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) ^(٨٦). رَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجِفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى
السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ بِنْتِ حُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي. فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ.
فَقَالَ لِلْسَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ-: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي. فَقَالَتِ السَّيِّدَةُ
خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَلَّا، وَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا. إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتَحْمِلُ



الْكَلِّ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. فَانْطَلَقْتُ بِهِ السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ عليها السلام حَتَّى أَتَتْ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدٍ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ عليها السلام. وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ. وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ. فَقَالَتْ لَهُ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ عليها السلام: يَا بَنَ عَمِّ! اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا بَنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي كَانَ يَنْزِلُ عَلَى النَّبِيِّ مُوسَى عليه السلام، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا، إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَوْ مَخْرُجِي هُمْ؟! فَقَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا جِئْتُ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْسُبْ وَرَقَةَ أَنْ تُوْفِيَ وَفَّرَ الْوَحْيُ فِتْرَةً. حَتَّى حَزَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -فِيهَا بَلْعَنًا- حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مَرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُؤُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ. فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذُرْوَةِ جَبَلٍ لَكِي يَلْقِي نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عليه السلام فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا. فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأَشُهُ، وَتَقَرُّ نَفْسُهُ، فَيَرْجِعُ. فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فِتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا كَمِثْلِ ذَلِكَ. قَالَ: فَإِذَا أَوْفَى بِذُرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عليه السلام فَقَالَ لَهُ: مِثْلُ ذَلِكَ. هَكَذَا وَقَعَ مُطَوَّلًا فِي بَابِ التَّعْبِيرِ مِنَ الْبُخَارِيِّ ^(٨٧).

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ (رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ) قَالَ -وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ- فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: «بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصْرِي فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَرُعِبْتُ مِنْهُ، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمَلُونِي، زَمَلُونِي. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) فَحَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ. ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ: تَابَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، وَأَبُو صَالِحٍ، يَعْنِي عَنِ اللَّيْثِ، وَتَابَعَهُ هَلَالُ بْنُ رَدَادٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ. وَقَالَ يُوسُفُ وَمَعْمَرٌ: -بَوَادِرُهُ. وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ رَوَاهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِهِ فِي مَوَاضِعَ مِنْهُ، وَتَكَلَّمْنَا عَلَيْهِ مُطَوَّلًا فِي أَوَّلِ شَرْحِ الْبُخَارِيِّ فِي كِتَابِ



بَدَأَ الْوَحْيَ إِسْنَادًا وَمَتْنًا وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ. وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ اللَّيْثِ بِهِ، وَمِنْ طَرِيقِ يُونُسَ وَمَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ كَمَا عُلِّقَهُ الْبُخَارِيُّ، وَقَدْ رَمَزْنَا فِي الْخَوَاشِي عَلَى زِيَادَاتِ مُسْلِمٍ وَرَوَايَاتِهِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، وَانْتَهَى سِيَاقُهُ إِلَى قَوْلِ وَرَقَةَ: أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. فَقَوْلُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ «أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ»، يَقْوِي مَا ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «فَجَاءَنِي الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَا نَائِمٌ بَنَمَطٍ مِنْ دِيبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ. فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟ فَعَتَّنِي، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي»، وَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ عَائِشَةَ سِوَاءً. فَكَانَ هَذَا كَالْتَوَظُّعَةِ لَمَّا يَأْتِي بَعْدُهُ مِنَ الْيَقْظَةِ، وَقَدْ جَاءَ مُصَرِّحًا بِهَذَا فِي مَعَاذِي مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَنَّهُ رَأَى ذَلِكَ فِي الْمَنَامِ، ثُمَّ جَاءَهُ الْمَلِكُ فِي الْيَقْظَةِ. وَقَدْ قَالَ الْحَافِظُ أَبُو نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي كِتَابِهِ (دَلَائِلُ النَّبَوَّةِ): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ ابْنِ الْحَسَنِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَنَابُ بْنُ الْحَارِثِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَجْلَحِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ مَا يُؤْتَى بِهِ الْأَنْبِيَاءُ فِي الْمَنَامِ حَتَّى تَهْدَأَ قُلُوبُهُمْ، ثُمَّ يَنْزِلُ الْوَحْيُ بَعْدُ. وَهَذَا مِنْ قَبْلِ عَلْقَمَةَ بْنِ قَيْسٍ نَفْسِهِ، وَهُوَ كَلَامٌ حَسَنٌ يُؤَيِّدُهُ مَا قَبْلَهُ وَيُؤَيِّدُهُ مَا بَعْدَهُ.

ذكر عمره الشريف ﷺ وقت بعثته ونار يخها

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدَ، عَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَزَلَتْ عَلَيْهِ النَّبَوَّةُ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَقَرْنَ بِنُبُوَّتِهِ الْمَلِكُ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَلَاثَ سِنِينَ، فَكَانَ يُعَلِّمُهُ الْكَلِمَةَ وَالشَّيْءَ، وَلَمْ يَنْزِلِ الْقُرْآنُ، فَلَمَّا مَضَتْ ثَلَاثَ سِنِينَ قَرْنَ بِنُبُوَّتِهِ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ عِشْرِينَ سَنَةً، عَشْرًا بِمَكَّةَ وَعَشْرًا بِالْمَدِينَةِ. فَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً. فَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى الشَّعْبِيِّ، وَهُوَ يَقْتَضِي أَنَّ الْمَلِكَ إِسْرَافِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَرْنَ مَعَهُ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ ثَلَاثَ سِنِينَ، ثُمَّ جَاءَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَأَمَّا الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ فَإِنَّهُ قَدْ قَالَ: وَحَدِيثُ عَائِشَةَ لَا يُنَافِي هَذَا. فَإِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَوَّلُ أَمْرِهِ الرُّؤْيَا، ثُمَّ وَكَّلَ بِهِ الْمَلِكُ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ يَخْلُو فِيهَا



بِحِرَاءٍ، فَكَانَ يُلْقِي إِلَيْهِ الْكَلِمَةَ بَسْرَعَةٍ وَلَا يُقِيمُ مَعَهُ تَدْرِيجًا لَهُ وَتَمَرِينًا، إِلَى أَنْ جَاءَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عليه السلام فَعَلِمَهُ بَعْدَ مَا غَطَّهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَحَكَتْ عَائِشَةُ مَا جَرَى لَهُ مَعَ الْمَلِكِ جَبْرِيلَ عليه السلام وَلَمْ تَحْكِ مَا جَرَى لَهُ مَعَ الْمَلِكِ إِسْرَافِيلَ عليه السلام اخْتِصَارًا لِلْحَدِيثِ، أَوْ لَمْ تَكُنْ وَقَفَتْ عَلَى قِصَّةِ الْمَلِكِ إِسْرَافِيلَ عليه السلام (٨٨).

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ هِشَامٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ عَشْرًا، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرًا، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ. وَهَكَذَا رَوَى يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ. ثُمَّ رَوَى أَحْمَدُ عَنْ غُنْدَرٍ، وَيزِيدُ بْنُ هَارُونَ، كِلَاهُمَا عَنْ هِشَامٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ. وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً. وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، أَنَّنَا عَمَّارُ بْنُ أَبِي عِمَارٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَقَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله بِمَكَّةَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، سَبْعَ سِنِينَ يَرَى الضُّوْءَ وَيَسْمَعُ الصَّوْتَ، وَثَمَانِي سِنِينَ يُوحَى إِلَيْهِ، وَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ. قَالَ أَبُو شَامَةَ: وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَرَى عَجَائِبَ قَبْلَ بَعْثِهِ.

فَمِنْ ذَلِكَ مَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجْرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلَّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ». انْتَهَى كَلَامُهُ. وَإِنَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يُحِبُّ الْخَلَاءَ وَالْأَنْفِرَادَ عَنْ قَوْمِهِ، لِمَا يَرَاهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ الْمُبِينِ، مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالسُّجُودِ لِلْأَصْنَامِ، وَقَوِيَّتْ مَحَبَّتُهُ لِلْخُلُوةِ عِنْدَ مُقَابَرَةِ إِحْيَاءِ اللَّهِ إِلَيْهِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ. وَقَدْ ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ الْعَلَاءِ بْنِ حَارِثَةَ - قَالَ: وَكَانَ وَاَعِيَّةَ - عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَخْرُجُ إِلَى حِرَاءٍ فِي كُلِّ عَامٍ شَهْرًا مِنَ السَّنَةِ يَتَنَسَّكُ فِيهِ، وَكَانَ مِنْ نُسُكِ قُرَيْشٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، يُطْعَمُ مَنْ جَاءَهُ مِنَ الْمَسَاكِينِ، حَتَّى إِذَا انْصَرَفَ مِنْ مُجَاوَرَتِهِ لَمْ يَدْخُلْ بَيْتَهُ حَتَّى يَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ. وَهَكَذَا رَوَى عَنْ وَهْبِ بْنِ كَيْسَانَ أَنَّهُ سَمِعَ عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ يُحَدِّثُ



عَبَدَ اللَّهُ بَنَ الرَّبِّيرِ مِثْلَ ذَلِكَ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا كَانَ عَادَةً الْمُتَعَبِّدِينَ فِي قُرَيْشٍ أَنَّهُمْ يُجَاوِرُونَ فِي حِرَاءٍ لِلْعِبَادَةِ. وَلِهَذَا قَالَ أَبُو طَالِبٍ فِي قَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ:

وَنُورٍ وَمَنْ أَرْسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ * وَرَاقٍ لِيرْقَى فِي حِرَاءٍ وَنَازِلٍ

هَكَذَا صَوَّبَهُ عَلَى رَوَايَةِ هَذَا الْبَيْتِ كَمَا ذَكَرَهُ الشَّهْلِيُّ وَأَبُو شَامَةَ وَشَيْخُنَا الْحَافِظُ أَبُو الْحَجَّاجِ الْمَزِّي، وَقَدْ تَصَحَّفَ عَلَى بَعْضِ الرُّوَاةِ فَقَالَ فِيهِ: وَرَاقٍ لِيرْقَى فِي حِرَاءٍ وَنَازِلٍ، وَهَذَا رَكِيكٌ وَمُخَالَفٌ لِلصَّوَابِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٨٩).

وَحِرَاءٌ يُقْصَرُ وَيُمَدُّ، وَيُصْرَفُ وَيُمنَعُ، وَهُوَ جَبَلٌ بِأَعْلَى مَكَّةَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنْهَا عَنْ يَسَارِ الْمَارِّ إِلَى مَنَى، لَهُ قَلْعَةٌ مُشْرِفَةٌ عَلَى الْكَعْبَةِ مُنَحْنِيَّةٌ، وَالْغَارُ فِي تِلْكَ الْحَنِيَّةِ. وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ رُوْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ:

فَلَا وَرَبَّ الْأَمْنَاتِ الْقُطْنُ * وَرَبَّ رُكْنٍ مِنْ حِرَاءٍ مُنَحْنِي

وَقَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ: «وَالْتَحَنُّ: التَّعَبُّدُ» تَفْسِيرٌ بِالْمَعْنَى، وَإِلَّا فَحَقِيقَةُ التَّحَنُّ مِنْ حَيْثُ الْبُنْيَةِ فِيمَا قَالَهُ الشَّهْلِيُّ: الدُّخُولُ فِي الْحِنْتِ. وَلَكِنْ سُمِعَتْ أَلْفَاظٌ قَلِيلَةٌ فِي اللُّغَةِ مَعْنَاهَا الْخُرُوجُ مِنْ ذَلِكَ الشَّيْءِ كَتَحَنُّتُ أَيْ خَرَجْتُ مِنَ الْحِنْتِ. وَتَحَوَّبَ وَتَحَرَّجَ وَتَأَثَّم. وَتَهَجَّدَ هُوَ تَرَكَ الْهُجُودَ وَهُوَ النَّوْمُ لِلصَّلَاةِ. وَتَنَجَّسَ وَتَقَدَّرَ. أَوْرَدَهَا أَبُو شَامَةَ. وَقَدْ سَأَلَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ عَنْ قَوْلِهِ: «يَتَحَنُّتُ أَيْ يَتَعَبَّدُ». فَقَالَ: لَا أَعْرِفُ هَذَا، إِنَّمَا هُوَ يَتَحَنَّفُ مِنَ الْحَنِيفِيَّةِ دِينَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَالْعَرَبُ تَقُولُ: التَّحَنُّتُ وَالتَّحَنُّفُ. يُبْدِلُونَ الْفَاءَ مِنَ الثَّاءِ، كَمَا قَالُوا جَدَفَ وَجَذَفَ، كَمَا قَالَ رُوْبَةُ:

لَوْ كَانَ أَحْجَارِي مَعَ الْأَجْدَافِ

يُرِيدُ: الْأَجْدَاثَ. قَالَ: وَحَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ، أَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ فَمَّ فِي مَوْضِعٍ ثَمَّ. وَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي تَعْبُدِهِ عليه السلام قَبْلَ الْبُعْثَةِ هَلْ كَانَ عَلَى شَرْعٍ أَمْ لَا؟ وَمَا ذَلِكَ الشَّرْعُ؟ فَقِيلَ: شَرْعُ النَّبِيِّ نُوحٍ عليه السلام. وَقِيلَ: شَرْعُ النَّبِيِّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام. وَهُوَ الْأَشْبَهُ الْأَفْوَى. وَقِيلَ النَّبِيُّ مُوسَى عليه السلام. وَقِيلَ النَّبِيُّ عِيسَى عليه السلام. وَقِيلَ: كُلُّ مَا ثَبَتَ أَنَّهُ شَرْعٌ عِنْدَهُ اتَّبَعَهُ وَعَمِلَ بِهِ.



وَلَبَسْتُ هَذِهِ الْأَقْوَالِ وَمُنَاسَبَاتِهَا مَوَاضِعُ أُخَرُ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. قَوْلُهُ: «حَتَّى فَجَأَهُ الْحَقُّ وَهُوَ بَغَارِ حِرَاءٍ» أَيُّ جَاءَ بَغْتَةً عَلَى غَيْرِ مَوْعِدٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) الْآيَةُ. وَقَدْ كَانَ نُزُولُ صَدْرِ هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ وَهِيَ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)، وَهِيَ أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ كَمَا قَرَّرْنَا ذَلِكَ فِي التَّفْسِيرِ وَكَمَا سَيَأْتِي أَيْضًا، فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ. كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ؟ فَقَالَ: «ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ». وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «وُلِدَ نَبِيُّكُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَنَبِيٌّ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ. وَهَكَذَا قَالَ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ وَأَبُو جَعْفَرٍ الْبَاقِرُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَوْحِيَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَهَذَا مَا لَا خِلَافَ فِيهِ بَيْنَهُمْ. ثُمَّ قِيلَ: كَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، كَمَا تَقَدَّمَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَجَابِرٍ أَنَّهُ وُلِدَ ﷺ، فِي الثَّانِي عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَفِيهِ بُعِثَ، وَفِيهِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ. وَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ بُعِثَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، كَمَا نَصَّ عَلَى ذَلِكَ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُمَا. وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ مُسْتَدِلًّا عَلَى ذَلِكَ بِمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ)، فَقِيلَ: فِي عَشْرِهِ. وَرَوَى الْوَاقِدِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ ابْتِدَاءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، لِسَبْعِ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَقِيلَ فِي الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْهُ. قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ، حَدَّثَنَا عِمْرَانُ أَبُو الْعَوَّامِ، عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ، عَنْ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَتْ التَّوْرَةُ لَسْتُ مَضِيْنٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَالْإِنْجِيلُ لِثَلَاثِ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الْقُرْآنُ لِأَرْبَعِ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ»، وَرَوَى ابْنُ مَرْدَوَيْهِ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رضوان الله تعالى عليه) مَرْفُوعًا نَحْوَهُ. وَلِهَذَا ذَهَبَ





جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، إِلَى أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ لَيْلَةٌ أَرْبَعٌ وَعِشْرِينَ. وَأَمَّا قَوْلُ الْمَلِكِ جَبْرِيلَ عليه السلام: «اقْرَأْ» فَقَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ» فَالصَّحِيحُ أَنَّ قَوْلَهُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ» نَفْيٌ، أَيْ لَسْتُ مِمَّنْ يُحْسِنُ الْقِرَاءَةَ. وَمِمَّنْ رَجَّحَهُ النَّوَوِيُّ وَقَبْلَهُ الشَّيْخُ أَبُو شَامَةَ. وَمِمَّنْ قَالَ إِنَّهَا اسْتَفْهَامِيَّةٌ فَقَوْلُهُ بَعِيدٌ، لِأَنَّ الْبَاءَ لَا تَزَادُ فِي الْإِثْبَاتِ. وَيُؤَيِّدُ الْأَوَّلَ رَوَايَةُ أَبِي نَعِيمٍ مِنْ حَدِيثِ الْمُعْتَمِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِيهِ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ خَائِفٌ يُرْعَدُ: «مَا قَرَأْتُ كِتَابًا قَطُّ وَلَا أَحْسَنُهُ، وَمَا أَكْتُبُ وَمَا أَقْرَأُ» فَأَخَذَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلَ عليه السلام فَغَتَّاهُ غَتًّا شَدِيدًا. ثُمَّ تَرَكَهُ فَقَالَ لَهُ: اقْرَأْ. فَقَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ: «مَا أَرَى شَيْئًا أَقْرَأُهُ، وَمَا أَقْرَأُ، وَمَا أَكْتُبُ». يُرَوَى: «فَغَطَّنِي» كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ «وَعَنِّي» وَيُرَوَى «قَدْ غَتَّنِي» أَيْ: خَنَنْتَنِي، «حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ» يُرَوَى بَضْمُ الْجِيمِ وَفَتْحُهَا وَبِالنَّصْبِ وَبِالرَّفْعِ. وَفَعَلَ بِهِ ذَلِكَ ثَلَاثًا. قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ: وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ لِيَبْلُوَ صَبْرَهُ وَيُحَسِّنَ تَأْدِيبَهُ، فَيَرْتَضَى لِاحْتِمَالِ مَا كَلَّفَهُ بِهِ مِنْ أَعْبَاءِ التَّوْبَةِ، وَلِذَلِكَ كَانَ يَغْتَرِيهِ مِثْلُ حَالِ الْمُحْمُومِ، وَتَأْخُذُهُ الرُّحْضَاءُ أَيْ: الْبُهْرُ وَالْعَرَقُ. وَقَالَ غَيْرُهُ: إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِأُمُورٍ: مِنْهَا أَنْ يَسْتَقِظَ لِعَظَمَةِ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ بَعْدَ هَذَا لَصْنِيعِ الْمَشِيقِ عَلَى النَّفُوسِ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا). وَلِهَذَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا جَاءَهُ الْوَحْيُ يَحْمَرُّ وَجْهُهُ، وَيَغِطُّ كَمَا يَغِطُّ الْبَكْرُ مِنَ الْإِبِلِ، وَيَتَفَصَّدُ جَبِينُهُ عَرَقًا فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ. وَقَوْلُهُ: «فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رضي الله عنها يَرْجُفُ فُؤَادُهُ». وَفِي رَوَايَةٍ: «بَوَادِرُهُ» جَمْعُ بَادِرَةٍ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: وَهِيَ لَحْمَةٌ بَيْنَ الْمَنْكَبِ وَالْعُنُقِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: هِيَ عُرُوقٌ تَضْطَرِبُ عِنْدَ الْفَزَعِ. وَفِي بَعْضِ الرُّوَايَاتِ تَرْجُفُ بَادِلُهُ، وَاحِدَتُهَا بَادِلَةٌ. وَقِيلَ بَادِلٌ، وَهُوَ مَا بَيْنَ الْعُنُقِ وَالتَّرْقُوتِ. وَقِيلَ أَصْلُ التَّنْدِي. وَقِيلَ: لَحْمُ التَّنْدِيْنِ. وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ. فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»، فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ قَالَ لِلْسَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رضي الله عنها: «مَا لِي؟» أَيْ شَيْءٌ عَرَضَ لِي؟! وَأَخْبَرَهَا مَا كَانَ مِنَ الْأَمْرِ. ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» وَذَلِكَ لِأَنَّهُ شَاهَدَ أَمْرًا لَمْ يَعْهَدُهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَلَا كَانَ فِي خَلَدِهِ. وَلِهَذَا قَالَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رضي الله عنها: أَبْشِرْ، كَلَّا وَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا. قِيلَ:

مِنَ الْخَزْيِ، وَقِيلَ: مِنَ الْخُزْنِ. وَهَذَا لِعِلْمِهَا بِمَا أَجْرَى اللَّهُ بِهِ جَمِيلَ الْعَوَائِدِ فِي خُلُقِهِ، أَنَّ مَنْ كَانَ مُتَّصِفًا بِصِفَاتِ الْخَيْرِ لَا يُخْزَى فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ. ثُمَّ ذَكَرَتْ لَهُ مِنْ صِفَاتِهِ الْجَلِيلَةِ مَا كَانَ مِنْ سَجَايَاهُ الْحَسَنَةِ. فَقَالَتْ: «إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ» وَقَدْ كَانَ مَشْهُورًا بِذَلِكَ (صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ) عِنْدَ الْمُوَافِقِ وَالْمُفَارِقِ. «وَتَحْمِلُ الْكُلَّ» أَيُّ عَنْ غَيْرِكَ، تُعْطِي صَاحِبَ الْعِيْلَةِ مَا يُرِيحُهُ مِنْ ثِقَلِ مُؤْنَةِ عِيَالِهِ. «وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ» أَيُّ تَسْبِقُ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرِ فَتَبَادِرُ إِلَى إِعْطَاءِ الْفَقِيرِ فَتَكْسِبُ حَسَنَتَهُ قَبْلَ غَيْرِكَ. وَيُسَمَّى الْفَقِيرُ مَعْدُومًا لِأَنَّ حَيَاتَهُ نَاقِصَةٌ، فَوُجُودُهُ وَعَدَمُهُ سَوَاءٌ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ:

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَاحَ بِمَيِّتٍ * إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ
وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ التَّهَامِيُّ، فِيمَا نَقَلَهُ عَنْهُ الْقَاضِي عِيَّاضٌ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ:
عَدَدَا الْفَقْرَ مَيِّتًا وَكَسَاهُ * كَفَنَّا بِالْيَا وَمَأْوَاهُ قَبْرًا

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: الصَّوَابُ «وَتَكْسِبُ الْمَعْدَمَ» أَيُّ تَبْذِلُ إِلَيْهِ أَوْ يَكُونُ تَكْسِبُ الْمَعْدَمِ بَعْطِيَّتُهُ مَا لَا يَعِيشُ بِهِ. وَاخْتَارَ شَيْخُنَا الْحَافِظُ أَبُو الْحَجَّاجِ الْمَزْيَنِيُّ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمَعْدُومِ هَهُنَا الْمَالُ الْمُنْعَى، أَيُّ يُعْطَى الْمَالُ لِمَنْ هُوَ عَادِمُهُ. وَمَنْ قَالَ إِنَّ الْمُرَادَ أَنَّكَ تَكْسِبُ بِاتِّجَارِكَ الْمَالُ الْمَعْدُومَ، أَوْ النَّفِيسَ الْقَلِيلَ النَّظِيرَ، فَقَدْ أَبْعَدَ النُّجْعَةَ، وَأَغْرَقَ فِي النَّزْعِ، وَتَكَلَّفَ مَا لَيْسَ لَهُ عِلْمٌ، فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا لَا يُمدِّحُ بِهِ غَالِبًا، وَقَدْ ضَعَّفَ هَذَا الْقَوْلَ عِيَّاضٌ وَالنَّوَوِيُّ وَغَيْرُهُمَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ. «وَتَقْرِي الضَّيْفَ» أَيُّ تُكْرِمُهُ فِي تَقْدِيمِ قَرَاهُ، وَإِحْسَانِ مَأْوَاهُ. «وَتَعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ» وَيُرْوَى «الْخَيْرِ»، أَيُّ إِذَا وَقَعَتْ نَائِبَةٌ لِأَحَدٍ فِي خَيْرٍ أَعْنَتَ فِيهَا، وَقُمْتَ مَعَ صَاحِبِهَا حَتَّى يَجِدَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ أَوْ قَوَامًا مِنْ عَيْشٍ. وَقَوْلُهُ: «ثُمَّ أَخَذَتْهُ فَانْطَلَقَتْ بِهِ إِلَى ابْنِ عَمِّهَا وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ». وَقَدْ قَدَّمْنَا طَرَفًا مِنْ خَبَرِهِ مَعَ ذِكْرِ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ، وَأَنَّهُ كَانَ مِمَّنْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَفَارَقَهُمْ وَارْتَحَلَ إِلَى الشَّامِ، هُوَ وَزَيْدُ بْنُ عَمْرٍو وَعُثْمَانُ بْنُ الْخُوَيْرِثِ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ، فَتَنَصَّرُوا كُلُّهُمْ، لِأَنَّهُمْ وَجَدُوهُ أَقْرَبَ الْأَدْيَانِ إِذْ ذَاكَ إِلَى الْحَقِّ. إِلَّا زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ فَإِنَّهُ رَأَى فِيهِ



دَخَلًا وَتَحْبِيطًا وَتَبْدِيلًا وَتَحْرِيفًا وَتَأْوِيلًا، فَأَبَتْ فطْرته الدُّخُولُ فِيهِ أَيْضًا، وبشره الْأَخْبَارُ
وَالرُّهْبَانُ بِوُجُودِ نَبِيِّ قَدْ أَزْفَ زَمَانُهُ وَاقْتَرَبَ أَوَانُهُ. فَرَجَعَ يَتَطَلَّبُ ذَلِكَ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى
فَطْرَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ. لَكِنْ اخْتَرَمَتْهُ الْمَنِيَّةُ قَبْلَ الْبُعْثَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ. وَأَدْرَكَهَا وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ وَكَانَ
يَتَوَسَّمُهَا فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَمَا قَدَّمْنَا، بِمَا كَانَتْ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَنْعُهُ لَهُ وَتَصَفُّهُ لَهُ،
وَمَا هُوَ مُنْطَوٍ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ الطَّاهِرَةِ الْجَمِيلَةِ وَمَا ظَهَرَ عَلَيْهِ مِنَ الدَّلَائِلِ وَالْآيَاتِ.
وَلِهَذَا لَمَّا وَقَعَ مَا وَقَعَ أَخَذَتْ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَاءَتْ بِهِ إِلَيْهِ، فَوَقَفَتْ بِهِ عَلَيْهِ وَقَالَتْ:
ابْنَ عَمٍّ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ. فَلَمَّا قَصَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، قَالَ وَرَقَةُ:
سُبُّوحٌ سُبُّوحٌ، هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَلَمْ يَذْكُرِ النَّبِيُّ عِيسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
وَإِنْ كَانَ مُتَأَخِّرًا بَعْدَ النَّبِيِّ مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لِأَنَّهُ كَانَتْ شَرِيعَتُهُ مُتَمِّمَةً وَمُكَمِّلَةً لَشَرِيعَةِ النَّبِيِّ
مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَنَسَخَتْ بَعْضَهَا عَلَى الصَّحِيحِ مِنْ قَوْلِ الْعُلَمَاءِ. كَمَا قَالَ: (وَلَا حِلَّ لَكُمْ
بَعْضُ الَّذِي حَرَّمَ عَلَيْكُمْ)، وَقَوْلُ وَرَقَةَ هَذَا كَمَا قَالَتْ الْجَنُّ: (يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا
أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ). ثُمَّ قَالَ
وَرَقَةُ: «يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا» أَيْ يَا لَيْتَنِي أَكُونُ الْيَوْمَ شَابًّا مُتَمَكِّنًا مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ
النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ. «يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ» يَعْنِي حَتَّى أُخْرِجَ
مَعَكَ وَأَنْصُرَكَ. فَعِنْدَهَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْ مَخْرُجِي هُمْ؟» قَالَ السَّهْلِيُّ: وَإِنَّمَا
قَالَ ذَلِكَ، لِأَنَّ فِرَاقَ الْوَطَنِ شَدِيدٌ عَلَى النَّفْسِ، فَقَالَ: «نَعَمْ! إِنَّهُ لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا
جُنْتُ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يَذُرْكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا»، أَيْ نَصْرَكَ نَصْرًا عَزِيزًا
أَبَدًا. وَقَوْلُهُ: «ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوفِّي» أَيْ تُوفِّي بَعْدَ هَذِهِ الْقِصَّةِ بِقَلِيلٍ، فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا
الَّذِي صَدَرَ عَنْهُ تَصْدِيقٌ بِمَا وَجَدَ، وَإِيمَانٌ بِمَا حَصَلَ مِنَ الْوَحْيِ، وَبَيَّةٌ صَالِحَةٌ لِلْمُسْتَقْبَلِ.
وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا حَسَنٌ، عَنْ ابْنِ لَهِيْعَةَ، حَدَّثَنِي أَبُو الْأَسْوَدِ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ
عَائِشَةَ، أَنَّ السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ فَقَالَ: «قَدْ رَأَيْتُهُ
فَرَأَيْتُ عَلَيْهِ ثِيَابَ بَيَاضٍ، فَأَحْسَبُهُ لَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ ثِيَابٌ بَيَاضٍ». وَهَذَا



إِسْنَادٌ حَسَنٌ، لَكِنْ رَوَاهُ الزُّهْرِيُّ وَهَشَامٌ عَنْ عُرْوَةَ مُرْسَلًا فَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٩٠).

وَرَوَى الْحَافِظُ أَبُو يَعْلَى، عَنْ شَرِيحِ بْنِ يُونُسَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ جُبَالِدٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رضوان الله تعالى عليه)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَئِلَ عَنْ وَرَقَةٍ بَنَ نُوفْلٍ فَقَالَ: «قَدْ رَأَيْتُهُ فَرَأَيْتَ عَلَيْهِ ثِيَابَ بَيَاضٍ، أَبْصَرْتُهُ فِي بَطْنَانَ الْجَنَّةِ وَعَلَيْهِ السُّنْدُسُ». وَسُئِلَ عَنْ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ فَقَالَ: «يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَةً وَحْدَهُ». وَسُئِلَ عَنْ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: «أَخْرَجْتُهُ مِنْ غَمْرَةٍ مِنْ جَهَنَّمَ إِلَى ضَحَضَاحٍ مِنْهَا». وَسُئِلَ عَنْ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رضي الله عنها، لَأَنَّهَا مَاتَتْ قَبْلَ الْفَرَائِضِ وَأَحْكَامِ الْقُرْآنِ، فَقَالَ: «أَبْصَرْتُهَا فِي نَهْرٍ فِي الْجَنَّةِ فِي بَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ». إِسْنَادٌ حَسَنٌ، وَلِبَعْضِهِ شَوَاهِدٌ فِي الصَّحِيحِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٩١).

«وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَزَّازُ: حَدَّثَنَا عُيَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَسْبُوا وَرَقَةً، فَإِنِّي رَأَيْتُ لَهَا جَنَّةً أَوْ جَنَّتَيْنِ». وَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْأَشْجِيِّ، عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، وَهَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ. وَرَوَى مُرْسَلًا وَهُوَ أَشْبَهُ».

«وَرَوَى الْحَافِظَانِ الْبَيْهَقِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي كِتَابَيْهِمَا «دَلَالُ النَّبَوَّةِ» مِنْ حَدِيثِ يُونُسَ بْنِ بُكَيْرٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَمْرٍو بْنِ شَرْحَبِيلَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِلْسَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رضي الله عنها: «إِنِّي إِذَا خَلَوْتُ وَخَدِي سَمِعْتُ نِدَاءً، وَقَدْ خَشِيتُ وَاللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِهَذَا أَمْرٌ». قَالَتْ: مَعَاذَ اللَّهِ، مَا كَانَ لِيَفْعَلَ ذَلِكَ بَكَ، فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَوَدِّي الْأَمَانَةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ. فَلَمَّا دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَلَيْسَ [عِنْدَهَا] رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ ذَكَرَتْ لَهُ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رضي الله عنها فَقَالَتْ: يَا عَتِيقُ اذْهَبْ مَعَ مُحَمَّدٍ إِلَى وَرَقَةٍ. فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ أَبُو بَكْرٍ. فَقَالَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى وَرَقَةٍ. قَالَ: «وَمَنْ أَخْبَرَكَ؟» قَالَ: خَدِيجَةُ. فَانْطَلَقَا إِلَيْهِ فَقَصَّصَا عَلَيْهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي إِذَا خَلَوْتُ وَخَدِي سَمِعْتُ نِدَاءً خَلْفِي: يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ. فَانْطَلِقْ هَارِبًا فِي الْأَرْضِ». فَقَالَ لَهُ: لَا تَفْعَلْ. إِذَا أَتَاكَ فَابْتُتْ حَتَّى تَسْمَعَ



مَا يَقُولُ لَكَ، ثُمَّ ائْتَنِي فَأَخْبِرْنِي. فَلَمَّا خَلَا نَادَاهُ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) حَتَّى بَلَغَ (وَلَا الضَّالِّينَ) قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَأَتَى وَرَقَةً فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: أَبَشِّرْ ثُمَّ أَبَشِّرْ. فَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ الَّذِي بَشَّرَ بِكَ ابْنُ مَرْيَمَ، وَإِنَّكَ عَلَى مِثْلِ نَامُوسِ النَّبِيِّ مُوسَى عليه السلام، وَإِنَّكَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَإِنَّكَ سَتُؤَمِّرُ بِالْجِهَادِ بَعْدَ يَوْمِكَ هَذَا، وَلَكِنْ أَدْرَكْنِي ذَلِكَ لِأُجَاهِدَنَّ مَعَكَ. فَلَمَّا تُوِّفِيَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُ الْقَسَّ فِي الْجَنَّةِ عَلَيْهِ ثِيَابُ الْحَرِيرِ، لِأَنَّهُ آمَنَ بِي وَصَدَّقَنِي» يَعْنِي وَرَقَةً ^(٩٢). هَذَا لَفْظُ الْبَيْهَقِيِّ، وَهُوَ مُرْسَلٌ، وَفِيهِ غَرَابَةٌ وَهُوَ كَوْنُ الْفَاتِحَةِ أَوَّلَ مَا نَزَلَ. وَقَدْ قَدَّمْنَا مِنْ شِعْرِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى إِضْمَارِهِ الْإِبَّانَ وَعَقْدِهِ عَلَيْهِ وَتَأَكُّدِهِ عِنْدَهُ، وَذَلِكَ حِينَ أَخْبَرَتْهُ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رضي الله عنها مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَعَ غَلَامِهَا مَيْسِرَةً، وَكَيْفَ كَانَتْ الْغَمَامَةُ تُظِلُّهُ فِي هَجِيرِ الْفَيْظِ، فَقَالَ وَرَقَةُ فِي ذَلِكَ أَشْعَارًا قَدَّمْنَاهَا قَبْلَ هَذَا، مِنْهَا قَوْلُهُ:

لَجَجْتُ وَكُنْتُ فِي الذِّكْرَى لَجُوجًا * لِأَمْرِ طَالَمَا بَعَثَ النَّشِيجَا
وَوَصَفِ مِنْ خَدِيجَةٍ بَعْدَ وَصْفِ * فَقَدْ طَالَ انْتِظَارِي يَا خَدِيجَا
بِطُنِ الْمَكْتَبَيْنِ عَلَى رَجَائِي * حَدِيثُكَ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجَا
بِمَا خَبَرْتَنَا مِنْ قَوْلِ قَس * مِنَ الرُّهْبَانِ أَكْرَهُ أَنْ يَعُوجَا
بِأَنَّ مُحَمَّدًا سَيَسُودُ قَوْمًا * وَيَخْصِمُ مَنْ يَكُونُ لَهُ حَجِيجَا
وَيُظْهِرُ فِي الْبِلَادِ ضِيَاءَ نُورٍ * يُقِيمُ بِهِ الْبَرِّيَّةَ أَنْ تَعُوجَا
فَيَلْقَى مَنْ يُحَارِبُهُ خَسَارًا * وَيَلْقَى مَنْ يَسْأَلُهُ فُلُوجَا
فِيالْبَتِي إِذَا مَا كَانَ ذَاكُم * شَهِدْتُ وَكُنْتُ أَوْلَهُمْ وَلُوجَا
وُلُوجًا فِي الَّذِي كَرِهْتُ قُرَيْشُ * وَلَوْ عَجَّتْ بِمَكْتَهَا عَجِيجَا
أَرْجِي بِالَّذِي كَرَهُوا جَمِيعًا * إِلَى ذِي الْعَرْشِ إِذْ سَفَلُوا عُرُوجَا
فَإِنْ يَبْقُوا وَأَبَقَ تَكُنْ أُمُورُ * يَضِجُ الْكَافِرُونَ لَهَا ضَجِيجَا
وَقَالَ أَيْضًا فِي قَصِيدَتِهِ الْأُخْرَى:



وَأَخْبَارَ صِدْقِ خَبَرْتُ عَنْ مُحَمَّدٍ * يُخَبِّرُهَا عَنْهُ إِذَا غَابَ نَاصِحُ
بَأَنَّ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ مُرْسَلٌ * إِلَى كُلِّ مَنْ ضَمَّتْ عَلَيْهِ الْأَبَاطِحُ
وِظَنِي بِهِ أَنْ سَوْفَ يُبْعَثُ صَادِقًا * كَمَا أُرْسِلَ الْعَبْدَانِ: هُوْدٌ وَصَالِحُ
وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ حَتَّى يَرَى لَهُ * بهاءً ومنشور من الحق واضحُ
وَيَتَّبِعُهُ حَيًّا لَوْ يُبْنَى غَالِبٌ * شَبَابُهُمْ وَالْأَشْيُونُ الْجَحَاجِحُ
فَإِنْ أَبَقَ حَتَّى يَدْرِكَ النَّاسَ دَهْرُهُ * فَإِنِّي بِهِ مُسْتَبَشِّرُ الْوُدِّ فَارِحُ
وَالْإِلَهِ فَإِنِّي يَا خَدِيجَةَ فَاعْلَمِي * عَنْ أَرْضِكَ فِي الْأَرْضِ الْعَرِيضَةِ سَائِحُ
وَقَالَ يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ: قَالَ وَرَقَةُ:

فَإِنْ يَكُ حَقًّا يَا خَدِيجَةَ فَاعْلَمِي * حَدِيثُكَ إِنَّا فَاحْمَدُ مُرْسَلُ
وَجَبْرِيلُ يَأْتِيهِ وَمِيكَالُ مَعَهَا * مِنَ اللَّهِ وَحْيٌ يَشْرَحُ الصَّدْرَ مُنْزَلُ
يَقُورُ بِهِ مَنْ فَازَ فِيهَا بِتَوْبَةٍ * وَيَشْفَى بِهِ الْعَانِي الْغَرِيرُ الْمُضَلَّلُ
فَرِيقَانِ مِنْهُمْ فِرْقَةٌ فِي جَنَانِهِ * وَأُخْرَى بِأَحْوَاзِ الْجَحِيمِ تُعَلَّلُ
إِذَا مَا دَعَوْا بِالْوَيْلِ فِيهَا تَتَابَعَتْ * مَقَامِعُ فِي هَامَاتِهِمْ ثُمَّ تُشْعَلُ
فَسُبْحَانَ مَنْ تَهْوِي الرِّيحُ بِأَمْرِهِ * وَمَنْ هُوَ فِي الْأَيَّامِ مَا شَاءَ يَفْعَلُ
وَمَنْ عَرْشُهُ فَوْقَ السَّمَوَاتِ كُلِّهَا * وَأَقْضَاؤُهُ فِي خَلْقِهِ لَا تَبْدَلُ
قَالَ وَرَقَةُ أَيْضًا:

يَا لِلرَّجَالِ وَصَرَفِ الدَّهْرِ وَالْقَدَرِ * وَمَا لَشَيْءٍ قَضَاهُ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ
حَتَّى خَدِيجَةُ تَدْعُونِي لِأَخْبَرَهَا * أَمْرًا أَرَاهُ سَيَأْتِي النَّاسَ مِنْ آخِرِ
وَأَخْبَرْتَنِي بِأَمْرٍ قَدْ سَمِعْتُ بِهِ * فِيمَا مَضَى مِنْ قَدِيمِ الدَّهْرِ
وَالْعَصْرِ بَأَنَّ أَحْمَدَ يَأْتِيهِ فَيُخْبِرُهُ * جَبْرِيلُ أَنَّكَ مَبْعُوثٌ إِلَى الْبَشَرِ
فَقُلْتُ عَلَى الَّذِي تَرْجِيحُ يُنْجِزُهُ * لَكَ الْإِلَهِ فَرَجِّي الْخَيْرَ وَأَنْتَ ظَرِي
وَأُرْسِلِيهِ إِلَيْنَا كَيْ نَسْأَلَهُ * عَنْ أَمْرِهِ مَا يَرَى فِي النَّوْمِ وَالسَّهَرِ



فَقَالَ حِينَ أَنَا مَنْطِقًا عَجَبًا * يَقِفُ مِنْهُ أَعَالِي الْجُلْدِ وَالشَّعْرِ
إِنِّي رَأَيْتُ أَمِينَ اللَّهِ وَاجْهَنِي * فِي صُورَةٍ أَكْمَلْتُ مِنْ أَعْظَمِ الصُّورِ
ثُمَّ اسْتَمَرَّ فَكَادَ الْخَوْفُ يَذْعُرُنِي * مِمَّا يُسَلِّمُ مِنْ حَوْلِي مِنَ الشَّجَرِ
فَقُلْتُ ظَنِّي وَمَا أَذْرِي أَيْضُوقُنِي * أَنْ سَوْفَ يُبْعَثُ يَتْلُو مُنْزَلَ السُّورِ
وَسَوْفَ يَلِيكَ إِنِ أَغْلَنْتَ دَعْوَتَهُمْ * مِنَ الْجِهَادِ بِلَا مَنْ وَلَا كَدَرٍ
هَكَذَا أوردَ ذَلِكَ الْحَافِظُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ وَعِنْدِي فِي صِحَّتِهَا عَنْ وَرَقَةَ نَظَرٌ وَاللَّهُ
أَعْلَمُ (٩٣).

«وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ الْعَلَاءِ بْنِ جَارِيَةَ
التَّقْفِي - وَكَانَ وَاعِيَةً - عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَرَادَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ
وَابْتِدَاءَهُ بِالنُّبُوَّةِ، كَانَ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أُبْعِدَ حَتَّى يَحْسِرَ الْبُيُوتَ عَنْهُ وَيُقْضَى إِلَى شِعَابِ
مَكَّةَ وَبُطُونِ أَوْدِيَّتِهَا، فَلَا يَمُرُّ بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ:
فَيَلْتَفِتُ حَوْلَهُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَخَلْفَهُ فَلَا يَرَى إِلَّا الشَّجَرَ وَالْحِجَارَةَ، فَمَكَثَ كَذَلِكَ
يَرَى وَيَسْمَعُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمُكِّثَ، ثُمَّ جَاءَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ ﷺ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ وَهُوَ
بِحِرَاءَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي وَهْبُ بْنُ كَيْسَانَ مَوْلَى آلِ الزُّبَيْرِ، قَالَ
سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَهُوَ يَقُولُ لِعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرِ بْنِ قَتَادَةَ اللَّيْثِيِّ: حَدَّثَنَا يَا عُبَيْدُ:
كَيْفَ كَانَ بَدْءُ مَا ابْتَدَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ النُّبُوَّةِ حِينَ جَاءَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ ﷺ. قَالَ:
فَقَالَ عُبَيْدُ وَأَنَا حَاضِرٌ، يُحَدِّثُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَمَنْ عِنْدَهُ مِنَ النَّاسِ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ يُجَاوِرُ فِي حِرَاءَ فِي كُلِّ سَنَةٍ شَهْرًا يَتَحَنَّتْ. قَالَ: وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا تَحَنَّتْ بِهِ قُرَيْشٌ فِي
الْجَاهِلِيَّةِ، وَالتَّحَنُّتُ: التَّبَرُّرُ. فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُجَاوِرُ ذَلِكَ الشَّهْرَ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ يُطْعِمُ
مَنْ جَاءَهُ مِنَ الْمَسَاكِينِ، فَإِذَا قَضَى جَوَارَهُ مِنْ شَهْرِهِ ذَلِكَ كَانَ أَوَّلَ مَا يَبْدَأُ بِهِ إِذَا انْصَرَفَ
مِنْ جَوَارِهِ الْكُعْبَةَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ، فَيَطُوفُ بِهَا سَبْعًا أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ
إِلَى بَيْتِهِ. حَتَّى إِذَا كَانَ الشَّهْرُ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ بِهِ فِيهِ مَا أَرَادَ مِنْ كَرَامَتِهِ مِنَ السَّنَةِ الَّتِي بَعَثَهُ



فِيهَا، وَذَلِكَ الشَّهْرُ رَمَضَانُ، خَرَجَ إِلَى حِرَاءٍ كَمَا كَانَ يَخْرُجُ لِجَوَارِهِ وَمَعَهُ أَهْلُهُ، حَتَّى إِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ فِيهَا بِرِسَالَتِهِ وَرَحِمَ الْعِبَادَ بِهِ جَاءَهُ الْمَلِكُ جِبْرِيلُ (عليه السلام) بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم): «فَجَاءَنِي وَأَنَا نَائِمٌ بَنَمَطٍ مِنْ دِيبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ، فَقَالَ: اقْرَأْ. قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: فَغَتَّنِي حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: فَغَتَّنِي حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: فَغَتَّنِي حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. قُلْتُ: مَاذَا أَقْرَأُ؟ مَا أَقُولُ ذَلِكَ إِلَّا افْتِدَاءً مِنْهُ أَنْ يَعُودَ لِي بِمِثْلِ مَا صَنَعَ بِي. فَقَالَ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ). قَالَ: فَقَرَأْتُهَا ثُمَّ انْتَهَى وَانْصَرَفَ عَنِّي، وَهَبَيْتُ مِنْ نَوْمِي فَكَأَنَّمَا كَتَبَ فِي قَلْبِي كِتَابًا. قَالَ: فَخَرَجْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي وَسْطٍ مِنَ الْجَبَلِ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا جِبْرِيلُ. قَالَ: فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ، فَانْظُرُ فَإِذَا جِبْرِيلُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ صَافٍ قَدَمَيْهِ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا جِبْرِيلُ. فَوَقَفْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَمَا أَتَقَدَّمَ وَمَا أَتَأَخَّرُ، وَجَعَلْتُ أَصْرِفُ وَجْهِي عَنْهُ فِي آفَاقِ السَّمَاءِ فَمَا أَنْظُرُ فِي نَاحِيَةٍ مِنْهَا إِلَّا رَأَيْتُهُ كَذَلِكَ. فَمَا زِلْتُ وَاقِفًا مَا أَتَقَدَّمَ أَمَامِي وَمَا أَرْجِعُ وَرَائِي حَتَّى بَعَثْتُ خَدِيجَةَ رُسُلَهَا فِي طَلْبِي، فَبَلَّغُوا مَكَّةَ وَرَجَعُوا إِلَيْهَا وَأَنَا وَاقِفٌ فِي مَكَانِي ذَلِكَ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنِّي. وَانْصَرَفْتُ رَاجِعًا إِلَى أَهْلِي حَتَّى أَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَجَلَسْتُ إِلَى فَخِذِهَا مُضِيغًا إِلَيْهَا، فَقَالَتْ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ أَيْنَ كُنْتَ؟ فَوَاللَّهِ لَقَدْ بَعَثْتُ رُسُلِي فِي طَلَبِكَ حَتَّى بَلَّغُوا مَكَّةَ وَرَجَعُوا إِلَيَّ. ثُمَّ حَدَّثْتُنِي بِالَّذِي رَأَيْتُ فَقَالَتْ: أَبَشِّرْ يَا بَنَ الْعَمِّ وَابْتِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ خَدِيجَةَ بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ نَبِيَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ. ثُمَّ قَامَتْ فَجَمَعَتْ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا ثُمَّ انْطَلَقَتْ إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، فَأَخْبَرَتْهُ بِمَا أَخْبَرَهَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم)، فَقَالَ وَرَقَةُ: قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ، وَالَّذِي نَفْسُ وَرَقَةَ بِيَدِهِ لَئِنْ كُنْتُ صَدَقْتَنِي يَا خَدِيجَةُ لَقَدْ جَاءَهُ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي النَّبِيَّ مُوسَى (عليه السلام)، وَإِنَّهُ لَنَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَقَوْلِي لَهُ فَلْيُثَبِّتْ. فَارْجَعْتُ السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ (عليها السلام) إِلَى

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِقَوْلِ وَرَقَةَ. فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَوَارَهُ وَانْصَرَفَ صَنَعَ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ، بَدَأَ بِالْكَعْبَةِ فَطَافَ بِهَا، فَلَقِيَهُ وَرَقَةُ بْنُ نُوفَلٍ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ فَقَالَ: يَا بَنَ أَخِي، أَخْبَرْنِي بِمَا رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ. فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكَ لَنَبِيٌّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَقَدْ جَاءَكَ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي جَاءَ النَّبِيَّ مُوسَى ﷺ، وَلَتَكْذِبَتُهُ وَلَتَوْدِيَّتُهُ وَلَتَخْرَجَتُهُ وَلَتَقَاتِلَتُهُ، وَلَكِنْ أَنَا أَدْرَكْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ لَأَنْصُرَنَّ اللَّهَ نَصْرًا يَعْلَمُهُ. ثُمَّ أَذْنَى رَأْسَهُ مِنْهُ فَقَبِلَ يَأْفُوخَهُ ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَنْزِلِهِ. وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ كَمَا ذَكَرْنَاهُ كَالْتَوْطِئَةِ لَمَّا جَاءَ بَعْدَهُ مِنَ الْيَقْظَةِ، كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِ عَائِشَةَ: فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ. وَيُحْتَمَلُ أَنَّ هَذَا الْمَنَامَ كَانَ بَعْدَ مَا رَأَاهُ فِي الْيَقْظَةِ صَبِيحَةً لَيْلَتِيذٍ. وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ كَانَ بَعْدَهُ بِمَدَّةٍ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. (٩٤).

«وَقَالَ مُوسَى بْنُ عَقْبَةَ: عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ، قَالَ: وَكَانَ بَلَعْنَا أَوَّلَ مَا رَأَى، يَعْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرَاهُ رُؤْيَا فِي الْمَنَامِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَذَكَرَهَا لِأَمْرَأَتِهِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَعَصَمَهَا اللَّهُ عَنِ التَّكْذِيبِ وَشَرَحَ صَدْرَهَا لِلتَّصَدِيقِ فَقَالَتْ: أَبْشُرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَصْنَعْ بِكَ إِلَّا خَيْرًا. ثُمَّ إِنَّهُ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا، فَأَخْبَرَهَا أَنَّهُ رَأَى بَطْنَهُ شَقَّ ثُمَّ غُسِلَ وَطُهِرَ ثُمَّ أُعِيدَ كَمَا كَانَ. قَالَتْ: هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ فَأَبْشُرْ. ثُمَّ اسْتَعْلَنَ لَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ فَاجْلَسَهُ عَلَى مَجْلِسٍ كَرِيمٍ مُعْجَبٍ، كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: أَجْلَسَنِي عَلَى بَسَاطِ كَهْنِيَّةِ الدَّرَنُوكِ فِيهِ الْيَاقُوتُ وَاللُّؤْلُؤُ، فَبَشَّرَهُ بِرِسَالَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، حَتَّى اطمأنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَقْرَأْ. فَقَالَ: كَيْفَ أَقْرَأُ؟ فَقَالَ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ). قَالَ: وَيَزْعُمُ نَاسٌ أَنَّ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) أَوَّلُ سُورَةِ نَزَلَتْ عَلَيْهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَقَبِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رِسَالَةَ رَبِّهِ وَاتَّبَعَ مَا جَاءَهُ بِهِ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. فَلَمَّا انْصَرَفَ مُنْقَلِبًا إِلَى بَيْتِهِ جَعَلَ لَا يَمُرُّ عَلَى شَجَرٍ وَلَا حَجَرٍ إِلَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا مُوَفِّيًا أَنَّهُ قَدْ رَأَى أَمْرًا عَظِيمًا، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى السَّيِّدَةِ



خديجة عليها السلام قال: أرأيتك التي كنت حدثتك أني رأيته في المنام؟ فإنه الملك جبريل استعلن إلي، أرسله إلي ربي عز وجل. وأخبرها بالذي جاءه من الله وما سمع منه، فقالت: أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً، وأقبل الذي جاءك من أمر الله فإنه حق، وأبشر فإنك رسول الله حقاً. ثم انطلقت من مكانها، فأتت غلاماً لعُبْتَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، نصرانياً من أهل نينوى يقال له عَدَّاسُ فقالت له: يا عَدَّاسُ أَذْكَرُكَ بِاللَّهِ إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي: هَلْ عِنْدَكَ عِلْمٌ مِنْ جِبْرِيلَ؟ فقال: قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ، مَا شَأْنُ جِبْرِيلَ يُذَكِّرُ بِهِدِهِ الْأَرْضَ الَّتِي أَهْلُهَا أَهْلُ الْأَوْتَانِ. فقالت: أَخْبِرْنِي بِعِلْمِكَ فِيهِ. قال: فإنه أمين الله بينه وبين النبيين، وهو صاحبُ النبي موسى والنبي عيسى عليهما السلام. فرجعت السيدة خديجة عليها السلام من عنده فجاءت ورقة بن نوفل، فذكرت له ما كان من أمر النبي صلى الله عليه وسلم وما ألقاه إليه الملك جبريل عليه السلام، فقال لها ورقة: يا بُنَيَّةُ أَخِي، مَا أَدْرِي لَعَلَّ صَاحِبَكَ النَّبِيَّ الَّذِي يَنْتَظِرُ أَهْلُ الْكِتَابِ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عَنْدهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَأَقْسِمُ بِاللَّهِ لَئِنْ كَانَ إِيَّاهُ ثُمَّ أَظْهَرَ دَعْوَاهُ وَأَنَا حَيٌّ لَا لِيَنَّ اللَّهُ فِي طَاعَةِ رَسُولِهِ وَحُسْنِ مُؤَاوَرَتِهِ لِلصَّبْرِ وَالنَّصْرِ. فمات ورقة. قال الزُّهْرِيُّ: فَكَانَتْ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ عليها السلام أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَصَدَّقَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. قَالَ الْحَافِظُ الْبَيْهَقِيُّ بَعْدَ إِيرَادِهِ مَا ذَكَرْنَاهُ: وَالَّذِي ذَكَرَ فِيهِ مِنْ شَقِّ بَطْنِهِ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ حِكَايَةً مِنْهُ لِمَا صُنِعَ بِهِ فِي صَبَاهِ، يَعْنِي شَقَّ بَطْنِهِ عِنْدَ حَلِيمَةَ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ شَقٌّ مَرَّةً أُخْرَى، ثُمَّ ثَالِثَةً حِينَ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ ^(٩٥).

«وَقَدْ ذَكَرَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَرْجَمَةِ وَرَقَةَ بِإِسْنَادِهِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ طَرْحَانَ التِّمِيمِيِّ قَالَ: بَلَّغَنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا رَسُولًا عَلَى رَأْسِ خَمْسِينَ سَنَةً مِنْ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ. وَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ اخْتَصَّ بِهِ مِنَ النَّبُوءَةِ وَالْكَرَامَةِ رُؤْيَا كَانَ يَرَاهَا، فَقَصَّ ذَلِكَ عَلَى زَوْجَتِهِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ عليها السلام فَقَالَتْ لَهُ: أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِكَ إِلَّا خَيْرًا. فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي حِرَاءٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ إِلَيْهِ مِنْ قَوْمِهِ، إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَدَنَا مِنْهُ، فَخَافَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَخَافَةً شَدِيدَةً، فَوَضَعَ الْمَلِكُ جِبْرِيلُ عليه السلام يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ بَيْنَ





كَتَفَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ احْطُطْ وَزَرَّهُ، وَأَشْرَحْ صَدْرَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، يَا مُحَمَّدُ أَبْشِرْ! فَإِنَّكَ نَبِيٌّ هَذِهِ الْأُمَّةُ، اقْرَأْ. فَقَالَ لَهُ نَبِيُّ اللَّهِ: وَهُوَ خَائِفٌ يُرْعَدُ: مَا قَرَأْتُ كِتَابًا قَطُّ وَلَا أَحْسَنُهُ، وَمَا أَكْتُبُ وَمَا أَقْرَأُ. فَأَخَذَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عليه السلام فَغَتَّه غَتًّا شَدِيدًا ثُمَّ تَرَكَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اقْرَأْ. فَأَعَادَ عَلَيْهِ مِثْلَهُ. فَأَجْلَسَهُ عَلَى بَسَاطٍ كَهَيْئَةِ الدَّرَنُوكِ فَرَأَى فِيهِ مِنْ صِفَائِهِ وَحُسْنِهِ كَهَيْئَةِ اللُّؤْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ وَقَالَ لَهُ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) الْآيَاتِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: لَا تَخَفْ يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ. ثُمَّ انْصَرَفَ، وَأَقْبَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ عليه السلام هُمُ، فَقَالَ: كَيْفَ أَصْنَعُ وَكَيْفَ أَقُولُ لِقَوْمِي؟! ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام وَهُوَ خَائِفٌ، فَاتَاهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عليه السلام مِنْ أَمَامِهِ وَهُوَ فِي صَعْرَتِهِ، فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام أَمْرًا عَظِيمًا مَلَأَ صَدْرَهُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عليه السلام: لَا تَخَفْ يَا مُحَمَّدُ، جَبْرِيلُ رَسُولُ اللَّهِ، جَبْرِيلُ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، فَأَيُّقُنْ بِكَرَامَةِ اللَّهِ فَإِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ. فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام لَا يَمُرُّ عَلَى شَجَرٍ وَلَا حَجَرٍ إِلَّا هُوَ سَاجِدٌ يَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَاطْمَأَنَّ نَفْسُهُ وَعَرَفَ كَرَامَةَ اللَّهِ إِيَّاهُ. فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى زَوْجَتِهِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ عليها السلام أَبْصَرَتْ مَا بَوَجهِهِ مِنْ تَغْيِيرٍ لَوْنِهِ، فَأَفْرَعَهَا ذَلِكَ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ، فَلَمَّا دَنَتْ مِنْهُ جَعَلَتْ تَمْسُحُ عَنْ وَجْهِهِ وَتَقُولُ: لَعَلَّكَ لِبَعْضِ مَا كُنْتَ تَرَى وَتَسْمَعُ قَبْلَ الْيَوْمِ. فَقَالَ: يَا خَدِيجَةُ أَرَأَيْتِ الَّذِي كُنْتُ أَرَى فِي الْمَنَامِ وَالصَّوْتِ الَّذِي كُنْتُ أَسْمَعُ فِي الْيَقَظَةِ وَأَهَالُ مِنْهُ؟ فَإِنَّهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ قَدْ اسْتَعْلَنَ لِي وَكَلَّمَنِي وَأَقْرَأَنِي كَلَامًا فَرَعْتُ مِنْهُ، ثُمَّ عَادَ إِلَيَّ فَأَخْبَرَنِي أَنِّي نَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَأَقْبَلْتُ رَاجِعًا فَأَقْبَلْتُ عَلَى شَجَرٍ وَحِجَارَةٍ فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ عليها السلام: أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَنْ يَفْعَلَ بِكَ إِلَّا خَيْرًا، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِي تَنْتَظِرُهُ الْيَهُودُ، قَدْ أَخْبَرَنِي بِهِ نَاصِحٌ غُلَامِي وَبَحِيرَى الرَّاهِبِ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَتَزَوَّجَكَ مِنْذُ أَكْثَرِ مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً. فَلَمَّا تَزَلَّ بِرَسُولِ اللَّهِ عليه السلام حَتَّى طَعِمَ وَشَرِبَ وَضَحِكَ. ثُمَّ خَرَجَتْ إِلَى الرَّاهِبِ وَكَانَ قَرِيبًا مِنْ مَكَّةَ فَلَمَّا دَنَتْ مِنْهُ وَعَرَفَهَا، قَالَ: مَا لَكَ يَا سَيِّدَةَ نِسَاءِ فُرَيْشٍ؟ فَقَالَتْ: أَقْبَلْتُ إِلَيْكَ لِتُخْبِرَنِي عَنْ جَبْرِيلَ. فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ رَبَّنَا الْقُدُّوسِ! مَا بَالُ جَبْرِيلَ يُدْكَرُ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ

الَّتِي يَعْبُدُ أَهْلُهَا الْأَوْتَانَ؟! جَبْرِيلُ آمِينَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَهُوَ صَاحِبُ مُوسَى وَعِيسَى عليهما السلام. فَعَرَفْتُ كَرَامَةَ اللَّهِ لِمُحَمَّدٍ عليه السلام. ثُمَّ أَتَتْ عَبْدًا لِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ يُقَالُ لَهُ عَدَّاسٌ، فَسَأَلَتْهُ فَأَخْبَرَهَا بِمِثْلِ مَا أَخْبَرَهَا بِهِ الرَّاهِبُ وَأَزِيدَ، قَالَ: جَبْرِيلُ كَانَ مَعَ مُوسَى عليه السلام حِينَ أَغْرَقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، وَكَانَ مَعَهُ حِينَ كَلَّمَهُ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) عَلَى الطُّورِ، وَهُوَ صَاحِبُ النَّبِيِّ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عليهما السلام الَّذِي آيَدَهُ اللَّهُ بِهِ. ثُمَّ قَامَتْ مِنْ عِنْدِهِ فَأَتَتْ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ فَسَأَلَتْهُ عَنِ الْمَلِكِ جَبْرِيلَ عليه السلام، فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ. ثُمَّ سَأَلَهَا: مَا الْخَبَرُ؟ فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّ يَكْتُمُ مَا تَقُولُ لَهُ، فَحَلَفَ لَهَا فَقَالَتْ لَهُ: إِنَّ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ ذَكَرَ لِي، وَهُوَ صَادِقٌ أَحْلَفَ بِاللَّهِ مَا كَذَبَ وَلَا كُذِبَ، أَنَّهُ نَزَلَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عليه السلام بِحِرَاءٍ، وَأَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ نَبِيٌّ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَقْرَأَهُ آيَاتِ أَرْسَلِ بِهَا. قَالَ: فَذَعَرَ وَرَقَةَ لَذَلِكَ وَقَالَ: لَيْتَنِي كَانَ الْمَلِكُ جَبْرِيلَ عليه السلام قَدْ اسْتَقَرَّتْ قَدَمَاهُ عَلَى الْأَرْضِ لَقَدْ نَزَلَ عَلَى خَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَمَا نَزَلَ إِلَّا عَلَى نَبِيٍّ، وَهُوَ صَاحِبُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ يُرْسِلُهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ، وَقَدْ صَدَقْتُكَ عَنْهُ، فَأَرْسِلِي إِلَيَّ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَسْأَلُهُ وَأَسْمَعُ مِنْ قَوْلِهِ وَأُحَدِّثُهُ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ الْمَلِكِ جَبْرِيلَ عليه السلام، فَإِنَّ بَعْضَ الشَّيَاطِينِ يَتَشَبَّهُ بِهِ لِيُضِلَّ بِهِ بَعْضَ بَنِي آدَمَ وَيُفْسِدُهُمْ، حَتَّى يَصِيرَ الرَّجُلُ بَعْدَ الْعَقْلِ الرَّضِيِّ مُدْلَهَا مَجْنُونًا. فَقَامَتْ مِنْ عِنْدِهِ وَهِيَ وَاثِقَةٌ بِاللَّهِ أَنْ لَا يَفْعَلَ بِصَاحِبِهَا إِلَّا خَيْرًا، فَرَجَعَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه فَأَخْبَرَتْهُ بِمَا قَالَ وَرَقَةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (ن). وَالْقَلَمَ وَمَا يَسْطُرُونَ. مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (الْأَيَاتِ). فَقَالَ لَهَا: كَلَّا وَاللَّهِ إِنَّهُ لِلْمَلِكِ جَبْرِيلَ عليه السلام. فَقَالَتْ لَهُ: أَحِبُّ أَنْ تَأْتِيَهُ فَتُخْبِرَهُ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَهُ. فَجَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةَ: هَذَا الَّذِي جَاءَكَ فِي نُورٍ أَوْ ظُلْمَةٍ؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه عَنْ صِفَةِ الْمَلِكِ جَبْرِيلَ عليه السلام وَمَا رَأَهُ مِنْ عَظَمَتِهِ وَمَا أَوْحَاهُ إِلَيْهِ. فَقَالَ وَرَقَةَ: أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا الْمَلِكُ جَبْرِيلَ عليه السلام، وَأَنَّ هَذَا كَلَامُ اللَّهِ، فَقَدْ أَمَرَكَ بِشَيْءٍ تُبْلَغُهُ قَوْمَكَ، وَإِنَّهُ لَا مَرُؤَ نُبُوَّةٍ، فَإِنْ أَدْرَكَ زَمَانَكَ أَتْبَعَكَ ثُمَّ قَالَ: أَبَشِّرْ ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِمَا بَشَّرَكَ اللَّهُ بِهِ. قَالَ: وَدَاعَ قَوْلُ وَرَقَةَ وَتَصَدِيقُهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمَلَأِ مِنْ قَوْمِهِ. قَالَ: وَفَتَرَ الْوَحْيَ، فَقَالُوا: لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ





لَتَتَّبَعَ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَلَاهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ (وَالضُّحَى) وَ (أَلَمْ نَشْرَحْ) بِكَمَالِهِمَا» (٩٦).

وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ، حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ، حَدَّثَنَا يُونُسُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ مَوْلَى آلِ الزَّيْرِ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ عَنِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَا بَيْنَهُمَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ بُيُوتِهِ: يَا بَنَ عَمِّ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُخْبِرَنِي بِصَاحِبِكَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ إِذَا جَاءَكَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. فَقَالَتْ: إِذَا جَاءَكَ فَأَخْبِرْنِي. فَبَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَهَا إِذْ جَاءَ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَرَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا خَدِيجَةُ، هَذَا الْمَلِكُ جَبْرِيلُ. فَقَالَتْ: أَتَرَاهُ الْآنَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: فَاجْلِسْ إِلَى شِقِّي الْأَيْمَنِ. فَتَحَوَّلَ فَجَلَسَ. فَقَالَتْ: أَتَرَاهُ الْآنَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: فَتَحَوَّلَ فَاجْلِسْ فِي حِجْرِي. فَتَحَوَّلَ فَجَلَسَ فِي حِجْرِهَا، فَقَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ الْآنَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَتَحَسَّرَتْ رَأْسَهَا فَشَالَتْ خِمَارَهَا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي حِجْرِهَا فَقَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ الْآنَ؟ قَالَ: لَا. قَالَتْ: مَا هَذَا بِشَيْطَانٍ إِنَّ هَذَا مَلَكٌ يَا بَنَ عَمِّ، فَابْتُئِشْ. ثُمَّ أَمِنَتْ بِهِ وَشَهِدَتْ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَسَنِ هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ: قَدْ سَمِعْتُ أُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتَ الْحُسَيْنِ تُحَدِّثُ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَنِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، إِلَّا أَنِّي سَمِعْتُهَا تَقُولُ: أَدْخَلَتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهَا وَبَيْنَ دَرْعِهَا فَذَهَبَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمَلِكِ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. قَالَ: الْبَيْهَقِيُّ وَهَذَا شَيْءٌ كَانَ مِنَ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَصْنَعُهُ تَسْتَبِثُ بِهِ الْأَمْرَ اخْتِاطًا لِدِينِهَا وَتَصَدِيقًا. فَأَمَّا النَّبِيُّ ﷺ فَقَدْ كَانَ وَثِقًا بِمَا قَالَ لَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَرَاهُ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَمَا كَانَ مِنْ تَسْلِيمِ الشَّجَرِ وَالْحَجَرِ عَلَيْهِ ﷺ وَسَلَامِ تَسْلِيمًا.

وَقَدْ قَالَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ، حَدَّثَنِي سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي لَا أَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلَّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِلَيَّ لِأَعْرِفُهُ الْآنَ». وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ مُعَاذٍ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ أَنَّ رَسُولَ

الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ بِمَكَّةَ لِحَجْرًا كَانَ يُسَلَّمُ عَلَيَّ لَيَالِي بُعِثْتُ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ إِذَا مَرَرْتُ عَلَيْهِ». وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ مِنْ حَدِيثِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّدِّيِّ الْكَبِيرِ، عَنْ عَبَادِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ فَخَرَجَ فِي بَعْضِ نَوَاحِيهَا فَمَا اسْتَقْبَلَهُ شَجَرٌ وَلَا جَبَلٌ إِلَّا قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ. وَفِي رِوَايَةٍ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي أَدْخُلُ مَعَهُ الْوَادِي فَلَا يَمُرُّ بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا رَسُولَ اللهِ وَأَنَا أَسْمَعُهُ.

فصل:

قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي رِوَايَتِهِ الْمُتَقَدِّمَةِ: ثُمَّ فُتِرَ الْوَحْيُ حَتَّى حَزَنَ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا بَلَغْنَا حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مَرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُؤُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ، فَكَلِمًا أَوْفَى بِذُرْوَةِ جَبَلٍ لَكِي يَلْقِي نَفْسَهُ تَبْدَى لَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللهِ حَقًّا. فَيَسْكُنُ لَذَلِكَ جَأَشُهُ وَتَقَرُّ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ. فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فِتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ، فَإِذَا أَوْفَى بِذُرْوَةِ جَبَلٍ تَبْدَى لَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ^(٩٧).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَلَمَةَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ يُحَدِّثُ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ (رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ قَالَ: فَبَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصْرِي قَبْلَ السَّمَاءِ فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ، فَجِئْتُ مِنْهُ، فَرَقًّا حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ، فَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي. فَأَنْزَلَ اللهُ: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ * وَتِبَابَكَ فَطْهَرْ * وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ). قَالَ: ثُمَّ حَمِي الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ. فَهَذَا كَانَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ بَعْدَ فِتْرَةِ الْوَحْيِ لَا مُطْلَقًا، ذَاكَ قَوْلُهُ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ). وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ جَابِرٍ أَنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) وَاللَّائِقُ حَمْلُ كَلَامِهِ مَا أَمَكْنَ عَلَى مَا قُلْنَاهُ، فَإِنَّ فِي سِيَاقِ كَلَامِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى تَقَدُّمِ مَجِيءِ الْمَلِكِ الَّذِي عَرَفَهُ ثَانِيًا بِمَا عَرَفَهُ بِهِ أَوَّلًا إِلَيْهِ. ثُمَّ قَوْلُهُ: «يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ» دَلِيلٌ عَلَى



تَقْدُمُ الْوَحْيِ عَلَى هَذَا الْإِحْيَاءِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٩٨).

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ الْمُبَارَكِ وَعِنْدَ مُسْلِمٍ وَالْأَوْزَاعِيِّ كِلَاهُمَا عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَيُّ الْقُرْآنِ أَنْزَلَ قَبْلُ؟ فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا الْمَدَنِيُّ). فَقُلْتُ: وَ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ)؟ فَقَالَ: سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ (رضوان الله تعالى عليه): أَيُّ الْقُرْآنِ أَنْزَلَ قَبْلُ؟ فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا الْمَدَنِيُّ)، فَقُلْتُ: (واقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ)؟ فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي جَاوَزْتُ بَحْرَاءَ شَهْرًا، فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي نَزَلْتُ فَاسْتَبَطَنْتُ الْوَادِيَّ، فَتَوَدَّيْتُ، فَنَظَرْتُ بَيْنَ يَدَيَّ وَخَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي فَلَمْ أَرْ شَيْئًا، ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا هُوَ عَلَى الْعَرْشِ فِي الْهَوَاءِ، فَأَخَذَنِي رِعْدَةٌ - أَوْ قَالَ وَحْشَةٌ - فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَأَمَرْتُهُمْ فَذَثَرُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (يَا أَيُّهَا الْمَدَنِيُّ) حَتَّى بَلَغَ: (وِثْيَابُكَ فَطَهَّرَ). وَقَالَ فِي رِوَايَةٍ: «إِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَجِئَتْ مِنْهُ». وَهَذَا صَرِيحٌ فِي تَقْدُّمِ إِبْتِئَانِهِ إِلَيْهِ وَإِنْزَالِهِ الْوَحْيِ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَمِنْهُمْ مَنْ زَعَمَ أَنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ بَعْدَ فَتْرَةِ الْوَحْيِ سُورَةُ (وَالضُّحَى) وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) إِلَى آخِرِهَا. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَقَالَ بَعْضُ الْقُرَّاءِ: وَلِهَذَا كَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَوَّلِهَا فَرَحًا. وَهُوَ قَوْلٌ بَعِيدٌ يُرَدُّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ رِوَايَةِ صَاحِبِي الصَّحِيحِ، مِنْ أَنَّ أَوَّلَ الْقُرْآنِ نَزَلَ بَعْدَ فَتْرَةِ الْوَحْيِ: (يَا أَيُّهَا الْمَدَنِيُّ قُمْ فَأَنْذِرْ) وَلَكِنْ نَزَلَتْ سُورَةُ (وَالضُّحَى) بَعْدَ فَتْرَةٍ أُخْرَى كَانَتْ لِيَالِي يَسِيرَةٍ. كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ حَدِيثِ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ. قَالَ: اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَةً أَوْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ: مَا أَرَى شَيْطَانَكَ إِلَّا تَرَكَكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (وَالضُّحَى) وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى). وَهَذَا الْأَمْرُ حَصَلَ الْإِرْسَالُ إِلَى النَّاسِ وَبِالْأَوَّلِ حَصَلَتِ النُّبُوَّةُ. وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَتْ مُدَّةُ الْفَتْرِ قَرِيبًا مِنْ سِتِّينَ، أَوْ سِتِّينَ وَنِصْفًا. وَالظَّاهِرُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، أَنَّهَا الْمُدَّةُ الَّتِي أَقْتَرَنَ مَعَهُ الْمَلِكُ مِيكَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. كَمَا



قَالَ الشَّعْبِيُّ وَغَيْرُهُ. وَلَا يَنْفِي هَذَا تَقَدُّمَ إِجَاءِ الْمَلِكِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ أَوَّلًا (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ). ثُمَّ اقْتَرَنَ بِهِ الْمَلِكُ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ نُزُولِ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبُّكَ فَكَبِيرٌ وَثِيَابَكَ فَطَهَّرَ وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ). ثُمَّ حَمِيَ الْوَحْيُ بَعْدَ هَذَا وَتَتَابَعَ، أَيْ تَدَارَكَ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ. وَقَامَ حِينَئِذٍ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الرِّسَالَةِ أَتَمَّ الْقِيَامَ، وَشَمَّرَ عَنْ سَاقِ الْعَزْمِ، وَدَعَا إِلَى اللَّهِ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَالْأَحْرَارِ وَالْعَبِيدِ، فَأَمَّنَ بِهِ حِينَئِذٍ كُلُّ لَبِيبٍ نَجِيبٍ سَعِيدٍ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى مُخَالَفَتِهِ وَعِصْيَانِهِ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ. فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ بَادَرَ إِلَى التَّصَدِيقِ مِنَ الرِّجَالِ الْأَحْرَارِ أَبُو بَكْرٍ. وَمِنَ الْعُلَمَاءِ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَمِنَ النِّسَاءِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ زَوْجَتُهُ ﷺ (٩٩).

المصدر التاسع عشر:-

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

نص رواية الذهبي

ذِكْرُ مَبْعَثِهِ ﷺ

«قَالَ الزُّهْرِيُّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَوَّلَ مَا بُدِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَانَ يَأْتِي حِرَاءَ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ، أَيْ يَتَعَبَّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ وَيَتَزَوَّدُ لِدَلِّكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى فَجَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءَ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي الثَّانِيَةَ فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) حَتَّى بَلَغَ قَوْلُهُ: (مَا لَمْ يَعْلَمْ) قَالَتْ: فَارْجَعَ بِهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: زَمِّلُونِي،





فَزَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرُّوْعُ فَقَالَ: يَا خَدِيجَةُ مَا لِي؟! وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ وَقَالَ: قَدْ خَشِيتِ عَلَيَّ، فَقَالَتْ لَهُ: كَلَّا فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ إِنَّكَ لَتَصِلَ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ عليها السلام إِلَى ابْنِ عَمِّهَا وَرَقَّةَ بْنِ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، وَكَانَ أَمْرًا تَنْصَرَفُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْخَطَّ الْعَرَبِيَّ، فَكَتَبَ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْإِنْجِيلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا قَدْ عَمِيَ. فَقَالَتْ: اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ: يَا بَنَ أَخِي مَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ وَرَقَّةٌ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ مُوسَى عليه السلام، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جُذْعًا حِينَ يَخْرُجُكَ قَوْمُكَ، قَالَ: أَوْ مَخْرَجِي هُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِمَا جُنْتُ بِهِ إِلَّا عُودِي وَأُودِي، وَإِنْ يَذْرُؤُنِي يَوْمَكَ أَنْصَرِكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْسَبْ وَرَقَّةٌ أَنْ تُوفِّي. فَرَوَى التِّرْمِذِيُّ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ يُونُسَ بْنِ بُكَيْرٍ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، سُئِلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم عَنْ وَرَقَةَ، فَقَالَتْ لَهُ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ عليها السلام: إِنَّهُ -يَا رَسُولَ اللَّهِ- كَانَ صَدَقَكَ، وَإِنَّهُ مَاتَ قَبْلَ أَنْ تَظْهَرَ، فَقَالَ: «رَأَيْتُهُ فِي الْمَنَامِ عَلَيْهِ ثِيَابٌ بَيْضٌ، وَلَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَكَانَ عَلَيْهِ لِبَاسٌ غَيْرُ ذَلِكَ». وَجَاءَ مِنْ مَرَّاسِيلِ عُرْوَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «رَأَيْتُ لَوْرَقَةَ جَنَّةٍ أَوْ جَنَّتَيْنِ». وَقَالَ الزُّهْرِيُّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ: «وَفَتَرَ الْوَحْيُ فِتْرَةً، حَتَّى حَزَنَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم حُزْنًا شَدِيدًا، وَغَدَا مِرَارًا كَيْ يَرْدَى مِنْ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ، وَكَلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ لَيْلَقِي نَفْسُهُ، تَبَدَّى لَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عليه السلام فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، فَيَسْكُنُ لَذَلِكَ جَأَشُهُ، وَتَقَرُّ نَفْسُهُ، فَيَرْجِعُ، فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فِتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا مِثْلَ ذَلِكَ، فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عليه السلام فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ. رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، وَابْنُ خَارِثٍ» (١٠٠).

«وَقَالَ هِشَامُ بْنُ حَسَّانَ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أُمِرَ بِالْهَجْرَةِ، فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَقَالَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيُّ،

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ قَالَ: أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ عَشْرًا وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرًا. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ قَالَ: نَزَلَتْ عَلَيْهِ النُّبُوءَةُ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَقَرَنَ بِنُبُوتِهِ الْمَلِكُ إِسْرَافِيلُ عليه السلام ثَلَاثَ سِنِينَ، فَكَانَ يُعَلِّمُهُ الْكَلِمَةَ وَالشَّيْءَ، وَلَمْ يَنْزِلِ الْقُرْآنُ، فَلَمَّا مَضَتْ ثَلَاثُ سِنِينَ قَرَنَ بِنُبُوتِهِ الْمَلِكُ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ عِشْرِينَ سَنَةً، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ. «وَكَانَتْ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رضي الله عنها قَدْ ذَكَرَتْ لِعَمَّهَا وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ، وَكَانَ قَدْ قَرَأَ الْكِتَابَ وَتَنَصَّرَ، مَا حَدَّثَهَا مَيْسِرَةً مِنْ قَوْلِ الرَّاهِبِ وَإِظْلَالِ الْمَلِكِينَ، فَقَالَ: لَئِنْ كَانَ هَذَا حَقًّا يَا خَدِيجَةُ إِنَّ مُحَمَّدًا لَنَبِيٌّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَقَدْ عَرَفَ أَنَّ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ نَبِيًّا يُنْتَظَرُ زَمَانُهُ، قَالَ: وَجَعَلَ وَرَقَةُ يَسْتَبْطِئُ الْأَمْرَ وَيَقُولُ: حَتَّى مَتَى؟، وَقَالَ:

لَجِئْتُ وَكُنْتُ فِي الذِّكْرِ لُجُوجًا ... لَهُمْ طَالَمَا بَعَثَ النَّسِيجَا
وَوُصِفَ مِنْ خَدِيجَةٍ بَعْدَ وَصْفٍ ... فَقَدْ طَالَ انْتِظَارِي يَا خَدِيجَا
بِبَطْنِ الْمَكْتَنِينَ عَلَى رَجَائِي ... حَدِيثُكَ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجَا
بِمَا خَبَرْتَنَا مِنْ قَوْلِ قَسٍّ ... مِنَ الرُّهْبَانِ أَكْرَهُ أَنْ يَعُوجَا
بِأَنَّ مُحَمَّدًا سَيَسُودُ قَوْمًا ... وَيُخْصِمُ مَنْ يَكُونُ لَهُ حَجِيجَا
وَيُظْهِرُ فِي الْبِلَادِ ضِيَاءَ نُورٍ ... يُقِيمُ بِهِ الْبَرِيَّةَ أَنْ تُمُوجَا
فَيَلْقَى مَنْ يُحَارِبُهُ خَسَارًا ... وَيَلْقَى مَنْ يُسَالِمُهُ فُلُوجَا
فَيَا لَيْتَنِي إِذَا مَا كَانَ ذَاكُم ... شَهَدْتُ فَكُنْتُ أَوْلَهُمْ وَلُوجَا
فَإِنْ يَبْقُوا وَأَبْقَ تَكُنْ أُمُورٌ ... يَضِجُ الْكَافِرُونَ لَهَا صَجِيجَا

وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ مُعَاذِ الصَّبِيِّ، عَنْ سَمَاكٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ بِمَكَّةَ لَحَجْرًا كَانَ يُسَلَّمُ عَلَيَّ لَيْلِيَ بُعِثْتُ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ»، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ: ثَنَا أَبُو سَلَمَةَ قَالَ: سَأَلْتُ جَابِرًا أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ أَوَّلَ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) أَوْ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) فَقَالَ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِمَا حَدَّثَنِي بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: إِنِّي جَاوَرْتُ بِحِرَاءَ



شَهْرًا، فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي نَزَلْتُ فَاسْتَبَطَنْتُ الْوَادِي فَتَوَدَّيْتُ فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي، فَلَمْ أَرْ شَيْئًا ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا هُوَ عَلَى عَرْشٍ فِي الْهَوَاءِ، يَعْنِي الْمَلِكَ، فَأَخَذَنِي رَجْفَةٌ فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ، فَأَمَرَتْهُمْ فَدَثَرُونِي، ثُمَّ صَبَّوْا عَلَيَّ الْمَاءَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ). وَقَالَ الزُّهْرِيُّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ جَابِرٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، رَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٍ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَجَثَّتْ مِنْهُ رُغْبًا، فَرَجَعْتُ، فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي فَدَثَرُونِي، وَنَزَلَتْ: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) إِلَى قَوْلِهِ: (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) وَهِيَ الْأَوْثَانُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَهُوَ نَصٌّ فِي أَنَّ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) نَزَلَتْ بَعْدَ فِتْرَةِ الْوَحْيِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) فَكَانَ الْوَحْيُ الْأَوَّلُ لِلنَّبِيِّ وَالثَّانِي لِلرَّسَالَةِ» (١٠١).

المصدر العشرون:-

سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحى الشامى (المتوفى: ٩٤٢هـ) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

نص رواية الصالحى الشامى

الباب الثامن: في كيفية بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ

«قد ورد ذلك من حديث: السيدة خديجة ؓ. رواه البيهقي وعائشة. رواه الشيخان. وعبيد بن عمير الليثي. رواه ابن إسحاق. وابن الجوزي في الوفا. وسعيد بن المسيب. رواه موسى بن عقبة. وسليمان بن طرخان التيمي. رواه أبو نعيم وابن عساكر. وعمرو بن شربيل. رواه البيهقي وأبو نعيم. وابن شهاب. رواه أبو نعيم والبيهقي. وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم رواه الدولابي:

أن أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة - وفي رواية: الصادقة -



في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، فرأى وهو بمكة أن آتياً أتاه ومعه صاحبان له فنظروا إليه فقالوا: هو هو ولم يأن له بعد. فهاله ذلك وذكره لعمه فقال: يا بن أخي ليس بشيء، حلمت. ثم رجع إليه بعد ذلك فقال: يا عم سطا بي الرجل الذي ذكرت لك فأدخل يده في جوفي حتى أجدها. فخرج به عمه إلى رجل من أهل الكتاب يتطيب بمكة فحدثه حديثه وقال عاجله فصوب به وصعد وكشف عن قدميه ونظر بين كتفيه وقال: يا عبد مناف ابنك هذا طيب طيب، للخير فيه علامات، إن ظفرت به يهود قتلته، وليس الرئي من الشيطان ولكنه من النواميس الذين يتحسسون القلوب للنبوة. فرجع به. ثم رأى في منامه أن سقف بيته نزع منه خشبة وأدخل فيه سلم من فضة ثم نزل إليه رجلاً، فأراد أن يستغيث فمنع الكلام فقعد أحدهما إليه والآخر إلى جنبه، فأدخل أحدهما يده في جنبه فترع ضلعين منه، فأدخل يده في جوفه ورسول الله ﷺ يجد بردها فأخرج قلبه فوضعه على كفه فقال لصاحبه: نعم القلب قلب رجل صالح. فطهر قلبه وغسله ثم أدخل القلب مكانه ورد الضلعين، ثم ارتفعا ورفعوا سلمهما فإذا السقف كما هو، فذكر للسيدة خديجة بنت خويلد ﷺ فقالت له: أبشر فإن الله لا يصنع بك إلا خيراً هذا خير فأبشر» (١٠٢).

«وفي حديث عبيد بن عمير أنه ﷺ رأى في منامه أيضاً الملك جبريل عليه السلام ومعه نمط من ديباج فيه كتاب فقال له اقرأ. فقال له: ما اقرأ. فغته به حتى ظن رسول الله ﷺ أنه الموت، ثم أرسله فقال: اقرأ. قال: ما اقرأ. فغته به حتى ظن رسول الله ﷺ أنه الموت، ثم أرسله فقال له اقرأ. قال: ماذا اقرأ - ما قال ذلك إلا افتداء منه أن يعود إليه بمثل ما صنع - قال: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) [العلق: ١ - ٥] فقرأها رسول الله ﷺ ثم انتهى فانصرف الملك جبريل عليه السلام وهب رسول الله ﷺ من نومه، قال: فكأنها كتب في قلبي كتاباً، فذكر ذلك للسيدة خديجة ﷺ فقالت: أبشر فإن الله لا يصنع بك إلا



خيرا. ثم حُبب إليه الخلاء فكان يخلو شهر رمضان بغار حراء - وفي لفظ يلحق - ومعه أهله فيتحنث - وفي لفظ: فيتحنف - فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع - وفي لفظ: يرجع - إلى أهله ويتزود لذلك ويطعم من جاءه من المساكين، فإذا رجع من جواره كان أول ما يبدأ به إذا انصرف قبل أن يدخل بيته الكعبة، فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله، ثم يرجع إلى بيته فيتزود لمثلها. فقال للسيدة خديجة عليها السلام يوما: لما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئا فنظرت عن شمالي فلم أر شيئا فرفعت رأسي فرأيت شيئا بين السماء والأرض فقلت: دثروني دثروني صبوا علي ماء باردا. وفي رواية أبي الأسود عن عروة عن عائشة قالت: كان أول شأنه يرى في المنام، وكان أول ما رأى الملك جبريل عليه السلام بأجياد وصرخ الملك جبريل عليه السلام: يا محمد أنا جبريل. فنظر يميننا وشمالا فلم ير شيئا فرفع بصره فإذا هو على أفق السماء فقال: يا محمد أنا جبريل. فهرب فدخل في الناس فلم ير شيئا، ثم خرج عنهم فناده ثم هرب ثم استعلن الملك جبريل عليه السلام من قبل حراء. انتهى.

وفي رواية: إني إذا خلوت وحدي أرى ضوءا وأسمع نداء: يا محمد أنا جبريل. وقد والله خشيت أن يكون هذا أمرا. فقالت: معاذ الله ما كان الله (عز وجل) ليفعل ذلك بك، إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث. فلما دخل أبو بكر ذكرت السيدة خديجة عليها السلام حديثه له وقالت: اذهب مع محمد إلى ورقة بن نوفل فإنه رجل يقرأ الكتب فيذكر له ما يسمع. فانطلقا إليه فقصا عليه فقال: إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي: يا محمد أنا جبريل. فانطلق هاربا، فقال ورقة: سبوح سبوح! وما لجبريل يذكر في هذه الأرض التي يعبد فيها الأوثان، جبريل أمين الله تعالى على وحيه بينه وبين رسله، لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم اتني فأخبرني. فخرج ذات ليلة فسمع: السلام عليكم قال فظنها فجأة الجن، فجاء مسرعا حتى دخل على السيدة خديجة عليها السلام فقالت: ما شأنك فأخبرها، فقالت: أبشر فإن السلام خير. فخرج مرة أخرى



إلى حراء. قال: فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل. فرفعت رأسي إلى السماء أنظر فإذا الملك جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء فرفعت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك، فما زلت واقفاً ما أتقدم أمامي وما أتأخر ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي فبلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك ثم انصرفت راجعاً إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست إليها فقالت: يا أبا القاسم أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك فبلغوا مكة ورجعوا إلي ثم حدثتها بالذي رأيت فقالت: أبشر يا بن عم واثبت، فوالذي نفسي بيده إني أرجو أن تكون نبي هذه الأمة. ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت إلى ورقة فأخبرته بما أخبرها به فقال ورقة: قدوس قدوس! والذي نفسي بيده لئن كنت صدقتيني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي النبي موسى عليه السلام، وإنه لنبي هذه الأمة، فقولي له فليثبت. فرجعت السيدة خديجة رضي الله عنها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول ورقة، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف صنع كما كان يصنع، بدأ بالكعبة فطاف فلقيه ورقة فقال له: يا بن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت. فأخبره فقال له ورقة: «والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء النبي موسى عليه السلام ولتكذبه ولتقاتلنه ولتؤذينه، ولئن أدركت ذلك لأنصرك الله نصراً يعلمه. ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه».

وقالت السيدة خديجة رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا بن عم أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي نفسي بيده إذا جاءك؟ قال: نعم. قالت: فإذا جاءك فأخبرني به. فجاءه الملك جبريل عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسيدة خديجة رضي الله عنها: هذا الملك جبريل قد جاءني فقالت: قم يا بن عمي فاجلس على فخذي اليسرى. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عليها، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم. قالت: فتحول فاقعد على فخذي اليمنى فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم



فجلس على فخذه اليمنى فقالت: هل تراه؟ قال نعم. فحسرت فألقت خمارها ورسول الله ﷺ جالس في حجرها ثم قالت: هل تراه؟ قال: لا. قالت يا بن عم اثبت وأبشر فوالله إنه لملك ما هذا شيطان» (١٠٣).

«قال البراء بن عازب: عرض الملك جبريل عليه السلام للنبي ﷺ ليلة السبت وليلة الأحد، ثم أتاه بالرسالة ليلة الاثنين ففجأه الحق - وفي لفظ: فجاءه الحق - وهو في غار حراء وفي رواية: فأتاه الملك جبرئيل والملك ميكائيل عليه السلام، فنزل الملك جبرئيل عليه السلام وبقي الملك ميكائيل عليه السلام واقفا بين السماء والأرض، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: هو هو. قال: فوزنه برجل. فوزنه به فرجحه رسول الله ﷺ. قال: زنه بعشرة فوزنه فرجحه. قال: زنه بمائة. فوزنه فرجحه. قال: زنه بألف. فوزنه فرجحه. ثم جعلوا يتساقطون عليه من كفة الميزان فقال الملك ميكائيل عليه السلام: تبعته أمته ورب الكعبة. ثم أجلس على بساط كهية الدرنوك، فيه الياقوت واللؤلؤ، فقال أحدهما لصاحبه: شق بطنه. فشقه فأخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحها فقال أحدهما لصاحبه: اغسل بطنه. اغسل بطنه. غسل الإناء واغسل قلبه غسل الملاء. ثم قال أحدهما لصاحبه: خط بطنه. فخاطه. ثم أجلساه فبشره الملك جبريل عليه السلام برسالة ربه حتى اطمأن النبي ﷺ فقال له الملك جبريل عليه السلام: اقرأ فقال: ما أنا بقارئ. فغطه حتى بلغ منه الجهد، ثم أرسله فقال له اقرأ قال: ما أنا بقارئ. فغطه حتى بلغ منه الجهد، ثم أرسله فقال له اقرأ قال: ما أنا بقارئ فغطه حتى بلغ منه الجهد. ثم أرسله فقال: اقرأ أو جد القراءة. مبتدئاً باسم ربك الذي خلق الخلائق خلق الإنسان الجنس من علق جمع علقة وهي القطعة الذي اليسيرة من الدم الغليظ وجمعها لأن الإنسان في معنى الجمع اقرأ تأكيد للأول. وربك الأكرم لا يوازيه كريم. الذي علم الخط بالقلم وأول من خط إدريس (عليه الصلاة والسلام). ثم أفرد ما هو أشرف وأظهر صنيعاً وتدبيراً وأدل على وجوب العبادة المقصودة من القراءة فقال: علم الإنسان الجنس ما لم يعلم قبل تعليمه من الهدى والكتابة والصناعة وغيرها. وهذا



القدر من هذه السورة هو الذي نزل أولاً بخلاف بقية السورة وإنما نزل بعد ذلك فرجع بها رسول الله ﷺ إلى أهله ترجف بواده - وفي لفظ: فؤاده - لا يلقاه حجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله. فرجع إلى بيته وهو موقن قد فاز فوزاً عظيماً فدخل على السيدة خديجة ﷺ فقال: «زملوني زملوني». فزملوه حتى ذهب عنه الروع. قال أرأيتك الذي كنت أخبرتك أني رأيته في المنام؟ فإنه الملك جبريل استعلن لي أرسله إلي ربي. وأخبرها الخبر. وقال: لقد خشيت على نفسي. فقالت السيدة خديجة ﷺ: كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتقري الضيف وتصدق الحديث وتؤدي الأمانة وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق، فاقبل الذي جاءك من الله فإنه حق، وأبشر فإنك رسول الله حقاً. ثم انطلقت حتى أتت غلاماً لعتبة بن ربيعة بن عبد شمس نصرانياً من أهل نينوى يقال له عداس، فقالت له يا عداس أذكرك الله إلا ما أخبرتني هل عندكم علم من جبريل؟ فقال عداس: قدوس قدوس ما شأن جبريل يذكر بهذه الأرض التي أهلها أهل الأوثان. فقالت: أخبرني بعلمك فيه. قال: هو أمين الله بينه وبين النبيين، وهو صاحب النبي موسى والنبي عيسى ﷺ. فرجعت من عنده فانطلقت برسول الله ﷺ إلى ورقة بن نوفل بن أسد ابن عم السيدة خديجة ﷺ وكان امرئاً قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي فيكتب من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً قد عمي، فقالت له السيدة خديجة ﷺ: يا بن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة: يا بن أخي ماذا ترى. فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال له ورقة: أبشر فأنا أشهد أنك الذي بشر به ابن مريم. هذا الناموس الذي أنزل الله على النبي موسى ﷺ. وفي لفظ: وإنك على مثل ناموس النبي موسى ﷺ، وإنك لنبي مرسل وستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا، ولئن أدركني ذلك لأجاهدن معك، يا ليتني فيها جذعاً. وفي لفظ جذع. ليتني أكون حياً إذا يخرجك قومك... فقال رسول الله ﷺ: أوخرجني هم؟ فقال: نعم. لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي - وفي لفظ: أودني -



وفي رواية: لتكذبنه ولتؤذينه ولتقاتلنه، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي. وقال ورقة في ذلك أشعاراً منها قوله:

يا للرجال وصرف الدهر والقدر ... وما لشيء قضاءه الله من غير
حتى خديجة تدعوني لأخبرها ... أمرا أراه سيأتي الناس من آخر
وخبرتني بأمر قد سمعت به ... فيها مضى من قديم الدهر والعصر
بأن أحمد يأتيه ويخبره ... جبريل أنك مبعوث إلى البشر
فقلت عل الذي ترجين ينجزه ... لك الإله فرجى الخير وانتظري
وأرسله إلينا كي نسأله ... عن أمره ما يرى في النوم والسهر
فقال حين أتانا منطقاً عجبا ... يقف منه أعالي الجلد والشعر
إني رأيت أمين الله واجهني ... في صورة أكملت من أعظم الصور
ثم استمر فكاد الخوف يذعري ... مما يسلم من حولي من الشجر
فقلت ظني وما أدري أيصدقني ... أن سوف تبعث تتلو منزل السور
وسوف أنبيك إن أعلنت دعوتهم ... من الجهاد بلا من ولا كدر
وقوله:

فإن يك حقاً يا خديجة فاعلمي ... حديثك إيانا فأحمد مرسل
وجبريل يأتيه وميكال معها ... من الله وحي يشرح الصدر منزل
يفوز به من فاز فيها بتوبة ... ويشقى به الغالي القوي المضلل
فريقان منهم فرقة في جنانه ... وأخرى بأحواز الجحيم تعلل
فسبحان من تهوي الرياح بأمره ... ومن هو في الأيام ما شاء يفعل
ومن عرشه فوق السموات كلها ... وأقضاؤه في خلقه لا تبدل^(١٠٤)
تنبيهات:-



الأول: في رواية البخاري في التفسير: الرؤيا الصادقة وفي غيره: الصالحة. وهما بمعنى بالنسبة إلى أمور الآخرة في حق الأنبياء. وأما بالنسبة إلى أمور الدنيا فالصالحة في الأصل أخص، فرؤيا النبي كلها صادقة، وقد تكون صالحة، وهي الأكثر، وغير صالحة بالنسبة للدنيا كما وقع في الرؤيا يوم أحد. وأما رؤيا غير الأنبياء فبينهما عموم وخصوص، إن فسرنا الصادقة بأنها التي لا تحتاج إلى تعبير، وأما إن فسرناها بأنها غير الأضغاث فالصالحة أخص مطلقا. قال الإمام نصر بن يعقوب الدينوري في التعبير القادري: الرؤيا الصادقة ما يقع بعينه أو ما يعبر في المنام أو يخبر به من لا يكذب. والصالحة ما يسر.

الثاني: قال البيضاوي: شبه ما جاء في اليقظة ووجده في الخارج طبقاً لما رآه في المنام بالصبح في إنارته ووضوحه، والفلق: الصبح، لكنه لما كان مستعملاً في هذا المعنى وفي غيره أضيف إليه للتخصيص والبيان إضافة العام إلى الخاص، كقولهم عين الشيء ونفسه. قال الطيبي: وللفلق شأن عظيم ولذلك جاء وصفاً لله تعالى في قوله: «فالق الإصباح» وأمر بالاستعاذة برب الفلق لأنه ينبئ عن انشقاق ظلمة عالم الشهادة وطلوع تبشير الصبح بظهور سلطان الشمس وإشراقها في الآفاق، كما أن الرؤيا الصالحة مبشرات تنبئ عن وفود أنوار عالم الغيب وآثار مطالع الهدايات، شبه الرؤيا التي هي جزء يسير من أجزاء النبوة وتنبيه من تنبيهاتها لمشتركي العقول على ثبوت النبوة، لأن النبي إنما سمي نبياً لأنه ينبئ عن الغيب الذي لا تستقل العقول بإدراكه. وقال ابن أبي جمرة: إنما شبهت رؤياه بفلق الصبح دون غيره، لأن شمس النبوة قد كانت الرؤيا مبادئ أنوارها، فما زال ذلك النور يتسع حتى أشرقت الشمس وتم نورها، فمن كان باطنه نورياً كان في التصديق كأبي بكر، ومن كان باطنه مظلماً كان في التكذيب خفاشاً كأبي جهل، وبقية الناس بين هاتين المنزلتين، كل منهم بقدر ما أعطي من النور^(١٠٥).

الثالث: قال الخطابي: هذه الأمور التي كان النبي ﷺ قد بدئ بها من صدق الرؤيا



وحب العزلة عن الناس والخلوة في غار حراء والتعبد فيه ومواظبته عليه الليالي ذوات العدد إنما هي أسباب ومقدمات أرهصت لنبوته وجعلت مبادئ لظهورها، والخلوة يكون معها فراغ القلب وهي معينة على الفكر ومقطع لدعوى الشغل، والبشر لا ينفك عن طباعه ولا يترك مألوفه من عاداته إلا بالرياضة البليغة والمعالجة الشديدة، فلفظ الله تعالى بنبيه محمد ﷺ في بادية أمره فحبب إليه الخلوة وقطعه عن مخالطة البشر، ليتناسى المألوف من عاداتهم ويستمر على هجران ما لا يحمد من أخلاقهم وألزمه شعار التقوى وأقامه في مقام التعبد بين يديه ليخضع قلبه وتلين عريكته لورود الوحي فيجد منه مراداً سهلاً ولا يصادفه حزناً وعراً، فجعلت هذه الأسباب مقدمات لما أرصد له من هذا الشأن ليرتاض بها ويستعد لما ندب إليه، ثم جاءه التوفيق والتبشير وأخذ بالقوة الإلهية، فجبرت منه النقائص البشرية وجمعت له الفضائل النبوية. وقال غيره: من فوائد خلوة نفسه ما ألهمه الله تعالى قبل ظهور الملك له ومخاطبته لما أَرَادَهُ اللهُ تعالى من صدوفه عن متعبدات قريش وعزوب نفسه الشريفة عن قرب أرجاس الأصنام وتبريه منه وبغضه لها وإقباله على التحنن وهو فعل البر والقرب.

الرابع: قال ابن أبي حمزة: الحكمة في تخصيصه ﷺ التخلي بغار حراء، أن المقيم فيه كان يمكنه رؤية الكعبة فيجتمع لمن يخلو فيه ثلاث عبادات: الخلوة والتعبد والنظر إلى البيت. وقال الحافظ وكانت قريش تفعله كما كانت تصوم عاشوراء وإنما لم ينازعوا النبي ﷺ في غار حراء مع مزيد الفضل فيه على غيره لأن جده عبد المطلب أول من كان يخلو فيه من قريش وكانوا يعظمونه لجلالته وكبر سنه، فتبعه على ذلك من كان يتأله، فكان النبي ﷺ يخلو مكان جده فسلم له ذلك أعمامه لكرامته عليهم (١٠٦).

الخامس: قوله: فرأى بمكة أن آتياً أتاها... إلخ، قال السهيلي: ليس ذكر النوم حديث عائشة، بل يدل ظاهرة على أن نزول الملك جبريل عليه السلام حين نزل بسورة اقرأ قد كان في اليقظة وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن يكون النبي ﷺ جاءه الملك جبريل عليه السلام في



المنام قبل أن يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيرا عليه ورفقا به، لأن أمر النبوة عظيم وعبؤها ثقیل والبشر ضعيف، وسيأتي في حديث الإسراء من مقالة العلماء ما يؤكد هذا الفرض ويصححه. قال في (الزهر): والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم هذا شأنهم، فلا حاجة إلى ما ذكره السهيلي بقوله: وقد يمكن إلخ، لأن الرواية بذلك لا بأس بسندها. وبسط الكلام على ذلك.

السادس: قال السهيلي: في كون الكتاب في نمط من الديباج إشارة إلى أن هذا الكتاب به يفتح على أمته ملك الأعاجم ويسلبونهم الديباج والحرير الذي كان زيهم وزيتهم وبه ينال أيضاً ملك الآخرة ولباس الجنة وهو الحرير والديباج.

السابع: يؤخذ من قول عائشة: «فجاءه الملك فيه» - كما في كتاب التعبير من الصحيح - أي في الغار، دفع توهم من يظن أن الملك لم يدخل إليه الغار بل كلمه والنبي ﷺ داخل الغار والملك خارجه على الباب. قال الحافظ: وإذا علم أنه كان يجاور في غار حراء شهر رمضان وأن ابتداء الوحي جاءه وهو في الغار المذكور اقتضى ذلك أنه نبي في شهر رمضان. ويعكر على قول ابن إسحاق أنه بعث على رأس الأربعين مع قوله: إنه ولد في شهر ربيع. ويمكن أن يكون المجيء في الغار كان أولاً في شهر رمضان وحينئذ نبيء وأنزل عليه: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) [العلق: ١]، ثم كان المجيء الثاني في شهر ربيع الأول بالإنذار وأنزل عليه: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ) [المدثر: ١] فيحمل قول ابن إسحاق: على رأس الأربعين: أي عند المجيء بالرسالة (١٠٧).

الثامن: فإن قيل: لم كرر (اقرأ) ثلاث مرات؟ أجاب الإمام أبو شامة بأنه يحتمل أن يكون قوله أولاً «ما أنا بقارئ» على الامتناع، وثانياً على الإخبار بالنفي المحض، وثالثاً على الاستفهام. ويؤيده أن في رواية أبي الأسود في مغازيه عن عروة أنه قال: كيف اقرأ. وفي رواية عبيد بن عمير عند ابن إسحاق ماذا اقرأ. وفي مرسل الزهري عند البيهقي كيف اقرأ وكل ذلك يؤيد أنها استفهامية. وقال الحافظ: لعل الحكمة في تكرير (اقرأ)



الإشارة إلى انحصار الإيمان الذي ينشأ الوحي بسببه في ثلاث: القول والعمل والنية، وأن الوحي يشتمل على ثلاث: التوحيد والأحكام والقصص.

التاسع: الحكمة في غط الملك جبريل عليه السلام له: شغله عن الالتفات لشيء آخر، أو لإظهار الشدة والجد في الأمر تنبيها على ثقل القول الذي سيلقى إليه، فلما ظهر أنه صبر على ذلك ألقى إليه، هذا وإن كان في علم الله حاصل لكن المراد إبرازه للظاهر بالنسبة إليه عليه السلام وقيل ليختبر هل يقول من قبل نفسه شيئا فلما لم يأت بشيء دل على أنه لا يقدر عليه. ونقل الحافظ عن بعض من لقيه أن هذا يعد من خصائصه عليه السلام إذا لم ينقل عن أحد من الأنبياء أنه وقع له عند ابتداء الوحي مثل ذلك. قال البلقيني: وكأن الذي حصل للنبي عليه السلام عند تلقي الوحي من الجهد مقدمة لما صار يحصل له من الكرب عند نزول القرآن وبسط الكلام على ذلك، ويأتي بتمامه في باب شدة الوحي.

العاشر: الحكمة في تكرير الغط: المبالغة في التنبيه، ففيه أنه ينبغي للمعلم أن يحتاط في تنبيه المتعلم وأمره بإحضار قلبه. وقيل الإشارة إلى التشديدات الثلاث التي وقعت له، وهي الحصر في الشعب، وخروجه إلى الهجرة، وما وقع له يوم أحد، وفي الإرسالات الثلاث إشارة إلى حصول التيسير له عقب الثلاث، أو في الدنيا، والبرزخ، والآخرة.

الحادي عشر: هذا القدر الذي ذكر من سورة اقرأ هو الذي نزل أولا بخلاف بقية السورة، فإنما نزل بعد ذلك بزمان. والحكمة في هذه الأولية: أن هذه الآيات الخمس اشتملت على مقاصد القرآن، ففيها براعة الاستهلال وهي جديرة أن تسمى عنوان القرآن لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة، في أوله، وهذا بخلاف الفن البديعي المسمى بالعنوان فإنهم عرفوه بأن يأخذ المتكلم في فن فيؤكده بذكر مثال سابق. وبيان كونها اشتملت على مقاصد القرآن: أنها تنحصر في علم التوحيد والأحكام والأخبار، وقد اشتملت على الأمر بالقراءة والبداءة فيها باسم الله، وفي هذا الإشارة إلى الأحكام. وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب وإثبات ذاته وصفاته من صفات ذات وصفات



فعل، وفي هذا إشارة إلى أصول الدين، وفيها ما يتعلق بالأخبار من قوله عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ. وقال السهيلي: قيل للنبي ﷺ: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ لَا تَقْرَأُ بِحَوْلِكَ وَقُوتِكَ وَلَا بِصِفَةِ نَفْسِكَ وَلَا بِمَعْرِفَتِكَ، ولكن اقرأ مفتتحاً قراءتك باسم ربك مستعيناً في جميع أمورك به، فهو يعلمك كما خلقك وكما نزع عنك علق الدم وعلمك ما لم تكن تعلم من أمور الدين ومصالح العباد وما تنطق به من المغيبات.

الثاني عشر: قال الحافظ: ذكر أكثر الأئمة أن هذا القدر المذكور في القصة من سورة اقرأ أول ما نزل من القرآن. وشذَّ صاحب الكشف فقال: إن أكثر المفسرين على أن أول سورة نزلت الفاتحة. وهذا وهم بلا شك. وقال في موضع آخر: المحفوظ أن أول ما نزل: اقرأ باسم ربك وأن نزول الفاتحة كان بعد ذلك. وقال النووي: أول ما نزل من القرآن: اقرأ. هذا هو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف وقيل: أوله (يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ)، وليس بشيء.

الثالث عشر: إنما اضطرب فؤاده لما فجأه من الأمر المخالف للعادة والمألوف، فنفر طبعه البشري ولم يتمكن من التأمل في تلك الحالة، لأن النبوة لا تزيل طباع البشرية كلها. الرابع عشر: قال البلقيني: الحكمة في العدول عن القلب إلى الفؤاد أن الفؤاد وعاء القلب كما قاله بعض أهل اللغة، فإذا حصل للوعاء الرجفان حصل للقلب فيكون في ذكره من تعظيم الأمر ما ليس في ذكر القلب.

الخامس عشر: الحكمة في طلب التزمل أن العادة جرت بسكون الرعدة بالتلف. السادس عشر: دل قوله: «لقد خشيت على نفسي» مع قوله: «ترجف بواده» وفي لفظ «فؤاده» على انفعال حصل له من مجيء الملك، ومن ثم قال: «زملوني». والخشية المذكورة تختلف في المراد بها على اثني عشر قولاً: أولاً بالصواب: الموت من شدة الرعب. وقيل المرض. وقيل دوامه. وقيل تعييرهم إياه. قال القاضي: ليس هذا من معنى الشك فيما آتاه الله، لكنه عساه يخشى أن لا يقوى على مقاومة هذا الأمر ولا



يقدر على حمل أعباء النبوة فتزهق نفسه أو ينخلع قلبه لشدة ما لقيه أولاً عند لقاء الملك. قال: أو يكون قوله هذا الأول ما رأى التباشير في النوم واليقظة وسمع الصوت قبل لقاء الملك وتحقق رسالة ربه فيكون ما خاف أولاً أن يكون من الشيطان، فأما منذ ما جاءه الملك برسالة ربه فلا يجوز عليه الشك ولا يخشى من تسلط الشيطان عليه. قال: وعلى هذا يحمل كل ما ورد من مثل هذا في حديث البعث. قال النووي: وهذا الاحتمال الثاني ضعيف، لأنه خلاف تصريح الحديث بأن هذا بعد غط الملك وإتيانه به (أقرأ باسم ربك).

السابع عشر: خص ورقة النبي موسى عليه السلام بالذكر ولم يقل على عيسى، مع كون ورقة نصرانياً، لأن كتاب النبي موسى عليه السلام مشتمل على أكثر الأحكام بخلاف عيسى، وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم، أو لأن النبي موسى عليه السلام بعث بالنقمة على فرعون ومن معه، بخلاف النبي عيسى عليه السلام، وكذلك وقعت النقمة على يد النبي صلى الله عليه وسلم بفرعون هذه الأمة وهو أبو جهل ومن معه يوم بدر. أو قاله تحقيقاً للرسالة، لأن نزول الملك جبريل عليه السلام على النبي موسى عليه السلام متفق عليه بين أهل الكتابين بخلاف النبي عيسى عليه السلام، فإن كثيراً من اليهود ينكرون نبوته. قال الحافظ: وأما ما تمحل له السهيلي من أن ورقة كان على اعتقاد النصراني في عدم نبوة النبي عيسى عليه السلام ودعواهم أنه أحد الأقيانيم فهو محال لا يعرج عليه في حق ورقة وأشباهه من لم يدخل في التبديل ولم يأخذ عمن بدل. على أنه قد ورد عند أبي نعيم في الدلائل بسند حسن عن عروة في هذه القصة أن السيدة خديجة رضي الله عنها أولاً قد أتت ابن عمها ورقة فأخبرته الخبر، فقال: لئن كنت صدقتيني إنه ليأتيه ناموس عيسى الذي لا يعلمه بنو إسرائيل أبناءهم. فعلى هذا فكان ورقة يقول تارة: ناموس عيسى وتارة ناموس موسى عليه السلام، فعند إخبار السيدة خديجة رضي الله عنها بالقصة قال لها ناموس عيسى بحسب ما هو فيه من النصرانية، وعند إخبار النبي صلى الله عليه وسلم له قال ناموس موسى للمناسبة التي قدمناها، وكل صحيح (١٠٩).



الثامن عشر: قال السهيلي: قال ورقة للنبي ﷺ: لتكذبنه فلم يقل له شيئاً، ثم قال ولتؤذينه. فلم يقل له شيئاً. ثم قال: ولتخرجنه فقال عليه الصلاة والسلام: أو مخرجي هم؟ ففي هذا دليل على حب الوطن وشدة مفارقتها على النفس، وأيضاً فإنه حرم الله تعالى وجوار بيته وبلدة أبيه إسماعيل، فلذلك تحركت نفسه عند ذكر الخروج ما لم تتحرك قبل ذلك، فقال: أو مخرجي هم؟ والموضع الدال على تحرك النفس وتحرقها: إدخال الواو بعد ألف الاستفهام مع اختصاص الإخراج بالسؤال عنه، وذلك أن الواو ترد إلى الكلام المتقدم وتشعر المخاطب بأن الاستفهام على جهة الإنكار والتفجع لكلامه والتألم منه. قال الحافظ: ويحتمل أن يكون انزعاجه كان من جهة خشية فوات ما أمله من إيمان قومه بالله وإنقاذهم به من وضر الشرك وأدناس الجاهلية ومن عذاب الآخرة وليتم له المراد من إرساله إليهم. ويحتمل أن يكون انزعج من الأمرين معاً. وسبقه إلى ذلك الشيخ تقي الدين السبكي فقال: كما حكاه عنه ولده في الطبقات: الأحسن أن يقال: تحركت نفسه، لما في الإخراج من فوات ما ندب إليه من إيمانهم، وهدايتهم، فإن ذلك مع التكذيب والإيذاء مترقب، ومع الإخراج منقطع، وذلك هو الذي لا شيء عند الإنسان أعظم منه، لأنه امتثال أمر الله تعالى، وأما مفارقة الوطن فأمر جبلي والنبي ﷺ أجل وأعلى مقاماً من الوقوف عنده في هذا الموطن العظيم.

التاسع عشر: قال الإسماعيلي: موه بعض الطاعنين على المحدثين فقال: كيف يجوز للنبي ﷺ أن يرتاب في نبوته حتى يرجع إلى ورقة ويشكو للسيدة خديجة ﷺ ما يخشاه؟ والجواب: أن عادة الله سبحانه وتعالى جرت بأن الأمر الجليل إذا قضى الله تعالى بإيصاله إلى الخلق أن يتقدمه تشريح وتأسيس، وكان ما يراه النبي ﷺ من الرؤيا الصادقة ومحبة الخلوة والتعبد من ذلك، فلما جاءه الملك فجأه بغتة أمر خالف العادة والمألوف فنفر طبعه البشري منه وهاله ذلك ولم يتمكن من التأمل في تلك الحال، لأن النبوة لا تزال طباع البشرية كلها، فلا يتعجب أن يجزع مما لم يألفه وينفر طبعه منه، حتى إذا اندرج



عليه وألفه استمر عليه، فلذلك رجع إلى أهله التي ألف أنسها فأعلمها بما وقع له، فهونت عليه خشيته مما عرفته من أخلاقه الكريمة وطريقته الحسنة، فأرادت الاستظهار بمسيرها به إلى ورقة لمعرفة بصدقه ومعرفته وقراءته الكتب القديمة فلما سمع كلامه أيقن بالحق واعترف به، وأشار إلى أن الحكمة في ذكره ﷺ ما اتفق له في هذه القصة: أن يكون سببا في انتشار خبره في بطانته ومن يستمع لقوله ويصغي إليه طريقا في معرفتهم مباينة من سواه في أحواله لينبهوا على محله.

العشرون: ورقة هو ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي ابن عم السيدة خديجة ﷺ زوج النبي ﷺ. ذكره الطبري والبغوي وابن نافع وابن السكن وغيرهم في الصحابة. وروى يونس بن بكير عن أبي مسرة عمرو بن شرحبيل أحد كبار التابعين أن ورقة قال لرسول الله ﷺ: أبشر فأنا أشهد أنك الذي بشر به عيسى بن مريم وأنك على مثل ناموس النبي موسى ﷺ، وأنك نبي مرسل. فذكر الحديث وفيه: فلما توفي قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب بيض لأنه آمن بي وصدقني». في سنده انقطاع. ويعضده ما رواه الزبير بن بكار بسند جيد عن عروة بن الزبير قال: كان بلال لجارية من بني جمح، وكانوا يعذبونه برمضاء مكة يلصقون ظهره بالمرضاء لكي يشرك فيقول: أحد أحد. فمر به ورقة وهو على تلك الحال فيقول: أحد أحد يا بلال، والله لئن قتلتموه لأتخذنه حنانا. فهذا المرسل يدل على أن ورقة عاش إلى أن دعا رسول الله ﷺ إلى الإسلام حتى أسلم بلال. قال الحافظ: والجمع بين هذا وحديث عائشة: أن يحمل قولها: لم ينشب ورقة أن توفي. أي قبل أن يشتهر الإسلام ويؤمر النبي ﷺ بالجهاد. ولا يعكر على ذلك ما رواه ابن عائد عن ابن عباس أن ورقة مات على نصرانيته لأن سنده عثمان بن عطاء وهو ضعيف. وروى الإمام أحمد بسند حسن عن عائشة أن السيدة خديجة ﷺ سألت رسول الله ﷺ عن ورقة فقال: قد رأيته فرأيت عليه ثيابا بيضا، فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بيض. وروى أبو يعلى بسند حسن عن جابر بن عبد الله (رضوان



الله تعالى عليه) أن رسول الله ﷺ سئل عن ورقة بن نوفل فقال: «أبصرته في بطنان الجنة وعليه، السندس». وروى البزار وابن عساكر بإسناد جيد عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا ورقة فإني رأيت له جنة أو جنتين»^(١١٠).

الحادي والعشرون: في بيان غريب ما سبق: أول ما بدئ به نكرة موصوفة، أي أول شيء. من الوحي: أي من المبشرات من إحياء الوحي بالرؤيا: أي مطلق ما دل على نبوته، فتقدمت له أشياء مثل تسليم الحجر والشجر ويحتمل أن تكون «من» للتبعض، أي من أقسام الوحي. ويحتمل أن تكون بيانية ورجحه القزاز. واحترزت بقولها «من الوحي» عما رآه من دلائل نبوته من غير وحي، وأول ذلك مطلقا ما سمعه من بحيرا الراهب وما سمعه عند بناء الكعبة حين قيل له: شدد عليك إزارك. وكذلك تسليم الحجر والشجر عليه. الرؤيا: ما يرى في المنام. في النوم: صفة موضحة، أو ليخرج رؤيا العين في اليقظة لجواز إطلاقها مجازا. فلق الصبح وفرقه بفتح اللام والراء: ضياؤه إذا تميز عن ظلمة الليل وظهور نوره، وفي الكلام حذف تقديره: جاء تأويلها كفلق الصبح، وإنما يقال هذا اللفظ في الشيء الواضح البين. لم يأن: لم يقرب. هاله ذلك: أفرعه. سطا بي: غلبني. من النواميس: جمع ناموس. يأتي بيانه. يتحسسون: الإحساس: العلم بالحواس. أبشر: بفتح الهمزة. نمط: بنون فميم مفتوحين فطاء مهملة: ضرب من البسط، والجمع أنماط. فغته: بغين معجمة مفتوحة فمثناة فوقية مشددة أي خنقه. هب من نومه: استيقظ. حبيب: مبني للمفعول، وعبر به لعدم تحقق الباعث على ذلك وإن كان الكل من عند الله، أو لينبه على أنه لم يكن من باعث البشر، أو يكون ذلك من وحي الإلهام. الخلاء: بالمد مصدر بمعنى الخلوة، أي الاختلاء وهو بالرفع نائب عن الفاعل. الغار: النقب في الجبل. حراء: بكسر الحاء المهملة وتخفيف الراء وبالمد، وحكى الأصيلي فتحها والقصر، وعزاها في القاموس للقاضي وهي لغية، وهو مصروف إن أريد المكان وممنوع إن أريد البقعة، فهي أربعة: التذكير والتأنيث والمد والقصر. وقد ألغزه بعضهم فقال:



وما اسم أنت فيه وجوه عديدة ... يؤنث طوراً ثم طوراً يذكر
وقد جاء فيه الصرف أيضاً ومنعه ... ومن شاء يمدده ومن شاء يقصر
وكذا حكم قباء وقد نظم بعضهم أحكامهما فقال:

حراً وقباً ذكر وأُنْثَمَا معاً ... ومد أو اقصر واصرفن وامنع الصرفاً

وهو جبل بينه وبين مكة نحو ثلاثة أميال على يسار الذهاب إلى منى . يتحنث فيه :
بحاء مهملة وآخره مثلثة في موضع الحال، إي يخلو بالغار متحنثاً فيه . وفي رواية
«فيتحنف» بالفاء فيكون عطفًا على يخلو، وهو من الأفعال التي معناها السلب أي
اجتناب فاعلها لمصدرها، مثل تأثم وتحوب إذا اجتنب الإثم والحبوب. أو هو بمعنى
الرواية الأخرى: يتحنف بالفاء أي يتبع الحنيفية دين النبي إبراهيم عليه السلام، والفاء تبدل ثاء،
وهو عائد إلى مصدر يتحنف. التبع: يأتي الكلام على تعبد عليه السلام في أول أبواب عبادته.
قال في (الزهر): أخبرني القدوة أبو الصبر أيوب السعودي، قال سألت سيدي أبا
السعود بن أبي العشائر: بم كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله يتعبد في حراء قال: بالتفكر.
الليالي: أي مع أيامهن، واقتصر عليهن للتغليب لأنهن آنس للخلوة. وقال النووي:
قوله الليالي متعلق بـيتحنث، لا بالتعبد، والمعنى يتحنث الليالي، ولو جعل متعلقاً بالتعبد
فسد المعنى، فإن التحنث لا يشترط فيه الليالي بل يطلق على الكثير والقليل، ونصبها
على الظرفية. ووصف الليالي بقوله ذوات العدد قال الكرمانى: لإرادة التقليل كما في
قوله تعالى: (دراهم معدودة) أو الكثرة لاحتياجها إلى العدد وهو المناسب. قال الحافظ:
أما كونه فمسلّم، وأما الأول فلا، لأن عاداتهم في الكثرة أن يوزن في القليل أن يعد. وقد
جزم الشيخ ابن أبي جمرة بأن المراد به الكثرة لأن العدد على قسمين فإذا أطلق أريد به
مجموع القلة والكثرة، فكأنها قالت: ليالي كثيرة أي مجموع قسمي العدد، وأبهم العدد
لاختلافه بالنسبة إلى المدد التي تخللها مجيئه إلى أهله. تنبيه: هذا التفسير للزهري وأدرجه
في الخبر، كما جزم به الطيبي، ورواية البخاري في التفسير تؤيده. ينزع: بمشاة تحتية



مفتوحة فنون فزاي مكسورة: يرجع وزنا ومعنى. أهله: السيدة خديجة عليها السلام وأولاده ويحتمل أن يريد أقاربه. التزود: استصحب الزاد وهو الطعام الذي يحمله المسافر. لمثلها: أي الليالي. كما رجحه الحافظ في كتاب التعبير من (الفتح) وإن كان رجح غيره في تفسير سورة اقرأ، لأن مدة الخلوة كانت شهرا، فكان يتزود لبعض ليالي الشهر فإذا نفذ ذلك الزاد رجع إلى أهله فيتزود قدر ذلك ولم يكونوا في سعة بالغة من العيش، وكان غالب أدمهم اللبن واللحم، وذلك لا يدخر منه كفاية شهر لئلا يسرع الفساد إليه، ولا سيما وقد وصفه بأنه كان يطعم من يرد عليه. حتى: هنا على بابها، من انتهاء الغاية، أي انتهى توجهه لغار حراء بمجيء الملك فترك ذلك. فجئه: بفتح الفاء وكسر الجيم ثم همزة ويقال فجأه بفتح الجيم، لغتان، أي جاءه الوحي. قاله النووي قال: فإنه عليه السلام لم يكن متوقعا للوحي. قال البلقيني: وفي إطلاق هذا النفي نظر، فإن الوحي كان جاءه في النوم مرارا، واستدل بما رواه ابن إسحاق عن عبيد بن عمير أنه عليه السلام وقع له في النوم نظير ما وقع له في اليقظة من الغط والأمر بالقراءة وغير ذلك. قال الحافظ: ففي كون ذلك يستلزم وقوعه في اليقظة حتى يتوقعه نظر، فالأولى ترك الجزم بأحد الأمرين. الحق: قال الطيبي: أي الأمر الحق، وهو الوحي أو رسول الحق وهو الملك جبريل عليه السلام. وقال البلقيني: أي الأمر البين الظاهر أو المراد: الملك بالحق، أي الأمر الذي بعث به. فجاءه الملك: هو الملك جبريل عليه السلام بلا خلاف كما قال البلقيني، واللام فيه لتعريف الماهية لا للعهد، إلا أن يكون المراد به ما عهده عليه السلام قبل ذلك، لما كلمه في صباه، أو اللفظ لعائشة وقصدت به ما يعهده من تحاطبه به. قال الإسماعيلي: هي عبارة عما عرف بعد أنه ملك، إنما الذي في الأصل: فجاءه جاء وكان ذلك الجائي ملكا، فأخبر عليه السلام عنه يوم أخبر بحقيقة جنسه، وكان الحامل على ذلك أنه لم يتقدم له معرفة به. وقال البلقيني: والفاء يحتمل أن تكون سببية أي حتى قضى بمجيء الوحي، فبسبب ذلك جاءه الملك. قال الحافظ: وهو أقرب من الذي قبله. وقال في مكان آخر هذه الفاء تسمى التفسيرية وليست التعقيبية، لأن مجيء الملك ليس



بعد مجيء الوحي حتى يعقب به بل هو نفسه، ولا يلزم من هذا التقدير أن يكون من باب تفسير الشيء بنفسه، بل التفسير عين المفسر به من جهة الإجمال وغيره من جهة التفصيل. فقال (اقرأ) يحتمل أن يكون هذا الأمر لمجرد التنبيه والتيقظ لما سيلقى إليه، وأن يكون على بابه من الطلب، ويحتمل أن صفة الأمر محذوفة أي قل: اقرأ، وإن كان الجواب ما أنا بقارئ فعلى ما فهم من ظاهر اللفظ، وكأن السر في حذفها لئلا يتوهم أن لفظ قل من القرآن. قال أبو شامة: وقع في الصحيحين الأمر بالقراءة من غير ذكر المقروء وفي حديث عبيد بن عمير قال عليه السلام: «فجاءني وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال اقرأ». ففي هذه الرواية بيان المقروء، إلا أن الأشبه أن هذا المجيء غير الذي في حديث عائشة، لأن هذا صرح فيه أنه كان فيه مناما وحديث عائشة في اليقظة. ما أنا بقارئ: وفي لفظ «ما أحسن أن أقرأ» فما نافية واسمها أنا وخبرها بقارئ، ولو كانت استفهامية لم يصلح دخول الباء وإن حكى عن الأخفش جوازه فهو شاذ، والباء زائدة لتأكيد النفي، وتقدم في التنبيه الثاني ما يدل على أنها استفهامية وجزم به بعض الشراح. فغطني: بغين معجمة فطاء مهملة أي عصرني وضممني. يقال غطه وغته بالغين المعجمة. وضغطه وخنقه وغمره، كله بمعنى. وفي رواية الطبري: فغطني بتاء مثناة فوقية. وفي رواية عند أبي داود الطيالسي: فأخذ بحلقي. حتى بلغ مني الجهد: يجوز فتح الجيم وضمها، وهو الغاية المشقة. ويجوز نصب الدال وضمها أي بلغ الغط مني الجهد أي غاية وسعي فهو مفعول حذف فاعله، ويروى بضم الجيم والدال أي بلغ مني الجهد مبلغه، فهو فاعل بلغ. فأرسلني: أطلقني. فرجع بها: أي رجع مصاحباً للآيات الخمس المذكورة. يرجف: بضم الجيم: يخفق ويضطرب. الفؤاد: قال الزمخشري: وسط القلب، سمي بذلك لتفؤده أي توقده وفسر الجوهري القلب بالفؤاد، ثم فسر الفؤاد بالقلب. قال الزركشي: والأحسن قول غيره أن الفؤاد غشاء القلب والقلب حبه وسويداؤه، فإذا حصل للوعاء الرجفان حصل لما فيه فيكون في ذكره من تعظيم الأمر ما ليس في



ذكر القلب. ويؤيد الفرق قوله عليه السلام: «ألين قلوبا وأرق أفئدة» وهو أولى من قول بعضهم إنه كرر لاختلاف اللفظ. بواده: قيل المراد بها اللحمية التي بين المنكب والعنق، وجرت العادة بأنها تضطرب عند الفزع، وعلى ذلك جرى الجوهري أي اللحمية المذكورة سميت بلفظ الجمع وتعقبه ابن بري فقال: البواد جمع بادرة وهي ما بين المنكب والعنق يعني أنه لا يختص بعضو واحد، وهو جيد فيكون إسناد الرجفان إلى القلب لكونه محله، وإلى البواد لأنها مظهره. خشيت علي: بالتشديد وفي رواية على نفسي. الروع: براء مفتوحة فواو ساكنة فعين مهملة: الفزع. والروع بضم الراء موضع الفزع من القلب. كلا: قال النووي تبعا لغيره: هي كلمة نفي وإبعاد وقد تأتي بمعنى حقا وبمعنى الاستفتاح. وقال القزاز: هي هنا بمعنى الرد لما خشي على نفسه، أي لا خشية عليك، ويؤيده أن في رواية أبي ميسرة: فقالت معاذ الله. ومن اللطائف أن هذه الكلمة التي ابتدأت السيدة خديجة عليها السلام النطق بها قبل ما ذكر لها النبي صلى الله عليه وسلم من القصة التي وقعت له، هي التي وقعت عقب الآيات الخمس من سورة اقرأ في نسق التلاوة، فجرت على لسانها اتفاقا لأنها لم تكن نزلت بعد، وإنما نزلت في قصة أبي جهل، وهذا هو المشهور عند المفسرين. لا يخزيك: بمثناة تحتية مضمومة فمعجمة فزاي فمثناة تحتية. وفي لفظ: يحزنك بحاء مهملة فزاي فنون ثلاثيا ورباعيا، قال اليزيدي: أحزنه: لغة تميم، وحزنه لغة قريش والحزن: الوقوع في بلية وشهرة بذلة. نينوى: بنون، قال ياقوت في (المشترك) بنون مكسورة، فمثناة تحتية ساكنة فنون فواو فألف قال ياقوت: بلد قديم كان مقابل مدينة الموصل خرب وقد بقي من آثاره شيء وبه كان قوم يونس وجرجس عليهما السلام، وكذا وجد مضبوطا بكسر النون الأولى في نسخة صحيحة من كتاب (الذيل والصلة) لكتاب التكملة للصغاني وعليها خطه في مواضع كثيرة. وقال أبو ذر: روي بضم النون وبفتحها وهو أشهر. قدوس: بضم القاف وفتح: الطاهر المنزه عن العيوب والنقائص. وفعل بالضم والتشديد من أبنية المبالغة. قال في النور: والظاهر أن معنى هذا الكلام التعجب



مثلاً يقول القائل: الله الله ويحتمل أن يريد: أنت قدوس أي طاهر منزّه عن المعاصي يشير بذلك إلى أنه نبي. عداس: بعين مفتوحة فدال مشددة وآخره سين مهملات. الرحم: القرابة وصلتها بالإحسان إليها على حسب حال الواصل والموصول، فتارة يكون بالمال وتارة بالخدمة وتارة بالزيارة وغير ذلك. الكل بفتح الكاف وتشديد اللام وهو الذي لا يستقل بأمره أو الثقل بكسر المثلثة وإسكان القاف. تكسب المعدوم: بفتح المثناة الفوقية: أي تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك، فحذف أحد المفعولين، يقال: كسبت الرجل ما لا واكتسبته بمعنى، وقيل معناه تكسب المال المعدوم وتصيب منه ما لا يصيبه غيرك وكانت العرب تتماح بكسب المال لا سيما قريش، وكان النبي ﷺ قبل البعثة محظوظاً في التجارة كما سبق بيان ذلك، وإنما يصح هذا المعنى هنا إذا ضم إليه ما يليق به من أنه كان مع إفادته للمال يوجد به في الوجوه التي ذكرت من المكرّمات. وفي رواية: بضم المثناة الفوقية، من اكتسبت، أي تكسب غيرك المال المعدوم أي تتبرع له به، فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه، أو تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من نفائس الفوائد ومكارم الأخلاق. والرواية الأولى قال القاضي: أصح. وعلى الرواية الثانية قال الخطابي: الصواب المعدم بلا واو أي الفقير لأن المعدوم لا يكسب. وأجاب صاحب التحرير بأنه لا يمتنع أن يطلق على المعدم المعدوم، لكونه كالمعدوم الميت الذي لا تصرف له. والكسب هو الاستفادة فكأنها قالت: إذا رغب غيرك أن يستفيد ما لا موجوداً رغبته أنت أن تفيد رجلاً عاجزاً فتعاونته. وقال قاسم بن ثابت في الدلائل: تكسب المعدوم: معناه ما يعدمه غيره ويعجز عنه ويصيبه وهو يكسبه، وأنشد على ذلك شاهدين من كلام العرب. وفي تهذيب الأزهري عن ابن الأعرابي: رجل عديم: لا عقل له. ومعدوم: لا مال له. قال الدماميني: كأنهم نزلوا وجود من لا مال له منزلة العدم. تقرى الضيف: بفتح أوله بلا همز ثلاثياً قال الآبي: وسمع بضمها رباعياً، أي تهبّ له طعامه وشرابه. نواب الحق: حوادثه وإنما أضافت النواب للحق لأنها تكون في الحق



والباطل. ورقة: بفتح الراء. تنصر: صار نصرانيا. الجاهلية: ما كان قبل البعثة. فكان يكتب الكتاب العبراني: وفي رواية: العربي. يكتب من الإنجيل بالعبرانية وفي رواية بالعربي والجميع صحيح، لأن ورقة تعلم اللسان العبراني والكتابة العبرانية فكان يكتب الكتاب العبراني كما كان يكتب الكتاب العربي لتمكنه من الكتابين واللسانين. يا بن عم: هذا نداء على الحقيقة. ووقع في مسلم: يا عم. قال الحافظ: وهو وهم لأنه وإن كان صحيحا لجواز إرادة التوقير لكن القصة لم تتعدد ومخرجها متحد فلا يحمل على أنها قالت ذلك مرتين، فتعين الحمل على الحقيقة. الناموس: صاحب السر، كما جزم به البخاري في أحاديث الأنبياء، ويقال نمست السر بفتح النون والميم أنمسه بكسر الميم نمسا: كتمته. ونمست الرجل ونامسته: ساررته. قال الحافظ: وزعم ابن ظفر وغيره أن الناموس صاحب سر الخير، والجاسوس صاحب سر الشر، والأول الصحيح الذي عليه الجمهور وقد سوى بينهما رؤية بن العجاج أحد فصحاء العرب. والمراد بالناموس هنا الملك جبريل عليه السلام وسمي بذلك لأن الله تعالى خصه بالغيب والوحي. يا ليتني فيها: أي أيام الدعوة. جذعا: بفتح الجيم والذال المعجمة، وروى في الصحاح بفتح العين وبضمها قال ابن بري: التقدير يا ليتني جعلت فيها جذعا. وقيل نصب على الحال إذا جعلت فيها خبر ليت، والعامل في الحال ما يتعلق به الخبر من معنى الاستقرار، قاله القاضي والسهيلي، قال النووي: وهو الصحيح الذي اختاره أهل التحقيق والمعرفة من شيوخنا. والجذع: الصغير من البهائم كأنه تمنى أن يكون عند ظهور النبي ﷺ شابا ليكون أمكن لنصره. أو مخرجي هم: بفتح الواو وتشديد الياء وفتحها جمع مخرج، فالياء الأولى ياء الجمع والثانية ضمير المتكلم، وفتحت للتخفيف لئلا يجتمع الكسر والياءان بعد كسرتين، فهم: مبتدأ مؤخر، ومخرجي: خبر مقدم. إلا عودي: وفي رواية: إلا أؤدي. لتكذبه، إلى آخره: قال السهيلي لا ينطق بهذه الهاء إلا ساكنة لأنها هاء السكت وليست بهاء إضمار، وقال الخشنى: الهاء للسكت. كذا جاءت الرواية بسكونها، ويحتمل أن



تكون ضميرا منتصبا بالفعل ولكن كذا جاءت الرواية. مؤزرا: بالهمز للأكثر وتشديد الزاي بعدها راء من التأخير والتقوية وأصله من الأزر، والصواب مؤزرا بغير همز من وازرته موازنة إذا عاونت، ومنه أخذ وزير الملك، ويجوز حذف الألف فتقول نصرا مؤزرا. قال الحافظ ويرد عليه قول الجوهري: آزرت فلانا عاونت، والعامّة تقول وازرته. وقال الإمام أبو شامة: يحتمل أن يكون من الإزار، أشار بذلك إلى تسميره في نصرته. قال الأخطل:

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم ... البيت.

اليافوخ: بمثناة تحتية فهمزة ففاء فواو فحاء معجمة: وسط الرأس، يقال في رأس الطفل حتى يشتد. لم ينشب: بفتح الشين المعجمة أي لم يلبث، وأصل النشوب التعلق، أي لم يتعلق بشيء من الأمور حتى مات (١١١).

المصدر الحادي والعشرون:-

إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين بن برهان الدين (المتوفى: ١٠٤٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.

نصّ رواية سبط ابن العجمي

باب: بيان حين المبعث وعموم بعثته ﷺ

«قال ابن إسحق: لما بلغ رسول الله ﷺ أربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين، وكافة للناس أجمعين. وكان الله قد أخذ له الميثاق على كل نبيّ بعثه قبله بالإيمان به، والتصديق له، والنصر على من خالفه، وأن يؤدّوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم: أي فهم وأممهم من حملة أمته ﷺ كما سيأتي عن السبكي. فعن أنس بن مالك «أن رسول الله ﷺ بعث على رأس الأربعين». قال: وهذا هو المشهور بين الجمهور من أهل السير، والعلم بالأثر. وقيل بزيادة يوم. وقيل بزيادة عشرة أيام، وقيل بزيادة شهرين. وقيل بزيادة سنتين، وهو



شاذ، وأكثر منه شذوذاً ما قيل إنه بزيادة ثلاث سنين، وما قيل إنه بزيادة خمس سنين. قال بعضهم: والأربعون هي سن الكمال، ونهاية بعث الرسل: أي لا يرسلون دونها، ومن ثم قال في الكشف: ويروى أنه لم يبعث نبي إلا على رأس أربعين سنة، هذا كلام الكشف. وأما ما يذكر عن المسيح أنه رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث أو أربع وثلاثين سنة: أي ومعلوم أنه دعا إلى الله قبل ذلك، فهو قول شاذ حكاه وهب بن منبه عن النصاري، أي وعليه جرى غير واحد من المفسرين، بل قال في ينبوع الحياة: لم يبلغني أن أحداً من المفسرين ذكر في مبلغ سنه إذ رفع أكثر من ثلاث وثلاثين سنة هذا كلامه. وفي الهدى: وأما ما يذكر عن المسيح أنه رفع إلى السماء وله ثلاث وثلاثون سنة، فهذا لا يعرف به أثر متصل يجب المصير إليه، هذا كلامه. ويوافق ما تقدم عن المفسرين وما في (العرائس): «ولما تمت له يعني النبي عيسى عليه السلام ثلاثون سنة أوحى الله تعالى إليه أن يبرز للناس، ويدعوهم، ويضرب الأمثال لهم، ويداوي المرضى والزمى والعميان والمجانين، ويقمع الشياطين، ويذلهم ويدحرهم، ففعل ما أمر به، وأظهر المعجزات، فأحيا ميتاً يقال له عازر بعد ثلاثة أيام من موته». وعبارة الجلال المحلي في قطعة التفسير: أحيا عيسى عليه الصلاة والسلام أربعة عازر صديقاً له، وابن العجوز، وابنة العاشر، وسام بن نوح عليه السلام، هذا كلامه. وذكر البغوي قصة كل واحد فراجع. وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يمشي على الماء، ومكث في الرسالة ثلاث سنوات ثم رفع، ويوافق ذلك أيضاً قول ابن الجوزي: وأما حديث: وما من نبي إلا نبى بعد الأربعين فموضوع، لأن عيسى عليه الصلاة والسلام نبى ورفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، بل قيل نبى وهو طفل، فاشتراط الأربعين في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليس بشيء، هذا كلامه: أي وفيه أن هذا بمجرد لا يدل على وضع الحديث، ويوافقه أيضاً قول القاضي البيضاوي: ونبى النبي نوح عليه السلام وهو ابن خمسين سنة، وقيل أربعين، ويوافقه أيضاً قول بعضهم: ومما يدل على أن بلوغ الأربعين ليس شرطاً للنبوّة، وقصة سيدنا



يحیی صلوات الله وسلامه عليه بناء على أن الحكم في قوله تعالى: (وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) [مريم الآية ١٢] النبوة، لا الحكمة وفهم التوراة كما قيل بذلك، بل أحكم إليه عقله في صباه واستنبأه، قيل كان ابن سنتين أو ثلاث وكان ذبح يحيى قبل رفع عيسى عليهما الصلاة والسلام بسنة ونصف سنة. ومما يدل على ما تقدم عن الهدى: أي من إنكار أن عيسى عليه الصلاة والسلام رفع وله ثلاث وثلاثون سنة قول بعضهم: الأحاديث الصحيحة تدل على أنه إنما رفع وهو ابن مائة وعشرين سنة. من تلك الأحاديث قوله ﷺ في مرض موته لابنته فاطمة (عليها السلام): «أخبرني جبريل أنه لم يكن نبي إلا عاش نصف عمر الذي كان قبله، وأخبرني أن عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة، ولا أراني إلا ذاهبا على رأس الستين» وفي الجامع الصغير «ما بعث الله نبيا إلا عاش نصف ما عاش الذي قبله» ؛ وعلى كون كل نبي عاش نصف ما عاش النبي الذي قبله يشكل أن النبي نوح (عليه السلام) كان أطول الأنبياء عمرا، ومن ثم قيل له كبير الأنبياء، وشيخ المرسلين. وهو أول من تنشق عنه الأرض بعد نبينا ﷺ، ثم رأيت أن الحافظ الهيثمي ضعف حديث: ما بعث الله نبيا إلا عاش نصف ما عاش النبي الذي قبله. وقال العماد بن كثير: إنه غريب جدا. وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده «أن رسول الله ﷺ عام تبوك قام من الليل يصلي، فاجتمع رجال من أصحابه يحرسونه: أي ينتظرون فراغه من الصلاة، لأن نزول (وَاللَّهُ يُعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) [المائدة: ٦٧] كان قبل هذا، حتى إذا صلى وانصرف إليهم قال لهم: «لقد أعطيت الليلة خمسا ما أعطيهن أحد قبلي» زاد في رواية «لا أقولهن فخرا أما أولا هنّ فأرسلت إلى الناس كلهم عامة» أي من في زمنه وغيرهم ممن تقدم أو تأخر: أي وللشجر والحجر إلى آخر ما يأتي «وكان من قبلي» وفي لفظ «وكان كل نبي إنما يرسل إلى قومه» أي جميع أهل زمنه أو جماعة منهم خاصة. ومن الأول النبي نوح (عليه السلام)، فإنه كان مرسلا لجميع من كان في زمنه من أهل الأرض» (١١٣).



باب: بدء الوحي له ﷺ

«عن عائشة: أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من النبوة حين أراد الله تعالى كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصالحة «لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق» وفي لفظ «كفرق الصبح» أي كضياءه وإنارته، فلا يشك فيها أحد كما لا يشك أحد في وضوح ضياء الصبح ونوره. وفي لفظ «فكان لا يرى شيئا في المنام إلا كان» أي وجد في اليقظة كما رأى، فالمراد بالصالحة الصادقة. وقد جاءت في رواية البخاري في التفسير: أي ولا يخفى أن رؤيا النبي ﷺ كلها صادقة وإن كانت شاقة كما في رؤياه يوم أحد. قال القاضي وغيره وإنما ابتدئ رسول الله ﷺ بالرؤيا لثلا يفجأه الملك الذي هو الملك جبريل عليه السلام بالنبوة: أي الرسالة، فلا تتحملها القوى البشرية: أي لأن القوى البشرية لا تتحمل رؤية الملك وإن لم يكن على صورته التي خلقه الله عليها ولا على سماع صوته ولا على ما يخبر به لا سيما الرسالة، فكانت الرؤيا تأنيسا له ﷺ والمراد بالملك جبريل عليه السلام، لكن ذكر بعضهم أن من لطف الله تعالى بنا عدم رؤيتنا للملائكة أي على الصورة التي خلقوا عليها لأنهم خلقوا على أحسن صورة فلو كنا نراهم لطارت أعيننا وأرواحنا لحسن صورهم. وعن علقمة بن قيس «أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام، أي ما يكون في المنام حتى تهدأ قلوبهم، ثم ينزل الوحي»، أي في اليقظة لأن رؤيا الأنبياء وحي وصدق وحق، لا أضغاث أحلام ولا تخيل من الشيطان، إذ لا سبيل له عليهم، لأن قلوبهم نورانية، فما يرونه في المنام له حكم اليقظة، فجميع ما ينطبع في عالم مثاهم لا يكون إلا حقا، ومن ثم جاء: «نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا». أقول: وحينئذ يكون في القول بأن من خصوصياته ﷺ اجتماع أنواع الوحي الثلاثة له وعدّها منها الرؤيا في المنام، وعدّها منها الكلام من غير واسطة، وبواسطة الملك جبريل عليه السلام نظر، لما علمت أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعهم مشتركون في الرؤيا، والنبي موسى عليه السلام حصل له كل من الكلام بلا واسطة وبواسطة الملك جبريل عليه السلام. وذكر بعضهم أن مدة الرؤيا ستة أشهر قال فيكون ابتداء



الرؤيا حصل في شهر ربيع الأول، وهو مولده ﷺ ثم أوحى الله إليه في اليقظة أي في شهر رمضان ذكره البيهقي وغيره. وجاء في الحديث (الرؤيا الصادقة) وفي البخاري «الرؤيا الحسنة: أي الصادقة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة». قال بعضهم: معناه أن النبي ﷺ حين بعث أقام بمكة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة عشر سنين يوحى إليه ومدة الوحي إليه في اليقظة ثلاث وعشرون سنة، ومدة الوحي إليه في المنام أي التي هي الرؤيا ستة أشهر، فالمراد خصوص رؤيته وخصوص نبوته ﷺ، وهذا القيل نقله في الهدى وأقره حيث قال: كانت الرؤيا ستة أشهر، ومدة النبوة ثلاثا وعشرين سنة، فهذه الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءا، هذا كلامه. وحينئذ يكون المعنى ورؤيتي جزء من ستة وأربعين جزءا من نبوتي، ولا يخفى أن هذا لا يناسب «الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح» إذ هو يقتضي أن مطلق الرؤيا الصالحة جزء من مطلق النبوة الشامل لنبوته ﷺ ونبوة غيره فليتأمل. ولم أقف في كلام أحد على مشاركة أحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام له ﷺ في هاتين المدينتين. وحينئذ تحمل الخصوصية التي ادعاها بعضهم على هذا. ومما يدل على أن المراد مطلق الرؤيا ومطلق النبوة لا خصوص رؤياه ونبوته ﷺ، ما جاء في ذلك من الألفاظ التي بلغت خمسة عشر لفظا. ففي رواية «أنها جزء من سبعين جزءا» وفي رواية «من أربعة وأربعين» وفي رواية «أنها جزء من خمسين جزءا من النبوة» وفي رواية «من تسعة وأربعين» وفي أخرى «أنها جزء من ستة وسبعين» وفي أخرى «من خمسة وعشرين جزءا» وفي أخرى «من ستة وعشرين جزءا» وفي أخرى «من أربعة وعشرين جزءا» فإن ذلك باعتبار الأشخاص لتفاوت مراتبهم في الرؤيا. وذكر الحافظ ابن حجر أن أصح الروايات مطلقا رواية ستة وأربعين، ويليهما رواية أنها جزء من سبعين جزءا. فعلم أن الرؤية المذكورة جزء من مطلق النبوة: أي كجزء منها من جهة الاطلاع على بعض الغيب، فلا ينافي انقطاع النبوة بموته ﷺ. ومن ثم جاء (ذهبت النبوة) أي لا توجد بعدي. «وبقيت المبشرات» أي المرائي التي كانت مبشرات



للأنبياء بالنبوة، بدليل ما في رواية «لم يبق بعدي من المبشرات» أي مبشرات النبوة «إلا الرؤيا» أي مجرد الرؤيا الخالية عن شيء من مبشرات النبوة، بدليل ما في لفظ «لم يبق إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم» أي لنفسه «أو ترى له». لا يقال: الرؤيا الصادقة تكون من الكافر أو ترى له، وهو خارج بالرجل الصالح وبالمسلم. لأننا نقول: لو فرض وقوع ذلك كان استدراجا. وفيه أنها واقعة، وظاهر سياق الحديث الحصر، وكما تكون الرؤيا مبشرة بخير عاجل أو آجل تكون منذرة بشر كذلك قال بعضهم: وقد تطلق البشارة التي هي الخبر السار على ما يشمل النذارة التي هي الخبر الضار بعموم المجاز، بأن يراد بالبشارة ما يعود إلى الخير، لأن النذارة ربما قادت إلى الخير. وفي الإتقان: ومن المجاز تسمية الشيء باسم ضده نحو (فَبَشَّرَهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [آل عمران: ٢١]، وهي في هذه الآية للتهكم. وجاء رجل وهو أبو قتادة الأنصاري إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله إني أرى في المنام الرؤيا تمرضني، فقال له النبي ﷺ: الرؤيا الحسنة من الله، والسيئة من الشيطان، فإذا رأيت الرؤيا تكرهها فاستعذ بالله من الشيطان واتفل عن يسارك ثلاث مرات فإنها لا تضرك» وحكمة التفل احتقار الشيطان واستقذاره. وفي رواية: «إذا رأى أحدهم ما يكره فليعذ بالله من شرها ومن الشيطان، كأن يقول: أعوذ بالله من شر ما رأيت ومن شر الشيطان، وليتفل ثلاثا، ولا يحدث بها أحدا فإنها لا تضره» زاد في رواية «وأن يتحول عن جنبه الذي كان عليه» زاد في أخرى «وليقم فليصل» أي ليكون فعل ذلك سببا للسلامة من المكروه الذي رآه. وفي البخاري «إذا رأى أحدهم الرؤيا يجبها فإنها هي من الله فليحمد الله عليها وليتحدث بها: أي ولا يخبر بها إلا من يحب، وإذا رأى غير ذلك مما كره فإنها هي من الشيطان» أي لا حقيقة لها، وإنما هي تخيل يقصد به تخويف الإنسان والتهويل عليه «فليستعذ بالله من شرها، ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره» وفي الأذكار «ثم ليقل: اللهم إني أعوذ بك من عمل الشيطان وسيئات الأحلام» وفي الحديث «الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان». قيل في معناه لأن صاحب الرؤيا



يرى الشيء على ما هو عليه، بخلاف صاحب الحلم فإنه يراه على خلاف ما هو عليه، فإن الحلم مأخوذ من حلم الجلد: إذا فسد. والرؤيا قيل إنها أمثلة يدركها الرائي بجزء من القلب لم تستول عليه آفة النوم، وإذا ذهب النوم من أكثر القلب كانت الرؤيا أصفى وذكر الفخر الرازي أن الرؤيا الرديئة يظهر تعبيرها، أي أثرها عن قرب، والرؤيا الجيدة إنما يظهر تعبيرها بعد حين. والسبب فيه أن حكمة الله تعالى تقتضي أن لا يحصل الإعلام بوصول الشر إلا عند قرب وصوله حتى يكون الحزن والغم أقل. وأما الإعلام بالخير فإنه يحصل متقدما على ظهوره بزمان طويل حتى تكون البهجة الحاصلة بسبب توقع حصول ذكر الخير أكثر، وهذا جري على ما هو الغالب، وإلا فقد قيل لجعفر الصادق (عليه السلام): كم تتأخر الرؤيا؟ فقال: «رأى النبي (صلى الله عليه وآله) في منامه كأن كلبا أبقع يلغ في دمه» فكان أي ذلك الكلب الأبقع شمرا قاتل الحسين وكان أبرص، فكان تأخير الرؤيا بعد خمسين سنة. وجاء عن عمرو بن شرحبيل أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال للسيدة خديجة (عليها السلام): «إذا خلوت سمعت نداء أن يا محمدا يا محمد» وفي رواية «أرى نورا» أي يقظة لا مناما «وأسمع صوتا وقد خشيت أن يكون والله لهذا الأمر» وفي رواية «والله ما أبغضت بغض هذه الأصنام شيئا قط ولا الكهان، وإني لأخشى أن أكون كاهنا» أي فيكون الذي يناديني تابعا من الجن، لأن الأصنام كانت الجن تدخل فيها، وتخطب سدناتها، والكاهن يأتيه الجنى بخبر السماء وفي رواية «وأخشى أن يكون بي جنون» أي لمة من الجن «فقالت: كلا يا بن عم ما كان الله ليفعل ذلك بك، فوالله إنك لتؤدي الأمانة، وتصل الرحم، وتصدق الحديث» وفي رواية «إن خلقك لكريم» أي فلا يكون للشيطان عليك سبيل. استدلت بما فيه من الصفات العلية والأخلاق السنية على أنه لا يفعل به إلا خيرا، لأن من كان كذلك لا يجزى إلا خيرا» (١١٤).

«ونقل الماوردي عن الشعبي أن الله قرن الملك إسرافيل (عليه السلام) بنبيه ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه، يعلمه الشيء بعد الشيء ولا يذكر له القرآن، فكان في هذه المدة



مبشرا بالنبوة، وأمهله هذه المدة ليتأهب لوحيه. وفيه أنه لو كان في تلك المدة مبشرا بالنبوة ما قال للسيدة خديجة عليها السلام ما تقدم، إلا أن يقال ما تقدم إنما قاله للسيدة خديجة عليها السلام في أول الأمر، ويدل لذلك ما قيل إنه عليه السلام مكث خمس عشرة سنة يسمع الصوت أحيانا ولا يرى شخصا، وسبع سنين يرى نورا ولم ير شيئا غير ذلك، وإن المدة التي بشر فيها بالنبوة كانت ستة أشهر من تلك المدة التي هي اثنان وعشرون سنة، وهذا الشيء الذي كان يعلمه له الملك إسرافيل عليه السلام لم أقف على ما هو، والله أعلم. وبعد ذلك حجب الله عليه السلام إليه الخلوة التي يكون بها فراغ القلب والانقطاع عن الخلق فهي تفرغ القلب عن أشغال الدنيا لدوام ذكر الله تعالى، فيصفو وتشرق عليه أنوار المعرفة، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده. وكان يخلو بغار حراء، وهذا الجبل هو الذي نادى رسول الله عليه السلام بقوله: إلي يا رسول الله لما قال له ثير وهو على ظهره: اهبط عني، فإني أخاف أن تقتل على ظهري فأعذب، فكان عليه السلام يتحنث: أي يتعبد به أي بغار حراء الليالي ذوات العدد، ويروى أولات العدد: أي مع أيامها، وإنما غلب الليالي لأنها أنسب بالخلوة. قال بعضهم: وأبهم العدد لاختلافه بالنسبة إلى المدد، فتارة كان ثلاث ليال، وتارة سبع ليال، وتارة شهر رمضان أو غيره. وفي كلام بعضهم ما قد يدل على أنه لم يختل عليه السلام أقل من شهر، وحينئذ يكون قوله في الحديث الليالي ذوات العدد محمول على القدر الذي كان يتزود له فإذا فرغ زاده رجع إلى مكة وتزود إلى غيرها إلى أن يتم الشهر، وكذا قول بعضهم، فتارة كان ثلاث ليال، وتارة سبع ليال، وتارة شهرا. ولم يصح أنه عليه السلام اختل أكثر من شهر. قال السراج البلقيني في شرح البخاري: لم يجيء في الأحاديث التي وقفنا عليها كيفية تعبد عليه الصلاة والسلام، هذا كلامه وسيأتي بيان ذلك قريبا. ثم إذا مكث عليه السلام تلك الليالي: أي وقد فرغ زاده يرجع إلى السيدة خديجة عليها السلام فيتزود لمثلها: أي قيل وكانت زوادته عليه السلام الكعك والزيت. وفيه أن الكعك والزيت يبقى المدة الطويلة، فيمكث جميع الشهر الذي يختل فيه ثم رأيت عن الحافظ ابن حجر مدة الخلوة كانت



شهرًا، فكان يتزود لبعض ليالي الشهر فإذا نفذ ذلك الزاد رجع إلى أهله يتزود قدر ذلك، ولم يكونوا في سعة بالغة من العيش، وكان غالب أدمهم اللبن واللحم، وذلك لا يدخر منه لغاية شهر لئلا يسرع الفساد إليه، ولا سيما وقد وصف بأنه ﷺ كان يطعم من يرد عليه هذا كلامه. وهو يشير فيه إلى ثلاثة أجوبة:

الأول: أنه لم يكن في سعة بحيث يدخر ما يكفيه شهرًا من الكعك والزيت.

الثاني: أن غالب أدمهم كان اللحم واللبن وهو لا يدخر شهرًا.

الثالث: أنه على فرض أن يدخر ما يكفيه شهرًا أي من الكعك والزيت إلا أنه ﷺ كان يطعم فربما نفذ ما ادخره. وإنما اختار الزيت للأدم لأن دسومته لا ينفر منها الطبع، بخلاف اللبن واللحم، ومن ثم جاء «أئتموا بالزيت وادهنوا به فإنه يخرج من شجرة مباركة» وقوله «أئتموا من هذه الشجرة المباركة» أي من عصارة ثمرة هذه الشجرة المباركة التي هي الزيتون وهو الزيت. وقيل لها مباركة لأنها لا تكاد تنبت إلا في شريف البقاع التي بورك فيها كأرض بيت المقدس، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء: أي في اليوم والشهر المتقدم ذكر. وعن عبيد بن عمير «كان رسول الله ﷺ يجاور في حراء في كل سنة شهرًا، وكان ذلك مما تتحنث فيه قريش في الجاهلية» أي المتأهلين منهم: أي وكان أول من تحنث فيه من قريش جده ﷺ عبد المطلب، فقد قال ابن الأثير: أول من تحنث بحراء عبد المطلب، كان إذا دخل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين ثم تبعه على ذلك من كان يتأله: أي يتعبد كورقة بن نوفل وأبي أمية بن المغيرة، وقد أشار إلى تعبد ﷺ صاحب الهمزية بقوله:

ألف النسك والعبادة والخل ... وة طفلا وهكذا النجباء

وإذا حلت الهداية قلبا ... نشطت في العبادة الأعضاء

أي ألف ﷺ العبادة والخلوة في حال كونه طفلا، ومثل هذا الشأن العليّ شأن الكرام، وإنما كان هذا شأن الكرام، لأنه إذا حلت الهداية قلبا نشطت الأعضاء في العبادة، لأن



القلب رئيس البدن المعول عليه في صلاحه وفساده ولعل الخلوة في كلام صاحب الهمزية المراد بها مطلق اعتزاله للناس، وأراد بطفلا زمن رضاعه ﷺ عند حليمة. فقد تقدم عنها أنها قالت: لما ترعرع رسول الله ﷺ كان يخرج إلى الصبيان وهم يلعبون فيتجنبهم لا خصوص اعتزاله الناس في غار حراء فلا ينافي قوله طفلا ظاهر ما تقدم من أن خلوته ﷺ بغار حراء كانت في زمن تزوجه ﷺ بالسيدة خديجة ﷺ، فكان ﷺ يجاور ذلك الشهر، يطعم من جاءه من المساكين: أي لأنه كان من نسك قريش في الجاهلية: أي في ذلك المحل أن يطعم الرجل من جاءه من المساكين. وقد قيل إن هذا كان تعبه في غار حراء أي مع الانقطاع عن الناس، وإلا فمجرد إطعام المساكين لا يختص بذلك المحل: إلا إن كان ذلك المحل صار في ذلك الشهر مقصودا للمساكين دون غيره. وقيل كان تعبه ﷺ التفكير مع الانقطاع عن الناس: أي لا سيما إن كانوا على باطل، لأن في الخلوة يخشع القلب وينسى المألوف من مخالطة أبناء الجنس المؤثرة في البنية البشرية، ومن ثم قيل: الخلوة صفوة الصفوة. وقول بعضهم: كان يتعبد بالتفكر: أي مع الانقطاع عما ذكرنا، وإلا فمجرد التفكير لا يختص بذلك المحل، إلا أن يدعي أن التفكير فيه أتم من التفكير في غيره لعدم وجود شاغل به. وقيل تعبه ﷺ كان بالذكر وصححه في (سفر السعادة) وقيل بغير ذلك. من ذلك الغير أنه قيل كان يتعبد قبل النبوة بشرع النبي إبراهيم ﷺ. وقيل بشريعة النبي موسى ﷺ غير ما نسخ منها في شرعنا، وقيل بكل ما صح أنه شريعة لمن قبله غير ما نسخ من ذلك في شرعنا.

وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي: تعبد ﷺ قبل نبوته بشريعة النبي إبراهيم ﷺ حتى فجأه الوحي وجاءته الرسالة، فالولي الكامل يجب عليه متابعة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح الله له في قلبه عين الفهم عنه فيلهم معاني القرآن، ويكون من المحدثين بفتح الدال ثم يصير إلى إرشاد الخلق. وكان ﷺ إذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به إذا انصرف قبل أن يدخل بيته الكعبة فيطوف بها سبعا أو ما





شاء الله تعالى ثم يرجع إلى بيته، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به ما أراد من كرامته ﷺ وذلك شهر رمضان، وقيل شهر ربيع الأول، وقيل شهر رجب خرج رسول الله ﷺ إلى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله: أي عياله التي هي السيدة خديجة (عليها السلام) إما مع أولادها أو بدونهم، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله تعالى فيها برسالته ورحم العباد بها، وتلك الليلة ليلة سبع عشرة من ذلك الشهر، وقيل رابع عشر منه، وقيل كان ذلك ليلة ثمان من ربيع الأول: أي وقيل ليلة ثالثة. قال بعضهم: القول بأنه في ربيع الأول يوافق القول بأنه بعث على رأس الأربعين لأن مولده ﷺ كان في ربيع الأول على الصحيح: أي وهو قول الأكثرين وقيل كان ذلك ليلة أو يوم السابع والعشرين من رجب. فقد أورد الحافظ الدمي في سيرته عن أبي هريرة قال «من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله تعالى له صيام ستين شهرا» وهو اليوم الذي نزل فيه الملك جبريل (عليه السلام) على النبي ﷺ بالرسالة وأول يوم هبط فيه الملك جبريل (عليه السلام) هذا كلامه، أي أول يوم هبط فيه على النبي ﷺ ولم يهبط عليه قبل ذلك، وسيأتي في بعض الروايات أن الملك جبريل (عليه السلام) نزل في سحر تلك الليلة التي هي ليلة الاثنين. ويجوز أن يكون كل من تلك الليالي كانت ليلة الاثنين، فقد جاء أن رسول الله ﷺ قال لبلال «لا يفتك صوم يوم الاثنين، لأنني ولدت فيه، ونبت فيه» فلا مخالفة بين كونه نبي في الليل وبين كونه نبي في اليوم، لأن السحر قد يلحق بالليل. وفي كلام بعضهم أياه ﷺ الملك جبريل (عليه السلام) ليلة السبت وليلة الأحد، ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان في حراء، فجاء بأمر الله تعالى وهذا القول: أي أن البعث كان في شهر رمضان قال به جماعة، منهم الإمام الصرصري حيث قال:

وأنت عليه أربعون فأشرق ... شمس النبوة منه في رمضان

واحتجوا بأن أول ما أكرمه الله تعالى بنبوته أنزل عليه القرآن. وأجيب بأن المراد بنزول القرآن في شهر رمضان نزوله جملة واحدة في ليلة القدر إلى بيت العزة في سماء

الدنيا، قال رسول الله ﷺ: «فجاءني وأنا نائم بنمط» وهو ضرب من البسط، وفي رواية «جاءني وأنا نائم بنمط من ديباج، فيه كتاب أي كتابة، فقال اقرأ، فقلت: ما أقرأ» أي أنا أمني لا أحسن القراءة أي قراءة المكتوب أو مطلقا «فغطني، أو فغطني» بالتاء بدل من الطاء به: أي غمني بذلك النمط، بأن جعله على فمه وأنفه قال «حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال اقرأ أي من غير هذا المكتوب، فقلت: ماذا أقرأ وما أقول ذلك إلا افتداء منه: أي تخلصا منه أن يعود لي بمثل ما صنع أي إنما استفهمت عما أقرؤه ولم أنف خوفا أن يعود لي بمثل ما صنع عند النفي: أي وفي رواية «فقلت والله ما قرأت شيئا قط، وما أدري شيئا أقرؤه»، أي لأنني ما قرأت شيئا فهو من عطف السبب على المسبب قال: (أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) [سورة العلق الآيات ١ - ٥] فقرأتها فانصرف عني، وهببت» أي استيقظت «من نومي فكأنما كتب في قلبي كتابا». أقول: أي استقر ذلك في قلبي وحفظته. ثم لا يخفى أن كلام هذا البعض، وهو أنه جاءه ليلة السبت وليلة الأحد، ثم ظهر له يوم الاثنين، محتمل لأن يكون أتاه بذلك النمط في ليلة السبت وليلة الأحد، وسحر يوم الاثنين وهو نائم لا يقظة لقوله: «ثم هببت من نومي». ولا ينافي ذلك قوله، ثم ظهر له بالرسالة، أي أعلن له بما يكون سببا للرسالة الذي هو أقرأ الحاصل في اليقظة. وحينئذ يكون تكرار مجيئه هو السبب في استقرار ذلك في قلبه ﷺ. وحينئذ لا يبعده قوله في الليلة الثانية: «ما قرأت شيئا» لأن المراد لم يتقدم لي قراءة قبل مجيئك إلي، ولا يبعده أيضا قوله: «ما أدري ما أقرأ» لأنه لم يستقر ذلك في قلبه لما علمت أن سبب الاستقرار التكرار، فلم يستقر ذلك في قلبه ﷺ في الليلة الأولى. وفي سيرة الشامي أن مجيء الملك جبريل عليه السلام بالنمط لم يتكرر، وأنه كان قبل دخوله ﷺ غار حراء، وهذا السياق يدل على أنه كان بعده. وفي (سفر السعادة) ما يقتضي أنه جاء بالنمط يقظة في حراء، ونصه: «فبينما هو في بعض الأيام قائم على جبل حراء إذ ظهر له



شخص وقال: أبشر يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله لهذه الأمة، ثم أخرج له قطعة نمط من حرير مرصعة بالجواهر ووضعها في يده وقال: اقرأ، قال: والله ما أنا بقارئ ولا أدري في هذه الرسالة كتابة» أي لا أعلم ولا أعرف المكتوب فيها، قال: فضمني إليه وغطني حتى بلغ مني الجهد، فعل ذلك بي ثلاثا وهو يأمرني بالقراءة، ثم قال: اقرأ باسم ربك. هذا كلامه فليتأمل، والله أعلم، «قال فخرجت» أي من الغار: أي وذلك قبل مجيء الملك جبريل عليه السلام إليه ﷺ باقرا خلافا لما يقتضيه السياق، «حتى إذا كنت في شط من الجبل» أي في جانب منه «سمعت صوتا من السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل، فوقفت أنظر إليه، فإذا الملك جبريل على صورة رجل صاف قدميه» أي وفي رواية «واضعا إحدى رجليه على الأخرى في أفق السماء» أي نواحيها «يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل، فوقفت أنظر إليه، فما أتقدم وما أتأخر، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء، فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك، فما زلت واقفا، ما أتقدم أمامي وما أرجع ورائي، حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي فبلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك، ثم انصرف عني وانصرفت راجعا إلى أهلي حتى أتيت خديجة: أي في الغار، فجلست إلى فخذها مضيفا إليها أي مستندا إليها، فقالت: يا أبا القاسم أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك فبلغوا مكة ورجعوا إلي». أقول: وهذا يدل على أن السيدة خديجة رضي الله عنها كانت معه بغار حراء، وهو الموافق لما تقدم من قوله ومعه أهله أي السيدة خديجة رضي الله عنها على ما تقدم. وقد يخالف ذلك ما روي أن السيدة خديجة رضي الله عنها صنعت طعاما ثم أرسلته إلى رسول الله ﷺ فلم تجده بحراء، فأرسلت في طلبه إلى بيت أعمامه وأخواله فلم تجده، فشق ذلك عليها، فبينما هي كذلك إذا أتاها فحدثها بما رأى وسمع، فإن هذا يدل على أنها لم تكن معه ﷺ بحراء. وقد يقال: يجوز أن تكون خرجت معه أولا وأرسلت رسلها إليه ﷺ وهي بحراء فلم تجده، وأن الرسل أخطؤوا محل وقوفه ﷺ بالجبل الذي هو حراء، ثم رجعت إلى مكة وأرسلت رسلها



إليه ﷺ بحراء، لاحتمال عوده إليه، ثم أرسلت إلى بيت أعمامه وأخواله لما لم تجده ﷺ بحراء، فأرسالها تكرر مرتين مع اختلاف محلها، ويكون قوله: «وانصرفت راجعا إلى أهلي»، أي بمكة لا بحراء، لأنه يجوز أن يكون بلغه رجوع السيدة خديجة ﷺ إلى مكة. هذا على مقتضى الجمع. وأما على ظاهر الرواية الأولى يكون رجوعه إلى أهله بحراء كما ذكرنا، وهو يدل على أن خروجه ﷺ إلى شط الجبل كان من غار حراء كما ذكرنا لا من مكة الذي يدل عليه قول الشمس الشامي «فخرج مرة أخرى إلى حراء، قال: فخرجت حتى أتيت الشط من الجبل سمعت صوتا» إلى آخره، فليتأمل والله أعلم» (١١).

«قال: «ثم حدثتها بالذي رأيت»، أي من سماع الصوت ورؤية الملك جبريل ﷺ، وقوله له: يا محمد أنت رسول الله، فقالت: أبشريا بن عمي واثبت، فوالذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة، ثم قامت فجمعت عليها ثيابها: أي التي تتجمل بها عند الخروج. ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ أنه رأى وسمع: أي رأى الملك جبريل ﷺ وسمع منه أنت رسول الله وأنا جبريل، فقال ورقة: قدوس قدوس بالضم والفتح، والذي نفسي بيده لئن كنت صدقت يا خديجة، لقد جاءه الناموس الأكبر الذي يأتي النبي موسى ﷺ الذي هو الملك جبريل ﷺ، وإنه لنبي هذه الأمة، فقولي له يثبت. والقدوس: الطاهر المنزه عن العيوب، وهذا يقال للتعجب، أي وجاء بدل قدوس سبوح سبوح، وما لجبريل يذكر في هذه الأرض التي تعبد فيها الأوثان؟!، جبريل أمين الله بينه وبين رسله: أي لأن هذا الاسم لم يكن معروفا بمكة ولا غيرها من بلاد العرب، فرجعت السيدة خديجة ﷺ إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول ورقة بن نوفل، فلما قضى رسول الله ﷺ جواره وانصرف: أي فرغ ما تزوده وليس المراد انتضاء جواره بانقضاء الشهر، لأن ذلك كان قبل أن يجيء إليه الملك جبريل ﷺ باقراً باسم ربك يقظة كما تقدم. أي وذلك كان في الشهر الذي أكرمه الله فيه برسالته. فعند ذلك صنع كما كان يصنع. بدأ بالكعبة فطاف بها، فلقبه ورقة بن نوفل وهو يطوف



بالكعبة، فقال له: يا بن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت، فأخبره رسول الله ﷺ، فقال له ورقة: والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء النبي موسى عليه السلام، ولتكذبنه وتؤذينه، ولتقاتلنه ولتخرجنه بها السكت، ولا تكون إلا ساكنة. ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرًا يعلمه، ثم أدنى ورقة رأسه ﷺ منه وقبل يافوخه، أي وسط رأسه، لأن اليافوخ بالهمزة وسط الرأس إذا استند وقبل استداده كما في رأس الطفل يقال له الفادية بالفاء. ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله أي ولا مانع من تكرار مراجعة ورقة فتارة قال: قدوس قدوس، وتارة قال: سبوح سبوح، أو جمع بين ذلك في وقت واحد. وبعض الرواة اقتصر على أحد اللفظين، وقد جاء أن أبا بكر دخل على السيدة خديجة عليها السلام أي وليس عندها رسول الله ﷺ، فقالت له: يا عتيق اذهب بمحمد ﷺ إلى ورقة: أي بعد أن أخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ كما سيذكر، فلما دخل رسول الله ﷺ أخذ أبو بكر بيده فقال: انطلق بنا إلى ورقة، وذهب به إلى ورقة، فقال له رسول الله ﷺ: إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي: يا محمد يا محمد فأنطلق هاربًا إلى الأرض، فقال له: لا تفعل، إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم انتني: أي وهذا قبل أن يراه ويجتمع به ويحيي إليه بالقرآن. وحينئذ يكون تكرار سؤال ورقة ثلاث مرات، الأولى على يد أبي بكر. وذلك قبل أن يرى الملك جبريل عليه السلام. والثانية التي رأى فيها الملك جبريل عليه السلام وسمع منه ولم يجتمع به، وذلك عند اجتماعه ﷺ به في المطاف. والثالثة التي بعد مجيء الملك جبريل عليه السلام له يقظة بالقرآن أي باقرأ باسم ربك على المشهور، من أنه أول ما نزل، وذلك على يد السيدة خديجة عليها السلام، ولا ينافي ذلك ما ذكره الحافظ ابن حجر كما سيأتي أن القصة واحدة لم تتعدد ومخرجها متحد، لأن مراده قصة مجيء الملك جبريل عليه السلام له يقظة بـ(اقرأ باسم ربك) وسيأتي ما فيه. وإنما قال ورقة له ﷺ يا بن أخي، قيل لأنه يجتمع مع عبد الله والد النبي ﷺ في قصي فكان عبد الله بمثابة الأخ له أو أنه قال ذلك توقيرًا له وإنما ذكر ورقة النبي موسى عليه السلام دون النبي عيسى عليه السلام، مع



أن النبي عيسى عليه السلام أقرب منه وهو على دينه لأنه كان على دين النبي موسى عليه السلام، ثم صار على دين النبي عيسى عليه السلام أي كان يهوديا. ثم صار نصرانيا، أي لأن نبوة النبي موسى عليه السلام مجمع عليها أي على أنها ناسخة لما قبلها، وأن شريعة النبي عيسى عليه السلام، قيل إنها متممة ومقررة لشريعة النبي موسى عليه السلام لا ناسخة لها، قيل ولأن ورقة كان ممن تنصر أي كما علمت، والنصارى لا يقولون بنزول الملك جبريل عليه السلام على عيسى عليه السلام الصلاة والسلام أي بل كان يعلم الغيب، لأنهم يقولون فيه إنه أحد الأقانيم الثلاثة اللاهوتية وذلك الأقنوم هو أقنوم الكلمة التي هي العلم حل بناسوت المسيح واتحد به، فلذلك كان يعلم علم الغيب ويخبر بما في الغد. أقول: وفيه أن في رواية «وإنك على مثل ناموس النبي موسى والنبي عيسى عليه السلام» أي ففي بعض الروايات جمع وفي بعضها اقتصر على النبي موسى عليه السلام. وفي الاختصار على النبي موسى عليه السلام دون الاختصار على عيسى ما علمت، ثم رأيت أنه جاء في غير الصحيح الاختصار على النبي عيسى عليه السلام فقال هذا الناموس الذي نزل على النبي عيسى عليه السلام، فهو كما جاء الجمع بينهما جاء الاختصار على كل منهما. ولا ينافي ذلك أي مجيء الملك جبريل عليه السلام للنبي عيسى عليه السلام ما تقدم عن النصارى من أنهم لا يقولون بنزول الملك جبريل عليه السلام على النبي عيسى عليه السلام، لجواز أن يكون المراد لا ينزل عليه دائما وأبدا بالوحي، بل في بعض الأحيان، وفي بعضها يعلم الغيب بغير واسطة. ثم رأيت في فتح الباري أن عند إخبار السيدة خديجة رضي الله عنها بالقرعة قال لها هذا ناموس النبي عيسى عليه السلام بحسب ما هو فيه من النصرانية، وعند إخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم له بالقرعة قال له هذا ناموس النبي موسى عليه السلام للمناسبة بينهما لأن النبي موسى عليه السلام أرسل بالنقمة على فرعون، وقد وقعت النقمة على يد نبينا صلى الله عليه وآله وسلم على فرعون هذه الأمة الذي هو أبو جهل، هذا كلامه فليتأمل» (١١٦).

«وقد جاء أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال في حق أبي جهل في يوم بدر: «هذا فرعون هذه الأمة» والله أعلم. وعن عائشة: «جاءه الملك سحرا» أي سحر يوم الاثنين يقظة لا مناما، أي بغير



نمط «فقال له اقرأ. قال: ما أنا بقارئ» أي لا أوجد القراءة، قال «فأخذني فغطني» أي ضممني وعصرني. وفي لفظ «فأخذ بحلقتي حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ» أي لا أحسن القراءة، أي لا أحفظ شيئاً أقرؤه «فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ» أي شيء أقرؤه. وفيه أنه لو كان كذلك لقال ما أقرأ، أو ماذا أقرأ. إلا أن يقال أطلق ذلك وأراد لازمه الذي هو الاستفهام، خصوصاً وقد قدمه قال: «فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال (اقرأ باسم ربك الذي خلق (١) خلق الإنسان من علق (٢) اقرأ وربك الأكرم (٣) الذي علم بالقلم (٤) علم الإنسان ما لم يعلم (٥) [العلق: الآيات ١ - ٥]». أقول: فقولنا: أي بغير نمط هو ظاهر الروايات، ويجوز أن يكون لفظ النمط سقط في هذه الرواية كغيرها من الروايات، ويؤيده اقتصار السيرة الشامية على مجيئه بالنمط. وأيضاً كيف الجمع بين قوله هنا ما ذكر وبين قوله هناك: «فكأنها كتب في قلبي كتاباً» «وما بالعهد من قدم». إلا أن يقال يجوز أن يكون ﷺ جوز أن يكون الملك جبريل عليه السلام يريد منه قراءة غير الذي قرأه وكتب في قلبه. ولا يخفى أنه علم أن قول جبريل اقرأ أمر بالقراءة. وفيه أنه من التكليف بها لا يطاق، أي في الحال: أي ومن ثم ادعى بعضهم أنه لمجرد التنبيه واليقظة لما يلقي إليه. وفيه أنه لو كان كذلك لم يحسن أن يقال في جوابه: ما أنا بقارئ الذي معناه لا أوجد القراءة. إلا أن يقال الملك جبريل عليه السلام أراد التنبيه لا الأمر، وجوابه ﷺ بناء على مقتضى ظاهر اللفظ.

واعلم أن قوله ﷺ: ما أنا بقارئ في المواضع الثلاثة معناه مختلف: ففي الأول معناه الإخبار بعدم إيجاد القراءة، والثاني معناه الإخبار بأنه لا يحسن شيئاً يقرؤه وإن كان ذلك هو مستند الأول، والثالث معناه الاستفهام عن أي شيء أن يقرؤه، وفيه ما علمت. وبعضهم جعل قوله الأول لا أقرأ: لا أحسن القراءة بدليل أنه جاء في بعض الروايات ما أحسن أن أقرأ. وحينئذ يكون بمعنى الثاني، فيكون تأكيداً له: أي الغرض منها شيء



واحد. قال بعضهم: وجه المناسبة بين الخلق من العلق والتعليم وتعليم العلم أن أدنى مراتب الإنسان كونه علقه، وأعلاها كونه عالماً، فالله سبحانه وتعالى امتن على الإنسان بنقله من أدنى المراتب وهي العلقه إلى أعلاها، وهي تعلم العلم. وقد اشتملت هذه الآيات على براعة الاستهلال: وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه، ويشير إلى ما سبق الكلام لأجله فإنها اشتملت على الأمر بالقراءة والبدء فيها بسم الله، إلى غير ذلك مما ذكره في الإتقان. قال فيه: من ثم قيل إنها جديرة أن تسمى عنوان القرآن، لأن عنوان الكتاب ما يجمع مقاصده بعبارة موجزة في أوله، وكرر الملك جبريل عليه السلام الغط ثلاثاً للمبالغة. وأخذ منه بعض التابعين وهو القاضي شريح أن المعلم لا يضرب الصبي على تعليم القرآن أكثر من ثلاث ضربات. وأورد الحافظ السيوطي عن الكامل لابن عدي بسند ضعيف عن ابن عمر «أن النبي ﷺ نهى أن يضرب المؤدب الصبي فوق ثلاث ضربات». وذكر السهيلي أن في ذلك: أي الغط ثلاثاً إشارة إلى أنه ﷺ يحصل له شدائد ثلاث ثم يحصل له الفرج بعد ذلك فكانت الأولى إدخال قريش له ﷺ الشعب والتضييق عليه. والثانية اتفاقهم على الاجتماع على قتله ﷺ. والثالثة خروجه من أحب البلاد إليه، وجاءه ﷺ الملك جبريل والملك ميكائيل عليه السلام: أي قبل قول الملك جبريل عليه السلام له اقرأ فشق الملك جبريل عليه السلام بطنه وقلبه، إلى آخر ما تقدم في الكلام على أمر الرضاع ثم قال له الملك جبريل عليه السلام: اقرأ الحديث، فعلم أن (اقرأ باسم ربك) نزلت من غير بسملة، وقد صرح بذلك الإمام البخاري، وما ورد عن ابن عباس: بأن أول ما نزل الملك جبريل عليه السلام على محمد ﷺ قال: يا محمد استعذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ثم قال: قل بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قال: اقرأ باسم ربك، قال الحافظ ابن كثير، هذا الأثر غريب، في إسناده ضعف وانقطاع، أي فلا يدل للقول بأن أول ما نزل بسم الله الرحمن الرحيم، حكاه ابن النقيب في مقدمة تفسيره، وبه يرد على الجلال السيوطي حيث قال: وعندي فيه أن هذا لا يعد قولاً برأسه، فإن من ضرورة



نزول السورة أي سورة اقرأ نزول البسملة معها، فهي أول آية نزلت على الإطلاق، هذا كلامه والله أعلم» (١١٧).

«قال الحافظ ابن حجر: هذا الذي وقع له ﷺ في ابتداء الوحي من خصائصه، إذ لم ينقل عن أحد من الأنبياء ﷺ أنه جرى له عند ابتداء الوحي مثل ذلك «ولما قرأ رسول الله ﷺ تلك الآية رجع بها ترجف بوادره» والبادرة اللحمة التي بين المنكب والعنق، تتحرك عند الفزع ويقال لها الفريضة والفرائض، وفي رواية «فؤاده» أي قلبه، ولا مانع من اجتماع الأمرين، لأن تحرك البادرة ينشأ عن فزع القلب «حتى دخل ﷺ على السيدة خديجة ﷺ فقال: زملوني زملوني» أي غطوني بالثياب «فزملوه حتى ذهب عنه الروع» بفتح الراء: أي الفزع «ثم أخبرها الخبر وقال: لقد خشيت على نفسي» وفي رواية «على عقلي» كما في (الامتناع) «قالت له السيدة خديجة ﷺ: كلا أبشر، فو الله لا يخزيك الله أبدا» أي لا يفضحك «إنك لتصل الرحم، وتصدق المعدوم» بضم التاء. والمعدوم الذي لا مال له لأن من لا مال له كالمعدوم: أي توصل إليه الخير الذي لا يجده عند غيرك. وبهذا يعلم سقوط قول الخطابي الصواب المعدوم بلا واو، لأن المعدوم: أي الشخص المعدوم لا يكسب: أي لا يعطى الكسب «وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق» أي على حوادثه «فانطلقت به السيدة خديجة ﷺ حتى أتت به ورقة بن نوفل، فقالت له السيدة خديجة ﷺ: أي عم اسمع من ابن أخيك»، وقولها أي عم صوابه ابن عم، لأنه ابن عمها لا عمها كما وقع في مسلم. قال ابن حجر: وهو وهم لأنه وإن كان صحيحا لجواز إرادة التوقير، لكن القصة لم تعدد ومخرجها متحد: أي فلا يقال يجوز أنها جاءت إليه بعد نزول الآية مرتين، قالت في مرة أي عم، وفي مرة أي ابن عم «قال ورقة: يا بن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على النبي موسى ﷺ» أي صاحب سرّ الوحي وهو الملك جبريل ﷺ «يا ليتني فيها جذعا» أي يا ليتني حينئذ أكون في زمن الدعوى إلى الله (عز وجل): أي إظهاره الذي جاء به



وأُنذر، أو أصل وجودها بناء على تأخر الدعوى التي هي الرسالة عن النبوة على ما يأتي شابا حتى أبلغ في نصرتها «يا ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك، قال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم؟» بتشديد الياء المفتوحة لأنه جمع مخرج، والأصل أو مخرجوني حذفت النون للإضافة فصار مخرجوي، قلبت الواو ياء وأدغمت، قال ورقة: «نعم لم يأت رجل بها جئت به إلا عودي» أي فتكون المعادة سببا لإخراجه. وهذا يفيد بظاهره أن من تقدم من الأنبياء أخرجوا من أماكنهم لمعاداة قومهم لهم، وإلا فمجرد المعادة لا يقتضي الإخراج، فلا يحسن أن يكون علامة عليه، وقد يؤيد ذلك ما تقدم عند الكلام على بناء الكعبة أن كل نبي إذا كذبه قومه خرج من بين أظهرهم إلى مكة المكرمة يعبد الله (عز وجل) بها حتى يموت وتقدم ما فيه. وفي كونه ﷺ لم يقل شيئا في جواب قول ورقة إنه يكذب ويؤذى ويقاتل، وقال في جواب قوله: إنه يخرج أو مخرجي هم؟ استفهاما إنكاريا، دليل على شدة حب الوطن وعسر مفارقتة، خصوصا وذلك الوطن حرم الله (عز وجل) وجوار بيته ومسقط رأسه، قال ورقة: «وإن أدركت يومك أنصرك نصرا مؤزرا» أي شديدا قويا، من الأزرو وهو الشدة. الذي في الحديث الصحيح «وإن يدركني يومك» وسيأتي في بعض الروايات «وإن يدركني ذلك» قال السهيلي: وهو القياس، لأن ورقة سابق بالوجود، والسابق: هو الذي يدركه ما سيأتي بعده كما جاء «أشقى الناس من أدركته الساعة وهو حي» هذا كلامه أي وفي بعض الروايات أنه قال لها: «إن ابن عمك لصادق وإن هذا لبدء نبوة» وفي لفظ «إنه لنبي هذه الأمة»، وفي الشفاء أن قوله ﷺ للسيدة خديجة ﷺ: «لقد خشيت على نفسي» ليس معناه الشك فيما آتاه الله تعالى من النبوة، ولكنه لعله خشي أن لا تحمل قوته ﷺ مقاومة الملك وأعباء الوحي، بناء على أنه قال ذلك بعد لقاء الملك وإرساله إليه بالنبوة، فإن للنبوة أثقالا لا يستطيع حملها إلا أولو العزم من الرسل. وفي كلام الحافظ ابن حجر، اختلف العلماء في هذه الخشية على اثني عشر قولاً، وأولها بالصواب وأسلمها من الارتياب أن المراد بها الموت أو المرض





أو دوام المرض هذا كلامه، فليتأمل مع رواية «خشيت على عقلي». قال: وفي بعض الروايات أن السيدة خديجة عليها السلام قبل أن تذهب به إلى ورقة ذهبت به إلى عداس وكان نصرانيا من أهل نينوى: قرية سيدنا يونس عليه السلام، فقالت له: يا عداس أذكرك الله (عز وجل) إلا ما أخبرني هل عندكم علم من جبريل؟ أي فإن هذا الاسم لم يكن معروفا بمكة ولا غيرها من أرض العرب كما تقدم، فقال عداس: قدوس قدوس، ما شأن جبريل يذكر بهذه الأرض التي أهلها أهل أوثان؟ أي والقدوس المنزه عن العيوب وأن هذا يقال للتعجب كما تقدم، فقالت: أخبرني بعلمك فيه، قال: هو أمين الله بينه وبين النبيين، وهو صاحب النبي موسى والنبي عيسى عليهما السلام اهـ. وفيه أنه سيأتي عند الكلام على ذهابه عليه السلام للطائف بعد موت أبي طالب يلتمس إسلام ثقيف اجتماعه بعداس الموصوف بما ذكر، لكن في تلك القصة ما قد يبعد معه كل البعد أنه المذكور هنا فليتأمل، ثم رأيت أن عداسا المذكور هنا كان راهبا وكان شيخا كبير السن، وقد وقع حاجباه على عينيه من الكبر، وأن السيدة خديجة عليها السلام قالت له: أنعم صباحا يا عداس، فقال: كأن هذا الكلام كلام خديجة سيدة نساء قريش، قالت: أجل، قال ادني مني فقد ثقل سمعي، فدنت منه ثم قالت له ما تقدم، وهذا صريح في أنه غير عداس الآتي ذكره، وأنها اشتركا في الاسم والبلد والدين، أي وكونهما غلامين لعتبة بن ربيعة. ففي كلام ابن دحية: عداس كان غلاما لعتبة بن ربيعة من أهل نينوى، عنده علم من الكتاب، فأرسلت إليه السيدة خديجة عليها السلام تسأله عن الملك جبريل عليه السلام، فقال: قدوس قدوس، الحديث. ولا يخفى أن هذا اشتباه وقع من بعض الرواة بلا شك. وفي رواية أن عداسا هذا قال لها: يا خديجة إن الشيطان ربما عرض للعبد فأراه أمورا، فخذي كتابي هذا فانطلق به إلى صاحبك، فإن كان مجنونا فإنه سيذهب عنه، وإن كان من الله فلن يضره، فانطلقت بالكتاب معها، فلما دخلت منزلها إذا هي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع الملك جبريل عليه السلام يقرئه هذه الآيات: ﴿إِن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣)

وَأَنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (٥) بَايَكُمُ الْمَفْتُونُ (٦) ﴿[القلم الآيات ١-٦] فلما سمعت السيدة خديجة عليها السلام قراءته اهتزت فرحا ثم قالت للنبي ﷺ فذاك أبي وأمي، امض معي إلى عداس، فلما رآه عداس كشف عن ظهره فإذا خاتم النبوة يلوح بين كتفيه، فلما نظر عداس إليه خر ساجدا يقول: قدوس قدوس، أنت والله النبي الذي بشر بك النبي موسى والنبي عيسى عليهما السلام الحديث. وفيه إن كان هذا قبل أن تذهب به إلى ورقة اقتضى أن نزول سورة ن قبل اقرأ، ولا يحسن ذلك مع قوله للملك جبريل عليه السلام ما أنا بقارئ، إذ هو صريح في أنه ﷺ لم يقرأ قبل ذلك شيئا، ومن ثم كان المشهور أن أول ما نزل اقرأ. وكون (ن) نزلت لهذا السبب مخالف لما ذكر في أسباب النزول أنها نزلت لما وصفه المشركون بأنه مجنون، إلا أن يقال لا مانع من تعدد النزول. وذكر ابن دحية أيضا أنه ﷺ لما أخبرها بالملك جبريل عليه السلام ولم تكن سمعت به قط، كتبت إلى بحيرا الراهب فسألته عن الملك جبريل عليه السلام، فقال لها: قدوس قدوس يا سيدة نساء قريش، أنى لك بهذا الاسم؟ فقالت: بعلي وابن عمي أخبرني بأنه يأتيه، فقال: إنه السفير بين الله وأنبيائه، وإن الشيطان لا يجترئ أن يتمثل به، ولا أن يتسمى باسمه» (١١٨).

«وهذه العبارة: أي كون الملك جبريل عليه السلام هو السفير بين الله وأنبيائه صدرت من الحافظ السيوطي، وزاد: ولا يعرف ذلك لغيره من الملائكة. واعترض عليه بعضهم بأن الملك إسرافيل عليه السلام كان سفيرا بين الله وبينه ﷺ. فعن الشعبي أنه جاءته النبوة وهو ابن أربعين سنة، وقرن بنبوته الملك إسرافيل عليه السلام ثلاث سنين، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته الملك جبريل عليه السلام، وفي لفظ عنه: فلما مضت ثلاث سنين تولى عنه الملك إسرافيل عليه السلام وقرن به الملك جبريل عليه السلام: أي وقد تقدم أن الملك إسرافيل عليه السلام قرن به ﷺ قبل النبوة ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه، يعلمه الشيء بعد الشيء إلى آخره، وحينئذ يلزم أن يكون قرن به بعد النبوة ثلاث سنين أيضا، وسيأتي عن بحث بعض الحفاظ أنها مدة فترة الوحي فليتأمل. وأجاب الحافظ السيوطي عن ذلك بأن



السفير هو المرصد لذلك، وذلك لا يعرف لغير الملك جبريل عليه السلام، ولا ينافي ذلك مجيء غيره من الملائكة إلى النبي صلى الله عليه وآله في بعض الأحيان. ولك أن تقول: إن كان المراد بالمجيء إليه بوحي من الله (عز وجل) كما هو المتبادر فليس في هذه الرواية أن الملك إسرافيل عليه السلام وغيره من الملائكة كان يأتيه بوحي من الله (عز وجل) قبل مجيء الملك جبريل عليه السلام له صلى الله عليه وآله بوحي غير النبوة، ولا يخرج ذلك عن الاختصاص باسم السفير، وبأن إسرافيل عليه السلام لم ينزل لغير النبي صلى الله عليه وآله من الأنبياء عليهم السلام كما ثبت في الحديث، فلم يكن السفير بين الله (عز وجل) وجميع أنبيائه. قيل وإنما خصّ بذلك لأنه أول من سجد من الملائكة لآدم. ورأيت أنه سئل هل النبي عيسى عليه السلام بعد نزوله يوحى إليه؟ فأجاب بنعم، وأورد حديث النواس بن سمعان الذي أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم. وفيه التصريح بأنه يوحى إليه. قال: والظاهر أن الجائي إليه بالوحي الملك جبريل عليه السلام قال: بل هو الذي يقطع به ولا يتردد فيه، لأن ذلك وظيفته وهو السفير بين الله تعالى وأنبيائه عليهم السلام، لا يعرف ذلك لغيره من الملائكة ثم استدل على ذلك بما يطول. قال: وما اشتهر على السنة الناس أن الملك جبريل عليه السلام لا ينزل إلى الأرض بعد موت النبي صلى الله عليه وآله فهو شيء لا أصل له، وزعم زاعم أن النبي عيسى عليه السلام إنما يوحى إليه وحي إلهام ساقط قال: وحديث «لا وحي بعدي» باطل، أي ويدل له ما رأيت في كلام بعضهم: الملك جبريل عليه السلام ملك عظيم ورسول كريم، مقرب عند الله (عز وجل)، أمين على وحيه، وهو سفيره إلى أنبيائه كلهم، وسماه روح القدس، والروح الأمين، واختصه بوحيه من بين الملائكة المقربين. قال: ورأيت في بعض التواريخ أن الملك جبريل عليه السلام نزل عليه صلى الله عليه وآله ستا وعشرين ألف مرة ولم يبلغ أحد من الأنبياء عليهم السلام هذا العدد، والله أعلم» (١١٩).

«وفي أسباب النزول للواحي عن الإمام علي عليه السلام: «لما سمع النداء: يا محمد قال: ليبيك، قال قل: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم قال قل: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) [سورة الفاتحة:



الآيات ٢- ٤] حتى فرغ من السورة» أي فلما بلغ (ولا الضالين)، فقال: قل آمين فقال آمين كما في رواية وكيع وابن أبي شيبه وجاء في حديث قال بعضهم إسناده ليس بالقائم «إذا دعا أحدكم فليختم بآمين، فإن آمين في الدعاء مثل الطابع على الصحيفة». فأتى عليه السلام ورقة فذكر له ذلك، فقال له ورقة: أبشر ثم أبشر، فإني أشهد أنك الذي بشر بك ابن مريم عليها السلام، فإنك على مثل ناموس النبي موسى عليه السلام، وإنك نبي مرسل، وإنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك، ولئن أدركني ذلك لأجاهدن معك. أقول: هذا لا يدل للقول بأن الفاتحة أول ما نزل، وعليه كما قال في الكشف أكثر المفسرين، إذ يبعد كل البعد أن تكون هذه الرواية قبل نزول (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) [العلق: ١] ثم رأيت عن البيهقي أنه قال فيما تقدم عن أسباب النزول، هذا مرسل ورجاله ثقات، فإن كان محفوظا فيحتمل أن يكون خبرا عن نزولها بعد ما نزلت عليه اقرأ والمدثر: أي والمدثر نزلت بعد (يا أَيُّهَا الْمُزْمَلُ) [المزمل: ١]. ثم رأيت ابن حجر اعترض ما تقدم عن الكشف بقوله: الذي ذهب إليه أكثر الأمة هو الأول: أي القول بأنه اقرأ، وأما الذي نسبته إلى الأكثر فلم يقل به إلا عدد أقل من القليل بالنسبة إلى من قال بالأول، هذا كلامه. ثم رأيت الإمام النووي قال: القول بأن الفاتحة أول ما نزل بطلانه أظهر من أن يذكر: أي وما يدل على ذلك ما جاء من طرق عن مجاهد أن الفاتحة نزلت بالمدينة. ففي تفسير وكيع عن مجاهد: فاتحة الكتاب مدنية، وفيه أنه جاء عن قتادة أنها نزلت بمكة. وعن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كما في أسباب النزول للواحدي أنها نزلت بمكة من كنز تحت العرش. وفيها عنه «لما قام النبي عليه السلام بمكة فقال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) [الفاتحة: الآية ١ و ٢] قالت قريش: رض الله فاك». وفي الكشف أن الفاتحة نزلت بمكة، وقيل نزلت بالمدينة، فهي مكية مدنية، هذا كلامه وتبعه على ترجيح أنها مكية القاضي البيضاوي حيث قال: وقد صح أنها مكية. وفي الإتيان وذكر قوم منه أي مما تكرر نزوله الفاتحة، فليتأمل فإنه لا يقال ذلك إلا بناء على أنها نزلت بهما: أي نزلت



بمكة ثم بالمدينة مبالغة في شرفها. وقد أشار القاضي البيضاوي إلى أن تكرير نزولها ليس مجزوم به. وقيل نزل نصفها بمكة ونصفها بالمدينة. قال في الإتيان: والظاهر أن النصف الذي نزل بالمدينة النصف الثاني، قال ولا دليل لهذا القول، هذا كلامه. واستدل بعضهم على أنها مكية بأنه لا خلاف أن سورة الحجر مكية، وفيها (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) [الحجر: ٨٧] وهي الفاتحة. فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وقد قرئ عليه الفاتحة: «والذي نفسي بيده ما أنزل الله تعالى في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، إنها هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته». وقد حكى بعضهم الاتفاق على أن المراد بالسبع المثاني في آية الحجر هي الفاتحة. ويردّ دعوى الاتفاق قول الجلال السيوطي: وقد صح عن ابن عباس تفسير السبع المثاني في آية الحجر بالسبع الطوال. ومما يدل على أن المراد بها الفاتحة، ما ذكر في سبب نزولها وهو أن عيرا لأبي جهل قدمت من الشام بهال عظيم وهي سبع قوافل، ورسول الله ﷺ وأصحابه ينظرون إليها وأكثر الصحابة بهم عري وجوع، فخطر ببال النبي ﷺ شيء حاجة أصحابه فنزل (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ) [الحجر: ٨٧] أي أعطيناك سبعا من المثاني مكان سبع قوافل، ولا تنظر إلى ما أعطيناها لأبي جهل وهو متاع الدنيا الدنية ولا تحزن عليهم، أي على أصحابك واخفض جناحك لهم، فإن تواضعك لهم أطيب لقلوبهم من ظفرهم بما تحب من أسباب الدنيا. وفي زوائد الجامع الصغير «لو أن فاتحة الكتاب جعلت في كفة الميزان وجعل القرآن في الكفة الأخرى لفضلت فاتحة الكتاب على القرآن سبع مرات». وفي لفظ «فاتحة الكتاب شفاء من كل داء» وفي لفظ «فاتحة الكتاب تعدل ثلثي القرآن» فليتأمل، ولها اثنان وعشرون اسما. وذكر بعضهم أن لها ثلاثين اسما. وذكرها الاستاذ الشيخ أبو الحسن البكري في تفسيره الوسيط، قال السهيلي: ويكره أن يقال لها أم الكتاب: أي لما ورد «لا يقولن أحدكم أم الكتاب وليقل فاتحة الكتاب» قال الحافظ السيوطي: ولا أصل له في شيء من كتب الحديث، وإنما أخرجه ابن الضريس بهذا اللفظ



عن ابن سيرين. وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة تسميتها بذلك هذا كلامه، ولا يخفى أنه جاء في تسمية الفاتحة ذكر المضاف تارة وهو سورة كذا وإسقاطه أخرى. وتارة جوّزوا الأمرين معاً، وهو يشكل على أن تسمية السور توقيفي. ثم رأيت في الإتيان قال: قال الزركشي في البرهان: ينبغي البحث عن تعداد الأسامي هل هو توقيفي أو بما يظهر من المناسبات؟ فإن كان الثاني فيمكن الفطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها وهو بعيد هذا كلامه. ويلزم القول بأنها إنما نزلت في المدينة أن مدة إقامته ﷺ بمكة كان يصلي بغير الفاتحة. قال في أسباب النزول: وهذا مما لا تقبله العقول: أي لأنه لم يحفظ أنه كان في الإسلام صلاة بغير الفاتحة: أي ويدل لذلك ما رواه الشيخان «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» وفي رواية «لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها الرجل بفاتحة الكتاب» والمراد في كل ركعة، لقوله ﷺ للمسيء صلاته «إذا استقبلت القبلة فكبر ثم اقرأ بأمر القرآن ثم اقرأ بما شئت». ويدل لذلك أيضاً وصف القول بأنها إنما نزلت بالمدينة بأنه هفوة من قائله، لأنه تفرد بهذا القول، والعلماء على خلافه: أي لأن نزولها كان بعد فترة الوحي بعد نزول: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) [المدثر: ١] ويلزم على كونها نزلت بعد المدثر أنه ﷺ صلى بغير الفاتحة في مدة فترة الوحي: أي لأن المدثر نزلت بعد فترة الوحي على ما سيأتي. وقد يقال: لا ينافيه ما تقدم من أنه لم يحفظ أنه لم يكن في الإسلام صلاة بغير الفاتحة، لجواز أن يراد صلاة من الصلوات الخمس، وما تقدم مما يدل على تعين الفاتحة في الصلاة يجوز أن يكون صدر منه ﷺ بعد فرض الصلوات الخمس. وفي الإمتاع إنزال الملك يشره بالفاتحة وبآيتين من سورة البقرة، يدل على أنها نزلت بالمدينة. فقد أخرج مسلم عن ابن عباس قال: «بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نغيضا أو صوتا من فوقه فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما من قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة» (١٢٠).



«وقد أخرج الدارقطني عن الإمام علي عليه السلام أنه سئل عن السبع المثاني فقال: الحمد لله رب العالمين، فقليل له إنما هي ست آيات، فقال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) آية وقيل لها السبع المثاني، لأنها سبع آيات وتثنى في الصلاة. وقيل المثاني كل القرآن، لأنه يثني فيه صفات المؤمنين والكفار والمنافقين وقصص الأنبياء والوعد والوعيد. قال بعضهم: والوجه أن يقال المراد بالسبع المثاني السبع الطوال: أي كما أنها المراد بقوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي) [الحجر: ٨٧] على ما تقدم ... فأتيت السيدة خديجة عليها السلام فقلت: «دثروني دثروني» أي وفي رواية «زملوني زملوني، وصبوا عليّ ماء باردا» فدثروني وصبوا عليّ ماء باردا فنزلت هذه الآية (يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) [المدثر: الآية ١] أي الملتف بثيابه، قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ (٣) [المدثر الآية ٢ و ٣]، ولم يقل بعد فأنذر وبشر لأنه كما بعث بالندارة بعث بالبشارة لأن البشارة، إنما تكون لمن آمن ولم يكن أحد آمن قبل، وهذا يدل على أن هذه الآية أول ما نزل: أي قبل اقرأ وأن النبوة والرسالة مقترنان. قال الإمام النووي: والقول بأن أول (ما نزل يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) [المدثر الآية ١] ضعيف باطل، وإنما نزلت بعد فترة الوحي: أي ومما يدل على ذلك قوله: «فإذا الملك الذي جاءني بحراء» ومما يدل على ذلك أيضا ما في البخاري أن في رواية جابر أنه عليه السلام حدث عن فترة الوحي أي لا عن ابتداء الوحي. فما تقدم من قول بعضهم يعني عن ابتداء الوحي فيه نظر، وكذا في قول الراوي عن جابر «جاروت بحراء، فلما قضيت جواربي هبطت» لأن جواره بحراء كان قبل فترة الوحي، إلا أن يقال جابر جاء عنه روايتان: واحدة في ابتداء الوحي، وأخرى في فترة الوحي، وبعض الرواة خلط، فإن صدر الرواية يدل على أن ذلك كان عند ابتداء الوحي، وعجزها يدل على أن ذلك كان في فترة الوحي. هذا، ويجوز أن يكون عليه السلام جاور بحراء في مدة فترة الوحي. ويؤيد ذلك ما في البيهقي عن مرسل عبيد بن عمير «أنه عليه السلام كان يجاور في كل سنة شهرا وهو شهر رمضان، وكان ذلك في مدة فترة الوحي» وسيأتي الجمع بين الروايات في أول ما نزل. وعن إسماعيل بن أبي حكيم مولى الزبير «أنه



حدث عن السيدة خديجة عليها السلام قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله: أستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ قال نعم» أي وذلك قبل أن يأتيه بالقرآن: أي بشيء منه، وهو اقرأ باسم ربك [العلق: ١] بناء على أنه أول ما نزل. ولا ينافي ذلك قولها: «هذا الذي يأتيك إذا جاءك» لأن المعنى الذي يتراءى لك إذا رأيته، فجاءه الملك جبريل عليه السلام، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: يا خديجة، هذا الملك جبريل قد جاءني: أي قد رأيته، لكن سيأتي عن ابن حجر الهيتمي أن ذلك كان بعد البعثة، «قالت: قم يا بن عمي فاجلس على فخذي، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فجلس على فخذه، قالت: هل تراه؟ قال نعم، قالت، فتحول فاجلس في حجري، فتحول رسول الله صلى الله عليه وآله فجلس في حجرها، قالت: هل تراه؟ قال نعم، فألقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وآله جالس في حجرها ثم قالت: هل تراه؟ قال لا، قالت: يا بن عمي اثبت وأبشر فو الله إنه ملك ما هذا بشيطان» وإلى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله:

وأثاءه في بيتها جبرائيل ... ولذي اللب في الأمور ارتياء
فأماطت عنها الخمار لتدري ... أهو الوحي أم هو الإغواء
فاختفى عند كشفها الرأس جبر ... يل فما عاد أو أعيد الغطاء
فاستبان خديجة أنه الكن ... ز الذي حاولته والكيماء

أي وأثاءه. قال ابن حجر: أي بعد البعثة أي النبوة، واجتماعه به في بيتها حامل الوحي الملك جبريل عليه السلام، ولصاحب العقل الكامل في الأحوال التي قد تشبه استبصار، فبسبب كمال استبصارها أزال عن رأسها ما يغطي به الرأس لتعلم عين اليقين أن هذا الذي يعرض له صلى الله عليه وآله هل هو حامل الوحي الذي كان يأتي به الأنبياء عليهم السلام قبله أو هو الإغواء الذي هو بعض الأمراض الجائزة عليهم، عليهم السلام (١٢١).

ملاحظات على ما ورد عند هؤلاء المؤرخين السنة اعتماداً على الرواة الشفاهيين من

المرحلة التاريخية الأولى



وهنا نصل بملاحظاتنا هذه الى خاتمة هذا المبحث المهم جدا؛ لأنه يعنى برواية الآيات الأولى التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على رسوله ﷺ. وواقعا فإن المؤرخين من أهل السنة في هذه المرحلة يتميزون عن المؤرخين السابقين في المرحلتين اللتين سبق ذكرهما، أي المرحلة الأولى على وجه الخصوص والمرحلة الثانية، من عدة جوانب:-

أولها: أنهم وبالأخص عند ابن كثير والصالحى الشامي وسبط ابن العجمي قد قدّموا حلو لا توفيقية، وبعضا منها ترقية للمسألة الأم ألا وهي نزول الملك جبرئيل على النبي ﷺ بعد اكتمال عمره بالأربعين التي مرّ ذكرها في السابق، ولكن بإضافة تحليلات توفيقية جديدة وبمحاججات تعكس تماما سعة معارفهم من جهة والأهم من ذلك دعمهم وتوكيدهم على الرواية التأسيسية وهي رواية الزهري + عروة بن الزبير + عائشة على وفق تعبيراتهم. فابن كثير يقول في هذا الصدد ما نصّه: «وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ رَوَاهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِهِ فِي مَوَاضِعٍ مِنْهُ، وَتَكَلَّمْنَا عَلَيْهِ مُطَوَّلًا فِي أَوَّلِ شَرْحِ الْبُخَارِيِّ فِي كِتَابِ بَدَأِ الْوَحْيِ إِسْنَادًا وَمَتْنًا وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ. وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ اللَّيْثِ بِهِ، وَمِنْ طَرِيقِ يُونُسَ وَمَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ». ويقول سبط ابن العجمي في الموضوع نفسه ما نصّه: «قال القاضي وغيره وإنما ابتدئ رسول الله ﷺ بالرؤيا لثلاث أسباب: الأول هو الملك جبرئيل عليه السلام بالنبوة: أي الرسالة، فلا تتحملها القوى البشرية: أي لأن القوى البشرية لا تتحمل رؤية الملك وإن لم يكن على صورته التي خلقه الله عليها ولا على سماع صوته ولا على ما يخبر به لا سيما الرسالة، فكانت الرؤيا تأنيسا له ﷺ والمراد بالملك جبرئيل عليه السلام، لكن ذكر بعضهم أن من لطف الله تعالى. فيكون ابتداء الرؤيا حصل في شهر ربيع الأول، وهو مولده ﷺ ثم أوحى الله إليه في اليقظة أي في شهر رمضان ذكره البيهقي وغيره. وجاء في الحديث (الرؤيا الصادقة) وفي البخاري: «الرؤيا الحسنة: أي الصادقة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة». قال بعضهم: معناه أن النبي ﷺ حين بعث أقام بمكة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة عشر سنين يوحى إليه ومدة الوحي إليه



في اليقظة ثلاث وعشرون سنة، ومدة الوحي إليه في المنام أي الرؤيا ستة أشهر، فالمراد خصوص رؤيته وخصوص نبوته ﷺ، وهذا القيل نقله في الهدى وأقره حيث قال: كانت الرؤيا ستة أشهر، ومدة النبوة ثلاثا وعشرين سنة، فهذه الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءا، هذا كلامه كما علقه البخاري. ولعل المقصود بالقاضي الذي تكرر ذكره (القاضي) القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي (٤٧٦هـ - ٥٤٤هـ / ١٠٨٣م - ١١٤٩م). وهو قاض مالكي. ووصف بكونه علامة وفقه ومؤرخ له كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى. كذلك في مسألة وكالة الملك إسرائيل عليه السلام برسول الله ﷺ مدة ثلاث سنين قبل أن يقرن به ﷺ وأن هذا الأمر لا يتناقض مع قول الرواية السائدة خطأ في عقولنا فيقول ابن كثير ما نصه: «فَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى الشَّعْبِيِّ، وَهُوَ يَقْتَضِي أَنَّ الْمَلِكَ إِسْرَافِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَرْنَ مَعَهُ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ ثَلَاثَ سِنِينَ، ثُمَّ جَاءَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَأَمَّا الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ فَإِنَّهُ قَدْ قَالَ: وَحَدِيثُ عَائِشَةَ لَا يُثَابِتُ هَذَا. فَإِنَّهُ يُجَوِّزُ أَنْ يَكُونَ أَوَّلُ أَمْرِهِ الرُّؤْيَا، ثُمَّ وَكَّلَ بِهِ الْمَلِكُ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ يَخْلُو فِيهَا بِحَرَاءٍ، فَكَانَ يُلْقِي إِلَيْهِ الْكَلِمَةَ بِسُرْعَةٍ وَلَا يُقِيمُ مَعَهُ تَدْرِيجًا لَهُ وَتَمَرِينًا، إِلَى أَنْ جَاءَهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَعَلِمَهُ بَعْدَ مَا عَظَّهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَحَكَتْ عَائِشَةُ مَا جَرَى لَهُ مَعَ الْمَلِكِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَمْ تَحْكِ مَا جَرَى لَهُ مَعَ الْمَلِكِ إِسْرَافِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اخْتِصَارًا لِلْحَدِيثِ، أَوْ لَمْ تَكُنْ وَقَفَتْ عَلَى قِصَّةِ الْمَلِكِ إِسْرَافِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ» ؛ ولسبط ابن العجمي رأي تحليلي لذلك فيقول: «ونقل الماوردي عن الشعبي أن الله قرن الملك إسرائيل عليه السلام بنبيه ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه، يعلمه الشيء بعد الشيء ولا يذكر له القرآن، فكان في هذه المدة مبشرا بالنبوة، وأمهله هذه المدة ليتأهب لوحيه. وفيه أنه لو كان في تلك المدة مبشرا بالنبوة ما قال للسيدة خديجة عليها السلام ما تقدم، إلا أن يقال ما تقدم إنما قاله للسيدة خديجة عليها السلام في أول الأمر، ويدل لذلك ما قيل إنه ﷺ مكث خمس عشرة سنة يسمع الصوت أحيانا ولا يرى شخصا،

وسبع سنين يرى نورا ولم ير شيئا غير ذلك، وإن المدة التي بشر فيها بالنبوة كانت ستة أشهر من تلك المدة التي هي اثنان وعشرون سنة وهذا الشيء الذي كان يعلمه له الملك إسرَافيل عليه السلام لم أقف على ما هو، والله (عز وجل) أعلم».

وعقَّب سبط ابن العجمي على التناقض في رواية عروة + عائشة أن رسول الله ﷺ كان نائما عندما جاءه الوحي من ربه سبحانه وتعالى قائلا: «أقول: أي استقر ذلك في قلبي وحفظته. ثم لا يخفى أن كلام هذا البعض، وهو أنه جاءه ليلة السبت وليلة الأحد، ثم ظهر له يوم الاثنين، محتمل لأن يكون أتاه بذلك النمط في ليلة السبت وليلة الأحد، وسحر يوم الاثنين وهو نائم لا يقظة لقوله: «ثم هببت من نومي». ولا ينافي ذلك قوله: «ثم ظهر له بالرسالة»، أي أعلن له بما يكون سببا للرسالة الذي هو اقرأ الحاصل في اليقظة. وحينئذ يكون تكرر مجيئه هو السبب في استقرار ذلك في قلبه ﷺ. وحينئذ لا يبعده قوله في الليلة الثانية: «ما قرأت شيئا» لأن المراد لم يتقدم لي قراءة قبل مجيئك إلي، ولا يبعده أيضا قوله: «ما أدري ما أقرأ» لأنه لم يستقر ذلك في قلبه لما علمت أن سبب الاستقرار التكرار، فلم يستقر ذلك في قلبه ﷺ في الليلة الأولى».

وثانيها: وفي هيكلية الموضوع نفسه، في غار حراء ونزول الوحي الكريم على النبي ﷺ يذكر هؤلاء المؤرخون نقاطا، بعضها تحليل وأخرى استنتاج، ومن بينها مسألة اليقظة والنوم عند نزول الوحي ما قاله ابن كثير: «وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ عُبَيْدُ بْنُ عَمِيرٍ كَمَا ذَكَرْنَاهُ كَالْتَوَاطِئَةِ لَمَّا جَاءَ بَعْدَهُ مِنَ الْيَقَظَةِ، كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِ عَائِشَةَ: فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ. وَيَحْتَمَلُ أَنَّ هَذَا الْمَنَامَ كَانَ بَعْدَ مَا رَأَاهُ فِي الْيَقَظَةِ صَبِيحَةً لِيَلْتَمِذَ. وَيَحْتَمَلُ أَنَّهُ كَانَ بَعْدَهُ بِمَدَّةٍ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي حَرَاءٍ، وَكَانَ يَقَرُّ إِلَيْهِ مِنْ قَوْمِهِ، إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عليه السلام، فَدَنَا مِنْهُ، فَخَافَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَخَافَةً شَدِيدَةً، فَوَضَعَ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ عليه السلام يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ احْطُطْ وَزَرُهُ، وَاشْرَحْ صَدْرَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، يَا مُحَمَّدُ أَبَشِرْ! فَإِنَّكَ نَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، اقْرَأْ. فَقَالَ لَهُ نَبِيُّ اللَّهِ: وَهُوَ

خَائِفٌ يُرْعَدُ: مَا قَرَأْتُ كِتَابًا قَطُّ وَلَا أَحْسِنُهُ، وَمَا أَكْتُبُ وَمَا أَقْرَأُ». ويضيف ابن كثير أيضا عبر وصفه حالة رسول الله ﷺ عند عودته من الغار الى بيته ما نصّه: «فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى زَوْجَتِهِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَبْصَرَتْ مَا بَوَّجَهُ مِنْ تَغْيِيرِ لَوْنِهِ، فَأَفْرَزَهَا ذَلِكَ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ، فَلَمَّا دَنْتَ مِنْهُ جَعَلَتْ تَمْسَحُ عَنْ وَجْهِهِ وَتَقُولُ: لَعَلَّكَ لِبَعْضِ مَا كُنْتَ تَرَى وَتَسْمَعُ قَبْلَ الْيَوْمِ. فَقَالَ لِلْسَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَرَأَيْتِ الَّذِي كُنْتُ أَرَى فِي الْمَنَامِ وَالصَّوْتِ الَّذِي كُنْتُ أَسْمَعُ فِي الْيَقَظَةِ وَأُهَالُ مِنْهُ؟ فَإِنَّهُ الْمَلِكُ جَبْرِيلُ قَدْ اسْتَعْلَنَ لِي وَكَلَّمَنِي وَأَقْرَأَنِي كَلَامًا فَرِعْتُ مِنْهُ، ثُمَّ عَادَ إِلَيَّ فَأَخْبَرَنِي أَنِّي نَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ»، وهي معلومة ليست موجودة في الرواية السائدة عن عروة + عائشة. وفي كتاب الصالحى الشامى ورد أيضا نصّ لم يرد في تلك الرواية وهو: «فقال: اقرأ أو جد القراءة. مبتدئا باسم ربك الذي خلق الخلائق خلق الإنسان الجنس من علق». وكذلك جاء في كتاب سبل الهدى بهذا الشأن: «ذكر أكثر الأئمة أن هذا القدر المذكور في القصة من سورة اقرأ أول ما نزل من القرآن. وشذ صاحب الكشاف فقال: إن أكثر المفسرين على أن أول سورة نزلت الفاتحة. وهذا وهم بلا شك. وقال في موضع آخر: المحفوظ أن أول ما نزل: (اقرأ باسم ربك) وأن نزول الفاتحة كان بعد ذلك. وقال النووي: أول ما نزل من القرآن: اقرأ. هذا هو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف وقيل أوله: (يا أيها المدثر) وليس بشيء».

والصالحى الشامى وكذلك سبط ابن العجمي لعلهما استغربا من مسألة تردد رسول الله ﷺ وارتيابه في نبوته وفي نزول الوحي فأرادا حلا لذلك فتوصل له الصالحى الشامى على وفق قول الإسماعيلي: «قال الإسماعيلي: موه بعض الطاعنين على المحدثين فقال: كيف يجوز للنبي ﷺ أن يرتاب في نبوته حتى يرجع إلى ورقة ويشكو للسيدة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ما يخشاه؟ والجواب: أن عادة الله سبحانه وتعالى جرت بأن الأمر الجليل إذا قضى الله تعالى بإيصاله إلى الخلق أن يتقدمه تشريح وتأسيس، وكان ما يراه النبي ﷺ من الرؤيا الصادقة ومحبة الخلوة والتعبّد من ذلك، فلما جاءه الملك فجأه بغته أمر خالف



العادة والمألوف فنفر طبعه البشري منه وهاله ذلك ولم يتمكن من التأمل في تلك الحال، لأن النبوة لا تزال طباع البشرية كلها، فلا يتعجب أن يجزع مما لم يألفه وينفر طبعه منه». وثالثها: الاستنتاج الذي توصل إليه سبط ابن العجمي على ما جاء في رواية عروة + عاشة من أن الملك جبرئيل عليه السلام غطَّ أو غتَّ رسول الله ﷺ ثلاث مرات قائلا له: (اقرأ) يقول: «وكرر الملك جبرئيل عليه السلام الغط ثلاثا للمبالغة. وأخذ منه بعض التابعين وهو القاضي شريح أن المعلم لا يضرب الصبي على تعليم القرآن أكثر من ثلاث ضربات. وأورد الحافظ السيوطي عن الكامل لابن عدي بسند ضعيف عن ابن عمر «أن النبي ﷺ نهى أن يضرب المؤدب الصبي فوق ثلاث ضربات». وذكر السهيلي أن في ذلك: أي الغط ثلاثا إشارة إلى أنه ﷺ يحصل له شدائد ثلاث ثم يحصل له الفرج بعد ذلك فكانت الأولى إدخال قريش له ﷺ الشعب والتضييق عليه. والثانية اتفاقهم على الاجتماع على قتله ﷺ. والثالثة خروجه من أحب البلاد إليه». أيضا فإن سبط ابن العجمي أراد التوفيق بين أن الملك عليه السلام جاء بنمط أو غير ذلك فقال: «أقول: فقولنا: أي بغير نمط هو ظاهر الروايات، ويجوز أن يكون لفظ النمط سقط في هذه الرواية غيرها من الروايات، ويؤيده اقتصار السيرة الشامية على مجيئه بالنمط. وأيضا كيف الجمع بين قوله هنا ما ذكر وبين قوله هناك: «فكأنما كتب في قلبي كتابا» وما بالعهد من قدم». إلا أن يقال يجوز أن يكون ﷺ جوز أن يكون الملك جبرئيل عليه السلام يريد منه قراءة غير الذي قرأه وكتب في قلبه. ولا يخفى أنه علم أن قول الملك جبرئيل عليه السلام اقرأ أمر بالقراءة. وفيه أنه من التكليف بما لا يطاق، أي في الحال: أي ومن ثم ادعى بعضهم أنه لمجرد التنبيه واليقظة لما يلقي إليه. وفيه أنه لو كان كذلك لم يحسن أن يقال في جوابه: ما أنا بقارئ الذي معناه لا أوجد القراءة. إلا أن يقال الملك جبرئيل عليه السلام أراد التنبيه لا الأمر، وجوابه ﷺ بناء على مقتضى ظاهر اللفظ».



ورابعها: بخصوص أول سورة أنزلها الله سبحانه وتعالى إنها الخمس آيات من سورة العلق أم الآيات من سورة الفاتحة؟ فيقول: «الذي ذهب إليه أكثر الأمة هو الأول: أي القول بأنه (اقرأ)، وأما الذي نسبته إلى الأكثر فلم يقل به إلا عدد أقل من القليل بالنسبة إلى من قال بالأول، هذا كلامه. ثم رأيت الإمام النووي قال: القول بأن الفاتحة أول ما نزل بطلانه أظهر من أن يذكر: أي ومما يدل على ذلك ما جاء من طرق عن مجاهد أن الفاتحة نزلت بالمدينة. ففي تفسير وكيع عن مجاهد: فاتحة الكتاب مدنية». والمذكور عند الصالحى الشامي وسبط ابن العجمي وآخرين أن القول بنزول سورة الفاتحة أولا وقبل سورة (اقرأ) قد قاله الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وهي سورة مكية؛ في حين أن النووي وهو أبو زكريا يحيى بن شرف الحزامي النووي الشافعي (٦٣١هـ - ١٢٣٣م/ ٦٧٦هـ - ١٢٧٧م) المشهور باسم «النووي» محدث وفقيه ولغوي وأحد أبرز فقهاء المذهب الشافعي، اشتهر بكتبه وتصانيفه الكثيرة في الفقه والحديث واللغة والتراجم، وهو صاحب أشهر أربعة كتب: (المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، و(روضة الطالبين وعمدة المفتين)، و(رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين)، و(الأذكار المنتخب من كلام سيد الأبرار)، يقول إنها مدنية وإنه أبطل القول لأن تكون الفاتحة هي أول ما نزل من القرآن الكريم. والحقيقة أنه قد اختلف العلماء في سورة الفاتحة من حيث وقت نزولها وبالأخص في مكان نزولها في مكة المكرمة أو في المدينة المنورة، ولكن الرأي الراجح أنها سورة مكية ومن أوائل ما نزل من القرآن الكريم. ففي رواية يرجع إسنادها إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام نقلا عن ما ورد عن عمرو بن شرحبيل: «أن رسول الله ﷺ كان إذا برز سمع مناديا ينادي يا محمد، فإذا سمع الصوت انطلق هاربا، فقال له ورقة بن نوفل: إذا سمعت النداء فاثبت حتى تسمع ما يقول لك، فلما برز سمع النداء فقال: لييك، قال: قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، ثم قل الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم حتى فرغ من فاتحة الكتاب».



وخامس هذه الجوانب: أن مؤرخي هذه المرحلة يشددون على أن لأبي بكر إسهاما في هذه المرحلة المبكرة، أي في رواية المبعث النبوي ولما ينزل على رسول الله ﷺ إلا سورة العلق بحسب رواية عروة بن الزبير + خالته عائشة زوج رسول الله ﷺ؛ وبالمناسبة فإن ابن كثير يذكر أن أول من أسلم بالإسلام هو أبو بكر ومن الصبيان الإمام علي عليه السلام ضاربا عرض الحائط القول بأن الإمام علي عليه السلام كان أول من أسلم وأول من صلى من الرجال خلف رسول الله ﷺ وأن أخاه جعفر بن أبي طالب عليه السلام قد صلى مع المصلين الأوائل: السيدة خديجة الكبرى عليها السلام والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والصحابي زيد بن الحارثة وجعفر بن أبي طالب عليه السلام ولم يكن يومئذ ذكر لأبي بكر. فالمؤرخون ابن كثير والذهبي والصالحي الشامي وسبط ابن العجمي قد أجمعوا على تصديق رواية سليمان بن طرخان التيمي - وهو أبو المعتمر البصري المتوفى سنة ١٤٣ هجرية، تابعي، ورواية للحديث النبوي وهو من العباد المجتهدين وقد أكثر رواية الحديث وله بحسب قول علي بن المديني نحو مئتي حديث عن النبي ﷺ، وثقه علماء التراجم من أهل السنة - على الآتي: «وقد جاء أن أبا بكر دخل على السيدة خديجة عليها السلام أي وليس عندها رسول الله ﷺ، فقالت له: يا عتيق اذهب بمحمد ﷺ إلى ورقة: أي بعد أن أخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ كما سيذكر، فلما دخل رسول الله ﷺ أخذ أبو بكر بيده فقال: انطلق بنا إلى ورقة، وذهب به إلى ورقة»، بينما كانت رواية ابن كثير على المسألة نفسها كالآتي: «فَلَمَّا دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَلَيْسَ [عِنْدَهَا] رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ ذَكَرَتْ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ، فَقَالَتْ: يَا عَتِيقُ اذْهَبْ مَعَ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى وَرَقَةَ، فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ وَقَالَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى وَرَقَةَ، فَقَالَ: وَمَنْ أَخْبَرَكَ؟ قال: خديجة»، ولم يتبادر الشك إلى هؤلاء في الرواية أنه لماذا كان أبو بكر عند السيدة خديجة عليها السلام ولم يكن النبي ﷺ موجودا فما علاقته بالسيدة خديجة الكبرى عليها السلام، ثم إن رواية ابن كثير ناقصة أو لعله هو كان متعمدا في أدائها بهذه الصيغة فالجملة غير مكتملة «فَلَمَّا دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَلَيْسَ [عِنْدَهَا] رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟؟» بينما كان



سبط ابن العجمي قد تدارك خطورة الفكرة بين أن يكون أبو بكر والسيدة خديجة (عليهما السلام) في بيت النبي (صلى الله عليه وآله) وقولها: «يا عتيق اذهب بمحمد (صلى الله عليه وآله) إلى ورقة» في الوقت الذي لم يكن فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد جاء بالفعل فعقب: «أي بعد أن أخبرته بما أخبرها به رسول الله (صلى الله عليه وآله)». والحقيقة المرة هي أن الرواية برمتها عبارة عن مجرد تلفيق ووسيلة إعلام لإظهار دور لا وجود له لأبي بكر؛ والرواية فوق هذا وذاك تشعر القارئ وكأن له شأنًا كبيراً عند السيدة خديجة الكبرى (عليها السلام) لدرجة أنه أخذ بيد النبي، بمعنى قاد الكبير الولد الصغير إلى ورقة!!!.

وأخيرا وليس آخرا نجد أن ابن كثير بشكل خاص وقبله ابن عساكر والصالحى الشامي وسبط ابن العجمي يضحمون من الدور الأساس والداعم للإسلام لورقة بن نوفل الأسدي من عشيرة عروة بن الزبير فنراهم يكيلون المدح والثناء والتعظيم لورقة الذي أدخل الأمان والاطمئنان على نفس النبي (صلى الله عليه وآله) التي كانت مرعوبة ومتردة ومنهارة. فيقول ابن كثير عنه: «وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ» ولم ينتبه ابن كثير ولا غيره من المؤرخين والمفسرين ومؤلفي الصحاح والسنن والمساند ومؤلفي المصاحف ارتباك هذه الرواية وضعف بنيتها اللغوية والبيانية وعدم صدقيتها. ثم لننظر في ما كرّره ابن كثير وغيره من المؤرخين والمفسرين وغيرهم من رواية عروة + عائشة - إن صحت بكونها راويتها والله أعلم - من رواية هذه الرواية: «وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَزَّازُ: حَدَّثَنَا عُيَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله): «لَا تَسُبُّوا وَرَقَةَ، فَإِنِّي رَأَيْتُ لَهُ جَنَّةً أَوْ جَنَّتَيْنِ». وَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْأَشْجِيِّ، عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، وَهَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ، وَهَكَذَا أوردَ ذَلِكَ الْحَافِظُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ وَعِنْدِي فِي صِحَّتِهَا عَنْ وَرَقَةَ نَظَرٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ». كذلك ألم يرعوي ابن كثير بل ألم يخجل من نفسه وهو مؤرخ ومفسر

للقرآن العظيم من ذكر هذه الرواية في مقابل تصديقه بثقة إسناد هذه الرواية التي تجعل لورقة الأسدي الوثني الصنمي اليهودي أولاً ثم النصراني بعدئذ جنة أو جنتين، بينما يدعم إسناد رواية يرجع إسنادها الى عروة + عائشة بخصوص أبي طالب (عليه السلام) إذ تزعم: «وُسِّئِلَ عَنْ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام) فَقَالَ: «أَخْرَجْتُهُ مِنْ غَمْرَةٍ مِنْ جَهَنَّمَ إِلَى ضَخْصَاحٍ مِنْهَا». وَسُئِلَ عَنْ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ (عليها السلام)، لِأَنَّهَا مَاتَتْ قَبْلَ الْفَرَائِضِ وَأَحْكَامِ الْقُرْآنِ، فَقَالَ: «أَبْصَرْتُهَا فِي نَهْرٍ فِي الْجَنَّةِ فِي بَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ». إِسْنَادٌ حَسَنٌ، وَلِبَعْضِهِ شَوَاهِدٌ فِي الصَّحِيحِ. أَلَمْ يَكُنْ أَبُو طَالِبٍ (عليه السلام) الداعم الصلب لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في وجه الكفار من قريش، أَلَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا بِرِسَالَةِ السَّمَاءِ وَهُوَ الْحَنِيفِيُّ كَعَبْدِ الْمَطْلَبِ وَابْنِ وَالِدِ النَّبِيِّ عَبْدِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) فِي الْوَقْتِ الَّذِي نَزَلَتْ آيَاتُ بَيِّنَاتِ كَرِيَمَاتٍ مِنْ سُورَةِ التَّحْرِيمِ تَظْهَرُ بِكُلِّ وَضُوحٍ تَأْمُرُ رَاوِيَةَ رَوَايَاتٍ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ، أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْآيَةِ رَقْمَ ٥ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ الْفَاضِحَةِ لِلَّذِينَ يَعَادُونَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم): (عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا) (سورة التحريم: الآية ٥).

ويقول ابن كثير وسبط ابن العجمي: «قال الحافظ: وأما ما تمحل له السهيلي من أن ورقة كان على اعتقاد النصارى في عدم نبوة عيسى ودعواهم أنه أحد الأقانيم فهو محال لا يعرج عليه في حق ورقة وأشباهه من لم يدخل في التبديل ولم يأخذ عمن بدل. على أنه قد ورد عند أبي نعيم في الدلائل بسند حسن عن عروة في هذه القصة أن السيدة خديجة (عليها السلام) أولاً قد أتت ابن عمها ورقة فأخبرته الخبر، فقال: لئن كنت صدقتيني إنه ليأتيه ناموس النبي عيسى (عليه السلام) الذي لا يعلمه بنو إسرائيل أبناءهم. فعلى هذا فكان ورقة يقول تارة: ناموس النبي عيسى (عليه السلام) وتارة ناموس النبي موسى (عليه السلام)؛ وقال ابن العجمي: «وإنما ذكر ورقة النبي موسى دون النبي عيسى (عليه السلام)، مع أن النبي عيسى (عليه السلام) أقرب منه وهو على دينه لأنه كان على دين النبي موسى (عليه السلام)، ثم صار على دين النبي عيسى (عليه السلام) أي كان



يهوديا. ثم صار نصرانيا، أي لأن نبوة النبي موسى ﷺ مجمع عليها أي على أنها ناسخة لما قبلها، وأن شريعة النبي عيسى ﷺ، قيل إنها متممة ومقررة لشريعة النبي موسى ﷺ لا ناسخة لها، قيل ولأن ورقة كان ممن تنصر أي كما علمت، والنصارى لا يقولون بنزول الملك جبريل ﷺ على النبي عيسى ﷺ أي بل كان يعلم الغيب، لأنهم يقولون فيه إنه أحد الأقانيم الثلاثة اللاهوتية وذلك الأَقْنوم هو أَقْنوم الكلمة التي هي العلم حل بناسوت المسيح واتحد به، فلذلك كان يعلم علم الغيب ويخبر بما في الغد». ثم يردف قائلا: «وحيثُذ يكون تكرر سؤال ورقة ثلاث مرات، الأولى على يد أبي بكر. وذلك قبل أن يرى الملك جبريل ﷺ. والثانية التي رأى فيها النبي ﷺ الملك جبريل ﷺ وسمع منه ولم يجتمع به، وذلك عند اجتماعه ﷺ به في المطاف. والثالثة التي بعد مجيء الملك جبريل ﷺ له يقظة بالقرآن أي بـ(اقرأ) باسم ربك على المشهور، من أنه أول ما نزل، وذلك على يد السيدة خديجة ﷺ، ولا ينافي ذلك ما ذكره الحافظ ابن حجر كما سيأتي أن القصة واحدة لم تتعدد ومخرجها متحد، لأن مراده قصة مجيء الملك جبريل ﷺ له يقظة بـ(اقرأ باسم ربك)».



هوامش الفصل السادس:

(١) سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي): محمد بن إسحاق بن يسار المطليبي بالولاء، المدني (ت ١٥١هـ)؛ تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ص ١٢٨ - ١٣٠.

(٢) م. ن. ص ١٣٠ - ١٣٦.

(٣) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام؛ أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي المتوفى سنة ٥٨١هـ جرية، جزء ٢، صفحة ٢٥٠ - ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٦٧.

(٤) السهيلي؛ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، المحقق: عمر عبد السلام السلامي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص ٢٥٧، ٢٥٨.

(٥) م. ن. ص ٢٦٤ - ٢٦٥.

(٦) م. ن. ص ٢٦٦.

(٧) م. ن. ص ٢٧١.

(٨) م. ن. ص ٢٧٣.

(٩) م. ن. ص ٢٦٠.

(١٠) م. ن. ص ٢٦٣.

(١١) م. ن. ص ٣٦٥ - ٣٦٦.

(١٢) م. ن. ص ٣٦٨.

(١٣) م. ن. ص ٣٦٩.

(١٤) السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ جرية أو ٢١٨هـ جرية) تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م، جزء ١، ص ٢٣٤.

(١٥) م. ن. ص ٢٣٦.

(١٦) م. ن. ص ٢٣٧.

(١٧) م. ن. ص ٢٣٨.

(١٨) م. ن. ص ٢٣٩ - ٢٤٠.

(١٩) المحبر: محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، بالولاء، أبو جعفر البغدادي (المتوفى:



٢٤٥هـ)، تحقيق: إيلزة ليختن شتير، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص ٨.

(٢٠) م. ن.

(٢١) م. ن. ص ٨-١٠.

(٢٢) ابن سعد الطبقات الكبرى، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، جزء ١، ص ١٥٢.

(٢٣) م. ن. ص ١٥٢.

(٢٤) م. ن. ص ١٥٢-١٥٥.

(٢٥) م. ن. ص ١٥٤.

(٢٦) م. ن. ص ١٥٥.

(٢٧) م. ن.

(٢٨) جمل من أنساب الأشراف؛ أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، جزء ١، ص ١٠٣.

(٢٩) م. ن. جزء ١، ص ١٠٣.

(٣٠) م. ن. ص ١٠٤.

(٣١) م. ن. ص ١٠٥-١٢٦.

(٣٢) م. ن. ص ١٠٧.

(٣٣) م. ن. ص ١٠٨.

(٣٤) م. ن. ص ١٠٩.

(٣٥) م. ن. ص ١١٠.

(٣٦) م. ن. ص ١١١.

(٣٧) م. ن. ص ١١٣-١١٤.

(٣٨) م. ن. ص ١١٤-١١٥.

(٣٩) م. ن. ص ١١٦.

(٤٠) م. ن. ص ١١٧.

(٤١) تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ)، الناشر: دار التراث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٧ هـ، جزء ٢، ص ٢٩١-٢٩٨.



- (٤٢) م. ن. جزء ٢، ص ٢٩٩.
- (٤٣) م. ن. جزء ٢، ص ٣٠٠-٣٠٢.
- (٤٤) م. ن. ص ٣٠٣.
- (٤٥) م. ن. ص ٣٠٤.
- (٤٦) م. ن. ص ٣٠٥.
- (٤٧) م. ن. ص ٣٠٦.
- (٤٨) م. ن. ص ٣٠٧.
- (٤٩) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر؛ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة دار الفكر، الطبعة الخامسة، ١٢٩٣ / ١٩٧٣، جزء ١، ص ٢٨٢.
- (٥٠) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، صحَّحه، وعلق عليه، الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، الناشر: الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٧، جزء ١، ص ٦٢.
- (٥١) م. ن. ص ٦٣-٦٧.
- (٥٢) جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٠٠ م، ص ٥.
- (٥٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي الناشر: دار الجليل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، جزء ١، ص ٣٠.
- (٥٤) م. ن. ص ٣٢.
- (٥٥) م. ن. ص ٣٣.
- (٥٦) م. ن. ص ٣٤.
- (٥٧) م. ن. ص ٣٦-٣٧.
- (٥٨) الطبقات، جزء ٣، ص ١٠٢-١٠٣.
- (٥٩) التاريخ الكبير، ج ٨، ص ١٩٣.
- (٦٠) ينظر: طبقات خليفة بن خياط، تحقيق: د. سهيل زكار، ص ٩٠، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٦٥، كذلك: تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: د. سهيل زكار، بيروت، ١٤١٤هـ) ص ٩٥، ١٠٣، ٢١٥؛ المحبر لابن حبيب، مجلد ١، ص ٢٦٢، ٤٤٨؛ ابن سعد: طبقات، ج ٣، ص ٤٠، ج ٤، ص ١١، ج ٥، ص ١٧، ج ٨، ص ١٨، طبقات خليفة بن خياط، ص ٤٤، تاريخ خليفة بن خياط، ص ١٣٨، ١٤٠؛ العجلي:



معرفة الثقات، ج ١، ص ٣١٦؛ المزي: تهذيب الكمال، ج ٥، ص ٥٨٧، ج ٧، ص ١٧٢، ١٧٥؛ البستي: مشاهير علماء الأمصار، ص ٣١.

(٦١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، جزء ١، ص ٧.

(٦٢) سنن الترمذي، «كتاب المناقب»، باب من فضل عائشة، جزء ٥، ص ٦٦١.

(٦٣) البستي: مشاهير علماء الأمصار، ص ٣١.

(٦٤) ابن الجوزي؛ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، جزء ٢، ص ٣٤٨.

(٦٥) م. ن. جزء ٢، ص ٣٤٩ - ٣٥٠.

(٦٦) م. ن. ص ٣٥١.

(٦٧) م. ن. ص ٣٥٢.

(٦٨) م. ن. ص ٣٥٣.

(٦٩) م. ن. ص ٣٥٥.

(٧٠) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

(٧١) معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، ج ١١، ص ١٧٠.

(٧٢) الكامل في التاريخ، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين بن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، جزء ١، ص ٥٤٦.

(٧٣) م. ن. ص ٥٤٧.

(٧٤) م. ن. ص ٥٤٨.

(٧٥) م. ن. ص ٥٤٩.

(٧٦) م. ن. ص ٥٤٩ - ٥٥٠.

(٧٧) عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، المؤلف: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمرى الربيعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: ٧٣٤هـ) تعليق: إبراهيم محمد رمضان،



الناشر: دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ / ١٩٩٣، جزء ١، ص ٩٧-٩٨.

(٧٨) م. ن. ص ١٠١.

(٧٩) م. ن. ص ١٠٢-١٠٣.

(٨٠) م. ن.

(٨١) م. ن. ص ١٠٥.

(٨٢) م. ن. ص ١٠٦.

(٨٣) م. ن. ص ١٠٧.

(٨٤) م. ن. ص ١٠٨.

(٨٥) م. ن. ص ١٠٩.

(٨٦) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قنايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، جزء ١، ص ٤٩-٥١.

(٨٧) السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م، جزء ١، ص ٣٨٥.

(٨٨) م. ن. ص ٣٨٦-٣٨٧.

(٨٩) م. ن. ص ٣٨٨.

(٩٠) م. ن. ص ٣٨٩.

(٩١) م. ن. ص ٣٩٠-٣٩٦.

(٩٢) م. ن. ص ٣٩٧.

(٩٣) م. ن. ص ٣٩٨.

(٩٤) م. ن. ص ٣٩٩-٤٠٠.

(٩٥) م. ن. ص ٤٠١-٤٠٤.

(٩٦) م. ن. ص ٤٠٥.

(٩٧) م. ن. ص ٤٠٦-٤٠٩.

(٩٨) م. ن. ص ٤١٠-٤١١.

(٩٩) م. ن. ص ٤١٢-٤١٤.

(١٠٠) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قنايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت،



الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، جزء ١، ص ١١٧ - ١١٩.

(١٠١) م. ن. ص ١٢٤ - ١٢٦.

(١٠٢) سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد؛ محمد بن يوسف الصالحى الشامى (المتوفى: ٩٤٢ هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، جزء ٢، ص ٢٣٢.

(١٠٣) م. ن. ص ٢٣٤، جزء ٢، ص ٢٣٤.

(١٠٤) م. ن. ص ٢٣٦.

(١٠٥) م. ن. ص ٢٣٧.

(١٠٦) م. ن. ص ٢٣٨.

(١٠٧) م. ن. ص ٢٣٩.

(١٠٨) م. ن. ص ٢٤٠.

(١٠٩) م. ن. ص ٢٤١.

(١١٠) م. ن. ص ٢٤٢.

(١١١) م. ن. ص ٢٤٤ - ٢٥١.

(١١٢) إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، المؤلف: علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين بن برهان الدين (المتوفى: ١٠٤٤ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٧ هـ.

(١١٣) م. ن. ص ٣٢٢ - ٣٢٣.

(١١٤) م. ن. ص ٣٣٤ - ٣٣٦.

(١١٥) م. ن. ص ٣٣٧ - ٣٤٢.

(١١٦) م. ن. ص ٣٤٣.

(١١٧) م. ن. ص ٣٤٤ - ٣٤٦.

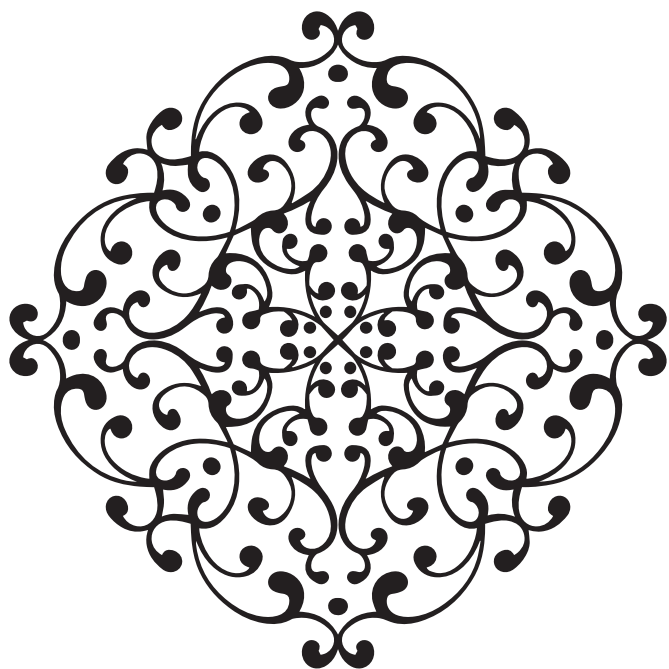
(١١٨) م. ن. ص ٣٤٦ - ٣٤٨.

(١١٩) م. ن. ص ٣٤٩.

(١٢٠) م. ن. ص ٣٥٠ - ٣٥٢.

(١٢١) م. ن. ص ٣٥٨.







إن الخلاصة المركزة في هذا الكتاب هي أننا تتبعنا -على وجه المقارنة والكشف والتحليل- تلك الرواية التي أضحت حتى يومنا هذا وما يعقبه من أيام وسنين وإلى نهاية تاريخ أمتنا الإسلامية هي الرواية التاريخية، وفي تفسير القرآن الكريم وفي مؤلفات الصحاح والمساند والسنن والمصاحف والأدب وفي جميع المؤلفات الفكرية والعلمية الصحيحة متنا وسندا وحقيقة وواقعية، على الرغم من كونها الرواية الأضعف في مبانيها اللغوية والعلمية والأكثر ارتباكاً والأبعد عن الصدقية التي صدّق بها العلماء الأجلاء من أهل السنّة. تلك الرواية التي تؤكد على كيفية نزول الملك جبرئيل عليه السلام بعناية من الله (عزّ وجلّ) بغلظة وقسوة في غطّه أو في قراءة أخرى في غتّه رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث مرات لأجل أن يقرأ عليه صلى الله عليه وآله السورة الأولى أو الخمس آيات الأولى من سورة العلق، وبهذه الآيات الخمس المباركات ابتداء نزول القرآن الكريم معلنا الدين الإسلامي الحنيف للبشرية جمعاء.

وفي الوقت الذي تبيّن -من الشواهد الروائية والتفسيرية- أن هناك آراءً أخرى لا تقل أهميتها من ناحية الإسناد الذي اتسمت به الرواية القاهرة السائدة بإسنادها المتميز عروة بن الزبير + عائشة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن كان إسنادها، أي الروايات المخالفة لإسناد عروة + عائشة، كأن يكون من حلقاته الأساسية والقريبة جداً من سيرة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ومن ابن عمّه الذي كان مرافقاً له حينما التقى بالملك المبجل جبرئيل عليه السلام وهو يرعى غنماً لأبي طالب عليه السلام وممن أعلن بصدق الإيمان برسالة السماء المباركة وأول من صلى من الرجال خلف رسول الله صلى الله عليه وآله مع زيد بن الحارثة ومع السيدة خديجة الكبرى عليها السلام، وأول من جمع القرآن الكريم بوصية من ابن عمّه بعد أن انتقل إلى الرفيق الأعلى. وإن كان هذا الإسناد المخالف لشرعية إسناد عروة + عائشة السلطوي والمجمع عليه عند علماء أهل السنّة على الإطلاق ألا وهو إسناد الصحابي الجليل القدر جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه) وغيره من الصحابة



الأجلاء المتألهين. أولئك المتناسون بأن حلقة الرواية المستحوذة على عقولنا وعقول أجيالنا قد تزوجت من النبي ﷺ ولما تبلغ التاسعة من عمرها والتي كما قال عنها ابن كثير على وجه التخصيص لأن قوله قد تم ذكره منذ أول المبعث النبوي عند جميع من تحدث عن المبعث من العلماء من أهل السنة ذلك المتعلق بالملك إسرافيل عليه السلام من هذا الكتاب، قال ابن كثير: «فَلَمَّا مَضَتْ ثَلَاثُ سِنِينَ قُرْنَ بِنُبُوتِهِ الْمَلِكُ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ عَشْرِينَ سَنَةً، عَشْرًا بِمَكَّةَ وَعَشْرًا بِالْمَدِينَةِ. فَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً. فَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى الشَّعْبِيِّ، وَهُوَ يَقْتَضِي أَنَّ الْمَلِكَ إِسْرَافِيلَ عليه السلام قُرْنَ مَعَهُ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ ثَلَاثَ سِنِينَ، ثُمَّ جَاءَهُ الْمَلِكُ جِبْرِيلُ عليه السلام. وَأَمَّا الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ فَإِنَّهُ قَدْ قَالَ: وَحَدِيثُ عَائِشَةَ لَا يُنَافِي هَذَا. فَإِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَوَّلُ أَمْرِ الرُّؤْيَا، ثُمَّ وَكَّلَ بِهِ الْمَلِكُ إِسْرَافِيلُ عليه السلام فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ يَخْلُو فِيهَا بِحَرَاءٍ، فَكَانَ يُلْقِي إِلَيْهِ الْكَلِمَةَ بِسُرْعَةٍ وَلَا يُقِيمُ مَعَهُ تَدْرِيجًا لَهُ وَتَمَرِينًا، إِلَى أَنْ جَاءَهُ الْمَلِكُ جِبْرِيلُ عليه السلام فَعَلِمَهُ بَعْدَ مَا غَطَّاهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَحَكَتْ عَائِشَةُ مَا جَرَى لَهُ مَعَ الْمَلِكِ جِبْرِيلَ عليه السلام وَلَمْ تَحْكُ مَا جَرَى لَهُ مَعَ الْمَلِكِ إِسْرَافِيلَ عليه السلام اخْتِصَارًا لِلْحَدِيثِ، أَوْ لَمْ تَكُنْ وَقَفْتَ عَلَى قِصَّةِ الْمَلِكِ إِسْرَافِيلَ عليه السلام، فَبِهِي لَمْ تَعْلَمْ شَيْئًا عَنْ ارْتِبَاطِ الْمَلِكِ إِسْرَافِيلَ عليه السلام بِالنَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ مَدَّةَ ثَلَاثِ سِنِينَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَبِطَ بِالْمَلِكِ جِبْرِيلَ عليه السلام فَكَيْفَ إِذْ تَكُونُ الْحَلْقَةُ الْأَسَاسِيَّةُ بِحَسَبِ مَا ذَكَرَهُ الْعُلَمَاءُ الْأَجْلَاءُ مِنْ أَهْلِ السَّنَةِ ؟؟! وَهِيَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ اخْتِيرَ مِنْ قَبْلِ الْعَنَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ مِنْذُ طِفُولَتِهِ فَكَيْفَ لَهَا أَنْ تَحْدُثَنَا بِقَوْلِهَا الَّذِي صَارَ عَنَوَانًا سَائِدًا وَبِالْجَبْرِ عَلَى عَقُولِنَا فَيَقُولُ الْبَخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: «حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبَّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ»، يَنْظُرُ الْجَامِعُ الْمُسْنَدَ الصَّحِيحَ الْمُخْتَصَرُ مِنْ أُمُورِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسُنَنِهِ وَأَيَّامِهِ = صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ



لمحمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر،
دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة
الأولى، ١٤٢٢هـ، جزء ١، ص ٧.

فهل يا ترى علينا أن نرتب رواية المبعث النبوي الشريف بشكل لائق عقديا وتاريخيا
وتفسيريا والأهم من ذلك منهجيا لأجيالنا بهدف العدالة العلمية التي نتوخاها في كيفية
نزول الوحي المبارك على رسولنا العظيم ﷺ؟!.



